البيضاء القاتلة

روبرت غالبريث

مغامرة جديدة لكورموران سترايك





إلى
سها
هذا
كتابك
ذاك
كان
تصبيرة

البيضاءُ القاتلة



t.me/t_pdf

2022 11 24

صدرت عام 2022 عن **نوفل**، دمغة الناشر هاشيت أنطوان

info@hachette-antoine.com
www.hachette-antoine.com
facebook.com/HachetteAntoine
instagram.com/HachetteAntoine
twitter.com/NaufalBooks

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية): 978-614-469-828-0
ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية): 978-614-469-829-7

Original title: *Lethal White*

First published in Great Britain in 2018 by Sphere

البيضاءُ القاتلة

روبرت غالبريث

نقلته من الإنكليزيّة كارول حدّاد



إلى دي وروجر،
وذكرى سبايك الأبيض الرائع.



تمهيد

السعادة، يا عزيزتي ريبيكا، تعني قبل كلّ شيء،
الفرح الهادئ الذي يبعثه الإحساس بالبراءة.

هنريك إيبسن، روسمرشولم

فقط لو أنّ هاتين الإوزّتين تنسابان الواحدة بجانب الأخرى على صفحة البحيرة الخضراء الغامقة، لَأتت صورة العروسين هذه لتتوّج مهنته في تصوير الأعراس.

لم يحبّذ فكرة أن يطلب إلى العروسين أن يبتعدا قليلًا. فأشعّة الشمس الخافتة، والمتسرّبة من بين أغصان الأشجار الكثيفة، كانت تضفي على العروس ذات الشعر النحاسيّ المسترسل على كتفيها، صورة الملائكة التي نراها في لوحات رسّامي حقبة ما قبل رافاييل، وتُبرز في الوقت عينه عظام خدَّي العريس فتجعله شبيهًا بوجه منحوت في الرخام. لم يسبق له قطّ أن صوّر عروسين على هذا القدر من الجمال. لم يكن ثمّة داعٍ، مع السيّد ماثيو كانليف وعروسه، إلى أن يلجأ إلى مهاراته العالية في فنّ التصوير، ولا إلى البحث عن الزاوية المناسبة لإخفاء كتلة شحم هنا أو هناك في جسد العروس (الواقع أنّها كانت نحيلة أكثر من اللازم، لكنّ ذلك لم يكن إلّا ليزيد الصورة جمالًا)، ولا إلى أن يقول للعريس «لنجرّب صورة أخرى وفمك مغلق»، فأسنان السيّد كانليف مستقيمة وبيضاء. التفصيل الوحيد الذي كان يجب إخفاؤه

خلال عملية تنقيح الصور هو الندبة في ذراع العروس، تلك الندبة البنفسجية الشاحبة، التي لا تزال آثار الغُرزات ظاهرة حولها.

حين وصل المصوّر إلى منزل والديها في ذلك الصباح، كانت ذراعها في مثبّت مطّاطيّ مغلّف بنسيج قطنيّ رقيق. ولكنّه أجفل حين رأى ذراعها بعدما نزعت المثبّت من أجل التصوير. حتّى إنّه تساءل عمّا إن حاولت الانتحار قبل الزواج، وهو ما لم يكن ليفاجئه بعد عشرين عامًا في هذه المهنة رأى خلالها كلّ شيء.

«تعرّضتُ لاعتداء» قالت السّيدة كانليف أو روبن إيلاكوت كما كانت تُدعى قبل ساعتين.

كان المصوّر حسّاسًا، وقد آلمته الصورة التي تراءت له للنصل الفولاذيّ وهو يخترق ذلك اللحم الطريّ الشاحب. لكنّ تلك العلامة البشعة حجبها، لحسن الحظّ، ظلّ باقة الورود البيضاء التي حملتها السيدة كانليف.

وتانك الإوزّتـان اللعينتان، لو أنّهما فقط تبتعدان. لكنّ إحداهما كانت تغوص برأسها في البحيرة المرّة تلو المرّة، لتبرز مؤخّرتها الزغبة من عمق المياه كما يبرزُ جبل الجليد، ولكنّه هذه المرّة جبل من الريش الأبيض، يترك في حركته على صفحة الماء تموّجات من الصعب جدًّا إزالتها بواسطة التقنيّات الرقمية، كما اقترح السيد كانليف الشابّ. في هذا الوقت، واصلت الإوزّة الثانية انسيابها بمحاذاة الضفّة، برشاقة وهدوء، ولكنّها كانت بعيدة من إطار التصوير.

– هل انتهينا؟ سألت العروس التي ظهر عليها نفاد الصبر.

– أنت رائعة الجمال يا زهرتي، قال جيفري، والد العريس الواقف خلف المصوّر، وقد بدت آثارُ الكحول ظاهرةً عليه.

في ظلال الأشجار القريبة وقف ذوو العروسين والإشبين والإشبينات يتفرّجون. وكانت صغرى وصيفات العروس، وهي طفلة لم تتجاوز العامين، تبكي لأنّ أحدهم منعها من رمي الحصى في البحيرة. فمالت عليها أمّها تحاول أن تنهاها عن البكاء بتوبيخ هامس متواصل أثار انزعاج الحاضرين.

– هل انتهينا؟ سألت روبن من جديد، متجاهلة ملاحظة حميها.

– تقريبًا، أجاب المصوّر كاذبًا، ميلي أكثر نحو ماثيو من فضلك يا روبن. أجل. أحسنت. ابتسامة كبيرة، ابتسامة كبيرة، هيّا!

كان جوّ من التوتّر يسيطر على العروسين، توتّر لا يمكن أن يُعزى فقط إلى صعوبة التصوير. لكنّ المصوّر لم يبالِ، فهو ليس مستشارًا في الشؤون الزّوجيّة، وقد سبق له أن رأى عرسانًا يفتعلون الشّجارات والمشاحنات قبل أن ينهي ضبط الإضاءة للتصوير في مناسبات عدّة. وقد حدث أن غادرت إحداهُنَّ حفلة عرسها غاضبة ذات مرّة. وكان، من أجل أن يسلّي أصدقاءه، يحتفظ بصورة من عام 1998 لعريس يضرب رأسه برأس إشبينه بعنف.

برغم وسامة العروسين، لم يكن المصوّر ليراهن على صمود زواجهما. فعدا عن أنّ الندبة الطويلة في ذراع العروس قد أثارت امتعاضه، كان يرى في ذلك الزفاف شيئًا مشؤومًا وكريهًا.

«هذا يكفي»، قال العريس فجأة وهو يبتعد من عروسه. «ألم نتصوّر بما فيه الكفاية؟».

«مهلًا، ها هي الإوزّة الثانية تقترب»، قال المصوّر مستاءً.

في اللحظة عينها التي ابتعد فيها ماثيو عن روبن، بدأت الإوزّة التي ابتعدت تعود أدراجها منسابة فوق الماء في اتّجاه رفيقتها.

«وكأنّهما تفعلان ذلك عمدًا، أليس كذلك يا ليندا؟» قال جيفري مخاطبًا والدة العروس، ليضيف بضحكة سمجة: «إوزّتان لعينتان».

«غير مهمّ»، قالت روبن وهي ترفع التنّورة الطويلة التي تخفي حذاءها الواطئ الكعب، «لا شكّ في أنّ الصور ممتازة».

ثمّ غادرت ظلال الأشجار إلى نور الشمس الساطع، واجتازت الباحة العشبية متّجهة إلى القصر الذي يعود بناؤه إلى القرن السابع عشر، والذي كان المدعوّون يحومون حوله، مُحتسينَ الشّمبانيا، مستمتعينَ بالمناظر السّاحرة. «أظنّ أنّ ذراعها تؤلمها كثيرًا»، قالت والدة العروس لوالد العريس.

هراء، فكّر المصوّر ساخرًا في سرّه. لقد تشاجرا وهما في السيّارة. فقبل قليل، ولدى مغادرتهما الكنيسة تحت نِثار الأوراق البرّاقة المتطاير، بدت

عليهما السعادة. ولكن، مع وصولهما إلى هذا الفندق الريفيّ الساحر، ظهر جليًا من ملامحهما أنّهما يبذلان جهدًا كبيرًا في سبيل كظم غضبهما.

«ستكون على ما يُرام، تحتاج فقط إلى كأس»، قال جيفري بارتياح. «ابقَ معها يا مات».

لكنّ ماثيو الذي لم ينتظر إشارة أبيه، كان قد لحق بعروسه التي اعترضتها مشقّة السّير فوق العشب بكعبها العالي، وسار خلفهما رفاقهما، وكانت فساتين الوصيفات المصنوعة من نسيج الشيفون الأخضر اللوزيّ تتموّج في النسيم الدافئ.

– روبن، يجب أن نتحادث.

– أنا أسمعك.

– ألا يمكنك أن تتوقفي لدقيقة؟

– إذا توقّفت فسيلحق بنا كلّ أفراد العائلة.

نظر ماثيو خلفه، فوجد أنّها على حقّ.

– روبن...

– لا تلمس ذراعي!

كان الحرّ يزيد من حدّة الألم في ذراعها. بحثت روبن عن المثبّت المطّاطيّ الصلب لتريح ذراعها، لكنّه كان في جناح العروسين في الفندق، وهي لن تستدلّ على مكانه.

بدأت ترى بوضوحٍ المدعوّين الواقفين في ظلّ واجهة الفندق. كان التعرّف إلى النساء سهلًا بفضل قبّعاتهنّ. فقد اعتمرت سو خالة ماثيو قبّعة زرقاء ضخمة كعجلة عربة، فيما اعتمرت جيني زوجة شقيق روبن ما يشبه كعكة حلوى تعلوها أرياش صفراء. أمّا الرجال فقد كانوا يتشابهون في بدلاتهم السوداء. ومن مسافة كهذه، تعذّر على روبن أن تلاحظ ما إن كان كورموران سترايك بينهم.

– توقّفي، قال لها ماثيو، بعدما سبقا، بمسافة لا بأس بها، بقيّة أفراد العائلة الذين ساروا ببطء لمجاراة خطوات الوصيفة الطفلة.

توقّفت روبن.

– شعرتُ بصدمة لرؤيته، ليس إلّا، قال ماثيو بحذر.

– وهل تظنّني كنت أتوقّع أن يصل في منتصف مراسم عقد القران، ويقلب الزهور أرضًا؟

لولا الابتسامة التي حاولت روبن إخفاءها، لارتضى ماثيو بتلك الإجابة. لكنّه لم ينسَ السعادة التي ظهرت على ملامحها حين وصل ربّ عملها السابق إلى الكنيسة أثناء عقد القران. وراح يتساءل عمّا إن كان بوسعه أن يغفر لها أنّها قالت للكاهن «نعم»، وعيناها لا تنظران إليه هو، بل إلى كورموران سترايك الضخم الجثّة والبشع، خصوصًا أنّ كلّ الحاضرين لاحظوا بدون شكّ كيف أشرق وجهها لرؤيته.

كان أفراد العائلة يقتربون منهما. تأبّط ماثيو ذراع روبن برفق، حريصًا على ألّا يلامس الجرح الذي سبّبتهُ السكّين، وسار بها. مشت معه بطواعية، لاعتقادها أنّها بذلك تقترب أكثر من سترايك، كما افترض عريسها.

– قلت لك في السيّارة إنّك إذا عدت لتعملي لحسابه...

– ... فسأكون في غاية الحماقة، قاطعته روبن.

آنذاك بات من الممكن لروبن أن ترى ملامح الرجال المتجمّعين على الشرفة، غير أنّها لم ترَ سترايك. كان رجلًا ضخم الجثّة، لذلك يُفترض بها أن تميّزه حتّى وسط شقيقيها وأعمامها، وكلّهم يتجاوزون الـ180 سنتمترًا طولًا. شعرت بأنّ البهجة التي غمرتها حين رأته يدخل الكنيسة تزول، وبأنّ معنويّاتها التي حلّقت قبل قليل باتت على وشك أن تهوي كفرخ طائر أرهقه المطر الغزير. لا شكّ في أنّ سترايك رحل بعد انتهاء مراسم عقد القران، ولم يركب كبقيّة المدعوّين الحافلة الصغيرة للقدوم إلى الفندق. لم يكن حضوره الوجيز أكثر من لياقة. وهو لم يأتِ إلى هنا ليعيد توظيفها في مكتبه، بل فقط لتهنئتها بالزواج.

– اسمعي، قال ماثيو بنبرة أكثر ودًّا جعلت روبن تدرك أنّه جال ببصره على الحشد، وأنّه، حين لم يرَ سترايك بينهم، توصّل إلى الاستنتاج عينه. كلّ ما قلته لك في السيّارة هو أنّ لك حريّة الاختيار. ولكن، باللّه عليك يا روبن،

أنت تدركين أنّني سأقلق عليك لو أراد عودتك إلى مكتبه. عملك معه لم يكن آمنًا، هل يمكنك قول العكس؟

– لا، كان عملًا خطيرًا، أجابت روبن التي اشتدّ ألم ذراعها.

استدارت فرأت والديها وسائر أفراد العائلة على وشك أن يلحقوا بهما. وامتلأ أنفها برائحة العشب الدافئ، الحلوة والمدغدغة في الوقت عينه، وأحسّت بحرّ الشمس على كتفيها العاريتين.

– أتريدين أن تذهبي لرؤية روبن زوجة خالك؟ سألت شقيقة ماثيو ابنتها الصغيرة.

رغبة منها في إظهار الودّ، أمسكت الصغيرة، واسمها غرايس، بذراع روبن المصابة وتأرجحت بها، فأفلتت من روبن صرخة ألم.

– آسفة جدًّا يا روبن. اتركيها يا غرايس!

– الشمبانيا! صاح جيفري.

ثمّ طوّق بذراعه كتفَي روبن ومضى بها نحو الحشد الذي كان ينتظرها.

كانت مراحيض الرجال نظيفة ولا تنبعث منها أيّ رائحة، تمامًا كما توقّع سترايك أن تكون في هذا الفندق الريفيّ الفخم. وأثناء مكوثه في المرحاض البعيد من الحرّ والجلبة، ندم على أنّه لم يأتِ معه بزجاجة بيرة. لكنّ ذلك كان سيؤكّد بلا شكّ الانطباع الذي تكوّن لدى المدعوّين، بأنّه ليس سوى سكّير تافه خرج من السجن بكفالة ليتمكّن من حضور هذا الزفاف. حتّى إنّ موظّفي الاستقبال في الفندق تردّدوا قبل السماح له بالدخول، برغم تأكيداته أنّه أحد المدعوّين إلى حفل زفاف عائلتَي كانليف وإيلاكوت.

كان من شأن سترايك أن يخيف الناظرين إليه، حتّى حين لا تغطّي جسده الجروح والرضوض. فهو رجل ضخم الجثّة، عابسُ الوجه، وغالبًا ما يوحي بأنّه ملاكم. ولكنّه بدا في ذلك اليوم كملاكم خارج من الحلبة، بأنف محطّم، متورّم جدًّا، وبنفسجيّ اللون، وعينين تكسوهما الكدمات، وأذن منتفخة تملأها الغرزات السوداء. من حسن الحظّ أنّ باطن يده اليمنى كان مخفيًّا بضمادة سميكة. أمّا بذلته الأنيقة فقد كانت مجعّدة وملطّخة ببقع

النبيذ الذي سقط عليها في آخر مناسبة كان يرتديها خلالها. يُسجَّل له فقط أنّه نجح في اختيار حذاء مناسب للبذلة قبل أن يأتي إلى يوركشاير.

تثاءب سترايك، وأغمض عينيه اللتين كانتا تؤلمانه، وأسند رأسه لبعض الوقت إلى جدار المرحاض البارد. من شدّة الإرهاق كاد يغفو حيث هو، على كرسيّ المرحاض. ولكن كان عليه أن يبحث عن روبن، ليطلب منها – يتوسّل إليها إذا اقتضى الأمر – أن تسامحه على طرده إيّاها، وتعود إلى العمل. خُيّل إليه أنّه رأى السعادة في وجهها حين التقت عيونهما في الكنيسة، وأنّها نظرت إليه بابتسامة مشرقة حين مرّت أمامه متأبّطة ذراع ماثيو خلال انصرافهما، فأسرع عائدًا عبر المقابر إلى حيث كان صديقه شانكر نائمًا بانتظاره في سيّارة مرسيدس كانا قد استأجراها لتلك المناسبة، وسأله أن يلحق بالحافلات المتّجهة إلى حفل الاستقبال.

لم يكن سترايك يرغب في البقاء للمشاركة في المأدبة، ولا لسماع الكلمات التي ستُلقى. كما أنّه لم يؤكّد حضوره بإعادته بطاقة الدعوة التي تلقّاها قُبيل صرفه روبن من العمل. أراد فقط أن يحادثها على انفراد لدقائق قليلة، ولكنّ ذلك بدا مستحيلًا. وقد نسي كيف تكون الأعراس. حين بحث عنها على الشرفة الملأى بالمدعوّين، شعر بأنّه محطّ أنظار مئات العيون الفضوليّة والمزعجة. ولمّا كان يكره الشمبانيا، فقد رفض الكأس التي قُدّمت إليه، وانسحب إلى بار الفندق بحثًا عن كوب من البيرة. لحق به شابّ أسمر له فم وجبين شبيهان بفم روبن وجبينها، وخلفه عدد من الشبّان، وقد ارتسمت على وجوههم جميعًا تعابير الفضول.

– إذًا أنت سترايك؟

أكّد له المحقّق ذلك بحركة من رأسه.

– أنا مارتن إيلاكوت، شقيق روبن.

– كيف حالك؟ سأله سترايك وهو يرفع يده اليمنى المضمّدة ليريه أنّ المصافحة ستكون مؤلمة. ثمّ أضاف: أتعرف أين هي؟

– مشغولة بالتقاط الصور، أجاب مارتن. ثمّ أشار إلى هاتف آيفون كان يحمله في يده اليسرى وتابع يقول: يتحدّثون عنك في الأخبار: لقد قبضت على سفّاح شاكلويل.

– أوه. نعم.

برغم جروح يده وأذنه، شعر سترايك بأنّ الأحداث الرهيبة التي لم تمضِ عليها أكثر من اثنتي عشرة ساعة جرت منذ زمن سحيق. فالتناقض بين المخبأ القذر حيث حاصر القاتل وهذا الفندق الرائع ذي النجوم الأربع كبير لدرجة أنّ المكانين بدَوا من عالمين مختلفين.

في تلك اللحظة اقتربت من البار امرأة تعتمر قبّعة فيروزيّة اللون تهتزّ فوق شعرها الأشقر. وكانت أيضًا تحمل بيدها هاتفًا، وعيناها تتحرّكان بسرعة بين سترايك الحقيقيّ الماثل أمامها وما بدت أنّها صورته في شاشة هاتفها.

– آسف، عليّ الذهاب لأبول، قال سترايك لمارتن الشابّ.

وابتعد قبل أن يقترب منه أيّ شخص آخر، متجاوزًا موظّفي الاستقبال الذي بدت عليهم الشكوك أيضًا، ليلجأ إلى المرحاض.

تثاءب مرّة جديدة، ثمّ نظر إلى ساعة يده. لا شكّ في أنّ جلسة التصوير الفوتوغرافيّ انتهت. نهض عن الكرسيّ، وقد ارتسمت على وجهه تعابير الألم، لأنّ مفعول المسكّنات التي أعطوه إيّاها في المستشفى قد زال منذ بعض الوقت، فتح الباب وعاد إلى الشرفة ليكون وسط المدعوّين ونظراتهم الفضوليّة.

اجتمعت في نهاية قاعة الطعام الخالية فرقة من أربعة عازفين على الآلات الوتريّة. وما إن بدأوا العزف حتّى اصطفّ المدعوّون في خطّ عند المدخل لتقديم التهاني. افترضت روبن أنّها وافقت خلال الاستعدادات للزفاف على هذا الترتيب. والواقع أنّها قد بالغت في إهمال تلك الاستعدادات وترك القرار فيها لغيرها لدرجة أنّها وجدت نفسها تنتقل من مفاجأة إلى أخرى. فهي قد نسيت مثلًا أنّهما وافقا على التقاط الصور في الفندق لا في الكنيسة. لو أنّها لم تسارع وماثيو إلى السيّارة بعد المراسم توًّا، فلربّما كان أتيح لها الوقت لتحادث سترايك وتطلب إليه – وتتوسّل إليه إن اقتضى الأمر – أن

يستعيدها للعمل في مكتبه. لكنّه رحل بدون أن يكلّمها، وتركها تتساءل عمّا إن كانت تمتلك الشجاعة، أو التواضع، للاتصال به والمطالبة بوظيفتها.

بالمقارنة مع حديقة القصر التي أنارها ضوء الشمس، بدت قاعة الطعام مظلمة. كانت جدرانه مكسوّة بالخشب، وعُلِّقت عليها لوحات في أطر مذهّبة، وعلى نوافذها ستائر من القماش الموشّى. كان الجوّ مفعمًا بعطور باقات الزهور، والتمع بريق آنية الطعام البلّورية والفضّية فوق شراشف الموائد الناصعة البياض. أمّا موسيقى الفرقة التي صدحت في القاعة الخشبيّة الجدران، فسرعان ما ضاعت وسط جلبة المدعوّين وهم يصعدون الدرج، ويتجمّعون عند نهايته، يتحادثون ويتضاحكون وقد فعلت الشمبانيا والبيرة فعلها فيهم.

– هيّا بنا إذن! صاح جيفري الذي بدا أنّه يستمتع أكثر من الجميع، ليأتِ العروسان!

لو كانت والدة ماثيو حيّة، لما سمحت لجيفري بالإفراط في التعبير عن حماسته، قالت روبن في سرّها. فالمرحومة السيّدة كانليف كانت دائمة الاستعداد لتقابل كلّ أنواع الانفعالات العفويّة بترسانة من الوكزات والنظرات الباردة. وقفت سو، شقيقة السيّدة كانليف في بداية الصفّ، وفي ملامحها شيء من البرودة، فرغبتها في نيل امتياز الجلوس إلى مائدة العروسين لم تلبَّ.

– كيف حالك يا روبن؟ سألت وهي تطبع قبلة في الهواء بقرب أذن العروس.

في تلك اللحظة أدركت روبن الغارقة في اكتئابها وخيبة أملها، وحتّى في مشاعر الذنب لأنّها لا تفيض سعادة، كم أنّ تلك المرأة، التي باتت نسيبتها بفعل الزفاف، كانت تكرهها.

– فستان جميل، أضافت الخالة سو، وهي تحوّل بصرها عنها بسرعة لتنظر إلى ماثيو الوسيم.

«ليت أمّك كانت...» قالت قبل أن تشهق وتخفي وجهها في منديل أعدّته في يدها.

تواصلت حركة الأصدقاء والأنسباء في القاعة، يتصافحون، يتعانقون أو يتبادلون الابتسامات. أمّا جيفري الذي أخذ دوره على محمل الجدّ، فقد راح يعانق بحرارة شديدة كلّ مَن لا يرفض عاطفته الفيّاضة.

– إذًا فقد أتى، قالت كايتي، نسيبة روبن المفضّلة.

لولا حملها الظاهر، لكانت كايتي في عداد وصيفات العروس. حتّى إنّ طبيبها توقّع أن تضع طفلها في ذلك اليوم تحديدًا، وكانت روبن تتعجّب من أنّها لا تزال تستطيع أن تمشي. وحين مالت كايتي لتقبيلها، أحسّت روبن بأنّ بطنها قاسٍ كالبطّيخة.

– مَن تعنين؟ سألت روبن كايتي فيما كانت هذه الأخيرة تقترب لمعانقة ماثيو.

– ربّ عملك، سترايك. رأيت مارتن يحادثه قبل قليل، في...

– أظنّ أنّ كرسيّك هناك، قاطعها ماثيو مشيرًا إلى طاولة في وسط القاعة. لا بدّ من أنّك تستعجلين الجلوس. ألست تشعرين بالتعب في هذا الطقس الحارّ؟

تتابع مرور المدعوّين أمام روبن من دون أن تلاحظهم حتّى. كانت تجيب عن تمنّياتهم بحركة آليّة وهي تراقب بطرف عينها الباب الذي يدخلون منه. هل قالت كايتي حقًّا إنّ سترايك في الفندق؟ هل تبعها بعدما غادر الكنيسة؟ هل يظهر فجأة؟ أين يختبئ؟ لقد بحثت عنه في كلّ مكان، على الشرفة، في القاعة، في البار. وسرعان ما خبا الأمل الذي وُلد. لم يكن مارتن معروفًا باللياقة. ألعلّه طرده؟ لكنّها ذكّرت نفسها بأنّ سترايك ليس بالشخص الضعيف، فعادت شعلة الأمل لتتّقد. خلال تأرجحها بين الأمل والخيبة، كان صعبًا على روبن أن تتظاهر بالسعادة المنتظرة من عروس في يوم زفافها. غير أنّ ذلك لم يكن ليخفى على ماثيو أو يخفّف من استيائه.

– مارتن! هتفت روبن بسعادة حين رأت شقيقها الأصغر.

– علمتِ بالأمر، كما أفترض؟ سألها وهو يعتبر أنّها على علم بالأمر بلا شكّ.

كان مارتن الذي أنهى كوب البيرة الثالث، يصل مع أصدقائه، حاملًا هاتفه الخلويّ في يده. وكان قد أمضى الليلة السابقة نائمًا في منزل أحد أصدقائه، ليترك غرفته في المنزل لأنسباء لهم قدموا من جنوب إنكلترا.

– بأيّ أمر؟

– بأنّه قبض على السفّاح مساء أمس.

رفع مارتن شاشة الهاتف لتقرأ الخبر. شهقت روبن حين عرفت هويّة السفّاح. وفي الحال عاودها ألم جرح ذراعها، حيث طعنها ذلك الرجل.

– ألا يزال هنا؟ سألت روبن وقد تخلّت عن كلّ حذر، سترايك؟ هل قال إنّه سيبقى؟

– بالله عليكِ! تمتم ماثيو مستاءً.

– آسف، قال مارتن وقد لفته استياء ماثيو الواضح، سأقف في الصفّ.

وابتعد بخطوات بطيئة. التفتت روبن نحو ماثيو الذي بدا كصورة واضحة للإحساس بالذنب.

– كنتَ تعلم، قالت وهي تصافح بدون تركيز عجوزًا مالت نحوها متوقّعة قبلة من العروس.

– أعلم ماذا؟ سألها بانفعال.

– بأنّ سترايك قبض على...

لكنّها توقّفت لأنّها رأت طوم، صديق ماثيو في الجامعة وزميله في العمل، ترافقه خطيبته ساره. ومع ذلك، لم تسمع شيئًا ممّا قاله لها طوم، لأنّ عينيها كانتا تبحثان بلا توقّف عن سترايك، لعلّها تراه.

– كنت تعلم... قالت روبن مجدّدًا بعدما ابتعد طوم وساره، برغم مقاطعة جيفري لها بعدما رأى نسيبًا من كندا، وأضافت تلحّ على ماثيو أن يعترف.

– سمعت نهاية الخبر في نشرة هذا الصباح، تمتم ماثيو. ثمّ تجمّدت ملامحه فيما كان ينظر من خلف كتف روبن إلى مدخل القاعة، ثمّ أضاف: ها هو، لقد تحقّقت أمنيتك.

استدارت روبن، فرأت سترايك في القاعة. كانت إحدى عينيه محاطة بدوائر رماديّة وبنفسجيّة، وإحدى أذنيه متورّمة مكتظة بالغرزات، فيما ظهرت بوضوح شعيرات لحيته غير المشذّبة منذ أيّام. حين التقت نظراتهما رفع يده المضمّدة بالتحيّة، وحاول أن يرسم على وجهه ابتسامة سرعان ما تحوّلت إلى تكشيرة ألم.

– روبن، قال ماثيو، اسمعي، يجب أن...

– بعد قليل، قاطعته بفرحة في صوتها غابت عنه منذ الصباح.

– قبل أن تتحدثي إليه، يجب أن أقول...

– رجاءً يا ماثيو، ألا يمكن للأمر الانتظار؟

لم يشأ أحد من أفراد العائلة أن يعوق سير سترايك، الذي رفع يده المصابة ليثبت أنّه لا يستطيع مصافحة أحد، وتجاوز صفّ المدعوّين. نظر إليه جيفري نظرة حنق. أمّا والدة روبن التي سبق لها أن استلطفته في اللقاء الوحيد بينهما، فلم تستطع أن تبتسم حين حيّاها وهو يناديها باسمها. وبدا أنّ جميع المدعوّين يراقبون ما يجري.

– لم تكن مضطرًا إلى هذا القدر من الدراماتيكية، قالت له روبن بابتسامة وهي تنظر إلى وجهه المتورّم حين وقف أمامها.

بادلها سترايك الابتسام، برغم الألم الذي سبّبه له ذلك. وأمام حفاوتها، شعر بأنّ رحلة الأميال المئتين التي قطعها بدون كثير تفكير كانت تستحقّ العناء، وتابعت روبن تقول:

– اقتحامٌ مفاجئ في الكنيسة. كان بإمكانك أن تتّصل...

– نعم، آسف لأنّني أوقعت الزهور، قال سترايك وهو يوجّه كلامه أيضًا إلى ماثيو المستاء، لقد اتّصلت، ولكن...

– لم يكن هاتفي معي هذا الصباح، قالت روبن، التي أدركت أنّهما يعوقان الصفّ، بدون أن تبالي حقًّا بذلك، وتابعت تقول لربّة عمل ماثيو، وهي امرأة طويلة القامة صهباء، بصوت ملؤه البهجة: تفضّلي، تجاوزينا.

– لا، لقد اتّصلت أوّل من أمس، قال سترايك.

– ماذا؟ قالت روبن، فيما كان ماثيو يتبادل بعض عبارات المجاملة مع جميما.

– مرّتين، قال سترايك، حتّى إنّني تركت رسالة صوتيّة.

– لم أتلقَ أيّ اتّصال ولا أيّ رسالة.

آنذاك، تلاشت كلّ الأصوات: أحاديث نحو مئة مدعوّ، وقرع كؤوسهم وأطباقهم، وحتّى ألحان الفرقة الموسيقيّة، كلّ شيء اختفى فجأة، وكأنّ سحابة صدمة كثيفة غلّفته.

– متى... ماذا... منذ يومين؟

منذ وصولها إلى منزل والديها، شغلتها تفاصيل الزفاف المملّة، ومع ذلك لم تنفكّ تنظر إلى هاتفها المرّة تلو الأخرى، لعلّها تجد فيه اتّصالًا أو رسالة ما من سترايك. وحتّى في سريرها، عند الواحدة من صباح ذلك اليوم، عادت لتتأكّد من سجلّ الاتّصالات في هاتفها، أملًا بأن تعثر على اتّصال لم ترَه من قبل، لكنّها وجدت أنّ سجلّ اتّصالاتها كلّه ممحوّ. ولمّا كانت قد أمضت أسبوعين لم يُغمض لها خلالهما جفن تقريبًا، ظنّت أنّها بفعل الإرهاق، أخطأت بالضغط على الزرّ غير المناسب، فمحت كلّ شيء...

– لا أنوي أن أبقى هنا، قال سترايك متلعثمًا، أردت فقط أن أعتذر، وأسألك أن...

– يجب أن تبقى، قالت له وهي تمسك بذراعه وكأنّما لتمنعه من الفرار.

كان قلبها يخفق بشدّة لدرجة أنّها وجدت صعوبة في التنفّس. وشعرت بأنّ لونها شحب وبأنّ القاعة المُتخمة بالحضور تدور بها.

– ابقَ، رجاءً، قالت له وهي تتشبّث بذراعه، متجاهلة ماثيو الذي كان يغلي غضبًا بالقرب منها. أريد... يجب أن أكلّمك. ثمّ نادت: أمّي؟

خرجت ليندا من صفّ متلقّيّ التهاني، وكأنّها كانت تنتظر أن تناديها ابنتها، لكنّها لم تبدُ سعيدة على الإطلاق.

– هلّا تجدين كرسيًّا لكورموران؟ ربّما بجانب ستيفن وجيني؟

بوجه عابس، قادت ليندا سترايك إلى كرسيّه. لم يبقَ في صفّ المدعوّين الذين يقدّمون التهاني إلّا قليلون. وكانت روبن قد ملّت الابتسامات الضروريّة وعبارات المجاملة.

– لماذا لم أجد على هاتفي أيّ اتّصال من كورموران؟ سألت روبن ماثيو فيما مضى رجل عجوز مبتعدًا نحو الموائد بدون أن يلقى ترحيبًا أو شكرًا.

– هذا ما كنت أحاول قوله لك...

– لماذا لم أجد أيّ اتّصال يا ماثيو؟

– روبن، أيمكننا أن نتحادث في الأمر لاحقًا؟

انكشفت لها الحقيقة بشكلٍ مباغت جعلها تشهق.

– لقد محوتَ سجلّ اتّصالاتي! قالت فيما كان ذهنها يقفز بسرعة من استنتاج إلى آخر. طلبتَ منّي الرمز السرّي لهاتفي حين عدت من المرحاض في محطّة الاستراحة.

وفيما نظر آخر مدعوَّين إلى تعابير العروسين، ففضّلا عدم تهنئتهما وأسرعا مبتعدَين، واصلت روبن تقول: أنت أخذت هاتفي، وقلت إنّك تريد الاهتمام بتفاصيل شهر العسل. هل استمعتَ إلى رسالته الصوتية؟

– نعم، أجاب ماثيو، وقد محوتُها.

تحوّل الصّمت الذي كان يغلّف روبن كسحابة إلى ما يشبه صراخًا حادًّا. أحسّت بدوار. كانت تقف في ذلك المكان بفستان عرسها الأبيض، المخرّم والفضفاض، والذي لا تحبّه، والذي سبق أن عدّلته لأنّ موعد الزفاف سبق أن أُجّل. الواجبات الاجتماعيّة تضطرّها إلى الوقوف حيث هي. على أطراف حقلها البصري، مئات الوجوه مشوّشة تتمايل. كان الضيوف جوعى ومترقبون.

ثمّ رأت سترايك، وكان واقفًا بجانب ليندا، يدير ظهره إليها، فيما أحد النُّدلِ يضيف طبقًا إلى مائدة شقيقها الأكبر، ستيفن. تخيّلت روبن نفسها تهرع إليه قائلة: «لنذهب من هنا».

ماذا ستكون ردّة فعله إذا ما قامت بذلك؟

لقد أنفق والداها آلاف الجنيهات على هذا الزفاف. وكان عشرات المدعوّين ينتظرون جلوس العروسين إلى مائدة الشرف. بوجه أشدّ شحوبًا

من فستان عرسها، سارت روبن خلف زوجها إلى كرسيّيهما فيما دوّت القاعة بالتصفيق.

وقف النادل النيّق يماطل في إعادة ترتيب المائدة وكأنّه يجد لذّة في إزعاج سترايك، الذي لم يكن بوسعه سوى الوقوف أمام عشرات العيون الفضوليّة في انتظار تجهيز مكان له. كذلك وقفت ليندا، التي كانت دون سترايك بنحو 30 سنتمترًا طولًا، في انتظار أن يصحّح مكان الشوكة، ويدير الطبق ليتوازى رسمه مع رسوم الأطباق القريبة. ما رآه سترايك من وجه ليندا تحت قبّعتها الفضّية كان ينمّ عن الغضب الشديد الذي يساورها في تلك اللحظة.

– شكرًا جزيلًا، قال في نهاية المطاف للنادل بعدما ابتعد هذا الأخير.

ولكنّه ما كاد يلمس ظهر الكرسيّ حتّى وضعت ليندا يدها على معصمه، بحركة رقيقة في الظاهر، ولكنّها كانت في الواقع مشحونة بالغضب والشعور بالإهانة. كانت ليندا شديدة الشبه بابنتها، فشعرها نحاسيّ كشعرها، برغم أنّه أقلّ منه كثافة، وكذلك عيناها بلونهما الأزرق الضارب إلى الرماديّ، والذي تُبرزه بقوّة قبّعتها الفضّية اللون.

– لماذا أتيت؟ سألته وهي تكزّ على أسنانها.

حولهما، انهمك النُّدل بتقديم المقبّلات، ممّا صرف انتباه المدعوّين الآخرين لحسن الحظّ. ودار بينهما حديث فيما انصبّ اهتمام المدعوّين على وجبة الطعام التي طال انتظارها.

– لأطلب من روبن العودة للعمل معي.

– أنت طردتها، وقد حطّم ذلك فؤادها.

كان بوسعه أن يقول لها الكثير ردًّا على ذلك، لكنّه آثر الصمت احترامًا لما عانته على الأرجح عند رؤيتها ذلك الجرح البالغ طوله ثمانية إنشاتٍ في ذراع ابنتها.

– تعرّضت للاعتداء ثلاث مرّات خلال عملها في مكتبك، قالت ليندا وقد اصطبغ خدّاها بلون أحمر قانٍ، ثلاث مرّات.

كان بوسع سترايك أن يقول ليندا، بكلّ صدق، إنّه لا يتحمّل إلّا مسؤوليّة الاعتداء الأوّل فقط، وإنّ الاعتداء الثاني حدث بسبب مخالفتها لتعليماته، أمّا الثالث فلم يكن نتيجة لعدم إطاعتها أوامره فحسب، بل لأنّها كانت قد عرّضت سلامة تحقيقٍ جنائيّ للخطر مهدّدة بذلك سمعته ومستقبله المهنيّ.

– إنّها لا تنام، وقد سمعتها في الليل...

كانت عينا ليندا تبرقان غضبًا. أفلتت يد سترايك لكنّها همست له:

– أنت لا ابنة لديك، لا يمكنك أن تفهم ما عانيناه.

وقبل أن يجد سترايك المرهق ما يردّ به، كانت ليندا قد سارت مبتعدة نحو طاولة الشرف. رأى بطرف عينه وجه روبن، وأمامها طبقها الذي لم تلمسه بعد. كانت قلقة من أن يغادر المأدبة. لكنّه رفع حاجبيه وجلس أخيرًا في كرسيّه.

رفع الرجل الضخم الجثّة والجالس إلى يساره ظهره. استدار سترايك نحوه فرأى عينين تشبهان عيني روبن تحت حاجبين كثيفين، وذقنًا يوحي بشراسة الطّبع.

– لا بدّ من أنّك ستيفن، قال سترايك.

تمتم شقيق روبن بإجابة مبهمة، وهو لا يزال يتفرّس بوجهه. كان كلاهما ضخم الجثّة ومتقاربين جدًا لدرجة أنّ مرفق ستيفن لامس سترايك فيما كان يمدّ يده ليأخذ كوب البيرة الخاصّ به. كان سائر الجالسين إلى المائدة يحملقون في سترايك، فرفع يده بحركة ودّية، ليتذكّر أنّها مضمّدة، وأنّه، برفعها، قد جذب المزيد من الاهتمام إلى نفسه.

– مرحبًا، أنا جيني، زوجة ستيفن، قالت المرأة السمراء العريضة المنكبين الجالسة إلى يسار هذا الأخير. يبدو أنّك بحاجة إلى هذا.

حملت كوب بيرة لم يشرب منه أحد ومرّرته فوق طبق زوجها إلى سترايك الذي شعر بالامتنان لدرجة أنّه كاد يقبّلها. غير أنّه، أمام عبوس ستيفن، اكتفى بكلمة «شكرًا» قالها بودّ، وشرب نصف الكوب دفعة واحدة. شاهد بطرف عينه جيني تهمس شيئًا في أذن زوجها، الذي التفت إليه، وانتظره حتّى يدع كوب البيرة من يده، ليقول دونما أيّ لباقة:

– أتخيّل أنّه يجب تهنئتك.

– لماذا؟ سأل سترايك بنبرة عدم اهتمام.

أجاب ستيفن الذي بدا شيء من الرقّة في ملامحه:

– لأنّك قبضت على القاتل.

– نعم، تمتم سترايك.

ثمّ حمل الشوكة بيده اليسرى، وغرزها في طبق المقبّلات الذي يحتوي على رغوة سمك السّلمون، وأتى عليه كاملًا. لكنّه حين لاحظ أنّ جيني كانت قد استغرقت في الضحك، أدرك أنّه كان عليه أن يأكل بلياقة أكبر، فتمتم:

– آسف. أنا جائع جدًّا.

بدا من نظرة ستيفن إلى سترايك أنّه يشاركه رأيه تمامًا، وقال له، وهو ينظر إلى طبقه:

– هذه الرغوة ليست بطعام. ليس فيها سوى هواء.

– كورموران، قالت جيني، هلّا تلوّح لجوناثان، شقيق روبن الآخر. ها هو هناك.

نظر سترايك إلى حيث أشارت جيني، فرأى شابًّا نحيلًا له لون بشرة روبن يلوّح له بحماسة من المائدة المجاورة. فردّ عليه بتحيّة مقتضبة.

– إذًا أنت تريد عودتها للعمل لديك، قال له ستيفن فجأة.

– نعم، هذا صحيح.

كان يتوقّع ردًّا غاضبًا من ستيفن، لكنّ هذا الأخير أطلق تنهيدة طويلة.

– يجب أن يسرّني ذلك، فأنا لم أرَها سعيدة إلّا حين كانت تعمل في مكتبك. لطالما هزئتُ بها حين كانت تقول في طفولتنا إنّها تريد أن تصبح شرطيّة. ليتني لم أفعل، قال وهو يأخذ كوب بيرة جديدًا ويشرب منه جرعة كبيرة قبل أن يتابع قائلًا: حين أفكّر في الأمر، أرى أنّنا كنّا أنذالًا معها، لكنّها باتت تدافع عن نفسها على نحو أفضل أخيرًا.

نظر ستيفن إلى مائدة العروسين، فاستغلّ سترايك الفرصة ليقوم بالمثل، ورأى روبن تجلس صامتة، من دون أن تأكل أو تنظر إلى ماثيو نظرة واحدة.

«ليس الآن يا صديقي»، سمع ستيفن يقول، فاستدار ليرى ذراع جاره تمتدّ حاجزًا بينه وبين أحد أصدقاء مارتن، الذي وقف خلفهما ومال نحوه بنيّة أن يطرح عليه سؤالًا. لكنّه رأى ذراع ستيفن فتراجع خائبًا.

– بصحّتكم، قال سترايك وهو ينهي الكوب الذي قدّمته له جيني.

– عليك أن تعتاد الأمر، قال ستيفن وهو يبتلع دفعة واحدة محتوى طبق رغوة سمك السّلمون الخاصّ به. لقد قبضت على سفّاح شاكلويل، ستصبح من المشاهير.

يُقال إنّ الأشياء تختلط على المرء بعد أن يتعرّض للصدمة، لكنّ الواقع لم يكن كذلك بالنسبة إلى روبن، إذ كانت تشاهد بوضوح تامّ كلّ تفصيل في الغرفة حولها: مربّعات ضوء الشمس التي تتسرّب عبر النوافذ ذات الستائر، السماء الزرقاء خلف الزجاج، شراشف الموائد الحريريّة البيضاء التي تحجبها مرافق المدعوّين وكؤوسهم الموزّعة كيفما كان، وخدودهم التي يتزايد احمرارها شيئًا فشيئًا بفعل الخمر والقهقهات، الملامح القاسية للخالة سو، التي لم تفد دردشات جيرانها في تليينها، والقبّعة الصفراء المثيرة للسخرية التي اعتمرتها جيني، والتي كانت تهتزّ كلّما تبادلت وسترايك دعابة. كانت ترى ظهر سترايك، ولكنّها نظرت إليه مرّات كثيرة حتّى حفظت ثنايا سترته عن ظهر قلب، وخصلات مؤخّرة رأسه السوداء الكثّة، والفرق في الحجم بين أذنيه بسبب تورّم أذنه اليسرى الناتج عن جرح السكّين.

لا، لم تضعف الصدمة التي تلقّتها أثناء وقوفها لاستقبال المهنّئين نظرها وتشوّشه. بدلًا من ذلك، أثّرت في إدراكها للأصوات كما للوقت. فقد تذكّرت مثلًا أنّ ماثيو نصحها بأن تأكل، لكنّها لم تنتبه إلّا بعدما رفع أحد الندل النشيطين طبقها. كلّ ما يقال لها بات عليه أن يخترق أوّلًا الجدران السميكة التي أطبقت عليها بعدما اعترف لها ماثيو بخدعته. وفي داخل تلك الشرنقة الخفيّة التي كانت تفصل بينها وبين كلّ الموجودين، شعرت بأنّ الأدرنالين يغلي في عروقها ويحثّها مرّة بعد مرّة على أن تقف وترحل.

لو لم يأتِ سترايك إلى الزفاف، لربّما ما كانت لتعرف أبدًا أنّه يرغب في عودتها، وأنّ بوسعها أن تنجو من مشاعر العار والغضب والإذلال والألم

التي تستبدّ بها منذ تلك الليلة الرهيبة حين طردها. لقد تعمّد ماثيو حرمانها من الشيء الوحيد الذي يمكنه إنقاذها، والذي أمضت الليالي تبكي فقدانه، فيما الجميع نائمون، أي استعادة تقديرها لنفسها، والوظيفة التي كانت تعني لها كلّ شيء، والصداقة التي لم تدرِ أنّها من أهمّ ما في حياتها، حتّى شلخت منها. لقد كذب ماثيو، وهو لا يزال يكذب. وكان يبتسم ويضحك فيما هي تجرّ ذاتها جرًّا في الأيام التي سبقت الزفاف لخسارتها الحياة التي أحبّتها، محاولة التظاهر بالسعادة. هل خدعت ماثيو؟ هل صدّق أنّها كانت حقًّا مسرورة بانتهاء حياتها مع سترايك؟ إن كان صدّق ذلك، فهذا يعني أنّها تزوّجت رجلًا لا يعرفها على الإطلاق، أمّا إن لم يصدّق...

كانت أطباق الحلوى تُرفع، واضطرّت روبن إلى الابتسام ابتسامة زائفة في وجه النادل القلق الذي سألها إن كانت تريد أن يحضر لها شيئًا آخر، فهذا الطبق الثالث الذي لم تلمسه.

– هل لديك مسدّس محشوّ؟ سألته روبن.

نبرتها الجدّية خدعت النادل، فابتسم لها، ثمّ بدا عليه الارتباك، فقالت له:

– لا بأس، دعك من الأمر.

– بربّك يا روبن، قال ماثيو.

أدركت بمزيج من الغضب واللذّة أنّه مصاب بالهلع ويخشى ما قد تفعله، وما قد يحدث بعد قليل.

وصلت القهوة في ركاوٍ من الفضّة المشغولة. نظرت روبن إلى النُّدل منهمكين في صبّها، ورأت صواني البيتي فور الصغيرة توضع على الموائد. حطّ نظرها على ساره شادلوك في فستانها الفيروزيّ اللون المكشوف الذراعين وهي تسارع إلى دخول المرحاض قبل البدء بإلقاء خطب الزفاف، وكذلك رأت كايتي الحبلى تتبعها وهي تسير متعبة بقدمين متورّمتين في حذاء بلا كعب. ومن جديد عادت لتنظر إلى ظهر سترايك الذي كان يلتهم البيتي فور وهو يتحادث مع ستيفن. شعرت بالارتياح لأنّها وجدت له مكانًا بجانب شقيقها الأكبر، فلطالما اعتقدت أنّهما قد يتّفقان معًا إذا ما سنحت لهما الفرصة.

ثمّ طلب أحدهم من المدعوّين الصمت، وتلى ذلك ضجيج كبير: فالأكواب والشوك حطّت على الموائد، فيما راح كلّ مَن كانت ظهورهم قبالة مائدة العروسين يديرون كراسيهم ليواجهوا المتحدّثين. ثمّ التقت عينا روبن بعيني سترايك. لم تتمكّن من قراءة التعبير الذي بدا فيهما. ولم يفارقها بنظراته حتّى وقف والدها وسوّى نظّارته وبدأ كلمته.

كان سترايك يتوق للتمدّد على سرير. لو كان بإمكانه على الأقلّ أن يذهب إلى السيّارة فيجلس بجانب شانكر، ويخفض ظهر المقعد ويسلتقي. فهو لم ينم طوال اليومين الماضيين أكثر من ساعتين، كما أنّ مسكّنات الألم القويّة وأكواب البيرة الأربعة التي شربها جعلته يشعر بالنعاس الشديد. ضمّ قبضة يده ليلقي رأسه عليها، ثمّ راح يغفو وينتفض مستيقظًا كلّما انزلق رأسه من بين يديه.

لم يسبق له قطّ أن سأل روبن ماذا يفعل والداها ليكسبا رزقهما. لعلّ مايكل إيلاكوت لمّح في كلمته إلى مهنته، غير أنّ سترايك لم ينتبه إلى ذلك. وجهه الودود الملامح ونظّارته ذات الإطار العظميّ أوحت لسترايك بأنّه أستاذ. وقد ورث عنه أولاده كلّهم طول القامة، أمّا مارتن فقد ورثَ بالإضافة إلى هذا، شعرَ والده الأسود وعينيه الكستنائيّتين.

كانت كلمة مايكل قد كُتبَت – أو ربمّا قد أعيدت كتابتها – بعد طرد روبن من عملها. ألقى مايكل عبارات العاطفة والإعجاب الشديد بمزايا ابنته، بذكائها، وصلابتها، وسخائها، ولطافتها، لكن كان عليه أن يتوقف قليلًا ويتنحنح حين بدأ الكلام عن فخره الكبير بوحيدته. لكنّ كلمته خلت من أيّ ذكر لإنجازاتها الشخصيّة أو الأحداث البارزة في حياتها. ففي تلك القاعة الشبيهة بغرفة ضخمة لتخزين السيكار، وأمام مدعوّين أنيقي الملابس، من المؤكّد أنّه لم يكن من اللائق التطرّق إلى بعض ما عاشته ابنته. أمّا بالنسبة إلى سترايك، فإنّ مجرّد بقائها على قيد الحياة كان الدليل الأقوى على تحلّيها بتلك المزايا، وعلى الرغم من إحساسه الشّديد بالنعاس، رأى سترايك أنّه كان على الوالد الثناء على قدرات ابنته علنًا.

إلّا أنه رأيٌ لم يبدُ أنّ أحدًا يشاركه فيه، لا بل إنّه شعر بارتياح الموجودين حين ختم الوالد كلمته من دون الإشارة إلى السكاكين أو الجروح أو أقنعة الغوريلا وغيرها.

عندما حان وقت كلمة العريس، وقف ماثيو وسط التصفيق الحارّ. لكنّ روبن أبقت يديها في حضنها ونظرها على النافذة قبالتها، التي بدت منها الشمس وقد مالت إلى المغيب وسط سماء صافية، ملقية فوق العشب ظلالًا طويلة.

شمع في القاعة طنين نحلة. أمّا سترايك، الذي راعى اللياقة خلال كلمة مايكل، فلم يكترث بماثيو، بل استرخى في كرسيّه وكتّف ذراعيه وأغمض عينيه. وأصغى لنحو دقيقة إليه وهو يروي كيف أنّه يعرف روبن منذ الطفولة، لكنّه لم يلاحظ إلّا في السنة الثانوية الثانية كيف أصبحت تلك الصغيرة التي هزمته ذات مرّة في سباق الكيس شابّة...

– كورموران!

انتفض سترايك فجأة، وعرف حين رأى البقعة الرطبة على سترته أنّ لعابه قد سال. ثمّ التفت بعينين زائغتين إلى ستيفن الذي لكزه بمرفقه.

– كنت تشخر، تمتم ستيفن.

وقبل أن يستطيع الردّ، دوّى التصفيق في القاعة مجدّدًا، ورأى ماثيو يعود للجلوس بوجه عابس.

لا شكّ في أنّ الأمر على وشك أن ينتهي... ولكن لا، فقد وقف إشبين ماثيو. وأحسّ سترايك الذي استيقظ تمامًا بحاجة شديدة إلى التبوّل، فرجا ألّا تطول كلمة الإشبين.

– التقيت ماثيو للمرّة الأولى في ملعب رغبي، قال فيما شمعت الهتافات من مدعوّين سكارى يجلسون إلى مائدة في طرف القاعة.

– لنصعد حالًا، قالت روبن.

كانت تلك الكلمات الأولى التي وجّهتها روبن إلى زوجها منذ أن جلسا إلى مائدتهما. جرى ذلك مع خفوت التصفيق الذي تلى كلمة الإشبين. كان سترايك واقفًا، لكنّها أدركت أنّه يبحث عن المرحاض، لأنّها رأته يستوقف نادلًا ليسأله الطريق إلى هناك. كانت تدرك أنّه يريد عودتها، وأنّه لن ينصرف قبل

أن يسمع إجابتها. هذا ما فهمته من النظرة التي تبادلاها حين كانت أطباق المقبّلات على المائدة.

– ستصل الفرقة الموسيقية بعد نصف ساعة، ويُفترض بنا...

لكنّ روبن سارت نحو الباب، حاملة معها الشرنقة الخفيّة التي حافظت على برودة أعصابها، وحالت دون بكائها أثناء خطبة والدها، وخطبة ماثيو، والحكايات المملّة عن نادي الرغبي التي راح الإشبين يرويها. راودها انطباع غامض حين كانت تشقّ طريقها وسط المدعوّين بأنّ والدتها تحاول لفت انتباهها، لكنّها لم تعرها اهتمامًا. لقد جلست كالفتاة المطيعة طوال الوليمة والخطب، وكان على العالم أن يمنحها لحظةَ حُرّيّة تنفردُ فيها بنفسها.

رفعت تنّورتها عن حذائها الرخيص وصعدت الدرج، ثمّ سارت عبر ممرّ مكسوّ بموكيت سميك وهي لا تعلم إلى أين تتّجه، وماثيو يسير بسرعة للّحاق بها.

– عـذرًا، قالت لمراهق يرتدي صدريّة نادلٍ كان يُخرج من إحدى حجرات التخزين عربة ملأى بالبياضات. أين جناح العرسان؟

نظر إليها الفتى، ثمّ إلى ماثيو، قبل أن ترتسم على وجهه ابتسامة وقحة، وقحة حقًّا.

– لا تتحامق، قالت روبن ببرودة.

– روبن! صاح ماثيو فيما احمرّ الفتى خجلًا.

– من هنا، قال المراهق بصوت مبحوح.

واصلت روبن سيرها. كانت تعلم أنّ ماثيو يحمل المفتاح، فقد أمضى والإشبين الليلة السابقة في الفندق، ولو أنّهما لم يمضياها في جناح العروسين.

حين فتح ماثيو الباب، دخلت روبن، فشاهدت أوراق الورد منثورة فوق السرير، وزجاجة الشمبانيا في الدلو المملوء بمكعّبات الجليد، والظرف الكبير الذي كُتب عليه «السيّد والسيّدة كانليف». شعرت بالارتياح حين رأت الحقيبة التي أعدّتها لتأخذها في رحلة شهر عسلهما السرّية. فتحت زمّام الحقيبة وأدخلت فيها يدها السليمة وبحثت عن مثبّت ذراعها الذي كانت قد نزعته قبل جلسة التصوير. أعادته إلى عنقها وثبّتت ذراعها المصابة

من جديد، ثمّ انتزعت محبسها من إصبعها ووضعته بعنف على طاولة السرير، بالقرب من دلو الشمبانيا.

– مـاذا تفعلين؟ سألها ماثيو بنبرة اختلط فيها الخوف بالعدائيّة، ماذا... أتريدين إلغاء كلّ شيء؟ ألا تريدين هذا الزواج؟

تفرّست فيه روبن. كانت تتوقّع أن تشعر بالارتياح بمجرّد أن تنفرد به، وأن يصبح بإمكانها التعبير عمّا يجول في نفسها. لكنّ ما فعله كان أعظم من أن تحاول إيجازه بكلمات. قرأت في عينَي زوجها المتّقدتين وكتفيه المتوتّرتين شعوره بالخوف. وسواء فعل ذلك عمدًا أم لا، فقد اختار الوقوف بينها وبين الباب.

– حسنًا، قال بصوتٍ مرتفع، أعرف أنّه كان عليّ...

– كنت تعلم ما تعنيه لي تلك الوظيفة، كنت تعلم.

– لم أُردك أن تعودي إليها، صاح ماثيو، لقد تعرّضت للاعتداء والطعن يا روبن!

– حدث ذلك بسببي!

– لقد طردك!

– لأنّني فعلت شيئًا منعني من فعله...

– كنت أعلم أنّك ستدافعين عنه! زأر ماثيو وقد فقد السيطرة على نفسه، كنت أعلم أنّك، إن حدث وكلّمتِه، ستعودين إليه كالكلبة المطيعة!

– لا يحقّ لك أن تأخذ القرار بالنيابة عنّي! صاحت، لا يحقّ لأحد أن يعترض الاتّصالات أو يمحو الرسائل الواردة إليّ يا ماثيو!

لم يعد من مكان لضبط النفس أو للتظاهر. اشتدّ صراخهما لدرجة أنّ واحدهما لم يعد يسمع شيئًا ممّا يقوله الآخر إلّا حين يتوقّف لالتقاط أنفاسه. كانت صيحات الألم والاستياء تتطاير في الغرفة كرماح مشتعلة تحترق تمامًا قبل أن تبلغ هدفها. كانت ذراعا روبن تواكبان صياحها المحموم، وتطلق بين الحين والآخر صرخة حادّة حين تعجز ذراعها عن تحمّل الألم، فيما كان ماثيو يشير بإصبعه إلى الندبة التي لن تزول بسبب إصرارها الغبيّ والمتهوّر على العمل مع سترايك. لم يعد ثمّة مجال للاعتذار أو للصفح، وكأنّ مناوشاتهما

التي طبعت الشهور الاثني عشر الأخيرة كانت تمهيدًا لهذا الانفجار، لهذه الحرب. خلف النافذة كان المساء يحلّ بسرعة. أحسّت روبن بصداع هائل، وبغليان في معدتها، وخشيت الاختناق.

– كنت تلومني على دوام عملي غير السهل، ولكنّك لم تكن تبالي بأنّني وجدت عملًا يُشعرني بالسعادة للمرّة الأولى في حياتي، ولذلك كذبتَ! كنت تعرف أهمّية ذلك بالنسبة إليّ، ومع ذلك كذبتَ! كيف تجرّأت على أن تمحو سجلّ اتّصالاتي من هاتفي، وبريدي الصوتيّ...

ثمّ ارتمت في مقعد واسع مزيّن بالشراريب، ووضعت رأسها بين يديها، وهي تشعر بالدوار بفعل عنف غضبها وأثره على معدتها الفارغة.

وسُمع من مكان بعيد، في أحد ممرّات الفندق المكسوّة بالسجّاد، صوت باب يُغلق وامرأة تضحك.

– روبن، قال ماثيو بصوت مبحوح.

حين سمعته يقترب منها، رفعت يدها لتمنعه.

– لا تلمسني.

– روبن، ما كان عليّ أن أفعل ما فعلتُ، أعرف. لكنّني لم أُرد أن تتعرّضي للأذى من جديد.

لكنّها بالكاد سمعته. لم تكن فقط غاضبة من ماثيو، بل من سترايك أيضًا. كان عليه أن يعاود الاتّصال. كان عليه أن يواصل المحاولة. «لو فعل، فلربّما ما كنت هنا الآن».

تلك الفكرة جعلتها تشعر بالخوف.

«لو أنّني عرفت أنّ سترايك يريد عودتي، فهل كنت تزوّجتُ ماثيو؟».

سمعت حفيف قماش سترة ماثيو، فأدركت أنّه ينظر إلى ساعته. لعلّ المدعوّين في الأسفل ظنّوهما انسحبا لممارسة الحبّ؟ تخيّلت جفري وهو يطلق النكات البذيئة بشأنهما. لا شكّ في أنّ الفرقة الموسيقيّة قد وصلت قبل ساعة على الأقلّ. ثمّ تذكّرت الأعباء الماليّة التي تكبّدها والداها لأجل عقد القران هذا، وتذكّرت مجدّدًا أنّهما خسرا كلّ ما سدّداه من دفعات أولى في سبيل هذا الزّواج الذي كان قد أُجّل من قبل.

– حسنًا، قالت بصوت خالٍ من أيّة مشاعر، لننزل ونرقص.

ثمّ وقفت وسوّت تنّورتها بحركة تلقائيّة. نظر إليها ماثيو نظرة شكّ، وسألها:

– أنت واثقة؟

– يجب أن ينتهي هذا اليوم. بعضهم أتى من مكان بعيد جدًّا. كما أنّ والديّ أنفقا الكثير.

رفعت تنّورتها بيدها قليلًا وسارت نحو الباب.

– روبن!

استدارت، متوقّعة منه أن يقول لها «أحبّك»، أن يبتسم، أن يتوسّل إليها ليتصالحا.

– يجدر بك أن تعيدي هذا، قال لها وهو يحمل محبس الزواج الذي نزعته، وملامحه لا تقلّ برودة عن ملامحها.

لمّا كان سترايك لا ينوي الانصراف قبل أن يكلّم روبن من جديد، لم يجد ما يقتل به الوقت سوى مواصلة شرب البيرة. ومن باب اللياقة، ترك منطقة الحماية التي وفّرها له ستيفن وجيني ليستمتعا بصحبة أصدقائهما وأنسبائهما. كان يدرك تمامًا كيف يتخلّص من فضول الغرباء نحوه، وذلك بواسطة قامته المخيفة وسحنته العابسة. مكث لبعض الوقت عند البار، يشرب كوب بيرة، وحيدًا، قبل أن يعود إلى الشرفة ويقف بعيدًا عن المدخّنين الآخرين متأمّلًا لون السماء المرجانيّ مع اقتراب المساء، متنشّقًا روائح المروج العطرة. حتّى مارتن وأصدقاؤه، الذين أسرفوا في الشرب ووقفوا كالمراهقين يدخّنون في حلقة، لم تعد لديهم القدرة على التحرّش به وإغاظته.

بعد قليل، دُعي الحضور، بكثير من اللباقة، للعودة إلى القاعة ذات الجدران المكسوّة بالأخشاب، والتي تحوّلت خلال غيابهم إلى ساحةٍ للرّقص حيث أزيل نصف الموائد فيما دُفع بالنصف الآخر نحو الجدران. وقف أفراد الفرقة الموسيقيّة خلف مكبّرات الصوت، على استعداد للبدء بالعزف، غير أنّ العروسين لم يحضرا بعد. وسمع سترايك رجلًا ضخم الجثّة، أصهب البشرة، يتصبّب عرقًا، أدرك أنّه والد ماثيو، يطلق الدعابات البذيئة حول سبب

تأخّرهما. وخلال ذلك، رأى امرأة بفستان فيروزيّ ضيّق تقترب منه وتمدّ يدها لتصافحه، فيما كانت أرياش قبّعتها القريبة جدًّا تدغدغ أنفه.

– أنت كوروموران سترايك، صح؟ لي الشرف! أنا سارة شادلوك.

كان سترايك يعرف قصّتها كاملة، وكيف عاشرت ماثيو في الجامعة، رغم انقضاء وقت طويل على بدء علاقته بروبن.

رفع يده المضمّدة ليبرّر عدم قدرته على مصافحتها.

– يا للمسكين!

ثمّ اقترب من خلف سارة رجل ثمل، أصلع، ربّما هو دون السنّ التي تشي بها ملامحه.

– طوم تورفي، قال وهو يحاول تركيز بصره على سترايك. عمل رائع. أحسنت يا صديقي. عمل رائع حقًّا.

– نرغب في لقائك منذ وقت طويل، قالت ساره، نحن صديقان قديمان لماثيو وروبن.

– سفّاح شاك... شاكلويل، قال طوم وقد أعاق كلامه الفواق، عمل رائع حقًّا.

– أرثي لحالك أيّها المسكين، ردّدت سارة من جديد وهي تلمس ذراع سترايك، وأضافت وهي تنظر إلى وجهه المغطّى بالكدمات: ليس هو مَن فعل بك هذا، صحيح؟

– الجميع يريدون أن يعرفوا، قال طوم مطلقًا ابتسامة بلهاء، إنّهم لا يستطيعون كبت رغبتهم الشديدة في ذلك.

– أنت مَن كان عليك أن تلقي كلمة، لا هنري.

– هاها، ضحكت سارة، أظنّ أنّ إلقاء خطاب هو آخر ما كنت ترغب في فعله. أحسبُ أنكَ أتيت إلى هنا توًّا بعد القبض على... أليس كذلك؟

– آسف، قال سترايك بوجه جامد، طلبت إليّ الشرطة التكتّم حيال الأمر.

– سيّداتي وسادتي، قال بعصبيّة مدير التشريفات في الحفلة، والذي كانت عودة ماثيو وروبن بدون ضجيج إلى القاعة قد باغتته. أرجو منكم الترحيب بالسيّد والسيّدة كانليف.

سار العروسان بدون أيّ حماسة إلى منتصف حلبة الرقص، وسْط تصفيق الجميع، ما عدا سترايك. ثمّ أخذ مغنّي الفرقة الموسيقيّة الميكروفون من يد مدير التشريفات، وقال:

– سنقدّم إليكم أغنية من ماضي ماثيو وروبن، وهي تعني لهما الكثير.

وضع ماثيو يده حول خصر روبن، ثمّ أمسك بيدها الأخرى. وخرج المصوّر من الظلّ وبدأ بالتقاط الصور، عابسًا لرؤية روبن وقد عادت لوضع ذراعها في المثبّت البشع.

مع انطلاق موسيقى أغنية «حيثما تذهبين» من أداء «ذا كولينغ»، بدأ العروسان الرقص، وكلّ منهما يلتفت في اتّجاه.

«كنت أتساءل أخيرًا
عمّن سيأتي ليحلّ مكاني
حين أرحل، ستكونين بحاجة إلى الحبّ
لإزالة الظلال عن وجهك...»

استغرب سترايك اختيار هذه الأغنية في حفلة زفاف... ثمّ رأى ماثيو وهو يقترب أكثر من روبن، وشاهد يده تطوّق خصرها النحيل، ويميل إليها بوجهه الوسيم ليهمس في أذنها شيئًا ما.

أحسّ سترايك بما يشبه صعقة كهربائيّة في معدته، أيقظته في الحال من شعوره بالخدَر، بعدما أمضى النهار بكامله، بفعل التعب والتراخي والكحول، ذاهلًا عن حقيقة ما يعنيه هذا الزواج. وقف يشاهد العروسين يدوران على أرض حلبة الرقص، روبن بفستانها الأبيض الطويل، وفي شعرها إكليل من الورود، وماثيو ببزّته السوداء، ووجهه قريب من خدّ عروسه، ووجد نفسه مضطرًّا إلى أن يعترف لنفسه كم تمنّى من كلّ قلبه ألّا تتزوّج. أرادها أن تبقى حرّة، حرّة لتعود إلى الفضاء الذي كوّناه معًا. حرّة... حتّى إذا ما تغيّرت الظروف... وأتيحت الفرصة... حرّة ليكتشفا يومًا ما طريقة أخرى تمكّنهما من البقاء معًا.

اللعنة.

لو أنّها أرادت أن تتكلّم، لما كان عليها سوى الاتّصال به. وضع كوبه من يده على حافة نافذة، ودار على عقبيه ليشقّ طريقه وسط المدعوّين الآخرين، الذين تباعدوا ليفسحوا المجال لمرور هذا الرجل بسحنته المتجهّمة.

فيما استدارت روبن تنظر بعينين فارغتين إلى القاعة، رأت سترايك ينصرف، ثمّ فُتح الباب، وتوارى عن الأنظار.

– دعني.

– ماذا؟

أفلتت منه، ومن جديد رفعت فستانها لتستطيع التنقّل بحرّية أكبر، واجتازت حلبة الرقص بخطوات هي بين السير والركض، وكادت تطيحُ والدها وخالتها سو اللذين كانا يرقصان الفالس بكثير من الاسترخاء أثناء عبورها. وبقي ماثيو واقفًا وحيدًا في وسط القاعة، ينظر إلى روبن وهي تشقّ طريقها وسط المدعوّين الذين أخذتهم الدهشة، متّجهة نحو الباب الذي أُغلق قبل لحظات.

– كورموران!

كان سترايك على درج الفندق، لكنّه التفت إلى الخلف حين سمع اسمه. نظر إلى روبن، فأعجبه شعرها بخصلاته الطويلة المتموّجة تحت تاج ورود يوركشاير.

– تهانيّ.

نزلت درجتين أخريين، وهي تحاول أن تقاوم الغصّة في حلقها.

– أحقًّا تريدني أن أعود إلى العمل؟

أرغم نفسه على الابتسام.

– أتيت في رحلة مدّتها أربع ساعات مع شانكر في سيّارة أنا شبه متأكّد من أنّه سرقها. بالطبع أريدك أن تعودي.

ضحكت روبن حتّى اغرورقت عيناها بالدموع.

– شانكر هنا؟ كان عليك دعوته للدخول.

– شانكر؟ في هذا الفندق؟ كان ليفرغ جيوب كلّ المدعوّين قبل أن يسرق صندوق البار.

قهقهت روبن من جديد، ولكنّ دموعها فاضت من عينيها هذه المرّة وسالت على خدّيها.

– أين ستنام؟

– في السيّارة، بطريق العودة. بحسب معرفتي بشانكر، هذه الرحلة ستكلّفني ثروة صغيرة. لكن لا بأس، قال حين رآها تفتح فمها دهشة. عودتك تستحقّ أن أضحّي بذلك، وأكثر.

– هذه المرّة أريد عقدًا، قالت روبن بنبرة قاسية تتناقض والتعبير في عينيها الدامعتين، عقدًا حقيقيًا.

– موافق.

– حسنًا، إذًا، إلى اللقاء.

متى يمكنهما أن يتقابلا مجدّدًا؟ كان من المفترض أن تسافر في رحلة شهر عسل تدوم أسبوعين.

– اتّصلي بي، قال سترايك.

ثمّ استدار ليواصل طريقه.

– كورموران!

– ماذا؟

اقتربت منه حتّى توقّفت على الدرجة التي تعلوها مباشرةً، فباتت عيونهما على مستوى واحد.

– أريد أن أعرف كيف قبضت عليه، أريد الحكاية كاملة!!

ابتسم.

– سأخبرك بذلك لاحقًا، ولكنّني ما كنت لأستطيع تحقيق ذلك لولاك.

لن يعرفا أبدًا مَن بادر إلى الأمر، أو إن فعلا ذلك معًا. لكنّهما قبل أن يدركا، وجدا نفسيهما يتعانقان عناقًا حارًّا. ذقنها على كتفه، ووجه هذا الأخير في شعرها. انبعثت منه رائحة العرق والبيرة وسوائل التطهير الجراحيّة، فيما فاحت منها رائحة الورود، وذلك العطر الذي راح يشتاق إليه أكثر وأكثر بعدما كانت قد تركت المكتب. كان شعوره بجسدها جديدًا ومألوفًا في وقت واحد، وكأنّ دهرًا انقضى منذ آخر عناق بينهما، وكأنّه يشتاق بحرارة إلى هذا

العناق، بدون أن يدري. ومن خلال الباب المغلق عند أعلى الدرج، واصلت الفرقة الغناء:

«سأذهب حيثما تذهبين
إذا رضيت بأن تكوني لي...»

ثمّ افترقا فجأة، كما تعانقا، وكانت الدموع تسيل على وجه روبن. كاد سترايك يقول في لحظة جنون «تعالي معي». لكنّه أدرك أنّ ثمّة كلمات لا يعود من اللممكن محوها أو نسيانها، كتينك الكلمتين.

– اتّصلي بي، قال لها من جديد.

حاول أن يبتسم، لكنّه أحسّ بالألم في وجهه. ثمّ لوّح لها مودّعًا بيده المضمّدة، وعاد لنزول الدرج بدون أن يلتفت إلى الوراء.

نظرت إليه وهي تمسح بعصبيّة الدموع التي سالت على وجهها. لو أنّه قال لها «تعالي معي»، لما تردّدت لحظة في الموافقة. نعم، ولكن ماذا بعد؟ ابتلعت ريقها، ومسحت أنفها بظاهر يدها، واستدارت رافعة من جديد طرف تنّورتها، وعادت لتصعد الدرج ببطء عائدة نحو زوجها.

بعد عام

1



سمعت أنّه يريد تنمية أعماله... وأنّه يبحث عن مساعِد كفء.

هنريك إيبسن، روسمرشولم

إنّ رغبة الجميع، بدون استثناء، في بلوغ الشهرة تعني أنّ على مَن يبلغونها بالصدفة، أو بغير إرادتهم، ألّا ينتظروا أيّ شفقة.

طوال أسابيع تلت قبضه على سفّاح شاكلويل، ظلّ سترايك يخشى ألّا يكون أعظم إنجازاته المهنيّة قد سدّد ضربة قاضية إلى مستقبل مكتب التحقيقات الخاصّ به. فالقضيّتان السابقتان أثارتا بعض الثرثرة الإعلاميّة حول مكتبه، لكنّها لا تقارَن بالكارثة التي تنتظره. فالمؤسّسة التي ضحّى وبذل الكثير من أجلها، كانت تعتمد اعتمادًا أساسيًا على قدرته على التجوال متخفّيًا في شوارع لندن. ولكن، بعد القبض على قاتل متسلسل، باتت صورته محفورة في الوجدان الشعبيّ، كشخصيّة غير مألوفة ومثيرة للاهتمام، وموضوعًا للبرامج المتلفزة، ورجلًا مثيرًا للفضول خصوصًا في ظلّ تفضيله عدم إشباع رغبة الجمهور في معرفة المزيد عنه.

وبعدما استنفدت الصحف كلّ اهتمام القرّاء في موضوع القبض على السفّاح، حوّلت اهتمامها إلى تاريخ سترايك العائليّ. وقد نعتت الجرائد طفولته بالملوّنة، بالرغم من أنّها لم تكن بالنسبة إلى سترايك نفسه إلّا نوعًا من

عبء داخليّ أرهقه طوال حياته، وكان يفضّل نسيانه: الوالد الذي كان نجم روك، والوالدة التي كانت تلاحق النجوم والمشاهير قبل أن تموت، وعمله في الجيش الذي انتهى بخسارته نصف ساقه اليمنى. حتّى إنّ بعض الصحافيّين الذين يفتقرون إلى المناقبيّة الإعلاميّة، قصدوا لوسي، أختهُ الوحيدةَ التي أمضى معها طفولته، عارضين عليها المال لقاء الأخبار. ورفاقه القدامى في الجيش أسهموا ببعض التعليقات المرتجلة التي، إذا ما جُـرّدت من طابع المزاح الخشن الذي تتّسم به، تشي بالحسد والاستخفاف. أمّا الوالد الذي لم يقابله إلّا مرّتين في حياته، والذي لا يحمل شهرته، فقد نشر بيانًا بواسطة مدير أعماله، أشار فيه إلى أنّ علاقته بولده تكاد تكون معدومة، وهي لا تتّصف بالودّ، وأنّهما لا يتقابلان إلّا خفية. استمرّت تردّدات زلزال القبض على السفّاح تنغّص حياة سترايك طوال عام. وهو لا يزال غير متأكّد من أنّها اختفت تمامًا.

لكن لا شكّ في أنّ اكتساب شهرة أفضل محقّق في لندن أمر له حسناته أيضًا. فما إن انتهت الدعوى حتّى بدأ زبائن جدد يتقاطرون إلى المكتب، لدرجة أنّه أصبح من المستحيل فعليًّا أن يتولّيا، هو وروبن، كلّ المهامّ بنفسيهما. ولمّا كان من الأفضل لسترايك أن يبتعد عن الأضواء لبعض الوقت، فقد لازم المكتب معظم وقته لأشهر، مستعينًا بمتعاقدين، معظمهم من قدامى الشرطة أو الجيش، إضافة إلى آخرين عملوا في مجال التحقيق الخاصّ، للقيام بالقسم الأكبر من العمل، فيما احتفظ سترايك لنفسه بالمهامّ الليلية والأعمال المكتبيّة. بعد عام من الفوز بعقود كبيرة، تمكّن سترايك أخيرًا من إعطاء روبن علاوة على راتبها طالَ انتظارُها، وتسديد ما بقي عليه من ديون، وشراء سيّارة بي.أم. دبليو من الفئة 3، يعود طرازها إلى ثلاثة عشر عامًا خلت.

وجود السيّارة وعدد أكبر من الموظّفين أوحى للوسي وأصدقاء سترايك بأنّه قد بات ميسورًا. لكنّ الواقع أنّه، بعد دفع الكلفة المرتفعة لمواقف السيّارات في وسط لندن، وتسديد أجور المتعاقدين معه، لم يبق له إلّا القليل لينفقه على نفسه، فواصل العيش في شقّته المؤلّفة من غرفتين والكائنة فوق المكتب، حيث كان يطهو طعامه على سخّان كهربائيّ صغير.

كان العمل مع فريق محققين غير متجانس، على قاعدة التعاقد الحرّ، مصدر متاعب إدارية كثيرة. لكنّ سترايك وجد بينهم رجلًا واحدًا استبقاه بصورة نصف دائمة: أندي هاتشينز، وهو رجل شرطة سابق، نحيل القامة، كئيب الملامح، يكبر ربّ عمله الجديد بعشرة أعوام، أتى حاملًا توصية صديق سترايك في شرطة لندن، المفتّش إريك واردل. كان هاتشينز قد تقاعد باكرًا بعدما أصيب بجلطة سبّبت له نصف شلل في ساقه اليسرى، تلاها تشخيص إصابته بالتصلّب اللويحيّ. وقد حذّره من أنّه قد لا يكون دائمًا في أفضل حال جسديّة للعمل، وأنّ تأثيرات مرضه لا يمكن توقّعها، ولكنّه لم يُصب بأيّ نكسة منذ ثلاثة أعوام. كذلك كان هاتشينز يتبع حمية قليلة الدهون كانت بالنسبة إلى سترايك نوعًا من العقاب الوحشيّ: لا لحم أحمر، ولا أجبان، ولا شوكولاتة، ولا طعام مقليًا. كان أندي يمتلك صفتَي المنهجيّة والصبر في عمله، ويمكن ائتمانه على إتمام ما يوكل إليه بدون مراقبته باستمرار، وهو ما لم تكن عليه الحال بالنسبة إلى الآخرين الذين وظّفهم سترايك، باستثناء روبن. روبن، التي لا يزال غير مصدّق أنّها دخلت حياته لتكون سكرتيرة مؤقّتة فأصبحت شريكته وزميلته الأبرز.

ولكن، ألا يزالان صديقين؟ تلك مسألة أخرى.

بعد يومين من زفاف روبن وماثيو، وحين أجبرت التغطية الإعلامية سترايك على مغادرة شقّته، حين تعذّر عليه أن يدير التلفزيون من دون أن يسمع اسمه، اختبأ برغم دعوات أصدقائه وشقيقته للإقامة لديهم، في نزل سياحيّ بالقرب من محطّة مونيومنت. وهناك، استطاع أخيرًا أن يجد السكينة والوحدة اللتين كان يصبو إليهما، وينام نومًا عميقًا بدون أيّ إزعاج، ويشرب تسع عبوّات من البيرة. وكلّما أنهى عبّوة ورمى بها نحو سلّة المهملات في الناحية المقابلة من الغرفة، كانت رغبته في محادثة روبن تزداد بمقدار ما كانت قدرته على إصابة سلّة المهملات بدقّة تتضاءل.

لم يجرِ بينهما أيّ اتصال منذ عناقهما على الدرج الذي استعاده سترايك مرارًا في ذهنه خلال الأيّام التي تلت. كان متأكّدًا من أنّ روبن كانت تعاني حينذاك وقتًا عصيبًا، وكانت عاجزة عن مغادرة ماشام، متردّدة بين

الطلاق وإبطال الزواج، باحثة عن شارٍ لشقّتهما وهي تواجه انتقادات الصحافة وعائلتها في الوقت عينه. لم يكن يعلم حين قرّر الاتّصال بها ما سيقوله لها. كان فقط يريد سماع صوتها. بحث في حقيبته الرياضيّة وهو في حال من السكر، ليكتشف أنّه في عجلته لمغادرة شقّته وإحساسه بالإنهاك الشديد، نسي شاحن هاتفه الخلويّ الذي فرغت بطّاريته تمامًا. لكنّ ذلك لم يُثنه فاتّصل من هاتف الفندق بالاستعلامات، ونجح بعدما طلبت منه موظّفة الدليل مرارًا النطق بوضوح أكبر، في الحصول على رقم هاتف منزل والدَي روبن.

وكان والدها هو من أجاب.

– مرحبًا، هل يمكنني مكالمة روبن من فضلك؟

– روبن؟ آسف، إنّها في رحلة شهر العسل.

كان سترايك بحاجة إلى ثوانٍ قليلة ليستوعب ما سمعه.

– آلو؟ قال مايكل إيلاكوت قبل أن يضيف غاضبًا: أظنّك صحافيًّا آخر. ابنتي مسافرة وأرجو أن تكفّوا عن الاتّصال بمنزلي.

أقفل سترايك الخطّ، وعاد إلى الشرب حتّى غاب عن الوعي.

برغم إدراكه التامّ أنّ الكثيرين سيذكّرونه بأنّه لا يملك الحقّ في التدخّل في الحياة الخاصّة لموظّفته، ظلّ سترايك أيّامًا يجترّ غضبه وخيبة أمله. لم تعد روبن المرأة التي كان يظنّها، ما دامت ترضى بالصعود على متن طائرة مع الرجل الذي يصفه بـ«ذلك الوغد» كلّما فكّر فيه. ومع ذلك جلس في غرفته في ذلك النزل منتظرًا تلاشي اسمه من نشرات الأخبار، ومعه شاحن جديد لهاتفه، ومزيدٌ من عبوّات بيرة من نوع لاغر، وهو يشعر بما يشبه الاكتئاب.

لذلك قرّر أن يحيّدَ روبن عن تفكيره، ويخرج من عزلته فيقبل دعوة كان ليرفضها في العادة. دعوة إلى العشاء مع المفتّش إريك واردل وزوجته إبريل وصديقتهما كوكو. كان سترايك يعلم تمامًا أنّه موعد مدبّر، فقد سبق لكوكو أن سألت واردل عمّا إن كان المحقّق مرتبطًا بامرأة أم لا.

كانت كوكو امرأة صغيرة القامة، جميلة الوجه، ذات شعر أحمر كلون الطماطم، تعمل رسّامة وشوم، كما تمارس رقص البورلسك بدوام جزئيّ. كان على سترايك أن يتنبّه إلى علامات الخطر، فقد استغرقت في الضحك والصراخ

الهستيريّ حتّى قبل أن يبدأوا بشرب الخمر. وقد اصطحبها إلى غرفته في النزل بيسرٍ يماثل سهولة تجرّعه تسع عبوّات من بيرة «تينين» الاسكتلنديّة.

بعد ذلك آثر سترايك البقاء بعيدًا عنها طوال أسابيع. لم يكن يستمتع بالأمر، ولكنّ من حسنات التخفّي أنّ النساء اللواتي يقضين معه ليلة واحدة كنّ يجدن صعوبة في اقتفاء أثره.

أمضى سترايك عامًا وهو يجهل لما اختارت روبن البقاء مع ماثيو، مفترضًا أنّ حبّها لزوجها أكبر من أن يسمح لها برؤيته على حقيقته. كما أنّه أقام علاقة بامرأة جديدة، دامت عشرة شهور، وهي أطول علاقة له منذ انفصاله عن شارلوت، المرأة الوحيدة التي فكّر في الزواج بها.

ذلك التباعد العاطفيّ بين المحقّقين بات جزءًا من حياتهما اليوميّة. لم يكن سترايك يجد في عمل روبن أيّ شائبة، فقد كانت تقوم بما يُطلب منها بسرعة ودقّة، وبكثير من حسّ المبادرة والبراعة اللتين تتميّز بهما. لكنّه رأى فيها ذبولًا لم يسبق له أن شاهده من قبل، وخُيّل إليه أنّها أكثر توتّرًا ممّا كانت عليه. كما أنّه لاحظ لديها، أكثر من مرّة أثناء توزيعه المهامّ على مساعديه، نظرة شرود خالية من أيّ تعبير، أثارت قلقه. كان يدرك أنّها تعاني آثارًا نفسيّة ناتجة عن تعرّضها لحادثي اعتداء كادا يوديان بحياتها. فهو نفسه، على أثر خسارته نصف ساقه في أفغانستان، عرف أوقاتًا كان ينفصل فيها فجأة من الواقع، ليعيش من جديد ثواني الرعب والقلق قبل أن تتخلّع العربة التي كانت تقلّه، ويفقد معها ساقهُ ومهنتهُ في الجيش. وبات بعد ذلك يكره الجلوس في أيّ سيّارة يقودها شخص آخر، وحتّى اليوم لم تفارقه كوابيس الدم والألم التي كان يستيقظ منها وهو يتصبّب عرقًا.

ومع ذلك، ففي المرّات القليلة التي حاول أن يثير فيها هذه المسألة مع روبن، برصانة ربّ عمل وهدوئه، كانت هذه الأخيرة تصدّه بحزم واستياء، عزاه سترايك إلى طرده إيّاها سابقًا. كما أنّها راحت تطالب دائمًا بالمشاركة في المهامّ الصعبة والمراقبة الليليّة، وبات يجد صعوبة في أن يوكل إليها، من دون أن تلاحظ، المهامّ الأقلّ خطرًا.

خلال تلك الفترة حافظا في علاقتهما على الودّ والأدب، ولم يكونا يتطرّقان إلى حياتهما الخاصّة إلّا نادرًا، وإن فعلا، فبتلميحات، لا أكثر. وحين انتقل ماثيو وروبن إلى منزل جديد، أصرّ سترايك على أن تغيب في إجازة لأسبوع حتى تستقر. مانعت روبن في البداية قبل أن يقنعها سترايك، بنبرة لا تقبل الجدال، بأنّها لم تأخذ إجازة واحدة طوال العام.

يوم الاثنين الذي سبق، كان أحدث مَن تعاقد معهم سترايك، وهو جنديّ سابق من الشرطة العسكريّة، لم يلبث أن ظهرت رداءة عمله وطبعه المدّعي، قد صدم بدرّاجته الناريّة سيّارة الأجرة التي كان مكلّفًا بتتبّعها. شعر سترايك بمتعة حقيقيّة في طرد هذا المتعاقد، كما وجد في ذلك متنفّسًا لغضبه يومذاك، لأنّ مالك المبنى الذي يقع فيه مكتبه، اختار ذلك الأسبوع بالتحديد ليبلغه أنّه باع مبناه لمطوّر عقاريّ، شأنه شأن كلّ مالكي المباني التجاريّة في شارع دانمارك. وهذا ما شكّل بالنسبة إلى المحقّق خطر خسارة مكتبه ومنزله معًا.

ولزيادة الطين بِلّة، وظّف سترايك سكرتيرة مؤقّتة لتتولّى الأعمال المكتبيّة وتجيب على الهاتف بغياب روبن، وقد كانت امرأة لا تُطاق. كانت دنيز تتكلّم بنبرة تذمّر عالية تخترق باب مكتبه المغلق. وليتخفّف منها لجأ إلى الإصغاء إلى الموسيقى بواسطة سمّاعتين، ما جعلها ذات يوم تطرق الباب مرارًا وبقوّة، وتصيح قبل أن يسمعها أخيرًا:

– ماذا؟

– وجدتُ هذه، قالت دنيز وهي تُبرز أمامه ورقة مكتوبة، مضيفة: كُتب عليها «عيادة»، وهنا كلمة تبدأ بالفاء... الموعد بعد نصف ساعة من الآن. هل كان عليّ تذكيرك به؟

عرف سترايك خطّ روبن. وفعلًا، كان من المتعذّر قراءة الكلمة الأولى. ثمّ أجابها:

– لا، ارميها.

ساور سترايك الأمل في أن تكون روبن في طور السّعي سرًّا للبحث عن معالج يساعدها في التغلّب على ما قد تعانيه من مشاكل نفسيّة. وضع

سمّاعتيه من جديد وعاد إلى التقرير الذي كان يقرأه، لكنّه وجد صعوبة في التركيز، فقرّر الذهاب باكرًا إلى موعد كان قد ضربه للقاء متعاقدٍ محتملٍ جديد. وإن كان اختار حانته المفضّلة موعدًا لهذا اللقاء، فالسبب الأساس هو التخلّص من دنيز.

بعد القبض على سفّاح شاكلويل، كان على سترايك أن يتجنّب ارتياد حانة توتنهام لأشهر، لأنّ الصحافيّين علموا بأنّه يتردّد إليها، فلازموها يترقّبون عودته. حال دخوله، ألقى حوله نظره شكّ قبل أن يتأكّد من أنّ الطريق إلى البار خالٍ، ثمّ طلب كوب بيرة دوم بار الاعتياديّ، وذهب للجلوس في زاوية هادئة.

بدا سترايك أكثر نحولًا ممّا كان عليه قبل عام، وذلك بفعل إقلاعه عن تناول رقائق البطاطا التي لطالما شكّلت ركنًا أساسيًّا من غذائه، معطوفًا على جهد العمل الكبير الذي بات يقوم به. وقد أزالت خسارة الوزن هذه عبئًا عن ساقه المبتورة، فبات يجلس بارتياح أكبر، لكن من دون أن تشي تكشيرة وجهه بهذا الارتياح. أخذ رشفة من كوب البيرة، ومدّ ساقه بحكم العادة، مستمتعًا بليونة مفصله، ثمّ فتح الملفَ الذي أحضره معه.

كان الأخرق الذي صدم درّاجته الناريّة بمؤخّرة سيّارة الأجرة هو مَن كتب الملاحظات الواردة في الملفّ، التي خلت من أيّ فائدة. لم يكن من مصلحة سترايك خسارة هذا الزبون، لكنّ المهامّ التي شغلته وهاتشينز فاقت قدراتهما، لذلك شعر بحاجة ملحّة إلى توظيف عميل جديد. ومع ذلك لم يكن واثقًا تمامًا من أنّ المقابلة التي يوشك على إجرائها خطوة حكيمة، فهو قرّر البحث عن رجل لم يره منذ خمسة أعوام بدون أن يستشير روبن. وفي اللحظة التي فُتح خلالها باب الحانة ليدخل منه سام باركلي، الذي كان دقيقًا جدًّا في مواعيده، تساءل سترايك عمّا إذا كان ما يقدِم عليه ليس سوى حماقة كبيرة.

كان سترايك ليتعرّف في الحال إلى رفيقه القديم في الجيش، المولود في غلاسكو، والذي كان حليق الشعر تمامًا، ويرتدي كنزة ذات عنق بشكل V فوق قميص تي شيرت، وسروال جينز ضيّقًا، وينتعل حذاءً رياضيًّا شديد البياض. وقف سترايك ومدّ يده ليصافح باركلي الذي تعرّف إليه بدوره بسهولة وبادره بابتسامة عريضة قائلًا:

– بدأت بالشرب؟

– أتريد كوب بيرة؟ سأله سترايك.

وقف سترايك ينتظر امتلاء كوب البيرة الذي يسكبه الساقي لباركلي، وهو يتأمّل في المرآة خلف البار صورة صديقه، الجندي القديم الذي أدركه الشيب برغم أنّه لا يتجاوز سنّ الثلاثين إلّا بأعوام قليلة، ولكنّه، ما خلا ذلك، لا يزال كما عرفه من قبل: حاجبان كثيفان، عينان زرقاوان كبيرتان، وفكّ ضخم. كان يشبهُ بومة ودودة المظهر، وقد أحبّه سترايك حتّى حين كان يعمل على إحالته إلى المحكمة العسكريّة.

– ألا تزال تدخّن؟ سأله سترايك بعدما ناوله كوب البيرة وجلس.

– أدخّن سيجارة إلكترونيّة، قال باركلي: رُزقنا طفلًا.

– تهانيّ، قال سترايك، إذن تعمل على تحسين صحّتك؟

– تقريبًا.

– ألا تزال تروّج المخدّرات؟

– لم أروّج المخدّرات قطّ، ردّ باركلي بصوت مرتفع، أنت تدرك ذلك جيّدًا.

أتعاطاها للترفيه عن نفسي فقط.

– من أين تشتريها الآن؟

– عبر الإنترنت، قال باركلي وهو يشرب البيرة. أمر سهل. في المرّة الأولى، قلت لنفسي: «ما هذه الخدعة؟»، وبعد ذلك فكّرت: «إنّها مغامرة، فلأجرّبها». يرسلون المخدّرات مموّهة في علب سجائر، والاختيار واسع، الإنترنت أمر رائع.

ثمّ قهقه وعاد للسؤال:

– حسنًا، ما الأمر؟ لم أظنّني سأسمع منك خبرًا قطّ.

– أفكّر في أن أكلّفك عملًا، قال سترايك بعد تردّد.

مرّت لحظةٌ قصيرةٌ راح باركلي يحملق خلالها في سترايك، ثمّ عاد برأسه إلى الخلف وقهقه ضاحكًا، وقال:

– تبًّا، لماذا لم تقل ذلك من البداية؟

– لماذا برأيك؟

– لا أدخّن السيجارة الإلكترونيّة كلّ مساء، قال باركلي بجدّية. أؤكّد لك أنّ زوجتي لا تحبّها.

كان سترايك يضع يده على الملفّ، مفكّرًا.

حين تعرّف إلى باركلي كان يحقّق في قضيّة مخدّرات في ألمانيا. كانت المخدّرات تباع وتشترى في أوساط الجيش البريطانيّ، كما في كلّ أنحاء المجتمع. لكنّ فرع الاستقصاء الخاصّ استُدعي للتحقيق في ما اتّضح أنّهُ قضيّة ترويج على نطاق احترافيّ. اشتُبه في أنّ لباركلي دورًا أساسيًّا في تلك القضيّة واقتيد إلى الاستجواب بعدما عُثر بين أغراضه الخاصّة على كيلوغرام من الحشيشة المغربيّة الممتازة النوعيّة.

أصرّ باركلي على أنّ هناك مَن أوقع به، وكان سترايك الذي حضر الاستجواب يميل إلى تصديقه، لأنّ الرجل بدا أذكى من أن يخبّئ الحشيشة في قعرِ حقيبته العسكريّة. من جهة أخرى، كانت الأدلّة على تعاطي باركلي للمخدّرات وفيرة، كما أنّ شهودًا كثيرين ذكروا أنّ تصرّفاته باتت مثيرة للارتياب.

رأى سترايك أنّ باركلي استُعمل ليكون كبش فداء، وقرّر القيام بأبحاثه الخاصّة في الأمر.

خلال ذلك اكتشف سترايك نوعًا آخر من التجارة يتعلّق بموادّ البناء والمعدّات الهندسيّة التي كانت الطلبيّات لشرائها تُقدَّم بوتيرة مريبة. لم تكن تلك المرّة الأولى التي يكتشف سترايك فيها فسادًا من هذا النوع، لكنّ ما اختلف حينذاك هو أنّ الضابطين المسؤولين عن تلك الطلبيّات السريعة الإنجاز التي تتبخّر بسرعة، هما عينهما صاحبا شكوى المخدّرات في حقّ باركلي.

فوجئ باركلي خلال جلسة الاستجواب التي خاضها مع ضابط فرع التحقيقات الخاصّة بأنّ هذا الأخير غير مهتمّ بالحشيشة، بل بوقائع مريبة في عقود البناء. بعد حذره في البداية، وخشيته ألّا تؤخذ أقواله بجدّية نظرًا إلى التهمة الموجّهة إليه، أقرّ باركلي في النهاية بأنّه، بالإضافة إلى عدم اكتفائه

بملاحظةِ ما لم يقوَ الآخرون على رؤيته، أو اختاروا عدم التحقيق فيه، كان قد انكبّ على تجهيز لائحة مفصّلة يذكر فيها ما كان ذانك الضابطان يسرقانه. ولكنّ هذين الأخيرين علما للأسف باهتمامه الزائد بنشاطاتهما، وما هي إلّا فترة وجيزة حتّى عُثر على كيلوغرام من الحشيشة في أغراضه الشخصيّة.

حين عرض باركلي على سترايك الدفتر الذي سجّل فيه تلك اللائحة، والذي كان مخفيًّا ببراعة بالمقارنة مع الحشيشة التي اكتُشفت في حقيبته، أعجب المحقّق بمنهجيّة باركلي الصارمة في التوثيق، خاصةً وأنّ هذا الأخير لم يتلقَ أيّ تدريب على تقنيّات التحقيق. وحين سأله عن سبب قيامه بهذا التحقيق غير المدفوع الأجر، والذي عاد عليه بالكثير من المتاعب، رفع باركلي كتفيه العريضتين وقال:

– هذا لا يجوز، أليس كذلك؟ إنّهم يسرقون الجيش وأموال المكلّفين.

كرّس سترايك لتلك القضيّة ساعات أكثر ممّا يجب بحسب زملائه، ولكن، في النهاية، أدّت المعلومات التي جمعها باركلي، معزّزة بالتحقيقات التي أجراها سترايك عن نشاط الضابطين، إلى إدانة هذين الأخيرين. لا شكّ في أنّ فرع التحقيقات الخاصّة كان قد حصد تقديرًا واسعًا على هذا الإنجاز، لكنّ سترايك حرص على إسقاط كلّ التّهم الموجّهة إلى باركلي.

– حين تقول «عمل»، سأله باركلي وسط ضجيج الحانة، هل تعني تحقيقات؟

رأى سترايك أنّ الفكرة راقت الجنديّ القديم، فأجابه:

– نعم. بمَ عملت منذ التقينا آخر مرّة؟

كانت الإجابة حزينة، برغم أنّها متوقّعة. فقد وجد باركلي صعوبة في العثور على عمل ثابت في السنتين الأولى والثانية بعد مغادرته الجيش، ومعظم ما قام به كان العمل في دهان المنازل والديكور في شركة يديرها صهره.

– زوجتي هي مصدر الدخل الأساسيّ، قال باركلي، وظيفتها جيّدة.

– حسنًا، قال سترايك، أظنّني قادرًا على تشغيلك يومين في الأسبوع في البداية.

سترسل لي فواتيرك بصفتك متعاقدًا حرًّا، وإذا لم ينجح الأمر، بإمكان أيٍّ منّا إنهاء الاتفاق.

هل يبدو لك هذا عادلًا؟

– نعم، عين العدل، قال باركلي، كم ستدفع؟

ناقشا موضوع المال لخمس دقائق، وشرح له سترايك كيف يتعامل معه الموظّفون الآخرون على قاعدة التعاقد الحرّ، فيرسلون الإيصالات والنفقات الأخرى المتعلقة بالعمل إلى المكتب لاستيفائها. وأخيرًا انتشلَ ملفًّا وسلّمه لباركلي كي يراه.

– يجب تعقّب هذا الرجل، قال له وهو يشير إلى صورة شابّ بدين ذي شعر أجعد كثّ.

أريد صورًا لكلّ مَن يرافقهم ولكلّ ما يفعله.

– حسنًا، قال باركلي.

ثمّ أخرج هاتفه الخلويّ والتقط صورًا للهدف ولعنوانه.

– يراقبه اليوم شخص آخر يعمل لديّ، قال سترايك، لكنّني أريدك أمام شقّته بدءًا من السادسة صباح غد.

سُرّ سترايك لأنّ باركلي لم يعترض على موعد العمل المبكر.

– ماذا حلّ بالفتاة؟ سأله هذا الأخير وهو يعيد هاتفه إلى جيبه، تلك التي ظهرت صورتها معك في الجرائد؟

– روبن؟ قال سترايك، إنّها في إجازة، ستعود الأسبوع المقبل.

ثمّ تصافحا قبل أن يفترقا، فيما استمتع سترايك بلحظة تفاؤل عبرت خاطره قبل أن يتذكّر أنّ عليه العودة إلى المكتب، حيث ستكون دنيز قريبة منه، بصوتها الحادّ كالببغاء، وعادتها في الكلام وفمها ممتلئ، وعجزها عن تذكّر أنّه يكره الشاي بالحليب.

كان عليه العودة إلى مكتبه سيرًا عبر ورش الأشغال التي تملأ طريق توتنهام كورت رود. انتظر سترايك حتّى تجاوز أكثر الورش ضجيجًا ثمّ طلب رقم روبن بالهاتف ليخبرها أنّه وظّف باركلي للعمل، لكنّ اتّصاله حُوّل إلى

البريد الصوتيّ. ثمّ تذكّر أنّها على الأرجح في تلك العيادة الغامضة الآن، فقطع الاتّصال دون أن يترك رسالة.

في الطريق، خطرت بباله فكرة مفاجئة. لقد افترض أنّ العيادة تختصّ بالعلاج النفسيّ، ولكن ماذا لو...؟

ثمّ رنّ جرس هاتفه، وكان الاتّصال من المكتب.

– آلو؟

– سيّد سترايك؟ سيّد سترايك؟ قالت دنيز بصوتها الحادّ المعهود، هل يمكنك العودة بسرعة، من فضلك؟ رجاءً... أتى إلى المكتب سيّد، وهو يريد رؤيتك في الحال...

وسمع سترايك عبر الهاتف صوتًا قويًّا ورجلًا يصرخ.

– رجاءً، عد حالًا، سيّد سترايك! صرخت دنيز.

– أنا آتٍ! قال سترايك وتابع طريقه محاولًا أن يركض لبلوغ المكتب.

2

... إنّهُ لا يبدو من الذين يُسمح لهم بالدخول إلى هنا.

هنريك إبسن، روسميرشولم

استعان سترايك لاهثًا بالدرابزون ليسحب نفسه إلى أعلى الدرجات القليلة الأخيرة من السلّم المعدني المؤدّي إلى مكتبه، وقد استحوذ على ركبته اليمنى ألم شديد. كان صوتان مرتفعان يصدحانِ عبر الباب الزجاجي، أحدهما صوت رجل، والآخر زاعق، خائف، وأنثوي. عندما اقتحم سترايك الغرفة، شهقت دنيز، التي كانت تتّكئ على الحائط، «آه، الحمد لله!».

قدّر سترايك أنّ الرجل الواقف وسط الغرفة في منتصف العشرينات من عمره، وقد تدلّى شعرهُ الأدكن خصلاتٍ غيرَ منتظمة، منسدِلًا فوقَ وجهٍ رقيقٍ متّسخٍ تهيمن عليه عينان غائرتان ومتّقدتان.

قميصه وسرواله الجينز وسترته ممزقة وقذرة، ونعلُ أحد فردتَي حذائه يكاد ينفصل عن الجلد.

اشتمّ المحقق رائحة أحد الرعاع.

كان المجهول بدون أيّ شك مريضًا عقليًا. فقد كان، تقريبًا كلّ عشر ثوانٍ، في ما بدا أنّه تشنّجٌ لا يمكن السيطرة عليه، يلمس أولًا طرف أنفه، الذي أضحى أحمر اللون من جرّاء النقر المتكرّر، ثمّ ينتقلُ إلى عظمة القصّ الرقيقة

محدثًا صوتًا مكتومًا أجوف، لتسقط يده أخيرًا إلى جانبه، ثمّ تطير على الفور إلى طرف أنفه مجدّدًا.

وكأنّه نسي كيف يرسم إشارة الصليب أو اختصر الإجراء بغية تسريعه. الأنف والصدر ثمَّ تسقط اليد بمحاذاة جسمه؛ الأنف فالصدر فتعاود اليد انزلاقها بمحاذاة جسمه من جديد.

كانت الحركة الميكانيكية مزعجة لمن يشاهدها ولا سيّما أنّه بدا بالكاد مدركًا أنّه يرسمها. وبدا أيضًا أنّه من أحد هؤلاء المرضى اليائسين الذين تجدهم في العاصمة وتعتبرهم دائمًا مشكلة شخص آخر، كالمسافر في مترو الأنفاق الذي يحاول الجميع تجنّب النظر في عينيه، والمرأة التي تصرخ عند زاوية الشارع ويعبر الناس إلى الرصيف المقابل لتجنّبها. هؤلاء نماذج شائعة من الإنسانية المحطَمة، أكثر شيوعًا من أن يشغلوا المخيّلة لفترة طويلة.

سأل الرجل المتّقد العينين «أنت هو؟» بينما لمست يده أنفه وصدره مرة أخرى. «أنت سترايك؟ أنت المحقق؟».

بيده التي لم تكن تطير باستمرار من أنفه إلى صدره، شدّ فجأة سحاب بنطلونه.

أصدرت دنيز صوتًا حادًّا وخافتًا، كما لو أنّها خشيت أن يفتح سحابه، وبالفعل، بدا ذلك ممكنًا جدًا. أجاب المحقق: «أنا سترايك، نعم»، وهو يسعى إلى أن يتمركز بين الغريب والسكرتيرة المؤقتة. «هل أنت بخير يا دنيز؟»، سألها فهمست: «نعم»، إلّا أنّها بقيت تستند إلى الجدار.

قال الرجل المجهول: «رأيت طفلة تُقتل. خنقًا».

فقال سترايك برباطة جأش: «حسنًا، لمَ لا ندخل؟» وأشار إليه باتجاه المكتب، فأجابه الرجل وهو يشدّ سحابه:

– يجب أن أبول.

– من هنا إذًا.

دلّه سترايك إلى باب الحمّام المتاخم للمكتب. عندما أغلق الرجل الباب بصفقة وراءه، عاد سترايك إلى دنيز.

– ماذا جرى؟

– أراد أن يقابلك. قلت له إنّك خارج المكتب فثارت ثائرته وأخذ يكسّر كلّ شيء!

قال سترايك بهدوء:

– اتّصلي بالشرطة. أخبريهم أنّ لدينا رجلًا مريضًا جدًّا هنا. ربّما كان ذهانيًا. لكن انتظري حتى أدخله إلى مكتبي.

فُتح باب الحمّام على مصراعيه، وظهر الرجل الغريب مجدّدًا. كان مفتوحًا، وبدا أنّه لا يرتدي سروالًا داخليًا. نشجت دنيز مرة أخرى فيما كان الرجل يلمس أنفه وصدره فأنفه فصدره بطريقة محمومة، غير مدرك للبقعة الكبيرة من شعر العانة الأدكن التي يعرضها على العيان.

قال سترايك بلطف:

– من هُنا...

مع دخوله عبر الباب الداخلي، تضاعفت الرائحة الكريهة المنبعثة منه بعدما كانت قد خفّت لفترة وجيزة.

دعاه سترايك للجلوس فجلس على طرف الكرسي المخصص للعملاء. وسأله سترايك بعد أن جلس إلى الجهة المقابلة من مكتبه:

– ما اسمك؟

أجاب الرجل فيما طارت يده من أنفه إلى صدره ثلاث مرّات في تتابع سريع:

– بيلي.

في المرّة الثالثة سقطت يده، فالتقطها باليد الأخرى وأمسك بها بقوّة.

سأله سترايك:

– إذًا رأيت طفلة تُخنق يا بيلي؟ بينما وصل إليهما صوت دنيز من الغرفة المجاورة:

– الشرطة، بسرعة!

سأل بيلي وعيناه الكبيرتان غائرتان في وجهه وهو ينظر بعصبية نحو المكتب الخارجي، فيما تضغطُ إحدى يديه على الأخرى في محاولة لقمع تشنّجاته اللاإرادية:

– ماذا قالت؟

فردّ عليه سترايك بسلاسة:

– لا شيء، لديّ قضايا متعدّدة ومختلفة. أخبرني عن تلك الطفلة.

أخذ سترايك دفترًا وورقة وتعمّد أن تكون حركاته بطيئة وحذرة، كما لو كان بيلي طائرًا برّيًا يحاول عدم إخافته.

– خنقَها فوق، قربَ الحصان.

أخذ صوت دنيز يرتفع أكثر فأكثر وهي تتكلم على الهاتف خلف الجدار الهشّ الذي يفصل بين المكتب وقاعة الانتظار.

سأل سترايك وهو مستمر في الكتابة:

– متى حدث هذا؟

– منذ سنين، كنت صغيرًا، وهي كانت فتاة صغيرة، لكنّهم في ما بعد قالوا إنّه كان صبيًّا صغيرًا. كان جيمي هناك، وهو يقول إنّني لم أر ذلك قطّ، لكنّني فعلت. رأيته يفعل ذلك، لقد خنقها، رأيته بأمّ عيني.

– وحصل هذا قرب الحصان، أليس كذلك؟

– تمامًا، بجوار الحصان، لكنّهم لم يدفنوها هناك، يدفنوه، بل أسفلَ الوادي قرب منزل والدنا. رأيتهم يفعلون ذلك، يمكنني أن أريك المكان. لم تسمح لي بالحفر، لكنّها قد تسمح لك.

– وجيمي هو الفاعل، أليس كذلك؟

صاح بيلي غضبًا:

– جيمي لم يخنق أحدًا قطّ! هو شاهد الأمر معي. قال إنّ ذلك لم يحدث لكنّه يكذب، لقد كان هناك. إنّه خائف، أتفهم؟

كذب سترايك فيما كان يستمرّ في تدوين الملاحظات:

– فهمت؛ سأحتاج إلى عنوانك إن كنت سأتولّى التحقيق.

توقع سترايك بعض الممانعة من طرف بيلي، لكنّ هذا الأخير أخذ بدون تردّد الدفتر والقلم اللذين قدّمهما له. فاحت الرائحة النتنة من جديد ووصلت إلى سترايك، وشرعَ بيلي في الكتابة، لكنّه غيّر رأيه فجأة.

– لن تذهب إلى منزل جيمي، أليس كذلك؟ سوف يبرّحني ضربًا إن فعلت. لا يمكنك أن تذهب إلى منزل جيمي.

أجابه سترايك بهدوء:

– لا، لا. أحتاج إلى عنوانك فقط من أجل ملفّي.

وصل إليهما صوت دنيز الصارخ: «أرسلوا أحدًا إلى هنا بسرعة أكبر، إنّه مضطرب جدًا!».

سأل بيلي:

– ماذا تقول؟

استاء سترايك عندما مزّق بيلي فجأة الورقة الأولى من الدفتر وسحقها بقبضته، ثمّ أخذ ينقر أنفه وصدره مجدّدًا باليد القابضة على الورقة.

فقال له سترايك:

– لا تقلق بشأن دنيز، إنّها تتكلّم مع عميل آخر. هل أحضر لك مشروبًا يا بيلي؟

– أيّ مشروب؟

– شاي؟ أم قهوة؟

فسأل بيلي:

– لماذا؟ وبدا أنّ العرض زاد من ارتيابه. لماذا تريدني أن أشرب شيئًا؟

– فقط إن كنت ترغب في ذلك. لا بأس إن كنت لا ترغب.

– لست بحاجة إلى دواء!

فقال سترايك:

– ليس لديّ أيّ دواء لأعطيك إيّاه.

– أنا لست مجنونًا! لقد خنق الطفلة ودفنوها في الوادي بجوار منزل والدنا. وكانت ملفوفة في بطّانية. بطّانية زهرية اللون، لم يكن الذنب ذنبي، كنت مجرّد طفل، لم أرغب في أن أكون هناك، كنت مجرّد طفل صغير.

– كم سنة مضت على ذلك، هل تعلم؟

قال بيلي وعيناه تسوحان في وجهه النحيف بينما كانت يده القابضة على قطعة الورق ترفرف إلى الأعلى والأسفل وتلامس أنفه ثمّ تلامس صدره:

– سنوات كثيرة، بل قرون...! دفنوها في بطّانية زهرية اللون أسفل الوادي بجوار منزل والدي. لكنّهم بعد ذلك قالوا إنّه كان صبيًّا.

– أين يقع منزل والدك يا بيلي؟

– لن تسمح لي بالعودة الآن. لكن أنت يمكنك أن تحفر. أنت يمكنك أن تذهب إلى هناك.

ثمّ قال وهو يرمق سترايك بعينين مذهولتين:

– لقد خنقوها. لكنّهم بعد ذلك قالوا إنّه كانَ صبيًّا. خُنقت، بالقرب من...

طُرق الباب. وقبل أن يطلب سترايك من دنيز عدم الدخول، دسّت رأسها داخل المكتب وبدت معتدّة بنفسها إلى حدّ كبير وأكثر شجاعة الآن بوجود سترايك.

قالت:

– إنّهم قادمون. بنظرة مفعمة بمعانٍ خطرة من شأنها أن تخيف رجلًا أكثر ثباتًا بكثير من بيلي. هم الآن في طريقهم إلى هنا.

فقفز بيلي وسأل:

– من القادم؟ مَن في طريقه إلى هنا؟

سحبت دنيز رأسها من الغرفة وأغلقت الباب.

وسُمعت جلجلة ناعمة على الخشب أوحت لسترايك بأنّ السكرتيرة المؤقتة تتكئ على الباب كي تمنع بيلي من الخروج.

وقف سترايك وقال بهدوء:

– إنّها تتكلم عن طرد أتوقع تسلّمه. أكمل بشأن...

صاح بيلي:

– ماذا فعلت؟ وتراجع نحو الباب بينما كان يلمس أنفه وصدره بشكل متكرّر. من القادم؟

فقال سترايك:

– لا أحد قادم.

لكنّ بيلي كان قد بدأ يحاول أن يفتح الباب، وعندما شعر بصعوبة فتحه، ألقى بنفسه بشدّة عليه فسُمعت صرخة في الخارج فيما أُلقيت دنيز جانبًا. وقبل أن يتمكّن سترايك من الخروج من وراء مكتبه، خرج بيلي راكضًا من باب المكتب الخارجي. وسمعاه يقفز على السلّم المعدني متجاوزًا ثلاث درجات في كلّ مرّة.

غضب سترايك إذ أدرك أن لا أمل له في الإمساك بشابٍ أصغر منه سنًّا وبدون شكّ، أكثر منه لياقة بدنية، فدار ورجع ركضًا إلى مكتبه وفتح النافذة بحركة سريعة، وانحنى إلى الخارج في الوقت المناسب ليراه وهو ينعطف عند زاوية الشارع ويتوارى عن الأنظار.

– اللعنة!

على الرصيف المقابل كان رجل يهمّ بدخول متجر القيثارات التفت في حيرة باحثًا عن مصدر الضوضاء.

سحب سترايك رأسه من النافذة ودار لينظر إلى دنيز، التي وقفت تنفض الغبار عن نفسها في مدخل مكتبه. ما لا يُصدّق هو أنّها بدت فخورة بنفسها.

قالت بفخر:

– حاولت أن أحتجزه في الداخل.

فأجابها سترايك مظهرًا قدرًا كبيرًا من ضبط النفس:

– نعم، رأيت ذلك.

– الشرطة قادمة.

– أمر رائع.

– هل تريد كوبًا من الشاي؟

أجابها بصوت يخرج من بين أسنانه الصّارة:

– كلا.

فقالت:

– إذًا سأذهب وأنظّف الحمّام. وأضافت هامسة: لا أعتقد أنّه شغّل السيفون.

3

خضتُ تلك المعركة بمفردي وفي سرّية تامّة.

هنريك إبسن، روسميرشولم

أثناء سيرها في الشارع غير المألوف في ديبتفورد، شعرت روبن براحة بال مؤقتة، ثمّ تساءلت عن آخر مرّة خالجها فيها هذا الشعور، لتدرك أنّه قد مرّ على ذلك عام ونيّف. شعرت بالنشاط والابتهاج بفضل أشعّة شمس الأصيل، وواجهات المتاجر الملوّنة والصخب والضوضاء المحيطة بها، وكانت تحتفل بحقيقة أنّها لن تزور عيادة «فيليبه تراست» بعد اليوم.

استاءت طبيبتها لأنّها وضعت حدًّا للعلاج.

قالت لها:

– نحن نوصي بدورة كاملة.

فأجابت روبن:

– أعرف ذلك، لكن... في الواقع، أنا آسفة لكنّني أعتقد أنّ العلاج لن ينفعني أكثر من ذلك.

ردّت الطبيبة المعالجة على ذلك بابتسامة باردة.

وقالت روبن:

– كان العلاج المعرفي السلوكي رائعًا. فقد خفّف من قلقي، سأستمرّ فيه.

تنفّست نفسًا عميقًا، وهي تحدّق في حذاء الطبيبة من ماركة ميري جاين ذي الكعب المنخفض، ثمّ أجبرت نفسها على النظر في عينيها.

– ... لكنّني لا أجد هذا الجزء مجديًا.

تلى ذلك صمت آخر كانت روبن قد اعتادت عليه بعد الجلسة الخامسة.

ففي المحادثة العادية، قد يُعدّ من الوقاحة أو الإهانة أن ترمق محدّثك طويلًا، وتنتظر أن يتكلم، ولكنّها علمت أنّه في العلاج النفسي الديناميكي كان ذلك أمرًا رائجًا.

كان طبيب روبن قد أحالها إلى هيئة الخدمات الصحّية الوطنية لتلقّي علاج مجّاني، لكنّها وجدت قائمة الانتظار طويلة إلى حدّ أنّها قرّرت، بدعم شفهي من ماثيو، أن تدفع تكاليف العلاج. وهي تعرف أنّ ماثيو يمنع نفسه بصعوبة عن القول إنّ الحلّ المثالي هو التخلّي عن الوظيفة التي كانت السبب في إصابتها باضطراب ما بعد الصدمة، وإنّ أجرها في نظره منخفض للغاية بالنظر إلى المخاطر التي تعرّضت لها.

تابعت روبن الخطاب الذي أعدّته:

– اسمعي، حياتي تكتظ بالأشخاص الذين يعتقدون أنّهم يعرفون ما هو الأفضل لي.

أجابت الطبيبة بطريقة شعرت روبن معها بأنّها قد تُعدّ متعالية لو قيلت خارج حرم العيادة:

– حسنًا، نعم... لقد تناقشنا و...

كانت روبن بطبيعتها تصالحية ومهذبة. لكنّ الطبيبة لطالما حثّتها على قول الحقيقة بدون تنميق في هذه الغرفة الصغيرة المعتمة حيث نبتة عنكبوت في وعاء يميل إلى اللون الأخضر ومناديل هائلة الحجم على طاولة منخفضة من خشب الصنوبر.

... ثمّ تابعت:

– ... بصراحة، أشعر بأنّك واحدة منهم.

وقفة أخرى.

قالت الطبيبة بضحكة صغيرة:

– في الحقيقة، أنا هنا لمساعدتك في الوصول إلى استنتاجاتك الخاصّة بشأن...

فقالت روبن:

– نعم، لكنّك تفعلين ذلك من خلال الضغط عليّ طوال الوقت، وكأنّها معركة، وتعارضين كلّ ما أقوله.

أغمضت روبن عينيها، فيما اعترتها موجة كبيرة من التعب. كانت عضلاتها تؤلمها، فقد أمضت الأسبوع بكامله في تجميع قطع الأثاث، ونقل صناديق الكتب وتعليق اللوحات.

قالت روبن وهي تفتح عينيها مجدّدًا:

– أخرج من هنا خائرة القوى. أعود إلى المنزل فيتصرف زوجي معي بالطريقة ذاتها. يترك لحظات صمتٍ طويلة ويتحداني في أصغر الأمور. أتّصل بوالدتي، فإذا بها تتصرّف مثله أيضًا. الشخص الوحيد الذي لا يملي عليّ كيف يجب أن أعيش حياتي هو...

توقفت، ثمّ أكملت:

– هو شريكي في العمل.

فقالت الطبيبة بلطف:

– السيد سترايك.

لطالما شكّل رفضُ روبن مناقشة علاقتها بسترايك مسألة خلاف بينها وبين الطبيبة. فهي لم ترضَ بالتحدث عنه سوى لتخبرها أنّه ليس على دراية بمدى تأثير قضيّة سفّاح شاكلويل عليها، وأصرّت بحزم أنّ علاقتهما الشخصية لا دخل لها بتاتًا بمشاكلها الحالية. رغم ذلك، ظلّت الطبيبة تقترح عليها مناقشة علاقتها بسترايك في كلّ جلسة، لكنّ روبن كانت ترفض باستمرار الكلام في هذا الموضوع.

قالت روبن:

– نعم، هو.

– لكنّك تعترفين بأنّك لم تشركيه ولا أخبرته يومًا عن مدى شعورك بالقلق.

أكملت روبن متجاهلة التعليق الأخير:

– لذلك، جئت اليوم فقط لأخبرك أنّني سأتوقف عن متابعة الجلسات. كما قلت لك، وجدت أنّ العلاج المعرفي السلوكي مفيد حقًا وسأواصل القيام بالتمارين.

بدت الطبيبة المعالجة غاضبة لأنّ روبن لم تكن مستعدّة حتى للبقاء لمدّة ساعة كاملة، لكنّ روبن دفعت ثمن الجلسة بكاملها، وشعرت بأنّه يحق لها أن ترحل متى شاءت، ما منحها ساعة من الحرّية في ذلك اليوم. كذلك، شعرت بأنّه يحق لها أيضًا عدم الإسراع في العودة إلى المنزل لتفريغ المزيد من الصناديق، كما وشراء كوز مثلّجات والاستمتاع به فيما تجول في شوارع منطقتها الجديدة التي تغمرها أشعّة الشمس.

وفيما كانت تطارد ابتهاجها كالفراشة مخافةَ أن يفلت منها، اتّجهت إلى شارع أكثر هدوءًا، وأجبرت نفسها على التركيز، والاستمتاع بالمشهد الجديد. شعرت بالسعادة لأنّها تركت الشقة القديمة في وست إيلينغ، بذكرياتها السيّئة الكثيرة. فقد اتّضح خلال محاكمة سفّاح شاكلويل أنّه كان يقتفي أثرها لفترة أطول بكثير ممّا كانت تعتقد. حتى إنّ الشرطة أخبرتها أنّها تعتقد أنّه كان يتسكّع في شارع هاستينغز، كامنًا خلف السيّارات المتوقفة، على بعد أمتار من باب منزلها.

على الرغم من أنّها كانت تتوق للانتقال إلى منزل آخر، استغرق عثورهما هي وماثيو على منزل جديد أحد عشر شهرًا. وكمنت المشكلة الرئيسة في أنّ ماثيو صمّم على «ارتقاء سلّم العقارات»، بعد أن حصل على وظيفة جديدة بأجر أفضل وتلقّى إرثًا جيّدًا من والدته الراحلة. والدا روبن أعربا أيضًا عن استعدادهما لمساعدتهما، نظرًا للأحداث الفظيعة التي ارتبطت بشقتهما القديمة، لكنّ شقق لندن باهظة الثمن. ثلاث مرّات وقع اختيار ماثيو على شقق كانت، في الواقع، تفوق بكثير مقدرتهما على الدّفع. وثلاث مرّات تعذّر

عليهما شراءُ ما كان من الممكن أن تخبره روبن مسبقًا بأنّه سيُباع بأكثر ممّا يمكنهما أن يعرضاه بالآلاف.

لكنّ ماثيو ظلّ يردّد: «هذا سخيف! المنزل لا يستحق هذا السعر!».

لتجيبه روبن: «بل يستحق ما يكون الشّاري مستعدًّا لأن يدفعه» فيما تشعر بالإحباط لأنّ زوجها، على الرغم من كونه محاسبًا، لا يفهم طريقة عمل دينامية العرض والطلب في السوق. أمّا هي فكانت مستعدّة للانتقال إلى أيّ مكان، ولو اضطرّت لأن تسكن في غرفة واحدة، للهروب من طيف القاتل الذي ما زال يسكنُ كوابيسها.

أثناءَ عودتها إلى الطريق الرئيسي، لفتت انتباهها بوّابة في جدار من الطّوب، يعلو دعامتيها أغربُ تمثالين رأتهما على الإطلاق.

فقد ارتكزت جمجمتان حجريتان عملاقتان متداعيتان فوق عظمتين منحوتتين على أعمدة الدعامتين، وارتفع خلفهما برج مربّع طويل. تصوّرت وهي تقترب لتتفحّص تجويفيْ العينين الفارغين الأسودين أنّ هذين التمثالين كان يمكن أن يشكّلا زينةً ملائمة لقصر قرصان في أحد أفلام الفنتازيا. نظرت عبر البوّابة فرأت كنيسة ومقابرَ مكسوّة بالطحالب مطروحة وسط حديقة من الورود المتفتّحة.

أنهت روبن مثلّجاتها أثناء تجوالها حول كنيسة القدّيس نيكولاس، وهي مزيج غريب من مدرسة قديمة من الطوب الأحمر تلاصق برجًا من الحجر الصخري. في النهاية، جلست على مقعد خشبي زادت الشمس المقرّحة من حرارته فأضحى حارقًا، ومدّدت ظهرها المتألّم، وتنشّقت ملء رئتيها رائحة الورود الدافئة، ونقلتها ذاكرتها فجأةً، إلى جناح الفندق في يوركشاير، وإلى عام تقريبًا إلى الوراء، حيث شهِدت باقةٌ من الورود الحمراء عاقبةَ هجرانها لماثيو على حلبة الرقص في حفل زفافها.

يومها، التقى ماثيو ووالده وعمّته سو ووالدا روبن وشقيقها ستيفن جميعًا في جناح العروسين الذي التجأت إليه روبن هربًا من غضب ماثيو. كانت تخلع فستان العرس عندما دخلوا فجأة الواحد تلو الآخر مطالبين جميعًا بمعرفة ما يجري.

وتعالت الأصوات المتنافرة من كلّ صوب.

كان ستيفن أول من أدرك ما فعله ماثيو بحذف مكالمات سترايك، فانهال بالصّراخ عليه، بينما أخذ جيفري الذي كان ثمِلًا يسائل لماذا سُمح لسترايك بالبقاء على العشاء على الرغم من أنّه لم يبلّغ منظّمي الحفل بذلك مسبقًا. صرخ ماثيو في وجه الجميع طالبًا إليهم الخروج من الغرفة، لأنّ الأمر لا يعني أحدًا سواه وسوى روبن، بينما كرّرت العمّة سو بدون توقف: «لم أرَ في حياتي عروسًا تترك عريسها في منتصف رقصتهما الأولى. أبدًا لم أرَ في حياتي عروسًا تترك عريسها في منتصف رقصتهما الأولى!». ثمّ أدركت ليندا أخيرًا ما فعله ماثيو، وبدأت توبّخه أيضًا. هبّ جيفري للدفاع عن ابنه، مطالبًا بمعرفة سبب رغبة ليندا في عودة ابنتها إلى رجل سمح لها بأن تتعرّض للطعن. عندها وصل مارتن، وهو في حالة سُكر شديد، وسدّد لكمة لماثيو لأسباب لم يستطع أحد أن يشرحها تمامًا، وانسحبت روبن إلى الحمّام حيث راحت تتقيأ على الرغم من أنّها لم تأكل أيّ شيء تقريبًا طوال النهار.

بعد خمس دقائق، أُجبرت على السماح لماثيو بالدخول لأنّ أنفه كان ينزف. وفيما كان أعضاء أسرتيهما يستمرّان في الصراخ الواحد في وجه الآخر في غرفة النوم المجاورة، طلب ماثيو إلى روبن وقد ضغط بلفّة من ورق التواليت على أنفه، أن ترافقه إلى جزر المالديف، ليس لقضاء شهر العسل، ليس بعد الآن، بل للنظر في الأمور على انفراد... وأضاف مشيرًا إلى مصدر الصراخ في الخارج: «بعيدًا من هذا». وأكمل: «أضيفي إلى ذلك الصحافة، لأنهم سيلاحقونك أيضًا بسبب قضيّة السّفاح».

كان يرمقها من فوق ورق التواليت الملطّخ بالدم، وهو غاضب منها لأنّها أهانته على حلبة الرقص، ومن مارتن لأنّه لكمه. خلت هذه الدعوة إلى السفر تمامًا من الرومانسية. ما يقترحه كان عقد اجتماع قمّة، فرصة ليتناقشا بهدوء. فإذا ارتأيا، بعد تفكيرٍ جادّ، أنّ الزواج كان خطأً، عادا إلى المنزل في نهاية الأسبوعين المقرّرين، وأعلنا معًا إنهاء زواجهما ليذهب كلّ منهما في طريقه.

في تلك اللحظة، وجدت روبن البائسة، التي أرهقها ألمُ ذراعها من جهة وهزّتها عميقًا المشاعر التي خالجتها عندما ضمّتها ذراعا سترايك، وأرّقها قلقها من تعقب الصحافة لها، وجدت في ماثيو مهربًا على الأقلّ، إن لم يكن حليفًا. كانت فكرة ركوب الطائرة، والابتعاد من تسونامي الفضول والقيل والقال والغضب والعزاء والنصائح غير المرغوب فيها التي كانت تعلم أنّها ستستمرّ في جرفها إذا بقيت في يوركشاير، فكرة جذابة للغاية.

هكذا، سافرا. بالكاد تبادلا الكلام خلال الرحلة في الطائرة. لم تتساءل ولم تسأل قطّ عمّا كان ماثيو يفكّر فيه خلال تلك الساعات الطويلة. سترايك كان الشخص الوحيد الذي كان يشغلُ تفكيرها. مرارًا وتكرارًا، عادت إليها ذكرى احتضانه لها بينما كانت تشاهد السحب تنزلق عبر النافذة.

سألت نفسها مرارًا: «هل أنا مغرمة به؟» لكن من دون أن تتوصّل إلى أيّ جواب حاسم.

استغرق تداولها لهذا الموضوع أيّامًا، وسبّب عذابًا داخليًا لم تستطع أن تكشفه لماثيو أثناء سيرهما على شواطئ الرمل الأبيض، وهما يناقشان الاستياء والتوتّرات التي حلّت بينهما. نام ماثيو على أريكة غرفة المعيشة في الليل، بينما تمدّدت هي على السرير المزدوج المغطّى بالشبكة الواقية من البعوض في الطابق العلوي. كانا يتجادلان تارة وينسحبان طورًا خلف صمت مثقل بالألم والغضب. بينما ظلّ ماثيو يراقب هاتفها، ويسأل عن مكانه ويحمله ويتحقق منه. كانت تعلم أنّه كان يبحث عن رسائل أو مكالمات من رئيسها.

لكنّها لم تتلقَّ لا رسائل ولا مكالمات. من الواضح أنّ سترايك لم يكن راغبًا في التحدّث معها. وبدا لها أنّ العناق على الدرج، الذي ظلّت أفكارها تعود إليه مثلما يعود كلب إلى عمود إنارة بحثًا عن رائحةٍ فتنته، أثّر في دخيلته أقلّ بكثير ممّا أثّر في نفسها.

ليلة بعد ليلة، سارت روبن بمفردها على الشاطئ، تستمع إلى تنفّس البحر العميق، وذراعها المصابة تتصبّب عرقًا تحت الدعامة المطاطية الواقية، وقد تركت هاتفها في الفيلّا حتى لا يكون لماثيو أيّ عذر لتعقب أثرها ومعرفة ما إن كانت تتحدّث سرًّا مع سترايك.

لكن في الليلة السابعة، بعد أن عاد ماثيو إلى الفيلّا، قرّرت الاتّصال بسترايك. وكانت قد صاغت خطّة وإن لم تجرؤ على الاعتراف بذلك لنفسها. ففي الحانة هاتف مع خطّ أرضي، وهي تعرف رقم المكتب عن ظهر قلب، وتعرف أنّ الاتصال سيُحوَّل تلقائيًا إلى هاتف سترايك المحمول. كانت تجهل ما كانت ستقوله له عندما يرفع سمّاعة هاتفه، لكنّها كانت متأكّدة من أنّها ستتبيّن حقيقة مشاعرها تجاهه حين تسمع صوته.

عندما رنّ الهاتف في لندن البعيدة، جفّ فم روبن.

تمّ الردّ على الاتّصال إلّا أنّ أحدًا لم يتكلّم لبضع ثوان.

أنصتت فسمعت أصوات حركة، ثمّ قهقهة وأخيرًا تكلّمت امرأة:

«مرحباً؟ هنا خطّ كورمي الساخن».

عندما ارتفعت ضحكة المرأة الصاخبة، سمعت روبن صوت سترايك في مكان ما في الخلفية، يعتريه المرح والانزعاج في آن واحد، وكان ثملًا بدون شك:

«أعطيني هذا! هاتيه، بلا مزاح! هاتي الـ...».

أعادت روبن السمّاعة بضربة عنيفة إلى مكانها على جهاز الهاتف وأقفلت الخطّ. وتعرّق وجهها وصدرها. شعرت بالخجل والغباء والإذلال. كان مع امرأة أخرى. كان الضحك حميميًا بشكل لا لُبس فيه، وكانت الفتاة التي برفقته تعبث معه حين ردّت على هاتفه المحمول ونادته (يا له من أمر مقزز!).

«كورمي»!

قرّرت روبن على الفور أن تنكر أنّها اتّصلت به هاتفيًا إذا سألها عن تلك المكالمة المبتورة، وأنّها ستكذب بوقاحة وتتظاهر بأنّها لا تعرف عن أيّ مكالمة يتكلم...

شعرت روبن بضحكة تلك المرأة على الهاتف صفعةً قاسية. إن كان بإمكان سترايك أن يصطحب امرأةً إلى الفراش بعد وقت قصير من عناقهما يوم العرس، – وهي مستعدّة لأن تراهن بحياتها على أنّ الفتاة، أيًّا كانت، إمّا طارحت سترايك الغرام للتوّ، أو هي توشك على ذلك – فهذا يعني أنّه لم يكن جالسًا في لندن يتعذّب بسبب مشاعره الحقيقية حيال روبن إيلاكوت.

شعرت بالعطش بسبب الملح على شفتيها وهي تسير في الليل، وتحدث أخدودًا عميقًا في الرمال البيضاء الناعمة بينما تتكسّر الأمواج بجانبها إلى ما لا نهاية. وسألت نفسها، بعد أن هدأ بكاؤها أخيرًا: أليس من الممكن أن تكونَ الأمور اختلطت عليها بين مشاعر الامتنان والصداقة وبين شعور أعمق منهما؟ ألم تخلط بين حبّها للمحقّق وحبّها للرجل الذي فتح لها الطريق لامتهان تلك المهنة؟ لقد أعجبت بسترايك، بالطبع، وأحبّته حبًّا عميقًا وصادقًا. فقد مرّا بالكثير من المغامرات الخطرة معًا، لذلك كان من الطبيعي أن تشعر بأنّها قريبة منه، لكن هل هذا غرام؟

فيما كانت تسير وهي تحتضن ذراعها التي اشتدّ ألمها، وحيدة في الليل المنعش المليء بالبعوض الطنّان، بينما الأمواج تتنهّد على الشاطئ، أدركت روبن بحزن بأنّ خبرتها مع الرجال تكاد لا تُذكر بالنسبة إلى امرأة تقترب من ذكرى مولدها الثامنة والعشرين. فهي لم تعرف سوى ماثيو، شريكها الجنسيّ الوحيد، وملجؤها منذ سنوات عَشر طويلة. ولو أنّها فُتنت فعلًا بسترايك – استخدمت العبارة القديمة التي ربّما كانت والدتها ستستخدمها – أليس ذلك تأثيرًا جانبيًا طبيعيًا لنقص التنوّع والافتقار إلى التجربة التي تتمتّع بها معظم النساء في سنّها؟ لقد بقيت لفترة طويلة وفيّة لماثيو، أليس من الطبيعي أن ترفعَ رأسها في يوم من الأيّام وتتذكّر أنّ هناك حياة أخرى، وخيارات أخرى؟ ألم تتأخّر كثيرًا لتدرك أنّ ماثيو لم يكن الرجل الوحيد في العالم؟ قالت لنفسها إنّها كانت بكلّ بساطة تقضي القسم الأكبر من وقتها مع سترايك، وبالتالي كان من الطبيعي أن تُسقِط تساؤلاتها وفضولها وعدم رضاها عن ماثيو عليه.

بعد أن نجحت – كما كانت تعتقد – في ترويض ذلك الجزء منها الذي لا ينفك يتوق إلى سترايك، توصّلت إلى قرار صعب في مساء اليوم الثامن من شهر العسل. قررت أن تستعجل العودة إلى لندن حيث ستعلن هي وماثيو للعائلة انفصالهما. ستؤكد لماثيو أنّه لا علاقة لهذا القرار بأيّ شخص آخر، ولكنّها بعد تفكير أليم وعميق، اقتنعت بأنّهما غير متناغمين بما فيه الكفاية ليستمرّا في هذا الزواج.

لا تزال روبن تتذكّر شعورها بالذعر المختلط بالرهبة حين دفعت باب الكوخ لتفتحه وهي تستعدّ لشجار لم يتحقق قطّ. فقد وجدت ماثيو مستلقيًا على الأريكة وقد تمتم عندما رآها: «أمّي؟».

كان وجهه وذراعاه وساقاه تلمع من العرق. وفيما توجّهت نحوه، رأت أثرًا أسودَ قبيحًا لأوردته داخل ذراعه اليسرى، وكأنّ أحدهم قد ملأها بالحبر.

– مات؟

عندما سمع صوتها أدرك أنّها ليست والدته المتوفّاة.

– لست... بخير يا روب...

هرعت نحو الهاتف، اتّصلت بالفندق، وطلبت طبيبًا. عندما وصل الطبيب كان ماثيو يعاني نوبات من الهذيان. وجدوا على ظهر يده خدشًا أقلقهم، واستنتجوا أنّه قد يكون مصابًا بالتهاب النسيج الخلوي. قدّرت روبن أنّ الأمر خطر بالنظر إلى وجهَي الطبيب والممرّضة القلقين أمام هلوسات ماثيو الذي ظلّ يكرّر لروبن السؤال:

– من هذا؟ من ذا الذي يقف هناك؟

– لا أحد هناك يا مات.

أجابته وهي تمسك بيده بينما يناقش الطبيب والممرّضة مسألة نقله إلى المستشفى.

– لا تتركيني، يا روب.

– لن أتركك.

قصدت أنّها لن تذهب إلى أيّ مكان في الوقت الحالي، لا أنّها ستبقى إلى الأبد، لكنّ ماثيو بدأ يبكي.

– الحمد لله. ظننت أنّك سترحلين... أحبّك يا روب. أعرف أنّني أخفقت كثيرًا، لكنّي أحبّك...

أعطى الطبيب ماثيو مضادّات حيوية عن طريق الفم وذهب لإجراء بعض المكالمات الهاتفية. تمسّك ماثيو وهو يهذي بزوجته وشكرها. لعدة مرّات، انجرف مجدّدًا إلى حالة تحمله على الاعتقاد بأنّه يرى الظلال تتحرّك في الزوايا الشاغرة من الغرفة، كما أنّه تمتم مرّتين أخريين بشأن والدته المتوفّاة.

في ظلام الليل الاستوائي المخملي، كانت روبن تصغي وحيدة إلى الحشرات المجنّحة تصطدم بحواجز النوافذ، وهي تهتمّ بالرجل الذي أحبّته منذ أن كانت في السابعة عشرة من عمرها، وتطمئنه.

لم يكن ما أصاب ماثيو التهابًا في النسيج الخلوي. فقد استجابت العدوى للمضادّات الحيوية خلال الساعات الأربع والعشرين التالية. وبينما كان يتعافى من المرض العنيف المفاجئ، كان يرمقها باستمرار وبدا لها أكثرَ ضعفًا من أيّ وقت مضى، وشعرت أنّه يخشى أن يكون وعدها بالبقاء مؤقتًا.

سألها بصوت أجشّ من السرير الذي أصرّ الطبيب على أن يلازمه:

– لا يمكننا ضرب كلّ شيء بعرض الحائط، أليس كذلك؟ تلك السنوات كلها؟

تركته يتكلم عن الأوقات الجميلة التي قضياها معًا، مستدعيةً في ذهنها صوت الفتاة الضاحكة التي نادت سترايك «كورمي». تخيّلت أنّها ستعود إلى الديار وتطلب فسخ الزواج لأنّه لم يتمّ بعد. وتذكّرت الأموال التي أنفقها والداها على ذلك الزفاف الذي كرهته.

في باحة الكنيسة، حلّق النحل فوق الورود المحيطة بروبن فيما تساءلت، للمرّة الألف، أين كان من الممكن أن تكون الآن لو لم يخدش ماثيو نفسه بالشعب المرجانية؟ فمعظم جلساتِ العلاج الذي وضعت له حدًّا للتوّ كانت مشحونة بحاجتها للتحدّث عن الشكوك التي تلازمها منذ أن وافقت على البقاء متزوّجة.

في الأشهر التي تلت ذلك، وخاصّة في المرحلة التي كانت هي وماثيو متّفقين فيها على نحو مقبول، بدا لها أنّها فعلت الصواب عندما منحت الزواج فرصة عادلة، إلّا أنّ حقيقة كونه محاولةً وحسب ظلّت مسألة لم تقوَ على تخطّيها، وهذا في حدّ ذاته كان يقضّ مضجعها، ويمنعها من النوم ليلًا، وهي تجلد ذاتها على فشلها الذريع وكيف أنها عجزت عن استعادة حرّيتها بمجرّد أن تعافى ماثيو.

لم تشرح يومًا لسترايك ما حدث، أو لماذا وافقت على محاولة الحفاظ على زواجها. ربّما كان هذا هو سبب تباعدهما والفتور الذي خيّم على

صداقتهما. فبعد عودتها من شهر العسل، لاحظت أنّه تغيّر تجاهها، وأنّها هي أيضًا، ربّما، كما اعترفت لنفسها، قد تغيّرت تجاهه بعد ما سمعته على الخطّ عندما اتّصلت، يائسة، من الحانة في جزر المالديف.

«ما زلت تتمسّكين به، إذًا، ها؟» كان قد قال لها بنبرة حادّة بعد إلقاء نظرة خاطفة على الخاتم في إصبعها.

ضايقتها نبرته، كما أزعجها عدم سؤاله عن سبب محاولتها الإبقاء على زواجها، وعدم سؤالِهِ عن حياتها المنزلية قطّ، منذ تلك اللحظة فصاعدًا، وكيف أنّه لم يلمّح إطلاقًا إلى أنّه ما يزالُ يتذكّر العناق على الدرج.

سواء كان ذلك بترتيبٍ من سترايك أم لا، لم يعملا معًا على قضيّة جديدة بعد قضيّة سفّاح شاكلويل. وقد حذت روبن حذو شريكها الأكثر خبرة منها، وحصرت حركتها في جوّ بارد من الاحتراف المهنيّ.

لكنّها كانت تخشى في بعض الأحيان من أن تكون فقدت تقديره لها خلافًا لما كان عليهِ الأمرُ في الماضي، الآن بعدما أثبتت أنّها تقليدية وجبانة. كان قد جرى بينهما حديث مزعج قبل بضعة أشهر اقترح فيه عليها أن تأخذ إجازة، وسألها عمّا إن كانت تشعر بأنّها تعافت تمامًا من هجوم السفّاح عليها بالسكّين أم بعد. إلّا أنّها شعرت بالاستياء من هذا السؤال، فقد بدا لها كأنّ سترايك يُشكّك في شجاعتها، وخشيت أن تجد نفسها مهمّشة مرّة أخرى، فتفقد الجزء الوحيد من حياتها الذي كانت تجده مُرضيًا في الوقت الحالي. أجابته يومها أنّها بخير تمامًا وضاعفت جهودها المهنية.

رجّ الهاتف المحمول الصامت في حقيبتها، فأدخلت يدها فيها وألقت نظرة لترى من المتّصل.

«سترايك».

ولاحظت أيضًا أنّه اتّصل في وقت سابق، بينما كانت تودّع بفرح عبادة «فيليبه تراست».

قالت له:

– مرحبًا. فاتني اتّصالك من قبل، أنا آسفة.

– لا بأس. هل جرى الانتقال إلى المنزل الجديد بطريقة جيدة؟

ردّت:

– أجل.

– أردت فقط أن أخبرك أنّي وظّفت محققًا جديدًا. اسمه سام باركلي.

قالت روبن وهي تشاهد ذبابة تتلألأ على وردة سمينة زهرية اللون:

– رائع. أين اكتسب خبرته؟

– في الجيش.

– في الشرطة العسكرية؟

– آه... ليس تمامًا.

عندما روى لها قصّة سام باركلي، وجدت نفسها تبتسم تلقائيًا.

– إذًا، لقد وظفت رسّامًا ومُصمّمًا يدخّن الحشيش؟

صحّح لها سترايك:

– يتنشّق، يتنشّق دخانه وحسب.

وعلمت أنّه كان يبتسم أيضًا.

– إنّه يحاول الإقلاع. فقد رزق بطفل قبل مدّة قصيرة.

– حسنًا، إنّه يبدو... مثيرًا للاهتمام.

انتظرت، لكن سترايك لم يُحر جوابًا.

فقالت:

– أراك ليلة السبت، إذًا.

كانت روبن قد شعرت بأنّها مجبرة على دعوة سترايك إلى حفل افتتاح منزلهما هي وماثيو، لأنّها قد دعت مساعدهما في التحرّي الأكثر انتظامًا وموثوقية، آندي هاتشينز، فشعرت بأنّه سيكون من الغريب ألّا تدعوه، كما فوجئت عندما قبل الدعوة.

– أجل، أراك يوم السبت.

ثمّ سألته:

– هل لورلاي قادمة؟ فيما تجهدُ لتبدو نبرتها طبيعية، إلّا أنّها لم تكن واثقة من أنّها نجحت في ذلك.

وخيّل إلى سترايك، من وسط لندن حيث كان، أنّه لاحظ بعض السخرية في السؤال كما لو أنّها كانت تحثّه على الاعتراف بأنّ صديقته تحملُ اسمًا مضحكًا. لو كانا في زمنٍ آخرَ لأجابها بسخرية مماثلة وسألها عن مشكلتها تجاه اسم «لورلاي»، واستمتع بالتشاجر اللعوب معها، لكنّ هذا قد يرمي به في منطقة خطرة.

– أجل، إنّها قادمة. كانت الدعوة لكلينا.

فقالت روبن على عجل:

– أجل، بالطبع. حسنًا، إلى اللقاء.

فاستمهلها سترايك:

– انتظري!

كان وحده في المكتب، فقد أرسل دنيز إلى المنزل باكرًا. ولم ترغب الموظفة المؤقتة في المغادرة بدايةً لأنّها تتقاضى أجرها بحسب ساعات عملها، ولم توافق على الرحيل إلّا بعد أن أكّد لها أنّه سيدفعُ لها أجرها ليومٍ كامل، فجمعت ممتلكاتها كلها بدون أن تتوقف عن الكلام ورحلت.

قال سترايك:

– حدث أمر غريب بعد ظهر هذا اليوم.

فأنصتت إليهِ باهتمامٍ من دون مقاطعة، وهو يسردُ على مسامعها روايته المفعمة بالحيوية عن زيارة بيلي القصيرة. وعندما فرغَ من سرد ما حدث، كانت قد نسيت قلقها بشأن فتوره معها.

في الواقع، بدا الآن كما كان في العام الماضي.

ثمّ تابع وهو ينظر إلى السماء الصافية من النافذة، قائلًا:

– ما لا شك فيه أنّه مريض عقليًا. وقد يكون ذهانيًا.

– نعم، لكن...

– أعرف. والتقط الدفتر الصغير الذي مزق منه بيلي عنوانهُ نصف المكتوب وأخذ يدوّره في يده بدون تركيز.

– هل هو مريض عقليًا، وبالتالي يظنّ أنّه رأى طفلة تتعرّض للخنق؟ أم أنه مريضٌ عقلي رأى بالفعل طفلة تتعرّض للخنق؟

صمت كلّ منهما لفترة وجيزة فيما يحلّل ذهنيًا جميع نواحي قصّة بيلي، عالمًا أنّ الآخر يفعل ذلك أيضًا. انتهت فترة التفكير المشترك القصيرة هذه فجأة عندما ظهرَ كلب كوكر سبانيل وأخذ يشمّ الورود فلم تلتفت إليه إلى أن وضعَ أنفه البارد دون سابق إنذار على ركبتها العارية فصرخت.

– ما هذا بحق السماء؟

– لا شيء، إنّه كلب.

– أين أنتِ؟

– في مقبرة.

– ماذا؟ لماذا؟

– أستكشف المنطقة ليس إلّا. ثمّ قالت وهي تقف: من الأفضل أن أعود إلى المنزل. ما زال لديّ قطعة أثاث مفكّكة في صندوق تنتظرني في المنزل.

فقال سترايك وقد استعاد نبرته الجافّة:

– أنتِ على حق، أراك يوم السبت.

وقال صاحب الكوكر سبانيل المسنّ لروبن:

– أنا آسف جدًا، فيما كانت تعيد هاتفها المحمول إلى حقيبتها. هل تخافين من الكلاب؟

فأجابته وهي تبتسم وتربّت رأس الكلب الذهبيّ الناعم:

– كلا، لا أخافها على الإطلاق. لكنّه فاجأني.

أثناء طريقِ عودتها نحو منزلها الجديد وبعد أن تجاوزت الجمجمتين العملاقتين، فكّرت روبن في بيلي، الذي وصفه لها سترايك بوضوح كبير إلى حدٍّ شعرت معهُ وكأنّها قابلته هي أيضًا.

كانت روبن منغمسة بعمق في أفكارها، ولأول مرّة منذ أسبوع، نسيت أن تلقي نظرة على حانة «البجعة البيضاء» عندما مرّت بالقرب منها. هناك حيث، على ارتفاع كبير فوق الشارع، عند زاوية المبنى تحديدًا، نُحتت بجعة واحدة، تعيدُ إلى ذهنها، كلّما مرّت بها، ذكرى يوم زفافها المأساوي.

4

لكن ماذا تقترح أن تفعل في المدينة إذًا؟

هنريك إبسن، روسميرشولم

وضع سترايك، الذي يبعد مسافة ستة أميال ونصف من مكان روبن، هاتفه المحمول على مكتبه وأشعل سيجارة. كان اهتمام روبن بقصّته مريحًا إثر تلك المقابلة التي خاضها بعد نصف ساعة من فرار بيلي، إذ بدا الشرطيان اللذان استجابا لنداء دنيز مستمتعين بفرصتهما لجعل كورموران سترايك الشهير يعترف بضعفه، وأخذا يماطلان في التحقيق عندما تأكّدا من أنّه لم ينجح في اكتشاف شهرة بيلي المصاب بالذهان على الأرجح، ولا عنوانه.

ضربت شمس نهاية الأصيل على المفكّرة فوقَ مكتبه، من زاوية كشفت عن فجوات طفيفة عليها. ألقى سترايك سيجارته في منفضة سرقها قبل زمن طويل من حانة ألمانية، والتقط المفكّرة وأمالها إلى جهة، ثمّ إلى الجهة الثانية، في محاولة لتبيّنِ الحروف التي شكّلتها الانطباعات، ثمّ التقط قلمًا رصاصيًا وخربش بخفّة ليظلّلها. سرعان ما ظهرت أحرف كبيرة مخطوطة بشكل سيّئ، تشيرُ بوضوح إلى كلمتَيْ «شارلمونت رود». ضغط بيلي على رقم المنزل أو الشقة ضغطًا أخفَ مما فعل على أحرف اسم الشارع. وأشار أحد الأحرف الخفيفة إمّا إلى الرقم خمسة أو إلى الرقم ثمانية غير مكتمل، لكن التباعد بين الرقم واسم الشارع يشير إلى وجود أكثر من رقم واحد، أو ربّما إلى حرف.

إنّ استمتاع سترايك غير القابل للشفاء بالوصول إلى معرفة حقيقة الأمور المحيّرة يسبّب له الإزعاج كما يسبّبه للآخرين تمامًا. وعلى الرغم من أنّه كانَ يشعر بالتعب والجوع، وأنّه كان قد أرسل سكرتيرته المؤقتة إلى منزلها حتى يتمكّن من إغلاق المكتب، اقتلع الورقة التي تحمل اسم الشارع من المفكّرة وتوجّه إلى غرفة الاستقبال، حيث أعاد تشغيل الحاسوب.

تكثر الشوارع التي تحمل اسم شارلمونت رود في المملكة المتحدة، ولكن بافتراض أنّ من غير المحتمل أن يكون لدى بيلي القدرة على السفر لمسافة بعيدة جدًا، اشتبه سترايك في أنّ الشارع الموجود في إيست هام قد يكون هو المقصود. أظهرت السجلّات على الإنترنت أنّ شخصين يُدعيان ويليامز يعيشان هناك، إلّا أنّ كليهما تجاوز الستين من العمر. تذكّر أنّ بيلي كان خائفًا من ذهابه إلى «منزل جيمي». بحث عن اسم جيمي، ثمّ جيمز، فوصل إلى معلومات عن جيمز فارادي، البالغ من العمر 49 عامًا.

دوّن سترايك عنوان فارادي تحت خربشة بيلي المحفورة، على الرغم من عدم ثقته على الإطلاق بأنّ فارادي هو الرجل الذي يبحث عنه. فأوّلًا، لم يحتو رقم منزله على الرقم خمسة أو ثمانية، وثانيًا، افترض من اتّساخ بيلي الشديد أنّ من يقيم معه لا يمانع إلى حدّ ما إهماله لنظافته الشخصية. غير أنّ فارادي يقيم مع زوجته وفتاتين هما ابنتاه على الأرجح.

أطفأ سترايك الحاسوب، لكنّه استمرّ في التحديق بتجرّد في الشاشة المظلمة، والتفكير في قصّة بيلي. وظلت مسألة البطّانية الزهرية اللون تراوده. فقد بدت تفصيلًا بالغ الدقة، لا يتماشى مع الوهم الذهاني.

تذكّر أنّ عليه أن يستيقظ باكرًا في الصباح ليقوم بتحقيق مدفوع الأجر، فوقف. وقبل أن يغادر المكتب، وضع قطعة الورق التي تحمل انطباعات خطّ بيلي وعنوان فارادي في محفظته.

كانت لندن، التي احتفلت أخيرًا بيوبيل الملكة الماسي، تستعدّ لاستضافة الألعاب الأولمبية. وانتشر علم المملكة المتحدة وشعارات الألعاب الأولمبية لعام 2012 في كلّ مكان – على اللافتات، والبيارق، والرايات، وسلاسل المفاتيح، والأكواب والمظلّات – فيما تكوّمت البضائع الأولمبية

في واجهات ونوافذ جميع المتاجر تقريبًا. في رأي سترايك، كان الشعار يشبه شظايا زجاجٍ فلوري جُمعت عشوائياً، ولم يحبّ إطلاقًا التميمتين الرسميتين اللتين بدتا له كضرسين لكلٍّ منهما عين واحدة. خيّمت على العاصمة مسحة من الإثارة والتوتّر تعود، بدون شك، إلى الهلع البريطاني الدائم من أن تجعل الأمّة من نفسها أضحوكة. أمّا الشكاوى بشأن عدم توفر تذاكر لحضور الألعاب، فقد شكّلت الموضوع الأهمّ في جميع الأحاديث، مع تسخّط مَن تقدموا إلى اليانصيب الوطني، الذي كان من المفترض أن يمنح الجميع فرصة عادلة ومتساوية لمشاهدة المباريات مباشرة، ولم يحالفهم الحظ. لم يتمكّن سترايك، الذي أمل أن يحضر بعض مباريات الملاكمة، من الحصول على تذاكر، لكنّه ضحك ملء رئتيه عندما عرض عليه صديقه نيك من المدرسة أن يأخذ بطاقات مباريات الترويض، التي فرحت زوجته فرحة غامرة بالحصول عليها.

بقي شارع هارلي، حيث كان من المقرّر أن يقضي سترايك يوم الجمعة في مراقبة جرّاح التجميل، بمنأى من الحمّى الأولمبية. وقدّمت الواجهات الفيكتورية الفخمة مظهرها الوقور المعتاد، دون أن تشوّهها الشعارات المبهرجة أو الأعلام.

تمركز سترايك، الذي كان يرتدي أفضل بدلاته الإيطالية لهذه المهمّة، بالقرب من مدخل المبنى المقابل، وتظاهر بأنّه يتحدّث على هاتفه المحمول، إلّا أنّه في الواقع كانَ يراقب مدخل عيادة باهظة الثمن يملكها شريكان، كان أحدهما عميله.

كان «الطبيب المتحايل» كما لقّب سترايك الرجل الذي يراقبه، إسمًا على مسمّى. قد يكون عدل عن سلوكه غير الأخلاقي بدافع الخوف من شريكه، بعد أن واجهه هذا الأخير عندما أدرك أنّه أجرى أخيرًا عمليتَيْ تكبير للثدي لم تُذكرا في دفاتر حسابات الشركة، ما دفع بالشريك الأكبر للذهاب إلى سترايك وقد اشتبه في أسوأ من ذلك، طالبًا إليه المساعدة.

قال له الجرّاح ذو الشعر الأبيض: «كان تبريره واهنًا ومليئًا بالثغرات. وكان يبدو ثابتًا لكنّه لا يبعث على الاطمئنان، ولطالما كان... آه... زير نساء. تحققت من المواقع التي يزورها على الإنترنت قبل مواجهته ووجدت موقعًا

تطلب فيه الفتيات مساهمات نقدية من أجل عملياتهنّ التجميلية، مقابل نشرهنّ صورًا فاضحة. وأخشى... لا أعرف... ولكنّه ربّما أجرى ترتيبًا مع أولئك النساء لم يكن... نقديًا. طُلب من شابّتين الاتصال برقم لم أتعرّف إليه، ولكن اقتُرح عليهما إجراء عملية جراحية مجّانًا مقابل «تدبير حصري».

حتى الآن، لم يرصد سترايك «المتحايل» في لقاء مع أيّ امرأة خارج ساعات عمله المعتادة. فهو يقضي أيّام الاثنين والجمعة في عيادته في شارع هارلي وفي منتصف الأسبوع في المستشفى الخاصّ حيث يجري عملياته الجراحية. في كلّ مرّة اقتفى سترايك أثره خارج أمكنة عمله، كان يمشي لمسافات قصيرة لشراء الشوكولاتة التي بدا أنّه يدمنها، ويعود ليلًا بسيّارته البنتلي إلى منزله حيث تنتظره زوجته وأولاده في جيراردس كروس، بينما يتبعه سترايك في سيّارته البي أم دبليو الزرقاء القديمة. هذه الليلة، سيحضر الجرّاحان عشاء الكليّة الملكية للجرّاحين مع زوجتيهما، لذلك ترك سترايك سيّارته البي أم دبليو في مرأبها الباهظ الثمن. مرّت الساعات بطيئة، واهتمام سترايك ينصبّ في الغالب على رفع وزنه عن طرفه الاصطناعي بانتظام بينما يتّكئ على السور أو عدّادات وقوف السيّارات أو مداخل الأبنية. ضغط عدد قليل ومنتظم من السيّدات على جرس باب «المتحايل» ودخلن الواحدة تلو الأخرى. جميعهنّ إناث ومعظمهنّ أنيقات يظهر عليهنّ اعتناؤهنّ بأنفسهنّ. في الساعة الخامسة، رجّ هاتف سترايك المحمول في جيب صدره ورأى رسالة نصّية من موكّله.

«يمكنك الرحيل، أوشكُ على المغادرة معه إلى دورتشستر».

بعكس الأمر الذي تلقّاه، بقي سترايك مكانه، وشاهد الشريكين يغادران المبنى بعد حوالي خمس عشرة دقيقة. موكّله طويل وأبيض الشعر؛ و«المتحايل» رجل أنيق ذو بشرة زيتونية اللون وشعر أسود لامع، يرتدي بذلة من ثلاث قطع. شاهدهما يركبان سيّارة أجرة ويغادران، فتثاءب وتمطّى وفكّر في العودة إلى المنزل، ربّما بعد أن يشتري وجبة طعام جاهزة.

أخذ سترايك رغمًا عنه تقريبًا محفظته واستخرج منها قطعة الورق المجعّدة التي تمكّن من الكشف بها عن اسم شارع بيلي.

طوال اليوم، في جزء خلفي من ذهنه، كان يفترض إمكانية الذهاب إلى شارع شارلمونت بحثًا عن بيلي إذا غادر الطبيب «المتحايل» عمله باكرًا، لكنّه كان متعبًا وساقه تؤلمه. لو علمت لوريلاي أنّه حرّ هذا المساء، لتوقعت أن يتّصل بها. لكنّهما ذاهبان إلى حفل تدشين منزل روبن معًا غدًا مساءً، وإذا أمضى الليلة عندها، فسيصعب عليه أن يتملّص من ذلك غدًا، بعد الحفل. لم يسبق له إطلاقًا أن قضى ليلتين متتاليتين في شقة لوريلاي، حتى عندما سنحت له الفرصة بذلك، إذ إنّه يحرص على أن يضع قيودًا على حقوقها بشأن الوقت الذي يقضيه معها.

نظر سترايك إلى سماء يونيو كما لو أنّه يأمل أن يثنيه الطقس عن مشروعه، وتنهّد. فالسماء صافية ومثالية، لكنّ مكتبه يكتظ بالقضايا لدرجة أنّه يجهل متى سيحظى ببضع ساعات من الحرّية. إذا أراد زيارة شارع شارلمونت، فلا بدّ من أن يفعل ذلك الليلة.

5

يمكنني أن أفهم تمامًا رعبك من الاجتماعات العامّة و... من الرعاع الذين يتردّدون عليها.

هنريك إبسن، روسميرشولم

تزامنت رحلة سترايك مع ساعة الذروة، فاحتاج إلى أكثر من ساعة للانتقال من هارلي ستريت إلى إيست هام. بحلول الوقت الذي حدّد فيه موقع شارع شارلمونت، كان جذعه يؤلمه، ومنظر الشارع السكني الطويل جعله يندم لأنّه لم يكن من الذين يمكنهم ببساطة استبعاد بيلي، متذرّعًا بأنّه يعاني حالة ذهان.

تنوّعت المنازل بمظاهرها: كان بعضها من الطّوب العاري، والبعض الآخر مطليًا أو مرصوفًا بالحصى. ورفرفت الأعلام الوطنية على النوافذ كدليل آخر على الحمّى الأولمبية أو ربّما كانت من آثار اليوبيل الملكي. أمّا قطع الأراضي الصغيرة المنبسطة أمام المنازل فمنها ما تحوّل إلى حدائق صغيرة ومنها إلى مكبّات للخردة، حسب ما يفضّله أصحابها. في منتصف الطريق، رُميت فرشة قديمة قذرة وتُركت لمن يريدها.

اللمحة الأولى على مسكن جيمس فارادي لم تثر في خاطره شعورًا بالأمل في أن يكون وصل إلى نهاية الرحلة، لأنّه كان أحد المنازل الذي حظي

بأفضل عناية في الشارع. وقد أضيفت شرفة صغيرة يزيّنها الزجاج الملوّن أمام باب المدخل الأمامي، وعُلّقت ستائر شبكية مزركشة على كلّ نافذة، ولمع صندوق الرسائل النحاسي تحت أشعّة الشمس. ضغط سترايك على جرس الباب البلاستيكي وانتظر.

بعد انتظار قصير، فتحت امرأة متوتّرة الباب، وانطلق قطّ مُخطّط فضّي اللون إلى الخارج، يبدو أنّه كان ينتظر هذه الفرصة للهروب، ملفوفًا على نفسه خلف الباب. علا وجه المرأة المقطّب بطريقة غريبة فوق مئزر طُبعت عليه صورة شخصية من برنامج صور متحرّكة يحمل اسم... «الحب هو..» وخرجت من المنزل رائحة قويّة من اللحم المطهوّ.

قال سترايك:

– مرحبًا، وقد سال لعابه في فمه بسبب الرائحة. أجهل ما إن كنت تستطيعين مساعدتي، أبحث عن بيلي.

– أخطأت العنوان، ما من أحد يدعى بيلي هنا.

وهمّت بإغلاق الباب.

فقال سترايك:

– قال إنّه يقيم مع جيمي. فيما ضاقت فتحة الباب.

– أيضًا لا أحد هنا يدعى جيمي.

– آسف، ظننت أنّ شخصًا ما يُدعى جيمس...

– لا أحد يدعوه جيمي. لقد أخطأت المنزل. وأغلقت الباب.

نظر كلّ من سترايك والقطّ المنقّط الفضّي إلى الآخر؛ وكانت النظرة التي سدّدها القطّ إليه محقّرة، قبل أن يتمدّد على السجّادة ويبدأ بتنظيف نفسه متجاهلًا سترايك نهائيًا.

عاد سترايك إلى الرصيف، حيث أشعل سيجارة ونظر إلى أعلى الشارع ثم إلى أسفله. حسب تقديره، ثمة مئتي منزل في شارع شارلمونت. كم من الوقت سيستغرق قرع باب كلٍّ منها؟ سيتطلّب ذلك وقتًا أطول من الذي يتوفر له هذا المساء، للأسف، بل أطول ممّا سيتسنّى له في أيّ وقت قريب. استمرّ في المشي، محبطًا يزداد ألمه مع كلّ خطوة، ينظر من خلال النوافذ

ويفحص المارّة، بحثًا عن شبيه بالرجل الذي التقى به في اليوم السابق. مرّتين، سأل شخصين أحدهما يدخل والثاني يغادر منزله عمّا إن كانا يعرفان «جيمي وبيلي»، اللذين ادّعى أنّه فقد عنوانهما. أجاب كلاهما بالنفي.

استمرّ سترايك محاولًا ألّا يعرج.

وصل أخيرًا إلى مجموعة من المنازل تمّ شراؤها وتحويلها إلى شقق. اصطفّت أبواب المداخل العديدة زوجًا زوجًا، بطريقةٍ تُظهرُها جنبًا إلى جنب، وصُبّت الخرسانة على قطع الأرض المُترامية أمام المنازل.

تمهّل سترايك. عُلقت ورقة ممزّقة من حجم A-4 على أحد أكثر الأبواب رداءة، كان طلاؤه الأبيض يتقشّر منه وقاده طيفُ اهتمامٍ خافت ومألوف ما كان ليصفه بـ«الحدس»، إلى الباب.

نصّت الرسالة المخربشة على النحو التالي:

نُقل اجتماع السابعة والنصف من الحانة إلى مركز وال البلدي في شارع فيكاردج في نهاية الشارع، انعطف إلى اليسار.
جيمي نايت

رفع سترايك الورقة بإصبعه، ورأى رقم منزل ينتهي بالرقم خمسة، ثمّ أعادها إلى مكانها وتحرّك للنظر عبر نافذة الطابق السفلي التي يكسوها الغبار.

ثُبّتت ملاءة سرير قديمة أمام النافذة لحجب أشعّة الشمس، لكنّ أحد أطرافها سقط. رأى سترايك، وهو طويل بما يكفي للتحديق من خلال الجزء المكشوف من الزجاج، جزءًا من الغرفة الفارغة يحتوي على أريكة سرير مفتوحة عليها لحاف ملطّخ، وكومة من الملابس في الزاوية وتلفزيون محمول رُفع على صندوق من الورق المقوّى. وغطّى السجّادة عدد كبير من عبوات الجعة الفارغة والمنافض المليئة بأعقاب السجائر. بدا الأمر واعدًا. عاد إلى باب المدخل المتقشّر وطرق الباب بقبضته العريضة.

لم يجب أحد ولم يسمع سترايك أيّ صوت أو جلبة داخل المنزل. تحقق مجدّدًا من الرسالة المعلقة على الباب ثمّ رحل. وما إن انعطف يسارًا

في شارع فيكارادج لين، حتى شاهد المركز الاجتماعي أمامه تمامًا، وعلى واجهته مكتوب «ذي ويل» بوضوح بأحرف البليكسي غلاس اللامعة.

وقف رجل مسنّ يعتمر قبّعة ماو وله لحية رمادية ناعمة خارج الأبواب الزجاجية، حاملًا رزمة من المنشورات في يده. عندما اقترب سترايك، نظر إليه الرجل، الذي كان قميصه يحمل صورة باهتة لوجه تشي غيفارا، نظرة ريبة. فعلى الرغم من أنّ سترايك نزع ربطة عنقه، ظلّت بذلته الإيطالية تعطي انطباعًا رسميًا لا يتوافق مع الجوّ العامّ في الحيّ. عندما اتّضح لحامل المناشير أنّ سترايك يقصد المركز الاجتماعي، قام بخطوة جانبية لمنعه من الدخول.

قال له سترايك: «أعلم أنّني تأخرت، لكنّني اكتشفت للتوّ أنّهم غيّروا مكان الاجتماع».

بدا أنّ ثقته بنفسه، وحجمه أيضًا، قد أربكا الرجل الذي يعتمر قبّعة ماو، ولكن، بدا أيضًا أنّ ذلك الرجل يعتبر أنّ الاستسلام الفوريّ أمام رجل يرتدي بذلة ليس من شيمه.

سأله: «من تمثّل؟».

كان سترايك قد ألقى نظرة سريعة على الكلمات ذات الأحرف الكبيرة التي ظهرت على المنشورات التي يمسكها الرجل على صدره: المعارضة – العصيان – الاضطراب، وأيضًا، بمفارقة غريبة، «الحدائق المجتمعية». ورأى أيضًا رسمة كاريكاتور غير متقنة لخمسة رجال أعمال يعانون السمنة المفرطة يدخّنون السيجار فيشكّل الدخان المتصاعد الحلقات الأولمبية.

قال سترايك: «أبي، إنّه يخشى أن يصبّوا الإسمنت على حديقته المجتمعية».

قال الرجل الملتحي: «آه». وتنحّى جانبًا.

سحب سترايك منشورًا من يده ودخل المركز الاجتماعي.

لم يرَ أحدًا في المكان سوى امرأة ذات شعر رمادي أصولها من الهند الغربية، تنظر من خلال باب داخلي كانت قد شقّته شبرًا واحدًا. كان بإمكان سترايك أن يسمع صوت امرأة في الغرفة خلفها استصعب تمييز كلماتها، لكنّه علم من الإيقاع أنّها تلقي خطبة. استدارت المرأة بعدما أحسّت أنّ شخصًا ما

يقف خلفها مباشرة. ويبدو أنّ مشهد بذلة سترايك أثّر فيها بعكس ما أثّر في الرجل الملتحي الواقف عند الباب.

وهمست: «هل أنت من الألعاب الأولمبية؟» فأجابها سترايك: «كلا، أنا مهتمّ بما يجري فقط».

ففتحت الباب لتسمح له بالدخول.

جلس نحو أربعين شخصًا على كراسيّ بلاستيكية. أخذ سترايك أقرب مقعد شاغر ومسح الرؤوس أمامه بحثًا عن شعر بيلي الكثيف الذي يصل إلى كتفيه.

في المقدّمة، وُضعت طاولة للذين يريدون إلقاء الخطب، وأخذت امرأة شابّة تسير أمامها ذهابًا وإيابًا وهي تخاطب الجمهور. شعرها المصبوغ باللون الأحمر الزاهي ذكّر سترايك بكوكو، خليلته لليلة واحدة التي صعب عليه التخلص منها. كانت خطبتها تتألف من سلسلة من الجمل غير المكتملة، وكانت تضيع أحيانًا في الجمل الثانوية وتنسى لفظ حرف الهاء. شعر سترايك بأنّها كانت تتحدّث منذ مدّة طويلة.

«... فكّروا في المُحتلين والفنانين الذين يتعرّضون جميعًا – لأنّ هذا مجتمع بكلّ معنى الكلمة، أليس كذلك؟ وبعد ذلك يأتون حاملين ما يشبه الألواح، فيقولون، اخرجوا إن كنتم تعرفون مصلحتكم، نهاية جميلة لـ...، أليس كذلك؟ قوانين قمعية، إنّه حصان طروادة – إنّها حملة منسّقة، مثل...».

بدا نصف الجمهور كأنّهم من الطلاب. ومن بين الأعضاء الأكبر سنًّا، رأى سترايك رجالًا ونساءً وضعَهم في خانة المعارضين الملتزمين، بعضهم يرتدي قمصانًا عليها شعارات يسارية على غرار صديقه الواقف أمام الباب. هنا وهناك رأى أشخاصاً خمّن أنّهم أفراد عاديون في المجتمع لم يتقبّلوا وصول الألعاب الأولمبية إلى شرق لندن: فنّانون يقيمون ربّما في منازل احتلّوها بوضع اليد، وزوجان مسنّان يتهامسان، قدّر سترايك أنهما قد يكونان قلقين فعلًا بشأن حديقتهما المجتمعيّة. كانت مشاهدتهما تلخّص مواقف التحمّل الوديع لمن يجلسون في كنيسة، وخمّن من خلال انطباعاته عنهما، أنّهما اتفقاعلى أنّهما لن يغادرا بدون لفت الانتباه إليهما. كان أيضًا ثمة فتًى

أحدث في جسمه ثقوبًا كثيرة وغطّاه بالوشوم ذات الطابع الرافض للسلطة، ينظف أسنانه محدثًا أصواتًا مسموعة.

خلف الفتاة التي تتكلم، جلس ثلاثة آخرون: امرأة أكبر سنًّا ورجلان كانا يتحدّثان بهدوء معًا. أحدهما في الستين من عمره على الأقلّ، جسيم ومربّع الذقن، له مظهر الرجل المشاكس الذي قضى وقته في صفوف الاعتصامات وفي المواجهات الناجحة مع إدارة عنيدة. شيء ما حول عينيه الدكناوين الغائرتين جعل سترايك يعاين المنشور في يده، باحثًا عن تأكيد لاشتباهه الفوري.

مجلس معارضة الألعاب الأولمبية

15 يونيو 2012

السابعة والنصف مساءً، حانة وايت هورس في إيست هام إي 6 6 إي جي

الخطباء:

ليليان سويتينغ، الحفاظ على البرّية، شرق لندن

والتر فريت: تحالف العمّال/ناشط في مجلس معارضة الألعاب الأولمبية

فليك بورديو: ناشطة لمكافحة الفقر /ناشطة في مجلس معارضة الألعاب الأولمبية

جيمي نايت: الحزب الاشتراكي الحقيقي/منظّم في مجلس معارضة الألعاب الأولمبية

على الرغم من لحيته الكثيفة ومظهره القذر العامّ، لم يكن الرجل ذو العينين الغائرتين بقذارة بيلي. وبالتأكيد قد قصّ شعره خلال الأشهر القليلة الماضية. بدا في منتصف الثلاثينيات من عمره، وبينما كان وجهه أكثر تربيعًا وعضلاته أكثر نموًّا من زائر سترايك، كان يملك الشعر الداكن والبشرة الشاحبة نفسيهما. بناءً على الأدلّة المتوافرة، كان بإمكان سترايك أن يراهن بمبلغ كبير على أنّ جيمي نايت هو أخو بيلي الأكبر.

أنهى جيمي حديثه الغامض مع زميله في تحالف العمّال، ثمّ أرجع ظهره إلى الخلف في مقعده، وطوى ذراعيه الغليظتين، بينما اعتلى وجهه تعبيرٌ مجرّدٌ أظهر أنّه لم يكن يستمع إلى السيّدة الشابّة أكثر من جمهورها الذي بدأ يزداد توتّره. فجأة أدرك سترايك أنّ رجلًا عاديَّ المظهر يجلس في الصف أمامه

كان يراقبه. عندما التقت عينا سترايك بعيني الرجل الزرقاوين الباهتتين، أعاد هذا الأخير توجيه انتباهه على عَجَل نحو فليك، التي كانت لا تزال تتكلم. تأمّله سترايك جيّدًا: جينز نظيف، قميص عادي، وشعر قصير وأنيق. كان من الأفضل لو لم يحلق لحيته بتأنٍّ في الصباح، لكن لعلّ شرطة المدينة لم تر أنّه من الضروري أن ترسل أفضل رجالها إلى الاجتماع من أجل حدث سخيف مثل مجلس معارضة الألعاب الأولمبية. بالطبع كان من المتوقع وجود ضابط في ثياب مدنية، فمن الطبيعي جدًّا أن توضع أيّ مجموعة تخطّط حاليًا لتعطيل أو مقاومة ترتيبات الألعاب الأولمبية تحت المراقبة.

على مسافة قصيرة من الشرطي في الثياب المدنية، جلس شابّ آسيوي يرتدي قميصًا أنيقًا يوحي بالاحترافية المهنية لرجال الإدارة عمومًا. كان طويلًا ونحيفًا، يرمق المتحدّثة بثبات، ويقضم أظافر يده اليسرى. بينما كان سترايك يراقبه، جفل الرجل قليلًا وأبعد إصبعه من فمه وراحت إصبعهُ تنزف.

«حسنًا»، قال رجل بصوت عالٍ تعرّف فيه الجمهور إلى نبرة السلطة فجلّسوا ظهرورهم أكثر بعد. «شكرًا جزيلًا، يا فليك».

وقف جيمي نايت، فأشعل وقوفه تصفيقًا يفتقر إلى الحماسة لفليك، التي دارت حول الطاولة وجلست على الكرسيّ الشاغر بين الرجلين.

ببنطلونه الجينز البالي وقميصه غير المكويّ، ذكّر جيمي نايت سترايك بالرجال الذين كانت والدته تتخذهم عشّاقًا. كان من الممكن أن يكون عازف غيتار «البايس» في فرقة رديئة أو راكب درّاجة نارية جميل المظهر، بذراعيه المفتولتي العضلات والموشومتين. لاحظ سترايك أنّ الرجل ذي العينين الزرقاوين الذي لا يوصف قد تململ في جلسته وجلّس ظهره. كان ينتظر جيمي.

– مساء الخير للجميع، وشكرًا جزيلًا على قدومكم.

ملأت شخصيته الغرفة مثل أول نوتة في أغنية ناجحة. من هذه الكلمات القليلة عرف سترايك أنّه من ذلك النوع من الرجال الذي كان، في الجيش، إمّا مفيدًا للغاية أو سافلًا لا يخضع للأوامر. وكشفت لهجة جيمي، مثل لهجة فليك قبله، عن قدومه من مكان غير محدّد. فكّر سترايك أنّ لكنة الكوكني ربّما تم تطعيمها، في حالته بشكل أكثر نجاحًا، بلدغة ريفية خافتة.

«إذًا، انتقلت آلة جرد القمح الأولمبية إلى شرق لندن!» جالت عيناه المتّقدتان على الحشد الذي بات متيقظًا.

«تسوّي المنازل بالأرض، وتردي راكبي الدرّاجات قتلى، وتمزّق الأرض التي هي ملكنا جميعًا، أو كانت ملكنا جميعًا.

سمعتم من ليليان ما يفعلونه بموائل الحيوانات والحشرات. أنا سأتكلم عن التعدّي على المجتمعات البشرية. إنّهم يصبّون الخرسانة على أرضنا المشتركة، ولماذا؟ هل ينوون أن يبنوا المساكن الاجتماعية أم المستشفيات التي نحتاج إليها؟ بالطبع لا! لا، بل إنّهم يبنون الملاعب التي تكلّف المليارات، لأنّها واجهات عرض للنظام الرأسمالي، سيّداتي وسادتي: يُطلب إلينا أن نحتفي بالنخبوية، بينما يجري في الكواليس التعدّي على حرّيات الأشخاص العاديين، التي تتآكل وتزول.

يقولون لنا إنّه يجدر بنا أن نحتفل بالألعاب الأولمبية، في كلّ تلك البيانات الصحافية اللامعة التي تلتهمها وسائل الإعلام اليمينية ثمّ تتقيّأها. يجعلون من العَلم طوطمًا، ويدفعون الطبقات الوسطى إلى جنون الشوفينية! تعالوا واعبدوا فائزينا الأغرار، ميدالية ذهبية لامعة لكلّ من يعبر فوق رشوة كبيرة حاملًا وعاءً يطفحُ ببول شخصٍ آخر!».

سرت همهمة موافقة في الحشد. وصفّق عدد قليل من الحاضرين.

«من المفترض أن نتحمّس بشأن تلاميذ وتلميذات المدارس الرسمية الذين يحظوْن بفرصة ممارسة الرياضة بينما تباع ملاعب الباقين منّا مقابل النقود! يجب أن يكون التملق رياضتنا الأولمبية الوطنية! نحن نؤلّه الأشخاص الذين استُثمرت الملايين فيهم لأنّهم يستطيعون ركوب الدرّاجة، في الوقت الذي يبيعونَ فيه أنفسهم كأوراق التين لجميع الأوغاد الذين يغتصبون الكوكب ويتهرّبون من دفع الضرائب ويصطفّون في الطوابير لتُسجَّل أسماؤهم على الحواجز؛ تلك الحواجز التي تمنع دخول العمّال إلى أراضيهم!».

التصفيق، الذي لم ينضمّ إليه سترايك، ولا الزوجان العجوزان الجالسان إلى جانبه ولا الرجل الآسيوي، كان احتفاءً بالأداء بقدر ما كان موافقة على المضمون. شعّ وجه العصابات لكن الوسيم الذي يملكه جيمي بالغضب المحقّ.

تناول عن الطاولة وراءه ورقة تحمل شعار 2012 المسنّن، الذي كان سترايك يبغضهُ بشدّة وسأل «أترون هذا؟ مرحبًا بكم في الألعاب الأولمبية، يا أصدقائي، إنّها احتلام الفاشيّ. أترون الشعار؟ أترونه؟ إنّه صليب معقوف مكسور!».

ضحك الحشد وصفّقوا أكثر، وأخفوا بتصفيقهم قعقعة معدة سترايك الذي تساءل عمّا إن كان في الجوار مطعم يقدّم وجبات جاهزة. بدأ يحسب إن كان وقته يتّسع للمغادرة وشراء الطعام والعودة. عندما فتحت المرأة الهندية الغربية ذات الشعر الرمادي التي رآها سابقًا باب القاعة وتركته مفتوحًا، أشار تعبير وجهها بوضوح إلى أنّ وقت المجلس المعارض للألعاب الأولمبية قد انتهى.

لكنّ جيمي كان لا يزال مُسترسِلًا في الكلام.

«ما يُسمّى الاحتفال بالروح الأولمبية واللعب المنصف والهواية ليس سوى تطبيع مع القمع والاستبداد! استيقظوا: إنّهم يحوّلون لندن إلى منطقة عسكرية! الدولة البريطانية، التي طوّرت تكتيكات الاستعمار والغزو لقرون، اتّخذت الألعاب الأولمبية ذريعة مثالية لتجنيد الشرطة والجيش والمروحيات والمدافع ضدّ المواطنين العاديين! تمّ تركيب ألف كاميرا مراقبة إضافية – بفضل قوانين تمّ التصويت عليها خفية – وهل تعتقدون أنّهم سينتزعوها عندما ينتهي كرنفال الرأسمالية هذا؟».

وصرخ جيمي: «انضمّوا إلينا!» بينما كانت عاملة المركز الاجتماعي تمشي بمحاذاة الجدار باتجاه مقدّمة القاعة، وتشعر بالتوتّر لكنها أيضًا عازمة على تطبيق القانون. «مجلس معارضة الألعاب الأولمبية هو جزء من حركة تنادي بعدالة عالمية أوسع، تواجه القمع بالمقاومة! نحن نضمّ قضيّتنا إلى قضايا الحركات اليسارية المناهضة للقمع في جميع أنحاء العاصمة! سننظّم تظاهرات قانونية ونستخدم جميع أدوات الاحتجاج السلمي التي لا تزال في متناول أيدينا في هذه المدينة التي تتحوّل بسرعة إلى مدينة محتلّة!».

تلى ذلك المزيد من التصفيق، على الرغم من أنّ الزوجين المسنّين بجانب سترايك بدوَا بائسين تمامًا.

وأضـاف جيمي لموظفة المركز الاجتماعي التي وصلت الآن أمام الجمهور وأخـذت ترسم الإشـارات الخجولة: «حسنًا، حسنًا، أعلـم». ثمّ قال للجمهور وهو يبتسم ويهزّ برأسه: «يريدوننا أن نخرج. بالطبع! بالطبع وبكلّ تأكيد!».

تعالى همس اعتراض من بعض الحاضرين ضدّ عاملة المركز الاجتماعي،

فأردف جيمي: «لمن يريد أن يسمع المزيد، سنكون في الحانة في أسفل الشارع، ستجدون العنوان في منشوراتكم!».

صفّق معظم الحاضرين، وقف الشرطي في الثياب المدنية. وتوجّه الزوجان المسنّان نحو الباب.



6

«... قيل لي إنّي حظيتُ بسمعة متعصّب شرّير».

هنريك إبسن، روسميرشولم

دوّت جلبة الكراسي على الأرض، ورُفعت الحقائب على أكتاف أصحابها، وبدأ القسم الأكبر من الجمهور بالتوجّه نحو الأبواب الخلفية، إلّا أنّ البعض بدا متردّدًا في المغادرة. خطا سترايك بضع خطوات نحو جيمي، آملًا التحدّث معه، لكنّ الشابّ الآسيوي سبقه وتقدّم بتشنّج وبعزم عصبي نحو الناشط. تبادل جيمي بضع كلمات إضافية مع الرجل من التحالف العمّالي، ثمّ لاحظ الوافد الجديد، فودّع والتر وتقدّم مظهرًا بوضوح حسن النيّة للتحدّث، إلى ما افترض أنّه منتسبٍ جديد.

ما إن بدأ الرجل الآسيوي بالكلام، حتى اكفهرّ وجه جيمي. بينما كانا يتحدّثان بصوت خافت وسط الغرفة التي كانت تفرغ بسرعة، كانت فليك ومجموعة من الشبّان يتسكّعون على مقربة في انتظار جيمي، معتبرين على ما يبدو أنّهم أسمى من أن يقوموا بعمل يدوي، إذ كانت عاملة المركز الاجتماعي بمفردها ترتّب الكراسي.

عرض عليها سترايك المساعدة: «دعيني أساعدك» وأخذ ثلاثة منها متجاهلًا الوخز الحادّ في ركبته وهو يرفعها على كومة عالية.

قالت له لاهثة: «شكرًا جزيلًا، لكنّي لا أعتقد أنّنا سنسمح لهذه المجموعة...».

وسمحت لوالتر وعدد قليل من الآخرين بالمرور قبل المتابعة.

لم يشكرها أيّ منهم.

وأنهت كلامها باستياء: «باستخدام المركز مجدّدًا. لم أدرك ما هو موضوع اجتماعهم، منشوراتهم تتحدّث عن العصيان المدني وأجهل ماذا بعد».

سألها سترايك: «ليس لديك موقف ضدّ الألعاب الأولمبية، أليس كذلك؟» فيما كان يضع كرسيًّا على كومة من الكراسي. فقالت: «حفيدتي في نادٍ للركض، حصلنا على تذاكر، إنها تنتظر المباريات بفارغ الصبر».

كان جيمي لا يزال مشغولًا بمحادثة الشابّ الآسيوي. ويظهر أنّ جدالًا خفيفًا وقع بينهما. بدا جيمي متوتّرًا، عيناه تجولان باستمرار في الغرفة، إمّا بحثًا عن مخرج أو للتحقق من عدم وجود أيّ شخص آخر يستطيع سماعهما. كانت القاعة تفرغ من الحاضرين. وبدأ الرجلان يتوجّهان نحو المخرج. أرهف سترايك السمع ليتبيّن ما كانا يقولانه، لكنّ وقع خطوات أتباع جيمي على الأرضية الخشبية غطّت كلّ الكلمات باستثناء ما وجدَ طريقهُ منها.

قال جيمي بغضب: «... لسنوات، يا صديقي، أتفهم؟ لذا افعل ما تريده، فأنت من تطوّع...».

ثمّ ابتعدا، فبات من المستحيل سماعهما. ساعد سترايك متطوّعة المركز الاجتماعي في تكديس ما بقي من الكراسيّ، وعندما أطفأت الضوء، سألها عن الطريق المؤدّي إلى حانة وايت هورس.

بعد خمس دقائق، وعلى الرغم من قراره الأخير بتناول طعام أكثر صحّية، اشترى كيسًا من رقائق البطاطا من متجر ومضى في شارع وايت هورس، الذي قيل له إنّه سيجد في آخره الحانة التي تحمل الاسم ذاته.

بينما كان يأكل، فكّر سترايك في أفضل طريقة ليفتح حديثٍ مع جيمي نايت. وكما أظهر ردّ فعل المعجب بتشي غيفارا المسنّ عند الباب، فإنّ ملابس سترايك الحالية لا تميل إلى تعزيز الثقة لدى المناهضين للرأسمالية. بدا جيمي

كناشط يساري متشدّد ومتمرّس وربّما كان يتوقع اهتمامًا رسميًا بنشاطه في الأجواء المشحونة للغاية عشيّة افتتاح الألعاب الأولمبية. في الواقع، استطاع سترايك أن يرى الرجل صاحب العينين الزرقاوين يمشي وراء جيمي، وقد وضع يديه في جيبيْ بنطلونه الجينز. ستقتضي مهمّة سترايك الأولى طمأنة جيمي بأنّه لم يأتِ ليتحرّى عن مجلس معارضة الألعاب الأولمبية.

تبيّن له أنّ مبنى وايت هورس كانَ مبنًى قبيحًا مسبقَ الصنع انتصب عند تقاطع مزدحم يواجه حديقة كبيرة، حيث ارتفع نصب تذكاري أبيض للحرب وُضعت على قاعدته أكاليل من زهور الخشخاش بدقة وترتيب، ليبدو كصرخة عتابٍ أبدية قبالة منطقة احتساء الكحول الخارجية. على الرصيف المتشقق الذي نبتت من شقوقه الأعشاب الضارّة، تراكمت أعقاب السجائر القديمة بكثافة. كان الشاربون يدخّنون السيجارة تلو الأخرى أمام الحانة. وسرعانَ ما عثر على جيمي وفليك وعدّة أشخاص آخرين يقفون في مجموعة أمام نافذة مزيّنة بلافتة ضخمة من وست هام. إلّا أنّه لم يرَ الشابّ الآسيوي الطويل القامة في أيّ مكان، بينما كان الشرطي في ثياب مدنية يتسكّع بمفرده على أطراف مجموعتهم.

دخل سترايك إلى الحانة ليحضر نصف لتر من الجعة. كان ديكورها يقتصر على أعلام صليب القدّيس جورجيوس وبعض الأغراض التي لها علاقة بوست هام. وبعدما اشترى نصفَ لتر من جعة جون سميث، عاد إلى الفناء الأمامي، وأشعل سيجارة جديدة وتقدّم نحو المجموعة المجتمعة حول جيمي. وقف خلف كتف فليك لبرهة قبل أن يدركوا أنّ الرجل الغريب الطويل القامة ذا البذلة يريد أن يتكلّم معهم. توقفت الأحاديث كلّها فيما ظهر ارتياب واضح على وجوه الجميع.

قال سترايك:

– مرحبًا، أدعى كورموران سترايك. هل يمكنني أن أتكلّم معك بإيجاز يا جيمي؟ الأمر يتعلق ببيلي.

كرّر جيمي بحدّة:

– بيلي؟ لماذا؟

– قابلته البارحة. أنا محقّق خاصّ.

صرخت فليك لاهثة والتفتت بخوف إلى جيمي:

– تشيزيل هو من أرسله!

فهدر جيمي:

– من هنا.

وبينما راحت بقيّة المجموعة تراقب سترايك بمزيج من الفضول والعداء، دعاه جيمي ليتبعه بعيدًا من الحشد. فوجئ سترايك لرؤية فليك تتبعهما، وأومأ رجال حلقوا رؤوسهم وارتدوا قمصان وست هام برؤوسهم للناشط عندما مرّ بالقرب منهم. توقف جيمي بجانب عمودين أبيضين قديمين يعلو كلًّا منهما رأس حصان، وتأكّد من أنّ لا أحد في الجوار يستطيع سماعهما ثمّ قال لسترايك:

– هلا كرّرت اسمك على مسمعي مجدّدًا؟

– كورموران، كورموران سترايك. هل بيلي هو أخوك؟

فأجاب جيمي:

– أجل، إنّه أخي الصغير. هل قلت إنّه زارك؟

– أجل، عصر البارحة.

– هل أنت تحرّي؟

– نعم، أنا محقّق خاصّ.

رأى سترايك شرارة في عيني فليك أعلمته أنّها تعرّفت إليه. كان وجهها منفَخًا شاحبًا، وكان من الممكن نعته بالبريء لولا خطّ الكحل الأسود السميك المرسوم فوق عينيها وشعرها الأحمر الأشعث. ثمّ ما لبثت أن التفتت بسرعة إلى جيمي.

وقالت:

– جيمي، إنّه...

فسأل جيمي وهو ينظر إلى سترايك من فوق ولّاعته فيما كان يشعل سيجارة أخرى:

– قضيّة سفاح شاكلويل؟ لولا لاندري؟

فردّ عليه سترايك:

– نعم هذا أنا.

ورأى سترايك بطرف عينه، عينَي فليك تجولان على جسمه من الأعلى إلى أسفل قدميه، وفمها يلتوي بعبارة ازدراء.

كرّر جيمي:

– جاء بيلي لمقابلتك؟ لماذا؟

قال سترايك:

– أخبرني أنّه شاهد طفلة تُخنق.

نفخ جيمي الدخان من فمه بزفرات غاضبة.

– أجل. إنّه معتوه، يعاني اضطرابًا عاطفيًا فصاميًا.

ردّ سترايك موافقًا:

– بدا مريضًا نعم.

– هل هذا كلّ ما قاله لك؟ إنّه شاهد طفلة تُخنق؟

فأجاب سترايك:

– كان ذلك كافيًا ليثير فضولي.

التفّت شفتا جيمي بابتسامة خالية من الفكاهة:

– لا تقل لي أنك صدقته!

قال سترايك بصدق:

– كلّا، لكنّني لا أعتقد أنّه يُفترض به أن يجول في الشوارع بهذه الحال، فهو يحتاج إلى المساعدة.

سأل جيمي فليك:

– لا أعتقد أنّه أسوأ من المعتاد، أليس كذلك؟ وقد اعتلى وجهه تعبيرٌ مصطنعٌ من الاستفسار البارد.

فقالت:

– كلّا. والتفتت لتخاطب سترايك بعداء يكاد يكون واضحًا. حالته متقلبة، يكون بخير عندما يأخذ أدويته.

أصبحت لهجتها تميل بشكل ملحوظ إلى لهجة الطبقة الوسطى الآن وقد ابتعدت عن بقيّة أصدقائهما. لاحظ سترايك أنّها رسمت الكحل فوق العمش المتجمّع في زاوية إحدى عينيها. سترايك، الذي قضى جزءًا كبيرًا من طفولته مقيمًا في البؤس، يجد أنّ عدم الاكتراث بالنظافة أمر يصعب القبول به، ما عدا بالنسبة للأشخاص الذين يعانون تعاسة كبيرة إلى حدّ يصعب عليهم التّعامل مع أيّ شيء، أو مرضًا خطِرًا إلى حدٍّ يجعلُ النظافة أمرًا ثانويًا لديهم.

سألته:

– كنت في الجيش سابقًا، أليس كذلك؟ لكنّ كلام جيمي غطّى كلامها.

– كيف عرف بيلي السّبيل إلى إيجادك؟

اقترح سترايك:

– دليل الاستعلامات؟ أنا لا أقيم في كهف خفافيش.

– بيلي لا يحسن استخدام دليل الاستعلامات.

– لكنّه تمكّن من العثور على مكتبي.

قال جيمي فجأة:

– لم تمت أيّ طفلة، القصّة من نسج خياله، يستعيدها كلّما أصيب بنكسة. ألم تر عرّته؟

ثمّ قلّد، بدقة فظيعة، حركة اليد المرتعشة اللاإرادية المنتقلة من الأنف إلى الصدر، فضحكت فليك.

قال سترايك من دون أن يبتسم:

– نعم، رأيت ذلك. إذًا، لا تعرف أين هو؟

– لم أره منذ صباح أمس. ماذا تريد منه؟

– كما قلت لك، لا يبدو أنّه في حالة تسمح له بالتجوال بمفرده.

قال جيمي:

– يا له من إيثار! محقق خاصّ غنيّ ومشهور يقلق بشأن حبيبنا بيل.

لم يقل سترايك شيئًا.

وكرّرت فليك:

– كنت في الجيش، أليس كذلك؟

قال سترايك وهو ينظر إليها من أعلى:

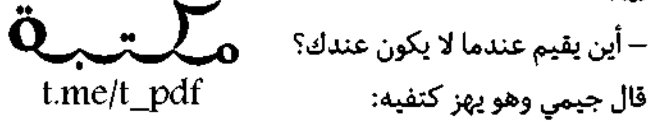
– أجل. ما صلة ذلك بموضوعنا؟

– مجرّد سؤال. كانت قد احمرّت قليلًا في غضبها المبرَّر. لم تكن دائمًا قلقًا بشأن سلامة الناس، أليس كذلك؟

لم يحر سترايك جوابًا، فقد كان على دراية بالأشخاص الذين يشاركون فليك آراءها. وربّما كانت صدقته لو قال لها إنّه انخرط في الجيش على أمل طعن الأطفال بالحراب.

قال جيمي، الذي بدا هو أيضًا غير راغبٍ في سماع المزيد من آراء فليك عن الجيش:

– سيكون بيلي بخير. إنّه ينام عندنا أحيانًا، ثمّ يرحل. إنّه يفعل ذلك دائمًا.



– أين يقيم عندما لا يكون عندك؟

قال جيمي وهو يهز كتفيه:

– عند أصدقائه. لا أعرف أسماءهم جميعًا.

ثم أضاف ما يناقض ما قاله لتوّه:

– سأتّصل بهم الليلة، وأتأكّد من أنّه بخير.

قال سترايك:

– حسنًا تفعل، ثمّ شرب جعته وسلّم الكأس الفارغة إلى عامل حانة موشوم كان يجول في الفناء الأمامي جامعًا الكؤوس ممّن أنهوها. أخذ سحبة أخيرة من سيجارته، ورماها لتنضمّ إلى الآلاف من أخواتها في الفناء الأمامي المتصدّع، ثمّ سحقها بقدمه الاصطناعية وسحب محفظته.

قال لجيمي وهو يخرج بطاقة ويسلّمه إيّاها:

– أسدِ إليّ خدمة واتّصل بي عندما يظهر بيلي، اتّفقنا؟ أودّ أن أتأكّد من أنّه بخير.

أحدثت فليك شخرة ساخرة، لكن جيمي بدا متفاجئًا:

– حسنًا. نعم سأفعل.

وسألهما سترايك:

– أتعرفان أيّ حافلة قد تعيدني إلى شارع الدنمارك في أسرع وقت؟

لم يكن قادرًا على القيام بمشوار طويل آخر ليصل إلى محطّة مترو الأنفاق، كما أنّ الحافلات كانت تمرّ أمام الحانة بوتيرة مشجعة. جيمي، الذي بدا أنّه يعرف المنطقة جيّدًا، وجّه سترايك إلى المحطّة المناسبة.

قال سترايك:

– شكرًا جزيلًا، وهو يعيد محفظته داخل سترته، بالمناسبة، أخبرني بيلي أنّك كنت هناك عندما خُنقت الطفلة، يا جيمي.

كانت التفاتة رأس فليك السريعة نحو جيمي بمثابة إفشاءٍ غير متعمّد. أمّا جيمي فكان أكثر استعدادًا. ارتجف منخراه، لكن، بخلاف ذلك، بدا تظاهره بعدم القلق مقنعًا.

قال:

– نعم، لقد تصوّر المشهد المرضيّ بالكامل في عقله المسكين. في بعض الأيام يظنّ أنّ والدتنا المتوفّاة كانت هناك أيضًا، لا أستبعد أن يرى البابا بعد ذلك.

فقال سترايك:

– الأمر محزن، آمل أن تتمكّن من العثور عليه.

ورفع يده مودّعًا تاركًا إيّاهما واقفين في الباحة الأمامية.

وعلى الرّغم من تناوله رقائق البطاطا، بقيَ جائعًا، وبات ألم جذعه ينبض نبضًا، فوصل وهو يعرج إلى محطّة الحافلات.

وصلت الحافلة بعد انتظار دام خمس عشرة دقيقة. على بعد بضعة مقاعد أمام سترايك دخل شابّان مخموران في جدال طويل ومتكرّر بشأن مزايا توقيع جوسي ياسكلاينن الجديد مع فريق وست هام، وكان كلّ منهما يلاقي صعوبة في نطق اسمه. نظر سترايك من النافذة المتّسخة من دون أن يركز على ما يراه، وساقه تتّقد ألمًا، وهو يتوق إلى سريره، لكنّه كان عاجزًا عن الاسترخاء.

كان لا بدّ من الاعتراف، وإن كان ذلك مزعجًا، بأنّ الرحلة إلى شارع شارلمونت لم تخلّصه من الشك الضئيل في صحّة قصّة بيلي. إنّ ذكرى

نظرة فليك المفاجئة والخائفة إلى جيمي، بالإضافة إلى صرختها المتفاجئة: «تشيزيل أرسله!» حوّلا هذا الشك المزعج إلى عائق كبير، وربّما دائم، يزعزعُ راحةَ بال المحقق.

7

أتعتقد أنّك ستبقى هنا؟ أعني بطريقة دائمة؟

هنريك إبسن، روسميرشولم

فضّلت روبن لو تقضي عطلة نهاية الأسبوع مسترخية بعد أسبوعها الطويل في تفريغ الصناديق وتجميع الأثاث، لكنّ ماثيو كان يتطلّع إلى حفل تدشين المنزل الذي دعا إليه عددًا كبيرًا من زملائه. كان يفتخر بتاريخ الشارع الرومانسي المثير للاهتمام، الذي صمّمَ خصيصًا لبنّائي السفن والقباطنة عندما كانت ديبتفورد مركزًا لصناعة السفن. ربّما لم يحصل ماثيو بعد على شارع ومنزل أحلامه، لكنّ شارعًا قصيرًا مرصوفًا بالحصى، مزروعًا بالمنازل القديمة الجميلة، كان، كما أراد، «خطوة إلى الأمام»، ولو أنّ ذلك المنزل الذي يبدو كعلبة مربّعة من الطوب الأنيق، والذي يحوي نوافذ ينزلق نصف زجاجها عموديًا، وتعلو تماثيل الكروبيم المصبوبة باب مدخله، ليس سوى منزلًا مستأجَرًا.

عندما اقترحت روبن الاستئجار مجدّدًا، اعترض ماثيو في البدء، لكنّها أصرّت قائلة إنّها لا تستطيع تحمّل العيش لعام آخر في شارع هاستينغز، بينما تتعثر عمليات شراء منزلٍ آخر من تلك المنازل الباهظة المبالَغ في تقدير سعرها. بين الإرث الذي ورثه ماثيو ووظيفته الجديدة، كانا قادرين فقط على دفع إيجار المنزل الصغير الأنيق المكوّن من ثلاث غرف نوم، بدون أن

يستعملا المبلغ الذي كانا قد حصلا عليه ثمن شقتهما في شارع هاستينغز ووضعاه في المصرف.

فرح مالك العقار، وهو ناشر كانَ ينوي السفر إلى نيويورك للعمل في المكتب الرئيسي لدار النشر، بمستأجريه الجديدين. كان رجلًا مثليّ الجنس في الأربعينيات من عمره، وقد أُعجب بمظهر ماثيو النظيف وحرص على تسليمهما المفاتيح شخصيًا في يوم انتقالهما إلى المنزل.

قال لماثيو وهو يقف في الشارع المرصوف بالحصى: «أوافق جين أوستن الرأي بشأن المستأجر المثالي. إنّه رجل متزوّج لا أولاد له؛ هذا أفضل ما يمكننا أن نتمنّاه. لا يُعتنى بالمنزل جيّدًا بدون سيّدة! أم أنكما تتعاونان على استعمال المكنسة الكهربائية؟».

ردّ عليه ماثيو وهو يبتسم: «بالطبع». امتنعت روبن، التي كانت تحمل صندوقًا من النباتات إلى الداخل خلف الرجلين، عن الردّ، كي لا يبدو جوابُها لاذعًا.

ارتابت روبن في أنّ ماثيو لم يكشف لأصدقائه وزملائه أنّهما مستأجران لا مالكان. وأسفت لميلها المتزايد إلى مراقبة سلوك زوجها الوضيع والمزدوج، حتى في الأمور الصغيرة، وفرضت على نفسها بعض التدابير الخاصة للتكفير عن ذنبها لتفكيرها فيه بأسوأ طريقة ممكنة طوال الوقت. من هذا المنطلق المتّصل بالانتقاد الذاتي، وافقت على الحفل، واشترت الكحول وأكوابًا من البلاستيك، وأعدّت الطعام، وجهّزت كلّ شيء في المطبخ. أعاد ماثيو ترتيب الأثاث، ونظّم، على عدّة أمسيات، قائمة الأغاني التي تنطلق الآن من جهازه الآيبود الموصول إلى قاعدته. وكانت النوتات الأولى لأغنية «كات أوف» للمؤلّف كاسابيان تخرج منه عندما سارعت روبن إلى الطابق العلوي لتغيير ملابسها.

عمدت روبن من قبل إلى لفّ شعرها على بكرات إسفنجية لأنّها قرّرت أن تعتمد تسريحة يوم زفافها. وبعدما دهمها الوقت قبل أن يحين موعد وصول الضيوف، أخذت تسحب البكرات بيد واحدة فيما تفتح باب خزانة الملابس باليد الأخرى. كانت قد اشترت فستانًا جديدًا ضيّقًا رمادي اللون،

لكنّها خشيت أن يجعلها تبدو شاحبة. تـردّدت، ثمّ أخرجت فستان روبرتو كافالي الأخضر الزمرّدي الذي لم ترتدِه علنًا من قبل. هذا الفستان هو أغلى قطعة ملابس تمتلكها، وأجملها: هديّة «الرحيل» التي كانَ سترايك قد اشتراها لها بعدما عملت عنده موظفةً مؤقتة وساعدته في القبض على القاتل في أول قضيّة لهما معًا. وقد امتنعت عن ارتدائه بسبب التعبير الذي اعتلى وجه ماثيو عندما كانت قد أرته إيّاه بحماسة ذات مرّة. لسبب من الأسباب، انجرفت أفكارها، وهي تضع الفستان على جسدها، إلى لوريلاي صديقة سترايك. كانت لوريلاي، التي ترتدي دائمًا ألوانًا زاهية كألوان الجواهر، متأثّرة بجميلات أربعينيات القرن العشرين. تعادل قامتها قامة روبن، ولها شعر بنّي لامع تسدِل قسمًا منه على عين واحدة كما تفعل فيرونيكا ليك. تعرف روبن أنّ لوريلاي تبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عامًا، وأنّها شريكة في ملكية متجر لبيع الملابس القديمة والأزياء المسرحية في شارع تشوك فارم وفي إدارته. علمت ذلك من سترايك الذي زلّ لسانه بهذه المعلومة في يوم من الأيّام، فدوّنت روبن ملاحظة ذهنية لاسم المتجر وعادت إلى المنزل وبحثت عنه عبر الإنترنت. بدا لها المتجر ساحرًا وناجحًا.

قال ماثيو وهو يدخل مسرعًا إلى غرفة النوم، ويخلع قميصه عند دخوله:

– أمامنا ربع ساعة قبل أن يصلوا، سأستحمّ بسرعة.

ثم لاحظ أنّها تحمل الفستان الأخضر فأردف:

– ظننت أنّك سترتدين الفستان الرمادي؟

التقت أعينهما في المرآة. كانت ملامح ماثيو العاري الصدر، المسمرّ، الوسيم، متناظرة لدرجة أنّ انعكاسه يكاد يكون متطابقًا مع مظهره الحقيقي.

قالت روبن:

– أظنّ أنّه يجعلني أبدو شاحبة.

فقال:

– أنا أفضّل الرمادي. تروقينني عندما تكونين شاحبة.

أجبرت نفسها على الابتسام. وقالت:

– حسنًا. سأرتدي الرمادي.

بدّلت روبن ملابسها فيما كانت تمرّر أصابعها في شعرها لفكّ خصله، وانتعلت صندلًا فضّي اللون ذا أربطة، ونزلت مسرعة إلى الطابق السفلي. وما إن وصلت إلى الردهة حتى رنّ جرس الباب.

لو طُلب إليها تخمين من سيصل أوّلًا، لاختارت سارة تشادلوك وتوم تورفي، اللذين أعلنا خطبتهما قبل مدّة وجيزة. من شيم سارة أن تحاول مفاجأة روبن فيما هي تسرع في وضع اللمسات الأخيرة، كي تضمن الحصول على فرصة التجوال في المنزل قبل أيّ شخص آخر، وتختار مكانًا يمكّنها من أن ترى جميع الوافدين. لم يخب ظنّ روبن، فما إن فتحت الباب حتى رأت سارة وقد ارتدت ثوبًا باللون الزهري الزاهي، وتأبّطت مجموعة كبيرة من الزهور بين ذراعيها، بينما وقف توم إلى جانبها حاملًا الجعة والنبيذ.

«ياااا! المنزل خلّاب يا روبن»، قالت سارة وهي تتجاوز عتبة الباب منقّلة نظرها في كلّ أنحاء القاعة. عانقت روبن بنظرة شاردة، وعيناها على الدرج الذي كان ينزله ماثيو وهو يرتدي قميصه. «جميل... هذه لك».

وجدت روبن نفسها فجأة ترزح تحت باقة من الزنابق، فقالت: «شكرًا، سأذهب وأضعها في الماء».

كانت تفتقر إلى مزهرية كبيرة تتّسع للزهور، لكنّها لم تستطع أن تتركها في حوض الجلي. من المطبخ، سمعت ضحكة سارة على الرغم من علوّ صوت فرقة كولدبلاي وريهانا، الذين كانوا ينشدون أغنية «أميرة الصين» من آيبود ماثيو. سحبت دلوًا من الخزانة وراحت تصبّ فيه الماء، مع رشّ بعضه على نفسها.

وتذكّرت أنّهما ناقشا ذات مرّة فكرة توقف ماثيو عن اصطحاب سارة لتناول طعام الغداء أثناء استراحة الغداء في المكتب. حتى إنّهما ناقشا فكرة التوقف عن التواصل معها، بعدما اكتشفت روبن أنّ ماثيو كان يخونها معها عندما كانا في أوائل العشرينيات من العمر. لكنّ توم ساعد ماثيو في الحصول على منصب براتب أفضل في الشركة التي يعمل فيها، والآن بعد أن وضعت سارة بفخر خاتمًا يحمل ماسة كبيرة في إصبعها، لم ير ماثيو أنّ من

المحرج أن تربطهما علاقة اجتماعية مع من سيصبحان في المستقبل السيّد والسيّدة تورفي.

سمعتهما روبن يجولان في الطابق العلوي فيما يصحبهما ماثيو في جولة على غرف النوم. أخرجت الدلو المليء بالزنبق من حوض الجلي ودفعته في الزاوية بجانب الغلّاية، متسائلة عمّا إن كان من السيئ أن تشكّ في أنّ سارة أحضرت الزهور لمجرّد إبعادها ولو لبعض الوقت. لم تتخلّ سارة إطلاقًا عن أسلوبها المغازِل في التعامل مع ماثيو منذ أن كانا في الجامعة.

سكبت روبن كأسًا من النبيذ وخرجت من المطبخ، بينما كان ماثيو يقود توم وسارة إلى غرفة الجلوس.

قال: «يُفترض أنّ اللورد نلسن والليدي هاملتون نزلا في الشارع الرقم 19، إلّا أنّه كان يُدعى شارع الاتّحاد آنذاك. حسنًا، من يريد كأسًا؟ كلّ شيء جاهز في المطبخ».

قالت سارة: «منزل رائع يا روبن، هذه المنازل لا تُعرض في السوق غالبًا، كنتما محظوظين جدًا».

أجابتها روبن: «لقد استأجرناه فقط».

سألت سارة وهي تحدّق فيها بعينين ثاقبتين: «فعلًا؟» فعلمت روبن أنّ سارة تقوم باستنتاجاتها الخاصّة، لا بشأن السوق العقارية، بل بشأن زواجها وماثيو، وقالت لها على سبيل تغيير الموضوع: «قرطا أذنيك جميلان».

فردّت سارة: «أليس كذلك؟»، وأرجعت شعرها إلى الوراء لتتمكّن روبن من رؤية القرطين بطريقة أفضل: «إنهما هديّة توم في عيد مولدي».

دقّ جرس الباب مجدّدًا، فذهبت روبن لتفتحه متمنّية أن يكون القادم أحد الأصدقاء الذين دعتهم هي. لم تأمل أن يكون القادم سترايك بالطبع. فلا بدّ أن يتأخّر، كما يفعل في كلّ مناسبة شخصية تدعوه إليها.

قالت روبن: «الحمد لله!» متعجّبة من ارتياحها لدى رؤية فانيسا إكوينسي.

فانيسا شرطية، طويلة القامة، سوداء البشرة، ذات عينين لوزيتين وقوام عارضة أزياء، تتمتّع بشخصية لطالما حسدتها روبن عليها. أتت فانيسا

إلى الحفل بمفردها، إذ إنّ صديقها، الذي كان يعمل في مختبر الشرطة، كان لديه ارتباط آخ، فخاب أمل روبن قليلًا إذ إنّها كانت تأمل أن تتعرّف إليه أخيرًا.

سألتها فانيسا فيما كانت تدخل المنزل: «هل أنتِ بخير؟». كانت تحمل زجاجة نبيذ أحمر وترتدي فستانًا ملاصقًا لجسمها بلون بنفسجي أدكن. فكّرت روبن مجدّدًا في فستان الكافالي الأخضر الزمرّدي المعلق في الطابق العلوي وتمنّت لو أنّها ارتدته.

أجابتها: «أنا بخير. تعالي إلى القسم الخلفي من المنزل، يمكنك التدخين هناك».

وقادت فانيسا عبر غرفة الجلوس، مرورًا بسارة وماثيو اللذين كانا في تلك اللحظة يسخران من صلعة توم أمامه.

غطّى اللبلاب جدار الفناء الخلفي الصغير، بينما قبعت نبتات مشذّبة في أقاصيص من الطين. روبن، التي لا تدخن، كانت قد وضعت بعض المنافض والكراسي القابلة للطيّ في الخارج ووزّعت بعض الشموع الصغيرة في قواعد معدنية هنا وهناك. سألها ماثيو وقد ظهر بعض التوتّر في صوته، لماذا تتكلّف كلّ هذا العناء من أجل المدخّنين. وكانت تعلم جيّدًا سبب طرحه لهذا السؤال لكنّها تظاهرت بعكس ذلك، وسألته بارتباك مصطنع: «ظننت أنّ جيميما من المدخّنين، أليست كذلك؟» وجيميما تلك هي مديرة ماثيو.

قال وقد تزعزعت ثقته: «آه! نعم، نعم، لكنّها تدخّن في المناسبات الاجتماعية فقط». فقالت روبن بلطف: «أنا متأكّدة من أنّ هذه المناسبة تُعدّ اجتماعية يا مات».

أحضرت روبن مشروبًا لفانيسا وعادت لتجدها قد أشعلت سيجارتها، وعيناها الجميلتان مثبتتان على سارة شادلوك، التي كانت لا تزال تسخر من صلعة توم، وماثيو يشاركُها في ذلك من كلّ قلبه.

سألت فانيسا: «هذه هي، أليس كذلك؟» فردّت روبن: «إنّها هي».

قدّرت روبن لفانيسا دعمها المعنوي الغير مباشر. كانت صداقتهما قد توطّدت منذ عدّة أشهر، لتسرد لها روبن تاريخ علاقتها بماثيو. قبل ذلك، عندما كانتا تذهبان إلى السينما أو تخرجان لتناول العشاء في مطاعم تقدّم

وجبات زهيدة الثمن، كان حديثهما يقتصر على العمل البوليسي والسياسة والثياب في السهرات. وجدت روبن أنّ رفقة فانيسا أفضل من رفقة أيّ امرأة أخرى تعرفها، بينما أخبرها ماثيو، الذي كانَ قد التقى فانيسا مرّتين، أنّه وجدها باردة، معترفًا بأنّه لا يستطيع تفسير السبب.

تعاقب في حياة فانيسا عدد من الرجال؛ وخطبت مرّة واحدة، لكنّها فسخت خطوبتها عندما اكتشفت خيانة خطيبها لها. تتساءل روبن أحيانًا عمّا إن كانت فانيسا تجدها عديمة الخبرة بشكل مضحك، باعتبارها تلك المرأة «التي تزوّجت بصديقها من أيّام الدراسة».

بعد لحظات قليلة، دخل أكثر من عشرة أشخاص، من زملاء ماثيو، كلٌّ مع شريكه أو شريكته، وكان من الواضح أنّهم زاروا إحدى الحانات قبل وصولهم. شاهدت روبن ماثيو وهو يستقبلهم ويدلّهم إلى مكان المشروبات. وأزعجها أنّه تبنّى بسرعة تلك النغمة الصاخبة والمزاح اللذين سمعته يستخدمهما كلّما خرجا ليلًا مع زملائه في العمل.

سرعان ما ازدحم المكان بالمدعوّين. عرّفت روبن بعض المدعوّيين أحدهم بالآخر، ودلّتهم إلى مكان المشروبات، ووضعت المزيد من الأكواب البلاستيكية، بينما وزّعت بعض أطباق الطعام هنا وهناك لأنّ المطبخ كان قد ازدحم. ولم تشعر أنّ بإمكانها الاسترخاء للحظة وقضاء المزيد من الوقت مع ضيوفها إلّا عندما وصل آندي هاتشينز وزوجته.

قالت روبن لآندي بعدما أخرجته ولويز إلى الفناء: «أعددت لك بعض الطعام الخاصّ. أقدّم لكما فانيسا، إنّها من الشرطة. فانيسا، آندي ولويز ابقوا هناك. آندي، سأحضره لك، إنّه خالٍ من الحليب ومشتقاته».

كان توم يقف أمام الثلّاجة عندما وصلت إلى المطبخ. «آسفة، يا توم، أريد أن...»

رمشت عيناه فيما كان ينظر في وجهها ثمّ تنحّى جانبًا. لاحظت أنّه كان مخمورًا والساعة بالكاد دقت التاسعة. ثمّ سمعت بعدها نهيق ضحكة سارة من وسط الحشد في الخارج.

قال توم: «دعيني أساعدك» وأمسك باب البرّاد الذي كاد يُغلق في وجهها وهي تنحني إلى الرفّ السفلي للوصول إلى صينية الأطعمة الخالية من الألبان وغير المقليّة التي خصّصتها لآندي.

– يا للهول! مؤخّرتك جميلة يا روبن.

انتصبت روبن وامتنعت عن التعليق. على الرغم من ابتسامة الثمل البادية على وجهه، كان بإمكانها أن تشعر بالتعاسة التي تتدفق منه مثل تيّار من الهواء البارد. كان ماثيو قد أخبرها أنّه منزعج من صلعه، وأنّه يفكّر في الخضوع لعملية زرع للشعر.

قالت له روبن:

– قميص جميل.

– هذا؟ هل راقك؟ هي اشترته لي. مات لديه واحد مثله، أليس كذلك؟

قالت روبن:

– لست متأكّدة.

كرّر توم بضحكة قصيرة سيئة:

– لست متأكّدة! تدريبك على المراقبة ذهب سدًى! يجب أن تولي منزلك المزيد من الاهتمام يا روب.

حدّقت فيه للحظة بقدرٍ متساوٍ من الشفقة والغضب، ثمّ قرّرت أنّه كان مخمورًا جدًا بحيث لا يمكن أن تتجادل معه، وغادرت حاملةً طعام آندي.

أول ما رأته عندما فتح ضيوفها لها الطريق للسماح لها بالعودة إلى الفناء هو أنّ سترايك قد وصل. كان يدير لها ظهره ويتحدّث مع آندي. وقفت لوريلاي بجانبه وقد ارتدت فستانًا حريريًا قرمزيًا، وسقط شعرها الأدكن اللامع إلى أسفل ظهرها كما في إعلان شامبو باهظ الثمن. وكانت سارة تمكّنت من الانضمام بطريقة ما إلى المجموعة خلال تغيّب روبن القصير. عندما لاحظت فانيسا أنّ روبن ترمقها، اهتزّت زاوية فمها.

قالت روبن: «مرحبًا»، وهي تضع طبق الطعام على الطاولة الحديدية بجانب آندي.

ردّت لوريلاي:

– روبن، مرحبًا! شارعكما جميل جدًا!

أجابت روبن بينما كانت لوريلاي تقبّل الهواء خلف أذنها:

– نعم، أليس كذلك؟

انحنى سترايك أيضًا. ولامست خدّها شعيرات لحيته الخفيفة، لكنّ شفتيه لم تلمسا بشرتها. ثم سارع في فتح إحدى عبوات جعة دوم بار الستّ التي أحضرها معه.

كانت روبن قد تدرّبت عقليًا على ما ستقوله لسترايك عندما يصل إلى منزلها الجديد: كلمات هادئة وعادية تظهر أنّها لا تشعر بالندم، وأنّ ثقلًا مضادًّا رائعًا لم يقدّر سترايك قيمته قد قلب الموازين لمصلحة ماثيو. أرادت أيضًا أن تسأله عن قضيّة بيلي الغريبة وعن الطفلة التي خُنقت. لكنّ سارة كانت تستلم دفّة الحديث ولا تزال تتناول بإسهاب موضوع دار كريستيز للمزادات العلنية حيث كانت تعمل، والمجموعة بأكملها تستمع إليها.

«نعم، ستُدرج لوحة «البحيرة» في المزاد العلني في الثالث من الشهر». وأضافت بلطف «إنّها للرسّام كونستابل»، لصالح كلّ من لا يتمتّع بخبرتها في الفنّ. «ونتوقع أن تباع بأكثر من 20».

سأل آندي:

– عشرون ألفًا؟

قالت سارة بشخرة ضاحكة صغيرة:

– مليون.

ضحك ماثيو خلف روبن فأفسحت له المجال تلقائيًا لينضمّ إلى المجموعة. لاحظت روبن أنّه كان مبتهجًا، كما هي الحال في كثير من الأحيان عندما تُناقَش مبالغ كبيرة من المال. وفكّرت أنّ هذا ما يتحدّثان عنه هو وسارة عندما يتناولان الغداء معًا: المال.

– بيعت لوحة «غيمكراك» بأكثر من 22 في العام الماضي، وهي للرسّام ستابس. إنّها ثالث أغلى لوحة لرسّام كبير مكرّس يتمّ بيعها على الإطلاق.

من طرف عينها، رأت يد لوريلاي ذات الأظافر القرمزية تنزلق في يد سترايك التي تَظهر على راحتها آثار السكّين ذاته الذي رسم ندبة على ذراع روبن إلى الأبد.

وأردفت سارة متظاهرة بالصدق:

– على أيّ حال، الموضوع مملّ، مملّ، مملّ! كفانا حديثًا عن العمل! هل حصل أيّ منكم على تذاكر للأولمبياد؟ توم – خطيبي – غاضب للغاية. فقد حصلنا على بطاقات لمباريات كرة الطاولة. ورسمت تعبيرًا مضحكًا بوجهها. وأنتم؟ كيف كان حظكم؟

رأت روبن سترايك ولوريلاي يتبادلان نظرة عابرة وفهمت أنّ كلًّا منهما يواسي الآخر لاضطرارهما إلى تحمّل حديث آخر مملّ عن تذاكر الألعاب الأولمبية. تراجعت وابتعدت من المجموعة فجأة، متمنّية لو أنّهما لم يقبلا الدعوة.

بعد ساعة، كان سترايك في غرفة الجلوس، يناقش فرص منتخب كرة القدم الإنكليزي في بطولة أوروبا مع أحد زملاء ماثيو في العمل بينما لوريلاي ترقص. روبن، التي لم يتبادل معها كلمة واحدة منذ أن التقيا بالخارج، اجتازت الغرفة مع طبق من الطعام، وتوقفت لتتكلّم مع امرأة صهباء، ثمّ واصلت تقديم المأكولات. تسريحة شعرها ذكّرت سترايك بيوم زفافها.

الشكوك التي أثارتها زيارتها لتلك العيادة المجهولة ما زالت في ذهنه، ودفعته إلى تقييم قوامها في الفستان الرمادي الملاصق لجسمها. من المؤكّد أنّها لم تكن حاملًا، واحتساؤها الخمر بدا مؤشّرًا آخر يدحض ذلك الاحتمال، لكن قد يكون من الممكن أنّهما بدآ للتوّ بعملية التلقيح الاصطناعي.

تبيّن سترايك، قبالته مباشرة، من خلال الراقصين، المحققة فانيسا إكوينسي، وفوجئ بوجودها في الحفل. كانت تتّكئ على الحائط وتتحدّث إلى رجل أشقر طويل القامة بدا، باهتمامه المفرط، وكأنّه نسي مؤقتًا أنّه يضع في إصبعه خاتم زواج. نظرت فانيسا عبر الغرفة إلى سترايك وأشارت إليه بنظرة ساخرة أنّها لا تمانع لو جاء يقاطع حديثهما المنفرد. لم يكن الحديث عن كرة

القدم آسرًا لدرجة أنّه يصعب عليه التخلّي عنه، لذلك، عندما سنحت الفرصة، استأذن محدّثه وتسلّل بين الراقصين متوجّهًا نحو فانيسا.

– مساء الخير.

– مرحبًا. وقبِلت قبلته على خدّها بالأناقة التي لطالما تميّزت بها جميع حركاتها.

– كورموران، أقدّم لك أوين... آسفة، لم أحفظ شهرتك.

مهما كان ما أراده أوين من فانيسا، سواء كان مجرّد متعة مغازلة امرأة حسنة المظهر، أو رقم هاتفها، فقد الأمل في الحصول عليه.

قال سترايك، بينما كان أوين يبتعد: «لم أدرك أنّ بينك وبين روبن ودًّا كبيرًا إلى هذه الدرجة».

أجابته: «نعم، تسكّعنا معًا لبعض الوقت. راسلتها بعدما سمعت أنّك طردتها».

«أوه!»، قال سترايك، وهو يشرب جرعة دوم بار. «حسنًا».

«اتّصلت لتشكرني وانتهى بنا الأمر بالخروج لتناول كأس».

لم تذكر روبن هذا لسترايك إطلاقًا، لكنّه يعرف جيّدًا أنّه بذل جهدًا كبيرًا ليبقي حديثهما مرتكزًا على العمل منذ أن عادت من شهر العسل.

علّق قائلًا: «منزل جميل»، محاولًا عدم مقارنة الغرفة المزيّنة بذوق رفيع، بمنزله المؤلف من غرفة جلوس تحتوي على مطبخ في العليّة فوق المكتب. لا شكّ في أنّ ماثيو يكسب راتبًا كبيرًا جدًّا ليوفّر لها هذا المنزل. بالتأكيد ليست الزيادة في راتب روبن هي ما جعلت هذا ممكنًا.

قالت فانيسا: «نعم، المنزل جميل. إنّهما يستأجرانه».

رمق سترايك رقصة لوريلاي لبضع لحظات بينما كان يفكّر في هذه المعلومة المشوّقة. شيء في نبرة فانيسا أخبره أنّها لمست بدورها في ذلك خيارًا لا يرتبط فقط بسوق السكن.

قالت له: «ألقِ اللوم على البكتيريا البحرية». فأجابها سترايك بارتباك كامل: «عفوًا؟».

رمقته بنظرة ثاقبة ثمّ هزّت رأسها ضاحكة: «لا شيء، انسَ الموضوع».

سمع سترايك ماثيو يقول للسيّدة الصهباء خلال فترة الصمت الذي خيّم بين أغنيتين: «نعم، حالفنا حظّ لا بأس به. وحصلنا على تذاكر لمباريات الملاكمة»، فقال في نفسه غاضبًا: «بالطبع فالحظّ لا يبتسم إلّا للسفلة»، فيما كان يبحث عن المزيد من السجائر في جيبه.

في طريق العودة في سيّارة الأجرة عند الواحدة صباحًا، سألته لوريلاي: «هل استمتعت بوقتك؟». أجابها وهو ينظر إلى مصابيح السيّارات القادمة نحوهما: «ليس تمامًا».

فقد شعر بأنّ روبن كانت تتجنّبه. بعد الدفء النسبي الذي اتّسم به حديثهما يوم الخميس، توقع – ماذا؟ حديثًا؟ ضحكة؟ كان يودّ أن يعرف المزيد عن حال ذلك الزواج لكنّه لم يتبيّن منه شيئًا، إذ بدت علاقتها بماثيو ودودة بما فيه الكفاية، لكن استئجارهما للمنزل كان أمرًا مثيرًا للاهتمام. هل كان ذلك يشير، حتى من دون أن يعيا الأمر، إلى افتقارهما إلى الرغبة في الاستثمار في مستقبل مشترك؟ أكان هذا ترتيبًا يسهل إلغاؤه؟ ثمّ كانت هناك صداقة روبن مع فانيسا إيكوينسي، التي اعتبرها سترايك قسمًا آخر من حياتها تعيشه على نحو مستقلّ عن ماثيو.

«ألق اللوم على البكتيريا البحرية».

ماذا يعني ذلك بحق السماء؟ هل يرتبط الأمر بالعيادة الغامضة؟ هل كانت روبن مريضة؟

بعد بضع دقائق من الصمت، خطر لسترايك فجأة أنّه يجب عليه أن يسأل لوريلاي كيف كانت سهرتها.

تنهّدت لوريلاي وأجابت: «شاركت في سهرات أفضل. أخشى أنّ أصدقاء زميلتك روبن مملّون كثر».

فقال سترايك: «نعم، أعتقد أنّ معظمهم أصدقاء زوجها، إنّه محاسب». وأضاف مستمتعًا بقوله: «وغبيّ بعض الشيء».

سارت سيّارة الأجرة في الليل، وتذكّر سترايك كيف بدا قوام روبن في الفستان الرمادي.

قال فجأة: «عفوًا؟» إذ خُيّل إليه أنّ لوريلاي تكلّمت معه.

«سألتك بماذا تفكر؟».

كذب سترايك قائلًا: «لا شيء». ولأنّ ذلك كان أفضل من الكلام، أحاطها بذراعه، وضمّها إليه وقبّلها.

8

... صدّقني! علا شأن مورتنسغارد في العالم. كثيرون هم مَن يهرعونَ نحوه الآن.

هنريك إبسن، روسميرشولم

أرسلت روبن رسالة نصّية إلى سترايك مساء الأحد تسأله فيها عمّا يريدها أن تفعله يوم الاثنين، لأنّها سلّمت جميع مهامّها قبل أن تأخذ إجازتها التي دامت أسبوعًا، فأجابها باقتضاب: «تعالي إلى المكتب». عند الساعة التاسعة والربع في اليوم التالي، كانت تدخل المكتب وهي سعيدة بالعودة إلى الغرف القديمة المتهالكة، بغضّ النظر عن مدى تفاقم الأمور بينها وبين شريكها. وجدت باب مكتب سترايك الداخلي مفتوحًا. كان جالسًا خلف مكتبه، يستمع إلى شخص على هاتفه المحمول. انسكبَ ضوء الشمس في برك من الذهب المسودّ على السجّادة البالية، وسرعان ما طغت خشخشة الغلّاية القديمة على غمغمة حركة المرور الناعمة. بعد خمس دقائق من وصولها، كانت روبن تضع كوبًا من قهوة تايفو ذات اللون البنّي الأدكن أمام سترايك، الذي رفع إبهامه إلى الأعلى وشكرها «شكرًا» صامتًا. عادت إلى مكتبها، حيث أشار ضوء وامض في الهاتف إلى وجود رسالة مسجّلة. فاتّصلت بخدمة الردّ واستمعت بينما أخبرها صوت بارد أنّ المكالمة أجريت قبل عشر دقائق من وصولها، ربّما عندما كان سترايك لا يزالُ في الطابق العلوي أو مشغولًا بالمكالمة الأخرى.

هَمَسَ صوت متصدّع في أذن روبن.

«أنا آسف لأنّني هربت من مكتبك يا سيّد سترايك، أنا آسف. لكنّني لا أستطيع العودة. إنّه يحتجزني هنا، لا يمكنني الخروج، لقد فخّخ الأبواب...».

ضاعت نهاية الجملة في البكاء. حاولت روبن التي اعتراها القلق لفت انتباه سترايك، لكنّه كان قد أدار كرسيّه الدوّار لينظر من النافذة، وكان لا يزال يستمع إلى هاتفه المحمول. من بين أصوات اليأس المثير للشفقة على الهاتف، وصلت إليها كلمات عشوائية.

«... لا أستطيع الخروج... أنا وحدي...».

وسُمع صوت سترايك يقول في مكتبه: «نعم، حسنًا. الأربعاء إذًا، حسنًا؟ رائع، طاب يومك».

... وناح الصوت في أذن روبن: «رجاءً ساعدني، يا سيّد سترايك!».

ضغطت على الزرّ لتنقل المكالمة إلى مكبّر الصوت وفي الحال دوّى الصوت المعذّب في المكتب.

«سوف تنفجر الأبواب إذا حاولت الهروب يا سيّد سترايك، أرجوك أن تساعدني، أرجوك، تعال وخذني، ما كان يجب أن آتي إلى هنا، أخبرته أنّني أعرف عن الفتاة الصغيرة والأمر أخطر، أخطر بكثير، ظننت أنّني أستطيع أن أثق به».

دار سترايك بكرسيّ مكتبه، ثمّ نهض ومشى نحو المكتب الخارجي. علت قعقعة وكأنّ بيلي أوقع سمّاعة الهاتف، واستمرّ النحيب من بعيد، كما لو أنّ المتكلّم المضطرب كان يبتعد عن الهاتف.

قال سترايك: «هذا هو مجدّدًا. بيلي، بيلي نايت».

ارتفع صوت النحيب واللهاث من جديد، وقال بيلي في همس محموم، وبدا واضحًا أنّ شفتيه تضغطان على الميكروفون: «هناك شخص عند الباب. ساعدني، ساعدني، يا سيّد سترايك». وانقطعت المكالمة.

قال سترايك: «سجّلي الرقم». مدّت روبن يدها إلى الهاتف لتتّصل بالرقم 1471، لكن قبل أن تتمكّن من ذلك، رنّ جرس الهاتف مرّة أخرى. فرفعت السمّاعة بسرعة البرق، وعيناها على سترايك.

«مكتب كورموران سترايك».

«آه... نعم صباح الخير»، قال صوت عميق أرستقراطي، فنظرت روبن إلى سترايك بخيبة وهي تهزّ برأسها فتمتم: «تبًا»، وعاد إلى مكتبه ليأخذ كوب الشاي. «أودّ التحدّث إلى السيّد سترايك، من فضلك».

كذبت روبن قائلة: «أخشى أنّ لديه مكالمة أخرى الآن».

كانت تلك عادتهما منذ عام: معاودة الاتّصال بالعميل، وقد أسهم هذا في إبعاد الصحافيين والمتطفلين.

أجاب المتّصل الذي بدا منزعجًا ومن غير المعتادين على عدم الحصول على مطالبهم: «سأنتظر».

«أخشى أنّ الأمر سيستغرق بعض الوقت. هلّا أعطيتني رقمك حتى أطلب إليه أن يعاود الاتّصال بك؟».

«حسنًا، لكن فليتّصل خلال الدقائق العشر المقبلة، لأنّني على وشك الذهاب إلى اجتماع. أخبريه أنّني أريد أن أحدّثه بشأن مهمّة أودّ أن يقوم بها من أجلي».

قالت روبن: «أخشى أنّني لا أستطيع أن أضمن أنّ السيّد سترايك سيكون قادرًا على تولّي المهمّة شخصيًا»، وكان ذلك أيضًا ردّ الفعل المعتمد لإبعاد الصحافة. «مكتبنا يرزح تحت الكثير من المهمّات في الوقت الحاليّ».

سحبت قلمًا وورقة نحوها. «أيّ نوع من المهمّات؟»، قال الصوت بحزم: «يجب أن يهتمّ السيّد سترايك بالمهمّة، أفهميه ذلك بوضوح، يجب أن يهتمّ السيّد سترايك بنفسه بالأمر. اسمي تشيزيل».

طلبت روبن متسائلة عمّا إن كانت سمعت بشكل صحيح: «كيف تهجّئ ذلك؟».

«ت – ش – ي – ز – ي – ل. جاسبر تشيزيل، اطلبي إليه الاتصال بي على الرقم التالي».

دوّنت روبن الأرقام التي أعطاها إيّاها تشيزيل وتمنّت له صباحًا جميلًا. فيما أعادت السمّاعة إلى قاعدتها، جلس سترايك على أريكة الجلد الصناعي

التي يخصّصها للعملاء في الغرفة الخارجية، والتي تصدر أصواتًا أشبه بأصوات إطلاق ريح مزعجة كلّما غيّر الجالس عليها وضعيته.

«رجل يُدعى جاسبر تشيزيل، تهجّى شهرته «تشيزيل» يريدك أن تتولّى مهمّة له. يقول إنّه يجب أن تتولّاها أنت، لا أحد غيرك». صمتت روبن محتارة وأمعنت في التفكير. «أنا أعرف الاسم، أليس كذلك؟» قال سترايك: «نعم، إنّه وزير الثقافة».

«يا إلهي!»، قالت روبن عندما أدركت ذلك. «بالطبع! الرجل الطويل القامة ذو الشعر الغريب!».

«إنه هو».

هاجمت روبن مجموعة من الذكريات المشوّشة وغير المترابطة. وعادت إلى ذاكرتها قصّة قديمة، استقالة مخزية، فإعادة اعتبار، تبعتها أخيرًا، فضيحة جديدة، وحملة سيّئة أخرى قامت بها الصحف على الرجل...

سألت: «ألم يدخل ابنه السجن بتهمة القتل غير المتعمّد قبل وقت ليس ببعيد؟ كان هذا تشيزيل، أليس كذلك؟ كان ابنه يقود سيّارته تحت تأثير المخدّرات وقتل أمًّا شابّة؟»

استعاد سترايك انتباهه المتشتّت من مكانٍ بعيدٍ على ما يبدو، وكان تعبير وجهه غريبًا.

قال سترايك: «نعم، ليس الأمر غريبًا عنّي».

«ما الأمر؟».

قال سترايك، وهو يمرّر يده على ذقنه غير المشذّبة: «بعض الأمور، في الواقع. أوّلًا: تعقبت شقيق بيلي يوم الجمعة.

«كيف؟».

قال سترايك: «القصّة طويلة، لكن اتّضح لي أنّ جيمي كانَ جزءًا من مجموعة تحتجّ على الألعاب الأولمبية، ويسمّون أنفسهم: «مجلس معارضة الألعاب الأولمبية». على أيّ حال، كان برفقة فتاة، وأول ما قالته عندما أخبرتهما أنّني محقّق خاصّ هو: «أرسله تشيزيل».

فكّر سترايك في هذه النقطة بينما كان يشرب الشاي المخمَّر. وتابع وهو يفكّر بصوت عالٍ: «لكن تشيزيل لن يحتاج إليّ لأراقب مجلس معارضة الألعاب الأولمبية لأنّ شرطيًا في ثيابه المدنية كان يراقبهم». على الرغم من اهتمام روبن بسماع الأمور الأخرى التي تزعج سترايك بشأن اتّصال تشيزيل، لم تحثّه على الكلام، بل جلست صامتة، ما سمح له بالتفكير مليًا في التطوّر الجديد. كم افتقد سترايك هذا النوع من اللباقة بعدما تركت المكتب.

أخيرًا، أكمل كما لو أنّ حديثهما لم ينقطع: «بالإضافة إلى ذلك، الابن الذي دخل السجن بتهمة القتل غير المتعمّد ليس – أو لم يكن – ابن تشيزيل الوحيد. كان ابنه البكر يدعى فريدي وتُوفي في العراق. نعم، الرائد فريدي تشيزيل، من سَريّة فرسان الملكة. قضى في هجوم على قافلة في البصرة. حققتُ في وفاته أثناء الخدمة بينما كنت لا أزال في فرع التحقيقات الخاصّة».

«إذًا، أنت تعرف تشيزيل؟».

«كلّا، لم أقابله قطّ. فنحن لا نقابل العائلات، عادة... كنت أعرف ابنة تشيزيل منذ سنين أيضًا. أعرفها قليلًا فقط، لكنّي قابلتها عدّة مرّات. كانت صديقة قديمة لشارلوت من أيّام المدرسة».

أحسّت روبن بارتعاش ضئيل عندما ذكرَ شارلوت، إذ كان يساورها فضول كبير، نجحت في إخفائه، حيال المرأة التي ارتبط بها سترايك طوال ستة عشر عامًا، وكان من المفترض أن يتزوّجها قبل أن تنتهي العلاقة بشكل مزرٍ، وعلى ما يبدو، دائم أيضًا.

قال سترايك وهو يمرّر يده الكبيرة ذات الظهر المشعر على فكّه مرّة أخرى: «من المؤسف أنّنا لم نتمكّن من الحصول على رقم بيلي».

أكّدت له روبن: «سأحرص على حصولي عليه إذا اتّصل مجدّدًا. هل ستعاود الاتصال بتشيزيل؟ قال إنّه على وشك الذهاب إلى اجتماع».

قال سترايك: «أريد أن أعرف ماذا يريد، لكن السؤال هو ما إن كان يمكننا تولّي مهمّة لعميل آخر، لنفكّر...».

وضع يديه خلف رأسه، وعقد حاجبيه وهو ينظر إلى السقف، حيث كشف ضوء الشمس عن العديد من الشقوق الدقيقة. تبًّا لهذا الآن... سيُمسي المكتب قريبًا مشكلة أحد المقاولين...

«حسنًا، لدينا آندي وباركلي يراقبان الشابّ ويبستر. بالمناسبة، باركلي يعمل بطريقة جيّدة. أدّى ثلاثة أيّام كاملة من المراقبة، والتقط الصور، وكلّ شيء... ثمّ هناك صديقنا «الطبيب المتحايل» الذي لم يقم حتى الآن بأيّ شيء مريب».

قالت روبن: «للأسف»، ثمّ تداركت الأمر. «لا، لا أعني ذلك، أعني أنّ هذا جيّد». وفركت عينيها. تنهّدت قائلة: «يا لهذه الوظيفة كيف تعبث بأخلاق ممارسها... من يراقب «المتحايل» اليوم؟»

أجاب سترايك: «كنت سأطلب منك القيام بذلك، لكنّ العميل اتّصل بعد ظهر أمس. كان قد نسي أن يخبرني أنّ «المتحايل» ذهب لحضور ندوة في باريس».

قال سترايك وهو لا يزال يرمق السقف، متجهّمًا من كثرة التفكير: «أمامنا يومان في ذلك المؤتمر التكنولوجي ابتداءً من الغد. ما الذي تريدين القيام به، مهمّة شارع هارلي أم مهمّة مركز مؤتمرات في إيبينج فورست؟ يمكننا التبادل إن كنت تريدين. هل تريدين أن تقضي غدًا في مراقبة «المتحايل» أم مع مئات المهووسين النتنين في قمصان الأبطال الخارقين؟».

وبّخته روبن قائلة: «ليس كلّ خبراء التكنولوجيا نتني الرائحة. رفيقك سبانر ليس كذلك».

قال سترايك: «لا تحكمي على سبانر من كمّية مزيل الرائحة التي يضعها قبل أن يأتي إلى هنا».

كان سبانر، الذي قام بإصلاح شامل لنظام الحاسوب والهاتف الخاصّ بهم عندما شهدت الشركة ازدهارًا وكثر عدد عملائها، هو الأخ الأصغر لنيك... صديق سترايك القديم. وكانت روبن تروقه، وكانا هي وسترايك يدركان ذلك.

فكّر سترايك في الخيارات، وفرك ذقنه مجدّدًا.

وقال أخيرًا: «سأعاود الاتصال بتشيزيل وأكتشف ماذا يريد. من يدري، قد تكون مهمّة أكبر من مهمّة ذلك المحامي الذي تخونه زوجته. إنّه التالي على قائمة الانتظار، أليس كذلك؟ هو، أو تلك السيّدة الأميركية التي تزوّجت تاجر سيّارات الفيراري. كلاهما ينتظر».

تنهّد سترايك. شكّلت الخيانة الزوجية الجزء الأكبر من عملهما. «آمل ألّا تكون زوجة تشيزيل لعوبًا، أرغب في بعض التغيير».

أصدرت الأريكة أصواتها المحرجة المعتادة عندما نهض سترايك عنها. عندما عاد إلى المكتب الداخلي، سألته روبن:

«هل تريدني أن أفرز هذه التقارير، إذًا؟».

قال سترايك: «إن كنت لا تمانعين»، وأغلق الباب خلفه.

عادت روبن إلى حاسوبها وهي تشعر بالبهجة. بدأ أحد المغنّين لتوّه بإنشاد أغنية «نو وومان نو كراي» (لا نساء لا بكاء) في شارع الدنمارك. لفترة من الوقت، بينما كانا يتحدّثان عن بيلي نايت وآل تشيزيل، شعرت روبن كما لو أنّهما عادا بالزمن إلى ما قبل عام، قبل أن يطردها وقبل أن تتزوّج ماثيو.

في هذه الأثناء، في المكتب الداخلي، ردّ تشيزيل على مكالمة سترايك على الفور تقريبًا وصرخ: «تشيزيل».

فقال المحقق: «أنا كورموران سترايك. تكلّمت مع شريكتي قبل قليل».

قال وزير الثقافة الذي بدا كأنّه في مؤخّرة سيّارة: «آه، نعم. لديّ عمل لك، لكنّني لا أريد مناقشته عبر الهاتف، أنا مشغول اليوم وهذا المساء أيضًا للأسف، لكن غدًا سيكون مناسبًا».

في الشارع، كان المغنّي ينشد أغنية «مراقبة المنافقين...». قال سترايك وهو يشاهد ذرّات الغبار تتساقط من خلال ضوء الشمس الساطع: «آسف، غير ممكن غدًا»، لا يمكننا أن نلتقي قبل يوم الجمعة، في الواقع. هل يمكنك أن تعطيني فكرة عن نوع المهمّة التي نتحدّث عنها، سيّدي الوزير؟».

كان ردّ فعل تشيزيل متوتّرًا وغاضبًا:

– لا يمكنني مناقشة الأمر عبر الهاتف، سأدفع لك مقابل وقتك خلال مقابلتنا، إن كان هذا ما تريده.

– ليست المسألة مسألة مال، بل مسألة وقت. أنا مشغول جدًا حتى يوم الجمعة.

– آه، بحق السماء...

أبعد تشيزيل هاتفه فجأة عن فمه وسمعه سترايك يتحدّث بغضب إلى شخص آخر.

– إلى اليسار من هنا أيّها الغبيّ! إلى اليسار؛ بحق السماء! كلّا، سأمشي. تبًا سأمشي، افتح الباب!

في الخلفية، سمع سترايك رجلًا متوتّرًا يقول: «أنا آسف، سيّدي الوزير، كُتب ممنوع الدخول».

«دعك من ذلك! افتح هذا؛ افتح هذا الباب اللعين!».

انتظر سترايك مرفوع الحاجبين. وسمع صفق باب السيّارة، وخطوات سريعة، ثمّ تحدّث جاسبر تشيزيل مجدّدًا، وفمه قريب من جهاز الهاتف.

وصرخ: «المهمّة ملحّة!».

«إذا لم تستطع الانتظار حتى يوم الجمعة، أخشى أن يتعيّن عليك العثور على شخص آخر».

وأنشد المغنّي: «قدمي هي عربتي الوحيدة».

لم يقل تشيزيل شيئًا لبضع ثوان، ثم أردف أخيرًا: «يجب أن تكون أنت، سأشرح لك الأمر عندما نلتقي، لكن... حسنًا، إن كان لا بدّ من أن يكون اللقاء يوم الجمعة، قابلني في نادي برات، في ساحة الحديقة، تعال الساعة الثانية عشرة، سأدعوك إلى الغداء».

وافق سترايك على ذلك قائلًا: «حسنًا»، وبات في حيرة تامّة. «أراك في نادي برات».

أنهى المكالمة وعاد إلى المكتب حيث كانت روبن تفتح البريد وتفرزه. عندما أخبرها بنتيجة المحادثة، بحثت عن المعلومات عن نادي برات على غوغل. ثمّ قالت وهي عاجزة عن التصديق، بعد دقيقة من القراءة على الشاشة:

– لم أظنّ أنّ أماكن كهذه ما زالت موجودة.

– أيّ أماكن؟

– إنّه نادٍ للرجال النبلاء... محافظ جدًا... لا يُسمح للنساء بدخوله، باستثناء ضيوف أعضاء النادي في وقت الغداء... وقرأت روبن في ويكيبيديا: «لتجنب الارتباك، يُطلق على جميع الموظفين الذكور اسم جورج».

– ماذا لو وظفوا امرأة؟

قالت روبن:

– يبدو أنّهم فعلوا ذلك في الثمانينيات. وقالت بمزيج من الفكاهة والرفض: أطلقوا عليها اسم جورجينا.



9

الأفضل لك ألّا تعرف، إنه الأفضل لكلينا.

هنريك إبسن، روسميرشولم

الساعة الحادية عشرة والنصف من يوم الجمعة التالي، خرج سترايك حليقًا، يرتدي بذلة، من محطة مترو أنفاق غرين بارك ومضى في شارع بيكاديلي. مرّت الحافلات ذات الطابقين بنوافذ المتاجر الفاخرة التي كانت تستفيد من حمّى الألعاب الأولمبية للترويج لمزيج انتقائي من السلع: ميداليات الشوكولاتة المغلّفة بمعدن ذهبي ليّن، والأحذية الرياضية مطبوعة بالعلم الوطني، والملصقات الرياضية العتيقة، وأيضًا ودائمًا، الشعار المسنّن الذي قارنه جيمي نايت بالصليب المعقوف المكسور.

أعطى سترايك نفسه متّسعًا من الوقت ليصل إلى نادي برات، لأنّ ساقه كانت تؤلمه مجدّدًا، بعد يومين من العمل الشاق الذي نادرًا ما سمح له بالتخفيف عن الضغط على طرفه الاصطناعي. أمل أنّ تتخلّل المؤتمر التكنولوجي في إيبينغ فورست حيث أمضى اليوم السابق، بعض فترات من الراحة، لكنّ أمله خاب. كان هدفه شريكٌ طُرد قبل مدّة قصيرة من شركة ناشئة للاشتباه في أنّه يحاول بيع ميزات رئيسة من تطبيقهم الجديد إلى شركات منافسة. واقتفى سترايك لساعات أثر الشابّ من كشك إلى كشك، ووثّق تحرّكاته وتفاعلاته جميعها، آملًا أن يتعب ويجلس في مرحلة من

المراحل. لكن بين المقهى حيث يقف العملاء أمام طاولات عالية، وحانة السندويتشات حيث يقف الجميع ويأكلون السوشي بأصابعهم من العلب البلاستيكية، كان «الهدف» قد أمضى ثماني ساعات في المشي أو الوقوف. وبعد ساعات طويلة من التسكّع في شارع هارلي في اليوم السابق، لم يُفاجأ عند إزالة طرفه الاصطناعي ليلًا من أن تكون العملية غير مريحة، فالوسادة الهلامية التي تفصل جذعه عن القصبة الاصطناعية كانت ملتصقة بجلده إلى حدّ بات من الصعب الفصل بينهما. خلال مروره تحت أقواس فندق الريتز البيضاء المظللة، كان يأمل أن يجد في نادي برات كرسيًّا مريحًا وواسعًا واحدًا على الأقلّ ليجلس عليه.

انعطف يمينًا إلى شارع سانت جيمس، مما قاده مباشرة، في منحدر لطيف، إلى قصر سانت جيمس الذي يعود إلى القرن السادس عشر. لم تكن هذه المنطقة من لندن بقعةً يزورها سترايك عادةً بدافع خاصّ، إذ إنّه كان يفتقر إلى المال الكافي وإلى الرغبة في الشراء من تجّار الملابس الرجالية الجاهزة، أو متاجر الأسلحة القديمة أو تجار النبيذ القدامى المتجذّرين هنا منذ قرون. وبينما كان يقترب من باحة بارك بليس، استعاد ذكرى شخصية. لقد سار في هذا الشارع قبل أكثر من عشر سنوات مع شارلوت.

يومها صعدا المنحدر ولم ينزلاه، متوجّهين إلى موعد غداء مع والدها، الذي لم يكن قد تُوفّي بعد. كان سترايك في إجازة من الجيش وكانا قد استأنفا أخيرًا ما كان، بالنسبة لكلّ من يعرفهما، علاقة غير مفهومة، محكومًا عليها بالفشل لا محال، لم يدعمها أحد من أصدقائهما على الإطلاق. كان أصدقاؤه وعائلته ينظرون إلى شارلوت بارتياب واشمئزاز، ولطالما اعتبرت عائلتها سترايك ابنًا غير شرعي لنجم موسيقى الروك السيّئ السمعة، وتعبيرًا آخر عن حاجة شارلوت إلى التمرّد وإحداث صدمة في نفوس الناس. لم يكن لمهنة سترايك العسكرية تأثيرٌ حسنٌ على عائلة شارلوت، بل رأوا فيها علامة أخرى تثبت أنّه لا يحقّ له أن يتطلّع إلى الزواج بفتاة جميلة حسنة المنشأ، لأنّ الرجال من طبقة شارلوت الاجتماعية لا يدخلون الشرطة العسكرية، بل أفواج الفرسان أو الحرس الملكي.

أمسكت يده بإحكام شديد عندما دخلا مطعمًا إيطاليًا على مقربة من هنا، لم يعد سترايك يتذكّر موقعه بدقّة. كلّ ما يتذكّره هو أنّ تعبيرًا عن الغضب والرفض اعتلى وجه السير أنتوني كامبل عندما اقتربا من الطاولة. وعرف سترايك، قبل أن تُلفظ كلمة واحدة، أنّ شارلوت لم تخبر والدها بأنّها وسترايك استأنفا علاقتهما، أو أنّها ستحضره معها. كان ذلك إغفالًا شاملًا آخر على طريقة شارلوت، يؤدّي إلى الشجار «الشارلوتي» المعهود. وكان سترايك قد استنتج منذ وقت طويل أنّها تهندس تلك المواقف بدافع حاجة إلى الصراعات لا تستطيع إشباعها. وإذ كانت أحيانًا تدلي بتصاريحَ صادقة جارحة ومفاجئة خلال هوسها الأسطوري العام، فقد أخبرت سترايك قُريب نهاية علاقتهما، أنّها خلال تلك الشجارات على الأقلّ، كانت تشعر بأنّها على قيد الحياة.

عندما وصل سترايك إلى باحة بارك بلايس، ورأى مجموعة المنازل الريفية المطليّة باللون العاجي التي تؤدّي إلى شارع سانت جيمس، لاحظ أنّ الذكرى المفاجئة لتمسّك شارلوت بيده لم تعد مؤلمة، وشعر كأنّه مدمن على الكحول يشمّ للمرّة الأولى بعد إقلاعه رائحة البيرة بدون أن يتعرّق أو يضطرّ إلى البحث عن أيّ طريقة لتحمّل الإحساس اليائس بالنقص الذي تولّده. «ربّما هذا هو المكان»، قال في نفسه وهو يقترب من باب نادي برات الأسود، الذي يعلوه درابزين من الحديد المطاوع. ربّما كان شُفيَ، بعد أن أخبرته الكذبة التي لا تُغتفر من عامين لينفصل عنها نهائيًا، وتخلّص ممّا كان يعتبره أحيانًا، على الرغم من أنّه لا يؤمن بالخرافات، نوعًا من مثلث برمودا ومنطقة خطر يخشى أن يُسحب مجدّدًا إليها وإلى أعماق القلق والألم بسبب الجاذبية الغامضة التي كانت تمارسها عليه.

طرق سترايك باب نادي برات من دون حماس.

فتحت الباب امرأة قصيرة القامة تتّسم بالأمومة، فذكّره صدرها البارز وعيناها المفعمتان بالحيوية والبريق بطائر أبو الحنّاء أو طائر النمنمة، وعندما تكلمت وجد أثرًا للكنة المناطق الغربية من البلاد.

«لا بدّ من أنك السيد سترايك. لم يصل الوزير بعد، تفضّل معي». تبعها سترايك عبر العتبة إلى ردهة لمح فيها طاولة بلياردو ضخمة. سادت الألوان القرمزية المكثفة، والأخشاب الدكناء والخضراء في المكان. قادته المضيفة، التي افترض أنها تُدعى جورجينا، إلى أسفل مجموعة من السلالم الشديدة الانحدار، سلكها سترايك بتؤدة، وهو يحكم قبضته على الدرابزين.

أدّت بهما السلالم إلى قبو مريح. كان سقفه منخفضًا لدرجة أنه بدا مدعومًا جزئيًا بخزانة كبيرة عُرضت عليها أطباق خزفية متنوّعة، بدت الأعلى منها وكأنّها ملتصقة في جبس السقف.

قالت السيدة موضحة ما هو واضح: «نحن لسنا كثرًا، ستّمئة عضو، لكن لا يمكننا تقديم سوى أربع عشرةَ وجبة دفعة واحدة. هل ترغب في مشروب، يا سيّد سترايك؟».

رفض سترايك عرضها، لكنّه قبل دعوتها للجلوس في أحد الكراسي الجلدية التي صُفت حول طاولة بريدج قديمة.

قسَمَ ممرّ مقنطر المساحة الصغيرة إلى منطقتين، واحدة للجلوس وأخرى لتناول الطعام. وقد أعدّ مكانان على الطاولة الطويلة في النصف الآخر من الغرفة، تحت نوافذ صغيرة مزوّدة بمصاريع. الشخص الآخر الوحيد الذي كان في القبو غيره وجورجينا كان طاهيًا يرتدي سترة بيضاء يعمل في مطبخ صغير على بعد ياردة فقط من مكان جلوس سترايك. استقبلهُ الطاهي بالترحيب بلكنة فرنسية، ثمّ واصل تقطيع لحم البقر المشويّ البارد.

كان هذا النادي نقيض المطاعم الرائجة التي كان سترايك يقتفي أثر الأزواج والزوجات من مرتكبي الخيانة الزوجية فيها، هناك حيث الإضاءة تُبرِز الزجاج والغرانيت، وحيث يجلس نقّاد المطاعم اللاذعون كالنسور على كراسيّ حديثة التصميم غير مريحة. ففي نادي برات، كانت الإضاءة معتمة، وقد نثرت أضواء المصابيح المعلقة فوق الصور نقاطًا على الجدران المغطّاة بورق بلون الأحمر القاني، محجوب إلى حدّ كبير بالأسماك المحنّطة التي وُضعت في علب زجاجية، وبصور الصيد المطبوعة وبالرسوم الكاريكاتورية السياسية. في كوّة من البلاط الأزرق والأبيض على طول أحد جوانب الغرفة، استقرّ موقد

حديدي قديم. أسهمت أطباق الخزف الصيني، والسجّادة الرثّة، والمائدة التي تحمل حمولتها المنزلية من الكاتشب والخردل، بخلق جوّ مريح غير رسمي، كما لو أنّ مجموعة من الأولاد الأرستقراطيين جرّوا جميع ما يحبّونه من عالم الكبار – ألعابه ومشروباته وجوائزه – ونزلوا بها إلى الطابق السفلي حيث كانت مربّية الأطفال تبتسم لهم ابتسامة تبعث على الراحة وتثني عليهم. حلّت الساعة الثانية عشرة، لكنّ تشيزيل لم يصل. ومع ذلك، كانت «جورجينا» ودودة وأفادت سترايك بالمعلومات عن النادي. هي وزوجها الطاهي يقيمان في المبنى الذي لم يستطع الامتناع عن التفكير في أنّه لا شكّ من أغلى العقارات في لندن. للحفاظ على النادي الصغير، الذي أخبرته جورجينا أنّه تأسّس في عام 1857، كان أحدهم يتكلّف الكثير من المال.

قالت جورجينا بذكاء: «يمتلكه دوق ديفونشاير، نعم. هل رأيت كتاب رهاناتنا؟».

قلّب سترايك صفحات المجلّد الثقيل المغطّى بالجلد، حيث سُجّلت الرهانات منذ فترة طويلة. وفي خربشة عملاقة تعود إلى السبعينيات، قرأ: السيدة تاتشر ستشكّل الحكومة المقبلة. الرهان: عشاء كركند، وعلى أن يكون الكركند أكبر من قضيب رجلٍ منتصب.

كان يبتسم وهو يقرأ هذا الرهان عندما دق جرس فوق رأسه.

قالت جورجينا وهي تسرع إلى الطابق العلوي: «لا بدّ أنّه الوزير».

أعاد سترايك كتاب الرهانات إلى رفّه وعاد إلى مقعده. سمع من الطابق العلوي فوق رأسه خطوات ثقيلة أخذت تنزل الدرج، ثمّ الصوت الغاضب والنافد الصبر ذاته الذي سمعه يوم الاثنين.

– لا، يا كينفارا، لا أستطيع. أخبرتك للتوّ لماذا، لديّ اجتماع غداء... لا، لا يمكنك ذلك... الساعة الخامسة إذًا، أجل... أجل... أجل... مع السلامة!

بقدمين كبيرتين، تنتعلان حذاءً أسودَ وتعتليان الدّرج المفضي إلى القبو، ظهر جاسبر تشيزيل، محدِّقًا في ما حوله بتجهّم.

نهض سترايك من كرسيّه.

قال تشيزيل وهو يدقّق في سترايك من تحت حاجبيه الثقيلين: «آه! أنتَ هنا».

لم تثقل كاهل جاسبر تشيزيل كثيرًا السنون الثماني والستّون التي حملها. فقد كان رجلًا طويل القامة، عريض الكتفين – وإن كانا منحنيين قليلًا، إلّا أنّ شعرًا رماديًا كثيفًا كسا رأسه، وعلى الرغم من أنّ الأمر يبدو غير قابل للتصديق نظرًا لكثافته، كان ذلك شعره الحقيقي. جعل هذا الشعر من تشيزيل هدفًا سهلًا لرسّامي الكاريكاتور، لأنّه كان خشنًا ومستقيمًا وطويلًا إلى حدّ ما، ينتصب على رأسه بطريقة توحي بشعر مستعار أو، كما اقترح البعض بطريقة غير لطيفة، فرشاة مدخنة. يضاف إلى الشعر وجهٌ أحمر كبير وعينان صغيرتان وشفة سفلية بارزة، ما أعطاه مظهر طفل ضخم يوشك دومًا على الدخول في نوبة غضب.

قال لسترايك: «زوجتي»، ملوّحًا بالهاتف المحمول الذي ما زال في يده. «نزلت إلى المدينة بدون سابق إنذار. وتتذمّر! وتعتقد أنّني أستطيع التخلّي عن كلّ شيء من أجلها».

مدّ تشيزيل يدًا كبيرة متعرّقة صافحها سترايك، ثمّ خلع المعطف الثقيل الذي كان يرتديه على الرغم من حرارة النهار. أثناء ذلك، لاحظ سترايك الدبّوس الموجود على ربطة العنق العسكرية البالية. كان من المحتمل أن يظنّ شخصٌ يفتقر إلى الخبرة أنّه حصان هزّاز، لكنّ سترايك عرف على الفور أنّه حصان هانوفر الأبيض.

قال سترايك مطأطئًا رأسه بينما جلس الرجلان: «فوج فرسان الملكة الخاص».

قال تشيزيل: «نعم... جورجينا، سآخذ بعضًا من التشيري الذي قدّمته لي عندما كنت هنا مع أليستر». وصاح بسترايك: «وأنت؟».

«لا، شكرًا».

على الرغم من أنّ تشيزيل لم يكن قذرًا بقدر ما كان بيلي نايت، لم تكن رائحته من الأنظف.

«أجل، فرسان الملكة في عدن وسنغافورة، كانت أيّامًا سعيدة».

في الوقت الحالي، لم تبدو عليه سعادة... كانت بشرته المتوردة تبدو عن قريب وكأنّها مغطاة بطبقةٍ غريبةٍ من الجير، بينما انتشرت بقع كبيرة من العرق تحت إبطيه، على قميصه الأزرق. بدا الوزير، بدون ريب، على غرار عملاء سترايك، رجلًا يرزح تحت ضغط شديد، وعندما وصلت كأسه التشيري، عبّ نصفها بجرعة واحدة.

واقترح: «هلّا باشرنا؟» ومن دون انتظار الإجابة صرخ قائلًا: «سنأكل على الفور يا جورجينا».

بمجرّد جلوسهما إلى الطاولة، التي افتُرشت بمفرش مائدة ناصع البياض كتلك المفارش التي كانت تغطّي الطاولات في حفل زفاف روبن، أحضرت لهما جورجينا شرائح سميكة من اللحم البقري المشويّ البارد والبطاطا المسلوقة. كان الطعام كطعام الحضانة الإنكليزية، عاديًا وغير مترف، إلّا أنّه لم يكن سيّئًا. ولم يتكلّم تشيزيل مجدّدًا إلّا عندما تركتهما المضيفة وحدهما في غرفة الطعام المعتمة المليئة بالرسوم الزيتية والمزيد من الأسماك النافقة.

قال تشيزيل بدون مقدّمات: «لقد حضرتَ اجتماع جيمي نايت، تعرّف إليك شرطي في ثياب مدنية هناك».

أومأ سترايك إيجابًا. وضع تشيزيل قطعة بطاطا مسلوقة في فمه ومضغها بغضب ثمّ ابتلعها قبل أن يقول:

«لا أعرف من الذي دفع لك للحصول على المعلومات التي تورّط جيمي نايت، أو ما قد حصلت عليه حتى الآن، ولكن أيًّا كان عميلك ومهما كان لديك من معلومات، فأنا على استعداد لدفع ضعف ما يدفعه لأحصل عليها».

قال سترايك: «يؤسفني أنّني لم أحصل على أيّ معلومات عن جيمي نايت. لم يدفع لي أحد لحضور ذلك الاجتماع».

بدا تشيزيل مذهولًا.

وسأله: «إذًا، لماذا كنت هناك؟ لا تقل لي إنّك تنوي الاحتجاج على الأولمبياد؟».

وشدّد على كلمة «الاحتجاج» إلى حدّ أنّ قطعة صغيرة من البطاطا خرجت من فمه وطارت على المائدة.

فأجابه سترايك: «كلّا. كنت أحاول العثور على شخص توقّعت أن يكون في الاجتماع، لكنّني لم أجده هناك».

هجم تشيزيل على قطعة اللحم خاصّته مجدّدًا وكأنّ له عليها ثأرًا شخصيًا. لبرهةٍ من الزمن، لم تُسمع سوى أصوات سكّينيْهما وشوكتيهما على طبقي الخزف الصيني. اصطاد تشيزيل آخر حبّة بطاطا مسلوقة، ووضعها بكاملها في فمه، وترك سكّينه وشوكته يسقطان محدثين قعقعة على طبقه، وقال: «كنت أخطّط للتعاقد مع محقق قبل أن أسمع أنّك تراقب نايت».

لم يقل سترايك شيئًا. نظر إليه تشيزيل بارتياب: «يقال إنّك ماهر في عملك».

قال سترايك: «لطف منك أن تقول ذلك».

واصل تشيزيل التحديق في سترايك بنوع من اليأس الغاضب، كما لو كان يتساءل عمّا إن كان يستطيع الاعتماد عليه أم أنّ تعامله مع المحقق سينتهي بخيبة أمل كما حصل له مرارًا في حياته.

ثم قال فجأة: «يا سيّد سترايك أنا أتعرّضُ للابتزاز، يبتزّني رجلان اجتمعا في تحالف مؤقت، وغير مستقرّ على الأرجح، وأحدهما هو جيمي نايت».

فقال سترايك: «فهمت».

هو أيضًا وضع سكّينه وشوكته معًا. يبدو أنّ جورجينا علمت بفضل عملية روحانية أنّ سترايك وتشيزيل أكلا وشبعا من الطبق الرئيسي فوصلت لترفع الأطباق، وهي تحمل تورتة بالدبس. عندما عادت إلى المطبخ، وأخذ كلا الرجلين شريحتين كبيرتين من الحلوى، استأنف تشيزيل قصّته، وقال بلهجة نهائية: «لا حاجة للتفاصيل الدنيئة. كلّ ما تحتاج إلى معرفته هو أنّ جيمي نايت يعلم أنّني قمت بشيءٍ لا أرغب في مشاركته مع السادة من السلطة الرابعة».

لم يقل سترايك شيئًا، لكن يبدو أنّ تشيزيل ظنّ أنّ لصمته نكهة اتّهامية، لأنّه أضاف بحدّة: «لم تُرتكب أيّ جريمة». ثم أردف: «قد لا يحبّ البعض ذلك، لكنّ الأمر لم يكن غير قانوني في... لكنّ ذلك ولّى الآن»، وشرب جرعة كبيرة من الماء.

«جاءني نايت قبل شهرين وطلب أربعين ألف جنيه ليحتفظ بصمته. رفضت أن أدفع، إلّا أنّه هدّدني بأن يكشف أمري، لكنّه بدا لي كمن لا يملك دليلًا يثبت ادّعاءه، فخاطرت وتأمّلت ألّا يكون قادرًا على تنفيذ تهديده. ولم يظهر أيّ مقال صحافي، لذلك خلصت إلى أنّني كنت محقًّا في التفكير في أنّه لا يملك أيّ دليل. لكنّه عاد بعد أسابيع قليلة وطلب نصف المبلغ السابق، فرفضت مجدّدًا. عندئذ، وبغية زيادة الضغط عليّ، كما أظنّ، تقرّب من غيرينت وين».

«أنا آسف، لا أعرف من...؟».

«زوج ديلا وين».

سأل سترايك مذهولًا: «ديلا وين وزيرة الرياضة؟».

وأردف تشيزيل: «أجل بالطبع، ديلا وين وزيرة الرياضة».

كان سترايك يعرف جيّدًا أنّ معالي الوزيرة ديلا وين امرأة من ويلز في أوائل الستين من عمرها، كفيفة منذ ولادتها، وكان الشعب – بغضّ النظر عن انتمائه السياسي – يميل إلى الإعجاب بتلك المرأة من الحزب الديمقراطي الليبرالي، التي دافعت عن حقوق الإنسان كمحامية قبل أن تترشّح للبرلمان. وكانت ديلا تتصوّر عادة مع كلبها الإرشادي، وهو لابرادور ذو لون أصفر شاحب، وتظهر كثيرًا في الصحافة في الفترة الأخيرة، بسبب الاهتمام الذي توليه لدورة الألعاب الأولمبية لذوي الحتياجات الخاصة. زارت ديلا مستشفى سيلي أوك عندما كان سترايك في المستشفى يتأقلم مع فقدان ساقه في أفغانستان، وتركت عنده انطباعًا إيجابيًا بفضل ذكائها وتعاطفها مع المصابين. أمّا زوجها فلم يكن سترايك يعرف عنه شيئًا.

قال تشيزيل، وهو يشك سكينه في قطعة من تورتة الدبس: «أجهل ما إن كانت ديلا تعرف شيئًا عن أفعال غيرينت، لا بدّ أنّها تعرف، ولكنّها لا تتدخّل. عملية إنكار مفهومة. لا يمكن توريط القدّيسة ديلا في عملية ابتزاز، أليس كذلك؟».

سأله سترايك غير مصدّق ما يسمعه: «زوجها طلب منك المال؟». «لا! لا! غيرينت يريد أن يجبرني على ترك منصبي».

سأل سترايك: «هل من سبب معيّن لذلك؟».

«هناك عداوة بيننا تعود إلى سنوات طويلة، متجذّرة في كيان لا أساس له تمامًا.. لكن هذا غير ذي صلة»، أجاب تشيزيل وهو يهز رأسه غاضبًا. وأردف: «اقترب منّي غيرينت قائلًا: آمل أن يكون ذلك غير صحيح، وقدّم لي فرصة للشرح. إنّه رجل وضيع شرّير مراوغ قضى حياته في حمل حقيبة يد زوجته والردّ على مكالماتها الهاتفية. والآن بالطبع، يستمتع بفكرة أن يحظى ببعض السلطة الفعلية».

تجرّع تشيزيل بعضًا من مشروب الشيري.

«لذا، كما ترى، أنا في مأزق، يا سيّد سترايك. حتى لو كنت أرغب في الدفع لجيمي نايت، لا يزال يتعيّن عليّ أن أتصارح مع رجل يريد تلطيخ سمعتي، وقد يكون قادرًا على تقديم الدليل».

«كيف يستطيع وين أن يحصل على دليل؟».

ملأ تشيزيل فمه مجدّدًا من تورتة الدبس ونظر من فوق كتفه للتأكّد من أنّ جورجينا قابعة بأمان في المطبخ.

وتمتم: «سمعت» وتطاير فتات خفيف من المعجّنات من شفتيه المتراخيتين، «عن احتمال وجود صور فوتوغرافية».

كرّر سترايك: «صور؟».

«لا يملكها وين بالطبع، فلو كانت في حوزته لكان الأمر منتهيًا. لكنّه قد يجد طريقة ليضع يده عليها، نعم».

ووضع آخر قطعة من التورتة في فمه، ثمّ قال: «بالطبع، هناك احتمال ألّا تدينني تلك الصور. فما من علامات فارقة، على حدّ علمي».

تعطّل خيال سترايك. كان يتوق لسؤاله: أيّ علامات فارقة أيّها الوزير؟ لكنّه امتنع.

وتابع تشيزيل: «حدث هذا كلّه قبل ست سنوات، فكّرت في الأمر مرارًا وتكرارًا. كان هناك آخرون متورّطون وربّما تكلّموا عمّا جرى، لكنّني أشكّ في ذلك، أشكّ في ذلك كثيرًا. فقد يخسرون الكثير. لا، الأمر يتعلق بما سيتمكّن وين ونايت من اكتشافه. أنا واثق من أنّه إذا حصل على الصور، سيتوجّه وين

مباشرة إلى الصحافة. أمّا نايت، فأستبعد أن يكون هذا خياره الأول، فهو بكلّ بساطة يرغب في الحصول على المال. ها أنا ذا يا سيّد سترايك، الهاوية أمامي والذئاب تطاردني. عشت وهذا السيف مصلت فوق رأسي لأسابيع، لم يكن الأمر ممتعًا».

حدّق في سترايك بعينيه الصغيرتين، واستحوذت على عقل المحقق صورة خلد يرمش أمام مجرفة تحوم أمامه مهدّدةً بقتله.

«عندما سمعت أنّك كنت في ذلك الاجتماع، افترضت أنّك تتحرّى عن نايت وأنّك وجدت بعض المعلومات التي تدينه، وتوصّلت إلى استنتاج مفاده أنّ السبيل الوحيد للخروج من هذا الموقف الشيطاني هو العثور على معلومات يمكنني استخدامها ضدّ كلّ منهما، قبل أن يضعا أيديهما على تلك الصور. حارب النار بالنار».

وسأل سترايك: «محاربة الابتزاز بالابتزاز؟».

قال تشيزيل: «لا أريد منهما سوى أن يتركاني وشأني. كلّ ما أريده هو أوراق للمساومة». ثمّ قال بحزم: «أنا تصرّفت في إطار القانون ووفقًا لضميري».

لم يكن تشيزيل رجلًا محبوبًا، لكن كان بإمكان سترايك أن يتخيّل جيّدًا كم أنّ الضغط النفسي المستمرّ في انتظار الفضيحة تعذيب أليم، ولا سيّما لرجل تحمّل ما يكفيه من الفضائح. فقد كشفت الأبحاث الضئيلة التي أجراها سترايك عن عميله المحتمل مساء أمس عن روايات مرحة بشأن قضيّة الخيانة التي أنهت زواجه الأول، ورواية تفيد أنّ زوجته الثانية أمضت أسبوعًا في مستشفى للأمراض النفسية بسبب «الإرهاق العصبي»، كلّ ذلك وحادث السيّارة المروّع الذي تسبّب به ابنه الأصغر وهو تحت تأثير المخدّرات وذهبت ضحيّته أمّ شابة.

قال سترايك: «هذه مهمّة كبيرة جدًّا يا سيد تشيزيل. سأحتاج إلى شخصين أو ثلاثة ليتحرّوا عن نايت ووين، خصوصًا إن كان الوقت عاملًا مهمًّا».

قال تشيزيل: «لا يهمّني ما قد يكلّف ذلك. لا يهمّني إن كان عليك تكليف جميع موظفي وكالتك بالمهمّة. لا أصدّق أنه ليس هناك من أمور مريبة قام بها وين، ذلك الضفدع المراوغ. هناك أمر مريب بشأنهما كزوجين.

هي، ملاك النور المكفوفة»، وهنا ازدادت شفة تشيزيل التفافًا، «وهو، تابعها ويدها اليمنى، يحوك المكائد ويطعن في الظهر ويضع يده على كلّ ما يمكنه الحصول عليه من غنائم مجّانية. لا بدّ من أن تجد شيئًا عنهما، لا بدّ من ذلك. أمّا بالنسبة إلى نايت، ذاك المحرّض الشيوعي، فلا بدّ من أن يكون اقترف ما لم تكتشفه الشرطة بعد. لطالما كان شخصًا متهوّرًا وفاشلًا».

سأل سترايك: «هل كنت تعرف جيمي نايت قبل أن يحاول ابتزازك؟».

قال تشيزيل: «أجل. عائلة نايت من دائرتي الانتخابية، كان الأب رجلًا يقوم بشتّى الأعمال، وعمل كثيرًا لدى عائلتنا. لم أعرف الأم قطّ. أعتقد أنّها تُوفيت قبل أن ينتقل الثلاثة إلى ستيدا كوتادج».

فقال سترايك: «فهمت». وتذكّر كلمات بيلي الجزعة، «رأيت طفلة تُخنق ولا أحد يصدّقني»، والحركة العصبية بيده التي تنتقل من أنفه إلى صدره فيما كان يرسم نصف إشارة الصليب، والتفاصيل الدقيقة الواضحة التي ذكرها عن البطّانية الوردية التي دُفنت بها الطفلة الميتة.

قال سترايك: «هناك أمر أعتقد أنّه يجب أن أخبرك إيّاه قبل أن نناقش الشروط يا سيّد تشيزيل. كنت في اجتماع مجلس معارضة الألعاب الأولمبية لأنّني كنت أحاول العثور على شقيق نايت الأصغر، المدعوّ بيلي».

ازدادت التجاعيد بين عينَي تشيزيل القصيرتي النظر واحدة. «أجل، أتذكّر أنّهما كانا اثنين، لكنّ جيمي كان أكبر سنًّا بكثير – عشر سنوات أو أكثر، على ما أظنّ. لم أر... بيلي، أليس كذلك؟... منذ سنين».

قال سترايك: «في الواقع، إنّه يعاني مرضًا عقليًا خطيرًا، زارني يوم الاثنين الماضي وأخبرني قصّة غريبة، ثمّ رحل».

انتظر تشيزيل، وكان سترايك متأكّدًا من أنّه لمس لديه توتّرًا.

قال سترايك: «بيلي يدّعي أنّه شاهد طفلة صغيرة تُخنق عندما كان صغيرًا جدًّا».

لم يتراجع تشيزيل مرعوبًا؛ لم يصرخ أو يغضب. لم يسأل سترايك ما إن كان هذا الأخير يتّهمه، ولم يسأله ما علاقته بالموضوع. لم يردّ بأيّ من ردود

الفعل الدفاعية الملتهبة التي يعتمدها الرجل المذنب، ومع ذلك كان بإمكان سترايك أن يقسم بأنّ تشيزيل سمع تلك القصّة من قبل.

سأله وهو يمرّر إصبعه على كأس النبيذ الذي يحمله «ومن يدّعي بيلي أنّه الفاعل؟».

«لم يخبرني... أو أنّه لم يشأ أن يخبرني».

وسأل تشيزيل بقسوة: «أتعتقد أنّ هذا هو ما يبتزّني به نايت؟ قتل طفلة؟».

قال سترايك: «رأيت أنّه يجب أن تعرف لماذا ذهبت للبحث عن جيمي».

قال جاسبر تشيزيل بحزم: «لم أقترف أيّ جريمة قتل». وابتلع ما بقي من ماء في كوبه. وأضاف، فيما كان يضع كوبه الزجاجي الفارغ على الطاولة: «لا يمكن أن يحاسب المرء على عواقب أفعاله غير المقصودة».

10

ظننْتنا سنتمكّن من تحقيق ذلك معًا.

هنريك إبسن، روسميرشولم

خرج المحقق والوزير من 14 بارك بليس بعد ساعة وسارا على بعد أمتار أعادتهما إلى شارع سانت جيمس. تحوّل تشيزيل إلى رجلٍ أقلّ تسخّطًا وأكثر ارتياحًا خلال تناول القهوة، ولعلّ ذلك، كما توقّع سترايك، بسبب ارتياحه للإجراءات التي قام بها ليرفع عنه عبئًا بات لا يطاق من الرهبة والضغوط. اتّفقا على الشروط وسُرّ سترايك بالصفقة، لأنّها تعد بأن يكون العمل ذا أجر أفضل وأكثر تحدّيًا من الأعمال التي كانت تُلزَم إلى الوكالة منذ فترة.

قال تشيزيل وهو يحدّق في شارع سانت جيمس بينما توقف الاثنان عند الزاوية: «شكرًا يا سيّد سترايك، يجب أن أتركك هنا، لديّ موعد مع ابني».

لكنّه لم يتحرّك.

ثمّ قال فجأة، وهو يلقي نظرة خاطفة على سترايك من طرف عينيه: «لقد حقّقتَ في وفاة فريدي».

لم يتوقع سترايك أن يثير تشيزيل الموضوع، ولا سيّما هنا، كفكرة لاحقة، بعد كثافة المناقشة التي دارت بينهما في الطابق السفلي.

أجاب: «نعم. أنا آسف».

ظلّت عينا تشيزيل ثابتتين على واجهة صالة عرض فنّي بعيد، ثم قال: «تذكّرت أنّ اسمك ورد في التقرير، إنّه اسم غير عادي».

بلع ريقه وهو لا يزال يحدّق في الواجهة، وبدا غريبًا في عدم رغبته في المغادرة للذهاب إلى موعده.

ثم قال: «فريدي ولد رائع! رائع! انخرط في فوجي القديم أو في الحقيقة ما أعتبره كذلك. فقد دُمجت فرقة فرسان الملكة مع الفرقة الأيرلندية الملكية عام ثلاثة وتسعين، كما تعلم. إذًا فقد انضمّ إلى فرقة فرسان الملكية. وكان شابًا واعدًا، مفعمًا بالحيوية. لكن بالطبع، أنت لم تعرفه قطّ».

فأجابه سترايك: «لا».

بدت بعض التعليقات المهذبة ضرورية. «كان ابنك البكر، أليس كذلك؟».

قال تشيزيل مومئًا برأسه: «من بين أربعة. فتاتان»، وبدا من نبرته وكأنّه يصرفهما إلى البعيد، لأنّهما مجرّد امرأتين، وأضاف بقسوة: «وذاك الصبيّ الآخر. لقد دخل السجن. ربّما رأيت الصحف؟».

كذب سترايك قائلًا: «لا»، لأنّه كان يعلم ما قد يشعر به المرء عندما تتناقل الصحف تفاصيل حياته الشخصية. وفي هذه الحالة، يكون من باب اللطف، ولو لم يكن ذلك العمل ذا مصداقية على الإطلاق، أن تتظاهر بأنّك لم تقرأها كلها، ومن باب التهذيب، أن تدع الناس يروون قصّتهم بأنفسهم.

قال تشيزيل: «افتعل راف المشاكل طوال حياته. حصلت له على وظيفة هناك». وأشار بإصبع غليظ إلى نافذة الصالة البعيدة وقال: «تخلّى عن دراسته في تاريخ الفنّ. صديقي يملك هذه الصالة، وافق على توظيفه. تقول زوجتي إنّه لا جدوى منه. لقد قتل أمًّا شابّة في سيّارة. كان قد تعاطى مخدرات».

لم يقل سترايك شيئًا.

«حسنًا، إلى اللقاء»، قال تشيزيل وكأنّه يخرج من وصلة حزينة. مدّ يده المتعرّقة مرّة أخرى وصافحه سترايك، ثمّ ابتعد، ملتفًّا بالمعطف السميك الذي لم يكن مناسبًا أبدًا لهذا اليوم الرائع من يونيو.

تقدّم سترايك في شارع سانت جيمس في الاتّجاه المعاكس، وسحب هاتفه المحمول أثناء سيره.

ردّت روبن من الرنّة الثالثة.

قال لها سترايك بدون مقدّمات: «يجب أن أقابلك، حصلنا على قضيّة جديدة، قضيّة كبيرة».

فقالت: «اللعنة! أنا في شارع هارلي. أعلم أنّك مع تشيزيل. لم أشأ أن أزعجك. لكنّ زوجة آندي كسرت معصمها حين سقطت عن السلّم، فتطوّعتُ لمراقبة الطبيب المتحايل حتى يصطحبها آندي إلى المستشفى».

– اللعنة، أين باركلي؟

– لا يزال يراقب ويبستر.

– هل المتحايل في غرفة معايناته؟

– أجل.

قال سترايك: «حسنًا سوف نجازف بذلك، فهو يرجع مباشرة إلى منزله أيام الجمعة في العادة. الأمر طارئ، أريد أن أطلعك على الأمر وجهًا لوجه، هل يمكنك مقابلتي في حانة رد لايون في شارع دوق يورك؟».

بعد أن رفض كلّ ما عُرض عليه من كحول خلال وجبته مع تشيزيل، أحسّ سترايك برغبة في احتساء نصف لتر من الجعة بدلًا من العودة إلى المكتب. كانت بذلته غير متناسقة مع روّاد حانة وايت هورس في إيست هام، أمّا هنا، في منطقة مايفير، فهو يرتدي الملابس المثالية. بعد دقيقتين دخل حانة رد لايون في شارع دوق يورك، وهي حانة من العصر الفيكتوري، دافئة، تذكّره التركيبات النحاسية والزجاج المحفور فيها بتوتنهام. حمل سترايك نصف لتر من جعة لندن برايد إلى طاولة منزوية في ركن الحانة، وبحث عن معلومات عن ديلا وين وزوجها على هاتفه وبدأ بقراءة مقال عن الألعاب البارالمبية المقبلة يحوي الكثير من اقتباسات ديلا.

بعد خمس وعشرين دقيقة وصلت روبن. قالت: «مرحبًا» ووضعت حقيبتها على المقعد المقابل له.

سألها: «أترغبين في شراب؟».

أجابت: «سأحضره». ثمّ: «إذًا؟» بعدما عادت إليه بعد دقيقتين، وهي تحمل كوبًا من عصير البرتقال. ابتسم سترايك لرؤيتها لا تقوى على الانتظار: «ما هو الموضوع؟ ماذا أراد تشيزيل؟».

اكتظّت الحانة، التي تتألف من مساحة صغيرة جدًا حول بارٍ واحد، برجال ونساء أنيقين، بدأوا عطلة نهاية أسبوعهم باكرًا أو، على غرار سترايك وروبن، كانوا ينهون يوم عملهم باحتساء كأس. أخبرها سترايك بصوت خافت بما جرى بينه وبين تشيزيل.

عندما أنهى سترايك أخيرًا تزويدها، قالت روبن بصراحة: «إذًا، سنحاول الحصول على معلومات تفضح ديلا وين؟» فأجاب سترايك مصحّحًا: «تفضح زوجها، وتشيزيل يفضّل عبارة أوراق مساومة».

لم تقل روبن شيئًا، بل احتست جرعة من عصير البرتقال.

قال سترايك وهو يقرأ بشكل صحيح تعبيرها المضطرب: «الابتزاز أمر غير قانوني يا روبن. يحاول نايت سحب أربعين ألفًا من تشيزيل ووين يريد إجباره على الاستقالة من وظيفته».

«إذًا سوف يبتزّهما هو بدوره وسنساعده على ذلك؟».

قال سترايك بقسوة: «نحن ننبش المعلومات الفاضحة عن الناس كلّ يوم، لقد فات الأوان ليؤنّبك ضميرك بهذا الشأن».

ثمّ أخذ جرعة كبيرة من كأسه، منزعجًا لا من موقفها فحسب، بل لأنّه أظهر استياءه لها. كانت تقيم مع زوجها في منزل جميل في شارع ألبوري، له نوافذ تنزلق عموديًا، بينما يقيم هو في غرفتين رطبتين، سوف يُطرد منهما قريبًا بسبب تجديد مباني الشارع. لم تُعهد للوكالة من قبل مهمّة توفر لثلاثة أشخاص عملًا بدوام كامل ربّما يمتدّ على شهور، ولم يكن سترايك مستعدًّا للاعتذار عن حرصه على القبول بها. كان قد ملّ، بعد سنوات من الكدّ في العمل، من أن يصبح حسابه في المصرف مدينًا كلما انخفض عدد عملاء الوكالة. وكانت له طموحات في مجال عمله لا يمكن تحقيقها من دون بناء رصيد مصرفي أكثر متانة. ومع ذلك، شعر بأنّه مضطرّ للدفاع عن موقفه.

– نحن كالمحامين، يا روبن. نقف في جانب العميل.

– لقد رفضت ذلك المصرفي الاستثماري قبل أيّام، ذاك الذي أراد أن يعثر على زوجته...

– لأنّه كان من الواضح أنّه سيلحق الضرر بها إذا وجدها.

قالت روبن، وفي عينيها نظرة تحدٍّ:

– حسنًا، وماذا لو كان ما اكتشفوه عن تشيزيل...

لكن قبل أن تتمكّن من إنهاء جملتها، اصطدم رجل طويل القامة احتدم الحديث بينه وبين صديقه مباشرة بكرسيّها، ما دفعها لتميل إلى الأمام على الطاولة فانقلب كوب عصير البرتقال.

صرخ سترايك: «انتبه!» بينما حاولت روبن مسح العصير عن ثوبها المبلّل. «هلّا تعتذر؟».

قال الرجل ببلادة وهو ينظر إلى روبن المبلّلة بالعصير بينما التفت العديد من الأشخاص يحدّقون فيهم. «يا للهول! هل أنا من فعلَ ذلك؟».

قال سترايك الذي نهض عن كرسيّه ودار حول الطاولة: «نعم، أنت. وهذا ليس اعتذارًا!».

فحذّرته روبن بقولها: «كورموران!».

فقال الرجل كما لو كان يقدّم تنازلًا هائلًا: «حسنًا، أنا آسف». لكن بعد أن رأى حجم سترايك، بدا أسفه أكثر صدقًا. «أنا آسف بالفعل...».

زمجر سترايك: «ارحل من هنا»، ثمّ قال لروبن: «سنبدّل المقاعد. حتى أكون أنا من يتلقى الصدمة إذا ما اصطدم شخص آخر بنا، لا أنت».

حملت روبن حقيبة يدها المبلّلة، وهي تتأرجح بين شعورَي الإحراج والتأثر، وفعلت ما طلبه. عاد سترايك إلى الطاولة ممسكًا بحفنة من المناديل الورقية وأعطاها إيّاها.

«شكرًا».

كان من الصعب على روبن أن تكمل في سلوكها القتالي تجاهه بينما ضحّى بجلوسه على كرسيّ مبلل بعصير البرتقال ليجنّبها القيام بذلك. انحنت روبن وقالت بهدوء:

– أنت تعرف ما أنا قلقة بشأنه، الموضوع الذي أثاره بيلي.

كان الفستان القطني الرفيع يلتصق بجسمها في كلّ مكان: فحدّق سترايك في عينيها بثبات.

– سألت تشيزيل عن ذلك.

– أحقًا فعلت؟

– بالطبع فعلت، ما الذي قد يخطر ببالي غير ذلك عندما قال إنّ شقيق بيلي يبتزّه؟

– وماذا قال؟

– قال إنّه لم يقتل أحدًا يومًا، لكن «لا يمكن محاسبة أحد على عواقب أفعاله غير المقصودة».

– ما معنى هذا بحق السماء؟

– سألته. فأعطاني مثالًا افتراضيًا لرجل أوقع حبّة سكاكر بالنعناع على الأرض، فأكلها طفل صغير لاحقًا واختنق بها ومات.

– ماذا؟

– هذا رأيي تمامًا. أفترض أنّ بيلي لم يعاود الاتصال؟

هزّت روبن رأسها.

قال سترايك:

– اسمعي، الاحتمال الأقوى هو أنّ بيلي مريضٌ واهم. فعندما أخبرت تشيزيل ما قاله، لم أتبيّن عنده أيّ شعور بالذنب أو الخوف...

وفيما كان يقول ذلك، تذكّر الشحوب العابر الذي اعتلى ملامح تشيزيل، والانطباع الذي تولّد لديه عندها، بأنّه يعرف تلك القصّة من قبل.

سألت روبن:

– إذًا بمَ يبتزّون تشيزيل؟

فأجابها سترايك:

– ليست لديّ أدنى فكرة. قال إنّه أمر حدث قبل ست سنوات، وهذا لا يتناسب وقصّة بيلي، لأنّه لم يكن طفلًا صغيرًا منذ ست سنوات. لكنّ تشيزيل قال إنّ هناك من يظنّ أنّ ما فعله غير أخلاقي، لكنّه ليس غير قانوني. وأشار إلى أنّ ما فعله لم يكن مخالفًا للقانون آنذاك إلّا أنّه بات كذلك اليوم.

قمع سترايك تثاؤبة. فالجعة وحرارة الأصيل جعلاه يشعر بالنعاس. لا يزال عليه أن يزور لوريلاي في وقت لاحق من المساء.

سألته روبن:

– إذًا، هل تصدّقه؟

تساءل سترايك بصوت عالٍ، وعيناه على المرآة المحفورة خلف روبن:

– هل أثق بتشيزيل؟ إذا اضطررت للجزم لقلت إنّه كان صادقًا معي اليوم لأنّه يائس. هل أعتقد أنّه جدير بالثقة عمومًا؟ ربّما ليس أكثر من أيّ شخص آخر.

سألت روبن وهي لا تصدّق أذنيها:

– لم يرقك أليس كذلك؟ لقد قرأت عنه.

– وبعد؟

– يؤيّد الحكم بالإعدام، ويناهض قانون الهجرة، وقد صوّت ضدّ تمديد إجازة الأمومة...

لم تلاحظ نظرة سترايك اللاإرادية إلى بطنها فيما كانت تتابع:

– دافع عن قيم الأسرة، ثمّ هجر زوجته ليقيم علاقة مع صحافية.

– حسنًا، لن أختاره صديقًا مقرّبًا، لكن هناك شيئًا مثيرًا للشفقة فيه. لقد فقد ابنًا، والآخر قتل امرأة بحادث سيّارة منذ فترة قصيرة...

قالت روبن:

– أجل، ها أنت ذا. يدعو إلى حبس المجرمين الصغار وإلقاء المفتاح بعيدًا، ثمّ يدهس ابنه أمًّا شابّة وإذا به يقوم بكل ما في وسعه لتقصير مدّة عقو...

وصمتت فجأة فيما تعالى صوت امرأة قالت:

– روبن! يا للمفاجأة الجميلة!

كانت سارة تشادلوك قد دخلت الحانة للتوّ مع رجلين.

تمتمت روبن رغمًا عنها: «يا للهول!»، ثم قالت بصوت أعلى: «مرحبًا يا سارة!».

كانت روبن لتعطي كلّ ما تملك لقاء تفادي هذا اللقاء. فسارة ستكون في قمة السعادة لحيازتها فرصة إخبار ماثيو أنّها وجدت روبن وسترايك جالسين معًا في حانة في مايفير، فيما أخبرت روبن ماثيو بنفسها عبر الهاتف قبل ساعة واحدة فقط أنّها كانت وحدها في شارع هارلي.

أصرّت سارة على الدوران حول الطاولة لمعانقة روبن التي كانت واثقة بأنّها ما كانت لتفعل ذلك لولا الرجلان اللذان يرافقانها.

«حبيبتي، ماذا حدث لك؟ أنت دبقة!».

هنا في هذا الحيّ الأنيق في مايفير، كانت سارة أكثر تفاخرًا من أيّ مكان آخر قابلتها فيه روبن، لكنّها كانت أكثر دفئًا بكثير.

تمتمت روبن: «لا شيء، سكبت عصير البرتقال على نفسي، هذا كلّ ما في الأمر». «كورموران!» قالت سارة بمرح وهي تنقضّ على سترايك لتطبع قبلة على خدّه. بالكثير من السرور، لاحظت روبن أنّ سترايك جلس دونَ أن يحرّك ساكنًا. ثم سألت سارة فيما احتضنت كليهما بابتسامة العارفة: «قليل من الراحة والترفيه؟».

فأجابها سترايك بصراحة لاذعة: «إنّنا نعمل».

مشت سارة التي لم تتلقّ أيّ تشجيع للبقاء إلى الجهة المقابلة من الحانة وتبعها زميلاها، وتمتمت روبن قائلة: «نسيت أنّ دار كريستيز عند الزاوية».

نظر سترايك إلى ساعته، فهو لا يرغب في الذهاب عند لوريلاي وهو يرتدي بذلته هذه. على كلّ حال فقد تلطّخت بعصير البرتقال بعدما جلس على مقعد روبن.

«يجب أن نتّفق على خطّة عمل، لأنّنا سنبدأ غدًا».

قالت روبن «حسنًا» بشيء من القلق، فهي لم تعمل خلال عطلة نهاية الأسبوع منذ وقت طويل. وقد اعتاد ماثيو وجودها في المنزل.

أضاف سترايك وكأنّه قرأ أفكارها: «لا بأس، لن أحتاج إليك قبل يوم الاثنين. ستتطلّب المهمّة ثلاثة أشخاص على الأقلّ. أعتقد أنّنا حصلنا بالفعل على ما يكفي من المعلومات عن وبستر لإسعاد عميلنا، لذلك سنضع أندي بدوام كامل على قضيّة الطبيب المتحايل، ونبلغ عميلين على قائمة الانتظار

أنّنا لن نكون قادرين على قبول مهمّتيهما هذا الشهر ويمكن أن يتعاون باركلي معنا بشأن قضيّة تشيزيل. وأنتِ، يوم الاثنين ستدخلين مجلس العموم».
سألت روبن مذهولة: «ماذا؟».

«ستدخلين بصفتك إبنة تشيزيل بالعمادة، المهتمّة بالعمل في مجلس الشعب، وتبدئين بغيرينت، الذي يدير مكتب دائرة ديلا الانتخابية في الطرف الآخر من الممرّ المؤدّي إلى مكتب تشيزيل. حدّثيه...

شرب سترايك جرعة بيرة وعبس وهو ينظر إليها من فوق كوبه.

قالت روبن: «ماذا بعد؟» في خشية ممّا سيقوله بعد ذلك.

أجاب سترايك بهدوء وبصوت منخفض إلى حدّ أنّها أجبرت على الانحناء فوق الطاولة لتسمعه: «ما رأيك في مخالفة القانون قليلًا؟».

قالت روبن غير متأكّدة ممّا يدبّره ولا ما إن كان ينبغي عليها أن تجد الأمر مسليًا أو مقلقًا: «حسنًا، أميل إلى معارضة ذلك، هذا ما دفعني أصلًا إلى امتهان العمل الاستقصائي».

«ماذا لو كان القانون يلفّه بعض الغموض، ولا يمكننا الحصول على المعلومات بأيّ طريقة أخرى؟ مع الأخذ في الاعتبار أنّ وين يخالف القانون بدون شك، محاولًا ابتزاز وزير في حكومة الملكة لإجباره على الاستقالة من وظيفته؟».

«هل تعني التنصّت على مكتب وين؟».

قال سترايك: «أصبتِ!». وتابع بعد قراءة صحيحة لتعبيرها المرتاب: «اسمعي، يروي تشيزيل أنّ وين يتكلّم بصوت عالٍ، ولهذا السبب عُيّن في مكتب الدائرة وظلّ بعيدًا من عمل زوجته في وزارة الرياضة. ويبدو أنّه يترك باب مكتبه مفتوحًا معظم الوقت، ويتكلم بصوت عالٍ عن شؤون الناخبين السرّية ويترك أوراقًا خاصّة في المطبخ المشترك. على الأرجح أنّك ستتمكّنين من سحب المعلومات السرّية منه بدون الحاجة إلى جهاز تنصّت، لكنّني لا أظنّ أنّه يمكننا الاعتماد على ذلك».

شربت روبن آخر قطرتين من عصير البرتقال في كأسها وهي تفكّر، ثمّ قالت:

«حسنًا، سأقوم ذلك».

سألها سترايك: «هل أنت واثقة من الأمر؟ حسنًا، لن تتمكّني من إدخال الأجهزة، لأنّه سيتعيّن عليك المرور عبر جهاز الكشف عن المعادن. قلت لتشيزيل إنّني سأحضر له حفنة منها غدًا، سوف يمرّرها لك عندما تصبحين داخل المكتب. ستحتاجين إلى اسم مستعار، أرسليه لي عندما تجدين واحدًا لأرسله إلى تشيزيل. يمكنك استخدام اسم «فينيسيا هول» مجدّدًا، في الواقع، تشيزيل هو من النوع الذي قد تكون له ابنة روحية تدعى فينيسيا.

كان اسم «فينيسيا» اسم روبن الأوسط، إلّا أنّها كانت أكثر توتّرًا من أن تهتمّ بأنّ سترايك، بابتسامته الساخرة، يستمرّ في اعتباره مسليًا.

قال سترايك: «سيكون عليك أن تتنكّري قليلًا أيضًا. تنكّر بسيط، فتشيزيل يتذكّر مظهرك بسبب التغطية التي حظيت بها قضيّة السفّاح، لذلك علينا أن نفترض أنّ وين قد يتذكّرك أيضًا». قالت روبن: «لن أعتمر شعرًا مستعارًا فالطقس حارّ جدًا. قد أضع عدستين لاصقتين ملوّنتين. يمكنني أن أذهب لشرائهما الآن، وقد أضع نظارة أيضًا». اعتلت وجهها مجدّدًا ابتسامة لم تستطع أن تتحكّم بها. وردّدت متحمّسة: «مجلس العموم!».

تلاشت ابتسامة روبن المتحمّسة عندما دخل رأس سارة تشادلوك الأشقر المائل إلى البياض متطفّلًا إلى محيط نظرها في الجهة المقابلة من الحانة. كانت سارة قد اختارت جلستها بحيث تُبقي روبن وسترايك في مجال نظرها.

قالت روبن لسترايك: «لنرحل من هنا».

أثناء عودتهما نحو محطّة مترو الأنفاق، أوضح سترايك أنّ باركلي سوف يقتفي أثر جيمي نايت، وأضاف شارحًا: «لم يعد بوسعي أن أفعل ذلك بعد الآن، فقد كشفتُ عن هويّتي له ولزملائه من مجلس معارضة الألعاب الأولمبية».

«إذًا ما الذي ستفعله؟».

قال سترايك: «سأعمل على سدّ الثغرات، ومتابعة الأدلّة، والمراقبة الليلية إذا احتجنا إليها».

قالت روبن: «مسكينة لوريلاي».

زلّ لسانها قبل أن تتمكّن من تمالك نفسها. أملت عندما رأت أنّ سترايك لم يردّ عليها أن تكون حركة المرور المتزايدة قد حالت بينه وبين سماع ما قالته، وسألته على غرار من يسارع إلى السعال ليخفي ضحكة لم ينجح في لجمها: «هل ذكر تشيزيل ابنه الذي مات في العراق؟».

فقال سترايك: «نعم، من الواضح أنّ فريدي كان ابن تشيزيل المفضّل، ما يثبت أنّه لا يحسن الحكم على الناس».

«ماذا تعني؟».

«كان فريدي تشيزيل رجلًا سافلًا. حققت في أمر الكثيرين من العسكريين الذين ماتوا خلال تأديتهم للواجب، ولم يسألني يومًا هذا العدد من الأشخاص عمّا إذا كان رجال القتيل هم من أطلقوا النار عليه في ظهره وأردوه قتيلًا».

بدت روبن مصدومة.

سأل سترايك باللغة اللاتينية: «لا تذكر عن الأموات سوى الصالحات؟».

تعلمت روبن الكثير من العبارات اللاتينية خلال عملها مع سترايك. أجابت بهدوء وقد وجدت للمرّة الأولى بعض الشفقة في قلبها تجاه جاسبر تشيزيل: «لا يمكنك أن تتوقع من والده أن يتحدّث عنه بالسوء».

افترقا في الجزء العلوي من الشارع، وتوجّهت روبن لشراء العدسات اللاصقة الملوّنة، أمّا هو فمشى نحو محطّة مترو الأنفاق.

شعر سترايك ببهجة غير عادية بعد حديثه مع روبن، فبينما كانا يفكّران في هذه المهمّة الصعبة، عادت ملامح صداقتهما المألوفة إلى الظهور فجأة. كما أنّه أحبّ حماستها لدخولها المرتقب إلى مجلس العموم، وأنّه هو الشخص الذي وفّر لها هذه الفرصة. استمتع حتى بالطريقة التي اختبرت بها افتراضاته بشأن قصّة تشيزيل.

عندما أوشك على دخول المحطّة، انحرف سترايك جانبًا فجأة، ما أثار حفيظة رجل الأعمال الغاضب الذي كان يسير في أعقابه على مسافة ست بوصات. بالكاد تفادى الرجل الاصطدام وانطلق بخطى واسعة وحانقة إلى مترو الأنفاق، بينما انحنى سترايك غيرَ مبالٍ على الحائط الذي تضربه الشمس،

مستمتعًا بالإحساس بالحرارة التي تتغلغل في سترة بذلته بينما يتّصل هاتفيًا بالمفتّش إيريك واردل.

قال سترايك الحقيقة لروبن. فهو فعلًا لا يعتقد أنّ تشيزيل خنق طفلة، لكنّ ردّ فعله حيال قصّة بيلي بدا مريبًا بدون شكّ. بفضل كشف الوزير عن أنّ عائلة نايت كانت تعيش بالقرب من منزله العائلي، بات سترايك يعرف الآن أنّ بيلي كان «طفلًا صغيرًا» في أوكسفوردشاير. كانت الخطوة المنطقية الأولى لتهدئة قلقه المستمرّ بشأن تلك البطّانية الزهرية هي معرفة ما إن كان أيٌّ من أطفال المنطقة اختفى قبل عقدين، ولم يُعثَر عليه مطلقًا.

11

... دعونا نخمد الذكريات كلّها بحسّ
الحرّية الذي نمتلكه، بالبهجة وبالشغف.

هنريك إبسن، روسميرشولم.

كانت لوريلاي بيفن تسكن شقة مفروشة أنيقة فوق متجرها المزدهر للملابس المستعملة القديمة الطراز في كامدن. وصل سترايك في تلك الليلة عند الساعة السابعة والنصف، يحمل زجاجة من نبيذ البينو الأسود بيد فيما تثبّت يده الأخرى هاتفه المحمول على أذنه. فتحت لوريلاي الباب وابتسمت بلطف للمنظر المألوف له على الهاتف، وقبّلته على فمه، وأخذت زجاجة النبيذ من يده، وعادت إلى المطبخ الذي كانت تنبعث منه رائحة طبق الباد تاي المرحّبة بالزائر.

قال سترايك لباركلي: «... أو حاول دخول مجلس معارضة الألعاب الأولمبية نفسه»، وهو يغلق الباب خلفه وينتقل إلى غرفة جلوس لوريلاي، التي برز على جدارها أحد أعمال وارهول الكبيرة من مجموعته الخاصة بإليزابيث تايلور. «سأرسل لك كلّ ما لديّ عن جيمي. إنّه ناشط في مجموعتين مختلفتين أو ثلاث. أجهل ما إن كان يعمل. هو مقيم في وايت هورس في إيست هام. أعتقد أنّه من محبي نادي هامرز».

أجابه باركلي: «كان من الممكن أن يكون الأمر أسوأ» وكان يتحدّث بهدوء كي لا يوقظ طفله المنزعج هذه الأيام من نبوت أسنانه. «كان بالإمكان أن يكون من محبّي تشلسي مثلًا».

«عليك أن تخبره أنك كنت في الجيش سابقًا، فمظهرك مظهر جندي»، أوصاه سترايك وهو يغرق في كرسيّ بذراعين ويرفع ساقه على وسادة مربّعة موضوعة أمامه.

قال باركلي: «لا مشكلة. سأكون الفتى المسكين الذي لم يعرف بماذا تورّط. اليساريون المتشدّدون يحبّون هذا الهراء. سأدعهم يحتضنوني».

أخرج سترايك سجائره من جيبه فيما اعتلت وجهه ابتسامة عريضة. على الرغم من شكوكه الأولية كلّها، بدأ يعتقد أنّه أحسن فعلًا في توظيف باركلي. «حسنًا، لكن لا تتصرّف قبل أن أتّصل بك مجدّدًا. ربّما يوم الأحد».

عندما أقفل سترايك الخطّ، ظهرت لوريلاي تحمل له كأس نبيذ أحمر. فسألها بدون أن يتحرّك من مكانه: «هل تريدين بعض المساعدة في المطبخ؟».

ردّت مبتسمة: «لا، ابق هنا. سأنتهي بعد دقائق قليلة».

راقه مئزرها الذي يعود موديله إلى الخمسينيات. فيما كانت ترجع إلى المطبخ، أشعل سيجارته. على الرغم من أنّ لوريلاي لا تدخّن، لم تعترض على سجائر سترايك ماركة بنسون أند هدجز شرط أن يستخدم منفضة السجائر الكيتش، المزيّنة بكلاب البودل الواثبة والتي خصّصتها لهذا الغرض.

فيما كان سترايك يدخّن، اعترف لنفسه بأنّه يحسد باركلي على تسلّله إلى جماعة نايت وزملائه اليساريين المتشدّدين. فهذا هو نوع العمل الذي كان يستمتع به في الشرطة العسكرية. تذكّر الجنود الأربعة الذين افتتنوا بمجموعة محلية يمينية متطرّفة في ألمانيا. وكيف نجح في إقناعهم بأنّه يشاركهم إيمانهم بدولة عظمى عرقية قومية وبيضاء، قبل أن يحضر أحد الاجتماعات ويقوم بأربعة اعتقالات ومحاكمات منحته شعورًا خاصًّا بالرضى.

شغّل سترايك التلفزيون، وشاهد القناة الرابعة للأخبار لفترة من الوقت وهو يحتسي نبيذه، ويدخّن في ترقب ممتع لطبق الباد تاي وغيره من الملذّات

الحسّية، مُستمتعًا، لمرّة واحدة، بما يعتبره الكثيرون من زملائه أمرًا مسلّمًا به، على عكسه هو، إذ نادرًا ما يتمتّع به: الراحة والاسترخاء ليلة الجمعة.

كان سترايك ولوريلاي قد تعارفا في حفل عيد ميلاد إريك واردل. وتلك كانت أمسية شابها الارتباك من بعض النواحي، لأنّها كانت المرة الأولى التي يقابل فيها سترايك كوكو منذ أن أخبرها عبر الهاتف أنّه غير مهتمّ بالخروج في موعد آخر معها، وكانت كوكو في حالة سكر شديد، فتوجّهت عند الواحدة صباحًا نحوه بينما كان جالسًا على أريكة مأخوذًا بمحادثة عميقة مع لوريلاي، وألقت كأسًا من النبيذ عليهما وخرجت مسرعة من السهرة وانطلقت في الليل. لم يكن سترايك على علم، عندما استيقظ في سرير لوريلاي صباح اليوم التالي، بأنّ كوكو ولوريلاي كانتا صديقتين قديمتين. واعتبر أنّ المشكلة كانت مشكلة لوريلاي أكثر منها مشكلته. أمّا هي، فقد اعتبرت أنّ المقايضة باحتفاظها بسترايك مقابل قطع علاقتها نهائيًا مع كوكو، أمرٌ يناسبها.

سأله واردل خلال لقائهما التالي وهو يعاني حيرة حقيقية: «كيف تفعل ذلك؟ بربّك، أودّ أن أعرف...».

رفع سترايك حاجبيه الثقيلين وبدا أنّ واردل كتم ما كان على وشك أن يقوله له لإكمال جملته التي تقارب الإطراء والمديح.

فردّ عليه سترايك: «ليس هناك من سرّ، بعض النساء يروقهنّ الرجال البُدْن ذوو الرجل الواحدة والأنف المكسور».

قال واردل: «هذا دليل على أنّ موفري خدمات الصحّة العقلية لا يقومون بواجبهم إذ يتركونهنّ خارج المصحّات»، فضحك سترايك.

كان لوريلاي اسمها الحقيقي، لا يعود إلى الحوريات الأسطورية التي تسكن نهر الراين، بل إلى شخصية مارلين مونرو في «الرجال النبلاء يفضّلون الشقراوات»، وهو فيلم والدتها المفضّل. كانت تلفت أنظار الرجال عندما تمرّ بهم في الشارع، لكنّها لم تستدعي عند سترايك الشوق العميق ولا الألم الشديد الذي تسبّبت به شارلوت. سواء كان ذلك لأنّ شارلوت قضت على قدرته على الشعور من بعدها، أم لأنّ لوريلاي كانت تفتقر إلى بعض السحر الأساسي، لم يتمكّن من التحديد. لم يتبادل سترايك ولوريلاي كلمة «أحبّك»

ولا مرّة طوال علاقتهما. سترايك لأنّه، على الرغم من أنّه يجدها مثيرة وممتعة، فلن يكون صادقًا لو اعترف لها بحبّ لا يشعر به. وكانَ مناسبًا له أن يفترض أنّ لوريلاي تبادله هذا الشعور. أمّا هي، فكانت قد أنهت أخيرًا علاقة ومساكنة استمرّتا خمس سنوات عندما، بعد نظرات طويلة عدّة، عبر سترايك غرفة جلوس واردل المظلمة، وتوجّه نحوها ليتحدّث معها.

أراد أن يصدّقها عندما أخبرته كم من الرائع أن تستعيد شقتها لنفسها وأن تستعيد حرّيتها، لكنّه في الفترة الأخيرة بدأ يشعر بشبهة استياء لديها وهو يبلغها أنّه سيُضطرّ إلى العمل في عطلة نهاية الأسبوع، كمن يشعر بقطرات المطر الثقيلة الأولى التي تنذر بالعاصفة. لكنّها نفت ذلك عندما واجهها بالأمر: «لا، لا، بالطبع لا، إن كنت مضطرًا إلى العمل...».

لكنّ سترايك كان قد حدّد منذ بداية العلاقة شروطه التي لا هوادة فيها، وهي أنّ طبيعة عمله غير مستقرة ولا متوقعة وأنّ موارده المالية ضعيفة. أكّد لها أنّ سريرها هو السرير الوحيد الذي ينوي زيارته، ولكن إن كانت تسعى إلى علاقة يسهل التنبّؤ بأحداثها أو إلى الاستمرارية، فهو ليس الرجل المناسب لها. بدت لوريلاي راضية بالصفقة، وإذ باتت أقلّ رضًى بعد عشرة أشهر، كان سترايك مستعدًّا لوضع حدّ لما يربطهما من دون أيّ حقد أو ملامة. وربّما شعرت بذلك لأنّها لم تصرّ على مناقشة الموضوع. فأرضاه ذلك، ليس فقط لأنّه يفضّل ألّا تتفاقم الأمور بينهما، بل لأنّ لوريلاي تروقه، وكان يستمتع بعلاقتهما الجنسية، ولأنّه يرغب – لسبب لم يكلّف نفسه عناء البحث عنه، لكونه على دراية تامّة به – في أن يكون على علاقة بامرأة في الوقت الحاضر.

كان طبق الباد تاي ممتازًا، وحديثهما خفيفًا ممتعًا. لم يخبرها أيّ شيء عن قضيّته الجديدة، باستثناء أنّه يأمل أن تكون مربحة ومثيرة للاهتمام. بعدما غسلا الأطباق معًا، انتقلا إلى غرفة النوم، بجدرانها الوردية الزاهية وستائرها المطبوعة برسوم كارتونية لراعيات البقر والمهور الصغيرة الحجم.

كانت لوريلاي تهوى التنكّر. في تلك الليلة، ارتدت جاربين ومشدًّا أسودًا. كانت تتمتّع بموهبة، لا يمكن في أيّ حال من الأحوال وصفها بالعادية، لابتكار مشهد إيروتيكي من دون أن يتحوّل إلى محاكاة ساخرة. ربّما كان من

المفترض أن يشعر سترايك بالسخافة في هذا المخدع الجميل المفعم بالخفّة والجمال، مع رجله الواحدة وأنفه المكسور، لكنّ لورلاي أدّت دور أفروديت مع هيفايستوس ببراعة إلى حدّ أنّها أنسته روبن وماثيو تمامًا ولو لحين.

في اليوم التالي عند الغداء، فيما كانا جالسين جنبًا إلى جنب في مقهى على الرصيف، يقرأ كلّ منهما صحيفته، هو يدخّن، وهي تمرّر حالمة أظافرها المطليّة بشكل ممتاز على ظهر يده، خطر لسترايك أنّه ما من متعة تضاهي تلك التي تقدّمها للمرء امرأة ترغب فيه حقًا. لكن لماذا أخبرها أنّه مضطرّ إلى العمل بعد ظهر اليوم؟ صحيح أنّـه كان عليه أن يوصل أجهزة التنصّت إلى شقة تشيزيل في بلغرافيا، لكن كان بإمكانه قضاء ليلة أخرى معها، دونَ أيّ مشقّة والعودة إلى غرفة النوم، والجاربين، والمشدّ. كانت الفكرة مغرية بالتأكيد، ومع ذلك، رفض كيان عنيد بداخله الاستسلام. ليلتان على التوالي ستكسران النمط؛ وانطلاقًا من ذلك، لن يلبثا أن ينزلقا من بعدها إلى علاقة حميمة حقيقية. في أعماق نفسه، لم يستطع أن يتخيّل مستقبلًا يعيش فيه مع امرأة، ويكون فيه زوجًا أو أبًا. لقد خطّط لبعض هذه الأشياء مع شارلوت، في الأيّام التي كان فيها يتكيّف مع الحياة بدون نصف ساق، إذ كانت قد انتشلته عبوة ناسفة مرتجلة على طريق ترابي في أفغانستان من الحياة التي اختارها ووضعته في جسم وواقع جديدين تمامًا. أحيانًا، يرى أنّ طلبه يد شارلوت قد جسّد أقصى مظاهر تيهانه المؤقت في أعقاب بتر ساقه. كان عليه أن يتعلّم المشي مجدّدًا، وأن يتعلّم ما هو بنفس القدر من الصعوبة: العيش خارج حياة الجيش. الآن، بعد مرو عامين، يرى أنه كان يحاول التمسّك بجزء من ماضيه فيما تلاشى كلّ شيء آخر. هكذا انتقل الولاء الذي كان منحه للجيش إلى مستقبله مع شارلوت.

عندما أخبره سترايك عن الخطوبة، علّق صديقه القديم ديف بولورث، قائلًا: «قرار جيّد، من المؤسف أن يضيع تدريبك القتالي كله، لكنّ خطر تعرّضك للقتل ازداد قليلًا، يا صديقي».

هل كان يعتقد فعلًا أنّ الزفاف سيتمّ؟ هل تخيّل حقًا أنّ شارلوت ستقبل بالحياة التي يمكن أن يمنحها إيّاها؟ هل كان يعتقد، بعد كلّ ما اختبراه، أنّ

بإمكانهما أن يصلا إلى الخلاص معًا، بينما كلٌّ منهما مدمّر لأسبابه الخاصة، الغريبة المشوّشة؟ بدا لسترايك، الجالس في الشمس مع لوريلاي، أنّه آمن بالأمر من كلّ قلبه ولو لبضعة أشهر، وأنّه علم في الوقت ذاته أنّه مستحيل، فكان يخطّط فقط للأسابيع القليلة المقبلة، ويضمّ شارلوت إليه ليلًا كما لو كانت آخر إنسان على وجه الأرض، ونهاية العالم وحدها يمكن أن تفرّق بينهما.

غمغمت لوريلاي: «هل تريد فنجان قهوة آخر؟» فجاء ردّه: «من الأفضل أن أنطلق».

سألته فيما كان يدفع للنادل: «متى سأراك؟».

فقال: «أخبرتك أنّني حصلت على هذه المهمّة الجديدة الكبيرة. وسيكون من الصعب أن أتوقّع أيّ شيء لبعض الوقت. سأتّصل بك غدًا. سنخرج معًا بمجرّد أن يتّسع وقتي قليلًا».

فقالت وهي تبتسم: «حسنًا»، وأضافت بهدوء: «قبّلني»، ففعل. ضغطت بشفتيها الممتلئتين على شفتيه، محاولةً بشكل لا يقاوم استعادة بعض أبرز ما جرى بينهما فجرًا. وانفصلا. ابتسم، وودّعها وتركها جالسة في الشمس مع صحيفتها.

لم يدعُ وزير الثقافة سترايك إلى الدخول عندما فتح باب منزله في شارع إيبوري. في الواقع، بدا تشيزيل حريصًا على أن يغادر المحقّق في أسرع وقت ممكن. فبعدما تناول منه علبة أجهزة التنصّت تمتم: «جيّد، سأحرص على أن تحصل عليها»، وكان على وشك إغلاق الباب عندما نادى فجأة سترايك وسأله: «ما اسمها؟».

فأجابه سترايك: «فينيسيا هول».

أغلق تشيزيل الباب، ودار سترايك ومشى مثقل الخطى طوال شارع المنازل المدينية الذهبية الهادئة، باتّجاه محطة مترو الأنفاق وشارع الدنمارك.

بدا مكتبه قاتمًا وكئيبًا مقارنة بشقة لوريلاي. فتح النوافذ لضجيج شارع الدنمارك في الأسفل، حيث واصل عشّاق الموسيقى زيارة متاجر الآلات الموسيقية ومحالّ الأسطوانات القديمة التي يخشى سترايك أن يُحكم عليها

بالإعدام خلال عملية إعادة التطوير الوشيكة. كان صوت المحرّكات والأبواق، المحادثات والخطوات، وموسيقى الغيتار التي يعزف عليها المشترون المحتملون، وصوت البونغو الذي يعزف عليه عازف آخر في البعيد، ممتعة لسترايك عندما جلس للعمل، وهو يعلم أنّه سيجلس ساعات طوال على كرسيّ الحاسوب إن كان يريد أن يكوّن فكرة من الإنترنت حول حياة المعنيّين بقضيّة تشيزيل.

إن كنت تعرف أين تبحث ولديك الوقت الكافي لذلك والخبرة اللازمة، بإمكانك أن تكتشف الخطوط العريضة لحياة العديد من الأشخاص في الفضاء الإلكتروني: هياكل شبحية، جزئية أحيانًا، وأحيانًا كاملة إلى حدّ مقلق، عن الحيوات التي يقودها نظراؤها الذين من لحم ودم على أرض الواقع. تعلّم سترايك العديد من الحيل والأسرار، وأصبح بارعًا في التنقيب حتى في أحلك مساحات الإنترنت، لكن غالبًا ما تكتنز مواقع التواصل الاجتماعي الأكثر براءة، ثروةً يعجز المرء عن وصفها، وإذا قمت بالقليل من الإحالات المرجعية نلت كلّ ما هو ضروري لتجمع تاريخًا خاصًّا مفصّلًا لم يقصد قطّ أصحابه غير المبالين، كشفه للعالم.

استشار سترايك خرائط غوغل أولًا ليتفحّص المكان الذي نشأ فيه جيمي وبيلي. من الواضح أنّ ستيدا كوتاج كان أصغر من أن يظهر على الخريطة، لكنّ منزل آل تشيزيل ظهر عليها بوضوح، على مسافة قصيرة من خراج قرية وولستون. أمضى سترايك خمس دقائق يمسح من دون جدوى بقع الغابات المحيطة بمنزل تشيزيل، ولاحظ بعض المربّعات الصغيرة التي قد تكون أكواخًا ريفية – دفنوها في الوادي المجاور لمنزل أبي – قبل أن يستأنف تحرّيه عن الأخ الأكبر الأكثر رصانة.

كان لمجلس معارضة الألعاب الأولمبية موقعٌ على الإنترنت وجد فيه سترايك، محصورًا بين جدالات طويلة عن رأسمالية الاحتفال والليبرالية الجديدة، جدولًا مفيدًا للتظاهرات التي كان جيمي يخطّط للمشاركة أو للتحدّث فيها، فطبعه وأضافه إلى ملفّه. ثمّ تبع رابطًا إلى موقع «الحزب الاشتراكي الحقيقي» الذي كان أكثر انشغالًا وأكثر ازدحامًا بعد من موقع

مجلس معارضة الألعاب الأولمبية. وهنا وجد مقالة طويلة أخرى كتبها جيمي، ينادي فيها بحلّ «دولة الفصل العنصري» الإسرائيلية وهزيمة «اللوبي الصهيوني» الذي يقبض قبضة خانقة على المؤسّسة الرأسمالية الغربية. ولاحظ سترايك أنّ اسم جاسبر تشيزيل كان من بين أسماء «النخبة السياسية الغربية» المدرجة في نهاية هذه المقالة على أنّها «تجاهر علنًا بصهيونيتها».

ظهرت فليك صديقة جيمي في صورتين على الموقع الإلكتروني لـ«الحزب الاشتراكي الحقيقي»، واتّشح شعرها بالسواد عندما كانت تسير ضدّ ترايدنت وبالشقار المظلّل باللون الوردي عندما كانت تهتف لجيمي، بينما يتحدّث على خشبة مسرح في الهواء الطلق في تجمّع لـ«الحزب الاشتراكي الحقيقي». باتّباع رابط لحساب فليك على منصّة تويتر، اطّلع سترايك على جدولها الزمني الذي كان مزيجًا غريبًا من الشتائم والافتراءات. ومرّة كتبت فوق مقطع فيديو لهرّ صغير يعطس بشدّة لدرجة أنّه سقط من سلّته: «أتمنّى أن تصاب بسرطان في قفاك، أيّها المحافظ اللعين». كان من الواضح لسترايك أنّ لا جيمي ولا فليك يملكان أو امتلكا في أيّ وقت عقارًا، شأنه شأنهما. ولم يعثر على الإنترنت على أيّ إشارة تدلّه إلى كيف يعولان نفسيهما، إلّا إن كانت كتابة المقالات على المواقع اليسارية المتطرّفة تؤمّن أجرًا أفضل ممّا كان يتصوّر. كان جيمي يستأجر شقته البائسة في شارع شارلمونت من رجل يدعى كاستوري كومار، وعلى الرغم من أنّ فليك أشارت عرَضًا على وسائل التواصل الاجتماعي إلى أنّها تقيم في هاكني، لم يتمكّن من العثور على عنوانٍ لها في أيّ مكان على الإنترنت.

عثرَ سترايك بعد أن تعمّق في البحث في السجلّات على الشبكة، على شخص يُدعى جيمس نايت، من العمر المناسب، بدا أنّه أقام لمدّة خمس سنوات مع امرأة تُدعى دون كلانسي، وعند الخوض في صفحة دون الغنيّة بالمعلومات، والمليئة بالرموز التعبيرية على فايسبوك، اكتشف سترايك أنّهما كانا متزوّجين. كانت دون مصفّفة شعر أدارت صالونًا ناجحًا في لندن قبل أن تعود إلى مانشستر، مسقط رأسها. هي تكبر جيمي بثلاثة عشر عامًا، لم تُرزق بأطفال منه، وبدا لسترايك أنّها لم تعد على اتّصال به في الوقت الحاضر.

ومع ذلك، لفت انتباهه تعليقٌ أدلت به على منشور «جميع الرجال حثالة» لصديقتها التي هجرها أحدهم على ما يبدو فكتبت لها:«أجل، إنّه قذر، لكنّه على الأقلّ لم يقاضِك! (تغلّبت عليك مرّة أخرى)!».

أثار هذا التعليق فضول سترايك فحوّل انتباهه إلى سجلّات المحكمة، وبعد بحث لم يطل، وجد العديد من المعلومات المفيدة. فقد اتُّهم جيمي بالشجار مرّتين، مرّة في مسيرة مناهضة للرأسمالية، ومرّة في احتجاج ضدّ ترايدنت، لكن كلّ ذلك متوقَّع. أمّا ما أثار اهتمامه، فهو العثور على اسم جيمي في قائمة أسماء المتقاضين المزعجين على موقع دائرة محاكم صاحبة الجلالة الإلكتروني. نظرًا لعادة طويلة الأمد تتمثّل في الشروع بإجراءات قانونية تافهة، مُنع نايت الآن «من رفع الدعاوي المدنية أمام المحاكم من دون إذن مسبق».

من المؤكّد أنّ جيمي استفاد جيّدًا من أمواله أو من أموال الدولة. وطوال العقد الماضي، رفع دعاوى مدنية ضدّ العديد من الأفراد والمؤسّسات. وقد انحاز القانون إلى جانبه مرّة واحدة فقط، عندما حصل، في عام 2007، على تعويض من شركة زانيت للصناعة، التي تبيّن أنّها طردته طردًا تعسّفيًا بدون أن تتبع الإجراءات القانونية لذلك. مثّل جيمي نفسه أمام المحكمة ضدّ زانيت، ولا بدّ أنّه ابتهج لفوزه، فمثّل نفسه في مقاضاة العديد من الآخرين، من بينهم مالك مرأب، وشخصان من جيرانه وصحافي زعم أنّه شوّه سمعته، وضابطان في شرطة العاصمة ادّعى أنّهما اعتديا عليه، وصاحبا عمل آخران، وأخيرًا زوجته السابقة، التي ادّعى أنّها ضايقته بملاحقتها له وتسبّبت له بخسارة مالية.

ومن خبرة سترايك، فإنّ من يرفضون بازدراء التمثيل القانوني أمام المحكمة ولا يعيّنون محامٍ للدفاع عنهم غالبًا ما يكونوا إمّا غير متّزنين أو متغطرسين إلى حدّ فقدانهم الاتّزان. بالنسبة لجيمي، فإنّ تاريخه الملتبس يشير إلى أنّه كان جشعًا يفتقر إلى المبادئ، حادّ الذكاء إلّا أنّه يفتقر إلى الحكمة. من المفيد دائمًا أن تعرف نقاط ضعف المرء عندما يكون هدفك كشف أسراره. أضاف سترايك أسماء جميع الأشخاص الذين حاول جيمي

مقاضاتهم، وكذلك العنوان الحالي لزوجته السابقة، إلى الملفّ الذي وضعه بجانبه.

قبيل منتصف الليل، لجأ سترايك إلى شقته للحصول على قسط من النوم كان بأمسّ الحاجة إليه، ليستيقظ مبكرًا صباح الأحد، ويركّز اهتمامه على غيرينت وين، فيظلّ جالسًا بطريقة منحنية أمام الحاسوب حتى يبدأ الضوء مجدّدًا بالتلاشي، ولا يحلّ المساء إلّا وعلى مكتبه ملفٌّ جديدٌ سمين من الورق المقوّى كتب عليه «تشيزيل»، يحوي معلومات متنوّعة تمّ التدقيق بها عن الرجلين اللذين يبتزّان تشيزيل.

تمدّد سترايك وتثاءب، وانتبه فجأة للضوضاء التي تصله من النوافذ المفتوحة. أغلقت متاجر الموسيقى أبوابها أخيرًا، وتوقفت موسيقى البونجو، لكنّ هدير حركة المرور استمرّ على طول طريق شارينغ كروس رود. رفع سترايك نفسه، متّكئًا على المكتب لأنّ كعبه الوحيد كان خدرًا بعد ساعات من الجلوس على كرسيّ الحاسوب، وانحنى لينظر من نافذة المكتب الداخلية إلى سماء تلوّنت باللون البرتقالي، خلف سطوح المنازل.

كان ذلك مساء الأحد، وفي أقلّ من ساعتين ستلعب إنكلترا مع إيطاليا في ربع نهائي بطولة أوروبا لكرة القدم في كييف.

شكّل الاشتراك في قناة سكاي الفضائية المتعة الشخصية الاستثنائية الوحيدة التي سمح سترايك لنفسه بها، حتى يتمكّن من مشاهدة مباريات كرة القدم. قد لا يكون التلفزيون الصغير المحمول – وهو كلّ ما تتّسع له شقته في الطابق العلوي – الوسيلة المثالية لمشاهدة هذه المباراة المهمّة، لكنّه لم يستطع أن يسمح لنفسه بليلة في إحدى الحانات لأنّ عليه أن يبدأ العمل باكرًا يوم الاثنين، كي يراقب «الطبيب المتحايل» مجدّدًا، وهو ما لم يؤرّقه يومًا.

نظر سترايك إلى ساعته، فوجد أنّ وقته يتّسع ليذهب إلى المطعم الصيني قبل بداية المباراة، لكن وجب عليه أولًا أن يتّصل بكلّ من باركلي وروبن ليعطيهما التعليمات للأيّام القليلة المقبلة. كان يهمّ بالتقاط هاتفه عندما سمع نغمة وصول بريد إلكتروني جديد.

كان موضوع النصّ: «الأطفال المفقودون في أوكسفوردشاير».

وضع هاتفه المحمول ومفاتيحه على المكتب ونقر على الرسالة ليفتحها:

«سترايك،

هذا أفضل ما يمكنني القيام به في بحث سريع. فالمهمّة صعبة بدون إطار زمني محدّد. حالتان لطفلين مفقودين في أوكسفوردشاير /ويلتشير من أوائل/منتصف التسعينيات لم يتمّ حلّهما على حدّ علمي. سوكي لويس، 12 سنة، فُقدت من مركز الرعاية في أكتوبر من عام 1992.

كذلك اختفى إمامو إبراهيم، 5 سنوات، في عام 1996. واختفى والده في الوقت نفسه ويُعتقد أنّه موجود في الجزائر.

بدون المزيد من المعلومات لا يمكننا أن نفعل الكثير.

أحرّ التحيّات، إ.».

12

الجوّ الذي نتنفّسه مثقلٌ بالعواصف.

هنريك إبسن، روسميرشولم

ألقى غروب الشمس توهّجًا أحمرَ على اللحاف خلف روبن وهي تجلس على منضدة التبرّج في غرفة نومهما الجديدة الفسيحة هي وماثيو. عبقت رائحة الشواء الآتية من بيت الجيران في الهواء الذي كان محمّلًا قبل قليل برائحة زهر العسلة. كانت قد تركت لتوّها ماثيو في الطابق السفلي، مستلقيًا على الأريكة يشاهد تمارين الإحماء لمباراة إنكلترا ضدّ إيطاليا، وهو يحمل زجاجة بيروني باردة في يده.

فتحت روبن درج منضدة الزينة وأخرجت زوجًا من العدسات اللاصقة الملوّنة التي كانت قد أخفتها في الدرج. كانت قد جرّبت في اليوم السابق عددًا منها وقرّرت أنّ اللون البنّي البندقي يبدو الأكثر تماشيًا مع شعرها الأشقر النحاسي. أخرجت العدسة الأولى بسرعة ووضعتها على قزحية عينها الأولى ذات اللون الأزرق الرمادي، ثمّ على الأخرى. فقد رأت أنّ من الضروري أن تعتاد وضعهما وأنّه كان من الأفضل أن تضعهما طوال عطلة نهاية الأسبوع، لو لم يثنها ردّ فعل ماثيو عندما رآهما في عينيها عن ذلك.

قال لها، بعدما حدّق فيها، مرتبكًا، لبضع ثوانٍ: «عيناك! يا للهول! هذا فظيع، انزعيهما!».

بما أنّ يوم السبت كان قد أُفسد بسبب شجار عنيف بشأن عملها، اختارت عدم وضع العدستين طوال عطلة نهاية الأسبوع، لأنّهما ستذكّران ماثيو طوال الوقت بما سيكون عليه عملها في الأسبوع التالي. بدا لروبن أنّ ماثيو يرى العمل السرّي في مجلس العموم خيانة، وزاد من غضبه رفضها كشف هويّة موكّلها أو الأشخاص الذين تستهدفهم.

لم تتوقف روبن عن القول في نفسها إنّ ماثيو يقلق على سلامتها وإنّه بالكاد يمكن لومه على ذلك؛ حتى أصبح ذلك تمرينًا عقليًا تؤدّيه مثل كفّارة: «لا يمكنك أن تلوميه على قلقه عليك، فقد كدت تُقتلين في العام الماضي. هو يريدك أن تكوني في أمان». ومع ذلك، بدا أنّ ذهابها لتناول كأس مع سترايك يوم الجمعة يقلقه أكثر ممّا قد يفعل لقاؤها مع قاتلٍ محتمل.

سألها: «ألا تعتقدين أنّك منافقة لعينة؟».

كلما غضب، كلما بدا الجلد حول أنفه وشفته العليا مشدودًا أكثر. لاحظت روبن ذلك منذ سنوات، لكنّ ذلك جعلها أخيرًا تشعر بما يشبه الاشمئزاز. لم تذكر هذا أبدًا لمعالجتها. فقد كان ذلك الشعور أكثر سوءًا وأكثر حميمية من أن تعلمها به.

– ماذا تقصد بمنافقة؟

– تذهبين لتناول المشروب معه.

– مات، أنا أعمل معه.

– ثمّ تتذمّرين عندما أتناول الغداء مع سارة.

قالت روبن فيما كان نبضها يتسارع من الغضب:

– تناول الغداء معها! فلتفعل! في الواقع، التقيتها في حانة ريد لايون، مع بعض الرجال ممّن يعملون معها. هل تريد الاتّصال بتوم وإخباره أنّ خطيبته تشرب الكحول مع زملائها؟ أم أن الحظر لا يسري إلّا عليّ أنا؟

بدت البشرة حول أنفه وفمه مشدودة كالكمامة وقالت روبن في سرّها: كمامة شاحبة على خطم كلب مزمجر.

– هل كنت ستخبرينني أنّك ذهبت لاحتساء كأس معه لو لم تشاهدك سارة؟

قالت روبن، وقد ثارت ثورتها:

– نعم، وأعلم أيضًا أنّني لو فعلت لكنت تصرّفت بسفالة كما تفعل الآن.

استمرّ الجوّ المشحون الذي استتبع ذلك الجدال، والذي قطعًا لم يكن الأكثر احتدامًا بينهما خلال الشهر المنصرم، طوال يوم الأحد. لم يهدأ ماثيو ولم يُظهر بعض الودّ إلّا في الساعتين الأخيرتين، مع اقتراب بدء المباراة التي تلعب فيها إنكلترا. تطوّعت روبن لتحضر له زجاجة بيروني من المطبخ وقبّلته على جبهته قبل أن تتركه، وهي تشعر بالتحرّر، لتتفقد عدستيها اللاصقتين الملوّنتين وتستعدّ لليوم التالي.

كان الانزعاج في عينيها يخفّ شيئًا فشيئًا مع تكرار رفّة جفنيها. انتقلت إلى السرير، حيث كان حاسوبها المحمول، وسحبته نحوها، فرأت أنّ بريدًا إلكترونيًا من سترايك وصل للتوّ.

«روبن،

أرفقت بالرسالة بعضًا من الأبحاث التي قمت بها عن عائلة وين. سأتّصل بك قريبًا من أجل إحاطة سريعة قبل الغد.

ك. س.»

انزعجت روبن من الرسالة، فقد اتّفقا على أنّ سترايك «سيسدّ الفجوات» وسيعمل ليلًا. هل اعتقد أنّها لم تقم بأيّ بحث خلال عطلة نهاية الأسبوع؟ على الرغم من ذلك، نقرت على أول ملفّ من الملفّات المرفقة، وهو وثيقة تلخّص ما أثمر عنه عمل سترايك على الإنترنت.

غيرينت وين

غيرينت أيفون وين، تاريخ الولادة: 15 يوليو 1950. مكان الولادة: كارديف. والده عامل منجم. تعلّم في مدرسة للمتفوّقين، التقى ديلا في جامعة كارديف. كان «مستشارًا عقاريًا» قبل أن يعمل وكيلًا انتخابيًا لها ويدير مكتبها البرلماني بعد الانتخابات. لا تفاصيل عن مهنة سابقة له

على الإنترنت. لم تسجّل أيّ شركة باسمه على الإطلاق. يقيم مع ديلا، في شارع ساوثوارك بارك، في بيرموندسي.

نجح سترايك في العثور على صورتين رديئتين لغيرينت مع زوجته الشهيرة، كانت روبن قد عثرت عليهما أيضًا وحفظتهما في حاسوبها المحمول. وعلمت كم تعذّب سترايك للعثور على صورة غيرينت، لأنّها أمضت وقتًا طويلًا الليلة الماضية، بينما كان ماثيو نائمًا، تحاول العثور على واحدة. يبدو أنّ المصوّرين الصحافيين لم يشعروا بأنّه يضيف الكثير إلى الصور التي يلتقطونها. فقد كان رجلًا نحيلًا أصلعَ يضع نظّارة ذات إطار ثقيل، ويفتقر فمه إلى شفتين وله ذقن ضعيف وأسنان ناتئة، وهذا جعل روبن تشبّهه بسحلية تعاني زيادة في الوزن.

أرفق سترايك أيضًا معلومات عن وزيرة الرياضة:

ديلا وين

تاريخ الولادة: 8 أغسطس 1947. شهرتها قبل الزواج: جونز. وُلدت وترعرعت في فيل أوف غلامورغان، في ويلز. والداها مدرّسان. كفيفة منذ الولادة بسبب مرض تحجّم العين. التحقت بمدرسة سانت إينودوك الملكية للمكفوفين من سنّ الخامسة إلى الثامنة عشرة. فازت بعدد من الجوائز في السباحة عندما كانت مراهقة. (راجعي المقالتين المرفقتين للحصول على مزيد من التفاصيل، وزوري أيضًا موقع مؤسّسة ذي بلايينغ فيلد الخيرية).

على الرغم من أنّ روبن كانت قد قرأت قدر استطاعتها عن ديلا خلال عطلة نهاية الأسبوع، إلّا أنّها قرأت المقالتين بجدّ. وقد أعلماها القليل ممّا لم تكن تعرفه من قبل. عملت ديلا في مؤسّسة خيرية بارزة في مجال حقوق الإنسان قبل أن تترشّح بنجاح للانتخابات في دائرة ويلز التي وُلدت فيها. دافعت لفترة طويلة عن منافع الرياضة في المناطق المحرومة، واتّخذها الرياضيون المعوّقون قدوةً لهم. وقد دعمت المشاريع التي تستخدم الرياضة

لإعادة تأهيل قدامى المحاربين من الجرحى. حظي إنشاء مؤسّستها الخيرية، ليفيل بلايينغ فيلد لدعم الرياضيين الشباب والرياضيين الذين يواجهون التحدّيات سواء بسبب الفقر أو الإعاقة الجسدية، بقدر لا بأس به من التغطية الصحافية. وتطوّع العديد من الرياضيين البارزين لجمع التبرّعات لها.

ذكرت كلّ من المقالتين اللتين أرفقهما سترايك أمرًا عرفته روبن من قبل من بحثها الخاصّ: فقدت عائلة وين ابنة، كما فقدت عائلة تشيزيل، ابنًا. انتحرت ابنة ديلا وغيرينت الوحيدة عندما كانت في سنّ السادسة عشرة، قبل عام من ترشّح ديلا للبرلمان. ذُكرت المأساة في كلّ سيرة لديلا وين قرأتها روبن، حتى في المقالات التي أشادت بإنجازاتها الكبيرة. تضمّن خطابها الأوّل في البرلمان دعمًا لمقترح حول استحداث خطّ ساخن للذين يتعرّضون للتنمّر. فيما عدا ذلك، لم تناقش يومًا انتحار ابنتها، ولا في أيّ مناسبة.

رنّ جوال روبن. تأكّدت من إغلاق باب غرفة النوم ثم أجابت.

«كم كان هذا سريعًا!»، قال سترايك بفم ملآن بالنودلز، وأكمل:«آسف – فاجأتني – طلبت وجبة جاهزة للتوّ». أخبرته روبن أنّها قرأت بريده الإلكتروني، وسمعت طقطقة معدنية استنتجت منها أنّه بدون شك يفتح عبوة جعة، ثم أردفت: «كان ذلك مفيدًا جدًا، شكرًا».

سألها سترايك: «هل جهّزت أغراض التنكّر؟».

أجابت وهي تدور لتفحص نفسها في المرآة: «نعم». وفوجئت بالتغيير الذي يصيب وجه المرء عندما يبدّل لون عينيه وقرّرت أن تضع نظّارة عادية شفّافة على عينيها العسليتين.

– وهل تعرفين ما يكفي عن تشيزيل لتدّعي أنّك ابنته بالعمادة؟

– بالطبع.

– هيّا إذًا، أبهريني.

من دون أن تعود إلى مدوّناتها، أجابته روبن على الفور:

– وُلد في عام 1944، ودرس الأدب الكلاسيكي في كليّة ميرتون، في أكسفورد، ثمّ انضمّ إلى فوج فرسان الملكة الخاص، وخدم في عدن وسنغافورة.

زوجته الأولى هي السيّدة باتريشيا فليتوود، أنجبت له ثلاثة أولاد: صوفيا وإيزابيلا وفريدي. تزوّجت صوفيا وتعيش في نورثمبرلاند، بينما تدير إيزابيلا مكتب تشيزيل البرلماني.

– أحقًّا؟ قال سترايك وقد بدا متفاجئًا بعض الشيء، ما جعل روبن تشعر بالفرح لأنّها اكتشفت شيئًا لم يكتشفه. ثم سألته: «هل هي الابنة التي عرفتها؟» بعدما تذكّرت ما قاله سترايك في المكتب.

– لن أذهب إلى حدّ القول إنّني «عرفتها». التقيت بها مرّتين أو ثلاثًا مع شارلوت. أطلق عليها الجميع اسم «إيزي تشيزي». وهو أحد ألقاب الطبقة العليا.

– طلّقت السيدة باتريشيا تشيزيل بعد أن حملت صحافية سياسية منه...

– ما أدّى إلى ظهور الابن المخيّب للآمال الذي يعمل في صالة المعارض الفنّية.

– تمامًا.

حرّكت روبن فأرتها لإحضار صورة محفوظة، هذه المرّة، لشابّ أسمر ووسيم يرتدي بذلة فحمية اللون، ويعتلي درج قاعة المحكمة برفقة امرأة أنيقة ذات شعر أسود تضع نظّارة شمسية. كان يشبهها كثيرًا، على الرغم من أنّها كانت بالكاد تبدو مسنّة بما يكفي لتكون والدته.

قالت روبن:

– لكنّ تشيزيل والصحافية انفصلا بعد وقت قصير من ولادة رافاييل.

قال سترايك:

– تسمّيه الأسرة «راف»، والزوجة الثانية لا تحبّه، وتعتقد أنّه كان على تشيزيل أن يتبرّأ منه بعد حادث السيّارة.

سجّلت روبن الملاحظة.

– عظيم، شكرًا.

وتابعت وهي تعرض صورة لكينفارا، وهي امرأة رشيقة صهباء في ثوب أسود أنيق وعقد ثقيل من الألماس: «كينفارا، زوجة تشيزيل الحالية، توعّكت

صحّتها في العام الماضي. هي تصغر تشيزيل بحوالي ثلاثين عامًا وتعبس أمام الكاميرا».

لو لم تكن روبن تعرف الحقيقة لحسبت أنّهما أب وابنته بدلًا من أن يكونا زوجين.

سبقها سترايك إلى القول: «أصيبت بإرهاق عصبي. أجل. هل أسرفت في الشرب أو تعاطي المخدّرات برأيك؟».

سمعت روبن رنينًا وتكهّنت بأنّ سترايك رمى من على مكتبه عبوة التينينت الفارغة في سلّة المهملات. إذًا، كان بمفرده. فلوريلاي لم تقبع يومًا في الشقة الصغيرة في الطابق العلوي.

قالت روبن وهي لا تزال ترمق كينفارا تشيزيل: «من يدري؟» فقال سترايك: «بقي أمر أخير. وصلني للتوّ، أنّ طفلين فُقدا في أوكسفوردشاير في الوقت المتزامن تقريبًا مع أحداث قصّة بيلي». خيّم صمت قصير.

ثمّ سألها: «أما زلت على الخطّ؟».

«أجل... خلتك لا تعتقد أنّ تشيزيل خنق طفلًا»، قالت فأجابها سترايك: «صحيح. لا أعتقد ذلك. فالجدول الزمني غير متناسب، ولو علم جيمي أنّ وزيرًا محافظًا خنق طفلة، لما كان لينتظر عشرين عامًا ليحاول أن يجني المال من هذه القضيّة. لكنّي ما زلت أرغب في معرفة ما إن كان بيلي يتخيّل أنّه رأى أحدًا يُخنق. سأقوم ببعض الأبحاث عن الاسمين اللذين أعطاني إيّاهما واردل، وإذا بدا أيّ منهما ذا مصداقية، فسأطلب إليك أن تستجوبي إيزي في هذا الشأن. قد تتذكّر شيئًا عن اختفاء طفلة بالقرب من منزل تشيزيل».

لم تُحر روبن جوابًا.

قال سترايك: «كما قلت لك في الحانة، بيلي مريض جدًا. قد لا تكون هذه القصّة واقعية».

هو وروبن يدركان جيّدًا أنّه عرّض للخطر في وقت سابق قضايا مدفوعة وأغضب عملاء أثرياء للتحقيق في ألغاز ربّما كان من الأفضل له لو لم يعرها اهتمامًا. «الأمر هو فقط...»، قاطعته روبن قائلة وأضافت: «أنّك لن ترتاح قبل أن تنظر في الأمر. حسنًا. أنا أفهمك».

بما أنّها لم تكن تستطيع أن تراه، ابتسم سترايك وفرك عينيه المتعبتين؛ ثمّ قال:

– حسنًا، أتمنّى لك التوفيق غدًا. سأكون على هاتفي المحمول إن احتجت إليّ.

– ماذا ستفعل؟

– سأقوم ببعض الأعمال المكتبية. طليقة جيمي نايت لا تعمل أيّام الاثنين. سأذهب إلى مانشستر لمقابلتها يوم الثلاثاء.

شعرت روبن بموجة مفاجئة من الحنين إلى العام الماضي، عندما قاما معًا، هي وسترايك، بجولة في البلاد لاستجواب نساء كنّ ضحيّة رجال عنيفين، وتساءلت إن كان الأمر خطر على باله الآن كما خطر على بالها.

سألته:

– هل ستشاهد مباراة إنكلترا ضدّ إيطاليا؟

– نعم. هل تريدين أن تخبريني شيئًا آخر؟

سارعت روبن إلى القول: «لا». فهي لم تقصد أن تبدو كأنّها تريد احتجازه. «نتحدّث قريبًا، إذًا».

وقطعت المكالمة فيما كان يودّعها ورمت الهاتف على السرير.

13

لن أسمح لنفسي بأن يغلبني خوفي ممّا قد يحدث.

هنريك إبسن، روسميرشولم

في صباح اليوم التالي، استيقظت روبن لاهثة، وأصابعها على حلقها، تحاول فك قبضة غير موجودة. كانت قد وصلت إلى باب غرفة النوم عندما استيقظ ماثيو مرتبكًا.

تمتمت له: «لا بأس، أنا بخير»، قبل أن يتمكّن من طرح سؤال، وهي تتلمّس طريقها للعثور على المقبض الذي يسمح لها بالخروج من غرفة النوم.

منذ سمعت قصّة الطفلة المخنوقة ازدادت وتيرة تلك النوبات. فهي تعرف تمامًا الشعور الذي ينتاب المرء عندما يُطبق أحدهم أصابعه بإحكام حول رقبته، فيشعر بأنّ الظلام يخيّم على عقله، ويدرك أنّه على بعد ثوانٍ من أن يختفي من الوجود. لقد أُرغمت على الخضوع للعلاج بسبب تلك الشظايا الحادّة من الذكريات التي، خلافًا للذكريات العادية، لها القدرة على سحبها فجأة من جسدها ورميها مرّة أخرى في الماضي حيث يمكنها أن تشمّ رائحة أصابع الخانق المفعمة بالنيكوتين، فيما يلامس ظهرها بطن الطاعن الطريّ المغطّى بالقميص. أغلقت باب الحمّام وجلست على الأرض في قميصها القطني الفضفاض الذي ارتدته للنوم، وركّزت على تنفّسها، وعلى ملمس البلاط البارد تحت ساقيها العاريتين، وهي تراقب، كما تعلّمت، تسارع

دقات قلبها، والأدرينالين يندفع في عروقها، بدون أن تقاوم ذعرها، بل تراقبه فقط. بعد فترة، لاحظت بوعي رائحة غسول الجسم بالخزامى الخفيفة الذي استخدمته الليلة الماضية، وسمعت مرور طائرة في البعيد.

أنت في أمان، إنّه حلم، مجرّد حلم.

عبر بابين مغلقين، سمعت منبّه ساعة ماثيو، لحقه بعد بضع دقائق طرق الباب.

«هل أنت بخير؟».

ردّت روبن بصوت عالٍ لتغطّي صوت الماء الجاري من الصنبور: «بخير». وفتحت الباب.

سألها وهو يراقبها عن كثب: «هل كلّ شيء على ما يرام؟».

قالت روبن بفرح وهي تتّجه نحو غرفة النوم لتضع عدساتها اللاصقة الملوّنة: «كنت أتبوّل فقط».

قبل أن تبدأ العمل مع سترايك، كانت قد وقّعت على عقد عمل مع وكالة تدعى تيمبوراري سوليوشنز (حلول مؤقتة). أرسلتها تلك الشركة للعمل سكرتيرة مؤقتة في مكاتب اختلطت في ذاكرتها الآن، ولم يبق منها سوى الشاذ، المربك والغريب. تذكّرت المدير المدمن على الكحول الذي كانت تعيد صياغة خطاباته بدافع اللطف، ودرج المكتب الذي فتحته للعثور على مجموعة كاملة من أطقم الأسنان وزوج من الملابس الداخلية الملطخة، والشابّ المفعم بالأمل الذي أطلق عليها لقب «بوبي» وحاول بغباء مغازلتها من خلف شاشة الكمبيوتر خاصته، والمرأة التي ألصقت على القواطع المحيطة بمكتبها صور الممثل إيان ماكشين، والفتاة التي انفصلت عن صديقها على الهاتف في وسط المكتب ذي المساحة المفتوحة غير مبالية بالصمت المطبق الذي هبط على بقيّة الموظفين في الصالة. وتساءلت عمّا إن كان أيّ من الأشخاص الذين تواصلت معهم بنظرة خاطفة في أماكن العمل هذه يتذكّرها بشكل أفضل ممّا كانت تتذكّره، حتى الشابّ الرومانسي الخجول الذي أطلق عليها اسم «بوبي».

ولكن، من اللحظة التي وصلت فيها إلى قصر وستمنستر، عرفت أنّ ما سيجري من أحداث هنا سيعيش في ذاكرتها إلى الأبد، وشعرت بموجة من المتعة لمجرّد أن تركت السيّاح وراءها وعبرت البوّابة التي كان رجال الشرطة يحرسونها. عندما اقتربت من القصر، بقوالبه الذهبية المعقدة المظللة في شمس الصباح الباكر، ظهر برج الساعة الشهير بوضوح وسط السماء، وازدادت حماستها ومعها توتُّر أعصابها.

دلّها سترايك في وقت سابق على الباب الجانبي الذي يجب أن تدخل منه. وهو يؤدّي إلى قاعة حجرية طويلة مضاءة إضاءة خافتة، لكن يجب عليها أولًا أن تمرّ عبر جهاز الكشف عن المعادن وجهاز الأشعّة السينية الشبيه بالنوع الذي يُستخدم في المطارات. عندما أنزلت حقيبتها عن كتفها لتمرّرها في الجهاز الماسح، لاحظت روبن امرأة ذات شعر أشقر طبيعي اللون، طويل وأشعث قليلًا، في الثلاثينات من عمرها، تنتظر على مسافة قصيرة، ممسكة بحزمة صغيرة ملفوفة بورقة بنّية. شاهدت المرأة روبن تقف من أجل صورة آليّة ستظهر في بطاقة مرورها اليومية، يجب أن تحملها على حبل حول رقبتها، ومشت عندما أشار رجل الأمن إليها بأن تتقدّم.

«فينيسيا؟».

قالت روبن: «نعم».

قالت المرأة الأخرى فيما مدّت يدها مبتسمة: «إيزي». كانت ترتدي قميصًا فضفاضًا عليه نقش من الزهور الكبيرة الحجم، وبنطلونًا واسع الرجلين.

«هذه الرزمة من أبي». ووضعت الرزمة التي كانت تمسكها في يدي روبن.

«أنا آسفة جدًا، علينا أن نسرع، يسعدني جدًا أنّك وصلت في الوقت المحدّد». وانطلقت بمشية سريعة فسارعت روبن خلفها.

«أنا في منتصف عملية طباعة مجموعة من الأوراق يجب أن آخذها لأبي في وزارة الاتصالات الرقمية والثقافة والإعلام والرياضة، إنّني أرزح تحت كمّية من الأعمال الآن. بما أنّ أبي وزير الثقافة، ومع اقتراب دورة الألعاب الأولمبية، فإنّ كمّية العمل لا تُصدَّق».

قادت إيزي روبن بما يشبه الهرولة عبر القاعة التي كانت بها نوافذ زجاجية ملوّنة في طرفها البعيد، وعلى طول ممرّات شبيهة بالمتاهة، فيما كانت تتكلم طوال الوقت باللهجة الواثقة التي تعتمدها الطبقة العليا، تاركة روبن مبهورة بنفسها الطويل.

«أجل، سأرحل في العطلة الصيفية، سأنشئ شركة ديكور مع صديقي جاك، فقد عملت هنا لمدّة خمس سنوات – أبي ليس سعيدًا – يحتاج إلى شخص ماهر بالفعل، والمتقدّم الوحيد الذي راقه من أجل هذا العمل لم يقبل بالوظيفة».

تحدّثت من فوق كتفها إلى روبن، التي كانت تستعجل لتجاريها.

«أتعرفين مساعدًا شخصيًا رائعًا؟».

قالت روبن، التي لم تحتفظ بأصدقاء من حياتها المهنية المؤقتة: «كلا، للأسف».

تابعت إيزي: «نكاد نصل» وهي تقود روبن عبر عدد مربك من الممرّات الضيّقة، كلها مغطاة بالسجاد الأخضر بلون الغابات والمقاعد الجلدية التي شاهدتها روبن في مجلس العموم على شاشة التلفزيون. أخيرًا، وصلتا إلى ممرّ جانبي يؤدّي إلى عدد من الأبواب الخشبية الثقيلة، المقوّسة على الطراز القوطي.

قالت إيزي بهمسة مسرحية، مشيرة إلى مكتب فيما كانتا تجتازان الباب الأول على اليمين، «هذا مكتب وين». وأكملت وهي تسير إلى آخر باب إلى اليسار: «وهذا مكتبنا».

وقفت جانبًا لتسمح لروبن بدخول الغرفة أولًا.

كان المكتب مكتظًا تعمّه الفوضى. غُلّقت ستائر شبكية على النوافذ الحجرية المقوّسة التي تطلّ على شرفة حانة حيث تتحرّك أشكال بشرية غامضة على خلفية نهر التايمز الساطعة والباهرة. في الغرفة مكتبان وعدد كبير من الرفوف وكرسيّ بذراعين أخضر مترهّل. على رفوف الكتب الفائضة التي تغطّي جدارًا واحدًا، تدلّت ستائر خضراء معلّقة لم تُخف، إلّا جزئيًا، أكوام الملفّات المكدّسة هناك بدون ترتيب. وفوق خزانة الملفّات شاشة تلفزيون تظهر صالة مجلس العموم الخالية حاليًا، بمقاعدها الخضراء المهجورة. على

رفّ منخفض، وُضعت غلّاية بجانب أكواب غير متطابقة، وقد لُطّخَ ورق الجدران خلفها. أصدرت الطابعة التي وُضعت على المكتب في الزاوية أزيزًا وانزلقت منها بعض الأوراق على السجّادة الرثّة.

قالت إيزي وهي تندفع وتلتقطها: «اللعنة» بينما كانت روبن تغلق الباب خلفها.

«أنا سعيدة جدًّا لأنّ أبي أوكل المهمّة إليكما. إنّه يتعرّض لضغط كبير هو بغنًى عنه مع كلّ ما يواجهنا الآن، لكنّك أنت وسترايك ستعملان على حلّ المشكلة، أليس كذلك؟»، قالت إيزي وهي تعيد الأوراق المتساقطة إلى كومة مرتّبة على مكتبها، وأضافت وهي تمدّ يدها لتتناول مجلّدًا جلديًا: «وين رجل دنيء ومروّع. ناقص الأهلية، إن كنت تفهمين. منذ متى تعملين مع سترايك؟»

أجابت روبن: «منذ سنتين» وهي تفكّك الحزمة التي أعطتها إيّاها إيزي.

– لقد التقيت به، هل أخبرك؟

– أجل.

– كنت في المدرسة مع صديقته السابقة تشارلي كامبل. تشارلي رائعة الجمال لكنّها تفتعل المشاكل باستمرار. أتعرفينها؟

– كلا.

منذ مدّة طويلة أوشكت أن تصطدم بشارلوت خارج مكتب سترايك وكان ذلك لقاءها الوحيد بها. قالت إيزي: «لطالما راقني سترايك».

نظرت روبن حولها متفاجئة، لكنّ إيزي كانت تضع الأوراق في المجلّد وكأنّ شيئًا لم يكن.

– أجل، لم يرَ فيه الناس ما رأيته. كان رجوليًا جدًا و... كيف أقول ذلك... لا يقدّم التنازلات.

– لا يقدّم التنازلات؟

– أجل. لم يسمح لأحد بمضايقته. لم يأبه برأي الناس فيه، أنّه أقلّ... تعلمين ما أقصد...

– أقلّ منها شأنًا؟

شعرت روبن بالحرج حين تفوّهت بهذه الكلمات. فقد اعتراها إحساس غريب بوجوب الدفاع عن سترايك. الأمر سخيف بالطبع: إن كان بإمكان أيّ شخص أن يدافع عن نفسه فهو سترايك.

قالت إيزي وهي لا تزال تنتظر طباعة أوراقها: «أفترض ذلك، فقد مرّ أبي بظروف مروّعة في الشهرين الماضيين». وأضافت بحدّة: «وهو لم يقترف أيّ ذنب أصلًا! تارة يكون الأمر قانونيًا وإذا به يصبح غير قانوني، ليس الذنب ذنبه».

سألت روبن ببراءة: «ما الذي لم يكن قانونيًا؟».

أجابت إيزي بلطف، ولكن بحزم: «آسفة. قال أبي إنّه كلّما قلّ عدد الأشخاص الذين يعرفون، كلّما كان ذلك أفضل»، ثم اختلست نظرة من شقّ الستارة إلى السماء وسألت روبن: «لن أحتاج إلى سترة، أليس كذلك؟ لا.. أعتقد أنني لن أحتاج... آسفة على المغادرة بسرعة هكذا، لكنّ أبي يحتاج إلى هذه الأوراق، إذ إنّه سيقابل رعاة الألعاب الأولمبية في العاشرة. أتمنّى لك كلّ التوفيق.»

واختفت في اندفاع من الأقمشة المزهرة والشعر الأشعث، تاركةً روبن غارقةً بالفضول، والغريب، بالطمأنينة أيضًا. إن كانت إيزي تستطيع أن تجزم بهذه القوّة بأنّ والدها غير مذنب، فمن المؤكّد أنّ الأمر لا يمكن أن يكون مروّعًا؛ إذا افترضنا بالطبع أنّ تشيزيل أخبر ابنته بالحقيقة.

مزّقت روبن آخر قطعة من غلاف الطرد الصغير الذي أعطتها إيّاه إيزي. كان يحتوي، كما توقعت، على نصف دزينة من أجهزة التنصّت التي أعطاها سترايك لجاسبر تشيزيل خلال عطلة نهاية الأسبوع. بصفته وزيرًا للتاج، لم يكن تشيزيل مجبرًا على المرور عبر جهاز المسح الأمني كلّ صباح، كما كانت الحال مع روبن. فحصت بعناية الأجهزة التي بدت كمنافذ كهربائية بلاستيكية عادية، صُمّمت لتركيبها على مآخذ التوصيل الأصلية، ما يسمح لها بالعمل بطريقة عادية. تبدأ هذه الأجهزة بالتسجيل عندما يبدأ شخص بالكلام بالقرب منها. كانت تسمع دقات قلبها في الصمت الذي خلّفه رحيل إيزي، وقد بدأت الآن تعي مدى صعوبة مهمّتها.

خلعت معطفها، وعلقته، ثمّ أخرجت من حقيبة كتفها علبة تامباكس كبيرة، كانت قد أحضرتها بهدف إخفاء أجهزة التنصت التي لن تستخدمها. بعدما خبّأت جميع الأجهزة بداخلها باستثناء واحد، وضعت العلبة في الدرج السفلي من مكتبها. بعد ذلك، بحثت على الرفوف المزدحمة إلى أن عثرت على علبة ملفّات فارغة، أخفت فيها الجهاز الوحيد الذي تركته بحوزتها تحت عدد من الأوراق المطبوعة التي تحتوي على أخطاء إملائية أخذتها من كومة أوراق كانت «للتقطيع» كما كُتبَ عليها. بعد هذا التمويه، تنفّست روبن نفسًا عميقًا وغادرت المكتب. كان باب وين مفتوحًا منذ أن وصلت. وعندما مرّت بالقرب منه، رأت شابًا آسيويًا طويل القامة يرتدي نظّارة سميكة ويحمل غلّاية.

بادرته روبن في الحال مقلّدةً نبرة إيزي الجريئة والمبهجة:

– مرحبًا! أدعى فينيسيا هول، نحن جاران! وأنت؟

– أمير. تمتم الشاب بلهجة الطبقة العاملة في لندن، وأضاف:مالك.

– هل تعمل عند ديلا وين؟

– أجل.

– آه، إنّها رائعة! لطالما ألهمتني، في الواقع.

لم يردّ أمير، لكنّ مظهره أوحى لها أنّه يتمنّى لو تتركه وشأنه. شعرت كأنّها كلب ترير يحاول مضايقة فرس سباق.

– أتعمل هنا منذ مدّة طويلة؟

– ستة أشهر.

– أنت في طريقك إلى المقهى؟

– كلّا. أجابها أمير وكأنّها تتحرّش به، وأدار لها ظهره بحدّة متّجهًا نحو الحمّام.

مشت روبن ممسكة بملفّها، متسائلة عمّا إن كانت تتوهّم نبرة العداء بدلًا من الخجل في سلوك الشابّ. كان من المفيد أن تكتسب صديقًا داخل مكتب وين. اضطرارها إلى التظاهر بأنّها، إبنة جاسبر تشيزيل الروحية ذات الشخصية الشبيهة بشخصية إيزي كان يربكها. وعلمت في قرارة نفسها أنّ روبن إلكوت من يوركشاير كانت لتتمكّن من عقد صداقة مع أمير بسهولة أكبر.

بعدما انطلقت بهدف وهمي، قرّرت أن تقوم ببعض الاستكشاف قبل أن تعود إلى مكتب إيزي.

كانت مكاتب تشيزيل ووين في قصر وستمنستر نفسه الذي كان ربّما، بسقوفه المقبّبة، ومكتباته، وغرف تناول الشاي، وجوّ الفخامة المريح، كلّية جامعية قديمة.

كان ممرٌّ نصف مسقوف، يحرسه تمثالان حجريان كبيران لأسد مع وحيد القرن، يفضي إلى سلّم متحرّك إلى بورتكاليس هاوس. وهو قصر كريستالي حديث، بسقف زجاجي قابل للطيّ، وألواح مثلثة مثبّتة في مكانها بدعائم سوداء سميكة. في أسفله، امتدّت منطقة واسعة مفتوحة تتضمّن مقهًى اختلط فيه الأعضاء المنتخبون وموظفو البرلمان. واصطفّت أشجار مكتملة النموّ من جهتي الأحواض المائية الكبيرة المؤلفة من برك ضحلة طويلة الشكل تتلألأ كالزئبق الباهر تحت أشعّة شمس يونيو.

الجوّ ينبض بالطموح والشعور بالانتماء إلى عالم حيوي. تحت سقف الزجاج المجزأ ببراعة، مرّت روبن بالصحافيين السياسيين الجاثمين على مقاعد جلدية، يتفحّصون هواتفهم الجوّالة أو يتحدّثون عليها، يكتبون على حواسيبهم المحمولة أو يعترضون السياسيين ملتمسين منهم تعليقًا. تساءلت روبن عمّا إن كانت ستستمتع بالعمل هنا لو أنّها لم تُرسل إلى سترايك في الأساس.

انتهت استكشافاتها في المبنى الثالث، وهو الأكثر قدمًا والأقلّ إثارة للاهتمام من بين المباني التي كانت تضمّ مكاتب النوّاب، وهو يشبه فندقًا من فئة الثلاث نجوم، بسجّاده البالي وجدرانه العاجية وصفوف أبوابه المتطابقة. عادت روبن أدراجها وهي لا تزال تمسك بملفّها، ومرّت بباب وين مرّة أخرى بعد خمسين دقيقة من زيارتها الأخيرة. وسرعان ما تحققت من أنّ الممرّ مهجور، فضغطت بأذنها على خشب البلّوط السميك وخُيّل إليها أنّها سمعت حركة في الداخل.

«كيف تجري الأمور؟»، سألتها إيزي عندما دخلت روبن مكتبها مجدّدًا بعد دقيقتين.

– لم أر وين بعد.

– قد يكون في دائرة الشؤون الرقمية، والثقافة، والإعلام، والرياضة. إنّه يذهب لرؤية ديلا متذرّعًا بأي عذر. هل ترغبين في فنجان قهوة؟

لكن قبل أن يتسنّى لها مغادرة مكتبها، رنّ هاتفها.

فيما كانت إيزي تتلقى مكالمة من إحدى الناخبات الغاضبات لأنّها لم تتمكّن من الحصول على تذاكر لمباريات الغطس الأولمبية، قالت وهي ترمق روبن بنظرات مضحكة: «نعم يا سيّدتي، أنا أحبّ توم دالي أيضًا، لكنّها قرعة يا سيّدتي». تناولت روبن ملء ملعقة من القهوة السريعة التحضير وسكبت الحليب المعقم، متسائلة كم مرّة فعلت هذا في المكاتب التي كرهتها، وشعرت فجأة بامتنان غير عادي لأنّها هربت من تلك الحياة إلى الأبد.

قالت إيزي بلامبالاة وهي تضع السمّاعة على قاعدتها:

– أقفلت الخطّ في وجهها في النهاية. عمَّ كنّا نتكلم؟ آه، أجل، غيرينت. إنّه غاضب لأنّ ديلا لم تعيّنه م.خ.

– ما معنى م. خ.؟ سألتها روبن فيما كانت تضع فنجان القهوة الذي أعدّته لإيزي على مكتبها وتجلس إلى المكتب الآخر.

– مستشار خاصّ. إنّهم موظفون مدنيون مؤقتون. المنصب مرموق، لكنّه ممنوعٌ على أعضاء عائلة الوزير. على كلّ حال، من المستحيل أن ينال غيرينت مثل هذا المنصب، ديلا لن ترغب فيه، حتى لو كان ذلك ممكنًا.

– قابلت لتوّي الرجل الذي يعمل مع وين، أمير، ولم يكن ودودًا في الحقيقة.

– إنّه غريب الأطوار، بالكاد يعاملني بطريقة لائقة. ربّما لأنّ غيرينت وديلا يكرهان أبي. لم أفهم مطلقًا السبب، لكن يبدو أنّهما يكرهاننا جميعًا؛ أوه تذكّرت! أرسل أبي رسالة نصّية من دقيقة. سيأتي أخي راف في وقت لاحق من هذا الأسبوع إلى المكتب للمساعدة.

وأضافت إيزي، على الرغم من أنّها لم تبدُ متفائلة: «ربّما، إن كان راف ذا فائدة، فقد يتمكن من أن يحلّ محلّي. لكنّ راف لا يعرف شيئًا عن الابتزاز

ويجهل من أنت حقًا، لذا لا تقولي له شيئًا، اتّفقنا؟ لأبي حوالي أربعة عشر ابنًا وابنة روحيّين. لن يحسن راف التمييز بينكم إطلاقًا.

شربت إيزي جرعة أخرى من قهوتها، ثمّ قالت فجأة بنبرة خافتة: «أفترض أنّك تعرفين عن راف. نُشر الخبر في جميع الصحف. تلك المرأة المسكينة... كان الأمر مروّعًا. كانت ابنتها تبلغ من العمر أربع سنوات...».

أجابت روبن بنبرة عاديّة: «قرأت الخبر».

أضافت إيزي: «كنت الوحيدة في الأسرة التي زارته في السجن. فقد شعر الجميع بالاشمئزاز الشديد ممّا فعله. وقالت كينفارا – زوجة أبي – إنّه كان يجب أن يُحكم عليه بالسجن المؤبّد، لكنّها تجهل تمامًا كم كان السجن مروّعًا... الناس لا يدركون ماهية السجن... أعني، أعرف أنّه قام بعمل فظيع، لكن...».

وصمتت... فتساءلت روبن، ربّما بقليل من اللؤم، عمّا إن كانت إيزي تعني أنّ السجن ليس مكانًا لشابّ مثل أخيها من أبيها. ما لا شكّ فيه باعتقاد روبن أنّها كانت تجربة مروّعة، لكنّه تعاطى المخدّرات وركب السيّارة ودهس أمًّا شابّة.

سألتها روبن: «ظننت أنّه كان يعمل في معرض فنّي؟».

تنهّدت إيزي: «كان يعمل في صالة عرض دروموند لكنه أخفق. في الواقع، وظفه أبي هنا ليراقبه».

قالت روبن في نفسها: «وظّفه براتب من أموال المكلفين»، وتذكّرت مرّة أخرى المدّة القصيرة الغير مألوفة بتاتًا التي قضاها ابن الوزير خلف القضبان رغم أنه تسبّب بحادث مميت وهو تحت تأثير المخدّرات.

«كيف أخفق في صالة العرض؟»، سألتها.

لدهشتها الكبيرة، تحوّل تعبير إيزي الحزين فجأة إلى الضحك.

وأجابتها وهي تقهقه: «يا إلهي، أنا آسفة، يجب ألّا أضحك... أعلم أنّ الأمر ليس مضحكًا حقًا، لكنّ راف خرج للتوّ من السجن، وهو وسيم ولطالما نال أيّ فتاة رغب فيها. ألبسوه بذلة ووضعوه مع فتاة جميلة شقراء تخرّجت من معهد الفنون لتوّها، فماذا توقعوا أن يحدث؟ ولكن كما لك أن تتخيّلي، استاء

صاحب صالة المعرض جدًا من ذلك. فقد سمعهما يمارسان الجنس في مكانٍ ما في الغاليري ووجّه لراف إنذارًا صارمًا. لكنّ راف والفتاة لم يرتدعا بل أعادا الكرّة، فثارت ثورة أبي وقرّر أن ينقل راف للعمل هنا.

لم تجد روبن الأمر مرحًا جدًا، لكنّ إيزي لم تلاحظ ذلك لشدّة تأثّرها بما كانت تقوله.

وأضافت بنبرةٍ من الأمل: «من يدري؟ قد يقرّب هذا العمل بين أبي وراف». ثمّ تفقدت ساعتها وقالت بتنهيدة فيما كانت تضع فنجان قهوتها على المكتب: «من الأفضل أن أقوم ببعض الاتصالات الهاتفية»، ولكنّها تجمّدت عندما وصلت إلى هاتفها ووضعت أصابعها على جهاز الاستقبال، إذ إن صوت رجل يغنّي ارتفع في الممرّ خلف الباب المغلق.

«إنّه هو! وين!».

التقطت روبن ملفّها مرّة أخرى وقالت: «حسنًا، أنا ذاهبة إليه».

همست لها إيزي: «بالتوفيق!».

عندما خرجت إلى الممرّ، رأت وين يقف عند مدخل مكتبه، ويتكلّم مع أمير، الذي كان في الداخل. كان يحمل مجلّدًا كتب عليه باللون البرتقالي: «ذي ليفيل بلايينغ فيلد». لمّا سمع صوت خطى روبن، دار لمواجهتها، وقال وهو يتراجع إلى الممرّ بلكنة من كارديف: «أهلًا أهلًا!».

انتقلت نظراته بسرعة من عنق روبن إلى نهديها، ثمّ صعدت مجدّدًا إلى فمها وعينيها. عرفته روبن من تلك الطريقة في النظر. فقد التقت بالكثيرين من أمثاله في المكاتب التي عملت فيها. هو من النوع الذي يراقب الفتاة بطريقة تجعلها تشعر بأنّها خرقاء وخجولة، ويضع يده على الجزء الأسفل من ظهرها فيما يمرّ خلفها أو يرشدها عبر الأبواب، أو يطلّ من فوق كتفها بحجّة قراءة ما على شاشتها ويبدي بشأن ملابسها بعض التعليقات الصغيرة التي تتحوّل إلى تعليقات على قوامها أثناء لقاءات تناول المشروبات خلال ساعات ما بعد العمل. ويصرخ «كنت أمازحك!» إذا غضبت، ويصبح عدوانيًا عندما تتقدّم بشكوى ضدّه.

سأل غيرينت: «إذًا، أيّ رياحٍ طيبة أتت بك؟» جاعلًا السؤال يبدو بذيئًا.

قالت روبن مبتسمة: «أنا أتدرّب لدى العمّ جاسبر». «العمّ جاسبر؟».

قالت روبن: «جاسبر تشيزيل، نعم»، ونطقت الاسم، كما ينطقه آل تشيزيل أنفسهم، «تشيزيل». وأضافت: «إنّه عرّابي». وهي تمدّ يدها: «أدعى فينيسيا هول».

بدا لروبن أنّ كلّ ما في وين يأخذ طابعًا برمائيًا طفيفًا، وصولًا إلى راحة يده الرطبة. وأدركت بعد أن رأته في الواقع، أنّه لا يشبه البرص بقدر ما يشبه الضفدع، كبير البطن ونحيل الذراعين والرجلين، دهني الشعر، خفيفه.

«وكيف حدث أن أصبحت ابنة جاسبر الروحية؟» فأجابت روبن، التي أعدّت قصّة كاملة لهذا الهدف: «العمّ جاسبر وأبي صديقان قديمان». «من الجيش؟».

أجابت روبن: «بل من مكتب إدارة الأراضي»، متمسّكة بقصّتها التي رتّبتها مسبقًا. قال وين: «آه». ثمّ أضاف: «شعر جميل. هل هو طبيعي؟».

فأجابت روبن: «نعم».

انزلقت عيناه على جسدها مرّة أخرى. وبذلت روبن مجهودًا لتستمرّ في الابتسام. أخيرًا، بعد أن نجحت في الابتسام والضحك حتى كلّت عضلات وجهها، استطاعت أن تبتعد في الممرّ بعد أن وعدته بأنّها ستتّصل به إذا احتاجت إلى مساعدة. وبقيت تشعر به وهو يراقبها حتى انعطفت وتوارت عن ناظريه.

أيقنت روبن، تمامًا كما شعر سترايك بعد أن اكتشف ميل جيمي نايت إلى التقاضي، أنّها قامت باكتشاف قيّم ووضعت إصبعها على نقطة ضعف وين. هي تعرف، بالخبرة، أنّ الرجال أمثال غيرينت يميلون بنحو مذهل إلى الاعتقاد بأنّ كلامهم المعسول المفعم بالتلميحات الجنسية يلقى دائمًا التقدير، حتى إنّه يولّد شعورًا متبادلًا. قضت روبن جزءًا لا يُستهان به من حياتها في أماكن العمل المؤقت تحاول صدّ هؤلاء الرجال وتجنّبهم، لأنّ جميعهم يعتبر أنّ أكثر النكات تفاهة دعوات فاضحة إلى العبث ويرون في الشباب والافتقار إلى الخبرة إغراءً لا يقاوم.

سألت نفسها إلى أيّ مدى كانت مستعدّة للذهاب في سعيها لاكتشاف أمور من شأنها أن تشوّه سمعة وين، وفيما مشت في ممرّات لا نهاية لها لدعم ادّعائها أنّها ترغب في تسليم بعض الأوراق، تخيّلت نفسها متّكئة على مكتبه بينما كان أمير المزعج في مكان آخر، صدرها على مستوى عينيه، تطلب المساعدة والمشورة، وتضحك على النكات البذيئة.

فجأة انطلق عنان خيالها ورأت بوضوح وين يندفع نحوها، ووجهه المتعرّق ينقضّ عليها، وفمه الرفيع الشفتين ينفتح قليلًا، وشعرت بيديه تمسكان بذراعيها وتثبّتانهما على جانبيها، وبطنه يضغط عليها فيما يدفعها للتراجع إلى داخل خزانة الملفّات...

فجأة، بدأ اللون الأخضر اللامتناهي للسجّاد والكراسيّ والأقواس الخشبية الدكناء والألواح المربّعة يتلاشى وبدأ الأثاث أمامها يتقلص مع تحوّل مغازلة وين في خيالها إلى اعتداء. واندفعت من الباب إلى الأمام كما لو أنّها تستطيع أن تجبر نفسها جسديًا على الهروب من ذعرها...

تنفّسي. تنفّسي. تنفّسي.

«المكان يثير الهيبة في النفس عندما تدخلينه للمرّة الأولى، أليس كذلك؟» بدا الرجل لطيفًا وليس شابًا.

قالت روبن، وهي بالكاد تعرف ما قالته: «نعم». تنفّسي. «هل أنت متمرّنة؟». وبعد ذلك سأل: «هل أنتِ بخير يا عزيزتي؟» قالت روبن: «نوبة ربو».

لقد استخدمت هذا العذر من قبل. وقد أعطاها ذريعة للتوقّف، وللتنفّس بعمق، ولإعادة توازنها في الواقع.

سأل المضيف المسنّ بقلق: «هل لديك جهاز استنشاق؟».

كان يرتدي معطفًا مذيّلًا وربطة عنق بيضاء وشارة كبيرة مزخرفة تدلّ على وظيفته. بظهوره اللطيف غير المتوقع، شبّهته روبن بالأرنب الأبيض في قصّة «أليس في بلاد العجائب»، الذي ظهر فجأة وسط جوّ من الجنون.

«تركته في مكتبي. سأكون بخير. أحتاج فقط لبعض الوقت...».

وجدت روبن نفسها محاطة بوهج من الذهب والألوان، فازداد شعورها بالاختناق. تقع ردهة الأعضاء، تلك الغرفة الفيكتورية القوطية المزخرفة والمألوفة لكثرة ما رأتها على التلفزيون، خارج مجلس العموم مباشرةً، وتظهر في الأفق على طرف مدى رؤيتها أربعة تماثيل برونزية عملاقة لرؤساء الوزراء السابقين: تاتشر وأتلي ولويد جورج وتشرشل، بينما اصطفّت تماثيل نصفية للآخرين بمحاذاة الجدران. بدت التماثيل لروبن كالرؤوس المقطوعة، والتذهيب، بزخارفه المعقدة والغنيّة الملوّنة، رقصت حولها، تستهزئ بعجزها عن تحمّل جمالها المزخرف.

سمعت صوت جرجرة أرجل كرسيّ، إذ أحضر لها المضيف كرسيًّا وطلب من زميل له أن يحضر كوبًا من الماء.

قالت روبن بخدر: «شكرًا... شكرًا لك...» وهي تشعر بعدم الكفاءة، والخجل والإحراج. يجب ألّا يعرف سترايك أبدًا بالأمر. فلو عرف لأرسلها إلى المنزل قائلًا إنّها لا تصلح لتنفيذ هذه المهمّة. ويجب عليها أيضًا ألّا تخبر ماثيو الذي اعتبر هذه الأحداث عواقب مخزية وحتمية لغبائها في استمرارها في عمل المراقبة والتحرّي.

تحدّث المضيف معها بلطف بينما كانت تتعافى ولم تلبث أن مرّت دقائق قليلة حتى تمكّنت من الاستجابة بنحو مناسب لثرثرته الحسنة النيّة. بينما كان تنفّسها يعود إلى طبيعته، أخبرها كيف أنّ تمثال إدوارد هيث النصفي بدأ لونه يميل إلى الخضرة عند وصول تمثال تاتشر بالحجم الكامل إلى جانبه، وكيف كان من الضروري معالجته لإعادته إلى لونه البنّي البرونزي القاتم.

ضحكت روبن بأدب، ووقفت على قدميها وأعطته الكوب الفارغ مجدّدةً شكرها له.

وتساءلت فيما كانت تعود أدراجها، ما هو العلاج الذي ستتطلّبه هي لترجع إلى ما كانت عليه في الماضي؟

14

... يا للسعادة التي قد أشعر بها إن تمكّنت
من تسليط بعض النور على هذا القبح
المظلم كلّه.

هنريك إبسن، روسميرشولم

نهض سترايك في وقت مبكر من صباح الثلاثاء. بعد أن استحم، وضع طرفه الاصطناعي وارتدى ملابسه، وملأ الترمس بالشاي البنّي الأدكن، وأخذ السندويشات التي كان قد أعدّها في الليلة السابقة من البرّاد، ووضعها في حقيبة محمولة مع عبوتين من بسكويت كلوب، ولوح علكة وبعض الأكياس من رقائق البطاطا بالملح والخلّ، ثمّ انطلق عند شروق الشمس إلى المرأب حيث ركن سيّارته البي أم دبليو. كان قد ضرب موعدًا لقصّة شعر في الثانية عشرة والنصف، مع طليقة جيمي نايت في مانشستر.

استقرّ في السيّارة، ووضع حقيبة مؤنه في متناول يده، وسحب حذاءً رياضيًا يحتفظ به في السيّارة، يثبّت قدمه الاصطناعية بطريقة أفضل على الفرامل. ثمّ أخرج هاتفه المحمول وبدأ بكتابة رسالة نصّية لروبن.

بدءًا من الأسماء التي أعطاه إيّاها واردل، أمضى سترايك قسمًا كبيرًا من يوم الاثنين في البحث، قدر المستطاع، عن الطفلين اللذين أخبره رجال الشرطة أنّهما اختفيا من منطقة أوكسفوردشاير قبل عشرين عامًا. أخطأ

واردل في كتابة اسم الصبيّ، ما أخّر سترايك في البحث، لكنّه أخرج أخيرًا تقارير صحافية مؤرشفة كُتبت عن إمامو إبراهيم، أكّدت فيها والدة إمامو أنّ زوجها المنفصل عنها خطف الصبيّ ونقله إلى الجزائر. اكتشف سترايك أخيرًا سطرين بشأن إمامو ووالدته على موقع إلكتروني لمنظمة تعمل على حلّ قضايا الحضانة الدولية، فاستنتج من ذلك أنّه عُثر على إمامو على قيد الحياة وبصحّة جيّدة مع والده.

بقي مصير سوكي لويس، البالغة من العمر اثني عشر عامًا، التي هربت من دار الرعاية، أكثر غموضًا. اكتشف سترايك أخيرًا صورة لها مدفونة في قصّة إخبارية قديمة. اختفت سوكي من دار الرعاية السكنية في سويندون عام 1992 ولم يجد سترايك أيّ ذكر لها منذ ذلك الحين. وأظهرت صورتها الباهتة طفلة كثيرة الأسنان، وصغيرة الحجم، ذات سمات دقيقة، وشعر قصير أدكن.

«كانت فتاة صغيرة، لكنّهم في ما بعد قالوا إنّه كان صبيًّا صغيرًا».

إذًا، من الممكن أن يكون طفلًا ضعيفًا ومخنّثًا اختفى عن وجه الأرض في الوقت نفسه تقريبًا، وفي المنطقة نفسها تقريبًا التي ادّعى بيلي نايت أنّه شهد خنق صبيّ فتاة فيها.

في السيّارة، نصّ سترايك رسالة لروبن:

«إذا استطعت أن تجعلي الأمر يبدو طبيعيًا، اسألي إيزي هل تتذكّر أيّ شيء عن فتاة تبلغ من العمر 12 عامًا تُدعى سوكي لويس، هربت قبل 20 سنة من دار رعاية بالقرب من منزل عائلتها».

لمعت الأوساخ على زجاج سيّارته الأمامي وخفتت تحت الشمس المشرقة عندما كان يغادر لندن. لم تعد القيادة ممتعة كما كانت من قبل. لم يستطع سترايك تحمّل تكلفة سيّارة معدّلة بطريقة خاصّة تخدم إعاقته، وعلى الرغم من أنّ السيّارة أوتوماتيكية ظلّ تشغيل دوّاسات البي أم دبليو مزعجًا بسبب طرفه الاصطناعي. في الظروف الصعبة، كان أحيانًا يشغّل الفرامل والمسرّع بقدمه اليسرى.

عندما دخل أخيرًا الطريق السريع (م6)، أمل أن يستقرّ على سرعة ستّين ميلًا في الساعة، لكنّ سائقًا سافلًا في سيّارة فكسهور كورسا قرّر أن يقترب إلى الحدّ الأقصى من مؤخّرة سيّارته.

هدر سترايك: «أيها المتجاوز اللعين». ولم يرغب في تغيير سرعته، لأنّ هذه السرعة المنخفضة المريحة أغنته عن استخدام قدمه الاصطناعية أكثر ممّا كان ضروريًا، وأخذ لفترة من الوقت يعبس لسائق الفوكسهول في مرآة الرؤية الخلفية حتى فهم هذا الأخير التلميح وابتعد عنه.

استرخى سترايك قدر ما يمكن للمرء الاسترخاء هذه الأيّام عندما يكون خلف عجلة القيادة، وفتح النافذة ليدخل جوّ الصيف العليل وعاد بأفكاره إلى بيلي وسوكي لويس المفقودة.

قال بيلي عندما أتاه إلى المكتب: «لن تسمح لي بالحفر»، وهو ينقر بطريقة عصبية على أنفه وصدره، «لكنّها ستسمح لك أنت بذلك».

وتساءل سترايك من هي «هي»؟ ربّما كانت مالكة ستيدا كوتادج الجديدة؟ فهذه قد تعترض على طلب بيلي لحفر أحواض الزهور بحثًا عن جثة.

بعدما تحسّس سترايك بيده اليسرى داخل حقيبة مؤنه، وأخرج كيسًا من رقائق البطاطا بأسنانه ومزّقه، ذكّر نفسه للمرّة الألف بأنّ قصّة بيلي بكاملها قد تكون مجرّد وهم. وقد تكون سوكي لويس على قيد الحياة في أيّ مكان من العالم. فالأطفال المفقودون لا يموتون جميعهم. وربّما أقدم أحد والدي سوكي على خطفها هي أيضًا. قبل عشرين عامًا، في بداية الإنترنت، كان من الممكن أن يستغلّ أولئك الذين يرغبون في ابتكار هويّة جديدة لأنفسهم أو غيرهم من الناس، الاتصال غير المتكامل بين قوّات الشرطة الإقليمية. وحتى لو لم تعد سوكي على قيد الحياة، فليس هناك ما يشير إلى أنّها خُنقت، فضلًا عن أن يكون بيلي نايت شهد ذلك. قد يستنتج الكثيرون بدون شك أنّها قضيّة واهمة فيها دخان كثيف لكن بدون نار.

وفيما كان يمضغ حفنات رقائق البطاطا، فكّر سترايك أنّه عندما يتعلق الأمر بما يعتقده «معظم الناس»، تتبادر إلى ذهنه أخته غير الشقيقة لوسي، وهي الوحيدة من إخوته السبعة غير الأشقاء التي شاركته طفولة ترحال

فوضوية ومثيرة للشفقة. في نظره، تمثّل لوسي ذروة كلّ ما هو تقليدي ويفتقر إلى الخيال، على الرغم من أنّهما عرفا طفولة محفوفة بالرعب والخطر والخوف.

قبل أن تذهب لوسي للعيش بشكل دائم مع خالتهما وزوجها في كورنوال، عندما بلغت الرابعة عشرة من العمر، كانت والدتها قد نقلتها وسترايك من شقة محتلّة بطريقة غير قانونية إلى ملجأ تابع للبلدية، إلى شقة مستأجرة، إلى بيت أحد الأصدقاء، ونادرًا ما بقيت في المكان ذاته أكثر من ستة أشهر، معرّضة طفليها لمجموعة من البشر الغريبي الأطوار، والمدمّرين والمدمنين. وتذكّر سترايك فيما وضع يده اليمنى على عجلة القيادة، بينما اليد اليسرى تبحث عن البسكويت، بعض المشاهد المرعبة التي شهدها هو ولوسي عندما كانا طفلين: كالشاب الذهاني الذي يقاتل شيطانًا غير مرئيّ في شقة في الطابق السفلي في شورديتش، والمراهق الذي كان يُجلد حرفيًا بالسياط في مجتمع شبه روحاني في نورفولك (وهو في نظر سترايك، أسوأ مكان أخذتهما إليه ليدا على الإطلاق) وشايلا، إحدى أكثر صديقات ليدا ضعفًا، التي تبيع جسدها من وقت إلى آخر، وتبكي بمرارة لأنّ صديقها العنيف تسبّب بتلف دماغي لطفلها الصغير.

تركت تلك الطفولة المرعبة المفخّخة بكل ما هو غير متوقّع، رغبة قويّة عند لوسي في حياة مستقرّة وتافهة. هكذا، تزوّجت بمسّاح مختص بتقدير تكاليف البناء لا يروقه أبدًا، وأنجبت منه ثلاثة أبناء بالكاد يعرفهم. لعلّ لوسي كانت سترفض قصّة بيلي عن الطفل أو الطفلة المخنوقة من الأساس وتعتبرتها نتاج عقل مضطرب، وتبعدها سريعًا في زاوية من ذهنها مع الأشياء الأخرى كلها التي لا تستطيع أن تتحمّل التفكير فيها، فهي تحتاج إلى التظاهر بأنّ العنف والغرابة قد اختفيا في ماضٍ انتهى برحيل ليدا، الذي باتت الحياة من بعده آمنة أمانًا ثابتًا لا يتزعزع.

كان سترايك يتفهّمها. على الرغم من اختلافهما العميق، وعلى الرغم من أنّ لوسي كانت تغضبه في كثير من الأحيان، كان يحبّها. ومع ذلك، لم يستطع الامتناع عن مقارنتها بروبن وهو يتوجّه نحو مانشستر. نشأت روبن في ما بدا لسترايك نموذجًا للاستقرار الذي تتّصف به الطبقة الوسطى، لكنّها

كانت شجاعة بعكس لوسي. تعرّضت المرأتان للعنف والسادية. كان ردّ فعل لوسي أن دفنت نفسها حيث كانت تأمل ألّا تصل إليها الشرور مرّة أخرى؛ أمّا روبن فكانت تواجه الأخطار على نحو شبه يومي، وتحقق في جرائم آخرين تطال آخرين ولا صلة مباشرة لها بها، تدفعها في ذلك، على غرار سترايك، رغبة في إظهار الحقيقة التي تختبئ تحت وقائع معقدة.

وفيما كانت الشمس ترتفع في السماء وتنير الغبار المتراقص على زجاجه الأمامي الوسخ، تمنّى لو كانت روبن هنا معه الآن. فهي أفضل شخص قابله على الإطلاق بإمكانه أن يدرس نظرية تُعرض عليه من جميع جوانبها. بالتأكيد كانت ستفتح الترمس وتصبّ له الشاي. «وكنّا سنضحك معًا».

عادا إلى مزاحهما القديم مرّات عدّة أخيرًا، منذ أن دخل بيلي المكتب بقصّة مزعجة بما يكفي لتفكيك التحفّظ الذي أعاق، على مدار عام كامل، صداقتهما... قال سترايك في نفسه: «... أو أيّ أمر آخر». وللحظة، شعر بها مرّة أخرى بين ذراعيه على الدرج، وشمّ رائحة الورود البيضاء، ورائحة ذلك العطر الذي يعبق في المكتب كلّما كانت روبن جالسة إلى مكتبها...

بما يشبه التكشيرة المعنوية في قرارة نفسه، مدّ سترايك يده إلى سيجارة أخرى، أشعلها وأجبر نفسه على التركيز على مانشستر، وعلى الأسئلة التي سيطرحها على دون كلانسي، التي حملت، لمدّة خمس سنوات، لقب السيّدة جيمي نايت.



15

نعم، هي غريبة الأطوار، بالفعل. لطالما
كانت متعجرفة...

هنريك إبسن، روسميرشولم

فيما كان سترايك يقود مسرعًا نحو الشمال، استُدْعيَت روبن إلى اجتماع منفرد مع وزير الثقافة شخصيًا.

مشت روبن في الشمس متوجّهة إلى مبنى وزارة الثقافة والإعلام والرياضة، وهو مبنى إدواردي أبيض عريض يبعد دقائق قليلة من قصر وستمنستر، ووجدت نفسها تتمنّى لو أنّها سائحة من السيّاح الذين يكتظّ بهم الرصيف، إذ إنّ تشيزيل بدا لها غاضبًا على الهاتف.

تمنّت لو أنّها تملك معلومات أكثر أهمية تكشفها للوزير عمّن يقوم بابتزازه، لكنّها لم تبدأ بالعمل لديه سوى منذ يوم ونصف اليوم، وكلّ ما بإمكانها جزمه حتى الآن هو أنّ انطباعها الأول عن غيرينت وين تأكّد: فهو كسول، فاسق، ومعتدّ بنفسه وغير متحفّظ بتاتًا. يبقى باب مكتبه مفتوحًا أكثر منه مغلقًا، ويدوّي صوته الرتيب عبر الممرّ وهو يتكلّم بتهوّر أرعن عن مخاوف ناخبيه «التافهة»، ويذكر أسماء المشاهير والزعماء السياسيين، ويعطي بالإجمال انطباعًا بأنّ إدارته لمكتب نيابي مُجرّد استعراض ثانوي لا أهمّية له.

ثم إنّه كان يلقي التحيّة على روبن من وراء مكتبه كلّما مرّت أمام ذلك الباب المفتوح، مُبديًا لهفة واضحة لمزيد من التواصل.

على أيّ حال، استمرّ أمير مالك، عن قصد أو من باب الصدفة، في إحباط محاولات روبن لتحويل تلك التحيّات إلى أحاديث، فكان يقاطعها بأسئلته الموجّهة إلى وين، أو يعمد، كما فعل قبل ساعة، إلى إغلاق الباب في وجهها بكلّ بساطة.

كانت الواجهة الخارجية للمبنى الذي يضمّ وزارة الاتصالات الرقمية والثقافة والإعلام والرياضة، بأحجارها المزخرفة وأعمدتها وواجهتها النيو كلاسيكية، في غاية المهابة. أما داخل المبنى، فقد خضع للتجديد وعُلّقت فيه قطع فنّية معاصرة، من بينها منحوتة زجاجية تجريديّة تدلّت من القبّة فوق بيت الدرج الرئيسي، الذي صعدته روبن برفقة سيّدة شابّة نشيطة أخذت على عاتقها أن تدلّها على معالم المكان الرئيسة ظنًّا منها أنّها فعلًا الابنة الروحية للوزير.

قالت لها: «هذه قاعة تشرشل»، مشيرة إلى اليسار بينما كانتا تنعطفان الى اليمين. «عن هذه الشرفة ألقى خطابه في يوم النصر. مكتب الوزير من هنا...».

وقادت روبن إلى آخر الممرّ العريض، الذي أصبح أعرض بعد عند المنعطف ليتحول إلى صالة واسعة تشكّل مساحة عمل مفتوحة احتلّها شبّان وشابّات يبدو عليهم الذكاء خلف صفٍّ من المكاتب على يمينها شبابيك عريضة تطلّ على ساحة مربّعة تشبه، بالحجم والقياس، الكولوسيوم، بجدرانها العالية البيضاء المثقوبة بالفتحات. كان المكان مختلفًا كلّ الاختلاف عن المكتب الضيّق حيث كانت إيزي تعدّ قهوتها السريعة التحضير في غلّاية. فهنا، ثمة آلة كبيرة لإعداد القهوة، غالية الثمن، مع مجموعة كاملة من الكبسولات، على أحد المكاتب.

جدران زجاجية وأبواب تفصل هذه المساحة المفتوحة التي وصلتها بعد الانعطاف في الممرّ، عن المكاتب الموجودة إلى اليسار. من بعيد، رأت روبن وزير الثقافة، جالسًا إلى مكتبه، تحت لوحة عصرية للملكة، يتكلّم على

الهاتف. أشار بحركة فظّة إلى المرافقة بأن تُدخل روبن إلى المكتب وتابع التكلم على الهاتف فيما انتظرت، محرجة بعض الشيء، أن ينهي مكالمته. عبر السمّاعة، صدَر صوت صياح امرأة بدا هستيريًا حتى لروبن، الواقفة على مسافة ثماني أقدام.

صرخ تشيزيل في الهاتف: «يجب أن أنهي المكالمة يا كينفارا! نعم... سنناقش الأمر لاحقًا. يجب أن أقفل الخطّ».

وضع الوزير السمّاعة على قاعدتها بقوّة مبالغ فيها ودلّ روبن على كرسيّ قبالته. كان شعره الخشن منتصبًا حول رأسه كهالة مسنّنة، وشفته السفلى الغليظة قد أضفت على وجهه سمة وقاحة حانقة.

قال تشيزيل: «الصحف تقوم بألاعيبها، كانت المكالمة من زوجتي. هاتفها أحدهم من صحيفة الصن هذا الصباح سائلًا عمّا إن كانت الشائعات صحيحة. فسألته: «أيّ شائعات؟» لكنّ الرجل لم يُحدّد. كان يحاول الإيقاع بها على الأرجح. ويحاول مباغتتها لانتزاع المعلومات منها».

عبس تشيزيل بوجه روبن، وكأنّ مظهرها لم يرقه.

– كم عمرك؟

– سبعة وعشرون عامًا.

– تبدين أصغر سنًا.

لم يوح كلامه بالإطراء.

– هل تمكّنت من زرع جهاز التنصّت؟

– كلا، للأسف.

– أين سترايك؟

– في مانشستر، يستجوب طليقة جيمي نايت.

أصدرت حنجرة تشيزيل صوتًا غاضبًا مكتومًا، ثمّ وقف، فسارعت روبن إلى الوقوف أيضًا.

قال لها: «حسنًا، الأفضل لك أن تعودي وتنكبّي على الموضوع». ثمّ أضاف، بصوت رتيب، وهو يتّجه إلى الباب: «مصلحة الصحّة الوطنية! سيعتقد الناس أنّنا فقدنا صوابنا».

فأجابته روبن، مندهشة تمامًا: «عذرًا؟».

سحب تشيزيل الباب الزجاجي وأشار لروبن بأن تمرّ قبله، إلى المساحة المفتوحة حيث يعمل الموظفون الشباب الأنيقون الأذكياء الجالسين بقرب آلة القهوة الحديثة. «حفل افتتاح الألعاب الأولمبية»، شرح لها وهو يتبعها: «تفاهات يسارية. ربحنا حربين لعينتين، لكن لا يُفترض بنا أن نحتفل بذلك».

«هراء، يا جاسبر»، صاح صوت عميق ومنغّم بلكنة ويلزية من مكان قريب. «إنّنا نحتفل بالانتصارات العسكرية طوال الوقت. هذا نوع مختلف من الاحتفالات». كانت تلك وزيرة الرياضة، ديلا وين. كانت تقف خارج باب مكتب تشيزيل وهي تمسك رسن كلبتها اللابرادور شبه البيضاء. امرأة ذات مظهر ملكيّ، شعرها مردود إلى ما وراء جبهة عريضة، تضع نظّارة دكناء لدرجة أنّ روبن لم تتمكّن من رؤية عينيها. وكانت قد علمت من الأبحاث التي أجرتها عنها، أنّ عماها يعود إلى مرض نادر حال دون نموّ عينيها في الرحم، وأنّها كانت تضع أحيانًا عينين اصطناعيتين، خاصّة خلال جلسات التصوير الرسمية. كانت ديلا تضع مجموعة من الحليّ الذهبية، من بينها عقد من الأنتاغليوس، وقد اكتست باللون الأزرق السماوي من رأسها إلى أخمص قدميها. قرأت روبن في أحد التقارير التي طبعها لها سترايك عن المرأة السياسية أنّ غيرينت يعدّ لها ثيابها كلّ صباح، وبما أنّه يفتقر إلى الذوق والخبرة في أمور الموضة فمن الأسهل له أن يختار ثيابًا من لون واحد. ووجدت روبن ذلك مؤثّرًا آنذاك.

لم يرق تشيزيل ظهور زميلته المفاجئ، وبالفعل، بما أنّ زوجها كان يبتزّه، وجدت روبن امتعاضه منطقيًا. إلّا أنّ أيّ علامة إحراج لم تبدُ على ديلا، بل إنّها قالت لتشيزيل: «فكّرت أنّه يمكننا أن نترافق بالسيّارة إلى غرينيتش»، بينما كانت اللابرادور الشاحبة تشمّ هدب تنّورة روبن. ثمّ أضافت: «ستتسنّى لنا الفرصة لمراجعة ترتيبات الثاني عشر». وأردفت: «غوين، ماذا تفعلين؟»، بعد أن شعرت بأنّ اللابرادور تشدّ على رسنها.

قالت روبن بخجل: «إنّها تشمّني»، وربّتت رأس غوين.

«أقدم لك ابنتي الروحية، آه...» فسارعت روبن إلى القول: «فينيسيا»، فيما كان تشيزيل يكابد ليتذكّر اسمها.

قالت ديلا: «كيف حالك؟» وهي تمدّ يدها. «هل تزورين جاسبر؟» فأجابتها روبن: «كلّا، أنا متدرّجة في مكتب الدائرة الانتخابية»، وهي تصافح اليد الدافئة، المثقلة بالخواتم، بينما ابتعد تشيزيل ليتفحّص مستندًا حمله له شابّ يرتدي بذلة.

ردّدت ديلا: «فينيسيا»، ووجهها مائل نحو روبن. ظهرت عبسة خفيفة على محيّاها الجميل، شبه المغطّى بالنظّارة السوداء المنيعة وأردفت: «ما شهرتك؟» أجابت روبن: «هول»، وشعرت بذعر خفيف، كما لو أنّ ديلا أوشكت على كشف أمرها. ابتعد تشيزيل، وهو يتصفّح المستند الذي أعطي له، تاركًا روبن، أو أنّ هذا ما تصوّرته هي، تحت رحمة ديلا بالكامل.

قالت ديلا: «أنتِ المبارِزة». أجابت روبن: «عذرًا؟»، وقد ارتبكت أكثر بعد.

أدار بعض الموظفين الشباب المجتمعين حول آلة القهوة التي تبدو كأنّها من العصر الفضائي رؤوسهم ليستمعوا وقد اعتلت وجوههم تعابير اهتمام خَفِر. قالت ديلا: «أجل، أجل، تذكّرتك. كنتِ في الفريق الإنكليزي مع فريدي».

أصبحت تعابير وجهها اللطيفة قاسية، فيما انحنى تشيزيل فوق أحد المكاتب يشطب جملًا في المستند.

قالت روبن وقد نال منها الارتباك تمامًا: «كلّا، لم أمارس المبارزة قطّ»، بعد أن فهمت من كلمة «فريق» أنّ النقاش يتناول موضوع المسايفة هنا وليس الحقول والماشية.

قالت ديلا مشدّدة: «بلى بالتأكيد بارزتِ، تذكّرتك. الابنة الروحية لجاسبر، في الفريق مع فريدي».

أمام هذا التعجرف واليقين، بدا لروبن أنّه لا جدوى من الاستمرار في الاعتراض، إذ إنّ المتنصّتين باتوا كُثُرًا. واستعاضت عن ذلك بالقول: «حسنًا، سررتُ بلقائك» وابتعدت.

فقالت ديلا: «تقصدين، مُجدّدًا»، لكن روبن تركت سؤال الوزيرة معلّقًا.

16

... رجل له سجلٌ أسود كسجلّه! يتظاهر بأنّه
قائد شعبي! وينجح أيضًا!

هنريك إيبسن، روسميرشولم

بعد أربع ساعات ونصف من القيادة، لم يكن نزول سترايك من البي. أم. دبليو سهلًا وسلسًا. وقف لفترة في شارع بورتون، وهو شارع عريض وجذاب بمحالّه وبيوته، واتّكأ على السيّارة، ممدّدًا ظهره ورجله، ممتنًا لأنّه وجد موقفًا قريبًا من صالون «ستايلز» الذي برزت واجهته ذات اللون الزهري الزاهي بين أحد المقاهي ومتجر تيسكو إكسبرس، وقد تزيّنت بصور عارضات تمثّلن أمزجة مختلفة وقد تلوّن شعرهنّ بألوان غير طبيعية.

ببلاطه الأسود والأبيض وجدرانه الوردية التي ذكّرت سترايك بغرفة نوم لوريلاي، بدا الصالون من الداخل حديث التصميم، لكن لم يبد أنه يستقطب الزبائن الشباب أو المغامرين. عندما دخل سترايك، كانت هناك زبونتان، إحداهما امرأة سمينة في الستين من عمرها على الأقلّ، تجلس أمام المرآة بشعرها الملفوف بورق الألومينيوم وبين يديها مجلة عن الإدارة المنزلية الناجحة. راهن سترايك بأنّ دون هي تلك المرأة النحيفة ذات الشعر الأشقر المبيضّ التي تدير ظهرها له، وهي تُحدّث بحيويّة سيّدة مُسنّة لها شعر أزرق، بينما تعمل على تجعيده لها.

قال سترايك لفتاة الاستقبال: «لديّ موعد مع دون»، فبدا على وجهها بعض التعجّب لرؤية رجل طويل القامة إلى هذا الحدّ في هذا المكان الجميل الذي يفوح برائحة الأمونيا المعطّرة. استدارت ذات الشعر الأشقر عند سماع اسمها. وكانت تملك تلك البشرة السميكة الملطخة ببقع السنّ لامرأةٍ واظبت على استعمال جهاز التسمير في صباها.

قالت مبتسمة: «سأوافيك بعد قليل، أيها الفحل». فجلس ينتظر على مقعد قرب النافذة.

بعد خمس دقائق، قادته إلى كرسيّ مُنَجّد زهري اللون في الجزء الخلفي من الصالون.

وسألته: «إذًا، عمَّ تبحث؟» وهي تدعوه إلى الجلوس بإشارة من يدها.

قال سترايك: «لم آتِ من أجل قصّة شعر»، وهو لا يزال واقفًا. «طبعًا لا أمانع في أن أدفع ثمن قصّة الشعر، لا أريد أن أهدر وقتك، ولكن...» ثمّ أخرج لها بطاقة التعريف ورخصة السّوق من جيبه، «أُدعى كورموران سترايك. أنا تحرّي خاصّ وكنت آمُل أن أتحدّث معك عن زوجك السابق، جيمي نايت».

بدت مندهشة، وهو أمر يمكن تفهّمه، وبعد ذلك مذهولة. ثمّ قالت مُردّدة:

– سترايك؟ ألست أنت من قبض على السفاح؟

– بلى، هذا أنا.

– يا إلهي! ماذا فعل جيمي؟

فأجاب سترايك بهدوء:

– لا شيء يُذكر، أنا هنا لأتقصّى عن تاريخه فحسب.

لم تصدّقه بالطبع. أمّا هو فاشتبه في أنّ وجهها منفّخ بالبوتوكس، ما جعل جبهتها ملساء ولامعة على نحو مريب، يعلوها حاجبان مَرسومان باعتناء. وحدها رقبتها المترهّلة تفضح عمرها.

«كان ذلك منذ دهور وانتهى الآن. لم أعد أتحدث عن جيمي إطلاقًا. بقدر ما تتكتّم تتحسّن حالك، أليس هذا ما يُقال؟».

لكنّه شعر بالفضول والإثارة يشعّان منها كالحرارة. وكان صوت محطّة راديو 2 يصدح في البعيد. التفتت إلى المرأتين الجالستين أمام المرآة ونادت: «سايان!».

فقفزت فتاة الاستقبال واستدارت. «ارفعي أوراقها المعدنية وراقبي عملية التجعيد، عزيزتي». تردّدت، وهي تحمل بطاقة سترايك. ثمّ قالت: «لست متأكّدة إن كان يجدر بي أن أكلمك»، وكأنّها تسعى إلى أن يقنعها بأن تتعاون.

فقال: «أسأل فقط عن تاريخه. لست مجبرة على ذلك».

وبعد خمس دقائق ما لبثت أن ناولته فنجان قهوة بالحليب في غرفة صغيرة في الصالون، وراحت تتكلّم بمرح، إلّا أنّها كانت تبدو متعبة قليلًا تحت الضوء الفلوري المُعَلّق فوق رأسيهما، لكنّها ما زالت جميلة بما فيه الكفاية لتبرير اهتمام جيمي بامرأة تكبره بثلاث عشرة سنة.

«... نعم، تظاهرة ضدّ الأسلحة النووية. شاركت فيها مع وندي، صديقتي، التي كانت تهتمّ بتلك الأمور. كانت نباتية أيضًا». وأضافت مُغلقة الباب بركلة من رجلها بعد أن سحبت علبة سيلك كات. «تعرف هذا النوع».

وقدّمت له علبة السجائر فقال لها سترايك: «لديّ سجائري». أشعل لها سيجارتها، ثمّ أشعل سيجارة بنسون أند هدجز من علبته. زفرا الدخان معًا، ثمّ وضعت ساقًا على أخرى قبالته واستمرّت في ثرثرتها.

«... نعم، إذًا ألقى جيمي خطابًا. الأسلحة وكم يمكننا التوفير، وإعطاء المال لمصلحة الصحّة العامّة وكلّ هذا، وما الهدف من ذلك... إنّه يتقن فنّ الخطابة، كما تعلم».

وافق سترايك: «أجل، سمعته يتكلم». «نعم، وصدّقته مبهورة ووقعت في فخّه المحكم. واعتقدت أنّه من أمثال روبن هود».

استبق سترايك الطرفة قبل أن تتفوّه بها، وأدرك أنّها لا تستعملها للمرّة الأولى. فقالت: «بل كان سارقًا بلا هوادة».

كانت مُطلّقة عندما تعرّفت إلى جيمي. تركها زوجها الأول من أجل فتاة أخرى في صالون لندن الذي كانا يتشاركان في ملكيته. انتفعت من

طلاقها منه، فقد استطاعت المحافظة على المحلّ. بدا لها جيمي رومانسيًا بعد زوجها الأول السافل، الفاحش الغنى، وقبل أن تتعافى من صدمتها كانت قد هامت في حبّه.

قالت: «ولكن دائمًا ما كان محاطًا بالفتيات. تعرف اليساريات، بعضهنّ كنّ يافعات جدًا. كان كنجم موسيقى البوب أو ما شابه بالنسبة إليهنّ. اكتشفتُ لاحقًا كم كنّ كثيرات، بعدما أفرغ حساباتي المصرفية كلها».

أسهبت دون في إخبار سترايك كيف أقنعها جيمي بأن تموّل دعوى ضدّ ربّ عمله السابق، زينيت للصناعة، الذي طرده طردًا تعسّفيًا.

«جيمي حريص جدًا على حقوقه. وهو ليس غبيًا، كما تعلم. أخذ من زينيت تعويضًا بلغ عشرة آلاف لم أرَ قرشًا منها. بدّدها كلها وهو يحاول مقاضاة أناس آخرين. وحاول أن يرفع دعوى عليّ أنا أيضًا، بعدما انفصلنا، مدّعيًا أنّني تسبّبت له بخسارة أرباح، الأمر مُضحك. أنفقت عليه طوال خمس سنوات ثمّ ادّعى أنّه كان يعمل معي، ينمّي العمل دون مقابل وأنّه غادر بعدما أصيب بالربو بسبب الموادّ الكيميائية – قد يذهلك عدد التفاهات التي يمكنه أن يبتكرها – لكنّ المحكمة أسقطت ادّعاءاته، والحمد لله. ثمّ حاول النيل منّي بتهمة المضايقة. وادّعى أنّني خدشت سيّارته بالمفتاح».

داست سيجارتها ثمّ التقطت واحدة أخرى وقالت بابتسامة مفاجئة وشقيّة: «وقد فعلت ذلك. أتعلم بأنّ اسمه وُضع على لائحة مراقبة الآن؟ لا يمكنه مقاضاة أحد بدون إذن». أجاب سترايك: «علمت ذلك، أجل. هل كان متورّطًا في أيّ نشاط إجرامي حين كنتما معًا يا دون؟»،

أشعلت سيجارة أخرى وهي تراقب سترايك من بين أصابعها، وهي لا تزال تأمل أن يخبرها ما اقترفه جيمي كي يسعى إلى ملاحقته. قالت أخيرًا:

«لست واثقة إن كان تأكّد من أنّ الفتيات اللواتي كان يلهو معهنّ كنّ في السادسة عشرة من العمر. سمعت، في ما بعد، أنّ إحداهنّ... ولكنّنا كنّا قد انفصلنا في ذلك الوقت. لم تكن المشكلة مشكلتي»، فدوّن سترايك المعلومة.

قالت دون بغموض: «ولن أثق به إن كان الأمر يتعلق باليهود. فهو لا يحبّهم. إسرائيل هي أصل كلّ شرّ، بحسب جيمي. الصهيونية: سئمت من

سماع تلك الكلمة». وقالت بطريقة مبهمة: «كما لو أنّهم لم يتعذّبوا بما فيه الكفاية. مديره في زينيت يهودي، كان أحدهما يكره الآخر».

– ما اسمُه؟

– ما اسمه؟ سحبت دون نفسًا عميقًا من سيجارتها، وهي عابسة. بول... لوبشتاين، أجل. بول لوبشتاين. ربّما ما زال يعمل عند زينيت.

– أما زلت على اتّصال بجيمي، أو بأيّ من أفراد عائلته؟

– يا للهول! لا! تخلّصت منه. الفرد الوحيد من عائلته الذي قابلته هو بيلي الصغير، أخوه.

حنّ صوتها قليلًا وهي تذكر اسمه.

– كان مريضًا. أقام معنا فترة وجيزة. كان لطيفًا، حقًّا، لكنّه لم يكن على ما يرام. عزا جيمي ذلك لأبيهما. رجل عنيف سكّير. ربّاهما وحده وكان يضربهما، حسب ما أخبراني، بالحزام أو بسواه. هرب جيمي إلى لندن، وبقي بيلي الصغير المسكين وحده مع أبيه. لا عجب أن انتهى به الأمر على هذا الشكل.

– ماذا تقصدين؟

– كانت لديه عرّة، ألا تُسمّى هكذا؟

ثمّ قلّدت النقر الذي شاهده سترايك في مكتبه من الأنف إلى الصدر بدقة متناهية.

– وصفوا له العقاقير للعلاج، أعرف ذلك. ثمّ غادرَنا، فذهب ليتشارك شقة مع بعض الشبّان لفترة وجيزة. ولم أره إطلاقًا بعد أن انفصلنا أنا وجيمي. كان فتى لطيفًا، ولكنّه كان يُغضب جيمي.

فسألها سترايك:

– كيف؟

– لم يرق جيمي أن يتحدّث عن طفولتهما. لا أعرف، أعتقد أنّه شعر بالذنب لأنّه ترك بيلي في البيت وحده. كانت تلك المسألة غريبة وغامضة...

بدا واضحا لسترايك أنّها لم تفكّر في هذه الأمور منذ سنوات. وسأل:

– غريبة؟

– لمرّة أو مرّتين وبعد احتساء بعض الكحول، كان جيمي يقول إنّ والده سيحترق في النار بسبب الطريقة التي كان يكسب بها عيشه.

– اعتقدت أنّه رجل يقوم بأعمال صغيرة بسيطة؟

– قيل لي إنّه كان نجّارًا، يعمل لدى عائلة ذلك السياسي، ما اسمه؟ الرجل ذو الشَّعر.

ثمّ أومأت وكأنّ خصلًا خشنة تخرج من رأسها.

فاقترح سترايك:

– جاسبر تشيزيل؟ وهو يلفظ الاسم تهجئة.

– أجل، هو! كان السيّد نايت يسكن مجّانًا في بيت صغير في أرض العائلة. ونشأ الصغيران هناك.

ردّد سترايك:

– قال جيمي إنّ والده سيذهب إلى جهنّم بسبب عمله؟

قالت بدون بانفعال:

– أجل. على الأرجح فقط لأنّه كان يعمل لدى المحافظين من جماعة حزب التوري. كلّ شيء مردّه سياسي مع جيمي. لست أفهم، على المرء أن يكسب رزقه! تخيّل أن أسأل زبوناتي من ينتخبن قبل أن...

وشهقت فجأة: «يا للهول!» وأطفأت سيجارتها وقفزت على قدميها، «من الأفضل أن تكون سيان قد انتزعت لفائف التجعيد عن رأس السيّدة هوريدج وإلّا فقد أصبحت صلعاء!».

17

أرى أنّه لا يمكن إصلاحه إطلاقًا.

هنريك إبسن، روسميرشولم

أمضت روبن معظم فترة ما بعد الظهر في التسكّع حول الممرّ الهادئ الذي يقع فيه مكتب وين، مترقّبةً فرصة لزرع جهاز التنصّت هناك، لكنّ جهودها باءت بالفشل. فقد بقي أمير في الداخل، على الرغم من أنّ وين كان قد غادر لحضور اجتماع وقت الغداء. ذرعت الممرّ ذهابًا وإيابًا كذا مرّة حاملة صندوق الملفّات بين ذراعيها، بانتظار اللحظة التي قد يذهب فيها أمير إلى الحمّام، وعادت إلى مكتب إيزي كلّما حاول أيّ من المارّة التحدّث معها.

أخيرًا، في الساعة الرابعة وعشر دقائق، ابتسم لها الحظّ. ظهر غيرينت وين عند زاوية الممرّ، ثملًا بعد غداء طويل، وخلافًا لزوجته، بدا مسرورًا لمقابلتها وهي تنطلق نحوه.

قال بصوت مرتفع: «ها هي ذي! أريد أن أكلّمك! ادخلي إلى هنا، ادخلي!».

فتح باب مكتبه. وتبعته روبن محتارة، لكنّها كانت تتوق إلى رؤية الغرفة التي تأمل أن تضع جهاز التنصّت فيها من الداخل.

جلس أمير مرتديًا قميصًا ذا كمّين قصيرين إلى مكتبه الذي شكّل واحة صغيرة من النظام في الفوضى العامّة السائدة. وُضعت أكوام من المجلّدات

هنا وهناك على مكتب وين. ولاحظت روبن الشعار البرتقالي لـ«ليفيل بلايينغ فيلد» على كومة من الرسائل أمامه. كان في أسفل مكتب غيرينت مباشرة مقبس كهربائي هو الموقع المثالي ليُشبك فيه جهاز التنصّت.

سأل غيرينت بمرح: «هل تعرّف أحدكما إلى الآخر؟ فينيسيا، أمير».

جلس ودعا روبن للجلوس على الكرسيّ الذي احتوى كومة مبعثرة من حافظات البطاقات.

سأل وين أمير، وهو يتصارع مع سترته. «هل عاود ريدغريف الاتّصال؟».

وسأل هذا الأخير: «من؟»

قال وين: «السير ستيف ريدغريف!» وهو يقوم بحركة تململ وتشكّي دائرية بعينيه في اتّجاه روبن شعرت معها بالحرج مكان أمير، خاصّة أنّه تمتم «لا» ببرودة.

قال وين لروبن: «ليفل بلاينغ فيلد».

تمكّن من نزع سترته. وبحركة مسرحية، ألقى بها على ظهر كرسيّه، فانزلقت على الأرض، لكنّه تظاهر بأنّه لم يلاحظ ذلك، ثم نقر فوق الشعار البرتقالي على الرسالة العلوية أمامه. «إنّها...» تجشّأ. أرجو المعذرة، «... مؤسّستنا الخيرية. الرياضيون المحرومون والمعوّقون، كما تعلمين. لدينا الكثير من المؤيّدين البارزين. كان السير ستيف حريصًا على...» تجشّأ مرّة أخرى «عفوًا... المساعدة. في الواقع... كنت أرغب في الاعتذار، عن زوجتي المسكينة».

بدا أنّه يستمتع بنفسه كثيرًا. رأت روبن من زاوية عينها أمير يرمق غيرينت بنظرة حادّة، كمخلب يخرج ثمّ يتراجع بسرعة.

وقالت: «لم أفهم ما جرى».

«تختلط الأسماء عليها. غالبًا ما يحصل ذلك. لولا مراقبتي لها لواجهنا أنواعًا كثيرة من المشاكل، رسائل تذهب إلى غير أولئك المرسلة إليهم... لقد خالتْكِ شخصًا آخر. اتّصلت بي على الهاتف أثناء الغداء، وأصرّت على أنّكِ شخص صادفته ابنتنا منذ سنوات. فيريتي بولهام. إحدى إبنات عرّابك

الروحيات الأخريات. أخبرتها على الفور أنك لست هي، قلت إنّني سأبلغك باعتذارها. يا لها من غبيّة! تكون عنيدة جدًا عندما تظنّ أنّها محقة، لكنّي...» وقام مجدّدًا بحركة دائرية بعينيه ونقر على جبهته، كما قد يفعل الزوج الذي طالت معاناته مع زوجة مثيرة للغضب، «تمكّنت من إقناعها في النهاية».

قالت روبن بحذر: «حسنًا، يسعدني أنّها علمت أنّها كانت مخطئة، لأنّه بدا لي أنّها لا تحبّ فيريتي كثيرًا».

قال وين فيما لا يزال مبتهجًا: «في الحقيقة، كانت فيريتي سافلة صغيرة». ولاحظت روبن بيقين أنّه استمتع باستخدام الكلمة. «كانت تسيء معاملة ابنتنا، أتفهمين؟».

صاحت بصوتٍ خرج من تحت ضلوعها: «يا للهول!» وقد تذكّرت أنّ ريانون وين انتحرت. «أنا آسفة. كم هذا مروّع».

قال وين وهو جالس ويميل بكرسيّه إلى الحائط ويداه خلف رأسه: «أتعلمين؟ تبدين فتاة ألطف من أن تكوني على ارتباط بعائلة تشيزيل». كان من الواضح أنّه في حالة سكر طفيف، إذ استطاعت روبن أن تشمّ رائحة باهتة من النبيذ في أنفاسه. رمقه أمير بنظرة أخرى من تلك النظرات الحادّة والقاسية.

– ماذا كنت تفعلين قبل أن تأتي إلى هنا، يا فينيسيا؟

قالت روبن:

– العلاقات العامّة، لكنّي أودّ أن أقوم بعمل أكثر قيمة، السياسة، أو ربّما الأعمال الخيرية. وأضافت بصدق: كنت أقرأ عن «ليفيل بلاينغ فيلد». إنّها تبدو رائعة. تساعدون كثيرًا المحاربين القدامى أيضًا، أليس كذلك؟ شاهدت مقابلة مع تيري بيرن أمس. الدرّاج البارالمبي؟

لفتت انتباهها حقيقة أنّ بيرن كانت قد بُترت ساقه من تحت ركبته مثل سترايك.

قال وين:

– لديك اهتمام شخصي بالمحاربين القدامى، بالطبع.

قفزت معدة روبن ونزلت مجدّدًا.

– عفوًا؟

أصرّ وين:

– فريدي تشيزيل؟

قالت روبن:

– أجل، بالطبع. على الرغم من أنّني لم أعرف فريدي جيّدًا. كان أكبر سنًّا منّي بقليل. بالطبع كان... مقتله مروّعًا.

قال وين:

– نعم، مروّع. على الرغم من أنّه بدا غير مبالٍ. عارضت ديلا حرب العراق بشدّة. عارضتها بشدّة كبيرة. لكنّ عمّك جاسبر كان يحبّذها.

للحظة، خيّم في الجوّ إيحاء وين غير المعلن بأنّ تشيزيل نال ما يستحقه بسبب حماسته للحرب.

فقالت روبن بحذر:

– في الحقيقة، لا أعرف شيئًا عن ذلك. أعتقد أنّ العم جاسبر حبّذ العمل العسكري مستندًا إلى الأدلّة التي كانت متوفرة لنا في ذلك الوقت. وأكملت بشجاعة: على أي حال، لا يمكن أحدًا أن يتّهمه بالعمل بدافع المصلحة الذاتية، هل يمكنهم ذلك، بعدما اضطرّ ابنه للذهاب إلى القتال؟

ردّ وين:

– إن كنت تعرضين الأمور من هذا المنظار، فمن يستطيع أن يجادلك؟

رفع يديه في استسلام وهمي، وانزلق كرسيّه قليلًا على الحائط وجهد لبضع ثوانٍ ليحافظ على توازنه، ثم أمسك بالمكتب وسحب نفسه واضعًا الكرسيّ في وضع مستقيم مجدّدًا.بالكاد تمكّنت روبن من كتمان ضحكة.

قال أمير: «غيرينت، يجب أن توقّع هذه الرسائل إذا أردنا أن نرسلها بالبريد قبل الساعة الخامسة».

ردّ عليه وين، وهو يتفقد ساعته: «ما زالت الساعة الرابعة والنصف. أجل، كانت ريانون في فريق المبارزة البريطاني للناشئين».

قالت روبن: «يا له من أمر رائع».

«كانت رياضية، مثل والدتها. تبارزت في فريق ويلز للصغار وهي في الرابعة عشرة من عمرها. كنت آخذها إلى كافة أنحاء البلاد حيث كانت

تقام المباريات. أمضينا ساعات على الطريق معًا! ودخلت فريق الناشئين البريطانيين في سنّ السادسة عشرة.

وأضاف وين، ببريق من الاستياء القلطي في عينيه: «لكنّ البريطانيين عاملوها ببرودة. فهي لم ترتَدْ إحدى مدارسهم العامّة الكبيرة، أتفهمين؟ في وسطهم، المسألة مسألة علاقات. فيريتي بولهام كانت تفتقر إلى المهارة. في الواقع، فقط عندما كسرت فيريتي كعبها، انضمّت ريانون، التي كانت مبارزة أكثر مهارة بكثير، إلى الفريق البريطاني».

قالت روبن، وهي تحاول الموازنة بين التعاطف والولاء المزيّف لآل تشيزيل: «فهمت». ليس هذا بالتأكيد سبب ضغينة وين تجاه الأسرة. إلّا أنّ نبرة غيرينت المتعصّبة كانت تعبّر عن استياء قديم. «في الحقيقة، يجب أن تقيّم هذه الأمور وفقًا للقدرة بالطبع».

قال وين: «هذا صحيح. هذا ما يجب أن يحصل. انظري...» تخبّط بحثًا عن محفظته، وسحب منها صورة قديمة.

مدّت روبن يدها، لكنّ غيرينت تمسّك بالصورة بثبات، ونهض بطريقة خرقاء، وتعثّر بكومة من الكتب ملقاة بجانب كرسيّه، ودار حول المكتب، واقترب جدًا من روبن لدرجة أنّها شعرت بأنفاسه على رقبتها، وأظهر لها صورة ابنته. ارتدت ريانون وين في الصورة زيّ المبارزة، ووقفت مبتهجة تحمل الميدالية الذهبية حول رقبتها. كانت شاحبة وصغيرة الملامح، ولم تتبيّن روبن في وجهها سوى القليل جدًا من الشبه لأيّ من والديها، على الرغم من أنّها ربّما ورثت، ولو قليلًا، سمة الجبين الواسع الذكيّ الذي تتمتّع به ديلا. مع تنفّس غيرينت بصوت عالٍ في أذنها، حاولت منع نفسها من الانحناء للابتعاد منه، وتخيّلت فجأة غيرينت وهو يخطو بابتسامته العريضة الخالية من الشفتين عبر قاعة كبيرة مليئة بالفتيات المراهقات المتعرّقات. هل كان من المخجل أن تتساءل عمّا إن كان التفاني الأبوي هو الذي دفعه إلى توصيل ابنته في السيّارة إلى جميع أنحاء البلاد حيث أقيمت المباريات؟

سأل غيرينت: «ما هذا الجرح هنا، ها؟» فيما توغّل نفسه الساخن في أذنها. انحنى نحوها، ولمس ندبة السكين الأرجوانية على ساعدها العاري.

لم تستطع روبن الامتناع عن سحب ذراعها بعيدًا منه. لم تلتئم الأعصاب حول الندبة بالكامل بعد، وهي لا تتحمّل أن يلمسها أحد.

قالت: «ارتطمت بباب زجاجي عندما كنت في التاسعة من عمري».

تبخّر الجوّ المشجّع على الإفضاء بالأسرار مثل دخان السجائر.

على هامش مداها البصري، رأت أمير يحوم ثم يقف جامدًا وصامتًا أمام مكتب، بينما أصبحت ابتسامة غيرينت قسرية.

عملت روبن وقتًا طويلًا في المكاتب حتى تدرك أنّ ميزان السلطة الدقيق مال في غير مصلحتها للتوّ داخل الغرفة. فهي تقف الآن أمام افتقار غيرينت إلى اللياقة بسبب سكره. بدا لها مستاءً وقلقًا بعض الشيء. وتمنّت لو أنّها لم تبتعد عنه. قالت بلهفة: «أتساءل، يا سيّد وين، أتمانع إعطائي بعض النصائح بشأن عالم الأعمال الخيرية؟ أعجز عن حسم أمري، بين السياسة والأعمال الخيرية، ولا أعرف أيّ شخص آخر غيرك عمل في المجالين».

قال غيرينت، وهو يرمش خلف نظارته السميكة: «حسنًا... نعم، بإمكاني أن أفعل ذلك...».

قال أمير مرّة أخرى: «غيرينت، علينا فعلًا أن نرسل هذه الرسائل». فردّ غيرينت بصوت عالٍ: «نعم، حسنًا، حسنًا». وقال لروبن بغمزة: «سنتحدّث لاحقًا». فأجابته بابتسامة: «رائع!».

ألقت روبن فيما كانت تخرج من المكتب، بابتسامة صغيرة على أمير، لكنّ هذا الأخير لم يرفّ له جفن حيالها.

18

إذًا، وصلت الأمور إلى هذا الحدّ، من الآن!

هنريك إبسن، روسميرشولم

بعد ما يقارب تسع ساعات خلف عجلة القيادة، شعر سترايك بتشنّج وألم في رقبته وظهره وساقيه، كما أنّ حقيبة مؤنه كانت قد فرغت من فترة طويلة. كانت أول نجمة قد لمعت في زرقة السماء الباهتة عندما رنّ جوّاله. اعتادت أخته لوسي أن تتّصل به في مثل هذا الوقت بغية «الدردشة»؛ أمّا هو فكان قد تجاهل ثلاث مكالمات من أصل أربع، لأنّه بقدر ما يحبّها يجد نفسه عاجزًا عن حشد الاهتمام بتعليم أبنائها أو مشاجرات لجنة الأهالي أو تعقيدات مهنة زوجها مسّاح ورش البناء. لكنّه عندما رأى أنّ المتّصل هو باركلي، توجّه إلى بقعة تكسوها الأجمات إلى جانب الطريق، تقود إلى حقل، وأطفأ المحرّك وردّ على الاتّصال.

قال باركلي باقتضاب:

– اخترقت مجموعة جيمي.

فسأله سترايك بإعجاب كبير:

– بهذه السرعة؟ كيف؟

– في الحانة. قاطعته. كان يتفوّه بالحماقات متحدّثًا عن استقلال اسكتلندا. الأمر الرائع عند اليساريين البريطانيين هو أنّهم يحبّون سماع

القذارات عن إنكلترا. لم أضطرّ إلى شراء نصف ليتر من الجعة طوال فترة ما بعد الظهر.

– اللعنة يا باركلي، أحسنت! قال وهو يشعل سيجارة أخرى بعد السجائر العشرين التي كان قد دخّنها في ذلك اليوم،

– ليست هذه سوى البداية. ليتك سمعتهم عندما أخبرتهم عن الجيش وأساليبه الإمبريالية. اللعنة كم هم سذّج. سأحضر اجتماعًا لمجلس معارضة الألعاب الأولمبية غدًا.

– كيف يكسب نايت لقمة عيشه؟ هل علمت؟

– أخبرني أنّه صحافي يكتب على موقعين يساريين ويبيع قمصان مجلس معارضة الألعاب الأولمبية وبعض المخدّرات. لكنّ مخدّراته من النوع السيّئ. عدنا إلى منزله بعد الحانة. صدّقني، أفضّل تدخين مكعّبات المرق اللعينة على تدخينها. وعدته بأن أحضر له بعضًا من نوعية أفضل. يمكننا وضع ذلك في خانة نفقات المكتب، أليس كذلك؟

– سأضعها في خانة «الفاكهة المجفّفة». حسنًا، أبقني على اطّلاع.

أقفل باركلي الخطّ. وقرّر سترايك اغتنام الفرصة لتمديد ساقيه، فخرج من السيّارة، وهو لا يزال يدخّن، واتّكأ على بوابة ذات أعمدة خمسة تواجه حقلًا واسعًا ومظلمًا، واتّصل بروبن.

كذبت روبن قائلة: «إنّها فانيسا»، عندما ظهر رقم سترايك على شاشة هاتفها. كانت هي وماثيو قد أكلا للتوّ وجبة جاهزة على الأريكة أثناء مشاهدة الأخبار. وصل ماثيو إلى المنزل متأخّرًا وكان متعبًا. ولم تكن روبن ترغب في شجار جديد.

التقطت جوّالها وخرجت إلى الفناء الذي خصّصته للمدخّنين خلال الحفل، وأجابت بعدما تأكّدت من أنّ الأبواب مغلقة تمامًا.

– مرحبًا. هل كلّ شيء على ما يُرام؟

– كلّ شيء بخير. هل نستطيع التحدّث لبعض الوقت؟

قالت روبن، وهي متّكئة على جدار الحديقة، تشاهد فراشة تطرق بلا جدوى على الزجاج اللامع، محاولة دخول المنزل:

– نعم. كيف سارت الأمور مع دون كلانسي؟

فردّ سترايك:

– لم أجد شيئًا يمكن أن نستعمله. ظننت أنّني أمسكت بطرف خيط يتمثّل بمدير سابق يهودي أراد جيمي أن يثأر منه، لكنّني اتّصلت بالشركة وعلمت أنّ المسكين تُوفّي بجلطة في سبتمبر الماضي. ثمّ تلقيت مكالمة من تشيزيل بعد أن تركتها مباشرة. أخبرني أنّ صحيفة الصن تحاول أن تستشمّ خبرًا عنه.

– نعم. اتّصلوا بزوجته.

قال سترايك ما اعتبرته روبن تصريح مكبوح:

– كنّا بغنًى عن ذلك... أتساءل من الذي سرّب للصحيفة؟

– أراهن على أنّه وين، أتذكّر الطريقة التي تحدّث بها غيرينت بعد ظهر ذلك اليوم، وإسقاطه للأسماء، واعتداده بنفسه. فهو من النوع الذي قد يلمّح للصحافي بأنّ هناك قصّة عن تشيزيل، حتى لو لم يحصل على ما يثبت ذلك حتى الآن.

ثم سألت مجدّدًا بدون أمل حقيقي في الحصول على إجابة:

– جدّيًا، ماذا فعل تشيزيل في اعتقادك؟

قال سترايك الذي بدا متعبًا:

– ليتنا نعرف، لكنّ هذا لا يهمّ حقًّا. نحن لا نتقاضى أجرنا من أجل الحصول على المعلومات عنه هو. بالحديث عن الموضوع...

أجابت روبن مستبقة السؤال:

– لم أتمكّن من زرع الجهاز بعد. بقيت في المكان حتى وقت متأخّر، لكنّ أمير أوصد الباب بعد أن غادر كلاهما.

تنهّد سترايك:

– حسنًا، لا تتهوّري وإلّا فسَد كلّ شيء، لقد أصبح الوضع خطر بعد تسرّب الموضوع للإعلام. علينا أن نستعجل. حاولي مجدّدًا. اذهبي إلى المكتب باكرًا أو شيئًا من هذا القبيل.

– سأفعل، سأحاول. وأضافت: حصل أمر غريب مع عائلة وين اليوم.

أخبرته عن الالتباس الذي وقعت فيه ديلا بينها وبين إحدى بنات تشيزيل الروحيات فعليًا، وقصّة ريانون في فريق المبارزة. لكنّ سترايك بدا قليل الاهتمام بالقصّة.

– أشك في أنّ هذا يفسّر رغبة عائلة وين في تنحّي تشيزيل عن منصبه. على أيّ حال...

«المقدرة قبل الدافع»، قاطعته روبن مستخدمةً عبارته الخاصّة التي كثيرًا ما يكرّرها.

– تمامًا. اسمعي، هل يمكنك مقابلتي بعد العمل غدًا، لنقوم بإحاطة كاملة للموضوع؟

– حسنًا.

– في المقابل، يقوم باركلي بعمل جيّد. لقد تقرّب من جيمي.

– آه... هذا جيّد.

بعدما أخبرها أنّه سيرسل لها اسم حانة مناسبة للقائهما في الغد، أقفل الخطّ تاركًا إيّاها وحيدة تتأمّل في ظلام الفناء الهادئ، بينما تألّقت النجوم فوق رأسها.

في المقابل، باركلي يقوم بعمل جيّد.

وكأنّه يقارن بينه وبين روبن التي لم يفضِ عملها سوى إلى معلومة واحدة وغير مهمة عن ريانون وين.

أمام إصرار الفراشة التي لا تزال ترفرف على الأبواب المنزلقة، يدفعها عزم شديد للوصول إلى الضوء، فكّرت روبن: «أيّتها الغبيّة. من الأفضل لك أن تبقي هنا».

ربّما عليها أن تشعر بالذنب بسبب السهولة التي كذبت بها بأنّ فانيسا هي من على الهاتف، غير أنّها شعرت بالسعادة لأنّها نجحت في الردّ على سترايك بدون أن تتحمّل العواقب. بينما جلست تراقب الفراشة وهي تواصل ضرب أجنحتها على الزجاج اللامع بيأس، تذكّرت ما قالته لها معالجتها خلال إحدى الجلسات عندما كانت تفكّر مليًا في وجوب تمييزها أين ينتهي ماثيو الحقيقي وأين تبدأ أوهامها بشأنه.

أجابت المعالجة آنذاك: «الناس يتغيّرون خلال عشر سنوات. لماذا تعتقدين أنّك أخطأت في تقييم شخصيّة ماثيو؟ ربّما تغيّر كلّ منكما بكلّ بساطة».

تصادف يوم الاثنين التالي الذكرى السنوية الأولى لزواجهما. اقترح ماثيو أن يقضيا عطلة نهاية الأسبوع المقبلة في فندق فاخر بالقرب من أكسفورد. والطريف في الأمر هو أنّ روبن كانت تتطلّع إلى تلك العطلة، لأنّه بدا لها أنّها وماثيو يتعايشان أفضل هذه الأيّام خلال السفر. فوجودهما بين الغرباء يدفع كلًّا منهما للحدّ من مضايقة الآخر. أخبرته من قبل قصّة تحوّل تمثال تيد هيث النصفي إلى اللون الأخضر، إلى جانب العديد من الأمور الأخرى التي تعتبرها هي مثيرة للاهتمام بشأن مجلس العموم. لكنّ أمارات الملل لم تفارق وجهه خلال سماعها جميعها. كان مصمّمًا على الإشارة إلى عدم موافقته على المشروع بكامله.

توصّلت روبن إلى قرار، وفتحت النافذة فرفرفت الفراشة بمرح إلى الداخل.

سألها ماثيو: «ماذا أرادت فانيسا؟» وبقيت عيناه على الأخبار بينما جلست روبن مجدّدًا. كانت زنابق سارة تشادلوك على الطاولة بجانبها لا تزال متفتحة بعد عشرة أيام من وصولها إلى المنزل، وروبن قادرة على شمّ رائحتها المنعشة حتى بوجود رائحة الكاري المنتشرة في الجوّ.

قالت روبن متظاهرة بالسخط:

– أخذتْ نظّارتها الشمسيّة عن طريق الخطأ في المرّة الأخيرة التي خرجنا فيها. وهي تريدها، لأنّها من ماركة شانيل. قلت لها إنّني سألتقي بها قبل العمل.

قال ماثيو بابتسامة وجدتها روبن متعالية:

– شانيل؟عرفت أنه يشعر أنّه اكتشف للتو نقطة ضعف عند فانيسا، أو ربّما أنّها راقته أكثر لأنّه رأى أنّها تقدّر ماركات المصمّمين الكبار إذ حرصت على أن تسترجع نظّارتها.

قالت:

– عليّ أن أخرج في السادسة.

فاعترض منزعجًا:

– في السادسة؟ بربّك، أنا منهك القوى، لا أريد أن أستيقظ عند...

– كنت سأقترح أن أنام في الغرفة الاحتياطية.

فردّ عليها مطمئنًا:

– آه... أجل، لا بأس. شكرًا.

19



لا أفعل ذلك عن طيب خاطر... لكن، في النهاية... عندما تدعو الحاجة...

هنريك إبسن، روسميرشولم

غادرت روبن المنزل الساعة السادسة والربع من صباح اليوم التالي. وبرّرت سماءٌ بلون وردي شاحب، وصباحٌ دافئ، عدم ارتدائها سترة. مضت عيناها نحو البجعة المنحوتة الوحيدة أثناء مرورها بالحانة، لكنّها أجبرت أفكارها على العودة إلى يومها الحالي لا إلى الرجل الذي تركته في المنزل.

عند وصولها إلى ممرّ إيزي بعد ساعة، رأت أنّ باب مكتب غيرينت كان مفتوحًا من قبل. وأظهرت لها نظرة خاطفة سريعة إلى الداخل غرفة فارغة، وسترة أمير معلقة على ظهر كرسيّه.

ركضت إلى مكتب إيزي وفتحته، واندفعت إلى مكتبها، وسحبت أحد أجهزة التنصّت من علبة التامباكس، وحصدت كومة من الأجندات القديمة كذريعة، ثمّ ركضت عائدة إلى الممرّ.

عندما اقتربت من مكتب غيرينت، نزعت سوارها الذهبي الذي وضعته لهذا الغرض، وألقته بخفة ليتدحرج إلى مكتبه.

قالت بصوت عالٍ: «اللعنة».

لم يردّ أحد من داخل المكتب. دقّت روبن على الباب المفتوح وقالت: «مرحبًا؟» ومدّت رأسها إلى الداخل. كانت الغرفة لا تزال فارغة.

اندفعت عبر الغرفة إلى مقبس الطاقة المزدوج الذي يعلو اللوح بجانب مكتب غيرينت. ركعت وأخرجت جهاز التنصّت من حقيبتها، وفصلت سلك المروحة الموجودة على مكتبه، ووضعت الجهاز في مكانه فوق المقبس المزدوج، وأعادت إدخال قابس المروحة، وتحققت من عمله، لاهثة كما لو أنّها ركضت للتوّ مئة ياردة، ثم بحثت حولها عن سوارها.

«ماذا تفعلين؟».

كان أمير يقف في المدخل مرتديًا قميصه، ويمسك بفنجان شاي أعدّه للتوّ.

قالت روبن: «لقد طرقت الباب. سقط سواري وتدحرج... أوه، ها هو».

كان قد استقرّ تحت كرسيّ حاسوب أمير. اندفعت روبن لتلمّه، وكذبت قائلة: «إنّه لأمّي. لن ترضى عنّي إذا فقدته».

وضعت السوار حول معصمها، والتقطت الأوراق التي تركتها على مكتب غيرينت، وابتسمت بشكل عرضي قدر استطاعتها، ثمّ خرجت من المكتب أمام أمير الذي رأت بطرف عينها أنّ عينيه ضاقتا ارتيابًا.

عادت إلى مكتب إيزي مهلّلة. سيكون لها نصيب من الأخبار السارّة التي تصل سترايك عندما يلتقيان في الحانة هذا المساء. لم يعد باركلي الشخص الوحيد الذي يقوم بعمل جيّد. كانت روبن مستغرقة في أفكارها إلى حدّ أنّها لم تدرك وجود شخص آخر في الغرفة حتى قال رجل خلفها: «من أنتِ؟».

واختفى الحاضر. قفز كلّ من مهاجميها عليها من الخلف. صرخت والتفتت إلى الوراء، مستعدّة للقتال دفاعًا عن حياتها: تطايرت الأوراق في الهواء وانزلقت حقيبة يدها عن كتفها، وسقطت على الأرض وانفتحت، وتناثرت محتوياتها في كلّ مكان.

قال الرجل: «أنا آسف! يا للهول! أنا آسف!».

لكنّ روبن كانت تجد صعوبة في التنفّس. دوّى رعد في أذنيها وتعرّق جسدها بكامله. انحنت لتلتقط ما تناثر من حقيبتها، مرتعشة لدرجة أنّها استمرّت في إسقاط الأغراض.

ليس الآن. ليس الآن.

كان يتحدّث معها، لكنّها لم تفهم كلمة واحدة. تفتّت العالم مرّة أخرى، وامتلأ بالرعب والخطر، وبدا لها الرجل ضبابيًا وهو يسلّمها قلم الكحل وزجاجة تقطّر سائلًا لترطيب عدساتها اللاصقة.

شهقت روبن عشوائيًا. «شكرًا. اعذرني. الحمّام».

مشت متعثّرة نحو الباب. ورأت شخصين يتّجهان نحوها في الممرّ، بدا صوتاهما مشوّشين وغير واضحين عندما ألقيا عليها التحيّة. بالكاد التفتت إلى طريقة ردّها وتخطّتهما مهرولة نحو حمّام السيدات.

ألقت امرأة من مكتب وزير الصحّة عليها التحيّة من أمام المغسلة المجاورة حيث وقفت تضع أحمر الشفاه. تجاوزتها بطريقة عمياء، وأغلقت باب المقصورة بأصابع متعثّرة.

تعلم روبن أنّها عبثًا ما تحاول قمع حالة الذعر: فقمعها لها يجعل الذعر يقاوم بشراسة أكبر، محاولًا أن يسيطر عليها. لذا يجب عليها أن تواكبه، وكأنّ الخوف حصان جافل، تقوده برفق إلى مسار يسهّل عليها التحكّم به. وقفت بلا حراك، وضغطت راحتَي يديها على جدارَين فاصلَين بين الحمامات، وتحدّثت إلى نفسها داخليًا كما لو كانت مروّض حيوانات، وكما لو كان جسدها، في رعبه غير العقلاني، مخلوقًا مسعورًا.

أنت في أمان، أنت في أمان، أنت في أمان...

بدأ الذعر ينحسر ببطء، على الرغم من أنّ قلبها كان لا يزال يدقّ بقوّة وبوتيرة متقطّعة. أخيرًا، رفعت يدَيها الخدرتَين عن الجدارَين وفتحت عينيها اللتين ما لبثتا أن طرفتا بسبب سطوع النور. كان الحمّام هادئًا.

أطلّت روبن خارج المقصورة. كانت المرأة قد غادرت. لم تر أحدًا باستثناء انعكاس صورتها الشاحبة في المرآة. بعد أن رشّت الماء البارد على

وجهها وربّتته بالمناشف الورقية لتجفيفه، أعادت تعديل نظّارتها ذات العدسات الشفافة وغادرت الحمّام.

بدا لها أن جدالًا ما يجري في المكتب الذي غادرته للتوّ. تنفّست نفسًا عميقًا، ودخلت الغرفة مجدّدًا.

التفت جاسبر تشيزيل ليحدّق في وجهها، وكتلة شعره الرمادي المجعد تحيط بوجهه الوردي. كانت إيزي تقف خلف مكتبها. والرجل الغريب لا يزال هناك. في حالتها المضطربة، كانت روبن تفضّل ألّا تكون محور ثلاثة أزواج من العيون الفضولية.

سأل تشيزيل روبن:

– ماذا حدث للتوّ؟

قالت روبن وهي تشعر بالعرق البارد يرشح من جديد تحت فستانها:

– لا شيء.

– هربت من الغرفة. هل فعل لك... أشار تشيزيل إلى الرجل الأسمر... شيئًا؟ هل حاول مغازلتك؟

– ماذا...؟ لا! لم أدرك أنّه كان هنا، هذا كلّ شيء، تكلّم وقفزت. و...

شعرت بأنّها تحمرّ خجلًا أكثر من أيّ وقت مضى.

– ثمّ أحسست أنّني بحاجة لدخول الحمّام.

دار تشيزيل نحو الرجل الأسمر:

– لماذا أتيت باكرًا لهذه الدرجة؟

أدركت روبن أخيرًا أنّه رافاييل. عرفت من الصور التي وجدتها على الإنترنت أنّ هذا المظهر نصف الإيطالي كان غريبًا في عائلة إنكليزية جدًا في المظهر، أي إنّ جميع أفرادها شقر، لكنّها لم تكن مستعدّة تمامًا لمدى وسامته في الواقع. كان يرتدي بذلة ذات لون رمادي فحمي وقميصًا أبيض وربطة عنق تقليدية ذات نقاط باللون الأزرق الأدكن أضفت عليه أناقة لا يستطيع أيّ من الرجال الآخرين الموجودين على طول الممرّ مضاهاتها. كانت بشرته سمراء لدرجة أنّه بدا قاتم اللون، عظمتا وجنتيه مرتفعتان، وعيناه إلى

حدّ السواد تقريبًا، أمّا شعره فداكن طويل وناعم، وفمه عريض بشفةٍ علويةٍ ممتلئة على عكس والده، ما أضفى بعض السماحة على وجهه.

قال وهو يرفع ذراعيه ويتركهما تسقطان في لفتة يأس:

– خلتك تحبّ الالتزام بالمواعيد، يا أبي.

التفت والده إلى إيزي:

– أعطيه عملًا يقوم به.

خرج تشيزيل. توجّهت روبن إلى مكتبها وهي تشعر بالانزعاج. لم يتحدّث أحد حتى تلاشت خطى تشيزيل في البعيد، ثمّ قالت إيزي:

– إنّه تحت كلّ أنواع الضغوط الآن، راف، عزيزي. ليس الذنب ذنبك. إنّه بصراحة يفقد صوابه بشأن أصغر الأمور.

أجبرت روبن نفسها على أن تقول لرافاييل:

– أنا آسفة جدًا. بالغت في ردّ فعلي.

فأجاب:

– لا بأس، بلهجة توصف عادة بأنّها متعالية. لمعلوماتك، لست مهووسًا جنسيًا، في الواقع.

ضحكت روبن بعصبية.

– أنت الإبنة الروحية التي لم أكن أعرف بوجودها؟ لا أحد يخبرني بأيّ شيء. أنت فينيسيا، أليس كذلك؟ أنا راف.

– ... نعم... مرحبًا.

تصافحا واستعادت روبن مقعدها، وشغلت نفسها ببعض الأوراق التي جمعتها كيفما اتفق. وكان بإمكانها أن تشعر بأنّ لونها يتقلب. قالت إيزي: «الوضع جنوني في الوقت الحالي»، وعرفت روبن أنّها كانت تحاول، لأسباب لا تخلو من الأنانية، إقناع رافاييل بأنّ العمل مع والدهما لم يكن سيّئًا كما قد يبدو له. «نعاني نقصًا في الموظفين، ودورة الألعاب الأولمبية على الأبواب، وب. ث. دائمة الانقضاض على أبي».

سأل رافاييل وهو يجلس في كرسيّه المترهّل ويفك ربطة عنقه ويشبك ساقيه الطويلتين: «ما الذي ينقضّ عليه؟».

كررت إيزي: «ب.ث. انحنِ وضع الغلّاية بما أنّك هناك، راف، أتوق إلى فنجان قهوة. ب.ث. إنّها البائسة الثانية. هكذا نسمّي كينفارا، أنا وفيزي».

شرحت الأسماء المستعارة العديدة التي يعتمدها أعضاء عائلة تشيزيل لروبن خلال فترات وجودها المتقطّع في المكتب مع إيزي. كان اسم شقيقة إيزي الكبرى المستعار، صوفيا، «فيزي»، بينما يبتهج أولاد صوفيا الثلاثة بأسماء «برينغل» و«فلوبسي» و«بونغ».

سأل راف: «لماذا البائسة الثانية؟» وهو يفتح ظرفًا من القهوة السريعة التحضير بأصابع طويلة. كانت روبن لا تزال تتابع جميع تحرّكاته، على الرغم من أنّ عينيها كانتا موجّهتين إلى عملها المزعوم. «من كانت البائسة الأولى؟».

قالت إيزي: «هيّا يا راف، لا بدّ أنّك سمعت عنها. تلك الممرّضة الأسترالية الرهيبة التي تزوّجها جدّنا عندما بدأ يخرف. صرف معظم ثروته عليها. كان ثاني عجوز ثريّ وغريب الأطوار تتزوّجه. اشترى لها حصان سباق فاشلًا والكثير من المجوهرات البشعة. كاد أبي يقاضيها كي تغادر المنزل بعدما مات جدّنا. تُوفّيت من سرطان الثدي قبل أن تصبح الحال مكلفة جدًا، والحمد لله».

ذهلت روبن من هذه القسوة المفاجئة ورفعت رأسها.

سأل راف: «كيف تحبّين القهوة يا فينيسيا؟» بينما كان يسكبها في الأكواب.

قالت روبن: «مع الحليب وبدون سكّر من فضلك». فضّلت أن تظلّ جالسةً مكانها، وبعيدة عن الأنظار لفترة من الوقت، بعد اقتحامها الأخير لمكتب وين.

وأكملت إيزي: «تزوّجت البائسة الثانية والدنا من أجل ماله، وهي مهووسة بالخيول مثل البائسة الأولى. أتعلم أنّها باتت تملك تسعة الآن؟ تسعة!».

سأل رافاييل: «تسعة ماذا؟».

أجابت إيزي وقد نفد صبرها: «تسعة خيول يا راف! خيول لعينة لا يمكن السيطرة عليها، سيّئة السلوك، وحارّة الدم، تربّيها وتحتفظ بها كبديل

للأطفال وتنفق كلّ الأموال عليها!» وأكملت: «يا ليت أبي ينفصل عنها. مرّر علبة البسكويت، يا عزيزي».

ففعل. استمرّت روبن، التي شعرت به وهو ينظر إليها، بالادّعاء أنّها منغمسة بعملها.

رنّ الهاتف.

ردّت إيزي: «مكتب جاسبر تشيزيل»، وهي تحاول نزع غطاء علبة البسكويت بيد واحدة وقد وضعت السمّاعة تحت ذقنها. قالت ببرودة مفاجئة: «إيه، مرحبًا كينفارا. فاتك أبي للتوّ...».

ابتسم رافاييل ابتسامة عريضة على تعبير أخته، وأخذ علبة البسكويت منها، وفتحها وقدّمها لروبن التي هزّت رأسها. كان سيل من الكلمات التي لا يمكن تمييزها يتدفّق من سمّاعة أذن إيزي.

«لا... لا، لقد رحل... جاء فقط ليلقي التحيّة على راف...» بدا الصوت في نهاية الهاتف أكثر حدّة. قال إيزيت: «عاد إلى وزارة الاتصالات الرقمية والثقافة والإعلام والرياضة، فلديه اجتماع في الساعة العاشرة. لا أستطيع... لأنّه مشغول جدًا، كما تعلمين، الألعاب... نعم... مع السلامة» وضعت إيزي السمّاعة بقوّة وواجهت صعوبة في خلع سترتها. «يجب أن تخضع لجولة جديدة من العلاج بالراحة. يبدو أن الأخير لم يفدها كثيرًا».

قال رافاييل لروبن: «إيزي لا تؤمن بالأمراض العقلية»، واستمرّ في مراقبتها بفضول طفيف. أنّه يحاول إخراجها عن صمتها.

قالت إيزي: «بالطبع أؤمن بالأمراض العقلية يا راف!» وبدت متضايقة من الملاحظة. «بالطبع أؤمن بها! شعرت بالأسف من أجلها عندما حدث ذلك، حقًا، يا راف». وتابعت شرحها: «ولدت كينفارا طفلًا ميتًا قبل عامين، وهذا أمر محزن بالطبع! بالطبع إنّه كذلك، وكان من الطبيعي أن تضطرب قليلًا حالتها بعد ذلك». ثم وجهت كلامها لرافاييل: «لكن لا، أنا آسفة، هي تستخدم الأمر حجّة. هذا ما تفعله يا راف. تعتقد أنّ هذا يمنحها الحق في نيل كلّ ما تريده... في الواقع، كانت ستصبح أمًّا مروّعة، على أيّ حال. لا يمكنها تحمّل عدم كونها مركز الاهتمام. عندما لا تحصل على ما يكفي منه تبدأ بالتمثيل (لا

تتركني وحدي يا جاسبر، أشعر بالخوف عندما لا تكون هنا في الليل). وتتفوّه بالأكاذيب الغبيّة... مكالمات هاتفية غريبة في المنزل، ورجال يختبئون وراء أحواض الزهور، ويعبثون بالخيول».

«ماذا؟» سأل رافاييل نصف ضاحك، لكن إيزي قاطعته. «يا للهول! انظر! أبي ترك أوراقه هنا».

خرجت مسرعة من خلف مكتبها، وانتزعت مجلّدًا جلديًا، ونادت من خلف كتفها: «راف، يمكنك الاستماع إلى الرسائل الهاتفية وتدوينها من أجلي أثناء غيابي، أليس كذلك؟».

انغلق الباب الخشبي الثقيل خلفها، وبقيت روبن وحدها مع رافاييل. وإن كانت روبن مدركة لوجود رافاييل قبل رحيل إيزي، فقد بدا لها الآن أنّه يملأ الغرفة بكاملها، وعيناه الزيتونيتان الدكناوان لا تفارقانها.

تعاطى مخدّر الإكستازي وصدم بسيّارته والدة طفل يبلغ من العمر أربع سنوات. بالكاد قضى ثلث عقوبته والآن وضعه والده في وظيفة يدفع راتبها المكلّفون.

سأل رافاييل: «إذًا، كيف أفعل هذا؟» متوجّهًا خلف مكتب إيزي.

تمتمت روبن: «أفترض أنّ عليك أن تضغط فقط على زرّ التشغيل» وهي تحتسي قهوتها متظاهرةً بتدوين الملاحظات على دفترها.

بدأت الرسائل المسجّلة بالصدور من جهاز الردّ الآلي، موازيةً طنينَ المحادثة الباهت الصاعد من الشرفة خلف النافذة ذات الستائر الشبكية.

طلب رجل يُدعى روبرت من إيزي معاودة الاتّصال به بخصوص «الجمعية العمومية السنوية».

تحدّثت إحدى الناخبات، وتُدعى السيدة ريكيتس لمدّة دقيقتين عن حركة المرور على طول طريق بانبري.

قالت امرأة غاضبة جدًا إنّه كان عليها أن تتوقع جهازًا لتسجيل الرسائل، وإنّ أعضاء مجلس الشعب يجب أن يجيبوا على المواطنين شخصيًا، ثمّ تحدّثت عن تخلّف جارها عن قطع الأغصان المتدلّية من الشجرة، على

الرغم من طلبات المجلس المتكرِّرة، وظلّت تتحدّث إلى أن انتهت المدة المحددة للرسالة على المجيب الآليّ.

ثمّ ملأ هدير رجل، شبيه بتهديد مسرحي تقريبًا، المكتب الهادئ:

«يقولون إنّهم يتبولون على أنفسهم عندما يموتون، يا تشيزيل، هل هذا صحيح؟ أربعون ألفًا، أو سأرى كم ستدفع لي الصحف».

20

سرنا قدمًا نحن الاثنان بقلب واحد وروحٍ واحدة.

هنريك إبسن، روسميرشولم.

اختار سترايك حانة «تو تشيرمان» ليلتقي فيها روبن مساءَ الأربعاء لأنّها على مقربةٍ من قصر وستمنستر. تختبئ هذه الحانة عند تقاطع شارعين خلفيين شهدا على قرون من الزمن – شارع أولد كوين وشارع كوكبيت ستيبس – وسط مجموعةٍ متنوعةٍ من المباني الغير مألوفة والهادئة التي تصطفّ وفق زوايا مائلةٍ في ما بينها. لم يدرك سترايك، إلّا عندما عرّج عابرًا الشارع ورأى اللافتة المعدنية المعلّقة فوق الباب الأمامي، أنّ «تو تشيرمان» (المديرين التنفيذيين بالإنكليزية) التي أُسميت الحانة على اسميهما ليسا، كما افترض، مديرين في مجلس إدارة شركة، بل سائسين متواضعين يحملان كرسيّ سيدان ثقيلًا. وعلى الرغم من تعب سترايك وألمه، بدت له الصورة مناسبةً، وإن كانت شاغلة كرسيّ السيدان في لافتة الحانة سيدة راقية ترتدي ثيابًا بيضاء وليست وزيرًا سمينًا خشن الشعر وحادّ المزاج. كان البار يعجّ بالموظّفين الراغبين في احتساء كأس بعد العمل، وخشي سترايك فجأةً ألا يحصل على مقعد في الداخل، وهو احتمال غير مرحّب به، لأنه كان يشكو من ألم وتشنّج في كل من ساقه وظهره ورقبته بعد الرحلة الطويلة التي قام بها بالأمس والساعات الطويلة التي قضاها اليوم في شارع هارلي وهو يراقب الطبيب المتحايل.

وما إن اشترى سترايك نصف لتر من جعة «لندن برايد» حتى خلت الطاولة بجوار النافذة، فدفعته الحاجة إلى أن يمسك بالمقعد العالي ذي الظهر المواجه للشارع قبل أن تتمكن أقرب مجموعة من الرجال والنساء المتأنقين من ضمه إلى طاولتها. قرّر أن يحتلّ طاولةً لأربعة أشخاص وهو يتحدّى أيَّ شخص أن يطرده عنها فهو ضخمٌ بما يكفي ويبدو غاضبًا بما يكفي لجعل حتى هذه المجموعة من موظّفي الخدمة المدنية تشكّ في قدرتها على التفاوض معه على تسوية.

صنّف سترايك هذه الحانة ذات الأرضيّة الخشبية عقليًا على أنها «تتمتّع بجو ودود وراقٍ». وتُظهر لوحةٌ جداريةٌ باهتة على الجدار الخلفيّ رجالًا من القرن الثامن عشر وهم يتسامرون، وتزيّنت الجدران الأخرى بالألواح الخشبيّة والصور المطبوعة الأحادية اللون. نظر من النافذة ليرى ما إذا كانت روبن على مرمى بصره، ولأنّ ما من شيء يدلّ على وجودها، شرب جرعًة من جعته، وقرأ أخبار اليوم على هاتفه وحاول تجاهل القائمة الموضوعة على الطاولة أمامه، التي تغريه بصورة أقراص السمك المقلي.

ها قد حلّت الساعة السادسة والنصف ولم تصل روبن التي كان من المفترض أن تحضر قبل نصف ساعة. لم يعد سترايك قادرًا على مقاومة الصورة في القائمة، فطلب طبقًا من سمك القد ورقائق البطاطس ونصف ليترٍ ثانٍ من الجعة، وقرأ مقالةً طويلةً في صحيفة «التايمز» عن حفل افتتاح الألعاب الأولمبية المرتقب، وفيها قائمة طويلة للمشاكل التي قد تطرأ فتعطي صورة خاطئة عن الأمّة وتجلب لها الذل والعار.

بحلول الساعة السابعة إلا ربع، بدأ سترايك يقلق بشأن روبن. وما إن قرّر أن يتصل بها حتى دخلت مسرعة من الباب، متورّدةَ الوجنتين، مرتديةً نظارة يعلم سترايك أنّها لا تحتاجها. من تعابير وجهها، أدرك أنها بالكاد تنجح في إخفاء الإثارة التي يشعر بها شخص لديه أخبار مهمة يريد أن يخبرها.

قال وهي تأخذ مكانها قبالته: «عينان عسليتان... خيار جيد. أضفى تغييرًا على مظهرك بالكامل».

«كيف عرفت أنني...؟» ثم قالت مقررةً أنّ الأمرَ لا يستحقّ عناء التلاعب معه:

– في الحقيقة، أحمل لك الكثير من الأخبار. أوشكت على الاتصال بك في وقتٍ سابقٍ، لكنني كنت محاطةً بالناس طوال النهار، وكاد الجميع يعرف حقيقتي هذا الصباح عندما كنت أضع جهاز التنصت.

– إذًا، فعلتها؟ أحسنتِ!

– شكرًا. أحتاج فعلًا إلى كأس. انتظر.

عادت وفي يدها كأس من النبيذ الأحمر وأخذت على الفور تخبره بما جاء في الرسالة التي وجدها رفاييل على جهاز الرد الآلي على الهاتف ذلك الصباح.

– لم تُتح لي فرصة الحصول على رقم المتصل، فقد تلت الرسالة أربع رسائل صوتية أخرى.و نظام الهاتف لديهم قد عفا عليه الزمن.

عبس سترايك وسأل:

– كيف نطق المتصل اسم تشيزول، هل تتذكرين؟

– نطقه بشكل صحيح. تشيزول.

قال سترايك:

– هذا ما قد يفعله جيمي. وماذا حدث بعد المكالمة؟

– أخبرَ راف إيزي بالاتصال عندما عادت إلى المكتب. (واعتقد سترايك أنه لاحظ بعض ملامح الاضطراب على وجهها عندما لفظت اسم راف). من الواضح أنه لم يفهم معنى الرسالة التي مرّرها، اتصلت إيزي بوالدها على الفور فثار غضبه. فقد سمعناه يصرخ من الطرف الآخر من الخط، لكننا لم نتبيّن ما كان يقوله.

مسّد سترايك ذقنه مفكرًا.

– كيف بدا لك المتصل المجهول؟

– بدا مهددًا،ويتكلّم بلهجة لندنية.

كرر سترايك بصوت خافت: «إنهم يتبوّلون على أنفسهم عندما يموتون».

أرادت روبن أن تقول شيئًا، لكن قسوة تلك الذكرى جعلتها عاجزة عن التعبير.

«ضحايا الخنق...»

قاطعها سترايك: «أجل أعرف».

وشرب كلاهما.

تابعت روبن:

– حسنًا، لنفترض أن جيمي هو المتصل، فقد اتصل بالقسم مرتين اليوم.

فتحت حقيبة يدها وأرت سترايك جهاز التنصت المخبأ داخلها.

سأل متلعثمًا:

– استرجعته؟

فأجابت روبن عاجزةً عن إخفاء ابتسامة النصر التي ارتسمت على وجهها:

– واستبدلته بآخر، ولذلك وصلت متأخرة. انتهزتُ الفرصة، إذ غادر أمير، الذي يعمل مع وين، وقدم غيرينت إلى مكتبنا بينما كنت أحزم أمتعتي ليتحدث معي.

سأل سترايك متهكّمًا:

– جاء بالفعل.

قالت روبن بكل برودة:

– يُسعدني أنّك تجد الأمر مضحكًا، إلا أنه ليس رجلاً لطيفًا.

فأجابها سترايك:

– آسف، ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟

– صدّق ما أقوله لك، قابلتُ الكثيرين من أمثاله في المكاتب التي عملت فيها. إنه منحرف، وبه أمور أخرى مخيفة أيضًا. أخبَرني... (بان سخطها على وجهها شيئًا فشيئًا واستشاطت غضبًا) أخبرني إنني أُذكّره بابنته الميتة. ثم لمس شعري.

وكرّر سترايك وقد استعاد وقاره:

– لمس شعرك؟

– التقط خصلة منه عن كتفي ومشّطها بأصابعه، ثم أعتقد أنه رأى مدى احتقاري له فحاول أن يجعلني أعتبرها حركةً أبوية. على أي حال، قلت إنّني أريد دخول الحمام، لكنني طلبت منه البقاء في مكانه حتى نواصل حديثنا عن المؤسسات الخيرية. وركضت في الرواق وقمت بتبديل الأجهزة.

– كان ذلك جيدًا يا روبن.

قالتَ روبن وهي تسحب سماعات الرأس من جيبها:

– استمعت إليها وأنا في الطريق إلى هنا، و...

سلّمت روبن السماعتين لسترايك وأضافت:

– وضعت التسجيل عند الجزء المهمّ.

قام سترايك بإدخال سماعتي الأذن بكلّ طاعةٍ وشغّلت روبن الشريط في حقيبة يدها.

«عند الثالثة والنصف يا أمير».

أسكتَ رنين جوّال صوت الرجل الويلزي وشمع وقع أقدام تقترب، وتوقف رنين الهاتف. قال غيرينت:

– أوه، مرحبًا يا جيمي... مهلـ... أمير، أغلق هذا الباب.

المزيد من وقع الأقدام.

– جيمي، نعم...؟

ويبدو أن غيرينت ظل يحاول بعد ذلك ولوقت طويل أن يوقف الجلبة المتزايدة.

– مهلاً... جيمي، اسم... جيمي، اسمع... اسمع! أعلم أنك خسرت يا جيمي، أفهم كم تشعر بالمرارة... جيمي، من فضلك! نحن نتفهم مشاعرك... هذا غير عادل، جيمي، أنا وديلا أيضًا لم ننشأ في عائلة ثرية... والدي كان عاملًا في أحد المناجم، يا جيمي! إسمع أرجوك! نحن نوشك على الحصول على الصور!

أعقب ذلك صمت اعتقد خلاله سترايك أنه سمع من الناحية الأخرى من الهاتف خطاب جيمي نايت السلس يُلقى بصوت خافت.

وقال غيرينت أخيرًا:

– أتفهم وجهة نظرك، لكنّني أحثّك على عدم القيام بأي عمل متهور يا جيمي. لن يُعطيك... جيمي، اسمع! لن يمنحك أموالك، لقد أوضح ذلك تمامًا. لنذهب إلى الصحف الآن أو لن ننال شيئًا... الدليل يا جيمي! الدليل!

تبعت ذلك فترة أخرى أقصر من الثرثرة غير المفهومة.

«ألم أخبرك للتوّ؟ أجل... لا، لكن وزارة الخارجية... بالكاد في الواقع... كلا، يعرف أمير شخصًا هناك... أجل... أجل... حسناً إذًا... سأفعل، يا جيمي. جيّد... نعم، حسنًا. أجل مع السلامة!».

سمع صوت الجوّال الذي يوضع على المكتب وتبعه صوت غيرينت.

قال: «سافل غبيّ».

وسَمع وقع المزيد من الخطوات. نظر سترايك إلى روبن، التي أشارت بإيماءة لولبية من يدها إلى أنّه يجب أن يستمرّ في الاستماع. بعد ثلاثين ثانية شمع صوت أمير خجولًا ومتوتّرًا: «غيرينت، لم يعدني كريستوفر بأيّ شيء بشأن الصور».

حتى على الشريط الصغير، مع صوت خلط الأوراق القريب على مكتب غيرينت، بدا الصمت مشحونًا.

«غيرينت، هل سمع...»

قاطعه وين: «نعم سمعت! يا للهول يا فتى، تخرّجت الأول في صفّك من كليّة لندن للاقتصاد ولا يمكنك التفكير في طريقة لإقناع هذا اللقيط بإعطائك صورًا؟ لا أطلب منك إخراجها من القسم، احصل على نسخ منها فقط! لا ينبغي أن يستعصي ذلك على رجل ذكيّ».

تمتم أمير: «لا أريد المزيد من المشاكل».

قال غيرينت: «حسنًا، حسبت فقط... بعد كلّ ما فعلته ديلا على وجه الخصوص من أجلك...»

قال أمير بسرعة: «وأنا ممتنّ لها. أنت تعرف ذلك... حسنًا، سوف... سوف أحاول».

في الدقيقة التالية، لم يُسمع أيّ صوت سوى جرجرة خطوات وحفيف الأوراق المرميّة فوق المكتب، تلتها نقرة ميكانيكية. يتوقف الجهاز تلقائيًا عن

التسجيل بعد دقيقة من الصمت، ويشتغل مرّة أخرى عندما يتحدّث أحدهم. كان الصوت التالي لرجل آخر يسأل عمّا إن كانت ديلا ستحضر «اجتماع اللجنة الفرعية» بعد ظهر اليوم.

أزال سترايك السمّاعتين من أذنيه.

وسألت روبن:

– هل فهمت كلّ شيء؟

أجابها سترايك:

– أظنّ ذلك.

رجعت إلى الوراء، وهي ترمقه بترقّب.

فكرّر بهدوء:

– وزارة الخارجية؟ ما الذي فعله حتى يكون له صور في وزارة الخارجية؟

أجابته روبن وقد رفعت حاجبيها:

– ظننت أنّه ليس من المفترض أن نهتمّ بما فعله؟

– لم أقل قطّ إنّني غير مهتمّ. قلت فقط إنّني لا أتقاضى أجرًا لمعرفة ذلك.

وصل طبق السمك ورقائق التشيبس التي كان سترايك قد طلبها. شكر النادلة وشرع في إضافة كمّية سخيّة من الكاتشب إلى طبقه.

قالت روبن وهي تفكّر:

– كانت إيزي واقعية تمامًا بشأن كلّ ما قيل. ما كانت لتتحدّث عن الأمر بالطريقة التي تحدّثت بها لو كان – أنت تعلم – قتل شخصًا.

تعمّدت تجنّب كلمة «خنق». فثلاث نوبات هلع في ثلاثة أيّام متتالية كانت كافية تمامًا.

قال سترايك، وهو يمضغ الرقائق:

– يجب أن أقول إنّ هذه المكالمة المجهولة تجعلك... إلّا إذا... وتوقف متأثّرًا بفكرة راودته، إلّا إذا خطرت لجيمي فكرة رائعة تتمثّل في محاولة اتهام تشيزيل بما رآه بيلي، بالإضافة إلى ما قام به بالفعل. إنّ جريمة قتل طفل ليس من الضروريّ أن تكون حقيقيّة بالفعل لإثارة المتاعب لوزير في الحكومة

تراقبه الصحافة باستمرار. تعرفين كيف تجري الأمور على الإنترنت. يعتقد الكثيرون أنّ كون المرء من المحافظين يضاهي كونه قاتل أطفال. ربّما أراد جيمي أن يزيد عليه الضغط بهذه الطريقة.

طعن سترايك بعض الرقائق بطريقة مزاجية بشوكته.

– أودّ أن أعرف أين بيلي، ليت لدينا شخصًا متفرّغًا يمكنه البحث عنه. لم يرَ باركلي أيّ أثر له، ويقول إنّ جيمي لم يذكر أنّ له أخًا.

قالت روبن بتردّد:

– قال بيلي إنّه محتجز.

– في الحقيقة، لا أعتقد أنّه يمكننا أن نثق بأيّ شيء يقوله بيلي الآن. كنت أعرف رجلًا في فرقة الـ«شاينرز» عانى نوبةً ذهانية أثناء التدريبات. وتوهَم أنّ الصراصير تعيش تحت جلده.

– في فرقة الـ...؟

– «شاينرز»، كتيبة القنّاصة. هل تريدين رقاقة؟

تنهّدت روبن قائلة:

– من الأفضل أن أمتنع عن أكلها.

على الرغم من أنّها كانت جائعة. فقد قال لها ماثيو، الذي كانت قد أعلمته برسالة نصّية أنّها ستتأخّر، أنّه سينتظر وصولها إلى المنزل حتى يتناولا العشاء معًا.

– اسمع، أنا لم أخبرك بكلّ شيء.

سأل سترايك بأمل:

– عن سوكي لويس؟

– كلّا، هذه لم أتمكّن من إشراكها في الحديث بعد. أقصد زوجة تشيزيل. فهي تدّعي أنّ رجالًا كانوا يتربّصون وراء أحواض الزهور ويعبثون بخيولها.

كرّر سترايك:

– رجال؟ بالجمع؟

– هذا ما قالته إيزي. لكنّها تقول أيضًا إنّ كينفارا تعاني الهستيريا وتحبّ لفت الانتباه.

– يبدو أنّه موضوع يتكرّر، أليس كذلك؟ نتعامل هذه الأيام مع الكثير من الأشخاص الذين هم أكثر جنونًا من أن يدركوا ما رأوه بالضبط.

– هل تعتقد أنّ من الممكن أن يكون جيمي أيضًا في الحديقة؟

فكّر سترايك في الأمر وهو يمضغ.

– لا أرى ما الذي سيكسبه من الترصّد في الحديقة أو من العبث بالخيول، إلّا إذا كان يريد فقط تخويف تشيزيل. سوف أسأل باركلي عمّا إن كان جيمي يملك سيّارة أو إذا كان قد ذكر أنّه ذاهب إلى أكسفوردشاير. هل اتّصلت كينفارا بالشرطة؟

– سأل راف ذلك، عندما عادت إيزي – ومرّة أخرى، اعتقد سترايك أنّه استشفّ اضطرابًا طفيفًا لدى روبن وهي تذكر اسم الرجل – تدّعي كينفارا أنّ الكلاب نبحت، وأنّها لمحت ظلّ رجل في الحديقة، لكنّه هرب. وقالت إنّها رأت آثار أقدام في مرمح الخيول صباح اليوم التالي وإنّ أحدها قد جُرح بسكّين.

– هل اتّصلت بطبيب بيطري؟

– لا أعرف. من الصعب طرح الأسئلة بوجود راف في المكتب. لا أريد أن أبدو فضوليّة جدًا، لأنّه لا يعرف من أنا.

دفع سترايك طبقه بعيدًا منه وتحسّس جيبه باحثًا عن سجائره. وقال متأمّلًا: «صور»، وعاد إلى صلب الموضوع:

– صور في وزارة الخارجية. ما الذي يمكن أن تظهره لتجريم تشيزيل؟ فهو لم يعمل قطّ في وزارة الخارجية، أليس كذلك؟

– كلا. أعلى منصب شغله على الإطلاق هو وزير التجارة. وأُجبر على الاستقالة منه بسبب علاقته بوالدة راف.

نبّهتها الساعة الخشبية فوق المدفأة أنّ الوقت قد حان للمغادرة. لكنّها لم تتحرّك.

قال سترايك فجأة:

– إذًا، يروقك راف؟

أخذها على حين غرّة، وخشيت أن تكون وجنتاها قد احمرّتا.

– ماذ؟ تقصد بأنّني معجبة به؟

– إنّه مجرّد انطباع لديّ. لم يكن يروقك قبل أن تقابليه.

– هل تريدني أن أكون عدائية معه، بينما من المفترض أن أكون ابنة والده الروحية؟

– لا، بالطبع لا.

على الرغم من أنّ روبن كانت تشعر بأنّه يسخر منها، وقد استاءت من ذلك، إلّا أنّها أقفلت الموضوع ورفعت السمّاعتين عن الطاولة وأعادتهما إلى حقيبتها قائلةً:

– من الأفضل أن أذهب، وعدت مات أنّني سأعود إلى المنزل لتناول العشاء معه.

نهضت وودّعت سترايك وغادرت الحانة.

شاهدها ترحل بأسفٍ خافت لأنّه رمى ذلك التعليق عن ردّ فعلها عند ذكر رافاييل تشيزيل. بعد بضع دقائق من تناوله الجعة وحده، دفع ثمن طعامه وخرج إلى الرصيف، حيث أشعل سيجارة واتّصل بوزير الثقافة، الذي ردّ من الرنّة الثانية.

قال تشيزيل: «انتظر». وسمع سترايك غمغمة حشد خلفه. «الغرفة مزدحمة».

سمع صوت باب يُغلق وخفت ضجيج الحشد. قال تشيزيل: «أنا في مأدبة عشاء. هل لديك أيّ معلومات لي؟».

قال سترايك، وهو يبتعد عن الحانة، سالكًا شارع الملكة آن، بين المباني المطليّة باللون الأبيض التي تتلألأ في الغسق: «ليس الخبر سارًّا، للأسف. نجحت شريكتي في زرع جهاز التنصّت في مكتب السيّد وين هذا الصباح. لدينا تسجيل له وهو يتحدّث مع جيمي نايت. يحاول مساعد وين – أمير، أليس كذلك؟ – الحصول على نسخ من تلك الصور التي أخبرتني عنها، من وزارة الخارجية».

استمرّ الصمت الذي أعقب ذلك لفترة طويلة لدرجة أنّ سترايك تساءل عمّا إذا قُطع الخطّ.

«أيّها الوز...؟».

زمجر تشيزيل: «أنا هنا! ذاك الفتى مالك أليس كذلك؟ اللقيط الصغير القذر، اللقيط الصغير القذر. لقد فقد وظيفة من قبل – فليحاول فقط! فليحاول! هل يعتقد أنّني لن... أعرف أشياء عن أمير مالك.. وأيّ أشياء!».

انتظر سترايك، متفاجئًا بكلامه، أن يوضح له تلك الملاحظات، لكن لم يصله شيء. تنفّس تشيزيل بصعوبة في الهاتف فقط. ومن الوقع الناعم المكتوم لخطواته، علمَ أنّه كان يمشي ذهابًا وإيابًا على السجادة.

سأل عضو مجلس العموم أخيرًا:

– هل هذا كلّ ما أردت أن تخبرني به؟

– هناك أمر واحد بعد. شريكتي تقول إنّ زوجتك رأت رجلًا أو رجالًا يدخلون أرضك متطفّلين في الليل.

– آه، نعم – ولم يبدِ قلقًا خاصًا – زوجتي تربّي الخيول وهي دائمة القلق عليها.

– ألا تعتقد أنّ لهذا أيّ صلة بـ...؟

– كلا، إطلاقًا، إطلاقًا. إنّ كينفارا أحيانًا... حسنًا، بصراحة، يمكنها أن تكون هستيرية. فهي تربّي مجموعة من الخيول، وتخشى دائمًا أن تُسرق. لا أريدك أن تضيّع الوقت في مطاردة الظلال في أجمات أوكسفوردشاير. مشاكلي موجودة في لندن. هل هذا كلّ شيء؟

أكّد له سترايك أن نعم، كان ذلك كلّ ما لديه، وبعد وداع مقتضب، أقفل تشيزيل الخطّ، تاركًا سترايك يعرج نحو محطّة سانت جيمس بارك.

بعد عشر دقائق، كان سترايك في مترو الأنفاق. اختار مقعدًا في زاوية المترو، جلس ومدّ ساقيه، طوى ذراعيه، وأخذ يحدّق في النافذة المقابلة.

لم تكن طبيعة هذا التحقيق عادية قطّ. لم توكل إليه من قبل قضيّة ابتزاز تكتّم العميل فيها بشأن جريمته، ولكن، أيضًا، فكّر سترايك في نفسه، لم يكن العميل وزيرًا حكوميًا من قبل. كذلك، لا يقتحم كلّ يوم شابّ قد يكون مصابًا بالذهان مكتبه ويصرّ على أنّه شهد جريمة قتل طفلة. على الرغم من أنّه قد حصد نصيبه العادل من الاتّصالات غير العاديّة وغير المتّزنة منذ أن

تناقلت الصحف أخباره، فجمع المقالات ووضعها في درج كان يطلق عليه في الماضي، رغم احتجاجات روبن، اسم «درج المجانين»، وقد ملأت الآن نصف خزَانة ملفّات.

شغلت العلاقة الدقيقة بين الطفلة المخنوقة وقضيّة ابتزاز تشيزيل بال سترايك، على الرغم من أنّ العلاقة كانت واضحة في ظاهرها، وتكمن في أنّ جيمي وبيلي أخوان. والآن يبدو أنّ شخصًا ما (رجّح سترايك كثيرًا أن يكون جيمي، بناءً على رواية روبن للمكالمة) قرّر ربط قصّة بيلي بتشيزيل، على الرغم من أنّ الجريمة التي يتعرّض بسببها تشيزيل للابتزاز وقادته إلى سترايك لا يمكن أن تكون جريمة قتل لطفلة، وإلّا لكان غيرينت وين ذهب مباشرةً إلى الشرطة. على غرار اللسان الذي لا يستطيع الامتناع عن سبر حموٍ في الفم، استمرّت أفكار سترايك في العودة بلا جدوى إلى الأخوين نايت: جيمي، الشخص الكاريزماتي، الفصيح، الوسيم، المتهوّر الأرعن، وبيلي، الممسوس القذر، المريض بلا ريب، الذي تعذّبه ذكرى قد لا تكون حقيقية إلّا أنّها فظيعة بالفعل.

(يتبولون على أنفسهم عندما يموتون.)

من يفعل ذلك؟ مرّة أخرى، تخيّل سترايك أنّه يسمع بيلي نايت.

«دفنوها في بطّانية وردية اللون أسفل الوادي بجوار منزل والدي.

لكنّهم بعد ذلك قالوا إنّه كان صبيًّا».

لقد تلقى للتوّ تعليمات محدّدة من موكّله بأن تقتصر تحقيقاته على لندن، وليس أوكسفوردشاير.

أثناء تحقّقه من اسم المحطّة التي وصل إليها القطار، تذكّر سترايك اضطراب روبن الخفيف عندما تحدّثت عن رافاييل تشيزيل. أخرج جوّاله مرّة أخرى وهو يتثاءب ونجح في العثور على غوغل على صور ابن موكّله الأصغر التي انتشرت بكثرة خاصة تلك اللقطة وهو يصعد درج قاعة المحكمة لحضور محكمته بتهمة القتل غير المتعمّد.

بينما كان يتنقل عبر صور رافاييل الكثيرة، شعر بكراهية متزايدة تجاه الشابّ الوسيم في بذلته الدكناء. وبغضّ النظر عن أنّ ابن تشيزيل يشبه

عارض أزياء إيطاليًا أكثر منه بريطانيًا، أثارت الصور استياءً كامنًا، متأصّلًا في الجروح الطبقية والشخصية التي عاناها سترايك، فزاد توهّجها داخل صدره. كان رافاييل من أمثال جاغو روس، الرجل الذي تزوّجته شارلوت بعد انفصالها عن سترايك: من الطبقة العليا، يرتدون ملابس باهظة الثمن ويتخرّجون من الجامعات المرموقة، ويعامَلون بلين أكبر عندما يرتكبون الجنح لأنّهم قادرون على توكيل أفضل المحامين، ولأنّهم يشبهون أبناء القضاة المكلّفين بتقرير مصيرهم.

انطلق القطار مجدّدًا وفقد سترايك اتّصاله بالإنترنت، فوضع هاتفه في جيبه، وتكتّف واستأنف تحديقه الفارغ في النافذة المظلمة، محاولًا إنكار وجود فكرة مزعجة ظلّت تحاصرُه على غرار كلب يلحّ بالمطالبة بطعامه إلى حدٍّ يستحيل تجاهله.

لقد أدرك الآن أنّه لم يكن يتخيّل أبدًا أنّ روبن قد تهتمّ لأيّ رجل آخر غير ماثيو، باستثناء، بالطبع، تلك اللحظة التي كان قد ضمّها هو نفسه إليه على الدرج في حفل زفافها لفترة وجيزة.

غضب من نفسه وركل الفكرة غير المفيدة جانبًا، وأجبر عقله المشتّت على التركيز على قضيّة وزير حكومي مثيرة للفضول، فيها خيول مجروحة وجثّة مدفونة في بطّانية وردية، في أسفل وادٍ صغير.

21

... تجري في هذا المنزل بعض الألاعيب
التي لا تعرف بها.

هنريك إبسن، روسميرشولم

«لماذا أنت مشغولة للغاية وأنا جالس هنا من غير عمل؟». سأل رافاييل روبن، في وقت متأخّر من صباح الجمعة. كانت قد عادت لتوّها من تعقّب غيرينت إلى بورتكوليس هاوس. فيما راقبته من بعيد، رأت كيف تحوّلت ابتسامات العديد من الشابّات المهذّبات اللواتي ألقى عليهنّ التحيّة إلى تعبير عن الكراهية بعد مروره. اختفى غيرينت في غرفة اجتماعات في الطابق الأول، فعادت روبن إلى مكتب إيزي. عند اقترابها من غرفة غيرينت، أملت أن تتمكّن من التسلل إلى الداخل لاستعادة جهاز التنصّت الثاني، لكنّها رأت من خلال الباب المفتوح أمير يعمل على حاسوبه.

تمتمت إيزي مشحونة، وهي تنقر على لوحة مفاتيحها: «راف، حبيبي، سأعطيك عملًا لتقوم به بعد لحظات. يجب أن أنهي هذه الرسالة، إنّها موجّهة لرئيسة الحزب المحلّية. سيأتي والدنا ليوقّعها بعد خمس دقائق».

ألقت نظرة سريعة على أخيها، الذي كان متمدّدًا على كرسيّ بذراعين، وساقاه الطويلتان ممدودتان أمامه، وقد لفّ كمّي قميصه، وفكّ ربطة عنقه، وأخذ يلعب ببطاقة مرور الزائر المعلّقة برقبته.

اقترحت إيزي: «لماذا لا تذهب وتشرب القهوة على الشرفة؟» فهمت روبن أنّ إيزي تريده أن يكون خارج المكتب عندما يأتي تشيزيل.

سألها رافاييل: «أتريدين أن تأتي لتناول القهوة يا فينيسيا؟».

قالت روبن: «لا أستطيع. أنا مشغولة».

دارت المروحة على مكتب إيزي نحو روبن فاستمتعت ببضع ثوانٍ من النسيم البارد. أعطت النافذة ذات الستائر الشبكية انطباعًا ضبابيًا عن هذا اليوم البهيّ من شهر يونيو. وظهر جزء من أجساد برلمانيينن على الشرفة خلف الزجاج، فبدوا مبتورين وكأشباحٍ متوهّجة. كان الجوّ خانقًا داخل المكتب الغارق في الفوضى. كانت روبن ترتدي ثوبًا قطنيًا، وقد رفعت شعرها على شكل ذيل حصان، لكنّها على الرغم من ذلك، كانت تجفّف شفتها العليا من العرق بظهر يدها من وقت إلى آخر، فيما تتظاهر بأنّها تعمل.

شكّل وجود رافاييل في المكتب، كما أخبرَت سترايك، عائقًا. فهي لم تكن بحاجة إلى ابتكار الأعذار لتتسكّع في الرواق عندما كانت بمفردها مع إيزي. والأكثر من ذلك هو أنّ رافاييل يراقبها كثيرًا، بطريقة مختلفة تمامًا عن نظرات غيرينت البذيئة. ومع أنّه لم يرقها وجدت نفسها بين الحين والآخر تقترب على نحو خطير من الشعور بالشفقة عليه، إذ يبدو متوتّرًا في وجود والده، ثمّ – في الواقع – قد يجده أيّ شخص وسيمًا. هذا هو السبب الرئيسي الذي جعلها تتجنّب النظر إليه – وحريّ بها ألّا تفعل إذا أرادت أن تبقى موضوعية.

أمّا هو، فاستمرّ يحاول تعزيز علاقة أوثق معها، بينما استمرّت هي في إحباطها بدون كلل. البارحة فقط قاطعها وهي تحوم خارج باب غيرينت وأمير، تسترق السمع إلى محادثة يجريها أمير عبر الهاتف بشأن «استفسار». من التفاصيل الضئيلة التي سمعتها روبن، اقتنعت بأنّ ليفيل بيلينغ فيلد هي موضوع النقاش.

سأل أمير بقلق: «لكن أليس هذا استفسارًا قانونيًا؟ هل الأمر رسمي؟ اعتقدته مجرّد تدبير روتيني... لكنّ السيد وين فهم أنّ رسالته إلى منظّم جمع التبرّعات قد طمأنت جميع مخاوفهم».

لم تستطع روبن أن تفوّت فرصة الاستماع، رغم إدراكها خطورة ذلك. ما لم تتوقعه، هو أن يفاجئها رافاييل بدلًا من وين.

سألها ضاحكًا: «ماذا تفعلين أيتها المحتالة؟».

ابتعدت روبن بسرعة، لكنّها سمعت باب أمير يُغلق خلفها وأيقنت أنه هو على الأقلّ سيحرص على إغلاقه في المستقبل.

«هل أنتِ دائمًا متوتّرة إلى هذا الحدّ، أم تتوتّرين معي فقط؟» سألها رافاييل، مسرعًا وراءها. «تعالي لنتناول القهوة، تعالي، أشعر بمللٍ فظيع». رفضت روبن بفظاظة، لكن حتى عندما تظاهرت بأنّها مشغولة مرّة أخرى، كان عليها أن تعترف بأنّ جزءًا منها – ولو كان صغيرًا – شعر بالإطراء من الانتباه الذي أولاها إيّاه.

طُرق الباب، وذُهشت روبن لدخول أمير مالك الغرفة حاملًا قائمة أسماء. خاطب إيزي بتوتّر، ولكن بحزم.

«مرحبًا. يودّ غيرينت إضافة أمناء ليفيل بليينغ فيلد إلى حفل استقبال البارالمبي في الثاني عشر من يوليو».

ردّت إيزي قائلة: «ليس لديّ أيّ علاقة بهذا الحفل، وزارة الاتصالات الرقمية والثقافة والإعلام والرياضة هي التي تنظمها، وليس أنا». وانفجرت قائلة وهي تمسح غرّتها المبلّلة بالعرق عن جبهتها: «لماذا يأتي الجميع إليّ أنا؟».

قال أمير: «غيرينت يحتاج إلى أن يأتوا». ارتجفت قائمة الأسماء في يده.

فكّرت روبن في ما إن كانت قد تتجرّأ على التسلّل إلى مكتب أمير الفارغ الآن وتبديل أجهزة التنصّت. وقفت بهدوء، محاولة ألّا تلفت الانتباه إلى نفسها، وسألت إيزي: «لماذا لا يسأل ديلا؟».

«ديلا مشغولة»، قال أمير وأضاف: «إنّهم ثمانية أشخاص فقط. إنّه حقًا يحتاج...»

ثم علا صوت وزير الثقافة الصاخب حتى سبقه في الرواق:

«اسمعوا كلمة لاشيسيز، ابنة نيسيسيتي!».

وقف تشيزيل في المدخل مرتديًا بذلة مجعّدة وقاطعًا طريق الخروج على روبن، فعادت إلى كرسيّها وجلست بهدوء، وبدا لها أنّ أمير توجّس واستعدّ.

صاح تشيزيل: «أتعرف من كانت لاشيسيز يا سيّد مالك؟» قال أمير: «لا أستطيع الادّعاء إنّني أعرف».

«لا؟ ألم تدرس أدبيات الإغريق في مدرسة «هارينغي كومبريهنسف»؟ يبدو أنّ لديك متّسعًا من الوقت يا راف. لم لا تعلّم السيد مالك عن لاشيسيز».

قال رافاييل وهو ينظر إلى والده من خلال رموشه الكثيفة الدكناء: «أنا أيضًا لا أعرف».

«تتظاهر بالغباء، أليس كذلك؟» وأكمل تشيزل: «لاشيسيز هي إحدى الأخوات الثلاثة اللواتي يمثّلن القدر في الميثولوجيا اليونانية. كانت تقيس العمر المخصّص لكلّ إنسان. وتعرف متى تحين ساعة كلّ كائن. لست من محبّي أفلاطون يا سيّد مالك؟ أعتقد أنّك تفضّل كاتولوس. كتب بعض الشعر الجميل عن أمثالك من الرجال. Pedicabo ego vos et irrumabo, Aureli pathice et cinaede Furi، (سوف أضعه في فمك يا أوريليوس وفي مؤخّرتك سأقحمه يا فوريوس). أليس كذلك؟ القصيدة 16، ابحث عنها، ستستمتع بها.

حدّق رافاييل وإيزي في والدهما، ووقف أمير لبضع ثوانٍ كما لو أنّه نسي ما جاء من أجله، ثمّ خرج من الغرفة.

قال تشيزل: «القليل من التعليم الكلاسيكي للجميع»، ودار ممتلئًا بما يبدو رضًى خبيث ليشاهده وهو يغادر. «لا يتوقف المرء عن التعلّم، أليس كذلك يا راف؟».

اهتزّ هاتف روبن على مكتبها. أرسل لها سترايك رسالة نصّية. سبق أن اتّفقا على عدم التواصل خلال ساعات العمل ما لم يكن الأمر طارئًا. وضعت الهاتف في حقيبتها.

«أين الأوراق التي يجب أن أوقّعها؟» سأل تشيزيل إيزي. «هل أنهيت طبع الرسالة للعينة بريندا بايلي؟».

قالت إيزي: «أرسلتها إلى الطابعة الآن».

بينما كان تشيزيل يوقّع كومة من الرسائل، ويتنفّس مثل كلب بولدوغ في الغرفة الهادئة، اعتذرت روبن متمتمةً أنّ عليها الخروج، وهرعت إلى الرواق.

قادتها رغبتها في قراءة رسالة سترايك بدون أن يقاطعها أحد إلى اتّباع لافتة خشبية إلى الكنيسة في الطابق السفلي. سارعت إلى أسفل الدرج الحجري الضيّق المشار إليه، ووجدت السرداب في آخره. زُيّن السرداب وكأنّه صندوق جواهر من القرون الوسطى. كلّ بوصة من الجدار الذهبي كانت مزيّنة بزخارف ورموز شعائرية ودينية. وعلت المذبح صور قدّيسين ساطعة كالجواهر، بينما لُفّت أنابيب الأرغن ذات اللون الأزرق السماوي بشريط ذهبي وبرموز زهرة الزنبق القرمزية. سارعت روبن إلى الجلوس على مقعد أحمر مخملي وفتحت رسالة سترايك:

«بحاجة إلى معروف. قام باركلي بمراقبة جيمي نايت لفترة 10 أيّام، لكنّه اكتشف للتوّ أنّ زوجته مجبرة على العمل خلال عطلة نهاية الأسبوع ولم يجد أحدًا ليعتني بالطفل. سيذهب آندي لمدّة أسبوع إلى أليكانتي مع عائلته الليلة. لا أستطيع أن أتتبّع جيمي، فهو يعرفني. سوف يشارك مجلس معارضة الألعاب الأولمبية في مسيرة ضدّ الصواريخ غدًا تبدأ في الثانية من بعد الظهر، في بو. هل بإمكانك أن تحلّي محلّه؟».

فكّرت روبن في الرسالة لثوانٍ عدّة، ثمّ أطلقت تأوّهًا ارتدّ صداه في السرداب.

إنّها المرّة الأولى منذ أكثر من عام التي يطلب فيها سترايك منها العمل لساعات إضافية من دون سابق إنذار، لكنّ عطلة نهاية الأسبوع هذه تتزامن مع الذكرى السنوية لزواجها وماثيو، وكانا قد حجزا غرفة في فندق باهظ الثمن، وحزما الحقائب وباتت جاهزة في السيّارة. اتّفقا على أن تلتقي به بعد العمل في غضون ساعتين، على أن يتوجّها مباشرة إلى فندق فور سيزونز بالاس. كيف تخبره أنّها لا تستطيع الذهاب؟ سيثور من الغضب. في صمت

السرداب المطليّ بالذهب، تذكّرت الكلمات التي قالها لها سترايك عندما وافق على تدريبها كمحقّق.

أحتاج إلى شخص يمكنه العمل لساعات طويلة وأيضًا في عطلات نهاية الأسبوع... كفاءتك كبيرة لهذا العمل، لكنّك ستتزوّجين بشخص يكره أن تقومي به...

قالت له يومها إنّ ما يعتقده ماثيو غير مهمّ، وإنّها هي من يقرّر ما تفعله.

أين يكمن ولاؤها الآن؟ قالت إنّها ستبقى متزوّجة، وإنّها ستمنح زواجها فرصة. وقد عملت ساعات إضافية كثيرة لم يدفعها لها سترايك، لا يستطيع الادّعاء أنّها تتهرّب من العمل.

قرّرت وكتبت ردّها ببطء، حذفت كلمات، واستبدلتها بأخرى، مسترسلة بالتفكير في كلّ مقطع لفظي.

«أنا آسفة حقًا، لكنّ ذكرى زواجنا تقع في عطلة نهاية الأسبوع. حجزنا الفندق، وسنغادر هذا المساء».

أرادت أن تكتب أكثر، لكن ماذا تقول بعد؟ «زواجي ليس على ما يُرام، لذا من المهمّ أن أحتفل به؟ أفضل أن أتنكّر كمتظاهرة وأطارد جيمي نايت؟» ضغطت على زرّ الإرسال.

جلست في انتظار ردّه، وشعرت كأنّها على وشك الحصول على نتائج فحوص طبّية وهي تتابع بعينيها مسار الكروم الملتوية التي غطّت السقف. من هناك، أطلّت عليها وجوه غريبة، مثل الرجل الأخضر البرّي في الأسطورة. اختلطت الصور الشعائرية والوثنية بالملائكة والصلبان. هذه الكنيسة كانت أكثر من مكان صلاة لله، فهي تعود إلى عصر الخرافات والسحر وسطوة الإقطاع.

مرّت الدقائق ولم يردّ سترايك، فنهضت وراحت تجول في الكنيسة. وجدت خزانة في الخلف. فتحتها، فرأت لوحة للناشطة إميلي دافيدسون المطالبة بحق المرأة في الاقتراع. ويبدو أنّها نامت هناك طوال الليل حتى تتمكّن من القول إنّ مكان إقامتها هو مجلس العموم في التعداد السكاني

لعام 1911، قبل سبع سنوات من منح النساء حق التصويت. لم تستطع روبن الامتناع عن التفكير في أنّ إميلي دافيدسون ما كانت لتوافق على اختيارها وضع زواج فاشل فوق اعتبار حرّية ممارسة العمل.

رنّ جوّال روبن مجدّدًا. نظرت إلى الأسفل، خائفة ممّا ستقرأه. ردّ سترايك بكلمة واحدة:

حسنًا.

أحسّت أنّ وزنًا من الرصاص انزلق من صدرها إلى معدتها. تدرك روبن جيّدًا أنّ سترايك ما زال يقيم في الشقة الصغيرة الشهيرة فوق المكتب وأنّه ما زال يعمل خلال عطلات نهاية الأسبوع. هو الشخص الوحيد غير المتزوّج في الوكالة، والحدّ الفاصل بين حياتيه المهنية والخاصّة، إن لم نقل غير موجود، فلنعتبره مرنٌ وزئبقيّ، بعكس الحدود التي تفصل بين حياتيهم، المهنية والشخصية، هي وباركلي وهاتشينز. وأسوأ ما في الأمر هو أنّها لم تجد طريقة لإخبار سترايك كم أنّها آسفة، وكم أنّها تفهم وضعه، وأنّها تتمنّى لو اختلفت الأمور، دون أن تتذكّر ذلك العناق على الدرج خلال حفل زفافها، ذاك الذي تكتّما عنه منذ فترة طويلة إلى حدّ أنّها تتساءل عمّا إن كان حتّى يتذكّره.

شعرت بالبؤس التامّ، وعادت أدراجها للخروج من السرداب، وهي لا تزال تحمل الأوراق التي كانت تتظاهر بأنّها تنوي تسليمها.

كان رافاييل بمفرده في المكتب عندما عادت، جالسًا أمام حاسوب إيزي، يكتب بسرعة تقارب ثلث سرعتها.

بادرها:

– ذهبت إيزي مع أبي للقيام بشيء مملّ لدرجة أنّي لم أعد أتذكّر ما هو. سيعودان بعد قليل.

أجبرت نفسها على الابتسام، وعادت إلى مكتبها وهي تفكّر في سترايك.

سأل رافاييل:

– غريبة بعض الشيء، تلك القصيدة، أليس كذلك؟

– ماذا؟ آه... تلك العبارة اللاتينية؟ نعم. كانت غريبة قليلًا. وكأنه حفظها خصيصًا لاستخدامها على مالك. لا أحد يحفظ عبارات لاتينية عن ظهر قلب كي يستعملها عند الطلب.

وهي تقول تلك الجملة، لم تملك روبن ألّا تتذكّر أنّ سترايك يعرف عبارات غريبة من اللاتينية عن ظهر قلب، لكنّها رغم ذلك أكّدت:

– لا، بالطبع لا.

– هل هو حاقد على مالك، أو ما شابه؟

كذبت روبن:

– لا أعرف، حقًا.

بعدما نفدت منها الطرق التي تشغل بها وقتها في المكتب، أخذت تجمع الأوراق وتخلطها مجدّدًا...

– كم ستبقين في العمل هنا يا فينيسيا؟

– لا أعرف بالضبط. حتى عطلة البرلمان، على الأرجح.

– هل ترغبين بالفعل في العمل هنا؟ بشكل دائم؟

– نعم، أجد العمل مثيرًا للاهتمام.

– ماذا كنتِ تفعلين قبل أن تأتي إلى هنا؟

– كنت أعمل في مجال العلاقات العامّة... كان العمل ممتعًا للغاية، لكنّي أردت التغيير.

وسأل بابتسامة خفيفة:

– هل تأملين الزواج بنائب؟

قالت روبن:

– لا أستطيع أن أقول إنّني رأيت أيّ شخص هنا أودّ أن أتزوّجه.

فردّ عليها رافاييل بحسرة ساخرة:

– جواب مؤلم.

خشيت روبن أن يحمرّ وجهها وحاولت إخفاء ذلك بالانحناء لفتح درج وإخراج بعض الأشياء منه بطريقة عشوائية.

لكنّه أصرّ قائلًا عندما انتصبت واقفة:

– إذًا، هل تقابل فينيسيا هول أحدًا؟
– نعم. يُدعى تيم. نحن معًا منذ عام.
– أحقًا؟ وماذا يفعل تيم؟
– يعمل في كريستيز.

خطرت لها هذه الفكرة من الرجال الذين رأتهم مع سارة تشادلوك في حانة ريد لايون: رجال في بدلات ممتازة خيطت على قياسهم، رجال ارتادوا أفضل المدارس، رجال من النوع ا الذي قد تعرفهم ابنةٌ روحية لتشبزيل.

وسألته:
– ماذا عنك؟ قالت إيزي شيئًا...

قاطعها رافاييل:
– فتاة المعرض؟ لم يكن الأمر مهمًا. كانت صغيرة جدًا بالنسبة إليّ. على أيّ حال، أرسلها والداها إلى فلورنسا الآن.

أدار كرسيّه ليواجهها، ونظر إليها جادًا مستقصيًا كما لو أنه يرغب بمعرفة شيءٍ لن يكشفه حديثهما. قطعت روبن تبادل نظرتيهما. فالاستمرار في تبادل النظرات الثاقبة لا يتماشى مع كونها صديقة تيم الخيالي الراضية.
– أتؤمنين بالخلاص؟

فاجأ السؤال روبن كثيرًا. ففيه من الجاذبية والجمال ما يمكن تشبيهه ببريق جوهرة في كنيسة عند سفرة درج لولبيّ.

أجابت:
– أنا... نعم، أؤمن به.

التقط قلم رصاص من مكتب إيزي وأخذ يقلّبه بأصابعه الطويلة وهو مستمرّ في النظر إليها نظرة سابرة كأنّه يريد أن ينفد إلى أعماقها.
– أتعلمين ماذا فعلت، في السيّارة؟
– نعم.

بدا الصمت الذي لم ينقطع بينهما لروبن مليئًا بالأضواء الوامضة والأشكال الغامضة. وتخيّلت رافاييل ملطّخًا بالدماء وراء عجلة القيادة، وجسد الأمّ الشابّة مهشّمًا على الطريق، وسيّارات الشرطة وشريط الحادث الأصفر

ونظرات سائقي السيّارات المارّة على مهل. واعتقدت أنّه يراقبها باهتمام، آملًا ومتوقعًا منها كلمة رحومة كما لو كان غفرانها له مهمًّا. وكانت تعلم أنّ لطف شخص غريب عن المرء، أو حتى من معارفه العرضيين، قد يحدث تحوّلًا، أو يعطيه خشبة يمكنه التشبّث بها بينما يُغرقه المقرّبون منه بجهودهم للمساعدة. ومثلت إلى ذاكرتها جهود ذلك المضيف المسنّ في ردهة أعضاء مجلس العموم، الذي لم يدرك ما بها إلّا أنّه كان معزّيًا للغاية، وشكّل صوته الأجش وكلماته اللطيفة، خيطًا تمسّكت به، فأعادها إلى عالم الواقع.

فُتح الباب مرّة أخرى. فانتفض كلّ من روبن ورافاييل عندما دخلت امرأة صهباء متموّجة الشعر المكتب، وقد علّقت بطاقة مرور الزائرين في رقبتها. عرفت روبن على الفور أنّها كينفارا زوجة جاسبر تشيزيل، من الصور التي شاهدتها على الإنترنت.

قالت روبن: «مرحبًا»، لأنّ كينفارا كانت تحدّق بهدوء في رافاييل، الذي حوّل بسرعة انتباهه إلى حاسوبه وبدأ بالكتابة مجدّدًا.

قالت كينفارا، محوّلة نظرتها الذهبية الصافية إلى روبن: «لا شكّ في أنّك فينيسيا». صوتها صوت فتاة صغيرة لكن نبرتها عالية، وعيناها تشبهان عينَي قطّة في وجه منتفخ قليلًا. «أنت جميلة! لم يخبرني أحد أنّكِ بهذا الجمال».

لم تعرف روبن كيف تردّ عليها. ارتمت كينفارا في الكرسيّ المترهّل الذي يجلس فيه راف عادةً، وخلعت النظّارة الشمسية الغالية كما تبدو والتي كانت على رأسها تثبّت بها شعرها الأصهب الطويل الذي سرعان ما أبعدته عن وجهها هازّةً رأسها. ذراعاها وساقاها العارية مليئة بالنمش، والأزرار العلوية في فستانها الأخضر الشبيه بقميص بدون كمّين مشدودة على صدرها الناهد. سألت كينفارا بشيء من الفظاظة: «ابنة من أنت؟ لم يخبرني جاسبر. فهو لا يخبرني شيئًا، إلّا ما هو مجبر على أن يخبرني إيّاه، في الواقع. أنا معتادة ذلك. قال فقط إنّك ابنة روحية».

لم يحذّر أحد روبن من أنّ كينفارا لا تعرف من هي حقًا. ربّما لم يتوقّع إيزي وتشيزيل أن تتواجها.

قالت روبن منزعجة: «أنا ابنة جوناثان هول». كانت روبن قد رسمت في ذهنها خلفية مبدئية لفينيسيا، الابنة الروحية، لكنّها لم تتوقع قطّ أن تضطرّ إلى تفصيلها لزوجة تشيزيل، التي يُفترض أنّها تعرف جميع أصدقاء زوجها ومعارفه.

سألت كينفارا:

– من هو؟ من المفترض بي أن أعرف، سيغضب جاسبر لأنّني لم أنتبه...

– إنه يعمل في إدارة الأراضي في...

قاطعتها كينفارا التي لم تبدُ مهتمّة بشكل خاصّ:

– آه! الملكية في نورثمبرلاند؟ كان ذلك قبل أن أتزوّجه.

قالت روبن في نفسها: الحمد لله.

وضعت كينفارا ساقًا على ساق وكتّفت ذراعيها فوق صدرها الكبير. هزّت قدمها صعودًا وهبوطًا، وأطلقت على رافاييل نظرة قاسية وشبه حاقدة.

– ألن تلقي التحيّة يا رافاييل؟

فقال:

– مرحبًا.

قالت كينفارا بصوتها العالي النبرة المتوتّر:

– طلب منّي جاسبر مقابلته هنا، لكنّي أستطيع انتظاره في الرواق إن شئت.

غمغم رافاييل وهو ينظر عابسًا إلى شاشته:

– بالطبع لا.

قالت كينفارا، فيما انتقل نظرها من رافاييل إلى روبن:

– لا أريد مقاطعة أيّ شيء.

عادت قصّة الشقراء في حمّام معرض اللوحات إلى ذهن روبن. للمرّة الثانية، تظاهرت بأنّها تبحث عن شيء في أحد الأدراج، وأحسّت بالارتياح لدى سماعها صوتَي تشيزيل وإيزي وهما قادمان عبر الرواق.

«... وبحلول الساعة العاشرة، لا أكثر، وإلّا لن يتّسع لي الوقت لقراءة كلّ شيء. وأخبري هينز أنّ عليه أن يتحدّث بنفسه إلى البي بي سي، فوقتي لا يتّسع لمجموعة من البلهاء يتحدّثون عن... أوه! كينفارا!».

توقف تشيزيل عند باب المكتب وقال، بدون أيّ أثر للعاطفة:

– قلت لك أن تقابليني في وزارة الاتصالات الرقمية والثقافة والإعلام والرياضة لا هنا.

فأجابت كينفارا وهي تقف على قدميها وتملّس فستانها المجعّد:

– أنا سعيدة جدًا أيضًا بلقائك يا جاسبر، بعد ثلاثة أيّام من الفراق.

قالت إيزي:

– مرحبًا كينفارا.

قالت كينفارا لتشيزيل متجاهلة ابنة زوجها:

– نسيت أنّك قلت وزارة الاتصالات الرقمية والثقافة والإعلام والرياضة... حاولت الاتّصال بك طوال الصباح...

فهدر تشيزيل:

– أخبرتك أنّ لديّ اجتماعات متتالية حتى الساعة الواحدة، وإن كان الأمر يتعلّق برسوم تزويج الفحول اللعينة مجدّدًا...

– لا، لا يتعلّق الأمر برسوم تزويج الفحول في الواقع يا جاسبر، وكنت أفضّل أن أخبرك بالأمر على انفراد، لكن إن كنت تريدني أن أتكلّم أمام ولديك، فسأفعل!

فصرخ تشيزيل:

– آه، بحق السماء!.تعالي، إذًا، هيّا، سنجد غرفة خالية.

– رأيت رجلًا الليلة الماضية. لا تنظري إليّ هكذا يا إيزابيلا!

نمّت تعابير إيزي عن شكّ صريح. فقد رفعت حاجبيها وتابعت دخولها إلى الغرفة وكأنّ كينفارا أصبحت غير مرئيّة.

زمجر تشيزيل:

– قلت إنّه يمكنك إخباري في غرفة خاصّة!

لكنّ كينفارا رفضت أن تتراجع، وقالت بصوت مرتفع وعالي النبرة علمت روبن أنّه سيتردّد على طول الرواق الضيّق:

– رأيت رجلًا في الغابة بالقرب من المنزل الليلة الماضية يا جاسبر! لست أتخيّل هذه الأمور؛ رأيت رجلًا يحمل مجرفةً في الغابة، رأيته، وهرب عندما طاردته الكلاب! أنت تقول لي باستمرار ألّا أثير الضجّة، لكنّني وحدي في ذلك المنزل في الليل وإن كنت لا تريد أن تفعل شيئًا حيال هذا الموضوع يا جاسبر، فسوف أذهب إلى الشرطة!

22

... ألا تشعر بأنّك مجبر على القيام بذلك في
سبيل الخير؟

هنريك إبسن، روسميرشولم

كان سترايك في مزاج سيّئ للغاية.

سأل نفسه في صباح اليوم التالي، وهو يتوجّه نحو مايل أند بارك، لماذا كان هو، الشريك الأول ومؤسّس الشركة، والذي ساقه مبتورة، مجبرًا على مراقبة مسيرة احتجاجية في صباح يوم سبت حارّ، بينما لديه ثلاثة موظفين؟ وأجاب بنفسه: لأنّه، هو: ليس لديه طفل يحتاج إلى من يسهر عليه، أو زوجة حجزت تذاكر طائرة أو كسرت معصمها، أو زوج خطّط للاحتفال بعيد زواج سخيف في عطلة نهاية الأسبوع. هو لم يكن متزوّجًا، لذلك كان لا بدّ من التضحية بوقت فراغه، وعطلة نهاية أسبوعه التي أصبحت مجرّد يومَي عمل إضافيين.

كلّ ما كانت روبن تخشاه لناحية صورتها أمام سترايك، وكيف يراها، كان يتحقّق: منزلها الواقع في شارع ألبوري المرصوف بالحصى مقارنةً بالغرفتين المشرّعتين لتيارات الهواء في عليّة تمّ تحويلها إلى بيت، تلك الحقوق والمكانة التي يمنحها الخاتم الذهبي الصغير في إصبعها مقارنةً بخيبة أمل لوريلاي عندما شرح لها أنّه سيتخلّف عن الغداء وربّما العشاء

أيضًا، وعود روبن بالمسؤولية المتساوية عندما اتّخذها شريكة، والتي تتناقض مع حقيقة أنّها اليوم هرعت إلى المنزل لتوافي زوجها.

نعم، قامت روبن بساعات عديدة من العمل الإضافي غير المدفوع الأجر خلال السنتين اللتين قضتهما في الوكالة. نعم، كان يعلم أنّها قامت بأكثر من واجبها تجاهه. نعم، كان، من الناحية النظرية، ممتنًا لها. لكنّه اليوم، وبينما هو يعرج على طول الشارع وأمامه على الأرجح ساعات من المراقبة العقيمة، كانت هي وزوجها يتوجّهان إلى فندق ريفي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، وهي فكرة جعلت تحمّله ألم ساقه وظهره أكثر صعوبة.

بذقنٍ نابتة، مرتديًا بنطلون جينز قديمًا، وقلنسوة بالية من كثرة الغسيل، وحذاءً رياضيًا قديمًا، دخل سترايك الحديقة وحقيبة تتأرجح متدلّية من يده. استطاع أن يرى المتظاهرين يتجمّعون في البعيد. أوشك على ترك المسيرة بدون مراقبة خشية أن يتعرّف إليه جيمي، لكنّ الرسالة الأخيرة التي أرسلتها روبن (ولم يردّ عليها بسبب مزاجه السيّئ) جعلته يغيّر رأيه.

جاءت كينفارا تشيزيل إلى المكتب. ادّعت أنّها رأت رجلًا يحمل مجرفة في الغابة بالقرب من منزلهم الليلة الماضية. قالت إنّ تشيزيل طلب منها ألّا تتّصل بالشرطة بشأن هؤلاء المتسلّلين، لكنّها تقول إنّها ستفعل بنفسها إذا لم يتصرّف. تجهل كينفارا أنّ تشيزيل أوكل إلينا القضيّة.
بالمناسبة، اعتقدَت أنّني حقًّا فينيسيا هول. وأيضًا، من المحتمل أن تكون اللجنة الخيرية تحقق في أعمال ليفيل بليينغ فيلد. أحاول الحصول على مزيد من التفاصيل.

لم ينجح هذا التواصل سوى في إغضاب سترايك. وحده دليل ملموس يدين غيرينت وين من شأنه أن يرضيه في الوقت الحاضر، خصوصًا وأنّ صحيفة الصن تحوم حول تشيزيل الذي يزداد قلقه وتوتّره.

وفقًا لباركلي، يمتلك جيمي نايت سيّارة سوزوكي ألتو عمرها عشر سنوات لم تنجح في اجتياز الفحص التقني فتوقّف عن التجوال بها. لم يستطع باركلي أن يؤكد تمامًا أنّ جيمي لم يتسلّل تحت جنح الظلام للتعدّي

على حدائق تشيزيل وغاباته التي تبعد سبعين ميلًا، لكنّ سترايك استبعد الأمر، مع أنّه لم يستبعد تمامًا أن يكون جيمي أرسل شخصًا بدلًا منه لتخويف زوجة تشيزيل. من المرجّح أنّه ما زال لديه أصدقاء أو معارف في المنطقة التي نشأ فيها. والفكرة الأكثر إثارة للقلق هي أنّ بيلي هرب من السجن الذي حدّث سترايك عنه، سواء كان ذلك السجن حقيقيًا أو وهميًا، وقرّر أن يبحث عن دليل على أنّ الطفل يرقد في بطّانية وردية بجوار كوخ والده القديم أو قرّر بسبب نوبة ذهانية أن يضرب أحد خيول كينفارا بالمجرفة.

خلّف قلق سترايك من النقاط التي لا يمكن تفسيرها في هذه القضيّة، ومن اهتمام صحيفة الصن بالوزير، ومن إدراكه أنّ وكالته ليست أقرب إلى تأمين «ورقة مساومة» ضدّ أيّ من مبتزّي تشيزيل ممّا كانت عليه في اليوم الذي قبل فيه سترايك المهمّة، شعورًا بأنّه لم يكن أمامه خيار سوى أخذ جميع الاحتمالات في الاعتبار. على الرغم من تعبه وألم عضلاته وشكّه القويّ في أنّ مسيرة الاحتجاج لن تسفر عن أيّ شيء مفيد، جرّ سترايك نفسه من السرير صباح يوم السبت، وربط طرفه الاصطناعي على جذعه المنتفخ قليلًا من الآن ومنع نفسه من التفكير في ساعات المشي التي تنتظره وعدم رغبته في القيام بها، وانطلق إلى متنزّه مايل أند بارك. لمّا أصبح على مسافة كافية من حشد المتظاهرين تسمح له بالتعرّف إلى الأفراد، أخرج من الحقيبة التي كانت تتأرجح في يده قناع جاي فوكس بلاستيكيًا، أبيض مع حاجبين متعرّجين وشاربين، ارتبط بشكل أساسي بمنظمة القرصنة أنونيموس (مجهول الهويّة)، ووضعه على وجهه. لفّ الحقيبة المحمولة على شكل كرة، ورماها في سلّة نفايات، ثمّ انطلق نحو مجموعة الرايات واللافتات: «لا صواريخ على المنازل!»، «لا قنّاصة في الشوارع!»، «لا تتلاعبوا بحياتنا!»، و«يجب أن يرحل!» على تلك التي تحمل وجه رئيس الوزراء. لطالما وجدت قدم سترايك الاصطناعية أنّ العشب هو أحد أصعب السطوح في المشي. كان يتصبّب عرقًا عندما رأى أخيرًا لافتات مجلس معارضة الألعاب الأولمبية البرتقالية، مع شعار الحلقات الأولمبية المكسورة. وقد بلغ عددها حوالي عشر. توارى سترايك خلف مجموعة من الشبّان الثرثارين، وأعاد ضبط قناعه البلاستيكي

المنزلق الذي لم يصمَّم لرجل كسر أنفه، ورأى جيمي نايت يتحدّث إلى امرأتين شابّتين، رمت كلتاهما برأسيهما إلى الوراء وقد أضحكهما ما قاله. ثبّت سترايك القناع على وجهه للتأكّد من محاذاة الشقين مع عينيه، وتفحّص بقيّة أعضاء مجلس معارضة الألعاب الأولمبية وخلص إلى أنّ عدم وجود كتلة الشعر الأحمر بلون الطماطم لم يكن لأنّ فليك صبغت شعرها بلون مختلف، بل لأنّها لم تحضر إلى التظاهرة.

بدأ المضيفون الآن بجمع الحشد في ما يشبه الخطّ المستقيم. ودخل سترايك كتلة المتظاهرين كشخصية صامتة متثاقلة، يتصرّف بعزم دفع المنظّمين الشباب، الذين هالهم حجمه، إلى معاملته كصخرة يجب أن يوجّه التيّار حولها، فيما اتّخذ هو موقعًا خلف مجلس معارضة الألعاب الأولمبية مباشرة. رفع صبيّ نحيل يضع هو أيضًا قناع «المجهول» إبهاميه إلى الأعلى تحيّة لسترايك ثمّ تمّ توجيهه نحو مؤخّرة الخط. وردّ سترايك على تحيّته.

واصل جيمي المزاح مع الفتاتين الواقفتين إلى جانبه اللتين كانتا تتنافسان على جذب انتباهه، وهو يدخّن سيجارة لفّها بنفسه. حملت الفتاة الأكثر سمرة، وهي جذابة جدًّا، لافتة بوجهين عليها لوحة مفصّلة للغاية رسمها ديفيد كاميرون لهتلر يطلّ على الاستاد الأولمبي في عام 1936. كانت قطعة فنّية رائعة، وتسنّى لسترايك الوقت الكافي للنظر إليها بإعجاب إلى أن انطلق الموكب أخيرًا بوتيرة ثابتة، محاطًا بالشرطة والمضيفين الذين يرتدون سترات تسهّل رؤيتهم بوضوح، وانتقل تدريجًا من الحديقة إلى رومان رود الطويل المستقيم.

كان المشي على الطريق المعبّد أسهل قليلًا على طرف سترايك الاصطناعي، إلّا أنّ جذعه كان لا يزال ينبض. بعد دقائق قليلة، ارتفعت أنشودة: «أخرجوا الصواريخ! أخرجوا الصواريخ!».

ومشى مصوّران صحافيان إلى الخلف على الطريق أمامهم، يلتقطان صورًا للجزء الأمامي من المسيرة.

سأل جيمي الفتاة التي تحمل لافتة هتلر المرسومة باليد: «ليبي. هل تريدين الجلوس على كتفيّ؟».

ولاحظ سترايك حسد صديقتها الذي لم تحسن إخفاءه بينما جثم جيمي حتى تتمكّن ليبي من الجلوس على رقبته وترتفع فوق الحشد، رافعةً رايتها عاليًا بما فيه الكفاية كي يراها المصوّران أمامهما.

صرخ لها جيمي: «أظهري لهما ثدييك، وسنظهر في الصفحة الأولى!» فصرخت: «جيمي!» في غضب زائف. أجبرت صديقتها نفسها على الابتسام. نقرت الكاميرات، حاول سترايك المكشّر من الألم خلف قناعه البلاستيكي، ألّا يعرج بوضوح.

قال جيمي، عندما أنزل الفتاة أخيرًا إلى الأرض: «الرجل صاحب الكاميرا الأكبر ركّز عليك طوال الوقت».

وقالت الفتاة بحماسة: «اللعنة، إذا ظهرت في الصحف فستفقد أمّي صوابها»، قبل أن تستعيد مكانها إلى جانبه، واغتنمت أيّ فرصة لوكزه أو صفعه فيما كان يضايقها بشأن خوفها من ردّ فعل والديها. قدّر سترايك أنّها كانت أصغر منه بخمسة عشر عامًا على الأقلّ.

«هل تستمتع بوقتك يا جيمي؟».

حدّ القناع من رؤية سترايك المحيطية، فلم يدرك أنّ فليك قد انضمّت إلى المسيرة إلّا عندما ظهر الشعر الأحمر الأشعث أمامه مباشرة. وفاجأ ظهورها غير المتوقع جيمي أيضًا. فقال مظهرًا سروره بشكل ضعيف: «ها أنتِ ذي!».

حدّقت فليك في الفتاة التي تُدعى ليبي، التي ارتهبت فتسارعت خطاها.

حاول جيمي أن يضع ذراعه حول فليك، لكنّها صدّته. فقال لها: «إيه!» متظاهرًا بسخط بريء. «ما بك؟» فزمجرت فليك: «ثلاثة تخمينات أيّها السخيف».

لاحظ سترايك أنّ جيمي كان يحاول أن يقرّر بأيّ طريقة يجب أن يتعامل معها. فقد أظهر وجهه الوسيم الزقاقي غيظه وأيضًا، برأي سترايك، بعض الحذر. للمرّة الثانية، حاول أن يحيطها بذراعه. وهذه المرّة، ضربته على ذراعه لتبعده عنها.

فقال مرّة أخرى، بعنف هذه المرة. «اللعنة لماذا فعلتِ هذا؟». «أذهب أنا لأقوم بعملك القذر وأنت تعبث معها؟ أتحسَبني غبيّة يا جيمي؟».

صرخ أحد المضيفين في مكبّر الصوت: «أخرجوا الصواريخ!» وأطلق الحشد الأنشودة مجدّدًا. كانت صرخات المرأة ذات قصّة الشعر الماهيكانية بجانب سترايك حادّة وصاخبة كصراخ الطاووس. وجد سترايك في هذا الهتاف المتتالي أمرًا إيجابيًا إذ إنّه سمح له أن يئنّ من الألم بحرّية كلّما وضع قدمه الاصطناعية على الطريق المعبّد، ما جعله يشعر بنوع من الارتياح وجعل القناع البلاستيكي يرتجف ويدغدغ وجهه المتعرّق. حدّق سترايك من خلال ثقبَي العينين، وراقب جيمي وفليك يتجادلان، لكنّه لم يستطع سماع كلمة واحدة بسبب ضجيج الحشد. ولم يتبيّن شيئًا ممّا كانا يقولانه إلّا عندما خمد الهتاف أخيرًا. سمع جيمي يقول:

– لقد سئمت من هذا. لست أنا من واعد الطلّاب في الحانات عندما...

قالت فليك بنوع من الصراخ الهامس:

– كنت قد تخلّيت عنّي! تخلّيت عنّي! أخبرتني أنّك لا تريد أيّ علاقة حصرية...

ردّ عليها جيمي بخشونة:

– قلتها بدافع حرارة الموقف. كنت متوتّرًا. أثار بيلي أعصابي. لم أتوقع منك أن تذهبي مباشرة إلى الحانة وتغازلي شابًا لعينًا...

– أخبرتني أنّك سئمت...

– بحق السماء، فقدت أعصابي وتفوّهت بهراء لم أقصده. لو ذهبت وغازلت امرأة أخرى كلما تشاجرت معك...

– نعم، في الواقع، أعتقد أحيانًا أنّك تبقيني إلى جانبك فقط من أجل تشيز...

– اخفضي صوتك اللعين!

– ... واليوم، أتعتقد أنّ الأمر كان ممتعًا في منزل ذلك السافل...

– قلت إنّني ممتنّ لك، وناقشنا الأمر، أليس كذلك؟ كان عليّ أن أطبع تلك المنشورات وإلّا كنت رافقتك...

ثمّ أضافت في تنهيدة مفاجئة:

– وأقوم بذلك التنظيف، وهو أمر مثير للاشمئزاز، وبعد ذلك أرسلتني اليوم... كان الأمر فظيعًا، يا جيمي، يجب أن يكون في المستشفى، إنّه في حال...

نظر جيمي حولهما.

عند دخوله لفترة وجيزة في مجال نظر جيمي، حاول سترايك المشي بشكل طبيعي، على الرغم من أنّه كلّما اتكأ بثقله كله على جذعه، شعر كأنّه يدوس على ألفٍ من النمل الناري.

قال جيمي:

– سننقله إلى المستشفى بعد ذلك. سنفعل، لكنّه سيفسد كلّ شيء إذا أطلقنا سراحه الآن، تعرفين كيف يتصرّف... ما إن يحصل وين على تلك الصور...

ثمّ قال بلطف، وهو يضع ذراعه حولها للمرّة الثالثة:

– اسمعي. أنا ممتنّ جدًّا لك.

فأجابته بصوت مخنوق:

– أجل – وهي تمسح أنفها بظهر يدها – من أجل المال، لأنّك ما كنت لتعلم حتى ما الذي فعله تشيزيل لو...

سحبها جيمي بقوّة نحوه وقبّلها. قاومت لثانية ثمّ فتحت فمها. تواصلت القبلة واستمرّت أثناء سيرهما. وتمكّن سترايك من رؤية لسان كلٍّ منهما يتحرّك في فم الآخر. ترنّحا قليلًا أثناء سيرهما ملتحمين بينما ابتسم أعضاء مجلس معارضة الألعاب الأولمبية الآخرون، وبدت الفتاة التي رفعها جيمي في الهواء في قمة الخيبة.

غمغمت فليك أخيرًا «جيمي» عندما انتهت القبلة، لكنّ ذراعه كانت لا تزال تلفّها. أصبحت نظراتها الآن مغوية وغارقة في الشهوة، وتحوّل كلامها إلى اللطف.

– أعتقد أنك يجب أن تذهب إليه وتتحدّث معه، حقًّا. فهو لا ينفكّ يتكلّم عن ذلك المحقّق اللعين.

فقال جيمي: «ماذا؟» على الرغم من أن سترايك كان واثقًا من أنّه سمعها.

– سترايك. ذلك الجندي اللقيط بساق واحدة. بيلي لا ينفكّ يركّز عليه. يعتقد أنّه هو من سينقذه.

ظهرت نقطة نهاية المسيرة في الأفق أخيرًا: بو كوارتر في شارع فيرفيلد، حيث ارتفع في الأفق برج مربّع من الطوب لمصنع قديم لعيدان الكبريت، وهو الموقع المقترح لتخزين بعض الصواريخ، موضوع المسيرة.

كرّر جيمي بازدراء: «إنقاذه؟ بحق السماء! إنّه لا يتعرّض للتعذيب!».

بدأ المتظاهرون يخرجون من صفوفهم، وتفرّقوا في حشد لا شكل له على ضفاف بركة خضراء دكناء أمام الموقع المقترح لتخزين الصواريخ. كان سترايك مستعدًّا لأيّ شيء مقابل الجلوس على مقعد أو الاتّكاء على شجرة، كما يفعل العديد من المتظاهرين، بغية رفع ضغط وزنه عن جذعه. فالجلد في أسفل جذعه قد التهب لإنّه لم يكن سميكًا كفاية حتى يتحمّل وزن جسمه، وكانت الأوتار في ركبته تحتاج إلى كيس من الثلج وإلى الراحة. بدلًا من ذلك، عرج مقتفيًا أثر جيمي وفليك وهما يمشيان على هامش الحشد، مبتعدين عن زملائهما في مجلس معارضة الألعاب الأولمبية.

وسمع فليك تقول: «أراد أن يراك وأخبرته أنّك مشغول، فأخذ بالبكاء. كان الأمر مروّعًا يا جيمي».

اقترب سترايك من جيمي وفليك متظاهرًا بأنّه يراقب شابًّا أسود يحمل ميكروفونًا، كان يصعد على خشبة المسرح في مقدّمة الحشد.

قال جيمي لفليك:

– سأعتني ببيلي عندما أحصل على المال.

بدا الشعور بالذنب والاضطراب بوضح على جيمي الذي أكمل قائلًا:

– بالطبع سأعتني به... وبكِ. لن أنسى ما قمتِ به لأجلي.

راقها هذا الكلام. ورأى سترايك من زاوية عينه وجهها الوضيع يحمرّ من الإثارة. أخذ جيمي علبة تبغ وبعض أوراق اللفّ من ماركة ريزلا من جيبه الجينز وبدأ يلفّ سيجارة أخرى.

– ما زال يتحدّث عن ذلك المحقّق اللعين، أليس كذلك؟

– أجل.

أشعل جيمي سيجارته وأخذ يدخّن في صمت لفترة من الوقت، وعيناه تجولان على الحشد.

ثم قال فجأة:

– أتعرفين؟ سأذهب لرؤيته الآن. لتهدئته قليلًا. نحتاج أن يبقى هادئًا حاليًا ولفترة. هل أنت قادمة؟

مدّ يده فأمسكتها فليك مبتسمة، وابتعدا. سمح لهما سترايك بالابتعاد لفترة قصيرة، ثمّ خلع القناع وقميصه ذا القلنسوة الرمادي القديم، واستبدل الأول بالنظارة الشمسية التي كان قد وضعها في جيبه لهذا الغرض وانطلق وراءهما، ملقيًا القناع والقلنسوة فوق لافتاتهما.

اختلفت سرعة جيمي في المشي الآن تمامًا عن المسيرة الهادئة، ما أجبر فليك على الركض بين الحين والآخر لتواكبه، وسرعان ما بدأ سترايك يصرّ على أسنانه عندما احتكّت النهايات العصبية عند الجلد الملتهب في نهاية جذعه بالطرف الاصطناعي، فيما عضلات فخذيه المرهَقة تئنّ احتجاجًا.

بات يتصبّب عرقًا، وأصبحت مشيته أكثر فأكثر غرابةً. بدأ المارّة يحدّقون به. وشعر بفضولهم وشفقتهم فيما يجرّ ساقه الاصطناعية. كان يعلم جيّدًا أنّه كان يجب عليه أن يمارس تمارينه الفيزيائية اللعينة، وأن يلتزم بقاعدة عدم أكل الرقائق، وأنّه لو كان في عالم مثالي لكان في إجازة اليوم، يستريح، بدون طرفه الاصطناعي، فيما يضع كمادات الثلج على جذعه. لكنّه استمرّ في العرج، رافضًا الاستماع إلى جسده يتوسّل إليه أن يتوقف، وتزايدت المسافة بينه وبين جيمي وفليك، وأصبحت الحركة التعويضية للجزء العلوي من جسده وذراعيه مثيرة للضحك. جلّ ما كان يتمنّاه في تلك اللحظة هو ألّا يلتفت جيمي أو فليك وينظرا وراءهما، لأنّه سيكون من المستحيل أن

يظلّ متخفّيًا إذا رأياه يتأرجح على هذا النحو. رآهما يدخلان محطّة بو، وهي مبنى صغير من الطوب الأحمر، اختفيا داخلها، بينما كان يشتم ويلهث على الجانب الآخر من الطريق.

عندما نزل عن الرصيف، أصيب بألم مبرّح في مؤخّر فخذه اليمنى، كما لو أنّ سكّينًا شقّ عضلته. التوت ساقه وسقطت يده الممدودة على طول الأسفلت، وارتطم وركه وكتفه ورأسه بالطريق. في مكان ما في الجوار صرخت امرأة من الخوف. ربّما ظنّ المتفرّجون أنّه مخمور. فقد حدث ذلك عندما سقط ذات مرّة. زحف سترايك إلى الرصيف مذعورًا، يئنّ من الألم، ويعتريه شعور بالإهانة والغضب. سحب ساقه اليمنى بعيدًا من طريق السيّارات القادمة. اقتربت شابّة منه باضطراب لمعرفة ما إن كان بحاجة إلى المساعدة، فصاح بها، ثمّ ندم على فعلته. قال لها بصوت خشن: «آسف»، لكنّها كانت ابتعدت مسرعة مع صديقتيها.

جرّ نفسه بعدها إلى الدرابزين الذي يحدّ الرصيف وجلس متّكئًا على المعدن، ينزف ويتصبّب عرقًا. شكّ في ما إن كان سيتمكّن من الوقوف مجدّدًا من دون مساعدة. مرّر يديه على الجزء الخلفي من جذعه، فأحسّ بتورّم بيضوي. خمّن متأوّهًا أنّه أصيب بمزق في أوتار ركبته، وشعر بالغثيان من شدّة الألم.

سحب هاتفه الجوّال من جيبه، كانت الشاشة قد تصدّعت بعد أن سقط عليها.

تمتم: «اللعنة، على كلّ شيء». وأغمض عينيه وحنى رأسه للخلف على المعدن البارد.

وفيما افترض المارّة الذين كانوا يجولون بقربه أنّه متشرّد أو مخمور، جلس بلا حراك لعدّة دقائق، يقيّم بصمت خياراته المحدودة. أخيرًا، فتح عينيه وقد اعتراه شعور بأنّه محاصر تمامًا، ومسح وجهه بساعده، وطلب رقم لوريلاي.

23

... يتألّم ويعاني في كآبة زواجٍ كهذا...

هنريك إبسن، روسميرشولم

بأثرٍ رجعي، علمت روبن أنّ عطلة نهاية الأسبوع السنوية الخاصّة بها قد حُكم عليها بالفشل من قبل أن تبدأ، منذ كانت في سرداب مجلس العموم، حين رفضت طلب سترايك تعقّب جيمي.

في محاولة للتخلّص من إحساسها بالذنب، أخبرت ماثيو بطلب سترايك عندما جاء لاصطحابها بعد العمل. شنّ ماثيو، الذي كان متوتّرًا بسبب حركة المرور لأنّه لا يحبّ السير باللاند روفر مساء الجمعة، هجومًا على سترايك، وسألها عن سبب شعورها بالسوء بعد كلّ أعمال السخرة التي قامت بها من أجله طوال العامين الماضيين، ومضى في انتقاد سترايك بشراسة أجبرت روبن على الدفاع عنه. كانا لا يزالان يتجادلان بشأن وظيفتها بعد ساعة، عندما لاحظ ماثيو فجأة غياب خاتمي الزفاف والخطوبة عن يد روبن اليسرى التي كانت تومئ بها. فهي لم تضعهما عندما كانت تؤدّي دور فينيسيا هول العازبة، وقد نسيت تمامًا أنّها لن تتمكّن من استعادتهما من المنزل في شارع ألبوري قبل الانطلاق إلى الفندق.

صرخ ماثيو: «إنّها ذكرى زواجنا السنوية اللعينة وتعجزين حتى عن التذكّر أن تضعي خاتميك؟».

وصلا إلى خارج الفندق المكسو بالقرميد الذهبي الناعم بعد ساعة ونصف. فتح رجل مبتهج يرتدي زيّ الفندق الباب لروبن. كانت عبارة «شكرًا لك» تكاد تكون غير مسموعة بسبب الكتلة القاسية التي تكوّنت بدافع الغضب في حلقها.

بالكاد تحدّثا أثناء العشاء الذي أعدّه طاهٍ حائز نجمة ميشلان. نظرت روبن، التي بدت كأنّها تأكل البوليستيرين والغبار، إلى الطاولات المجاورة. كانت هي وماثيو أصغر زوجين في المطعم، وتساءلت عمّا إن كان أيّ من هؤلاء الأزواج والزوجات مرّ بهذا النوع من التدهور في علاقته الزوجية، ونجا منها.

ناما ظَهرًا إلى ظَهر تلك الليلة.

استيقظت روبن يوم السبت مدركةً أنّ كلّ لحظة في الفندق، وكلّ خطوة عبر الأراضي المزروعة بشكل جميل، مع ممشى اللافندر، والحديقة اليابانية، والبستان وأسرّة الخضار العضوية، كانت تكلّفهما ثروة صغيرة. ربّما فكّر ماثيو في الأمر نفسه، لأنّه اعتمد تصرّفًا مشجّعًا للتصالح عند تناول الإفطار. ومع ذلك، شعرت روبن بأنّ محادثتهما محفوفة بالمخاطر، تدخل بانتظام منطقة خطرة فيتراجعان منها على عجل. بدأ صداع التوتّر ينبض بقوّة على صدغي روبن، لكنّها لم ترغب في أن تطلب مسكّنًا للألم من موظفي الفندق، لأنّ أيّ علامة انزعاج قد تؤدّي إلى شجار آخر. تساءلت عمّا ستكون عليه الحال لو كان لديهما يوم زفاف وشهر عسل يمكنهما أن يتذكّراه بأمان. استقرّا في النهاية على الحديث عن وظيفة ماثيو وهما يجولان في الحديقة.

فقد تقرّر أن تقام مباراة كريكيت خيرية بين شركته وشركة أخرى يوم السبت التالي. وماثيو، الذي يحسن لعب الكريكيت كما يحسن لعب الركبي، يتطلّع بشدّة إلى المباراة. استمعت روبن إلى تفاخره ببراعته ونكاته بشأن عدم براعة توم في لعبة البولينغ، وضحكت في اللحظات المناسبة وأطلقت أصوات الموافقة، فيما تساءل جزء بارد وبائس منها عمّا يحدث الآن في بو وهل ذهب سترايك إلى المسيرة، وحصل على أيّ شيء مفيد عن جيمي، وتساءلت كيف انتهى الأمر بها، هي روبن، مع الرجل الأناني المتفاخر الذي يمشي إلى جانبها، ويذكّرها بصبيّ وسيم أحبّته في الماضي.

للمرّة الأولى على الإطلاق، مارست روبن الجنس مع ماثيو في تلك الليلة لمجرّد أنّها لا تستطيع مواجهة الخلاف الذي قد ينجم عن رفضها لذلك. كانت هذه الذكرى السنوية لزواجهما، وكان عليهما ممارسة الجنس في عطلة نهاية الأسبوع، فجاءت العملية كمن يضع ختم كاتب العدل على وثيقة قانونية، وولّدت القدر ذاته من المتعة لا أكثر. لسعت الدموع عينيها عندما بلغ ماثيو ذروته، وتساءلت تلك النفس الباردة التعيسة المدفونة بعمق في جسدها المطيع لماذا لا يشعر بتعاستها، حتى وإن كانت تبذل كل ذلك المجهود للتظاهر بالسعادة، وكيف يمكن أن يتخيّل أنّ زواجهما ناجح.

وضعت ذراعها على عينيها المبلّلتين في الظلام بعد أن تدحرج عنها وقال جميع ما يقال من كلمات في تلك اللحظات. وللمرّة الأولى، عندما قالت «أنا أيضًا أحبّك»، عرفت بدون أيّ شكّ أنّها تكذب.

ما إن غفا ماثيو، حتى مدّت روبن بحذر شديد يدها في الظلام لتلتقط الهاتف الذي وضعته على المنضدة بجانب السرير، وتفقّدت رسائلها النصّية. لم تجد أيّ رسالة من سترايك. بحثت في غوغل عن صور المسيرة في بو ورجّحت أنّها تعرّفت، وسط الحشد، إلى رجل طويل القامة بشعر أجعد مألوف، يرتدي قناع غاي فوكس. قلبت جوالها على الطاولة المجاورة للسرير لتعتيم ضوئه، وأغمضت عينيها.

24

... نوبات شغفها الجامحة التي تعجز عن السيطرة عليها – التي توقّعت منّي أن أبادلها إيّاها...

هنريك إبسن، روسميرشولم

عاد سترايك إلى غرفتيه العلويّتين في شارع الدنمارك بعد ستّة أيّام، في وقت مبكر من صباح يوم الجمعة. مشى متّكئًا على عكّازين، طرفه الاصطناعي في حقيبة تُحمل على الكتف وساق بنطلونه اليمنى مطويّة ومثبّتة بالدبابيس، وقد اعتلى وجهه تعبير يرمي إلى صدّ نظرات التعاطف الجانبية التي رمقه بها المارّة وهو يتأرجح في الشارع القصير متّجهًا إلى الرقم 24.

لم يقابل الطبيب. اتّصلت لوريلاي بعيادتها المحلّية بمجرّد أن نجحت هي وسائق الأجرة الذي أكرمته بسخاء، في مساندة سترايك ليصل إلى الطابق العلوي من شقتها، لكنّ الطبيب العامّ طلب منه أن يحضر إلى عيادته لإجراء فحص.

صاح سترايك في الهاتف: «ماذا تريد منّي أن أفعل، أن أقفز إلى هناك؟ إنّها أوتار الركبة، أشعر بها. أعرف ما يجب القيام به: الراحة، والثلج، وكلّ ذلك الهراء. لقد فعلت ذلك من قبل».

أجبر سترايك على كسر قاعدة عدم قضاء ليلتين متتاليتين في شقّة امرأة، وأمضى أربعة أيّام كاملة وخمس ليالٍ عند لوريلاي. الآن هو نادم على ذلك، ولكن هل كان أمامه خيار؟ فقد علق، كما كان تشيزيل ليقول، حيث «الهاوية أمامك والذئاب خلفك». كان من المفترض أن يتناولا العشاء هو ولوريلاي ليلة السبت. بعدما اختار أن يخبرها بالحقيقة بدلًا من تقديم الأعذار لعدم مقابلتها، اضطرّ لأن يسمح لها بالمساعدة. كم يتمنّى لو أنّه اتّصل هاتفيًا بصديقيه القديمين نيك وإلسا، أو حتى بشانكر، لكنّ الأوان قد فات، والضرر قد وقع.

لم يكن ذلك الأحساس بأنّه غير منصف وعديم الامتنان تجاه لوريلاي ما ينقص سترايك كي يعكّر مزاجه أكثر بعد، وهو يجرّ نفسه وكيسه الكبير على الدرج. على الرغم من أنّ إقامته في شقة لوريلاي كانت ممتعة جدًا، فقد اكفهرّ الجوّ في الليلة الماضية، وكان هو المسؤول الوحيد عن ذلك. هو من سمح بحدوث ذلك، الأمر الذي حاول تجنّبه منذ أن قطع علاقته بشارلوت، سمح بحدوثه لأنّه تخلّى عن حذره، وقبِل أكوابَ الشاي، والوجبات المطبوخة في المنزل، والمودّة اللطيفة، حتى همست أخيرًا، الليلة الماضية في الظلام، على صدره العاري: «أحبّك».

كاد سترايك يسقط في شقته بدل أن يدخلها، بفعل الجهد الذي بذله للحفاظ على توازنه على عكّازيه وهو يفتح باب المنزل. صفق الباب خلفه، وأسقط الحقيبة أرضًا، وعبر إلى الكرسيّ الصغير على طاولة الفورميكا في غرفة جلوسه المتاخمة للمطبخ، وتهافت عليه ملقيًا عكّازيه جانبًا. شعر بالارتياح لوجوده في المنزل وحيدًا، على الرغم من الصعوبة التي سيواجهها في تدبير أموره بينما ساقه في هذه الحال. كان يُفترض به أن يعود في وقت أبكر بالطبع، لكن بما أنّه كان في حالة انزعاج شديد، عاجز عن تعقّب أيّ شخص، وجد من الأسهل أن يظلّ جالسًا على كرسيّ مريح بذراعين، ملقيًا جذعه على وسادة مربّعة كبيرة، يرسل رسائل نصّية بتعليماته إلى روبن وباركلي بينما تحضر له لوريلاي الطعام والشراب.

أشعل سترايك سيجارة وفكّر في كلّ النساء اللواتي عاشرهنّ منذ أن ترك شارلوت. أولًا، سيارا باركر، أمضى معها ليلة واحدة رائعة، ولم يندم أيّ من الجانبين. بعد أسابيع قليلة من ظهوره في الصحف بعد أن حلّ قضيّة لاندري، اتّصلت به سيارا. فقد ارتقى في ذهن العارضة من مجرّد عشيق ليلة واحدة إلى صديق محتمل بسبب ثناء الصحف عليه، لكنّه رفض الخروج معها. فالصديقات الطامعات في الظهور في الصور معه لا يناسبن مجال عمله.

بعد ذلك جاءت نينا، التي كانت تعمل في دار نشر، وقد استغلّها للحصول على معلومات بشأن إحدى قضاياه. الآن وهو يستعيد علاقتهما في ذاكرته، يفكّر أنّ نينا راقته لكن ليس بما فيه الكفاية كي يقدّرها. لقد جرح مشاعرها. ومع أنّه لم يكن فخورًا بذلك، لم يقضّ الأمر مضجعه في الليل.

كانت إيلين مختلفة وجميلة، والأفضل من ذلك كله، مناسبة، ولهذا السبب بقي معها لبعض الوقت. كانت بصدد الطلاق من رجل ثريّ وتحتاج إلى التكتّم وإلى تجزئة أوجه حياتها بقدر ما يحتاج هو إلى ذلك. لقد تمكّنا من البقاء معًا لبضعة أشهر قبل أن يسكب النبيذ عليها ويخرج من المطعم حيث كانا يتناولان العشاء. وقد اتّصل بها بعد ذلك للاعتذار لكنّها تخلّت عنه قبل أن ينهي جملته. وبما أنّه أهانها في مطعم غافروش وترك لها فاتورة مصبغة ضخمة، شعر بأنّه لم يكن من اللائق أن يردّ: «هذا ما كنت سأقوله في ما بعد».

بعد إيلين جاءت كوكو، التي يرى أنّه من الأفضل عدم التوقّف عندها، والآن لوريلاي. ولوريلاي تروقه أكثر من أيّ منهنّ، ولهذا السبب يشعر بالأسف لأنّها هي التي قالت له: «أحبّك».

قبل عامين قطع سترايك وعدًا على نفسه، وقد قطع وعودًا قليلة جدًا، لأنّه واثق بأنّه سيفي بها. هو الذي لم يقل «أحبّك» لأيّ امرأة سوى شارلوت، لن يقول ذلك لامرأة أخرى ما لم يكن يعلم، بما لا يدع مجالًا للشك، أنّه يريد البقاء مع تلك المرأة وأن يعيش حياته معها. فإن قالها في ظروف أقلّ جدّية لبدا كلّ ما مرّ به مع شارلوت تافهًا. وحده الحبّ يمكن أن يبرّر الفوضى التي عاشاها معًا، أو المرّات العديدة التي استأنف فيها العلاقة، وروحه مقتنعة تمامًا بأنّها لن تنجح. فالحبّ في نظر سترايك هو ألم وحزن منشودان، قبل

بهما وتحمّلهما. وذلك لم يكن موجودًا في غرفة نوم لوريلاي، مع راعيات البقر على الستائر.

لذلك لم يقل شيئًا بعد تصريحها الهامس، ثمّ، عندما سألت هل سمعها، قال: «نعم، سمعت».

مدّ يده إلى سجائره. «نعم، سمعت». في الواقع، كان صادقًا في جوابه. لم يشكُ سمعه من أيّ شائبة. بعد ذلك، ساد صمت طويل إلى حدّ ما، ثمّ نهضت لوريلاي من السرير وذهبت إلى الحمّام ومكثت فيه ثلاثين دقيقة. افترض سترايك أنّها دخلته لتبكي، على الرغم من أنّها لطفت به فقامت بذلك بهدوء، حتى لا يسمعها. بقي مستلقيًا في السرير، يتساءل أيّ أمر لطيف وصادق في الوقت ذاته يمكن أن يقوله لها، وهو يعلم أنّه ما من عبارة دون «وأنا أيضًا أحبّك» ستكون مقبولة، والحقيقة هي أنّه لا يحبّها، وأنّه لن يكذب عليها.

عندما عادت إلى السرير، مدّ يده إليها. تركته يربّت كتفها لفترة، ثمّ أخبرته أنّها متعبة وتحتاج إلى قسط من النوم.

ثم سأل محققة خيالية تشبه بشدّة أخته لوسي: ماذا كان من المفترض أن أفعل؟

وجاء الردّ الدنيء: يمكنك أن تحاول عدم قبول الشاي والمداعبة الفموية، فأجاب سترايك، مع خفقان جذعه: اللعنة عليك.

رنّ جوّاله. كان قد ألصق الشاشة المحطّمة، ومن خلال هذا الدرع المشوّه رأى رقمًا مجهولًا.

– سترايك.

– مرحبًا يا سترايك، أنا كولبيبر.

دومينيك كولبيبر، الذي كان يعمل في صحيفة أخبار العالم حتى إغلاقها، وفّر لسترايك بعض العمل في الماضي. وأصبحت العلاقة بينهما – التي لم تكن دافئة على الصعيد الشخصي – عدائية بعض الشيء عندما رفض سترايك أن يطلع كولبيبر على التفاصيل الداخلية في آخر قضيّتي قتل عمل على حلّهما. يعمل كولبيبر الآن في صحيفة الصن، وكان أحد الصحافيين الأكثر حماسة لكشف حياة سترايك الشخصية في أعقاب اعتقال سفّاح شاكلويل.

قال كولبيبر:

– أتساءل إن كان بإمكانك أن تقوم بعمل من أجلنا.

يا لك من وقح.

– ما الذي تبحث عنه؟

– البحث عن أمور قذرة ربّما قام بها وزير في الحكومة.

– أيّ وزير؟

– ستعرف إذا تولّيت المهمّة.

– أنا مشغول للغاية في الوقت الحاضر. عن أيّ نوع من الأمور نتحدّث؟

– هذا ما نريدك أن تكتشفه.

– كيف تعرف أنّ هناك أمورًا قذرة؟

– مصدر موثوق.

– لماذا تحتاج إليّ إن كان لك مصدر موثوق؟

– هو ليس مستعدًّا للتحدّث. لمّح للتوّ إلى وجود أمور يمكن اكتشافها. أمور كثيرة.

قال سترايك:

– آسف، لا يمكنني أن أفعل ذلك يا كولبيبر. أنا مشغول جدًا.

– هل أنت واثق من ذلك؟ سندفع مبلغًا كبيرًا يا سترايك.

قال المحقق وهو يشعل سيجارة ثانية من رأس الأولى:

– أتدبّر أمري جيّدًا هذه الأيّام.

– لا، أراهن أنّ هذا غير صحيح أيّها الوغد. حسنًا، سأوكل المهمّة إلى باترسون. أتعرفه؟

سأل سترايك:

– الشرطي السابق؟ التقيت به مرّتين أو ثلاثًا.

انتهت المكالمة مع تمنّيات طيّبة متبادلة غير صادقة، تاركة لدى سترايك شعورًا متزايدًا بالخطر. بحث سترايك في غوغل عن اسم كولبيبر ووجد أنّه كان قد كتب مقالة عن «ليفل بلاينغ فيلد» من أسبوعين.

بالطبع، من الممكن أن يكون أكثر من وزير في الحكومة معرّضًا لخطر أن تكشف «الصن» ارتكابه جريمة بحق الذوق أو الآداب العامّة، لكنّ مقالة كولبيبر عن عائلة وين توحي بقوّة بأنّ روبن كانت محقّة في الاشتباه في أنّ غيرينت هو من أعطى المعلومات لصحيفة «الصن»، وأنّ تشيزيل هو من سيكون موضوع تحقيقات باترسون قريبًا.

تساءل سترايك عمّا إن كان كولبيبر يعرف أنّه يعمل لحساب تشيزيل، وإن كان قصد بمكالمته استخراج المعلومات منه بدافع المفاجأة، لكنّه استبعد الأمر. كان غباءً شديدًا من الصحافي أن يخبر سترايك بمن سيوظّف، لو كان يعلم أنّ سترايك يعمل بالفعل لمصلحة الوزير.

عرف سترايك عن ميتش باترسون من خلال ما ذاع من صيته. وقد استُخدما مرّتين للعمل في قضيّتي طلاق، كلّ منهما لمصلحة أحد الزوجين، في العام الماضي. باترسون ضابط كبير سابق في شرطة العاصمة «تقاعد باكرًا»، له شعر فضّي شابَ قبل أوانه ووجه كلب غاضب. على الرغم من كون باترسون بغيضًا على الصعيد الشخصي، بحسب ما قاله إريك واردل لسترايك، كان «يحقق الأهداف».

وعلّق واردل قائلًا: «بالطبع، لن يكون قادرًا على تبريح الناس ضربًا في مهنته الجديدة، لذا خسر أداة مفيدة من ترسانته».

لم ترق سترايك كثيرًا فكرة أنّ باترسون سيعمل قريبًا على القضيّة. فأخذ جوّاله مجدّدًا، وأدرك أنّ لا روبن ولا باركلي اتّصلا لإفادته بالمستجدّات خلال الساعات الاثنتي عشرة الماضية. وقد اضطرّ في اليوم السابق فقط إلى طمأنة تشيزيل، الذي اتّصل للتعبير عن شكوكه بشأن روبن، نظرًا لعدم تحقيقها أيّ نتيجة حتى الآن.

أرسل سترايك الرسالة النصّية ذاتها إلى روبن وباركلي فيما اعتراه شعور بالإحباط من موظّفيه وعجزه الجسدي:

حاولت صحيفة الصن للتوّ توظيفي للتحقيق عن تشيزيل. الرجاء الاتّصال لإفادتي بالمستجدّات في أسرع وقت ممكن. أحتاج إلى معلومات مفيدة الآن.

سحب سترايك عكّازيه نحوه، ونهض لفحص محتويات الثلّاجة وخزائن المطبخ، فاكتشف أنّه لن يأكل سوى الحساء المعلّب في وجباته الأربع التالية ما لم يقم برحلة إلى السوبرماركت. بعدما أفرغ الحليب الفاسد في الحوض، أعدّ لنفسه فنجانًا من الشاي الأسود وعاد إلى طاولة الفورميكا، حيث أشعل سيجارة ثالثة وفكّر، بدون سرور، في احتمال قيامه بتمارين إطالة أوتار الركبة.

رنّ هاتفه مرّة أخرى. بعدما رأى أنّها لوسي، ترك الاتّصال يتحوّل إلى البريد الصوتي. فآخر ما يحتاج إليه الآن هو مستجدّات الاجتماع الأخير لمجلس المدرسة.

بعد دقائق قليلة، عندما كان في الحمّام، اتّصلت مرّة أخرى. كان قد قفز رجوعًا إلى المطبخ وسرواله نصف منخفض، على أمل أن يكون الاتّصال من روبن أو باركلي. لكن عندما رأى رقم أخته للمرّة الثانية، أطلق لعنةً بصوت عالٍ وعاد إلى الحمّام.

مع الاتّصال الثالث، علم أنّها لن تستسلم. وضع سترايك علبة الحساء التي كان يفتحها بقوّة على الطاولة وتناول جوّاله بحركة سريعة.

قال لها:

– لوسي، أنا مشغول، ما الأمر؟

– أنا باركلي.

– آه، أخيرًا. هل من أخبار؟

– قليلًا عن حبّوبة جيمي، إن كان ذلك سيساعدك: فليك.

أجابه سترايك:

– أيّ شيء قد يساعد. لماذا لم تخبرني من قبل؟

قال باركلي غير منزعج:

– اكتشفت الأمر قبل عشر دقائق فقط. سمعتها للتوّ تخبر جيمي في المطبخ إنّها تسرق المال من مكان عملها.

– أيّ عمل؟

– لا أعرف. المشكلة هي أنّ جيمي ليس حريصًا عليها، هذا ما بدا لي. لا أظنّ أنّه سيهتمّ إن ضُبطت متلبّسة.

سمع سترايك صوت صفير مشتّت للانتباه. كان متّصل آخر يحاول التكلم معه. فنظر إلى الهاتف، ورأى أنّها لوسي مرّة أخرى.

قال باركلي:

– سأخبرك أمرًا آخر أخبرني إيّاه. الليلة الماضية عندما كان تحت تأثير المخدّرات، قال إنّه يعرف وزيرًا في الحكومة يداه ملطّختان بالدم.

صفّارة. صفّارة. صفّارة.

– سترايك؟ هل أنت معي؟

– نعم، أنا معك.

لم يخبر سترايك باركلي قطّ عن قصّة بيلي.

– ماذا قال بالتحديد، يا باركلي؟

–كان يتحدّث عن الحكومة، والمحافظين الذين هم مجموعة من الأوغاد. ثمّ، فجأة قال: «والقتلة اللعناء». فسألته: «ماذا تعني؟ فقال: «أعرف شخصًا يداه ملطّختان بالدماء، دماء أطفال».

صفّارة. صفّارة. صفّارة.

«خذ في اعتبارك أنّ أعضاء مجلس معارضة الألعاب الأولمبية يفتقرون إلى الدقّة. ربّما كان يتحدّث عن خفض المساعدات العائلية. تعتبر هذه المجموعة هذا الأمر بمثابة جريمة قتل. لا أقول إنّني أحبّذ سياسات تشيزيل أنا أيضًا يا سترايك».

– هل سمعت أيّ خبر عن بيلي؟

– شقيق جيمي؟ لا شيء. لم يذكره أحد منهما.

صفّارة. صفّارة. صفّارة.

– ألم يقم جيمي برحلة صغيرة إلى أوكسفوردشاير؟

– ليس خلال مناوبتي.

بيب، بيب، بيب...

– حسنًا. استمرّ في البحث. وأعلمني إذا حصلت على أيّ شيء.

أنهى سترايك المكالمة، وبحركة عصبيّة على شاشة هاتفه ردّ على اتّصال لوسي، وبادرها بفقدان صبر: «لوسي، مرحبًا. أنا مشغول قليلًا الآن، هل يمكنني...؟».

لكن عندما بدأت بالكلام، شحب وجهه. وقبل أن تنهي لوسي شرح سبب اتّصالها، كان قد أمسك بمفاتيح بابه وأخذ يبحث عن عكّازيه.

25

إذا لم نتمكّن تعجيزك، سنحاول إلحاق الضرر
على الأقل.

هنريك إبسن، روسميرشولم

استلمت روبن رسالة سترايك النصّية التي يطلب فيها منها إفادته بالجديد عند الساعة التاسعة إلّا عشر دقائق، وكانت وصلت إلى الممرّ حيث يقع مكتبا إيزي ووين. كانت حريصة على الاطّلاع عليها إلى حدّ أنّها توقفت في منتصف الممرّ المهجور لقراءتها.

«اللعنة»، تمتمت وهي تكتشف أنّ جريدة الصن أصبحت فجأة تهتمّ بتشيزيل أكثر من أيّ وقت مضى. اتّكأت على جدار الممرّ بالقرب من دعائمه الحجرية المنحنية، فيما كانت جميع الأبواب من خشب البلّوط مغلقة، واستعدّت للاتّصال بسترايك مجدّدًا.

لم يتكلّما منذ رفضت تعقّب جيمي. عندما اتّصلت به هاتفيًا يوم الاثنين للاعتذار مباشرة، ردّت لوريلاي.

«مرحبًا، روبن، هذه أنا!».

الأمر الفظيع بشأن لوريلاي هو أنّها محبوبة، إلّا أنّ روبن كانت لتفضّل، لأسباب لا ترغب في استكشافها، أن تكون كريهة.

«إنه في الحمام، آسفة! أمضى عطلة نهاية الأسبوع كلها هنا. لقد جرح ركبته فيما كان يتعقّب أحدهم. رفض أن يخبرني بالتفاصيل، لكنّي أفترض أنّك تعلمينها! اضطُرّ إلى الاتّصال بي من الشارع، كان الأمر مروّعًا، لم يتمكّن من الوقوف. وجدت سائق أجرة ليأخذني إلى هناك ودفعت له ليساعدني على إصعاد كورم إلى الطابق العلوي. لا يستطيع ارتداء طرفه الاصطناعي، ويمشي الآن بمساعدة العكّازين...».

قالت روبن وهي تشعر بأنّ معدتها تحوّلت إلى جليد: «أعلميه فقط أنّني اتّصلت. لا شيء مهمًّا».

أعادت روبن المحادثة مرّات عدّة في ذهنها منذ ذلك الحين. تكلّمت لوريلاي عن سترايك بطريقة تنمّ عن تملّك لا لبس فيه ظهر جليًّا في صوتها. فقد اتّصل بلوريلاي عندما كان يواجه مشكلة (بالطبع. ماذا كان سيفعل؟ أيتّصل بك في أوكسفوردشاير؟)، لوريلاي التي أمضى في شقتها بقيّة عطلة نهاية الأسبوع (إنّهما يتواعدان، إلى أيّ مكان آخر كان سيذهب؟)، لوريلاي التي كانت تعتني به، وتواسيه، وربّما تتّحد معه في الإساءة لروبن، التي لولاها لما حصلت هذه الإصابة أساسًا.

والآن ها هي مضطرّة للاتّصال به وإخباره أنّها، بعد خمسة أيّام، لم تحصل على أيّ معلومات مفيدة. مكتب وين، الذي كان يسهل الوصول إليه عندما بدأت العمل قبل أسبوعين، أصبح الآن موصدًا بعناية كلما اضطرّ غيرينت وأمير إلى مغادرته. كانت روبن واثقة من أنّ هذا التدبير من فعل أمير، وأنّه أصبح يشتبه فيها بعد حادثتي سقوط السوار، والملاحظة التي أطلقها رافاييل بصوت عالٍ بشأن تنصّتها على مكالمة أمير الهاتفية.

«البريد».

استدارت روبن لترى العربة تتدحرج باتّجاهها، يدفعها رجل لطيف ذو شعر رمادي.

سمعت روبن نفسها تقول: «سآخذ بريد تشيزيل ووين. إنّنا مجتمعون معًا». سلّمها ساعي البريد كومة من الرسائل، إلى جانب صندوق فيه فتحة

شفّافة من السيلوفان، رأت روبن من خلالها جنينًا بلاستيكيًا بالحجم الطبيعي واقعيًا للغاية. وقد كُتب في أعلى الصندوق: إنّ قتلي أمر يسمح به القانون.

قالت روبن: «يا للهول، يا له من أمر مروّع». ضحك ساعي البريد.

قال بارتياح: «هذا شيء بسيط مقارنة ببعض ما يحصلون عليه. أتتذكّرين المسحوق الأبيض الذي تحدّثوا عنه في نشرة الأخبار؟ زعموا أنّه مسحوق يحتوي على الجمرة الخبيثة. حسنًا، كان ذلك مسحوقًا غير خطير. وقد سلّمت غائطًا في صندوق ذات مرّة. لم أشمّ رائحته من خلال الغلاف. الطفل مرسل إلى وين لا إلى تشيزيل. إحدى اللواتي يؤيّدن الإجهاض». وسأل مظهرًا ميلًا للدردشة: «أتستمتعين بعملك هنا؟».

أجابته روبن، التي لفت انتباهها أحد المغلّفات الذي أخذته بتهور: «نعم أحبّه كثيرًا. اعذرني».

أدارت ظهرها لمكتب إيزي، وأسرعت متجاوزة ساعي البريد، وبعد خمس دقائق وصلت إلى قهوة تيراس كافيه، الواقعة على ضفّة نهر التايمز، يفصلها عن النهر جدار حجري منخفض تتخلّله مصابيح حديدية سوداء. إلى اليسار وإلى اليمين يقف جسرا وستمنستر ولامبيث على التوالي، طُلي الأول بلونٍ أخضر كلون مقاعد مجلس العموم، والثاني بلون قرمزي كلون مقاعد مجلس اللوردات. على الضفّة المقابلة، ارتفعت واجهة قاعة كاونتي هول البيضاء، بينما بين القصر والقاعة انساب نهر التايمز العريض، بسطحه الزيتي ذي اللون الرمادي الشفّاف فوق أعماقه الموحلة.

جلست روبن بعيدًا من آذان شاربي القهوة في الصباح الباكر، وتأمّلت إحدى الرسائل الموجّهة إلى غيرينت وين التي أخذتها بتهوّر من ساعي البريد. كُتب اسم المرسل وعنوانه بعناية على ظهر الظرف بخطّ متّصل مهتزّ. كانت روبن تعلم، نظرًا لقراءاتها وأبحاثها الواسعة النطاق عن جمعية عائلة وين الخيرية، أنّ السير كيفن رودجرز، 16 شارع ألمز، في فليتوود، كنت، الذي فاز بالميدالية الفضّية في سباق الحواجز في أولمبياد 56، هو أحد الأمناء في جمعية ليفيل بلايينغ فيلد.

سألت نفسها، ما الأمور التي تستدعي رسائل مكتوبة هذه الأيّام، فيما الاتّصالات الهاتفية ورسائل البريد الإلكتروني أسهل بكثير وأسرع؟

استخدمت جوّالها ووجدت رقمًا للسير كيفن والليدي رودجرز على العنوان ذاته. وفكّرت أنّهما مسنّان بما يكفي لاستخدام خطّ أرضيّ. ارتشفت جرعة كبيرة من قهوتها، وأرسلت رسالة نصّية إلى سترايك:

أتبع دليلًا، سوف أتّصل في أسرع وقت ممكن.

ثمّ أوقفت معرّف المتّصل على جوّالها، وأخذت قلمًا ودفترًا كتبت فيه رقم السير كيفن وطلبت الأرقام.

أجابت امرأة مسنّة بعد أن رنّ الهاتف ثلاث مرّات. واتّخذت روبن ما خشيت أن تكون لكنة غير حقيقية من بلاد ويلز.

«هل يمكنني التحدّث إلى السير كيفن، من فضلك؟».

«هل أنت ديلا؟».

سألت روبن مجدّدًا بصوت أعلى قليلًا: «هل السير كيفن موجود؟»، كانت تأمل أن تتجنّب الادّعاء أنّها وزيرة في الحكومة، لكنّ المرأة صرخت: «كيفن! كيفن! إنّها ديلا!».

وسمعت روبن صوت جرجرة قدمين ذكّرها بخفّي قماش الطرطان الإسكتلندي.

«آلو؟».

قالت روبن بلكنة تتأرجح ما بين كارديف ولاهور: «كيفن، لقد تلقى غيرينت رسالتك للتوّ».

فقال الرجل: «آسف يا ديلا، ماذا قلتِ؟».

بدا أصمّ، وكم كان ذلك بمثابة مساعدة لروبن وعرقلة لها في الوقت نفسه! تحدّثت روبن بصوت أعلى، ولفظت الكلمات بوضوح قدر استطاعتها. أدرك السير كيفن ما كانت تقوله في محاولتها الثالثة.

قال بائسًا: «أخبرت غيرينت أنّني سأضطرّ إلى الاستقالة ما لم يتّخذ خطوات عاجلة. أنتِ صديقة قديمة يا ديلا، وكانت القضيّة – ولا تزال – قضيّة جديرة بالاهتمام، لكن عليّ التفكير في موقعي. لقد حذّرته من قبل».

سألت روبن: «لكن لماذا يا كيفن؟» فيما تلتقط قلمها.

«ألم يرِك رسالتي؟»

أجابت روبن: «كلا».

قال السير كيفن بضعف: «يا للهول. حسنًا، أولًا... اختفاء خمسة وعشرين ألف جنيه أمر خطير».

سألت روبن: «ماذا بعد؟» فيما كانت تدوّن الملاحظات السريعة.

«ماذا؟».

«قلتَ أولًا. ما الذي يقلقك أيضًا؟».

كان بإمكان روبن أن تسمع المرأة التي ردّت على الهاتف تتكلّم في الخلفية. بدا صوتها غاضبًا.

قال السير كيفن، وهو يبدو محرجًا: «ديلا، أفضّل عدم مناقشة كلّ شيء على الهاتف».

قالت روبن: «هذا مخيّب للآمال»، آملةً أن تكون قد نجحت في إضفاء لمسة أبّهة السيدة ديلا، وأكملت: «كنت آمل أن تخبرني على الأقلّ لماذا يا كيفن».

«في الواقع، هناك قضيّة مو فرح...».

كرّرت روبن بتعجّب حقيقي: «مو فرح؟ ما هذا؟»

قال السير كيفن: «أما كنت تعرفين؟». «يا للهول، يا للهول...». سمعت روبن خطى ثمّ عادت المرأة إلى الخطّ، بصوت خافت في البداية، أصبح واضحًا في ما بعد.

«دعني أتحدّث معها – كيفن، اترك السمّاعة – اسمعي يا ديلا، كيفن مستاء للغاية من كلّ هذا الموضوع. لقد كان يشكّ في أنّك لا تعرفين، وها نحن ذا، لقد كان على حق. لا أحد يريد أن يقلقك يا ديلا...» سكتت قليلًا ثم، وكأنّها استدركت أنّ ذلك النوع من الحماية في غير محلّه، أكملت: «لكن

حقيقة الأمر هي... كلا، يجب أن تعرف يا كيفن... لقد وعد غيرينت الناس بأمور لا يمكنه القيام بها. أخبر الأطفال المعوقين وأسرهم بأنّ ديفيد بيكهام ومو فرح ولا أعرف من غيرهما سيقومان بزيارتهم. سيظهر كلّ شيء إلى العلن يا ديلا، الآن باتت مفوّضية المؤسّسات الخيرية متورّطة، ولا أريد أن يتلطخ اسم كيفن في الوحل. إنّه رجل حيّ الضمير وقد بذل قصارى جهده. إنّه يحثّ غيرينت على تسوية الحسابات منذ شهور، ثمّ هناك قضيّة إلسبيث... لا يا كيفن، لست، إنّني أخبرها فقط... في الواقع، قد تصبح الأمور سيّئة للغاية يا ديلا. قد يصل الأمر إلى الشرطة وأيضًا إلى الصحافة، أنا آسفة، لكنّني قلقة على صحّة كيفن».

سألت روبن وهي مستمرّة في التدوين بسرعة: «ما قصّة إلسبيث؟»

شمع صوت السير كيفن يتذمّر في الخلفية.

قالت السيّدة رودجرز: «لن أخوض في ذلك على الهاتف. عليك أن تسأليها هي».

شمع المزيد من جرّ الأقدام وأخذ السير كيفن سمّاعة الهاتف مجدّدًا. بدا كأنّه يبكي.

– ديلا، تعرفين كم أكنّ لك من الإعجاب. أتمنى لو لم تكن الأمور هكذا.

– نعم، حسنًا، يجب أن أتّصل بإلسبيث بنفسي، إذًا.

– ماذا؟

– سوف أتّصل بإلسبيث.

– يا للهول. لكن كما تعلمين، قد لا يكون في الأمر ما يستحقّ.

تساءلت روبن عمّا إن كانت ستتجرّأ على طلب رقم إلسبيث لكنّها قرّرت ألّا تفعل. فمن المؤكّد أنّ ديلا تملكه.

قالت وقد توقف قلمها فوق دفتر ملاحظاتها:

– ليتك تخبرني ما قصّة إلسبيث.

قال السير كيفن بصعوبة:

– لا أستطيع. فالضرر الذي يلحقه هذا النوع من الشائعات بسمعة المرء...

عادت السيّدة رودجرز إلى الخطّ.

«هذا كلّ ما يمكننا قوله. لقد أثّرت هذه الأمور كثيرًا على كيفن، وأرهقته للغاية. أنا آسفة، لكنّها كلمتنا الأخيرة في هذا الشأن يا ديلا. إلى اللقاء!»

وضعت روبن جوّالها على الطاولة بجانبها وتحققت من أنّ لا أحد ينظر نحوها، ثمّ أعادت التقاطه مجدّدًا وانتقلت إلى أسفل قائمة أمناء جمعية ليفيل بلاييغ فيلد. كانت واحدة منهم تُدعى الدكتورة إلسبيث كورتيس – لاسي، لكنّ رقمها الشخصي لم يكن مدرجًا في موقع المؤسّسة الخيرية، ولا في الدليل كما بدا لروبن بعد بحثٍ سريعٍ أجرته.

اتّصلت روبن هاتفيا بسترايك. لكنّه لم يرفع السمّاعة فانتقل الاتصال مباشرة إلى البريد الصوتي. انتظرت دقيقتين وحاولت مجدّدًا بدون نتيجة. بعد محاولتها الثالثة الفاشلة للاتّصال به، راسلته قائلةً:

حصلت على بعض المعلومات عن (ج. و). اتّصل بي.

الظلّ الأدكن الذي كان على الشرفة عندما وصلت بدأ يتراجع تدريجًا، وانزلقت الشمس الدافئة على طاولة روبن وهي ترتشف قهوتها في انتظار ردّ سترايك. اهتزّ هاتفها أخيرًا معلنًا وصول رسالة نصّية. قفز قلبها، والتقطت الهاتف بسرعة، لكنّ المتّصل لم يكن سوى ماثيو:

ما رأيك بكأس مع توم وسارة الليلة بعد العمل؟

تأمّلت روبن في الرسالة بمزيج من التراخي والرهبة. غدًا ستقام مباراة الكريكيت الخيرية التي كان ماثيو متحمّسًا لها. وتناول المشروب بعد العمل مع توم وسارة يعني بلا شك الكثير من المزاح في هذا الموضوع. يمكنها من الآن تصوّر أربعتهم في الحانة: سارة، بتصرّفها الغزلي الدائم تجاه ماثيو، وتوم الذي يتصدّى لنكات ماثيو بشأن رداءة لعبه بردود تزداد حدّة يومًا بعد يوم، وروبن، كما كانت الحال كثيرًا هذه الأيّام، بتظاهرها بأنّها مستمتعة ومهتمّة، فقط كي تتجنّب انتقادات ماثيو حول أنّها بدت ضجرة ومتعالية

على مجالسيها (كما حدث خلال أسوأ مشاجراتهما) أو أنها بالتأكيد تتمنّى أن تكون مع سترايك بدلًا من أن تكون معهم. عزّت نفسها بأنّ السهرة على الأقلّ، لن تمتدّ لوقتٍ متأخّر ولن يكون فيها إفراطٌ في الشرب، لأنّ ماثيو، الذي يأخذ جميع المباريات الرياضية على محمل الجدّ، سيرغب في الحصول على قسطٍ جيّد من النوم قبل المباراة. لذا ردّت برسالة نصّية:

حسنًا، أين؟

واستمرّت في انتظار اتّصال سترايك.

بعد أربعين دقيقة، افترضت أنّ سترايك في مكان لا يمكنه الاتّصال منه، وبدأت تتساءل عمّا إن كان يجب عليها إبلاغ تشيزيل بما اكتشفته للتوّ. هل سيعتبر سترايك هذه حرّية، أم سيكون أكثر انزعاجًا إذا فشلت في منح تشيزيل ورقة مساومته، نظرًا لضغط الوقت؟ بعد التفكير مليًا في الأمر، اتّصلت بإيزي، التي كان القسم الأعلى من نافذة مكتبها ظاهرًا لها من حيث تجلس.

«إيزي، هذه أنا. فينيسيا أتّصل لأنّني لا أستطيع أن أقول هذا أمام رافاييل. أعتقد أنّ لديّ بعض المعلومات عن وين لوالدك...».

قالت إيزي بصوت مرتفع: «أوه، هذا رائع!» وسمعت روبن رافاييل في الخلفية وهو يقول: «هل هذه فينيسيا؟ أين هي؟» وهو ينقر على لوحة مفاتيح الحاسوب.

«انتظري... أتحقق من اليوميات، يا فينيسيا... سيكون في وزارة الاتصالات الرقمية والثقافة والإعلام والرياضة حتى الساعة الحادية عشرة، وبعد ذلك لديه اجتماعات متواصلة طوال فترة ما بعد الظهر. هل تريدينني أن أتّصل به؟ ربّما يمكنه مقابلتك على الفور إذا أسرعت».

أعادت روبن جوّالها ودفترها وقلمها إلى حقيبتها، وارتشفت ما بقي من القهوة في فنجانها وأسرعت في الذّهاب إلى وزارة الاتصالات الرقمية والثقافة والإعلام والرياضة.

كان تشيزيل يسير بخطى سريعة في مكتبه، ويتحدّث عبر الهاتف، عندما وصلت إلى خارج الحاجز الزجاجي. دعاها إلى الدخول بحركة من يده،

وأشار إلى أريكة جلدية منخفضة على مسافة قصيرة من مكتبه، واستمرّ في التحدّث إلى شخص بدا أنّه مستاء منه.

كان يقول بوضوح للمتلقي «إنّها هديّة، من ابني البكر. ذهب من عيار 24 قيراطًا، نُقش عليها Nec Aspera Terrent (لا تخيفنا المصاعب)» وزأر فجأة: «اللعنة!»، فالتفت الشباب الأذكياء في الخارج. «إنّها اللاتينية! مرّرني إلى شخص يجيد الإنجليزية! جاسبر تشيزيل. أنا وزير الثقافة. لقد أعطيتك التاريخ... لا، لا يمكنك ذلك... لا يتّسع وقتي لهذا...».

فهمت روبن، من الحديث الذي استطاعت أن تسمعه، أنّ تشيزيل أضاع مشبكًا لحفظ الأوراق النقدية ذا قيمة عاطفية، واعتقد أنّه ربّما تركه في فندق قضى فيه هو وكينفارا ليلة عيد ميلادها. بحسب ما سمعت، لم يفشل موظفو الفندق في العثور على المشبك فحسب، بل لم يظهروا ما يكفي من الاحترام لشيزيل الذي كرّمهم بالنزول في أحد فنادقهم.

«أريد أن يعاود أحدهم الاتّصال بي». ثم «غبيّ عديم الفائدة لعين!»، وهو يقفل الخطّ ويحدّق في روبن كما لو أنّه نسي من هي، ثم سقط جالسًا على الأريكة المقابلة لها فيما لا يزال يتنفّس بصعوبة. «لديّ عشر دقائق فقط، لذا من الأفضل أن يكون هذا مهمًّا». قالت روبن وهي تسحب دفتر ملاحظاتها: «لديّ بعض المعلومات عن السيّد وين». ودون انتظار ردّه، أعطته ملخّصًا موجزًا للمعلومات التي حصلت عليها من السير كيفن... وخلصت إلى القول، بعد دقيقة ونصف: «قد يكون السيد وين ارتكب المزيد من المخالفات، ولكن يُزعم أنّ هذه المعلومات بحوزة الدكتورة إلسبيث كورتيس-ليسي، التي لم يدرج رقمها في الدليل.» وأضافت بقلق لأنّ عينَي تشيزيل الصغيرتين كانتا تعبّران عن الاستياء: «أفترض أنّ الحصول على رقمها لن يستغرق وقتًا طويلًا، لكنّني فكرت أنّه يجدر بي أن أحضر لك هذه المعلومات فورًا».

بقي تشيزيل بضع ثوانٍ يحدّق فيها فقط، وكان تعبيره شرسًا، إلّا أنّه بعد ذلك صفع فخذه بسرور واضح.

وقال: «جيّد، جيّد، جيد. أخبرني أنّك أفضل من يعمل معه. أجل. هذا ما قاله».

وسحب منديلًا مجعّدًا من جيبه يمسح به وجهه الذي كان قد تعرّق خلال مكالمته الهاتفية مع موظّف الفندق البائس.

وكرّر: «جيّد، جيّد، جيّد، لقد أصبح هذا اليوم يومًا جيّدًا. إنّهم يتعثّرون، الواحد تلو الآخر... إذًا وين هو لصّ كاذب وربّما أكثر من ذلك؟».

قالت روبن بحذر: «في الواقع، يبدو أنّه عاجز عن تبرير نقص مبلغ خمسة وعشرين ألف جنيه، ومن الواضح أنّه وعد بأمور لا يمكنه تحقيقها...».

«الدكتورة إلسبيث كورتيس-ليسي. الاسم مألوف...»، ردّد تشيزيل مستغرقًا في تفكيره الخاصّ.

«كانت مستشارة الحزب الليبرالي الديمقراطي في نورثمبرلاند»، قالت له روبن.

وكانت قد قرأت ذلك للتوّ على موقع ويب ليفل بلاينغ فيلد. قال تشيزيل فجأة: «إساءة معاملة الأطفال. أعرفها بسبب ذلك. إساءة معاملة الأطفال. كانت عضوًا في إحدى اللجان. إنّها مهووسة بهذه القضية، وتراها في كلّ مكان. الديمقراطيون الليبراليون مهووسون جميعًا. إنّه حزب المهووسين. إنّه حزب يضمّ جميع غريبي الأطوار».

وقف، تاركًا وراءه نثرات من قشرة الشعر على الجلد الأسود، وراح يذرع الغرفة عابسًا، بخطًى ثابتة، ذهابًا وإيابًا، وهو يردّد ما قالته زوجة السير كيفن: «هذه الألاعيب بشأن الأعمال الخيرية ستظهر عاجلًا أو آجلًا. لكنّهم لا يحتاجون إلى فضائح الآن، فيما ديلا منغمسة في تنظيم الألعاب البارالمبية. سيصاب وين بالذعر عندما يكتشف أنّني أعرف. أجل. أعتقد أنّ هذا قد يمنعه من أذيّتي... على المدى القصير، على أيّ حال. لكن إن كان يعبث بالأطفال...»

قالت روبن: «لا نملك دليلًا على ذلك».

ردّ تشيزيل وهو يسير بخطًى سريعة مجدّدًا: «هذا من شأنه أن يبعده إلى الأبد. جيّد، جيّد، جيّد. هذا يفسّر سبب رغبة وين في إحضار أمنائه إلى حفل الألعاب البارالمبية يوم الخميس المقبل، أليس كذلك؟ من الواضح أنّه يحاول شراء ودّهم، ومنع أيّ منهم من مغادرة السفينة الغارقة. سيحضر

الأمير هاري الحفل. هؤلاء المحسنون يحبّون أعضاء العائلة المالكة. ونصفهم ينخرط في الأعمال الخيرية لهذا السبب».

رفع تشيزيل ذراعيه ليحك شعره الرمادي السميك كاشفًا عن بقعتين كبيرتين من العرق تحت إبطيه، وقال: «إليكِ ما سنفعله، سنضيف أسماء أمناء جمعيته إلى قائمة الضيوف وستحضرين أنت أيضًا. ثمّ يمكنك أن تستفردي بكورتيس ليسي تلك، وأن تكتشفي ما تعرفه عن الأمر. اتّفقنا؟ ليلة الثاني عشر؟».

أجابت روبن وهي تدوّن التاريخ: «نعم».

«في غضون ذلك، سأخبر وين أنّني أعلم أنّه سرق من الصندوق».

كادت روبن أن تصل إلى الباب عندما سألها تشيزيل فجأة:

– أفترض أنّك لا ترغبين في وظيفة مساعدة شخصية، أليس كذلك؟

– عفوًا؟

– أن تحلّي محلّ إيزي؟ كم يدفع لك ذلك المحقّق؟ ربّما يمكنني أن أدفع لك الراتب ذاته. أحتاج إلى شخص ذكيّ وشجاع.

قالت روبن:

– أنا... سعيدة حيث أنا.

شخر تشيزيل قائلًا:

– همم. ربّما كان هذا أفضل. قد يكون لديّ المزيد من العمل لك، بعد أن نتخلّص من وين ونايت. فلتذهبي إذًا.

ثم أدار ظهره لها ووضع يده على الهاتف.

عندما خرجت إلى نور الشمس، أخرجت روبن جوّالها مجدّدًا، لتكتشف أنّ سترايك لم يتّصل بعد، لكنّ ماثيو أرسل رسالة نصّية باسم حانة في مايفير، صودف أنّها قريبة من مكان عمل سارة. على الرغم من ذلك، أصبح بإمكان روبن الآن، بعد لقائها مع تشيزيل، أن تتقبّل هذه السهرة ببعض البهجة. حتى إنّها بدأت تدندن أغنية لبوب مارلي وهي تسير عائدة نحو مجلسَي العموم.

«أخبرني أنّك أفضل من يعمل معه. أجل. هذا ما قاله».

26

لست وحيدًا تمامًا، حتى الآن. نحن اثنان
في تحمّل العزلة معًا هنا.

هنريك إبسن، روسميرشولم

إنها الرابعة صباحًا. ساعة اليأس التي يسكن فيها المصابون بالأرق القلقين عالمًا من الظلال الجوفاء، والتي يبدو فيها الوجود ضعيفًا وغريبًا.

استيقظ فجأة سترايك، الذي سهت عيناه قليلًا، على كرسيّ المستشفى. لثانية، لم يشعر إلّا بجسده المتألّم والجوع الذي يمزّق بطنه. ثمّ رأى جاك، ابن أخته البالغ من العمر تسع سنوات، يرقد بلا حراك في السرير بجانبه، وقد وُضعت رقعات جيلاتين فوق عينيه، ونزل أنبوب من حلقه، وخرجت الأنابيب من رقبته ومعصمه. عُلّق كيس من البول إلى جانب السرير، بينما كانت ثلاثة أنابيب مقطَّرة منفصلة تغذّي بمحتوياتها جسمًا بدا صغيرًا وضعيفًا وسط آلات تطنّ طنينًا هادئًا، في المساحة الكهفية الهادئة المخصّصة له في جناح العناية المركزة.

كان يسمع صوت نعل حذاء الممرضة الناعم في مكان ما خارج الستارة المحيطة بسرير جاك. لم يكونوا ليسمحوا له في قضاء الليل هناك، لكنّه أصرّ على ذلك، والشهرة التي يتمتّع بها، على الرغم من نسبيتها، بالإضافة إلى إعاقته، عملت لمصلحته. سند عكّازيه على خزانة بجانب السرير. كان

الجناح دافئًا جدًا، كما هي الحال دائمًا في المستشفيات. يعرف ذلك لأنه قضى عدّة أسابيع في أسرّة الحديدية بعدما قُطعت ساقه. أعادته رائحة الغرفة إلى زمن الألم وإعادة التكيّف العنيف، عندما اضطرّ إلى إعادة ضبط حياته على خلفية من العوائق التي لا تنتهي والإهانات والحرمان.

اهتزت الستارة ودخلت ممرّضة المقصورة، جامدةً وعمليّة في زيّها الواسع.

عندما رأت سترايك مستيقظًا وجّهت له ابتسامة سريعة ورسميّة، ثمّ تناولت ورقة الملاحظات من كعب سرير جاك واقتربت من الشاشات مراقبةً ضغط الدم ومستويات الأكسيجين، لتدوّن ما تعرضه من أرقام. عندما انتهت، همست: «هل ترغب في فنجان شاي؟».

«هل هو بخير؟» طرح سترايك السؤال، ولم يكلف نفسه عناء إخفاء الرجاء في صوته. «كيف يبدو كلّ شيء؟».

«حالته مستقرة. لا حاجة للقلق. هذا ما نتوقّعه في هذه المرحلة. شاي؟».

«نعم، سيكون ذلك رائعًا. شكرًا جزيلًا».

أدرك سترايك أنّ مثانته ممتلئة بعدما أغلقَت الستارة خلف الممرّضة وتمنّى لو أنّه طلب منها أن تناوله عكّازيه. رفع نفسه، ممسكًا بذراع الكرسيّ ليثبّت توازنه، وقفز إلى الحائط وأمسك بهما، ثمّ تأرجح من خلف الستارة متّجهًا نحو المستطيل المضاء إضاءة ساطعة في نهاية الجناح المظلم.

بعدما تبوّل في مبولة تحت ضوء أزرق من المفترض أن يمنع المدمنين من العثور على أوردتهم، توجّه إلى غرفة الانتظار القريبة من الجناح حيث جلس، في وقت متأخّر من بعد ظهر أمس، بانتظار خروج جاك من الجراحة الطارئة. بقي معه والد صديق جاك في المدرسة، الذي كان من المفترض أن يقضي الليلة عنده عندما انفجرت زائدته الدودية. كان الرجل مصمّمًا على عدم ترك سترايك بمفرده حتى «يزول الخطر عن الفتى الصغير»، وتحدّث بعصبية طوال الوقت الذي خضع فيه جاك للعملية الجراحية، مردّدًا «الأطفال في مثل عمره يستعيدون عافيتهم بسرعة»، «إنّه فتى قاسي العود»، «من

حسن حظِّه أنّنا نقيم على مسافة خمس دقائق فقط من المدرسة»، كما كرّر أيضًا المرّة تلو الأخرى، «لعلّ غريغ ولوسي يفقدان صوابيهما الآن». لم يقل سترايك شيئًا، كان بالكاد يستمع إليه، ويستعدّ لأسوأ الأخبار، وكان يرسل الرسائل النصّية إلى لوسي كلّ ثلاثين دقيقة.

لم يخرج بعد من الجراحة. لا أخبار حتى الآن.

أخيرًا جاء الجرّاح ليخبرهما أنّ جاك، الذي أُجبروا على إنعاشه عند وصوله إلى المستشفى، أجريت له العملية بنجاح، وأنّه كان يعاني «حالة سيّئة من تعفّن الدم» وأنّه سيصل قريبًا إلى العناية المركّزة.

قال صديق لوسي وغريغ بحماسة: «سأحضر رفاقه لزيارته. سيبتهج وسيحضرون له بطاقات بوكيمون».

قال الجرّاح بلهجة لا تحتمل النقاش: «لن يكون مستعدًّا لذلك. سيكون تحت التخدير الشديد وعلى جهاز التنفّس الاصطناعي لمدّة أربع وعشرين ساعة على الأقلّ. هل أنت من أقرب أقربائه؟».

قال سترايك الذي تكلّم أخيرًا بفم جافّ: «كلا، أنا خاله، والداه في روما يحتفلان بعيد زواجهما. إنّهما يحاولان الحصول على مكان على متن الطائرة لرحلة العودة الآن».

«آه، فهمت. في الحقيقة، لم يزل الخطر عنه تمامًا بعد، لكنّ الجراحة نجحت. قمنا بتنظيف بطنه ووضعنا أنبوب تصريف فيه. وسوف يأتون به قريبًا».

قال صديق لوسي وغريغ، وهو يبتسم لسترايك الذي اغرورقت عيناه بالدموع: «قلت لك إنّهم يتعافون بسرعة!».

قال سترايك: «نعم، من الأفضل أن أخبر لوسي بذلك».

ولكن «لزيادة الطين بلّة»، وصل والدا جاك المذعوران إلى المطار، ليدركا أنّ لوسي فقدت جواز سفرها بين غرفتهما في الفندق وبوّابة المغادرة في المطار. حاولا، يائسين، شرح معضلتهما للجميع، من موظفي الفندق إلى الشرطة إلى السفارة البريطانية، لكنّ الرحلة الليلية الأخيرة فاتتهما.

لحسن الحظ، في الساعة العاشرة وأربع دقائق صباحًا، كانت غرفة الانتظار فارغة. شغّل سترايك جوّاله الذي ظلّ مغلقًا أثناء وجوده في الجناح فرأى عشرات محاولات الاتّصال التي قامت بها روبن، مقابل محاولة واحدة من لوريلاي. تجاهل سترايك المحاولات جميعها وأرسل رسالة إلى لوسي، التي كان يعلم أنّها ستكون مستيقظة في الفندق في روما حيث أعاد سائق سيّارة الأجرة لها جواز سفرها الذي وجده بعد منتصف الليل بقليل. ناشدت لوسي سترايك ليرسل صورة لجاك بعد أن خرج من الجراحة، فتظاهر بأنّه يجد صعوبة في تحميل الصورة. بعد الضغوط التي عانتها لوسي اليوم، لم تكن بحاجة لرؤية ابنها موصولٌ بآلة التنفّس، وقد غُطّيت عيناه برقعات جيلاتين، فيما غرق جسده في رداء المستشفى الفضفاض.

كتب لها سترايك: «كلّ شيء على ما يُرام. لا يزال مخدَّرًا، لكن الممرّضة طمأنتني».

ضغط على زرّ الإرسال وانتظر. وكما توقع، ردّت لوسي بعد دقيقتين.

لا بدّ أنّك مرهق. هل أعطوك سريرًا في المستشفى؟

ردّ سترايك:

كلّا، أنا جالس بجانبه. سأبقى هنا حتى تعودا. حاولي الحصول على قسط من الراحة ولا تقلقي.
قبلاتي.

أطفأ سترايك جوّاله، ووقف على رجله الوحيدة، ووضع عكّازيه في الاتّجاه الصحيح وعاد إلى الجناح.

وجد فنجانًا من الشاي ينتظره، شاحبًا ممزوجًا بالحليب كما كانت تصنعه دنيز، ولكن بعدما أفرغ فيه كيسين من السكّر، شربه بجرعتين، وعيناه تتنقلان بين جاك والآلات التي تدعمه وتراقب حالته. لم يتأمّل سترايك الصبيّ عن كثب من قبل. في الواقع، لم يكن لسترايك أيّ علاقة به قطّ، على الرغم من الصور التي رسمها له، وسلّمته لوسي إيّاها.

قالت لوسي لسترايك مرارًا: «إنّه يحبّك كثيرًا ويعتبرك بطلًا. ويريد أن يكون جنديًا».

لكنّ سترايك تجنّب اللقاءات العائلية، فغريغ والد جاك لم يكن يرقه، بالإضافة إلى أنّ رغبة لوسي في إقناع شقيقها بنمط حياة أكثر تقليدية كانت محبطة بغضّ النظر حتى عن وجود ولديها، الذي يجد سترايك كبيرهما شبيهًا بوالده بشكل خاصّ. لم يكن لسترايك أيّ رغبة في إنجاب الأطفال، وبينما كان مستعدًّا للاعتراف بأنّ بعض الأطفال كان محبوبًا – كان مستعدًا للاعتراف، في الواقع، بأنّه يكنّ لجاك حبًّا منفصلًا، على خلفية حكايات لوسي عن طموحه في الانضمام إلى القبّعات الحمر – إلّا أنّه تجنّب باستمرار حفلات أعياد الميلاد والاجتماعات العائلية التي كان من الممكن أن يوثّق من خلالها علاقته بهما.

ولكن الآن، مع بزوغ الفجر عبر الستائر الرقيقة التي تحجب سرير جاك عن بقيّة الجناح، لاحظ سترايك لأوّل مرّة الشبه بين الصبيّ وجدّته، والدة سترايك، ليدا. كان له الشعر الأدكن ذاته، والبشرة الشاحبة والفم الناعم. في الواقع، لو وُلد على هيئة فتاة لكان فتاة جميلة جدًّا، لكنّ ابن ليدا يعلم تمامًا ما سيكون تأثير البلوغ على فكّي الصبيّ وعنقه... إذا ما بقي على قيد الحياة.

بالطبع سيبقى على قيد الحياة. قالت الممرّضة...

إنّه في العناية المركّزة اللعينة. إنّهم لا يضعونك هنا بسبب الحازوقة.

إنّه قويّ. يريد الالتحاق بالجيش. سيكون بخير.

من الأفضل له أن تتحسّن حاله. لم أرسل له حتّى رسالة نصّية لأشكره على رسومه.

استغرق سترايك بعض الوقت ليغفو غفوة غير مريحة.

أيقظته أشعّة الشمس في الصباح الباكر وهي تخترق جفنيه. وفيما أعاد إغماض عينيه قليلًا سمع خطوات أقدام تصرّ على الأرض. ثمّ سمع خشخشة عالية عندما شحبت الستارة حول سرير جاك، فانكشف المزيد من الأشخاص المتمدّدين بدون حراك، المستلقين في الأسرّة من حولهما. وقفت ممرّضة جديدة تبتسم له، وهي أصغر سنًّا من الممرّضة السابقة، وقد ربطت شعرها الطويل الأدكن على شكل ذيل حصان.

قالت بمرح: «مرحبًا!» فيما أمسكت بورقة الملاحظات الخاصّة بجاك. «لم نعهد استقبال المشاهير هنا! أعرف كلّ شيء عنك، قرأت كيف التقطت هذا السفاح...».

قال ببرودة: «هذا ابن أختي، جاك». كانت فكرة مناقشة سفّاح شاكلويل الآن بغيضة بالنسبة إليه. تعثّرت ابتسامة الممرّضة.

«أتمانع الانتظار خارج الستارة؟ يجب أن نأخذ له عيّنة من الدم وأن نغيّر أكياس المصل وأنبوب القسطرة».

جرّ سترايك نفسه مرّة أخرى على عكّازيه وشق طريقه بجهد للخروج من الجناح مجدّدًا، محاولًا عدم التركيز على أيّ من الأشخاص الراقدين الآخرين الموصولين بآلاتهم الهادرة.

وصل سترايك إلى مقصف نصف ممتلئ. كان غير حليق ومثقل العينين. دحرج صينيته حتى النهاية ودفع ثمنها قبل أن يدرك أنّه لا يستطيع حملها والمشي بعكّازيه. رأت فتاة شابّة تنظّف الطاولات مأزقه فهبّت لمساعدته. قال سترايك بفظاظة: «شكرًا» عندما وضعت الصينية على طاولة بجانب النافذة.

قالت الفتاة: «لا بأس. اتركها هنا بعد أن تنتهي، سأرفعها بنفسي».

هذا التصرّف اللطيف أثّر في نفس سترايك تأثيرًا كبيرًا. تجاهل طبق المقالي الذي اشتراه للتوّ وأخرج هاتفه وأرسل رسالة نصّية إلى لوسي مجدّدًا.

كلّ شيء بخير، الممرّضة تبدّل مصله، سأعود إليه بعد وقت قصير. قبلاتي.

كما كان قد توقع، رنّ هاتفه بمجرّد أن قطع البيضة المقليّة.

أخبرته لوسي بدون مقدّمات:

– حجزنا على طائرة، لكنّها لن تقلع قبل الحادية عشرة.

فقال لها:

– لا بأس. لن أبرح مكاني.

– هل استيقظ؟

– لا، لا يزال مخدّرًا.

– سيفرح كثيرًا لرؤيتك، إذا استيقظ قبل... قبل...

وأجهشت بالبكاء. وسمعها سترايك وهي لا تزال تحاول التحدّث من خلال بكائها.

– ... أريد فقط العودة إلى المنزل... أريد رؤيته...

للمرّة الأولى في حياته، سعد سترايك لسماعه صوت غريغ الذي أخذ الهاتف من زوجته.

– نحن شاكران لك للغاية يا كورم. إنّها رحلتنا الأولى في عطلة نهاية أسبوع منذ خمس سنوات، أتصدّق ذلك؟

– قانون مورفي.

– أجل. شكا من ألم في بطنه، لكنّني ظننت أنّ الأمر ليس خطيرًا. وظننت أنّه يقول ذلك فقط لأنه لا يريدنا أن نسافر. أشعر بالذنب الآن، صدّقني.

قال سترايك:

– لا تقلق – وكرّر – سأبقى مكاني.

بعدما تحدّثا لوقت قصير وودّعته لوسي باكية، بقي سترايك أمام فطوره الإنكليزي. أكل بشكل آليّ وبدون متعة وسط قعقعة المقصف، محاطًا بأشخاص بائسين وقلقين آخرين يأكلون الأطعمة الدسمة المشبعة بالسكّر.

فيما كان ينهي آخر قطعة من لحم الخنزير المقدّد، وصلت رسالة من روبن.

أحاول الاتّصال بك لأطلعك على أمر جديد بشأن وين. أعلمني متى يناسبك أن نتكلّم.

بدت قضيّة تشيزيل أمرًا بعيدًا لسترايك في الوقت الحاضر، لكن عندما قرأ الرسالة شعر فجأة بتوق إلى النيكوتين وإلى سماع صوت روبن. ترك صينيته على الطاولة وشكر الفتاة اللطيفة التي ساعدته للوصول إلى طاولته، وانطلق مجدّدًا على عكّازيه.

كانت مجموعة من المدخنين تقف حول مدخل المستشفى، وقد أدخلوا رؤوسهم بين أكتافهم كمجموعة من الضباع في هواء الصباح النظيف. أشعل سترايك سيجارته، واستنشق بعمق، واتّصل بروبن.

قال:

– مرحباً. عندما أجابت. آسف لم أكن على اتّصال، كنت في المستشفى.

– ماذا جرى؟ هل أنت بخير؟

– نعم أنا بخير. إنّه ابن أختي جاك. انفجرت زائدته الدودية أمس و... لقد أصيب...

شعر سترايك بالإهانة لتصدّع صوته. وبينما كان يجاهد ليتمالك نفسه، تساءل كم من الوقت مضى منذ أن بكى آخر مرّة. المرّة الأخيرة كانت ربّما حين ذرف دموع الألم والغضب في ألمانيا، في المستشفى التي نقل إليها بعيدًا من الأرض الملطّخة بالدماء حيث مزّقت العبوة الناسفة ساقه.

تمتم أخيرًا «اللعنة»، وهي الكلمة الوحيدة التي بدا قادرًا على لفظها.

– كورموران، ماذا حدث؟

قال سترايك، وقد تجعّد وجهه في محاولة منه للتماسك والتحدّث بشكل طبيعي:

– وضعوه في العناية المركّزة. والداه... لوسي وغريغ عالقان في روما، لذلك طلبا منّي...

– من معك؟ هل لوريلاي معك؟

– يا للهول، لا.

بدت اللحظة التي قالت له فيها لوريلاي «أحبّك» وكأنّها جرت قبل أسابيع خلت، على الرغم من أنّها جرت قبل ليلتين فقط.

– ماذا يقول الأطبّاء؟

– يعتقدون أنّه سيكون على ما يُرام، لكن، كما تعلمين، هو... في العناية المركزة. وأضاف سترايك وهو يمسح عينيه: اللعنة، أنا آسف. كانت ليلة عصيبة.

– أيّ مستشفى هذا؟

أخبرها. فجأة، ودّعته وأقفلت الخطّ. بقي سترايك لينهي سيجارته، وهو يمسح وجهه وأنفه بشكل متقطّع بكمّ قميصه.

كانت الشمس تضيء الجناح الهادئ عندما عاد سترايك إلى الغرفة. وضع عكّازيه على الحائط، وجلس مجدّدًا بجانب سرير جاك حاملًا صحيفة عمرها يوم واحد سرقها منذ قليل من غرفة الانتظار وأخذ يطالع مقالًا بشأن احتمالية أن يخسر آرسنال قريبًا روبن فان بيرسي لمصلحة مانشستر يونايتد.

بعد ساعة، وصل الجرّاح وطبيب التخدير المسؤول عن الجناح إلى أسفل سرير جاك لمعاينته، بينما استمع سترايك بقلق إلى حديثهما الخافت.

– ... لم أتمكّن من خفض نسبة الأكسيجين إلى أقلّ من 50 في المئة... الحمّى المستمرّة... تراجع إنتاج البول في الساعات الأربع الماضية...

– ... أشعّة سينية أخرى للصدر، تحقّق من عدم وجود شيء في الرئتين...

انتظر سترايك محبطًا، شخصًا يطلعه على معلومات سهلة الفهم. في النهاية استدار الجرّاح للتحدّث معه:

– سنبقيه تحت تأثير المخدّر الآن. فهو ليس مستعدًّا للتخلّي عن إمداده بالأكسيجين ويجب أن تتوازن السوائل بطريقة صحيحة.

– ما معنى ذلك؟ هل ساءت حاله؟

– لا، غالبًا ما تسير الأمور على هذا النحو. عانى التهابًا سيّئًا للغاية. كان علينا غسل الصفاق جيّدًا. أودّ فقط تصوير الصدر بالأشعّة السينية كإجراء احترازي، لأتأكّد من أنّنا لم نثقب أيّ شيء خلال عملية إنعاشه. سأعود لأطمئنّ عليه لاحقًا.

ابتعدا نحو مراهق كثير الضمادات مغطّى بالأنابيب أكثر من جاك، تاركين سترايك قلقًا ومضطربًا في أعقابهما. خلال ساعات الليل، بدأ سترايك يرى في هذه الآلات صديقة أساسية، تساعد ابن أخيه على التعافي. أمّا الآن فهي تبدو له كمجموعة من القضاة الحاقدين يرفعون الأرقام التي تشير إلى أنّ حالة جاك سيّئة.

تمتم سترايك «اللعنة» مجدّدًا، وقرّب الكرسيّ من السرير. «جاك... والداك...» شعر بوخز خبيث خلف جفنيه. مرّت ممرّضتان بهما... «اللعنة».

سيطر على نفسه بجهد عظيم وأخلى مجرى حلقه.

«... آسف يا جاك، والدتك لا تحبّني أن أقسم على مسمعك... أنا خالك كورموران. بالمناسبة إن لم... على أيّ حال، والداك في طريقهما إلى هنا، هل سمعت؟ وسأبقى معك حتى...».

توقف في منتصف الجملة. ظهرت روبن في مدخل الجناح البعيد. راقبها وهي تسأل راهبة مسؤولة عن الاتّجاهات، ثمّ مشت نحوه، مرتدية بنطلون جينز وقميصًا، وقد تلوّنت عيناها بلونهما الرمادي الأزرق المعتاد وأرخت شعرها، وحملت كوبين من البوليسترين.

عندما لمحت روبن تعابير سترايك المعبّرة عن السعادة والامتنان من دون تحفّظ، شعرت بتعويضٍ كبير عن الجدال المؤلم الذي قام بينها وبين ماثيو، والحافلتين اللتين اضطرت أن تستقلّهما بالإضافة إلى سيّارة الأجرة كي تصل إلى المستشفى. ثمّ ظهر الشكل الهزيل الممدّد بجانب سترايك.

قالت بهدوء: «أوه! لا!»، وتوقفت عند أسفل السرير. «روبن، لم تكوني مجبرة...».

قالت روبن: «أعلم ذلك». وسحبت كرسيًّا بجانب كرسيّ سترايك. لكنّني لو كنت مكانك لما رغبت في تحمّل هذا كلّه بمفردي. وأضافت وهي تقدّم له كوب الشاي: «احذر، إنّه حار».

أخذ الكوب منها، ووضعه على خزانة بجانب السرير، ثمّ مدّ يده وأمسك بيدها بشدّة. ثمّ ما لبث أن أفلتها قبل أن تتمكّن من أن تشدّ على يده هي أيضًا. ثمّ جلس كلاهما يحدّقان في جاك لبضع ثوانٍ، حتى سألته روبن بينما لا تزال أصابعها تؤلمها:

– ما أحدث المستجدّات؟

قال سترايك:

– لا يزال بحاجة إلى الأكسيجين ولا يبول بما فيه الكفاية. لا أعرف ما معنى هذا. أفضّل الحصول على علامة من عشرة أو... لا أعرف. ويريدون أن

يصوّروا صدره بالأشعّة السينية ليتأكّدوا من أنّهم لم يثقبوا رئتيه خلال إدخال هذا الأنبوب.

– متى أجروا له العملية؟

– عصر البارحة. انهار في صفّ الرياضة أثناء الجري في المدرسة. رافقه صديق لغريغ ولوسي يقيم بجوار المدرسة مباشرة في سيّارة الإسعاف ووافيتهما إلى هنا.

لم يتحدّث أيّ منهما لفترة، بينما أعينهما متسمّرة على جاك.

ثمّ قال سترايك:

– كنت خالًا فظيعًا لهما. لا أعرف تاريخَي مولدهما حتى. لما استطعت أن أقول لك كم عمره. والد رفيقه الذي أحضره إلى هنا يعرف أكثر منّي. جاك يريد أن يصبح جنديًا، وتقول لوسي إنّه يتحدّث عنّي ويرسم لي صورًا ولم أشكره يومًا على ذلك.

قالت روبن، متظاهرة بأنّها لا ترى أنّه يكفكف دموعه بكمّه:

– أنت هنا الآن، من أجله. عندما احتاج إليك وجدك. ولديك متّسعٌ من الوقت لتعويض كلّ ذلك.

قال سترايك، وعيناه ترفّان بسرعة:

– أجل. أتعلمين ماذا سأفعل إذا...؟ سأصطحبه إلى المتحف الحربي الإمبراطوري في رحلة تدوم طوال اليوم.

قالت روبن بلطف:

– فكرة جيّدة.

– هل سبق أن زرته؟

– كلّا.

– متحف جيّد.

اقتربت الآن ممرّضتان، وكانت إحداهما المرأة التي تجاهلها سترايك في وقت سابق.

قالت الفتاة مخاطبة روبن بدلًا من سترايك: «يجب أن نجري له صورة بالأشعّة. أتمانعان الانتظار في الخارج؟»

سأل سترايك: «كم سيستغرق ذلك؟».

«نصف ساعة، أربعين دقيقة تقريبًا».

أحضرت روبن عكّازي سترايك وذهبا إلى المقصف. قال سترايك وهما يجلسان أمام كوبين آخرين من الشاي الباهت وبعض البسكويت بالزنجبيل: «جميل جدًا منك أن تأتي يا روبن، ولكن إن كان لديك أمور تقومين بها...»

فأجابته روبن: «سأبقى إلى أن يأتي غريغ ولوسي. سيكون الأمر مروّعًا بالنسبة لهما، لأنّهما بعيدين جدًا. مات في السابعة والعشرين من عمره وكان والده قلقًا للغاية عندما اشتدّ مرضهُ في جزر المالديف».

– أحقًا مرض؟

– نعم، كما تعلم، عندما... آه، بالطبع. لم أطلعك على الأمر قطّ، أليس كذلك؟

– علامَ؟

– أصيب مات بالتهاب قويّ جدًا في شهر العسل بسبب خدش أصابه عندما احتكّ بإحدى الشعب المرجانية. فكّروا في نقله جوًّا إلى المستشفى في وقت من الأوقات، لكنّ الأمر انتهى على خير، وتبيّن أنّ حالته ليست بالسوء الذي تصوّروه في البداية.

فيما كانت تخبره بذلك، تذكّرت كيف دفعت يومها الباب الخشبي الذي كان لا يزال ساخنًا من الشمس التي ضربته طوال النهار، وانقبض حلقها من الخوف لأنّها كانت تستعدّ لإخبار ماثيو أنّها تريد فسخ زواجهما. لم تكن تعرف ما الذي توشك على مواجهته.

– كما تعلم، تُوفيت والدة مات قبل وقت ليس ببعيد، لذلك خاف جيفري كثيرًا بشأن مات... وكرّرت: لكن كان كلّ شيء على ما يُرام. وهي تشرب كوب الشاي الفاتر، وعيناها على المرأة الواقفة خلف المنضدة، التي تغرف الفاصوليا المطبوخة لتملأ طبق مراهق نحيف.

راقبها سترايك. لقد شعر بإغفالات في قصّتها... «ألقي اللوم على البكتيريا البحرية».

وقال:

– لا بدّ أنّ الأمر كان مخيفًا.

قالت روبن، وهي تتفحّص أظافرها القصيرة النظيفة، ثمّ تتفحّص ساعتها:

– في الحقيقة، لم يكن الأمر ممتعًا. إن كنت تريد سيجارة يجب أن نذهب الآن، سيعود جاك إلى غرفته قريبًا.

كان أحد المدخّنين الذين انضمّا إليهم في الخارج يرتدي بيجاما. وقد أحضر مصله معه، وأمسك علّاقة الكيس المعدنية بإحكام كعصا الراعي ليحافظ على ثباته. أشعل سترايك سيجارته وزفر دخانها نحو سماء زرقاء صافية.

– لم أسألك عن عطلة نهاية الأسبوع في ذكرى زواجكما السنوية.

قالت روبن بسرعة:

– أنا آسفة لأنّني لم أستطع العمل. كنّا قد حجزنا و...

– هذا ليس سبب سؤالي.

تردّدت:

– في الحقيقة، لم تكن رائعة.

– آه، في الواقع في بعض الأحيان عندما يشعر المرء بأنّه يجب عليه أن يقضي وقتًا ممتعًا...

فقالت روبن:

– نعم، بالضبط.

بعد وقفة قصيرة أخرى سألت:

– لوريلاي تعمل اليوم، على ما أظن؟

فأجابها سترايك:

– على الأرجح. أيّ يوم نحن؟ يوم السبت؟ نعم، أظنّ أنّها تعمل.

وقفا في صمت بينما كانت سيجارة سترايك تتقلّص، مليمترًا بعد المليمتر، وهما يراقبان الزائرين وسيّارات الإسعاف القادمة. لم يخيّم أيّ حرج عليهما، لكنّ الجوّ بدا مشحونًا، بطريقة ما، بأمور ملغّزة ومكتومة. أخيرًا، ضغط سترايك على كعب سيجارته في منفضة سجائر مفتوحة كبيرة تجاهلها معظم المدخّنين، وتحقّق من هاتفه.

قال وهو يقرأ آخر رسالة نصّية من لوسي: «استقلّا الطائرة قبل عشرين دقيقة. من المفترض أن يصلا عند الثالثة.

سألته روبن: «ماذا حدث لهاتفك؟» وهي تنظر إلى الشاشة المغطّاة بكثافة بالشرائط اللاصقة.

قال سترايك: «وقعت عليه. سأشتري هاتفًا جديدًا عندما يدفع لنا تشيزيل».

مرّا بآلة الأشعّة السينية التي كان بعض أفراد الطاقم الطبي يخرجونها من الجناح أثناء عودتهما إلى الداخل، وقال لهما أحدهم: «يبدو الصدر على ما يرام!».

جلسا بجانب جاك يتحدّثان بهدوء لمدّة ساعة أخرى، إلى أن ذهبت روبن لشراء المزيد من الشاي وألواح الشوكولاتة من الموزّع الآليّ القريب، واستهلكاها في غرفة الانتظار بينما أخبرت روبن سترايك بكلّ ما اكتشفته عن مؤسّسة وين الخيرية.

قال سترايك، في منتصف لوح المارس الثاني:

– تفوّقت على نفسك. كان هذا عملًا ممتازًا يا روبن.

– لا تمانع أنّني أخبرت تشيزيل؟

– كلا، لقد اضطُررتِ إلى ذلك. الوقت يداهمنا الآن فعلًا فيما يحوم ميتش باترسون حولنا بحثًا عن المعلومات. هل قبلت السيّدة كورتيس لاسي الدعوة إلى الحفل؟

– سأعرف ذلك يوم الاثنين. ماذا عن باركلي؟ كيف يتدبّر أمره مع جيمي نايت؟

تنهّد سترايك قائلًا:

– لم يجد شيئًا يمكننا استخدامه حتى الآن – وهو يمرّر يده على اللحية الخفيفة التي كانت تتحوّل بسرعة إلى لحية كثيفة – لكنّني متفائل. باركلي عنصر جيّد. إنّه مثلك. لديه غريزة لكشف الأمور.

اقتحمت إحدى العائلات غرفة الانتظار، كان الأب يتنفّس بصخب من أنفه، والأم تبكي.أمّا الابن، الذي بالكاد تجاوز الست سنوات، فقد حدّق في

ساق سترايك المفقودة كما لو كانت مجرّد تفصيل مروّع إضافي من العالم المرعب الذي دخله فجأة. تبادل سترايك وروبن نظرة وغادرا، بعد أن حملت روبن شاي سترايك وهو يتأرجح على عكّازيه.

ما إن استقرّا بجانب جاك مجدّدًا، حتّى سألها:

– كيف كان ردّ فعل تشيزيل عندما أخبرته بكلّ ما حصلت عليه عن وين؟

– كان مسرورًا. في الواقع، عرض عليّ وظيفة.

أجابها بدون قلق:

– كان ليدهشني ألّا يفعل. في الحقيقة، يدهشني أنّك لا تتلقين ما يكفي من هذه العروض.

بعد ذلك، التقى طبيب التخدير والجرّاح عند أسفل سرير جاك مجدّدًا.

قال طبيب التخدير:

– في الواقع، الأمور تتحسّن. صور الأشعّة صافية وحرارته تنخفض.

وقال مبتسمًا لروبن:

– هكذا هم الأولاد. ينتقلون بسرعة في الاتّجاهين. سنرى ردّ فعله إذا خفضنا كمّية الأكسيجين، لكنّني أعتقد أنّنا على طريق التعافي.

قالت روبن:

– آه، الحمد لله.

سأل سترايك:

– هل سيعيش؟

قال الجراح بقليل من التعالي:

– نعم، أعتقد ذلك. نحن نعلم ما نفعله هنا.

تمتم سترايك، محاولًا النهوض من دون جدوى، إذ شعر بالضعف عند تلقّيه الأخبار السارّة أكثر مّما كان ليشعر لو أنّها كانت سيّئة: «يجب أن أخبر لوسي بذلك». جلبت روبن عكّازيه وساعدته على الوقوف. وفيما شاهدته يتمايل في مشيته نحو غرفة الانتظار، جلست مجدّدًا، وزفرت بصوت عالٍ ووضعت وجهها لفترة وجيزة بين يديها.

قال طبيب التخدير بلطف: «تكون الأمور دائمًا أسوأ بالنسبة للأم».

لم تكلف نفسها عناء تصحيح خطئه.

غاب سترايك لمدّة عشرين دقيقة. ولما عاد قال:

– حطّت طائرتهما للتوّ. لقد حذّرتها من مظهره، وباتا مستعدّين، سيصلان إلى هنا في غضون ساعة تقريبًا.

قالت روبن:

– رائع.

– يمكنك الذهاب يا روبن، لم أقصد أن أفسد يوم عطلتك.

قالت روبن وهي تشعر ببعض الوهن فجأة:

– أوه. حسنًا.

وقفت وأخذت سترتها عن ظهر الكرسيّ وحقيبتها.

– أكيد أنّك لا تمانع مغادرتي؟...

– أجل، أجل، ربّما سأحاول النوم قليلًا الآن وقد علمنا أنّه سيكون على ما يرام. سأرافقك إلى الخارج.

– لا حاجة لذلك...

– أحتاج للخروج في جميع الأحوال. أريد أن أدخّن سيجارة أخرى.

لكن عندما وصلا إلى المخرج، سار سترايك معها، بعيدًا من المدخّنين المتجمّعين، متجاوزًا سيّارات الإسعاف وموقف السيّارات الذي بدا كأنّه يمتدّ لأميال. عبر الضباب المغبرّ، لمعت أسطح المباني كأظهر كائنات بحرية.

«كيف أتيت هنا؟»، سألها بعد أن ابتعدا من الزحام وحاذيا رقعة من العشب محاطة بأزهار المنثور وقد اختلطت رائحتها برائحة الطريق المعبّدة الساخنة.

– بالحافلة، ثمّ بسيّارة أجرة.

– دعيني أدفع لك أجرة سيّارة الأجرة...

– لا تكن سخيفًا. فعلًا...

– إذًا... شكرًا يا روبن. زيارتك أحدثت كلّ الفرق.

ابتسمت له.

– هذا ما يفعله الأصدقاء.

اتّكأ بطريقة غريبة على عكّازيه، وانحنى نحوها. لم تدم المعانقة طويلًا وكانت هي من ابتعدت أولًا، مخافةَ أن تفقده توازنه، لكنّ القبلة التي وجّهها إلى وجنتها حطّت على فمها وهي تدير وجهها نحوه.

همس:

– آسف.

فقالت وقد احمرّت وجنتاها:

– لا تكن سخيفًا. حسنًا، من الأفضل أن أرحل.

– أجل، بالطبع.

وأدار ظهره لها.

فقالت بصوت عال:

– أبقني على علم بتطوّر حالته.

فرفع يده ليجيبها بالإيجاب.

ابتعدت بدون أن تنظر وراءها. كان بإمكانها أن تشعر بشكل فمه على شفتيها، ووخز شعر لحيته على بشرتها التي لم تحكّها رغم ذلك، كي لا تفقد ذلك الإحساس.

نسي سترايك أنّه نزل ليدخّن سيجارة أخرى. ألأنّه بات الآن واثقًا بأنه سيأخذ ابن أخته إلى المتحف الحربي الإمبراطوري، أم لسبب آخر؟ كان لا يزال يشعر بالإرهاق لكنه امتزج الآن بشعورٍ عارمٍ بالفرح وكأنّه شرب جرعة كبيرة من الكحول. فجأة، تحوّل تلوّث لندن في الأصيل وحرارتها ورائحة زهر المنثور إلى جوّ مفعم بالجمال.

يا لروعة أن يستعيد المرء الأمل، بعد أن يحسَب أنّه ضاع منه إلى الأبد.

27

يتمسّكون بموتاهم لفترة طويلة
في روسميرشولم.

هنريك إبسن، روسميرشولم

بحلول الوقت الذي وجدت فيه روبن طريقها عبر لندن إلى ملعب الكريكيت الذي تقصده للمرّة الأولى، دقت الساعة الخامسة بعد الظهر وكانت مباراة ماثيو الخيرية قد انتهت. وجدته في ملابسه العادية في الحانة، غاضبًا بالكاد يتحدّث معها، إذ كان فريقه قد خسر في الوقت الذي كان الفريق الآخر يصيح مبتهجًا بفوزه.

عندما وجدت روبن نفسها أمام تجاهل زوجها، وعدم وجود أصدقاء لها بين زملائه، قرّرت عدم الذهاب إلى المطعم مع أعضاء الفريقين وشركائهم، وشقت طريقها إلى المنزل بمفردها.

في صباح اليوم التالي، وجدت ماثيو ممدّدًا على الأريكة بملابسه كاملةً، يهدر بشخير الثمالة. تجادلا عندما استيقظ، واستمرّ الجدال لساعات ولم يحلّ شيئًا. انتقد ماثيو كيف أنّها اتخذت على عاتقها مهمّة أن تهرع نحو سترايك وتمسك بيده وتساعده، بينما لديه حبيبة، وأصرّت هي على أنّ لا أحد يترك صديقًا يواجه بمفرده احتمال احتضار طفل إلّا إذا كان يفتقر إلى الإنسانيّة.

تفاقم الخلاف ووصل إلى مستويات من الغلّ لم يصل إليها في عام كامل من المشاجرات الزوجية. فقدت روبن أعصابها، وسألت عمّا إن كانت لا تستحق شهادة حسن سلوك، بعدما أمضت عقدًا من الزمن في مشاهدة ماثيو وهو يجول في مختلف الملاعب الرياضية. ففاجأته اللسعة فعلًا.

– إن كنت لا تستمتعين بذلك، كان يجب أن تخبريني!

– لم يخطر الأمر ببالك قطّ، أليس كذلك؟ لأنّ من المفترض أن أرى انتصاراتك كلّها على أنّها انتصاراتي، أليس كذلك يا مات؟ فيما إنجازاتي أنا...

قال ماثيو:

– عفوًا، هلّا ذكّرتني بها مجدّدًا؟ وهي إهانة لئيمة لم يوجّهها إليها من قبل. أم أنّنا ننسب إنجازاته لك؟

مرّت ثلاثة أيّام ولم يغفر أحدهما للآخر. كانت روبن تنام في الغرفة الإضافية كلّ ليلة منذ شجارهما، وتستيقظ باكرًا كلّ صباح كي تتمكّن من مغادرة المنزل قبل خروج ماثيو من الحمّام. راودها ألمٌ مستمرّ خلف عينيها، وتعاسة كان من السهل تجاهلها أثناء العمل، لكنّها كانت تلتصق بصدرها كما قد تلتصق بالصدر رقعة علاج ضغط الدم المنخفض، بمجرّد أن تتوجّه إلى المنزل كلّ ليلة. ضغط غضب ماثيو الصامت على جدران منزلهما، الذي بدا، على الرغم من أنّ مساحته تبلغ ضعف أيّ مساحة تشاركا فيها من قبل، أكثر قتامة وضيقًا.

ماثيو زوجها. وكانت قد وعدته بالمحاولة. لكنّها شعرت بالتعب والغضب والذنب والبؤس وأصبحت كأنّها تتأمّل حدوث أمر حاسم من شأنه أن يطلق سراحهما بشرف، من دون المزيد من المشاجرات الدنيئة، وإنّما بطريقة منطقية. عادت أفكارها، مرارًا وتكرارًا، إلى يوم زفافهما، عندما اكتشفت أنّ ماثيو محا رسائل سترايك. وندمت من كلّ قلبها على عدم المغادرة حينئذٍ، قبل أن يجرح نفسه على الشعب المرجانية، قبل أن تقع، كما باتت ترى الأمر الآن، في فخّ جبنها المتخفّي في زيّ الرحمة.

وهي تقترب من مجلس العموم صباح الأربعاء، ولم تكن قد ركّزت بعد على يومها، لانشغالها بالتفكير في مشاكلها الزوجية، ابتعد رجل ضخم

يرتدي معطفًا عن السياج حيث كان يقف مع السائحين الأوائل في ذلك اليوم، ومشى نحوها. كان طويل القامة وعريض الكتفين، له شعر فضّي كثيف، ووجه مسطح كثير الحُفر والتجاعيد. لم تدرك روبن أنّها هدفه إلى أن توقّف أمامها مباشرة، ووضع قدمين كبيرتين بثبات في زاويتين متقابلتين، ما أعاق تقدّمها إلى الأمام.

– فينيسيا؟ هل لي بكلمتين معك يا عزيزتي؟

خطت روبن نصف خطوة إلى الوراء مذعورة، ناظرة إلى الأعلى في الوجه القاسي المسطّح المليء بالمسامّ الواسعة. لا بدّ أنّه صحافي. هل عرفها؟ كانت العدسات اللاصقة العسلية أكثر وضوحًا عن قرب، حتى وراء نظّارتها ذات العدسة العادية.

– بدأت للتوّ العمل لدى جاسبر تشيزيل، أليس كذلك يا عزيزتي؟ كنت أتساءل كيف حدث ذلك. كم يدفع لك؟ أتعرفينه منذ مدّة طويلة؟

قالت روبن: «لا تعليق» ومشت محاوِلةً تجنّبه لكنه مشى معها. فقالت له بحزم، وهي تحارب شعورها المتزايد بالذعر: «ابتعد من طريقي. يجب أن أذهب إلى عملي».

كان شابّان إسكندنافيان طويلا القامة يحملان حقائب ظهر يراقبان المواجهة بقلق واضح.

قال الرجل بهدوء: «إنّني أمنحك الفرصة لتخبري القصّة من جانبك، يا عزيزتي. فكّري في الأمر. قد تكون هذه فرصتك الوحيدة».

وتنحّى جانبًا. اصطدمت روبن بمنقذيها المحتملين وهي تتخطّاهما. تبًّا، تبًّا... من كان هذا؟

ما إن تجاوزت بأمان الماسح الأمني، حتّى تنحّت جانبًا في القاعة الحجرية الكبيرة حيث كان الموظفون يتخطّونها واتّصلت بسترايك. لم يردّ.

تمتمت في بريده الصوتي: «اتّصل بي، من فضلك، على وجه السرعة».

بدلًا من التوجّه إلى مكتب إيزي، أو إلى المساحة الواسعة التي تُدعى بوركوليس هاوس، والتي قد يُسمع فيها صدى صوتها، لجأت إلى إحدى غرف الشاي الأصغر، التي لولا صندوق النقود (الكاشيير) الموجود فيها لظنّ المرء

أنّه في غرفة مشتركة للمعلمين في مدرسة، مكسوّة بألواح خشبية دكناء ومغطّاة بسجّاد من اللون الأخضر كلون الغابة المنتشر في المبنى بكامله. يقسم الغرفة حاجز بلّوط ثقيل، ويجلس النوّاب في الطرف البعيد منها، بعيدًا من الموظّفين الأقلّ شأنًا. اشترت روبن فنجانًا من القهوة، وجلست إلى طاولة بجانب النافذة، علّقت معطفها على ظهر كرسيّها، وانتظرت أن يتّصل سترايك بها. لم تهدّئ المساحة الساكنة أعصاب روبن إلّا قليلًا.

مرّت ثلاثة أرباع الساعة تقريبًا قبل أن يتّصل بها سترايك هاتفيًا. قال وهو يلهث: «آسف، لقد فاتني اتّصالك، كنت في مترو الأنفاق. ثمّ اتّصل تشيزيل. لقد أقفل الخطّ للتوّ. لدينا مشكلة».

قالت روبن: «يا إلهي، ماذا بعد؟» وهي تضع قهوتها على الطاولة بينما بدأت معدتها تتقلّص في حالة من الذعر.

«يعتقدون في صحيفة الصن أنّك القصّة».

وفي الحال، علمت روبن بمن التقت للتوّ خارج مجلسي العموم: ميتش باترسون، المحقّق الخاصّ الذي عيّنته الصحيفة.

– كانوا يبحثون عن أيّ شيء جديد في حياة تشيزيل، وها أنتِ ذي، امرأة جديدة جميلة المظهر في مكتبه، بالطبع سيتحرّون عنك. انفصل تشيزيل عن زوجته الأولى لأنّه كان على علاقة غرامية مع امرأة في مكان عمله. المشكلة هي أنّه لن يطول بهم الأمر قبل أن يكتشفوا أنّك لست حقًّا ابنته بالعمادة. آخ!... اللعنة...

– ما الأمر؟

– في اليوم الأول الذي عدت فيه أمشي على قدميّ قرّر الطبيب المتحايل أخيرًا الذهاب ومقابلة فتاة في السرّ. حديقة تشيلسي فيزيك، مترو الأنفاق إلى ساحة سلون ونزهة لعينة على الأقدام. ثمّ أضاف وهو يلهث: على أيّ حال، ما أخبارك السيّئة؟

– نفس القصة تقريبًا. حاول ميتش باترسون أن يتكلّم معي للتوّ خارج البرلمان.

– اللعنة! أتعتقدين أنّه عرفك؟

– لم يبدُ عليه ذلك، لكنّني لا أعرف. وسألت روبن فيما كانت تتأمّل السقف العاجي الذي تزيّنه دوائر متداخلة من الجصّ: ينبغي عليّ أن أرحل، أليس كذلك؟ يمكننا وضع شخص آخر هنا. آندي أم باركلي؟

قال سترايك:

– ليس الآن. إذا رحلت من اللحظة الأولى التي قابلتِ فيها ميتش باترسون، فستؤكّدين الإشاعة. على أيّ حال، يريدك تشيزيل أن تحضري ذلك الحفل مساء غد لمحاولة الحصول على بقيّة المعلومات التي تورّط وين من تلك المؤتمنة... ما اسمها، إلسبيث؟ اللعنة... آسف... أواجه مشكلة هنا، الطريق معبّدة بالألواح الخشبية اللعينة. أخذ المتحايل الفتاة في نزهة بين الشجيرات. إنّها تبدو في السابعة عشرة من عمرها.

– ألا تحتاج إلى هاتفك لالتقاط الصور؟

– وضعت تلك النظّارة مع الكاميرا المدمجة. وأضاف بهدوء: أوه، ها نحن، المتحايل يداعبها بين الأجمات.

انتظرت روبن. وسمعت نقرة خافتة للغاية.

تمتم سترايك:

– وصل بعض علماء البستنة فجأة، ما دفع المتحايل والفتاة للخروج إلى العلن... وتابع: اسمعي، قابليني في المكتب غدًا بعد العمل، قبل أن تذهبي إلى الحفل. سنقيّم كلّ ما حصلنا عليه من معلومات حتى الآن ونقرّر ما ستكون خطوتنا التالية. ابذلي قصارى جهدك لاستعادة جهاز التنصّت الثاني، لكن لا تستبدليه، فقد نحتاج إلى إخراجك من هناك.

قالت روبن وقد اعتراها القلق:

– حسنًا، لكن الأمر سيكون صعبًا. أنا واثقة من أنّ أمير يشتبه بي... كورموران، يجب أن أقفل الخط.

فقد رأت إيزي ورافاييل يدخلان غرفة الشاي. كان ذراع رافاييل يحيط بأخته غير الشقيقة، ورأت روبن أنّ هذه الأخيرة مضطربة وعلى شفير البكاء. التفت رافاييل لوجودها، فسارعت إلى إقفال الخطّ مع سترايك، وسرعان ما قام

بحركة تجهّم مشيرًا إلى أنّ إيزي مستاءة، ثمّ تمتم شيئًا لأخته، التي طأطأت برأسها واتّجهت نحو طاولة روبن، تاركة رافاييل يذهب لشراء المشروبات.

قالت روبن:

– إيزي! وسحبت كرسيًا لها. هل أنت بخير؟

فيما جلست إيزي، انهمرت الدموع من عينيها. أعطتها روبن منديلًا ورقيًا.

فقالت بصوت أجشّ:

– شكرًا يا فينيسيا. أنا آسفة جدًا لأنّني أحدث بلبلة. الأمر سخيف.

أخذت نفسًا عميقًا مرتجفًا وجلست منتصبة، بوضعية فتاة أُمرت لسنوات بأن تجلس وفق هذه الوضعيّة وبأن تتمالك نفسها.

وكرّرت: «الأمر سخيف»، والدموع تنهمر من عينيها مجدّدًا.

قال رافاييل وهو يصل بصينية: «تصرّف أبي معها كنذل».

صرخت إيزي: «لا تقل هذا يا راف»، فيما تساقطت دموع أخرى عن أنفها. «أعرف أنّه لم يقصد ذلك. كان مستاءً عندما وصلت، وأنا زدت من استيائه. أتعلم أنّه فقد مشبك النقود الذهبي الذي كان لفريدي؟».

قال رافاييل بلا اهتمام: «كلا».

«يعتقد أنّه تركه في أحد الفنادق في عيد ميلاد كينفارا. كانوا قد اتّصلوا به للتوّ عندما وصلت. ولم يجدوه. أنت تعرف كيف لا يزال يتصرّف حتى الآن عندما يتعلّق الأمر بفريدي».

مرّت نظرة غريبة على وجه رافاييل، وكأنّ فكرةً غير سارّة راودته.

وأكملت إيزي مرتجفة: «ثمّ أخطأت في كتابة تاريخ إحدى الرسائل وفقد صوابه...».

لفّت إيزي المنديل الرطب بين يديها.

وانفجرت: «خمس سنوات، عملت لديه خمس سنوات، ويمكنني عدّ المرات التي شكرني فيها على أيّ شيء، هي أقلّ من أصابع يدي. عندما أخبرته أنّني أفكر في المغادرة قال: «ليس قبل الألعاب الأولمبية»، وارتجف صوتها وهي تكمل: «لأنّني لا أريد تدريب شخص جديد قبل ذلك».

أطلق رافاييل شتيمة بصوت منخفض.

ثمّ أردفت بسرعة وانقلب موقفها كما في فيلم كوميدي: «لكنّ الموضوع ليس بهذا السوء حقًا». وعرفت روبن أنّ إيزي تذكّرت للتوّ أملها في أن يتولّى رافاييل وظيفتها. «أنا فقط منزعجة، وهذا ما يجعل الأمر يبدو أسوأ ممّا هو عليه».

رنّ جوّالها. قرأت اسم المتّصل وأنّت: «ليس البائسة الثانية، ليس الآن، لا أستطيع. راف، خذ، تحدّث معها».

قدّمت له الجوّال، لكنّ رافاييل ارتدّ كما لو طُلب منه أن يحمل رتيلاء.

– من فضلك، راف... رجاءً...

بتردّد شديد، أخذ رافاييل الهاتف.

– مرحبًا كينفارا. راف هنا، إيزي خارج المكتب. لا... فينيسيا ليست هنا... لا... أنا في المكتب، بالطبع، وأجبت للتوّ على هاتف إيزي... ذهب إلى الحديقة الأولمبية. لا... لا، لا أفعل ذلك... لا أعرف أين فينيسيا، كلّ ما أعرفه هو أنّها ليست هنا... أجل... أجل... حسنًا... وداعًا، إذًا... رفع حاجبيه.

– أغلقت الخطّ في وجهي.

دفع الهاتف عبر الطاولة إلى إيزي، التي سألت:

– لماذا هي مهتمّة للغاية بمكان فينيسيا؟

قال رافاييل مستمتعًا بالوضع:

– ثلاثة تخمينات.

نظرت روبن من النافذة وقد فهمت ما يقصده، وشعرت بأنّ وجهها بدأ يحمرّ. وتساءلت إن كان ميتش باترسون قد اتّصل بكينفارا، وزرع هذه الفكرة في رأسها.

قالت إيزي:

– أوه، بربّك! هي تعتقد أنّ والدنا...؟ فينيسيا صغيرة بما يكفي لتكون ابنته!

قال رافاييل:

– إن لم تلاحظي، زوجته أيضًا صغيرة بما يكفي لتكون ابنته، وأنت تعرفينها جيّدًا وتعرفين كيف تتصرّف. كلما ساءت حال زواجهما، أصبحت أكثر غيرة. أبي لا يردّ على اتّصالاتها، وها هي تتبنّى خلاصات متأثّرة بجنون الارتياب.

قالت إيزي:

– والدنا لا يردّ على اتّصالاتها لأنّها تفقده صوابه. خلال العامين الماضيين، رفضت التزحزح من منزلها أو الابتعاد من خيولها اللعينة. فجأة دنا موعد الألعاب الأولمبية وامتلأت لندن بالمشاهير وكلّ ما تريده الآن هو أن تأتي إلى المدينة مرتدية الملابس الأنيقة لتؤدّي دور زوجة الوزير.

أخذت نفسًا عميقًا آخر، وجفّفت وجهها مرّة أخرى، ثمّ وقفت:

– من الأفضل أن أعود، نحن مشغولون للغاية. ثمّ قالت: شكرًا يا راف، وهي تربّت كتفه برفق.

وابتعدت. نظر إليها رافاييل وهي تبتعد، ثمّ عاد إلى روبن.

– إيزي هي الوحيدة التي تكلّفت عناء زيارتي عندما كنت في السجن، كما تعلمين.

قالت روبن:

– أجل. أخبرتني بذلك.

– وعندما كنت أضطرّ للذهاب إلى منزل تشيزيل اللعين عندما كنت طفلًا، كانت هي الوحيدة التي تتحدّث معي. فقد كنت في نظرهم الوغد الصغير الذي قام بتفتيت أسرتهم، لذلك كانوا جميعًا يكرهونني، لكنّ إيزي كانت تسمح لي بتمشيط حصانها الصغير.

ملأ القهوة في فنجانه، وبدا متجهّمًا.

– أفترض أنّك كنت مغرمة بفريدي المتعجرف، على غرار جميع الفتيات الأخريات؟ كان يكرهني. كان يناديني «رافاييلا» ويتظاهر بأنّ أبي أخبر العائلة أنّني فتاة أخرى.

قالت روبن:

– يا له من أمر مروّع!

وتحوّلت عبسة رافاييل إلى ابتسامة متردّدة.

– أنت لطيفة جدًا.

بدا كأنّه يناقش نفسه في ما إن كان سيقول شيئًا أم لا. ثم سأل فجأة:

– هل قابلت جاك أوكنت عندما كنت تأتين في زيارة؟

– من؟

– الرجل العجوز الذي كان يعمل عند أبي. كان يقيم في أراضي تشيزيل هاوس. وكان يخيفني كثيرًا عندما كنت طفلًا. كان وجهه غائرًا وعيناه مجنونتين، وكنت أراه كلّما خرجت إلى الحدائق. لم ينبس ببنت شفة إلّا أنّه كان يشتمني عندما يجدني في طريقه.

أجابت روبن كاذبة:

– أنا... أتذكّر بشكل غامض شخصًا كهذا.

– كان والدي يلقبه «جاك أوكنت». من كان جاك أوكنت؟ هل كانت له علاقة بالشيطان؟ على أيّ حال، كنت أرى كوابيس حقيقية عن ذلك الرجل العجوز. ذات مرّة ضبطني فيما كنت أحاول دخول الحظيرة ووبّخني. أدنى وجهه من وجهي وقال ما معناه: لو كنت مكانك لما أحببت ما سأراه في الداخل، أو أنّ ما في الداخل خطير على الأولاد الصغار، أو... لا أتذكّر بالضبط. كنت مجرّد طفل.

وافقت روبن قائلة:

– هذا يبدو مخيفًا – وقد أيقظ اهتمامها الآن. ماذا كان يفعل في الداخل، هل اكتشفت ذلك؟

أجاب رافاييل:

– كان على الأرجح يخزّن الآلات الزراعية، لكنّه جعل الأمر يبدو كأنّه يمارس طقوسًا شيطانية. لكنّه كان نجّارًا ماهرًا. هو من صنع نعش فريدي. كانت شجرة بلّوط إنجليزية قد سقطت... وأراد أبي أن يُدفن فريدي في تابوت من خشب أراضيه...

بدا مرّة أخرى، يتساءل عمّا إن كان يجب أن يقول ما يدور في ذهنه، فتفحّصها من وراء رموشه الدكناء وأخيرًا قال:

– هل يبدو أبي... طبيعيًا لك في الوقت الحالي؟

– ماذا تعني؟

– ألا تعتقدين أنّه يتصرّف بغرابة بعض الشيء؟ لماذا يصرخ في وجه إيزي لأتفه الأمور؟

اقترحت روبن:

– ضغط العمل ربّما؟

قال رافاييل:

– أجل... ربّما. ثمّ أضاف عابسًا: اتّصل بي الليلة الماضية، وهو أمر غريب في حدّ ذاته، لأنّه لا يستطيع في العادة تحمّل رؤيتي. وقال: «أريد فقط التحدّث معك»، وهذا أمر لم يحدث من قبل. وكان قد أفرط في الشرب للمناسبة، عرفت ذلك حين بدأ يتكلّم. على أيّ حال، بدأ يتكلّم عن جاك أوكنت. لم أستطع أن أفهم ما يقصده. ذكر وفاة فريدي، وطفل كينفارا الميت، وبعد ذلك...

توقف رافاييل عن الكلام قليلًا وانحنى ليهمس لها، بينما شعرت روبن بركبتيه تلامسانها تحت الطاولة:

– أتذكرين تلك المكالمة الهاتفية التي تلقيناها، في أول يوم لي هنا؟ تلك الرسالة اللعينة المخيفة عن الناس الذين يتبوّلون على أنفسهم أثناء موتهم؟

فقالت روبن:

– أجل.

– قال لي: «هذا كله عقاب. كان جاك أوكنت هو المتّصل. إنّه قادم لينتقم منّي».

حدّقت به روبن.

وتابع رافاييل:

– لكن بغضّ النظر عن هويّة المتّصل، لا يمكن أن يكون جاك أوكينت. فجاك مات قبل سنوات.

لم تقل روبن شيئًا. تذكّرت فجأة هذيان ماثيو، وعمق تلك الليلة شبه الاستوائية، عندما توهّم أنّها والدته الميتة. بدا لها أنّ ركبتَي رافاييل تضغطان بقوّة أكبر على ركبتيها. فحرّكت كرسيّها للخلف قليلًا.

– بقيت مستيقظًا نصف الليل أتساءل عمّا إن كان أبي يتعرّض لانهيارٍ عصبيّ. لا يمكننا أن نتحمّل أن يفقد أبي صوابه هو أيضًا، أليس كذلك؟ يكفينا هلوسات كينفارا عن سفّاحي الخيول وحفّاري القبور...

كرّرت روبن بصوت حادّ:

– حفّاري القبور؟

سأل رافاييل بقلق:

– هل قلت حفّاري القبور؟ حسنًا، تعرفين ما أعنيه. الرجال في الغابة الذين يحملون المجارف.

– هل تعتقد أنّها تتخيّلهم؟

– لا أعرف على الإطلاق. تعتقد إيزي والباقون أنّها تتخيّلهم، لكنّهم يعاملونها كامرأة مصابة بالهستيريا منذ أن فقدت ذلك الطفل. كان عليها أن تمرّ بالمخاض على الرغم من علمهم أنّه قد مات، أتعلمين ذلك؟ منذ تلك الحادثة أصبحت مضطربة، ولكن عندما تكونين من عائلة تشيزيل، من المفترض أن تتحمّلي هذا النوع من الأمور، وأن تعتمري قبّعة وتذهبي إلى حفل افتتاح وغيره.

بدا كأنّه قرأ أفكار روبن في وجهها، لأنّه قال:

– هل توقعت منّي أن أكرهها، فقط لأنّ الآخرين يفعلون ذلك؟ صحيح أنّها مزعجة، وتعتقد أنّني رجل فاشل، لكنّني لا أقضي حياتي مراقبًا كلّ ما تنفقه على خيولها من ميراث بنات أو أبناء أختيّ. إنّها لا تسعى إلى المال، مهما اعتقدت إيزي وفيزي. وقد قال ذلك مشدّدًا على لقب أخته الأخرى. حتى والدتي، ظنّتا أيضًا أنّها كانت تسعى إلى المال. إنّه الدافع الوحيد الذي تفهمانه. ليس من المفترض أن أعرف أنّ لديهما ألقاب عائلة تشيزيل لي ولوالدتي أيضًا... احمرّ جلده الأدكن. على الرغم من المظاهر وقعت كينفارا

فعلًا في حبّ أبي، أرى ذلك بوضوح. كان بإمكانها أن تتزوّج من هو أفضل منه بكثير لو كان المال هو ما تسعى إليه. إنّه مفلس.

لم تتغيّر ملامح روبن، التي لا يشمل تعريفها لـ«الإفلاس» امتلاك منزل كبير في أوكسفوردشاير، وتسعة خيول، وشقة في لندن والعقد الماسي الثقيل الذي رأته حول رقبة كينفارا في الصور.

– هل زرت تشيزيل هاوس أخيرًا؟

– كلّا، ليس أخيرًا.

– إنّه يتداعى. كلّ ما فيه يأكله العثّ والبؤس.

– في المرّة الوحيدة التي أتذكّر فيها حقًّا أنّني زرت تشيزيل هاوس، كان الكبار يتحدّثون عن فتاة صغيرة اختفت.

سأل رافاييل متفاجئًا:

– حقًّا؟

– أجل، لا أستطيع أن أتذكّر اسمها. كنت صغيرة أنا أيضًا. سوزان؟ سوكي؟ لا أعرف... شيء من هذا القبيل.

قال رافاييل:

– لا يذكّرني الاسم بأيّ شيء. لامست ركبتاه ركبتيها مجدّدًا. أخبريني، أيخبرك الجميع بأسرار عائلته المظلمة بعد خمس دقائق من التعرّف إليك، أم أنا وحدي من فعل ذلك؟

قالت روبن:

– تيم يقول دائمًا إنّني أبدو متعاطفة حتى لمن يراني لأول مرّة. ربّما يجب عليّ أن أنسى السياسة وأتوجّه إلى الطبّ النفسي.

قال وهو ينظر في عينيها:

– نعم، ربّما عليك ذلك. ليست هذه عدسات قويّة. فلماذا تضعين نظّارة؟ لماذا لا تكتفين بوضع العدسات اللاصقة؟

قالت روبن:

– آه... أجدها أكثر راحة. وهي تدفع النظارة إلى الأعلى على أنفها وتجمع أغراضها. اعذرني، عليّ فعلًا أن أذهب.

انحنى رافاييل إلى الوراء على كرسيّه بابتسامة حزينة.

– وصلت الرسالة... صديقك تيم رجل محظوظ. قولي له ذلك عنّي.

ضحكت روبن نصف ضحكة ووقفت، اصطدمت بزاوية الطاولة فيما كانت تفعل ذلك، وخرجت من غرفة الشاي بخجل وبارتباك طفيف.

في طريق عودتها إلى مكتب إيزي، فكّرت في سلوك وزير الثقافة. لم تكن انفجارات الغضب وهذيان جنون الارتياب، مفاجئة لرجل تحت رحمة مبتزّين، لكنّ قول تشيزيل إنّ رجلًا ميتًا قد اتّصل به كان غريبًا بلا شكّ. لم يخطر لها في أيّ من لقائهما أنّه من نوع الرجال الذين يؤمنون بالأشباح أو بالانتقام الإلهي، لكنّها فكّرت أنّ الكحول يجعل الناس يتفوّهون بأمور غريبة... وفجأة تذكّرت وجه ماثيو المزمجر وهو يصرخ في غرفة الجلوس يوم الأحد.

أصبحت تقريبًا على مستوى باب مكتب وين عندما أدركت أنّه مفتوح نصف فتحة مجدّدًا. أطلّت رأسها داخل الغرفة. فبدت لها فارغة. طرقت الباب مرّتين. لم يجب أحد.

في أقلّ من خمس ثوانٍ وصلت إلى مقبس الطاقة أسفل مكتب غيرينت. فصلت المروحة عن مشبك التيّار، وفصلت جهاز التسجيل، وفتحت حقيبة يدها عندما سمعت صوت أمير:

– ماذا تظنّين أنّك فاعلة بحق الجحيم؟

شهقت روبن، وحاولت الوقوف، فضربت رأسها بقوّة بالمكتب وصرخت من الألم. نهض أمير عن كرسيّ بذراعين في الزاوية مع الباب، وأخرج السمّاعتين من أذنيه. يبدو أنّه كان يأخذ استراحة مستمعًا إلى جهاز الآيبود.

قالت روبن وعيناها تدمعان وهي تفرك رأسها: «طرقت الباب!» كان جهاز التسجيل لا يزال في يدها وأخفته خلف ظهرها. «ظننت أنّ لا أحد هنا!».

وكرّر متقدّمًا إليها: «ماذا تفعلين؟».

وقبل أن تتسنّى لها فرصة الإجابة فتح الباب بالكامل ودخل غيرينت.

هذا الصباح، لم تر ابتسامته التي بشفتين غير موجودتين، ولم تلمس سلوك الأهمّية الذاتية الصاخبة لديه، ولا سمعت تعليقًا بذيئًا عند رؤيتها على أرضية مكتبه. بدا وين إلى حدّ ما أصغر من المعتاد، مع ظلال أرجوانية تحت

عينيه المنكمشتين بفعل عدسة نظّارته. في حيرة من أمره، التفت من روبن إلى أمير، وعندما بدأ أمير يخبره أنّ روبن دخلت للتوّ بدون دعوة، تمكّنت الأخيرة من وضع جهاز التسجيل في حقيبة يدها.

قالت وهي تقف على قدميها وتتعرّق بغزارة: «أنا آسفة للغاية». ساد الذعر في ذهنها، لكن فجأة ظهرت فكرة شبيهة بطوف نجاة. «أنا حقًا آسفة. كنت سأترك رسالة. كنت سأستعيرها فقط».

عندما عبس الرجلان في حيرة، أشارت إلى المروحة غير الموصلة. وقالت: «مروحتنا معطلة. ومكتبنا شبيه بالفرن». وأضافت مناشدة غيرينت: «ظننت أنّك لن تمانع. كنت سأستعيرها لنصف ساعة فقط». ابتسمت بطريقة مثيرة للشفقة. «بصراحة، شعرت بأنّني على وشك الإغماء في وقت سابق».

وأبعدت الجزء الأمامي من قميصها عن جلدها الذي كان بالفعل رطبًا. سقطت نظرة غيرينت على صدرها فعادت ابتسامته الفاسقة المعتادة إلى وجهه.

قال وين، بشبه ابتسامة متكلفة: «على الرغم من أنّه لا يجدر بي أن أقول ذلك، لكنّ الحرّ الشديد يناسبك». أجبرت روبن نفسها على الضحك. ثم التفت ناحية أمير وسأله: «في الحقيقة، يمكننا الاستغناء عنها لمدّة ثلاثين دقيقة، أليس كذلك؟» لم يقل هذا الأخير شيئًا، لكنّه وقف صارمًا مستقيمًا، محدّقًا في روبن بشكّ وارتياب. رفع غيرينت المروحة بحذر عن المنضدة وأعطاها لروبن. عندما استدارت لتخرج، ربت برفق أسفل ظهرها.

«استمتعي بها».

قالت وقد اقشعرّ بدنها: «أوه، سأفعل. شكرًا جزيلًا لك يا سيد وين».



28

هل هذا يؤثّر عليّ؟ أن أرى نفسي مكبوحًا
جدًّا، مغلوبًا في حياتي؟

هنريك إبسن، روسميرشولم

أثّرت الرحلة الطويلة إلى حديقة تشيلسي فيزيك غاردن وما حولها في اليوم السابق على إصابة سترايك في أوتار الركبة. وبما أنّ معدته تضرّرت هي أيضًا لكثرة ما تناوله من الإيبوبروفين، فقد تجنّب مسكّنات الألم على مدار الساعات الأربع والعشرين الماضية، ما أدّى إلى شعوره بما قد يصفه الأطبّاء بـ«انزعاج كبير» أثناء جلوسه وهو يرفع ساقًا ونصف الساق على أريكة المكتب بعد ظهر يوم الخميس، وقد ترك طرفه الاصطناعي متّكئًا على الحائط في مكان قريب بينما كان يراجع ملفّ تشيزيل.

تدلّت من سكّة الستائر أفضل بذلة عند سترايك فوق قميص وربطة عنق، كظلٍّ لحارس مقطوع الرأس، على نافذة مكتبه الداخلي، تحته حذاء مع جوربين نظيفين. كان سيخرج لتناول العشاء مع لوريلاي الليلة وقد تدبّر أمره حتى لا يحتاج إلى صعود الدرج إلى شقته مرّة أخرى قبل النوم.

تفهّمت لوريلاي كعادتها عدم تواصله معها أثناء دخول جاك المستشفى، علّقت أنّه لأمر أفظع من أن يتحمّله المرء بمفرده، ثمّ طلبت،

بلطف وبدون ضغينة، أن يلتقيا على العشاء «لمناقشة بعض الأمور». وطبعًا، أغفل سترايك أن يخبرها أنّ روبن وافته إلى هناك.

هما يتواعدان منذ ما يزيد عن عشرة أشهر، وقد اهتمّت به خلال خمسة أيّام كان عاجزًا فيها تمامًا، من غير العدل ولا اللياقة أن يطلب منها أن يناقشا ما ترغب في مناقشته عبر الهاتف. على غرار البذلة المعلّقة، بان احتمال الاضطرار إلى العثور على إجابة للسؤال الحتمي «إلى أين تتّجه هذه العلاقة؟» نذير سوء يلوح في الأفق. لكنّ حالة قضيّة تشيزيل المحفوفة بالمخاطر هيمنت على أفكاره، وهو لم يجنِ منها بعد فلسًا واحدًا، إلّا أنّها كانت تكلّفه الكثير من الرواتب والنفقات. ربّما نجحت روبن في تحييد تهديد غيرينت وين المباشر، ولكن بعد بداية واعدة، لم يأت باركلي بأيّ شيء على الإطلاق ليُستخدم ضدّ مبتزّ تشيزيل الأوّل، وتوقع سترايك عواقب وخيمة إن وجدت صحيفة الصن طريقها إلى جيمي نايت، وإن لم يفِ وين بوعده بتسليم جيمي الصور الغامضة من وزارة الخارجية. وعلى الرغم من تأكيد تشيزيل أنّ جيمي لن يرغب في نشر القصّة في الصحف، كان سترايك متيقّنًا من أنّ جيمي الغاضب والمحبط من المرجّح جدًّا أن يحاول الاستفادة من فرصة بدا أنّها تفلت منه. فتاريخه في التقاضي دليل على ذلك: جيمي رجل يميل إلى قطع أنفه نكاية بوجهه.

لزيادة غضب سترايك، أخبره باركلي أنّ زوجته، بعد أيّام وليالٍ متتالية من تسكّعه مع جيمي ورفاقه، هددته أنّه إن لم يرجع إلى المنزل قريبًا، ستباشر بإجراءات الطلاق. بسبب ذلك، طلب سترايك من باركلي أن يأتي هذا الأخير إلى المكتب ليتسلّم شيكًا إذ أنّه يدين له بنفقات، وأن يأخذ إجازة مدّتها يومان من بعدها.

ما كان يزعجه أيضًا، هو أنّ هاتشينز الذي يمكن الاعتماد عليه عادةً قبلَ على مضض تولّي مسؤولية مراقبة جيمي نايت فجأة، بدلًا من التسكّع في شارع هارلي حيث كان الطبيب المتحايل يعاين مرضاه مجدّدًا.

«ما الأمر؟» سأل سترايك بخشونة، فيما كان يشعر بخفقان الدم في جذعه. بقدر ما كان يحبّ هاتشينز، لم ينس أنّ الشرطي السابق قد أخذ إجازة أخيرًا لقضاء عطلة عائلية ونقل زوجته إلى المستشفى عندما كسرت معصمها.

– كلّ ما أطلبه منك هو تبديل هدفك. لا أستطيع أن أقتفي أثر نايت، فهو يعرفني.

– حسنًا، سأفعل ذلك. هذا كرم منك. شكرًا، أجابه سترايك بغضب.

التهى سترايك عن مزاجه المتعكّر بالاستماع إلى صوت روبن وباركلي وهما يصعدان السلالم المعدنية إلى المكتب في الخامسة والنصف.

قالت روبن وهي تدخل المكتب حاملةً حقيبة يد على كتفها: «مرحبًا». وأوضحت ردًّا على نظرة استجواب سترايك: «إنّه ثوب حفل افتتاح الألعاب الأولمبية. سأغيّر ملابسي في الحمّام، لن يتسنّى لي الوقت لأرجع إلى المنزل».

تبع باركلي روبن إلى الغرفة وأغلق الباب قائلًا لسترايك بمرح: «التقينا في الشارع وتعارفنا».

قالت روبن ضاحكة: «أخبرني سام عن كمية الحشيش التي أُجبر على تعاطيه ثمنًا لتسكّعه مع جيمي».

قال باركلي بوقار مفاجئ: «لم أتنشّق الدخان. لا أفعل هذا خلال الدوام».

انزعج سترايك لرؤيتهما يضحكان معًا، فيما هو يقوم بجهود كبيرة لينهض عن أريكة الجلد الاصطناعي التي كانت تصدر أصوات إطلاق الغازات كالعادة.

صرخ في وجه باركلي الذي كان يتلفّت حوله مبتسمًا: «إنّها الأريكة! سأحضر لك مالك».

فقالت له روبن: «ابقَ مكانك، سأحضره بنفسي»، ووضعت حقيبتها أرضًا لتأخذ دفتر الشيكات في الدرج السفلي من المكتب، وتسلّمه إلى سترايك مع قلم. «أتريد بعض الشاي يا كورموران؟ سام؟».

قال باركلي: «أجل، بكلّ سرور».

قال سترايك وهو يكتب الشيك لباركلي:

– تبدوان مرحين جدًّا، نظرًا إلى أنّنا على وشك خسارة القضيّة التي من المفترض أن تطردَ عنّا شبح البطالة. ما لم يكن لأيّ منكما معلومات لا أعرفها بالطبع.

قال باركلي:

– الحدث الأكثر إثارةً في نايتفيل هذا الأسبوع هو أنّه اندلع شجار كبير بين فليك وإحدى رفيقات سكنها. فتاة تُدعى لورا. اتّهمت جيمي بسرقة بطاقة ائتمان من حقيبة يدها.

سأل سترايك بحدّة:

– وهل فعل؟

– من المرجّح أن تكون السارقة هي فليك نفسها. أخبرتك أنّها كانت تتفاخر بسرقة المال من عملها، أليس كذلك؟

– أجل.

– بدأ كلّ شيء في الحانة. الفتاة، لورا، كانت منزعجة. دخلت هي وفليك في خلاف حول من منهما تنتمي أكثر إلى الطبقة الوسطى.

ابتسم سترايك على الرغم من الألم الذي كان يعانيه، ومن مزاجه الغاضب.

– أجل، ساءت الأمور جدًّا بينهم. أقحمتا خلال تراشق الكلام المهور ورحلات السفر. ثمّ حين قالت لورا إنّها تعتقد أنّ جيمي كان قد سرق بطاقتها الائتمانية الجديدة قبل أشهر، سرعان ما أصبح عدوانيًا، وقال إن ذلك افتراء.

فقال سترايك بينما كان يفصل الشيك عن أرومته:

– من المؤسف أنّه حُظر عليه رفع الدعاوى، وإلاّ لكان قاضاها.

– بعدها خرجت لورا في الليل وهي تصرخ وتصيح. كما غادرت الشقة أيضًا.

– هل حصلت على اسم شهرتها؟

– سأحاول اكتشافها.

– ما خلفية فليك، يا باركلي؟

أجاب باركلي وهو يضع الشيك في محفظته:

– أخبرتني أنّها تركت الدراسة في الجامعة بعد أن رسبت في امتحانات السنة الأولى فاستسلمت.

قالت روبن وهي تحمل كوبين من الشاي:

– بعض أفضل الناس يتخلّون عن الدراسة.

كانا هي وسترايك قد تركا دراستهما الجامعية بدون أن يتخرّجا.

قال باركلي، وهو يأخذ كوبًا من روبن: «شكرًا». وتابع:

– والداها مطلقان، وهي لا تتكلّم مع أيّ منهما. جيمي لا يروقهما ولا أستطيع أن ألومهما. لو ارتبطت ابنتي يومًا برجل مثل نايت، أعرف ما الذي سأفعله حيال ذلك. في غيابها، يخبر الفتيان بما يفعله مع الفتيات الصغيرات. يعتقدن جميعًا أنهنّ يعاشرن رجلًا ثوريًا عظيمًا، وأنّهن يفعلن ذلك من أجل القضيّة. فليك لا تعرف نصف ما يفعله.

– أيٌّ منهنّ دون السنّ القانونية؟ اقترحت زوجته أنّه اتُّهم بذلك من قبل. قد تكون هذه ورقة مساومة.

– جميعهنّ تجاوزن السادسة عشرة بحسب ما أعرفه.

– للأسف.

وشاهد نظرة روبن وهي عائدة نحوهما تحمل فنجان الشاي الخاص بها فأردف: «تعرفان ما أعنيه»، ثم التفت إلى باركلي مجدّدًا. وقال:

– ممّا سمعته في تلك المسيرة، هي أيضًا ليست وفيّة في علاقتها.

– نعم صحيح، سمعت أحد أصدقائها يمازحها بشأن نادل هندي.

– نادل؟ سمعت أنّه طالب.

قال باركلي:

– ما من سبب يمنع أن يكون الاثنان معًا. صدّقني، إنّها... لكن عندما رأى نظرة روبن، قرّر عدم قول الكلمة، وبدلًا من ذلك شرب الشاي من فنجانه.

سأل سترايك روبن:

– هل لديك أيّ جديد؟

– أجل. استعدت جهاز التنصّت الثاني.

قال سترايك وقد جلس باستقامة:

– أنت تمزحين.

– أنهيت للتوّ نسخ كلّ شيء، كانت عليه ساعات من التسجيل. معظمه غير مجدٍ، لكن...

وضعت فنجان الشاي وفتحت حقيبتها وأخرجت جهاز التسجيل وأردفت:

– ... وجدت مقطعًا غريبًا. استمعا.

جلس باركلي على ذراع الأريكة، بينما جلست روبن باستقامة على كرسيّ مكتبها وضغطت على مفتاح الجهاز.

ملأت لهجة غيرينت المرحة المكتب.

قال غيرينت: «... لإبقائهم لطفاء، أحرص على أن أقدّم إلسبيث إلى الأمير هاري. حسنًا، أنا راحل، سأراك غدًا».

قال أمير: «طابت ليلتك».

هزّت روبن رأسها لسترايك وباركلي وقالت: «انتظرا». سمعا الباب يُغلق. بعد الصمت المعتاد لمدّة ثلاثين ثانية، سمعا نقرة، إذ توقف الشريط ثمَ أعيد تشغيله. شمع صوت امرأة عميق بلهجة ويلز. «هل أنت هنا، حبيبي؟».

رفع سترايك حاجبيه، وتوقف باركلي عن المضغ. قال أمير بلهجته البسيطة التي كانت كلهجة أهل لندن: «نعم».

قالت ديلا: «تعال إذًا واعطني قبلة».

شرق باركلي شرقة بسيطة وهو يرتشف الشاي بينما صدر من الجهاز صوت قبلة، ووقع خطى، ثم نُقل كرسيّ. وتناهى صوت خبطاتٍ خافتة متتالية إيقاعية.

فتمتم سترايك: «ما هذا؟»

أجابته روبن: «إنّه ذيل كلب الإرشاد يهتز».

قالت ديلا: «دعني أمسك يدك. لن يرجع غيرينت، لا تقلق، لقد أرسلته إلى تشيسويك. حسنًا. شكرًا. أردت أن أحدّثك في أمر. في الواقع يا عزيزي، لقد اشتكى جيرانك. قالوا إنّهم سمعوا أصواتًا غريبة عبر الجدران».

«أيّ أصوات؟» بدا متوجسًا.

قالت ديلا: «في الواقع، اعتقدوا أنّه حيوان ربّما. كلب يئنّ أو ينوح. أنت لم...؟».

قال أمير: «بالطبع لم أفعل. لا بدّ أنّه كان التلفاز. لماذا أحضر كلبًا؟ أنا في العمل طوال اليوم».

قالت: «فكّرت أنّ من شيمك أن تحضر كلبًا صغيرًا ضالًا إلى المنزل. فقلبك حنون...».

قال أمير: «لم أفعل». بدا متوتّرًا. «إذا كنت لا تصدّقينني. يمكنك الذهاب والتحقق من الأمر إن شئت، فلديك مفتاح».

قالت ديلا: «حبيبي، لا تكن هكذا. لن أسمح لنفسي بالدخول بدون إذنك. لست متطفّلة».

قال: «هذا من حقك»، ووجد سترايك بعض المرارة في لهجته. «إنّه منزلك».

«أنت مستاء. علمت أنّك ستستاء. كان عليّ أن أكلّمك في الأمر، لأنّه إذا ردّ غيرينت على اتّصالهم في المرّة المقبلة... من حسن الحظّ أنّني كنت أنا من رددت على اتّصال الجار...».

قال أمير: «سأحرص على خفض الصوت من الآن فصاعدًا. اتّفقنا؟ سأتوخى الحذر».

«افهم يا حبيبي، أنّه بالنسبة إليّ أنا، لديك حرّية القيام بأيّ شيء...».

قاطعها أمير: «اسمعي، كنت أفكّر. أرى من الضروري أن أدفع لك الإيجار. ماذا لو...».

«ناقشنا هذا الأمر من قبل. لا تكن سخيفًا، أنا لا أريد مالك».

«لكن...»

قاطعته قائلة: «بصرف النظر عن أيّ شيء آخر، أنت لا يمكنك تحمّل كلفة الإيجار. منزل مكوّن من ثلاث غرف نوم لك وحدك؟».

«لكن...».

«ناقشنا هذا الأمر من قبل. بدوت سعيدًا عندما انتقلت للعيش فيه... اعتقدت أنّه راقك...».

أجاب بحزم: «بالطبع راقني. كان هذا سخاءً كبيرًا منك».

«سخاء... ليست المسألة مسألة سخاء بحق السماء... اسمع: ما رأيك أن تأتي لنتناول الكاري؟ يجب أن أحضر تصويتًا في وقت متأخّر وكنت سأذهب إلى مطعم كينينغتون تاندوري. على حسابي».

قال أمير: «آسف، لا أستطيع». بدا متوترًا. «يجب أن أعود إلى المنزل».

قالت ديلا بفتور: «أوه، أوه... خاب أملي، يا له من أمر مؤسف».

قال مجدّدًا: «أنا آسف. قلت لك إنّني سألتقي بصديق. صديق من الجامعة».

«آه. فهمت. في المرّة المقبلة سأحرص على الاتّصال قبل المجيء. لتجد وقتًا حرًّا في جدول أعمالك».

«ديلا، أنا...».

«لا تكن سخيفًا، إنّني أمازحك. أيمكنك أن ترافقني إلى الخارج على الأقل؟».

«أجل. أجل، بالطبع».

شمع المزيد من جرّ الأقدام، ثمّ صوت فتح الباب.

أوقفت روبن الشريط.

سأل باركلي بصوت عالٍ:

– هل هما عشيقان؟

قالت روبن:

– ليس بالضرورة. ربّما قبّلها على خدّها.

كرّر باركلي:

– دعني أمسك يدك؟ منذ متى يُعتبَر هذا إجراءًا عاديًّا في المكاتب؟

سأل سترايك:

– كم يبلغ عمر أمير هذا؟

قالت روبن:

– أظن أنّه في منتصف العشرينات.

– وكم عمرها هي...؟

– هي في منتصف الستينات.

– وقد وفّرت له منزلًا. لا تربطه علاقة عائلية بها، أليس كذلك؟

قالت روبن:

– ما من علاقة عائلية على حدّ علمي. لكنّ جاسبر تشيزيل يعرف شيئًا شخصيًا عنه. فقد تلا عليه بيت شعر باللاتينية عندما التقيا في مكتبنا.

– لم تخبريني بذلك.

– آسفة.

وتذكّرت أنّ هذا حدث قبل وقت قصير من رفضها اقتفاء أثر جيمي في المسيرة. نسيت. نعم، اقتبس تشيزيل يومها بيتًا باللاتينية، ثم ذكر له ملمَحًا «رجل له عاداتك».

– ما هي القصيدة؟

– لا أعرف، لم أدرس اللاتينية قطّ. تفقّدت ساعتها. من الأفضل أن أبدّل ملابسي، من المفترض أن أكون في وزارة الاتصالات الرقمية والثقافة والإعلام والرياضة في غضون أربعين دقيقة.

قال باركلي:

– أنا أيضًا يجب أن أرحل يا سترايك.

قال سترايك:

– يومان، يا باركلي. بينما توجّه هذا الأخير نحو الباب، ثمّ ترجع عند نايت.

قال باركلي:

– لا تقلق، سأكون راغبًا في استراحة من الطفل بحلول ذلك الوقت.

قالت روبن: «أعجبني»، بينما تلاشت خطى باركلي على السلالم المعدنية.

«نعم»، قال سترايك وهو يمدّ يده إلى طرفه الاصطناعي: «إنّه جيّد في عمله».

بناءً على طلبه، كان سيلتقي بلوريلاي في وقت مبكر. وقد حان الوقت ليبدأ العملية الشاقة التي ستجعله حسن المظهر. دخلت روبن إلى الحمَام الضيق في الممرّ لتبدّل ملابسها، وبعد أن وضع سترايك طرفه الاصطناعي مجدّدًا، انسحب إلى المكتب الداخلي.

كان يشدّ بنطلون بذلته عندما رنّ جوّاله. أمل ولو قليلًا أن تكون لوريلاي هي المتّصلة لتبلغه أنّها لا تستطيع القدوم لتناول العشاء، فالتقط الهاتف المتصدّع ورأى، بشعور لا يبشّر بالخير، أنّ المتّصل هو هاتشينز.

– سترايك؟

– ما الخطب؟

– سترايك... لقد أخفقت.

بدا هاتشينز ضعيفًا.

– ماذا جرى؟

– نايت مع بعض أصدقائه. لحقتهم إلى حانة. إنّهم يخطّطون لشيء، فقد كان يحمل لافتة عليها وجه تشيزيل...

سأل سترايك بصوت عالٍ:

– وبعد؟

– سترايك، أنا آسف! فقدت وعيي... وأضعتهم.

هدر سترايك فاقدًا أعصابه تمامًا:

– أيّها اللعين الغبيّ! لماذا لم تخبرني أنّك مريض؟

– أخذت إجازات كثيرة في الآونة الأخيرة... وأعلم أنّك تفتقر إلى الموظفين...

حوّل سترايك اتّصال هاتشينز إلى مكبّر الصوت، ووضع جوّاله على مكتبه، وأخذ قميصه عن العلّاقة وبدأ بارتدائه بأسرع ما يمكن.

– أنا آسف يا صاح... أواجه صعوبة في المشي...

– أعرف هذا الشعور اللعين!

بغضب شديد أنهى سترايك المكالمة.

نادته روبن عبر الباب:

– كورموران؟ هل كلّ شيء على ما يُرام؟

– كلا، ليس أيّ شيء على ما يرام!

فتح باب المكتب.

أدرك جزء من دماغه أنّ روبن كانت ترتدي الفستان الأخضر الذي كان قد اشتراه لها قبل عامين، ليشكرها على مساعدتها له في القبض على قاتلهما الأوّل. كانت تبدو رائعة.

– نايت يحمل لافتة عليها وجه تشيزيل... إنّه يخطّط لشيء ما مع مجموعة من أصدقائه. كنت أعرف، عرفت أنّ هذا سيحدث الآن وقد تخلّى وين عنه... أراهن أنّه يتوجّه إلى حفلكم. وأضاف: اللعنة! مدركًا أنّه لم يكن ينتعل حذاءً. عاد أدراجه وصرخ وهو يربط الحذاء: «وهاتشينز فقد أثرهم. لم يخبرني الغبيّ أنّه مريض».

اقترحت روبن:

– ربّما يمكنك أن تطلب من باركلي أن يرجع؟

– بات في مترو الأنفاق الآن. سأضطرّ إلى القيام بذلك، أليس كذلك؟

وعاد إلى الأريكة وأدخل قدميه في حذائه. سيعجّ المكان بالصحافيين الليلة إن كان هاري سيحضر الحفل. يكفي أن يفهم صحافي واحد ما تعنيه لافتة جيمي الغبيّة اللعينة، فيصبح تشيزيل عاطلًا من العمل ونحن أيضًا. ووقف بصعوبة مجدّدًا. أين يقام هذا الحفل الليلة؟

قالت روبن:

– في لانكستر هاوس، في سيبل يارد.

قال سترايك متّجهًا نحو الباب:

– حسنًا. كوني مستعدّة. قد تُضطرّين إلى إخراجي من السجن. فمن المحتمل أن أضطرّ إلى لكمه.

29

أصبح من المستحيل بالنسبة لي أن أبقى
متفرّجًا خاملًا لفترة أطول.

هنريك إبسن، روسميرشولم

بعد عشرين دقيقة، وبينما كان لا يزال يتحدّث إلى وزير الثقافة على جوّاله، انعطفت سيّارة الأجرة التي استقلّها سترايك في شارينغ كروس رود إلى شارع سانت جيمس.

– لافتة؟ ماذا عليها؟

– وجهك. هذا كلّ ما أعرفه.

– ويتّجه إلى الحفل؟ سأل تشيزيل وأضاف صارخًا: انتهينا، سيقع المحال، أليس كذلك؟ كان يصرخ بصوت عالٍ لدرجة أنّ سترايك جفل وأبعد الهاتف عن أذنه. إذا شاهدت الصحافة هذا، فقد انتهى الأمر! كان من المفترض أن تمنع حدوث شيء لعين كهذا!

قال سترايك:

– سأحاول، لكنّني لو كنت مكانك لفضّلت أن أعلم بالأمر مسبقًا. أنصح...

– أنا لا أدفع لك لتنصحني!

وعده سترايك:

– سأفعل كلّ ما في وسعي.

لكنّ تشيزيل كان قد أغلق الخطّ قبل أن ينهي كلامه.

قال سائق سيّارة الأجرة مخاطبًا سترايك في مرآة الرؤية الخلفية التي تدلّى منها هاتف جوّال في جيبٍ قطنيّ متعدّد الألوان مزخرف وعليه صورة ذهبية ناتئة للإله غانيش:

– لن أتمكّن من التقدّم أكثر من ذلك يا صاح.

كانت نهاية شارع سانت جيمس مغلقة. تجمّع حشد كبير من المشاهدين الملكيين والمشجّعين للألعاب الأولمبية، يمسك عدد كبير منهم أعلامًا بريطانية صغيرة، خلف الحواجز المتحركة، في انتظار وصول اللاعبين البارالمبيين والأمير هاري.

قال سترايك وهو يبحث عن محفظته:

– حسنًا، سأنزل هنا.

وقف يواجه مجدّدًا واجهة قصر سانت جيمس المزخرفة، وساعته المذهّبة الماسية الشكل تتلألأ في شمس الساعات الأولى من المساء. عرج على المنحدر مجدّدًا باتّجاه الحشد، مرورًا بالشارع الجانبي حيث نادي برات، فيما تنحّى المارّة في ملابسهم الأنيقة والعمّال وموظفو المعارض وتجّار النبيذ جانبًا بكياسة، بينما أصبحت مشيته غير المستوية أكثر فأكثر وضوحًا.

تمتم: «اللعنة، اللعنة، اللعنة»، وسهمٌ من الألم يخترق أعلى فخذه كلّما ضغط بوزنه على الطرف الاصطناعي وهو يقترب من مشجّعي الرياضة ومحبّي العائلة المالكة المجتمعين. لم يستطع رؤية أيّ لافتات أو بيارق ذات طبيعة سياسية، لكن عندما انضمّ إلى الجزء الخلفي من الحشد ونظر إلى أسفل كليفلاند رو، اكتشف البقعة المخصّصة للصحافة وصفوفًا من المصوّرين الذين وقفوا في انتظار الأمير والرياضيين المشهورين. عندما مرّت سيّارة تجلس فيها امرأة سمراء ذات شعر لامع رجّح أنّها من التلفزيون، تذكّر أنّه لم يتّصل بلوريلاي ليخبرها أنّه سيتأخّر على العشاء، فطلب رقمها على عجل.

– مرحبًا يا كورم.

بدت قلقة. لعلّها اعتقدت أنّه سيلغي العشاء.

قال:

– مرحبًا. وعيناه ما زالتا تتحرّكان يمينًا وشمالًا بحثًا عن إشارة إلى وجود جيمي. أنا آسف حقًا، لكن حدث طارئ وقد أتأخّر.

قالت:

– أوه، لا بأس.

شعر بأنّها ارتاحت لأنّه ما زال ينوي أن يأتي.

– هل أحاول تغيير الحجز؟

– أجل... فليكن في الساعة الثامنة بدلًا من السابعة.

التفت سترايك للمرّة الثالثة ليلقي نظرة شاملة على بول مول خلفه، ورأى شعر فليك بلونه الأحمر كلون الطماطم. وكان ثمانية من أعضاء منظَمة مقاومة الألعاب الأولمبية يتّجهون نحو الحشد، بما في ذلك شابّ رفيع أشقر قد جدّل شعره ضفائر رفيعة، ورجل قصير ثقيل البنية يشبه حارسًا في نادٍ. كانت فليك المرأة الوحيدة التي ترافقهم. جميعهم ما عدا جيمي حملوا لافتات عليها الحلقات الأولمبية المكسورة، وشعارات مثل «اللعب النظيف هو عمل بأجر عادل» و«نريد منازل لا مدافع». حمل جيمي لافتة خاصّة به مقلوبة وانقلبت الصورة التي عليها إلى الداخل، بالتوازي مع ساقه.

– لوريلاي، عليّ أن أقفل الخطّ. نتكلّم لاحقًا.

جال رجال شرطة في زيّهم الرسمي حول السياج الحدودي لإبقاء الحشود في الخلف، فيما حملوا في أيديهم أجهزة الاتّصال اللاسلكي، وجالت عيونهم باستمرار فوق المتفرّجين المبتهجين. هم أيضًا، لاحظوا وجود أعضاء منظمة مقاومة الألعاب الأولمبية، الذين يحاولون الوصول إلى مكان مقابل للبقعة المخصّصة للصحافيين.

بدأ سترايك، وهو يصرّ على أسنانه، بشقّ طريقه عبر الحشد الضاغط، فيما عيناه لا تفارقان جيمي.

30

لا شكّ في أنّه كان من الأفضل لو نجحنا في
التحقّق من التدفّق في وقت سابق.

هنريك إبسن، روسميرشولم

اجتذبت روبن، التي شعرت ببعض الارتباك في ثوبها الأخضر الضيّق وكعبها العالي، عددًا كبيرًا من نظرات الإعجاب من المارّة الذكور أثناء نزولها من سيّارة الأجرة عند مدخل وزارة الاتصالات الرقمية والثقافة والإعلام والرياضة. عندما وصلت إلى المدخل، رأت إيزي تقترب من بعد خمسين ياردة، وهي ترتدي اللون البرتقالي الزاهي، برفقة كينفارا، بفستانٍ أسود ضيّقٍ وقلادة ألماس ثقيلة كانت تضعها في الصورة التي شاهدتها روبن لها عبر الإنترنت.

لاحظت روبن القلقة للغاية بشأن ما كان يحدث مع جيمي وسترايك، أنّ كينفارا بدت مستاءة. رفعت إيزي عينيها إلى السماء عندما اقتربت منها. رمقت كينفارا روبن بنظرة حادّة من الأعلى إلى الأسفل أوحت بأنّها وجدت الفستان الأخضر غير مناسب، إن لم يكن غير لائق.

دوّى صوت رجل في جوار روبن: «كان من المفترض أن نجتمع هنا».

كان جاسبر تشيزيل قد خرج للتوّ من المبنى، حاملًا ثلاث دعوات مطبوعة، أعطى واحدة منها لروبن.

قالت كينفارا لاهثةً بعض الشيء وهي تقترب: «نعم، أعرف ذلك الآن يا جاسبر، شكرًا لك. آسفة جدًا لأنّني أخطأت المكان مجدّدًا. لم يتكلّف أحد عناء التحقّق من معرفتي للترتيبات».

حدّق المارّة في تشيزيل، ووجدوه مألوفًا بعض الشيء بشعره الشبيه بفرشاة المدخنة. ورأت روبن رجلًا في بدلة رسمية ينكز رفيقته بكوعه ويشير إليه. وصلت سيّارة مرسيدس سوداء أنيقة عند الرصيف. نزل السائق منها ودارت كينفارا حولها لتجلس في الجزء الخلفي منها. دخلت إيزي إلى منتصف المقعد الخلفي متمايلة، وتركت روبن تجلس بقربها على المقعد عينه وراء تشيزيل مباشرة.

ابتعدت السيّارة من الرصيف والجوّ في داخلها متوتّر. أدارت روبن رأسها لمشاهدة مرتادي الحانات بعد العمل ومتسوّقي المساء، متسائلة عمّا إن كان سترايك عثر على نايت، في خشية لما قد يحدث عندما يفعل، متمنّيةً لو أنّها تستطيع نقل السيّارة بذهنها مباشرة إلى لانكستر هاوس.

سألت كينفارا من خلف رأس زوجها: «لم تدعُ رافاييل، إذًا؟».

قال تشيزيل: «لا. لقد طلب دعوة، لكنّ سبب ذلك هو أنّه مغرم بفينيسيا».

شعرت روبن بوجهها يحمرّ.

فقالت كينفارا بإيجاز: «يبدو أنّ فينيسيا تتمتّع بقاعدة جماهيرية كبيرة». قال تشيزيل: «سأجري محادثة قصيرة مع رافاييل غدًا. أرى أنّه تغيّر أخيرًا، لا أخفي عنك ذلك». رأت روبن من زاوية عينها يدي كينفارا تلتفّان حول السلسلة على حقيبتها المسائية القبيحة، المزيّنة برأس حصان مرصّع ببلّورات صغيرة. وساد صمت متوتّر داخل السيّارة أثناء مرورها عبر المدينة الدافئة.

31

... كانت النتيجة أنّه أوسع ضربًا...

هنريك إبسن، روسميرشولم

خفّف الأدرينالين على سترايك الألم المتزايد في ساقه. كان يقترب من جيمي ورفاقه، الذين أُحبطوا في رغبتهم في إظهار أنفسهم بوضوح للصحافة، إذ إنّ الحشد المتحمّس كان قد ضغط بنفسه إلى الأمام حين بدأت السيّارات الرسمية الأولى بالمرور، على أمل اكتشاف بعض المشاهير. بسبب تأخّرهم وجد أعضاء جمعية معارضة الألعاب الأولمبية أنفسهم الآن في مواجهة كتلة لا يمكن اختراقها. مرّت سيّارات المرسيدس والبنتلي بسرعة، مقدّمة للحشد لمحات عن المشاهير وغير المشاهير. ولوّح أحد الممثّلين بيده فجاوبه الحشد بتحيّة صارخة. ولمعت ومضات قليلة.

من الواضح أنّ جيمي قرّر أنّه لا يستطيع أن يأمل في مكان أكثر بروزًا، فبدأ بسحب لافتة محلية الصنع من تشابك السيقان من حوله، استعدادًا لرفعها عاليًا.

أطلقت امرأة أمام سترايك صرخة استياء عندما دفعها ليفسح طريقه. في ثلاث خطوات، أغلق سترايك يده اليسرى الكبيرة حول معصم جيمي الأيمن، مانعًا إيّاه من رفع اللافتة فوق ارتفاع الخصر، وأنزلها نحو الأرض. تسنّى

لسترايك الوقت الكافي ليرى في عينَي جيمي أنّه قد عرفه قبل أن تندفع قبضته إلى حلقه. رأت امرأة أخرى اللكمة قادمة وصرخت.

تفادى سترايك الضربة وركل بقدمه اليسرى بقوة على اللافتة، ما أدّى إلى شق عمودها، لكنّ ساقه المبتورة لم تكن مساوية لتحمّل وزنه كله، خاصّة أنّه تلقى لكمة أخرى من جيمي.

فيما كان سترايك يقع أرضًا، ضرب جيمي على خصيتيه. أطلق نايت صرخة ألم خفيفة، وانحنى وضرب سترايك وهو يهوي أرضًا، ووقع كلاهما، واصطدما بالواقفين جانبًا، وعلت بعض الصيحات. عندما وقع سترايك على الأرض، صوّب أحد رفاق جيمي ركلة على رأسه، فأمسك سترايك بقدمه ولفّها. من خلال الضجّة المتصاعدة، سمع امرأة ثالثة تصرخ:

«إنّهم يهاجمون ذلك الرجل!».

سترايك المشغول بالاستيلاء على لافتة جيمي المشوّهة والمصنوعة من الورق المقوّى لم يأبه ما إن كانوا يعتبرونه الضحيّة أو المعتدي. سحب اللافتة التي تدوسها الأقدام كما تدوسه هو ونجح في تمزيقها. قطعة منها علقت على كعب امرأة مسنّة مذعورة تحاول الابتعاد من الشجار، فحملتها معها بعيدًا.

التفّت أصابع حول رقبته من الخلف فأعيقت حركته. صوّب مرفقه على وجه جيمي وخفّت قبضته، لكن بعد ذلك ركله أحدهم في بطنه وأصابته ضربة أخرى على مؤخّرة رأسه حتى ظهرت بقع حمراء أمام عينيه.

علا مزيد من الصراخ، وسُمعت صفارة، وبدأ الحشد يتضاءل من حولهم فجأة. كان بإمكان سترايك أن يتذوّق طعم الدم، ولكن ممّا استطاع أن يراه، فإنّ بقايا لافتة جيمي الممزّقة قد تناثرت في وسط الحشد. كانت يدا جيمي مرّة أخرى على رقبته تخدشانه ولكنّه شحب بقوّة إلى الوراء، وراح يشتم ويقسم بطلاقة بأعلى صوته. أحسّ سترايك الذي كان يحاول التقاط أنفاسه بأنّ أحدهم سحبه وأوقفه على قدميه. لم يُبدِ أيّ مقاومة، إذ إنّه شكّ في أن يتمكّن من الوقوف بمفرده.

32

... والآن يمكننا الدخول لتناول العشاء. هل
ستأتي يا سيّد كرول؟

هنريك إبسن، روسميرشولم

انعطفت سيّارة تشيزيل المرسيدس عند زاوية شارع سانت جيمس باتّجاه مركز بول مول وانطلقت على طول كليفلاند رو.

دمدم تشيزيل: «ماذا يحدث هنا؟» بينما تباطأت السيّارة، ثمّ توقفت.

لم يكن الصراخ أمامهم من النوع الحماسيّ الفرح الذي قد يتوقّعه الملوك أو المشاهير. فقد تجمّع عدد من الضبّاط يرتدون الزيّ الرسمي في الجانب الأيسر من الشارع حول الحشد الذي كان يصارع ويتدافع فيما يحاول الابتعاد عمّا بدا أنّه مواجهة بين الشرطة ومتظاهرين. خرج من المعركة رجلان أشعثا الشعر يرتديان الجينز وقميصين، ووضع رجال الشرطة الأغلال في أيديهما. كانا جيمي نايت، وشابّ ذو ضفائر شقراء.

امتنعت روبن عن إطلاق صرخة فزع، إذ ظهر سترايك داميًا تجرّه الشرطة هو أيضًا. خلفهم، لم يهدأ الشجار بين الحشد، بل كان يتزايد. تمايل أحد الحواجز. صرخ تشيزيل لسائقه الذي كان ينطلق من جديد: «توقف، توقف!» فتح تشيزيل نافذته: «افتحي الباب... فينيسيا، افتحي بابك!» وزأر في وجه شرطي قريب: «أنت أيّها الرجل!» فاستدار الشرطي فجأة ليرى وزير

الثقافة يصرخ في وجهه ويشير إلى سترايك. «إنّه ضيفي... ذلك الرجل... اللعنة، أطلق سراحه!».

أمام السيّارة الرسمية، ووزيرٍ في الحكومة يصرخ بصوت فولاذي أرستقراطي ملوّحًا بدعوة سميكة، فعل الشرطي ما أمر به. تركّز اهتمام معظم الناس على الشجار العنيف المتزايد بين الشرطة وجمعية معارضة الألعاب الأولمبية، وما يترتّب على ذلك من دوس ودفع للحشد الذي يحاول الابتعاد عنه، بينما انفصل مصوّران عن المكان المخصّص للصحفيين في الأمام وركضا نحو الشجار.

«إيزي، أفسحي المجال – ادخل، ادخل!».

زمجر تشيزيل في سترايك عبر النافذة.

تراجعت روبن على المقعد، جالسة نصف جلسة في حضن إيزي لإفساح المجال لسترايك وهو يصعد إلى المقعد الخلفي. أغلق الباب. وانطلقت السيّارة.

صرخت كينفارا الخائفة: «من أنت؟» وقد ثبّتتها الآن إيزي على الباب المقابل: «ماذا يجري؟».

صاح تشيزيل: «إنّه محقّق خاصّ». بدا أنّ قراره بإدخال سترايك إلى السيّارة ناتج عن الذعر. قال وهو يلتفّ في مقعده ليحدّق في سترايك: «ماذا أستفيد إذا ألقي القبض عليك؟».

قال سترايك وهو يجفّف أنفه بظهر يده: «لم يعتقلوني، بل أرادوا أن يستمعوا إلى إفادتي. هاجمني نايت عندما أردت أن أجرّده من لافتته». وأضاف: «شكرًا» بصعوبة نظرًا لمدى انضغاطهم الشديد في السيّارة، فيما مرّرت له روبن علبة المناديل الورقية التي كانت على الحافة خلف المقعد الخلفي. ضغط سترايك بمنديل على أنفه وأضاف من خلال الأنسجة الملطّخة بالدماء: «تخلّصت من اللافتة»، لكن أحدًا لم يهنّئه.

قالت كينفارا: «جاسبر، ما الذي يحدث؟».

فردّ تشيزيل بعنف من دون أن ينظر إليها: «اخرسي». وقال لسترايك بغضب: «لا يمكنني السماح لك بالخروج أمام هؤلاء الأشخاص كلهم»، كما لو

أنّ الأخير قد اقترح ذلك. «هناك المزيد من المصوّرين... عليك أن ترافقنا، سأتدبّر الأمر».

كانت السيّارة تتّجه الآن نحو حاجز يتحققون فيه من الهويّات.

قال تشيزيل: «لا يتكلمنّ أحد». وأضاف بشكل استباقي لكينفارا التي كانت على وشك أن تفتح فمها: «اخرسي».

شُمح لسيّارة البنتلي أمامهم بالدخول، وتقدّمت المرسيدس. سمعت روبن، المتألّمة لأنها كانت تحمل نسبة كبيرة من وزن سترايك على وركها وساقها اليسرى، صريرًا خلف السيّارة، فالتفتت، لترى شابّة تركض خلفهم تطاردها شرطية. كانت الفتاة ذات شعر أحمر بلون الطماطم، وترتدي قميصًا عليه شعار حلقات أولمبية مكسورة، وصرخت في سيّارة تشيزيل: «وضع تشيزيل الحصان اللعين عليها! وضع الحصان عليها، أيّها الوغد الغشّاش، اللصّ، أيّها القاتل...».

صرخ تشيزيل من نافذته لرجل الشرطة المسلح عند الحاجز: «لديّ ضيف هنا لم يتلق دعوته، إنّه كورموران سترايك، الرجل المبتور الساق. تكلّمت عنه الصحف. حصل لغط في قسمي ولم يرسلوا له دعوته». ثمّ أضاف بثقة مدهشة: «الأمير طلب مقابلته على وجه التحديد!».

كان سترايك وروبن يشاهدان ما يحدث خلف السيّارة. أمسك رجلان من الشرطة فليك المتعثّرة وابتعدا بها، وومض عدد إضافي من الكاميرات. تحت وطأة ضغط منصب تشيزيل الوزاري، طلب الشرطي المسلح بطاقة هويّة سترايك. اعتاد سترايك أن يحمل دائمًا نوعين من بطاقات التعريف، ولكن ليس بالضرورة باسمه، فسلّمه رخصة سوقه الأصلية. طال صفّ السيّارات المتوقفة خلفهم. وقد حُدّد موعد وصول الأمير بعد خمس عشرة دقيقة. فأشار لهم الشرطي أخيرًا بالدخول.

قال سترايك بصوت خافت لروبن: «ما كان عليه أن يفعل ذلك. ما كان ينبغي أن يسمح لي بركوب السيّارة. يا له من تصرّف أرعن».

دارت المرسيدس حول الفناء الداخلي ووصلت أخيرًا عند أسفل درج غير عالٍ مغطّى بالسجّاد الأحمر، أمام مبنى ضخم بلون العسل يشبه منزلًا

فخمًا. وُضعت منصّة للكراسي المتحرّكة على جانبَي السجّادة، وكان لاعب كرة سلة شهير على كرسيّ متحرّك يصعد عليها.

دفع سترايك الباب، وترجّل من السيّارة، ثمّ دار ومدّ يده إلى الداخل لمساعدة روبن. قبلت عرض المساعدة. وكانت ساقها اليسرى مخدّرة تمامًا تقريبًا بعد أن جلس عليها سترايك. قالت إيزي مبتهجة وهي تنطلق خلف روبن: «يسرّني أن أراك مجدّدًا يا كورم».

ردّ سترايك: «مرحبًا إيزي».

الآن بعد أن بات مجبرًا على وجود سترايك، سارع تشيزيل إلى اعتلاء الدرج ليشرح لأحد الرجال المسؤولين عن إدخال المدعوّين يقف عند الباب الأمامي، أنّه يجب إدخال سترايك بدون دعوته. وسُمع يكرّر عبارة «مبتور الساق». في كلّ مكان حولهم، كان ركّاب المزيد من السيّارات يترجّلون مرتدين الملابس الأنيقة.

«ما كلّ هذا؟» سألت كينفارا، التي دارت حول سيّارة المرسيدس من الخلف لمخاطبة سترايك. «ماذا يجري؟ لماذا يحتاج زوجي إلى محقق خاصّ؟».

«هلّا صمتِّ أيّتها السافلة البلهاء الغبيّة؟».

على الرغم من أنّ تشيزيل كان بلا شكّ مرهقًا ومضطربًا، فقد صدم عداؤه الصريح روبن، وقالت في نفسها: «إنّه يكرهها، هو يكرهها حقًّا».

قال الوزير مشيرًا إلى زوجته وابنته: «أنتما، ادخلا».

والتفت إلى سترايك وقال: «أعطني سببًا واحدًا وجيهًا لأستمرّ في الدفع لك» فيما كان المزيد من الأشخاص يمرّون بقربهم. قال تشيزيل في غيظ فطار بصاق من فمه على ربطة عنق سترايك: «أتدرك أنّني وُصفت للتوّ بأنّني قاتل دموي أمام عشرين شخصًا، بما في ذلك الصحافة؟».

قال سترايك: «سيعتقدون أنّها مجنونة».

إن كانت تلك الفرضية قد أراحت تشيزيل، فذلك لم يظهر عليه بالتأكيد: «أريد أن أراك صباح غد عند العاشرة. لن نتقابل في مكتبي. تعال إلى الشقة في شارع إيبوري». ودار وابتعد، ثمّ عاد ودار مرّة أخرى وكأنّ فكرة أخرى خطرت له، وصاح في روبن: «وأنتِ أيضًا».

وقفا هي وسترايك جنبًا إلى جنب، وراقباه وهو يصعد الدرج. همست روبن: «نحن على وشك أن نُطرد، أليس كذلك؟».

فأجابها سترايك، الذي كان الآن واقفًا على قدميه يعاني ألمًا شديدًا: «بصراحة، الأمر محتمل جدًا».

سألته روبن: «كورموران، ما الذي كان على اللافتة؟».

سمح سترايك لامرأة ترتدي ثوبًا من الشيفون باللون الخوخي بالمرور، ثمّ قال بهدوء:

– صورة تشيزيل معلّقًا بحبل المشنقة وتحته مجموعة من الأطفال القتلى. لكن كان هناك شيء واحد غريب.

– ما هو؟

– كان جميع الأطفال سود البشرة.

فيما كان سترايك لا يزال يجفّف أنفه، مدّ يده داخل جيبه ليأخذ سيجارة، ثمّ تذكّر أين هو وأسدل يده على جنبه مجدّدًا.

– اسمعي، إن كانت تلك المرأة إلسبيث هنا، فحاولي أن تكتشفي ماذا تعرف بعد عن وين. سيساعدنا ذلك في تبرير فاتورتنا النهائية.

– حسنًا. بالمناسبة، الجزء الخلفي من رأسك ينزف.

حاول سترايك أن يجفّف الدم من جرح رأسه بمنديله بدون جدوى، ثمّ وضع المنديل في جيبه وبدأ يعتلي الدرج وهو يعرج بجانب روبن.

قال لها: «لا ينبغي أن نُشاهد معًا بعد الآن» فيما انتقلا من عتبة المدخل إلى جوّ من ألوان المغرة والقرمزي والذهبي الساطعة. «في شارع إيبيري مقهى، ليس بعيدًا من منزل تشيزيل. سأقابلك هناك عند التاسعة من صباح الغد، وسنواجه فرقة إطلاق النار معًا. هيّا، تفضّلي».

وفيما كانت تبتعد عنه نحو السلّم الكبير، ناداها مجدّدًا قائلًا: «فستان جميل، بالمناسبة».

33

أعتقد أنّه بإمكانك أن تسحري أيّ شخص،
إذا صمّمت على القيام بذلك.

هنريك إبسن، روسميرشولم

كانت ردهة القصر الكبيرة مساحة شاسعة خالية. درجٌ مركزي مكسوّ بالسجّاد الأحمر والذهبي يؤدّي إلى شرفة علوية تمتدّ يمينًا ويسارًا، بينما تلوّنت الجدران التي بدت كأنّها من الرخام بلون المغرة والأخضر الباهت والوردي. جرى توجيه مختلف الضيوف البارالمبيين إلى مصعد على يسار المدخل، لكنّ سترايك مشى وهو يعرج، بشق الأنفاس، إلى الدرج واعتلاه مستعينًا بالدرابزين للصعود. تلاشى لون السماء، التي كان من الممكن رؤيتها من خلال كوّة ضخمة ومزخرفة، مدعومة بالأعمدة، مولّدة تدرّجات في الألوان زادت من كثافة ألوان اللوحات الفينيسية الضخمة ذات المواضيع الكلاسيكية المعلّقة على كلّ جدار.

بذل سترايك قصارى جهده للمشي بشكل طبيعي، لأنّه خشي أن يخطئ الناس ويظنّوه رياضيًا أولمبيًا معوّقًا سابقًا، وأن يُسأل عن انتصاراته الغابرة، فتبع الحشد على الدرج الأيمن، حول الشرفة، ودخل غرفة انتظار صغيرة تطلّ على الفناء حيث رُكنت السيّارات الرسمية. من هنا، تمّ توجيه الضيوف إلى معرض صور طويل وواسع، كست أرضه سجّادة باللون الأخضر التفّاحي مزيّنة

بنمط وردي، بينما انتصبت نوافذ طويلة في طرفي الغرفة واكتست كلّ بوصة تقريبًا من الجدار الأبيض باللوحات.

سأل النادل الواقف داخل المدخل سترايك: «كأسًا يا سيّدي؟» فأجابه: «هل هذه شمبانيا؟».

ردّ النادل: «بل نبيذ إنكليزي فوّار، يا سيّدي».

سكب سترايك كأسًا لنفسه، بدون حماسة كبيرة، واستمرّ في المشي عبر الحشد، مرورًا بتشيزيل وكينفارا اللذين كانا يستمعان (أو، كما ظنّ، يتظاهران بالاستماع) إلى حديث رياضيٍّ على كرسيّ متحرّك. ألقت كينفارا نظرة جانبية سريعة ومريبة عليه أثناء مروره راصدًا الجدار البعيد حيث يأمل العثور على كرسيّ أو شيء يمكن أن يتّكئ عليه بسهولة. لسوء الحظّ، اكتظّت جدران المعرض بالصور إلى حدّ أنّ الاتّكاء على أيّ جدار بات مستحيلًا، وبما أنّه لم يجد أيّ مقعد، توقف بجانب لوحة ضخمة للكونت دورساي رسمها للملكة فيكتوريا وهي تمتطي حصانًا رماديًا. بينما كان يحتسي نبيذه الفوّار، حاول بتكتّم إيقاف الدم الذي لا يزال يتسرّب من أنفه ومسح أسوأ الأوساخ عن سرواله.

كان النّدُل يتنقّلون في الصالة حاملين صواني المقبّلات. تمكّن سترايك من الاستيلاء على كعكتين صغيرتين بالسلطعون أثناء مرورهم، ثمّ أخذ يتفحّص محيطه، مكتشفًا كوّة أخرى مذهلة في السقف، مدعومة بعددٍ من أشجار النخيل المذهّبة.

سرَت في الغرفة طاقة غريبة. أوشك الأمير على الوصول وتموّجت فرحة الضيوف في اندفاعاتٍ عصبية ذهابًا وإيابًا، فيما ألقوا نظرات متكرّرة نحو الأبواب. لاحظ سترايك، من موقعه المتميّز بجانب لوحة الملكة فيكتوريا، شخصية وقورة في ثوب أصفر بلون زهرة الربيع تقف أمامه مباشرةً، بالقرب من مدفأة مزخرفة باللونين الأسود والذهبي، أمسكت بلطف بإحدى يديها رسن لابرادور أصفر شاحب، جلس يلهث برفق عند قدميها في الغرفة المزدحمة. لم يتعرّف سترايك إلى ديلا فورًا، لأنّها لم تكن تضع نظّارة شمسية، بل عينين اصطناعيتين أعطتا لنظرتها الغارقة قليلًا، التي تلوّنت بالأزرق الصيني غير

الشفّاف، براءة غريبة. وقف غيرينت على مسافة قصيرة من زوجته، يثرثر إلى امرأة نحيفة لها وجه شبيه بالفأرة، تنظر من حولها باحثة عن منقذ.

ساد صمت مفاجئ بالقرب من الأبواب التي دخل منها سترايك. ورأى الجزء العلوي من رأسٍ شعره بلون الزنجبيل ومجموعة من الرجال مرتدين البدلات. خيّم جوّ من الإحراج في جميع أنحاء الغرفة المزدحمة مثل نسيم مرعب. وشاهد سترايك الجزء العلوي من رأس الزنجبيل يبتعد، باتّجاه أقصى الجانب الأيمن من الغرفة. وفيما كان لا يزال يحتسي نبيذه الإنكليزي ويتساءل أيّ من النساء في الغرفة تحمل المعلومات الفاضحة عن غيرينت وين، لفتت انتباهه فجأة امرأة طويلة في الجوار تدير له ظهرها.

كانت قد لفّت شعرها الأدكن الطويل في كعكة فوضوية، وعلى عكس جميع النساء الحاضرات، لم تكن ثيابها تناسب هذا النوع من الحفلات. كان الفستان الأسود المستقيم بطول الركبة في منتهى العاديّة، على الرغم من أنّها كانت تنتعل حذاءً يصل إلى الكاحل بكعب عالٍ ومفتوح عند الأصابع. لجزء ضئيل من الثانية ظنّ سترايك أنّه مخطئ، لكنّها تحرّكت وتيقّن أنّها هي. وقبل أن يتمكّن من الابتعاد، دارت ونظرت مباشرةً في عينيه.

ازهرّ وجهها، وهو يعرف أنّه شاحب في العادة. وكانت حاملًا في مرحلة متقدّمة. لم يؤثّر حملها في أيّ مكان من جسمها سوى في بطنها المنتفخ. بل بقي وجهها وأطرافها رفيعة العظام كما عهدها دائمًا. وعلى الرغم من أنّها أقلّ زينة من أيّ امرأة أخرى في الغرفة، كانت الأجمل بدون منازع. تأمّل كلّ منهما في الآخر لبضع ثوانٍ، ثمّ تقدّمت بضع خطوات متردّدة فيما انحسرت زهرة خدّيها بالسرعة التي غمرتهما بها من قبل.

– كورم؟

– مرحبًا يا شارلوت.

حتى لو أنّها فكّرت في تقبيله، فقد ردعها وجهه المتحجّر.

– ماذا تفعل هنا بحق السماء؟

كذب سترايك قائلًا:

– أنا مدعوّ. مشهورٌ أبتر، وأنتِ؟

بدت في حالة ذهول.

– ابنة أخت جاغو، هي رياضية معوقة. إنّها...

نظرت شارلوت حولها، محاولةً على ما يبدو العثور على ابنة الأخت، وشربت رشفة من الماء بيد مرتعشة. انسكبت بضع قطرات من كوبها ورآها سترايك تنكسر كالخرز الزجاجي على بطنها المنتفخ.

قالت بضحكة عصبية:

– إنّها هنا في مكان ما. هي مصابة بالشلل الدماغي. فتاةٌ رائعة، في الواقع، إنّها متسابقة مذهلة. والدها في هونغ كونغ، لذا دعتني والدتها بدلًا منه.

أثار صمته أعصابها. فتابعت قائلة:

– تحبّ عائلة جاغو أن أخرج وأشارك في المناسبات، لكن أخته استاءت لأنّ التواريخ اختلطت عليّ. ظننت أنّه كان من المقرّر أن نقصدَ «شارد» الليلة لتناول العشاء وأنّ هذا الحفل سيقام يوم الجمعة، أي غدًا، لذا تراني لا أرتدي الملابس التي تليق باستقبال الملوك لكنّني تأخّرت ولم يتّسع وقتي لتغييرها. وأشارت بيأس إلى فستانها الأسود البسيط وحذائها ذي الكعب العالي.

سألها سترايك:

– جاغو ليس هنا؟

ومضت عيناها الخضراوان المرقطتان بالذهب قليلًا وقالت:

– لا، إنّه في الولايات المتحدة.

وانتقل تركيزها إلى شفته العليا.

– هل تشاجرت مع أحدهم؟

قال، وهو يلامس أنفه بظهر يده مجدّدًا: «كلا». استقام، وألقى وزنه بحذر على طرفه الاصطناعي، استعدادًا للابتعاد. «حسنًا، سرّني...».

«كورم، انتظر». قالت وقد مدّت يدها إليه. لم تلامس أصابعها كمّه تمامًا وتركت يدها ترجع بمحاذاة جنبها. «لا، ليس بعد، لقد حقّقت أمورًا لا تُصدَّق. قرأت عنها جميعها في الصحف».

آخر مرّة تقابلا فيها، كان ينزف أيضًا بسبب منفضة السجائر التي رمتها على وجهه ردًا على إعلانه انفصاله عنها. تذكّر نصّ الرسالة، «كان منك»، التي أرسلتها له عشيّة زفافها إلى روس، في إشارة إلى طفل آخر ادّعت أنّها حملت به، واختفى قبل أن يرى حتى دليلًا على وجوده. وتذكّر أيضًا الصورة التي أرسلتها إلى مكتبه، بعد دقائق من قولها «نعم» لجاغو روس، جميلة ومنكوبة، كضحيّة قدمت للتوّ قربانًا.

قال: «مبروك» بدون أن تغادر عيناه وجهها. «أنا ضخمة لأنّهما توأمين».

لم تلمس بطنها أثناء حديثها عن الأطفال، كما تفعل النساء الحوامل الأخريات، لكنّها نظرت إلى الأسفل وكأنّها مندهشة قليلًا لرؤية تغيّر شكلها. لم ترغب في الإنجاب قطّ عندما كانا معًا. وكان هذا أحد القضايا التي التقيا عليها. وشكّل الطفل الذي ادّعت أنّه طفله مفاجأة غير سارّة لكليهما.

تخيّل سترايك أنّ ذرّية جاغو روس ملتفّة تحت الفستان الأسود مثل زوج من الجراء البيض، غير بشريين بالكامل، بل مبعوثي والدهما، يشبهان ثعلبًا قطبيًا فاجرًا. شعر بالسرور لأنهما التقيا، هذا إن كان من الممكن أن توصف هذه المشاعر الخالية من البهجة، بالسرور. ووجد نفسه يرحّب بجميع العوائق، وبجميع الموانع، لأنّه اتّضح له الآن أنّ الجاذبية التي مارستها شارلوت عليه لفترة طويلة، حتى بعد مئات الشجارات والمشادّات الكلامية وآلاف الأكاذيب، لم تُستنفد بعد. كما هي الحال دائمًا، شعر أنّها، خلف عينيها الخضراوين المذهّبتين، تعرف بالضبط ما يجول في ذهنه من أفكار.

– لن يولدا قبل وقت طويل. خضعت لمسح بالأشعّة فوق الصوتية، إنّهما صبيّ وفتاة. جاغو سعيد بالصبيّ. هل أتيت إلى هنا مع أحد؟

– كلّا.

فيما كان يتفوّه بهذه الكلمات، شاهد وميضًا أخضر خلف كتف شارلوت. روبن، التي كانت تتحدّث الآن ببراعة إلى المرأة ذات الوجه الشبيه بوجه الفأر والثوب الأرجواني التي تمكّنت أخيرًا من أن تهرب من غيرينت.

قالت شارلوت، التي نظرت لتعرف ما الذي لفت انتباهه: «جميلة». لطالما تحلّت شارلوت بقدرة خارقة على اكتشاف أدنى وميض اهتمام منه

بأيّ امرأة أخرى. وقالت ببطء: «لا، مهلًا، أليست تلك الفتاة التي تعمل معك؟ تحدّثت عنها جميع الصحف... ما اسمها... روب...؟».

قال سترايك: «كلا، هذه ليست هي».

لم يُفاجأ من أن تعرف شارلوت اسم روبن، أو أن تتعرّف عليها، حتى مع عدساتها اللاصقة العسلية اللون. كان يعلم أنّ شارلوت ستراقبه.

«لطالما أحببت الفتيات ذوات البشرة البيضاء، أليس كذلك؟» قالت شارلوت بنوع من المرح المصطنع. «تلك الأميركية الصغيرة التي بدأت بمواعدتها بعد أن تظاهرت بأنّنا انفصلنا في ألمانيا كان لها هذا النوع من...».

ثمّ شمع نوع من الصراخ الخفيّ بقربهما. «يا للهول! تشارلي!».

توجّهت إيزي تشيزيل نحوهما مبتهجة، بوجهها الوردي المتنافر لونًا مع فستانها البرتقالي. اشتبه سترايك في أنّها لم تكن تتناول كأسها الأولى من النبيذ.

قالت شارلوت وهي تبتسم: «مرحبًا إيز». كاد سترايك يشعر بالجهود التي قامت بها لتحرّر نفسها من تشابك الضغائن والجروح القديمة التي خُنقت فيها علاقتهما تدريجًا حتى الموت.

مرّة أخرى، استعدّ للمغادرة، لكنّ الحشد تفرّق وكشف عن الأمير هاري فجأة بكلّ ما لديه من ألفة حقيقية، على بعد حوالي عشرة أقدام من مكان وقوف سترايك والمرأتين. أدرك سترايك أنّ ابتعاده الآن سيلفت نظر نصف الموجودين في الغرفة. بوقوفه هناك محاصرًا، فاجأ النادل المارّ بمدّ يده الطويلة وانتزاع كأس أخرى من النبيذ عن صينيته. خلال ثوانٍ قليلة، نظرت كلّ من شارلوت وإيزي إلى الأمير. ثمّ، عندما اتّضح أنّه لم يكن على وشك الاقتراب منهما في أيّ وقت قريب، التفتت كلّ منهما إلى الأخرى.

قالت إيزي: «الحمل أصبح ظاهرًا الآن!» وهي تنظر بإعجاب إلى بطن شارلوت. «هل قمت بفحص بالأشعة فوق الصوتية؟ أتعرفين جنس الجنين؟».

قالت شارلوت بدون حماسة: «إنّهما توأمان». أشارت إلى سترايك: «أتتذكّرين...؟».

فقالت إيزي مبتهجة: «كورم، أجل بالطبع، نحن أحضرناه إلى هنا!» غير مدركة أنّها أفشت معلومات كان يجب أن تبقى طيّ الكتمان.

استدارت شارلوت من أمام صديقتها القديمة في المدرسة نحو صديقها السابق، واستطاع سترايك أن يشعر بأنّها تبحث عن سبب مجيئه وإيزي معًا. التفتت قليلًا جدًا، وكأنّها تسمح لإيزي ظاهريًا بالمشاركة في الحديث، لكنّها كانت تطوّق سترايك حتى لا يتمكّن من الابتعاد من دون أن يضطر للطلب من إحداهما أن تفسح له المجال. وقالت: «مهلًا، بالطبع. لقد حققت في وفاة فريدي أثناء المعركة، أليس كذلك؟ أتذكّر أنّك أخبرتني بذلك. مسكين فريدي».

اعترفت إيزي بهذا التكريم لأخيها بحركة طفيفة من كأسها، ثمّ اختلست النظر من فوق كتفها إلى الأمير هاري.

وهمست: «إنّه يصبح أكثر إثارة يومًا بعد يوم، أليس كذلك؟» فقالت شارلوت بدون أن تبدي أيّ تأثّر: «لكنّ عانته بلون الزنجبيل، يا عزيزتي».

ابتسم سترايك رغمًا عنه وشخرت إيزي من الضحك. قالت شارلوت: «بالمناسبة...» (لم تعترف يومًا بأنّها مضحكة)، «أليست كينفارا هانراتي تلك التي هناك؟». فأجابت إيزي: «زوجة أبي المروّعة؟ بلى. أتعرفينها؟».

«باعت لها أختي حصانًا».

خلال ستة عشر عامًا من علاقة سترايك المتقطعة مع شارلوت، سمع أحاديث لا حصر لها مثل هذه. وبدا له أنّ الأشخاص الذين ينتمون إلى طبقتها، يعرف بعضهم بعضًا جميعًا. فهم، حتى لو لم يلتقوا مطلقًا، يعرفون شقيقًا، أو ابن عمّ، أو صديقًا، أو زميل دراسة، أو أنّ والديهم يعرفان والدي، الشخص الآخر: جميعهم متّصلون، ويؤلّفون شبكة تشكّل موطنًا معاديًا للدخلاء. نادرًا ما خرج هؤلاء الموجودون على تلك الشبكة إلى بقيّة المجتمع بحثًا عن الرفقة أو الحب. إلّا شارلوت، فقد انفردت، من بين أعضاء دائرتها، في اختيار شخص غير قابل للتصنيف مثل سترايك، وكان يعرف أنّ جاذبيته غير المرئيّة ومكانته المتدنّية موضع نقاش دائم ومروّع بين معظم أصدقائها وأفراد عائلتها.

قالت إيزي: «حسنًا، أتمنّى ألّا يكون حصانًا أحبّته إميليا، لأنّ كينفارا ستدمّره. هي خيّالة مروّعة، لكنّها تعتقد أنّها شارلوت دوجاردان. أتركب الخيل يا كورموران؟» فأجابها سترايك: «كلا».

قالت شارلوت مبتسمة له: «إنّه لا يثق بالخيول».

لكنّه لم يـردّ، لم يشعر برغبة في التطرّق إلى النكات القديمة أو الذكريات المشتركة.

قالت إيزي بشيء من الارتياح: «كينفارا شاحبة من الغضب، انظرا إليها. فقد لمّح أبي بشدّة إلى أنّه سيحاول إقناع أخي راف بتولّي العمل مكاني، وهو أمر رائع ولطالما تمنّيت أن يحدث.وقد اعتاد أبي أن يسمح لكينفارا بأن تملي عليه ماذا يجب أن يفعله بشأن راف، لكنّه أصبح يأخذ قراراته بنفسه هذه الأيّام».

قالت شارلوت: «أظنّ أنّني قابلت رافاييل. ألم يكن يعمل في معرض هنري دروموند الفنّي منذ شهرين؟».

نظر سترايك إلى ساعته ثمّ جال بنظره على جميع أنحاء الصالة. كان الأمير يبتعد من القسم الذي وقفوا فيه من الغرفة، ولم ير روبن في أيّ مكان. إن حالفها الحظ فلا بدّ من أنّها تبعت السيّدة التي تحمل المعلومات التي تورّط وين إلى الحمّام، وكانت تسحب منها تلك المعلومات أمام المغسلة.

قالت إيزي: «يا للهول. إنّه اللعين... آه غيرينت مرحبًا!» لكن سرعان ما اتّضح أنّ غيرينت يستهدف شارلوت.

قال، وهو يحدّق بها من خلال نظّارته المتّسخة جدًا، وابتسامته الخالية من الشفاه: «مرحبًا، مرحبًا. دلّتني ابنة أخت زوجك عليك للتوّ. يا لها من شابّة غير عادية، غير عادية إطلاقًا. تشارك مؤسّستنا الخيرية في دعم فريق الفروسية». وأضاف وهو يمدّ يده: «غيرينت وين، ذا ليفل بلاينغ فيلد».

قالت شارلوت: «أوه... مرحبًا».

شاهدها سترايك تصدّ الرجال الفاسقين لسنوات. بعد أن لاحظت وجود غيرينت، حدّقت ببرودة فيه، كما لو كانت في حيرة شديدة لمعرفة لماذا لا يزال واقفًا بالقرب منها.

اهتزّ هاتف سترايك في جيبه. مدّ يده ليحمله ورأى رقمًا غير معروف فكان هذا عذره للمغادرة.

«يجب أن أذهب، آسف. المعذرة يا إيزي».

قالت إيزي عابسة: «يا له من أمر مؤسف. أردتُ أن تخبرني كلّ شيء عن سفّاح شاكلويل!».

رأى سترايك عينَي غيرينت تتّسعان فلعنها في قرارة نفسه وقال: «طابت ليلتكم». وأضاف متوجّهًا إلى شارلوت: «إلى اللقاء».

عرج مبتعدًا بأسرع ما يمكن وردّ على الاتّصال، لكن عندما رفع هاتفه إلى أذنه، كان المتّصل قد أقفل الخطّ.

– كورم؟

لمس أحدهم ذراعه بخفّة. التفت؛ كانت شارلوت قد تبعته.

– أنا أيضًا سأرحل.

– ماذا عن قريبتك؟

– لقد قابلت هاري، وستكون مبتهجة. إنّها في الواقع لا تحبّني كثيرًا. لا أحد منهم يحبّني كثيرًا. ماذا حدث لجوّالك؟

– وقعت عليه.

استمرّ في المشي، لكنّها لحقت به بفعل طول ساقيها.

– لا أعتقد أنّنا ذاهبان في الاتّجاه ذاته يا شارلوت.

– ما لم تكن ستحفر نفقًا للخروج، علينا أن نسير معًا مثني ياردة.

استمرّ في المشي وهو يعرج وامتنع عن الإجابة. إلى يساره، التقط وميضًا آخر أخضر. وعندما وصلا إلى الدرج الكبير في القاعة، مدّت شارلوت يدها وأمسكت بذراعه بخفّة، متأرجحة في الكعب الذي كان غير مناسب لامرأة حامل. قاوم سترايك رغبته في التخلّص منها.

رنّ جوّاله مجدّدًا وظهر الرقم المجهول ذاته على الشاشة. اقتربت شارلوت منه تراقب وجهه وهو يجيب على الاتّصال.

ما إن لمس هاتفه أذنه حتى سمع صرخة يائسة مؤلمة:

«سيقتلونني يا سيّد سترايك، ساعدني، ساعدني، أرجوك ساعدني...».

34



لكن من كان يتنبّأ بما سيحصل؟ أكيد لم أكن لأستطيع ذلك.

هنريك إبسن، روسميرشولم

لم يكن وعد السماء الضبابية الصافية بيوم صيفي آخر قد تحوّل بعد إلى دفء حقيقي عندما وصلت روبن صباح اليوم التالي إلى أقرب مقهى من منزل تشيزيل. لم تختر إحدى الطاولات الدائرية الموجودة في الخارج على الرصيف، بل جلست في زاوية من المقهى، حيث كان من المقرّر أن تقابل سترايك، ولفّت يديها حول كوب القهوة بالحليب، سعيًا إلى الشعور بالارتياح، وقد انعكست صورتها في آلة الإسبريسو شاحبة ومثقلة العينين.

علمت أنّ سترايك لن يكون هنا عند وصولها. وكان مزاجها مكتئبًا وعصبيًا في الوقت نفسه. كانت تفضّل بالتأكيد ألّا تجلس وحيدة بصحبة أفكارها، لكنّها هنا، لا يجالسها سوى همس آلة صنع القهوة، تشعر بالبرد على الرغم من ارتدائها السترة التي أخذتها في طريقها للخروج من المنزل ويعتريها القلق من المواجهة الوشيكة مع تشيزيل، الذي قد يحسم مبلغًا من فاتورتهما، بعد كارثة شجار سترايك مع جيمي نايت.

لكنّ قلق روبن لم يقتصر على ذلك، إذ إنّها كانت قد استيقظت في ذلك الصباح من حلم مرتبك برزت فيه شخصية شارلوت روس المظلمة ذات

الحذاء المروّس. عرفت روبن شارلوت على الفور عندما رصدتها في الحفل. وحاولت ألّا تشاهد الخطيبين السابقين أثناء حديثهما، وغضبت من نفسها لاهتمامها الشديد بما كان يجري بينهما، ومع ذلك، على الرغم من أنّها انتقلت من مجموعة إلى أخرى، تتدخّل بلا خجل في الأحاديث على أمل العثور على إلسبيث كورتيس-ليسي الصعبة المنال، ظلّت عيناها تبحثان عن سترايك وشارلوت، وعندما غادرا الحفل معًا، شعرت بإحساس مزعج في بطنها يشبه ذاك الذي ينتابها عند هبوط المصعد وهي بداخله.

وصلت إلى المنزل وهي غير قادرة على التفكير في أيّ شيء آخر، ما جعلها تشعر بالذنب عندما خرج ماثيو من المطبخ، وهو يأكل شطيرة. تكوّن لديها انطباع بأنّه عاد إلى المنزل منذ وقتٍ قصيرٍ فقط. رمق ماثيو الفستان الأخضر بنظرة من الأعلى إلى الأسفل على غرار ما فعلته كينفارا. وحين أرادت أن تتخطّاه لتصعد إلى الطابق العلوي، تحرّك ليمنعها.

«روبن، بربّك. أرجوكِ. فلنناقش الأمر».

ذهبا إلى غرفة الجلوس وتحدّثا. روبن التي تعبت من الصراع، اعتذرت لماثيو عن إيذاء مشاعره بتخلّفها عن مباراة الكريكيت، ونسيانها خاتم زواجها خلال الاحتفال بعيد زواجهما في عطلة نهاية الأسبوع. وهو بدوره أعرب عن أسفه لما قاله خلال شجار يوم الأحد، ولا سيّما الملاحظة بشأن عدم تحقيقها أيّ إنجاز.

شعرت روبن كما لو كانا يحرّكان قطع الشطرنج على لوح يهتزّ في هزّات أولية لزلزال وشيك. «فات الأوان. ألا تفهم أنّ شيئًا من هذا كلّه لم يعد يهمّ بعد الآن؟».

ولكن عندما انتهى الحديث، قال ماثيو: «إذًا هل ننسى كل شيء؟»

أجابت: «نعم، ننسى كل شيء».

وقف، ومدّ يده وساعدها على النهوض من كرسيّها فأجبرت نفسها على الابتسام، ثمّ قبّلها بشدّة على فمها وبدأ يشدّ الفستان الأخضر. سمعت روبن تمزّق النسيج حول السحّاب وعندما بدأت بالاحتجاج، ثبّت فمه على فمها مجدّدًا.

كانت تعلم أنّها تستطيع أن تمنعه، وعرفت أنّه كان ينتظر أن تمنعه، وأنّه يختبرها بطريقة قبيحة، مخادعة، وأنّه سينكر ما يفعله حقًّا، وسيدّعي أنّه الضحيّة. كرهته لأنّه تصرّف بهذه الطريقة، وأراد جزء منها أن يكون تلك المرأة التي يمكنها أن تنفصل عن اشمئزازها وعن جسدها المتردّد، لكنّها قاتلت لوقت أطول وبصعوبة أكبر لاستعادة ملكية جسدها من أن تقايضه بهذه الطريقة.

فقالت: «لا»، ودفعته عنها. «لا أريد ذلك».

تركها فورًا، كما توقعت أن يفعل، وعلى وجهه تعبيرٌ مزدوج من الغضب والانتصار. فجأة، علمت أنّها لم تخدعه عندما تطارحا الغرام في عطلة نهاية الأسبوع في الذكرى السنوية لزواجهما، ومن المفارقات أنّ ذلك جعلها تشعر بالحنان تجاهه.

قالت: «آسفة. إنّني متعبة». فقال ماثيو: «نعم. وأنا أيضًا».

وخرج من الغرفة، تاركًا إيّاها تشعر بقشعريرة في أسفل ظهرها حيث تمزّق الفستان الأخضر.

أين كان سترايك بحق الجحيم؟ كانت الساعة التاسعة وخمس دقائق وهي تحتاج إلى جليس. أرادت أيضًا أن تعرف تفاصيل ما حدث بعد أن غادر الحفل مع شارلوت. أيّ شيء أفضل من الجلوس هنا والتفكير في ماثيو.

رنّ هاتفها كما لو أنّها استحضرت سترايك بأفكارها وقال قبل أن تتمكّن من الكلام: «أنا آسف. حزمة مشبوهة في غرين بارك اللعين. علقت في مترو الأنفاق لمدّة عشرين دقيقة وعاودت الشبكة عملها للتو. سأكون هناك في أسرع ما يمكن، لكن قد تضطرّين إلى البدء بدوني».

أجابته وهي تغمض عينيها المتعبتين: «يا للهول!».

كرّر سترايك: «آسف، أنا في طريقي. لديّ ما أخبرك إيّاه، في الواقع. حدث أمر غريب الليلة الماضية... مهلًا، لقد انطلقنا. أراك قريبًا». وأقفل الخطّ، تاركًا روبن وهي تتوقع أن تتحمّل بمفردها الحمم الأولى من غضب جاسبر تشيزيل، بينما لا تزال تصارع مشاعر لا شكل لها من الخوف والبؤس بشأن امرأة رشيقة مظلمة سبقتها بستة عشر عامًا من المعرفة والذكريات

المتعلقة بكورموران سترايك. قالت روبن في نفسها: «ينبغي ألّا تهتمّي، بحقّ السماء، ألا تواجهين ما يكفي من المشاكل بدون أن تقلقي بشأن حياة سترايك العاطفية؟ الأمر لا يعنيك إطلاقًا...».

وشعرت بوخز ذنب مفاجئ حول شفتيها، حيث سقطت قبلة سترايك عرضيًا خارج المستشفى. شربت القطرات الأخيرة من قهوتها وكأنّها تريد أن تمحو هذا الشعور، ونهضت وغادرت المقهى إلى الشارع العريض المستقيم الذي انتصبت على جانبيه منازل متشابهة من القرن التاسع عشر.

سارت روبن بخفّة، لا لأنّها في عجلة من أمرها لتحمّل وطأة غضب تشيزيل وخيبة أمله، بل لأنّ النشاط يساعدها على تبديد أفكارها المزعجة.

عند وصولها خارج منزل تشيزيل في الوقت المحدّد بالضبط، بقيت واقفة لبضع ثوانٍ بجانب الباب الأمامي الأسود اللامع، تأمل ظهور سترايك في اللحظة الأخيرة. لكنّه لم يظهر. فشدّت عزيمتها، وصعدت الدرجات الثلاث البيضاء النظيفة من الرصيف وطرقت الباب الأمامي. كان الباب مفتوحًا بضع بوصات. وسمعت صوتًا مكتومًا لرجل ربّما قال: «ادخل».

دخلت روبن ردهة صغيرة كالحة يشرف عليها درج يسبّب الدوار. كان ورق الجدران الأخضر الزيتوني باهتًا ومتقشّرًا في بعض الأماكن. تركت الباب الأمامي كما وجدته، وصرخت:

«سعادة الوزير...؟».

لم يردّ. دقّت برفق على الباب إلى اليمين وفتحته.

توقّف الوقت. بدا المشهد وكأنّه ينثني على نفسه ويقفز نحوها ويدخل في شبكية عينها إلى عقلها غير المستعدّ له. أبقتها الصدمة واقفة في المدخل، فيما يدها لا تزال على المقبض وفمها مفتوح قليلًا في محاولة لفهم ما تراه.

كان ثمّة رجل على كرسيّ من طراز الملكة آن، مباعدًا بين ساقيه فيما تدلّى ذراعاه وبدا أنّ رأسه يشبه نبتة لفتٍ رمادية لامعة لكن بدون عينين، وفيه فم مفتوح ككوّة كبيرة.

ثمَ أدركت بصعوبة، حقيقة أنّه ليس نبتة لفت، بل رأس بشري ملفوف في كيس بلاستيكي شفّاف، موصول بأنبوب يخرج من علبة معدنية كبيرة. بدا الرجل كأنّه اختنق. كانت قدمه اليسرى مستلقية بشكل جانبي على السجّادة، كاشفة عن ثقب صغير في النعل، وقد تدلّت يداه حتى كادت أصابعه السميكة تلامس السجّادة، وكانت هناك بقعة على بنطلونه في المنطقة العليا من الفخذ حيث أفرغت مثانته محتواها.

بعد ذلك فهمت روبن أنَ تشيزيل نفسه هو الجالس على الكرسيّ، وأنَ كتلته السميكة من الشعر الرمادي غطّت وجهه بفعل الفراغ الناتج عن الكيس، وأنَ الفم المتّسع قد امتصّ البلاستيك، ما أظهره كفجوة مظلمة للغاية.

35

... الحصان الأبيض! في وضح النهار!

هنريك إبسن، روسميرشولم

في مكان ما في البعيد، صرخ رجل. بدا كأنّه عامل، وفي جزء من دماغها عرفت روبن أنّها سمعت صوته عندما كانت تتوقع سماع كلمة «ادخل». لم يدعُها أحد إلى المنزل. بل تُرك الباب مفتوحًا فتحة صغيرة بكلّ بساطة.

الغريب في الأمر، وفيما كان ذلك متوقعًا، لم تشعر روبن بالذعر. لم تشعر بأيّ تهديد هنا، وعلى الرغم من مشهد تلك الدمية المروّعة برأس اللفت، لم يكن بإمكان هذه الشخصية المسكينة أن تؤذيها. علمت روبن أنّه يجب عليها أن تتحقّق من أنّ تشيزيل تُوفّي فعلًا، فاقتربت منه ولمست كتفه بلطف. ما سهّل عليها الأمر هو أنّها لم تر عينيه، بسبب الشعر الخشن الذي حجبهما مثل ناصية الحصان. شعرت بتصلّب جسده تحت قميصه المخطّط وكان أكثر برودة ممّا توقعت.

لكنّها تخيّلت بعد ذلك أنّ الفم المفتوح يتكلّم، وخطت عدّة خطوات سريعة إلى الوراء، حتى داست على شيء صلب على السجّادة وانزلقت. وأثناء تحرّكها، كسرت علبةً بلاستيكية زرقاء شاحبة تحتوي على حبوب تبعثرت على السجّادة وعرفت أنّها نوع من أقراص الطبّ التجانسي التي تباع في الصيدلية المحلّية.

أخذت روبن جوّالها، واتّصلت بالشرطة على الرقم 999، أخبرتهم أنّها عثرت على جثّة وأعطتهم العنوان، وقيل لها إنّ شرطيًا سيحضر قريبًا.

حاولت ألّا تركّز كثيرًا على تشيزيل، وأن تفحص الغرفة حولها.

ستائر مهترئة ذات لونٍ قاتمٍ غير محدّد، تزيّنت بفقافيع صغيرة حزينة، التلفزيون العتيق في كسوته الخشبية الاصطناعية، قطعة من ورق الجدران الأكثر قتامةً فوق رفّ الموقد حيث عُلّقت لوحة في الماضي، والصور ذات الإطار الفضّي. بدا ذلك كلّه عاديًا جدًا لكنّ الرأس المغلّف بالبلاستيك والأنبوب المطاطي ولمعان العبوة البارد حوّلت كلّ تلك العاديّة إلى ديكور مسرحي. وحده الكابوس كان حقيقيًا.

حوّلت روبن جوّالها إلى وظيفة الكاميرا وبدأت بالتقاط الصور. خفف وضع عدسة بينها وبين المشهد من حدّة الرعب، وأخذت، ببطء وبشكل منهجي، توثّق المشهد.

أمام الجثّة، على طاولة القهوة، كوبٌ بقيت فيه بضع مليمترات ممّا يشبه عصير البرتقال، وتبعثرت بجانبه الكتب والأوراق، وقطعة من ورق الكتابة السميك لونها عاجي، ظهرت على رأسها وردة تيودور حمراء شبيهة بقطرة دم، وطُبع عليها عنوان المنزل الذي كانت فيه، وقد كتب عليها شخصٌ ما بخطّ يدٍ دائري بنّاتي:

اللیلة كانت القشّة التي قصمت ظهر البعير. إلى أيّ حدّ تخالني غبيّة،
بوضع تلك الفتاة في مكتبك تحت أنفي؟ آمل أن تدرك كم تبدو سخيفًا،
وكم يسخر الناس منك، لأنّك تلاحق فتاة أصغر من بناتك.
طفح الكيل. اجعل من نفسك أضحوكة، ما عدت أهتمّ، انتهى الأمر.
لقد عدت إلى وولستون. بمجرّد أن أقوم بالترتيبات من أجل الخيول،
سأرحل إلى الأبد. سيفرح أولادك الرهيبون اللعينون للخبر، لكن أنت يا
جاسبر، هل سيفرحك؟ أشكّ في ذلك، لكنّ الأوان قد فات.
ك.

فيما انحنت روبن لتلتقط صورة للرسالة، سمعت الباب الأمامي ينغلق فجأة، فشهقت والتفتت إلى الوراء. كان سترايك يقف على العتبة، عريض البنية، غير حليق الذقن، لا يزال يرتدي البذلة التي ارتداها في الحفل. كان يحدّق في الشكل الموجود على الكرسيّ.

قالت روبن: «الشرطة قادمة، اتّصلت بهم للتوّ».

دخل سترايك الغرفة بتؤدة.

«اللعنة!».

رأى علبة الحبوب المكسورة على الأرض، خطا من فوقها، وتفحّص الأنبوب والوجه المغطّى بالبلاستيك.

قالت روبن: «قال راف إنّه يتصرّف بغرابة أخيرًا، لكنّني لا أعتقد أنّه تصوّر...».

لم يقل سترايك شيئًا. كان لا يزال يفحص الجثّة.

– هل كانت هذه موجودة مساء أمس؟

– ماذا؟

قال سترايك مشيرًا:

– هذه.

لمحت روبن على ظهر يد تشيزيل علامة شبه دائرية حمراء قانية على الجلد الخشن الشاحب.

فأجابته:

– لا أتذكّر.

بدأت الصدمة الكاملة لما حدث، تؤثّر عليها، وباتت تجد صعوبة في ترتيب أفكارها، التي طفت في رأسها، غير راسخة ولا مترابطة: تشيزيل يصيح عبر نافذة السيّارة لإقناع الشرطة بالسماح لسترايك بحضور الحفل الليلة الماضية، يصف لكينفارا بالسافلة الغبيّة، ويطلب منهما مقابلتهما هنا هذا الصباح. كيف يتوقّع منها سترايك أن تتذكّر ظهر يديه؟!

همهم سترايك ملاحظًا الجوّال في يدها.

– «هممم» هل التقطت صورًا لكلّ شيء؟

أومأت برأسها.

سأل وهو يلوّح بيده فوق الطاولة:

– هذا كلّه؟ وأضاف: وهذا؟ مشيرًا إلى الحبوب المتشقّقة على السجّادة.

– أجل. تلك كانت غلطتي، دست عليها.

– كيف دخلت؟

– كان الباب مفتوحًا. ظننت أنّه تركه على هذه الحال من أجلنا. وصرخ أحد العمّال في الشارع فظننت أنّ تشيزيل قال «ادخل». كنت أتوقّع...

قال سترايك:

– ابقي هنا.

وغادر الغرفة. سمعته يصعد الدرج، ثمّ سمعت خطواته الثقيلة على السقف فوقها، لكنّها كانت تعلم أنّ لا أحد فوق. كان بإمكانها أن تشعر بخلاء المنزل من الحياة، وبالنزعة المسرحية في ديكوره. بالطبع، عاد سترايك بعد أقلّ من خمس دقائق، وهو يهزّ رأسه.

– لا أحد.

مرّ بجانبها عبر باب للخروج من غرفة الجلوس، وعلمت أنّه دخل المطبخ لسماعها وقع خطواته على البلاط.

قال سترايك:

– فارغ تمامًا، وهو يعود إلى الغرفة.

سألته:

– ما الذي حدث الليلة الماضية؟ قلت إنّ شيئًا غريبًا قد حدث.

رغبت في مناقشة موضوع آخر، غير الجوّ المريع والمروّع والخالي من الحياة الذي يهيمن على جوّ الغرفة.

– اتّصل بي بيلي. قال إنّ أشخاصًا يحاولون قتله... ويطاردونه. ادّعى أنّه في مقصورة هاتف في ساحة ترافلغار. ذهبت إلى هناك محاولًا العثور عليه، لكنّني لم أجده.

– آه...

«إذًا، لم يكن مع شارلوت». على الرغم من الوضع المأساوي الذي هم فيه، سجّلت روبن هذه المعلومة وفرحت لها.

قال سترايك بهدوء، ناظرًا خلفها إلى زاوية من الغرفة: «ما هذا بحق السماء؟».

كان ثمة سيف ملتوٍ يتكئ على الحائط في زاوية مظلمة، بدا كما لو أنّ أحدًا وقف عليه أو لواه عمدًا. التفّ سترايك حول الجثّة واتجه صوبه لتفحّصه، لكنّهما سمعا سيّارة الشرطة تصل وتقف خارج المنزل، فعاد واستقام في هيئته.

قال:

– سنخبرهم بكلّ شيء بالطّبع.

أكّدت روبن:

– أجل.

– باستثناء أجهزة التنصت. اللعنة! سوف يجدونها في مكتبك...

– لن يجدوها. أخذتها إلى المنزل البارحة، قلت في حال قرّرنا أنّه ينبغي عليّ أن أترك المكتب بسبب صحيفة الصن.

قبل أن يتسنّى لسترايك أن يعرب عن إعجابه ببصيرتها، قرع أحدهم بقوّة على باب المدخل.

قال سترايك بابتسامة متهكّمة: «كان الأمر ممتعًا ما دام مستمرًّا، أليس كذلك؟» وأكمل وهو يتقدم نحو القاعة: «أقصد ألّا تتحدّث عنّا الصحف».



الجزء الثاني

36

يمكن التستّر على ما حدث؛ أو في كلّ الأحوال تفسيره على أنّه خطأ عابر...

هنريك إبسن، روسميرشولم

حافظت قضيّة تشيزيل على طابعها الفريد حتى بعد رحيل موكّلهما.

وفيما كانت الشرطة تنفّذ الإجراءات المزعجة المعتادة والمعتمدة في وجود جثّة، اصطُحب سترايك وروبن من شارع إيبيري إلى سكوتلاند يارد، حيث استُجوب كلّ منهما على حدة. علم سترايك أنّه لا بدّ من أن يكون إعصارٌ من التكهّنات دائرًا حاليًا عبر الغرف الإخبارية في لندن بشأن وفاة وزير في الحكومة، ومن المؤكّد أنّه بحلول الوقت الذي خرجا فيه هو وروبن من سكوتلاند يارد بعد ستّ ساعات، كان التلفزيون والراديو قد بثّا تفاصيل حياة تشيزيل الخاصّة المليئة بالفضائح، بينما أظهرت صفحات الإنترنت التي تصفحاها على هاتفيهما فور خروجهما أخبارًا مقتضبة منقولة عن المواقع الإخبارية، مع انتشار مجموعة متشابكة من النظريات الغريبة عبر المدوّنات ووسائل التواصل الاجتماعي، تنقل موت أكثر من تشيزيل واحد على أيدي أكثر من عدوٍّ واحدٍ غامض.

بينما كان عائدًا في سيّارة أجرة إلى شارع الدنمارك، قرأ سترايك كيف قُتل تشيزيل الرأسمالي الفاسد على يد المافيا الروسية بعد فشله في

سداد الفائدة على بعض المعاملات المريبة غير القانونية، بينما قُتلَ تشيزيل المدافع عن القيم الإنكليزية القويّة على يد إسلاميٍّ متشدّد، بعد محاولاته مقاومة انتشار الشريعة الإسلامية.

عاد سترايك إلى شقته العلوية فقط ليجمع مقتنياته وانتقل إلى منزل صديقيه القديمين نيك وإلسا، وهما اختصاصي في أمراض الجهاز الهضمي ومحامية. روبن، التي اضطرت لركوب سيارة أجرة تقلّها مباشرة إلى منزلها في شارع ألبوري بناءً على إصرار سترايك حصلت على عناق متعجرف من ماثيو، الذي كان تظاهره بالتعاطف أسوأ، في رأيها، من الغضب الصريح. لكنّ ذلك التظاهر سرعان ما انهار في اليوم التالي مباشرةً، عندما سمع أنّ روبن قد استُدعيت مجدّدًا إلى سكوتلاند يارد من أجل المزيد من الاستجواب.

– كان يمكن أيّ شخص أن يتوقع ذلك!

– غريب، لأنّ الأمر في الحقيقة فاجأ معظم الناس، قالت له روبن، التي كانت قد تجاهلت للتو مكالمة والدتها الرابعة منذ الصباح.

– كلا، لا أقصد انتحار تشيزويل...

– يُلفظ اسمه «تشيزيل»...

– أعني أنّك قد تواجهين المشاكل لتسلّلك وحؤمك حول مجلسي العموم!

– لا تقلق يا مات. سأحرص على أن تعلم الشرطة أنّك كنت تعارض الأمر. لا نريد أن نفسد فرصتك بالترقية.

لكنّها لم تكن متأكّدة من أنّ محاورها الثاني كان شرطيًا.

فالرجل اللطيف في البذلة الرمادية الدكناء لم يكشف لها لحساب من يعمل. وجدت روبن هذا الرجل أكثر ترويعًا بكثير من رجال الشرطة الذين استجوبوها أمس، على الرغم من أنّهم كانوا، في بعض الأحيان، عنيفين لدرجة الاعتداء. أخبرت روبن الرجل الجديد الذي يستجوبها بكلّ ما شاهدته وسمعته في مجلس العموم، متجاهلة فقط المحادثة الغريبة التي دارت بين ديلا وين وأمير مالك، والتُقطت على جهاز التنصّت الثاني. بما أنّ الحديث دار خلف باب مغلق بعد ساعات العمل العادية، لم يكن بإمكانها سماعه إلّا باستخدام

معدّات خاصّة بالتنصّت. خفّفت روبن من تأنيب ضميرها بقولها لنفسها إنّ هذه المحادثة لا يمكن أن يكون لها أيّ علاقة بموت تشيزيل، لكنّ الإحساس بالذنب وبالرعب لاحقاها عندما غادرت المبنى للمرّة الثانية. كانت مستنزفة القوى من مواجهتها للقوى الأمنية التي أصابتها بجنون الارتياب إلى حدّ أنّها اتّصلت بسترايك من هاتف عمومي بالقرب من محطّة مترو الأنفاق بدلًا من الاتصال على جوّالها.

«خضعت للتوّ لاستجواب آخر. أنا متأكّدة من أنّهم كانوا من جهاز الاستخبارات».

«الأمر متوقّع»، أجابها، فطمأنتها نبرته الهادئة.

أكمل: «عليهم أن يتحرّوا عنك وأن يتأكّدوا من أنّك فعلًا ما تدّعين أنّك عليه. ألا يوجد أيّ مكان آخر يمكنك الذهاب إليه غير المنزل؟ لا أصدّق أنّ الصحافة لم تهتمّ بنا بعد، لكنّ الأمر لن يطول».

«أفترض أنّه يمكنني العودة إلى ماشام، لكن لا بدّ من أنّهم سيبحثون عنّي هناك إن كانوا يريدون العثور عليّ. فقد ذهبوا إلى هناك بعد قضيّة السفّاح».

على عكس سترايك، لم يكن لديها أصدقاء يمكنها أن تلتجئ إلى منازلهم إن شعرت بأنّه يجدر بها أن تتوارى عن الأنظار. أصدقاؤها كلهم كانوا أصدقاء ماثيو أيضًا، وليس لديها أدنى شكّ في أنّهم، على غرار زوجها، سيخافون من إيواء أيّ شخص تهتمّ الأجهزة الأمنية لأمره. احتارت في أمرها فرجعت إلى شارع ألبوري. لكنّ الصحافيين لم يأتوا لمضايقتها، على الرغم من أنّه بدا أنّ الإعلام يعرف كلّ شيء عن تشيزيل. صحيفة الميل كانت قد نشرت على صفحتين كاملتين مقالًا عن مختلف المحن والفضائح التي ابتُلي بها جاسبر تشيزيل. «اعتبر في الماضي أنّه من المحتمل أن يصبح رئيس وزراء»، «لكنّ علاقته الغرامية مع الصحافية الإيطالية المثيرة أورنيلا سيرافين أدّت إلى فسخ زواجه الأول»، «تزوّج كينفارا هانراتي، التي تصغره بثلاثين عامًا»، «تُوفي ابنه البكر الملازم فريدي تشيزيل في حرب العراق التي كان والده يدعمها بقوة»، «ابنه الأصغر رافاييل الذي انتهت رحلته الممتعة المليئة بالمخدّرات بوفاة أمّ شابة».

احتوت الصحف على تحيّة من الأصدقاء والزملاء: «عقل لامع، ووزير قدير للغاية، وأحد شبّان تاتشر الأذكياء»، «ولكن لولا صخب حياته الخاصّة إلى حدّ ما، لبلغ أرقى المناصب»، «كانت الشخصية العامّة سريعة الغضب، جارحة، بل حتى جلفًا. لكن جاسبر تشيزيل الذي عرفته في هارو كان فتًى ذكيًا وسريع البديهة».

مرّت خمسة أيّام من التغطية الصحافية القاسية، ومع ذلك، استمرّ ضبط نفس الصحافة الغامض بشأن موضوع تورّط سترايك وروبن، وأيضًا، لم ينشر أحد كلمة واحدة عن الابتزاز.

في صباح يوم الجمعة، بعد اكتشاف جثّة تشيزيل، جلس سترايك بهدوء إلى طاولة مطبخ نيك وإلسا، وضوء الشمس يتدفّق عبر النافذة خلفه.

كان مضيفاه في عملهما. نيك وإلسا، اللذان يحاولان إنجاب طفل منذ عدّة سنوات، تبنّيا أخيرًا قطّين أصرّ نيك على أن يسمّيهما أوسي وريكي، تيمّنًا بلاعبَي توتنهام اللذين كان معجبًا بهما في سنّ المراهقة. القطّان لم يرقهما وصول سترايك الضخم وغير المألوف وبالكاد وافقا على الجلوس على ركبتَي والديها بالتبنّي، أما عندما أدركا أنّهما باتا بمفردهما معه، التجأتا فوق خزانة المطبخ. كان يشعر بأربع عيون خضراء ناعسة تحدّق به، متتبّعةً حركاته كلّها من الأعلى.

لكنّه لم يكن يتحرّك كثيرًا في الواقع، لم يتحرّك إطلاقًا طوال النصف ساعة الماضية وهو يتفحّص الصور التي التقطتها روبن في شارع إيبيري، وطبعها في مكتب نيك، كي تسهل عليه دراستها. أخيرًا، اختار تسع صور، وجمع الباقي في كومة مُصدرًا صوتًا جفل منه ريكي.

بينما كان يدقّق في صوره المختارة، هدأ ريكي مجدّدًا، وتأرجح طرف ذيله الأسود فيما ينتظر خطوة التحرّي التالية.

أظهرت الصورة الأولى التي اختارها سترايك لقطة مقرّبة لعلامة ثقب صغيرة نصف دائرية على يد تشيزيل اليسرى.

أظهرت الصورتان الثانية والثالثة زوايا مختلفة للكوب الزجاجي الذي كان على طاولة القهوة أمام تشيزيل. وظهر مسحوقٌ على جوانبه، فوق إنش واحد من عصير البرتقال.

صفّ سترايك الصورة الرابعة والخامسة والسادسة جنبًا إلى جنب. أظهرت كلّ منها زاوية مختلفة قليلًا من الجثّة، مع تفاصيل من الغرفة المحيطة بها داخل إطارها. مرّة أخرى، درس سترايك شكل السيف الملتوي المتكئ على الحائط في الزاوية المظلمة، والرقعة المظلمة فوق رفّ الموقد حيث كانت اللوحة معلّقة في السابق، وتحتها ظهر بالكاد على ورق الحائط الأدكن خطّافان نحاسيان يبعد أحدهما عن الآخر مسافة ياردة واحدة تقريبًا.

أظهرت الصورتان السابعة والثامنة عند وضعهما جنبًا إلى جنب طاولة القهوة بأكملها. ووُضعَ خطابُ وداع كينفارا فوق عدد من الأوراق والكتب لم يظهر منها سوى جزء صغير من حرف واحد، وقّعتها «بريندا بيلي». من بين الكتب، لم يستطع سترايك رؤية شيء سوى عنوان جزئي على إصدار قديم بغلاف من القماش – كاتولوس – والجزء السفلي من كتاب غلافه ورقي صادر عن دار نشر بنغوين. كذلك صُوّرت الزاوية المقلوبة من السجّادة الرثّة تحت الطاولة.

أظهرت الصورة التاسعة والأخيرة التي كبّرها سترايك جيب بنطلون تشيزيل المتّسع، حيث التقطت كاميرا روبن غرضًا لامعًا وذهبيًّا. بينما كان لا يزال يتأمّل ذلك الغرض اللامع، رنّ هاتف سترايك المحمول. كانت مضيفته، إلسا.

قال: «مرحبًا»، ووقف وأمسك علبة بنسون أند هدجز والولّاعة عن الرفّ خلفه. انطلق أوسي وريكي، وقد أخرجا مخالبهما وبدآ بخدش الخشب، إلى أعلى خزائن المطبخ، متأهّبين لاحتمال أن يبدأ سترايك برمي ما يحمله بيده عليهما. تحقق سترايك أنّهما أبعد من أن يهربا إلى الحديقة، فخرج وأغلق الباب الخلفي بسرعة.

– هل من أخبار؟

– أجل. يبدو أنّك كنت على حق.

جلس سترايك على كرسيّ حديقة من الحديد المطروق وأشعل سيجارته.

– تابعي.

– تناولت القهوة للتوّ مع مَن يسرّب لي الأخبار. لا يستطيع التحدّث بحرّية، نظرًا لطبيعة ما نتحدّث عنه، لكنّني عرضت نظريتك عليه وكان ردّه أنّ «هذا يبدو معقولًا جدًا». ثمّ قلت: «رجل سياسي زميل؟» فقال: «إنّ ذلك يبدو محتملًا جدًّا أيضًا»، فأخبرته أنّني أفترض في هذه الحال أن تستأنف الصحافة الحكم، وقال، نعم، إنّه يعتقد ذلك أيضًا.

زفر سترايك.

– أنا مدين لك يا إلسا، شكرًا. الخبر السارّ هو أنّني سأتمكّن من مغادرة منزلكما.

– كورم، نحن لا نمانع بقاءك، أنت تعرف ذلك.

– القطّتان لا تحبّانني.

– نيك يقول إنّهما أحسّا أنّك من مشجّعي فريق أرسنال.

– فعلًا خسر عالم الكوميديا موهبة لامعة عندما قرّر زوجك أن يمتهن الطبّ. الليلة العشاء على حسابي، ومن بعدها أرحل.

بعدها، اتّصل بروبن. ردّت على الهاتف من الرنّة الثانية.

– هل كلّ شيء على ما يرام؟

– اكتشفت لماذا لا تلاحقنا الصحافة. حصلت ديلا على أمر قضائي. لا يُسمح للصحف بأن تبلغ أنّ تشيزيل استخدمنا، حتى لا تظهر قضيّة الابتزاز إلى العلن. التقت إلسا للتوّ بصديق في المحكمة العليا وأكّد لها ذلك.

خيّم صمت قصير، فيما كانت روبن تحاول استيعاب هذه المعلومات.

– إذًا، ديلا أقنعت القاضي بأنّ تشيزيل اختلق قضيّة الابتزاز؟

– بالضبط، أنّه كان يستخدمنا لنعثر على معلومات تورّط أعداءه. لا يدهشني أن يصدّقها القاضي. العالم كله يعتقد أنّ ديلا تتمتّع بنزاهة فائقة.

احتجت روبن قائلة:

– لكنّ إيزي تعرف سبب وجودي في المكتب. بإمكان العائلة أن تؤكّد أنّه تعرّض للابتزاز.

نفض سترايك الرماد، شارد الذهن، في قدر زرعت فيها إلسا إكليل الجبل.

– وهل سيفعلون ذلك؟ أم يريدون إبقاء الأمر طيّ الكتمان الآن، بعد وفاته؟

اعتبر صمتها موافقة متردّدة.

– الصحافة ستستأنف، أليس كذلك؟

– تقول إلسا إنّهم يحاولون من الآن. لو كنت محرّرًا في صحيفة فضائح، لأرسلت من يراقبنا، لذا من الأفضل أن نكون حذرين. سأرجع إلى المكتب الليلة، لكن أعتقد أنّه يجب عليك البقاء في المنزل.

– إلى متى؟

سمع التوتّر في صوتها وتساءل عمّا إن كان سبب ذلك يعود إلى الضغط التي تولّده القضيّة.

– سوف نقرّر كلّ يوم بيومه. روبن، يعرفون أنّك من دخل مجلس العموم. كنتِ قد أصبحت القصّة وهو لا يزال على على قيد الحياة فكيف الآن بعد موته وبعدما علموا من أنت بالفعل؟

لم تقل روبن شيئًا.

سأل:

– إلى أين وصلت في الحسابات؟ كيف تبدو؟

أصرّت على أن تتولّى هذه المهمّة على الرغم من أنّها لا تروق أيًّا منهما.

– لو كان تشيزيل قد سدّد فاتورته لكانت بحال أفضل.

قال سترايك، وهو يفرك عينيه:

– سأحاول أن أضغط على العائلة، لكن من غير اللائق أن أطلب المال قبل الجنازة.

– تفحّصتُ الصور مجدّدًا، قالت روبن.

منذ عثورهما على الجثّة، أصبحت محادثاتهما يومية، علمًا أنّها درات جميعها حول صور جثّة تشيزيل والغرفة التي عثرا فيها عليه.

– وأنا أيضًا. هل لاحظت شيئًا جديدًا؟

– نعم، خطّافين صغيرين من النحاس الأصفر على الحائط. أعتقد أنّ السيف كان...

– ... معلّقًا تحت اللوحة المفقودة؟

– تمامًا، أتعتقد أنّه سيف تشيزيل عندما كان في الجيش؟

– هذا محتمل جدًا، أو ربّما هو سيف أحد أجداده.

– أتساءل لماذا أُنزل؟ وكيف تمّ ثنيه؟

– هل تعتقدين أنّ تشيزيل انتزعه عن الحائط محاولًا الدفاع عن نفسه وهو يواجه قاتله؟

قالت روبن بهدوء:

– هذه المرّة الأولى التي تقول فيها هذه الكلمة (قاتله).

انقضّ دبّور على ارتفاع منخفض فوق سترايك، لكنّ دخان سيجارته سرعان ما صدّه، فاندفع بعيدًا مرّة أخرى.

– كنت أمزح.

– تمزح؟

مدّ سترايك رجلَيه أمامه متأمّلًا قدميه. الجوّ دافئ داخل المنزل الذي وجد نفسه عالقًا فيه، فلم يكلّف نفسه عناء انتعال جوربَين وحذاء. قدمه العارية، التي نادرًا ما ترى ضوء الشمس، شاحبة ومشعرة. والقدم الاصطناعية، وهي قطعة واحدة من ألياف الكربون بدون أصابع ظاهرة، برقت بريقًا باهتًا في شعاع الشمس.

قال سترايك وهو يهز أصابعه الباقية:

– هناك أمورٌ غريبة، لكن مرّ أسبوع ولم يُلقَ القبض على أحد. لا بدّ أنّ الشرطة لاحظت كلّ ما فعلناه.

– ألم يسمع واردل شيئًا؟ يمكنني أن أسأل فانيسا لكنّ والدها مريض وهي في إجازة للاهتمام به.

– واردل مشغول بأمور مكافحة الإرهاب بمناسبة الألعاب الأولمبية. لكنّه رغم ذلك وجد الوقت ليتّصل ببريدي الصوتي ويقهقه ضاحكًا لموت موكّلي.

– كورموران، هل لاحظت الاسم الموجود على حبوب الدواء التجانسي التي دستُ عليها؟

– كلّا. فهي لم تكن ضمن الصور التي انتقاها. ما اسمها؟

– لاشيسيز. رأيته عندما كبّرت الصورة.

– لماذا لفت هذا انتباهك؟

– عندما جاء تشيزيل إلى مكتبنا واقتبس تلك القصيدة اللاتينية لأمير، قال شيئًا عن «رجلٍ بمثل عاداتك»، وذكر لاشيسيز. قال إنّها كانت...

– أحد الأقدار.

– ... تمامًا، تلك التي «تعرف متى تحين ساعة كلّ شخص». دخّن سترايك في صمت لبضع ثوانٍ.

– يبدو الأمر تهديدًا.

– أعرف.

– ألا تتذكّرين أيّ قصيدة كانت؟ أو المؤلّف، ربّما؟

– حاولت، ولكن لا.... وقالت فجأة: ... انتظر... أعطاها رقمًا.

– كاتولوس. وجلس مستقيمة على كرسيّ الحديقة الحديدي.

– كيف عرفت؟

– لأنّ قصائد كاتولوس مرقّمة وليست معنوَنة، ولأنّ نسخة قديمة من مجموعة قصائده كانت على طاولة القهوة أمام تشيزيل. وصف كاتولوس الكثير من العادات المثيرة للاهتمام: كسفاح القربى واللواط واغتصاب الأطفال... ربّما فاتته البهيمية. هناك قصّة مشهورة عن عصفور الدوري، لكن لم يأتِ أحد على ذكرها.

سألت روبن متجاهلة النكتة:

– مصادفة غريبة، أليس كذلك؟

– ربّما وُصِفت الحبوب لتشيزيل وذكّره اسمها بالأقدار؟

– هل بدا لك من الرجال الذين يثقون بالعلاج التجانسيّ؟

اعترف سترايك:

– كلا، لكن إن كنت تقترحين أنّ القاتل رمى أنبوبًا من لاشيسيز لإضفاء لمسة شاعرية على...

شمع قرع أجراس بعيد.

قالت روبن:

– أحدهم يدق الباب، من الأفضل...

– تحقّقي من هويّته قبل أن تجيبي. اعتراه توجّسٌ مفاجئ.

ثمّ شمع وقع قدمَيها المكتوم على السجّادة.

– يا للهول!

– من الطارق؟

– ميتش باترسون.

– هل رآك؟

– كلا، أنا في الطابق العلوي.

– إذًا لا تجيبي.

– لن أفعل.

لكنّ وتيرة تنفّسها أصبحت مرتفعة وثقيلة.

– هل أنت بخير؟

قالت بصوت مخنوق:

– بخير.

– ماذا...؟

– سأقفل الخطّ. وسأتّصل بك لاحقًا. وانقطع الخط.

خفض سترايك جوّاله. وشعر بحرارة مفاجئة في أصابع يده التي لا تمسك الهاتف، وأدرك أنّ سيجارته قد احترقت حتى الفلتر. أطفأها على حجر الرصيف الساخن، ورماها فوق الحائط في حديقة الجار الذي لا يحبّه نيك وإلسا، وأشعل سيجارة أخرى على الفور، فيما كان يفكّر في روبن.

كان قلقًا بشأنها. فمن المتوقع، بالطبع، أن تعاني القلق والتوتّر بعد العثور على جثّة، وبعدما استجوبتها الأجهزة الأمنية، لكنّه لاحظ أنّها كانت مشتتة على الهاتف، حيث طرحت عليه السؤال ذاته مرّتين أو ثلاث مرّات.

كما لاحظ ما اعتبره حرصًا غير صحّي على العودة إلى المكتب أو إلى العمل في الشارع.

واقتناعًا منه بأنّه يجب عليها أن ترتاح لبعض الوقت، لم يطلعها على تحقيق كان يقوم به حاليًا، لأنّه كان واثقًا من أنّها ستصرّ على المساعدة. في الحقيقة، في نظر سترايك، لم تبدأ قضيّة تشيزيل عندما أخبره الرجل المتوفّى أنّه يتعرّض للابتزاز، بل عندما أخبره بيلي نايت عن طفلة مخنوقة دُفنت ملفوفة في بطانية وردية. منذ آخر اتّصال من بيلي طالبًا النجدة، كان سترايك يتّصل برقم الهاتف الذي اتّصل بيلي منه. أخيرًا، في صباح اليوم السابق، أجاب على اتّصاله أحد المارّة الفضوليين، وأكّد له أنّ حجرة الهاتف تقع على طرف ساحة ترافلغار. «سترايك. ذلك الجندي اللقيط بساق واحدة. بيلي متمسّك به، ويعتقد أنّه سينقذه».

بالتأكيد كان هناك احتمال، ولو كان ضئيلًا، بأن يرجع بيلي إلى المكان الذي طلب فيه المساعدة آخر مرّة. قضى سترايك بضع ساعات يجول في ساحة ترافلغار في عصر اليوم السابق، مدركًا إلى أيّ مدًى كان احتمال ظهور بيلي بعيدًا، لكنّه شعر بأنّه مضطرّ للقيام بشيء ولو كان من دون جدوى.

واتّخذ قرارًا آخر من الصعب تبريره، لأنّه يكلّف أموالًا لا تستطيع الوكالة تحمّلها حاليًا، وهو إبقاء باركلي قريبًا من جيمي وفليك.

قال له الرجل القادم من غلاسكو عندما أعطاه المحقق هذه التعليمات: «إنّه مالُك، لكن ما الذي يجدر بي أن أبحث عنه؟».

قال سترايك: «بيلي، وفي غياب بيلي، أيّ شيء غريب».

بالطبع، ستُظهر مراجعة روبن التالية للحسابات ما كان يفعله باركلي.

شعر سترايك فجأة بأنّه مراقَب. كان أوسي، هرّ نيك وإلسا الأكثر جرأة، جالسًا على نافذة المطبخ، بجانب الصنابير، يحدّق عبر النافذة بعينين خضراوَين كاليشم الباهت. وكان في نظرته شيء من الانتقاد.

37

لن أتغلّب على هذا الأمر بالكامل. سيبقى
دائمًا شكّ، أو سؤال، يساورني.

هنريك إبسن، روسميرشولم

تجنّبًا لانتهاك شروط الأمر القضائي، ابتعد المصوّرون عن جنازة تشيزيل في وولستون. اقتصرت تغطية المؤسّسات الإخبارية على تصريح موجز يفيد بحدوث الجنازة. قرّر سترايك، الذي خطرت له فكرة إرسال الزهور إلى الدفن، التراجع عن مبادرته، كي لا يُعدّ فعله هذا تذكيرًا خاليًا من الإحساس، بأنّ فاتورته لم تُسدَّد. في الوقت نفسه، فُتح التحقيق في وفاة تشيزيل وأُجّل، إلى حين إجراء مزيد من التحقيقات.

بعد ذلك، فجأة، فقد الجميع اهتمامهم بجاسبر تشيزيل. كأنّ الجثة التي زُفعت عاليًا لمدّة أسبوع على موجة من المقالات الصحافية والقيل والقال والشائعات، غرقت الآن تحت كومة من المقالات الرياضية. سيرة حياة الرياضيين والرياضيات، والتنبّؤات والاستعدادات الأولمبية قبل أن تبدأ الألعاب باتت الآن كلّ ما تكتب عنه الصحف. البلد بكامله أصبح في قبضة حدث يكاد يكون عالميًا ويعجز من يوافق على إقامته أو يرفضه عن تجاهله أو تجنّبه.

استمرّت روبن في الاتّصال بسترايك يوميًا، والضغط عليه ليسمح لها بالعودة إلى العمل، لكنّه استمرّ في الرفض. لم يقتصر الأمر على ظهور ميتش باترسون مرّتَين أخريَين في شارعها فحسب، بل استمرّ شابّ غير مألوف طوال الأسبوع يعزف على الرصيف المقابل لمكتب سترايك، ويتعثّر في عزفه كلّما شاهد المحقق وينقطع بانتظام في منتصف الأغاني ليردّ على جوّاله. يبدو أنّ الصحافة لم تنسَ أنّ تلك الألعاب الأولمبية ستنتهي، وأنّه لا تزال هناك قصّة مثيرة يمكن أن تنشرها بشأن سبب تعيين جاسبر تشيزيل للتحرّيين الخاصّين.

لم يعرف أيّ من أصدقاء سترايك في الشرطة أيّ شيء عن تقدّم تحقيق زملائهم في القضيّة. سترايك الذي اعتاد أن ينام حتى في ظلّ أكثر الظروف سوءًا، وجد نفسه مضطربًا على نحو غير عادي، مستيقظًا في الليل، يستمع إلى الضوضاء المتزايدة في لندن التي تكتظ الآن بزوّار الألعاب الأولمبية. آخر مرّة عانى فيها مثل هذا الأرق الشديد كانت في الأسبوع الأول حين استعاد وعيه بعدما بترت ساقه العبوة الناسفة في أفغانستان، فظلّ مستيقظًا بسبب رغبة في الحكّ عذّبته وكان من المستحيل أن يلبّيها لأنّه شعر بها في قدمه المبتورة.

لم ير لوريلاي منذ ليلة حفل الألعاب البارالمبية. بعدما ترك شارلوت في الشارع، انطلق إلى ساحة ترافلغار محاولًا تحديد مكان بيلي، ما أخّره على العشاء معها أكثر ممّا كان قد توقع. لقد كان متعبًا، متألمًا، ومحبطًا بسبب فشله في العثور على بيلي ومتضايقًا بسبب لقائه غير المتوقع مع صديقته السابقة، فقد وصل إلى مطعم «The Curry House» متوقّعًا، وربّما آملًا، أن تكون لوريلاي قد غادرت.

لكنّها لم تكن في انتظاره على المائدة فحسب، بل فاجأته وقامت بما وصفه ذهنيًا بالتراجع الاستراتيجي. فبدلًا من أن تفرض نقاشًا بشأن مستقبل علاقتهما، اعتذرت عمّا زعمت أنّه كان إعلانًا أحمق ومتسرّعًا عن حبّها في السرير، وهي تعلم أنّه أحرجه وندمت عليه كثيرًا.

بات سترايك في موقف حرج، فقد شرب نصف لتر تقريبًا منذ أن جلسا، معدًّا نفسه للمهمّة غير السارّة – كما تصوّر – المتمثّلة في شرحه لها أنّه

لا يريد أن تصبح علاقتهما أكثر جدّية وديمومة. ادّعاؤها أنّها قالت «أحبّك» كنوع من صرخة فرح جعل الخطاب الذي أعدّه مسبقًا عديم الجدوى، وبما أنّها بدت جميلة جدًا في المطعم المضاء بالمصابيح، وجد أنّ من الأسهل عليه أن يقبل تفسيرها بكلّ بساطة بدلًا من فرض انفصال من الواضح أنّ أيًا منهما لا يرغب فيه، إضافةً إلى أنّ هذا أكثر متعة. لقد تبادلا الرسائل والاتّصالات الهاتفية مرّات عدّة خلال الأسبوع المنصرم، على الرغم من أنّه اتّصل بروبن بوتيرة أكبر بكثير. تفهّمت لوريلاي تمامًا حاجته إلى الابتعاد عن الأنظار لفترة من الوقت بمجرّد أن أوضح لها أنّ موكّله الراحل كان الوزير في الحكومة الذي اختنق في كيس بلاستيكي.

لم تبدُ لوريلاي منزعجة حتى عندما رفض دعوتها لمشاهدة حفل افتتاح الألعاب الأولمبية معها، لأنّه كان قد وافق بالفعل على قضاء المساء عند لوسي وغريغ. لم ترغب شقيقة سترايك حتى الآن في السماح لجاك بالابتعاد عن أنظارها، وبالتالي رفضت عرض أخيها باصطحابه إلى المتحف الحربي الإمبراطوري خلال عطلة نهاية الأسبوع، ودعته إلى العشاء بدلًا من ذلك. عندما شرح الأمر للوريلاي، كان بإمكانه أن يرى أنّها كانت تأمل أن يطلب منها أن ترافقه لمقابلة بعض أفراد عائلته لأول مرّة. لكنّه قال لها، بصدق، إنّ دافعه للذهاب بمفرده كان قضاء بعض الوقت مع ابن أخته الذي شعر بأنّه قد أهمله، وقبلت هذا التفسير بدون أن تتذمّر، وسألته فقط إن كان لديه الوقت في الليلة التالية.

عندما أقلّته سيّارة الأجرة من محطة بروملي الجنوبية باتّجاه منزل لوسي وغريغ، وجد سترايك نفسه يفكّر في علاقته مع لوريلاي، لأنّ لوسي تطلب عادة تقريرًا عن حياته العاطفية. وكان هذا أحد الأسباب التي دفعته إلى تجنّب هذا النوع من اللقاءات. فهو يعلم أنّ لوسي منزعجة لأنّ شقيقها لا يزال غير متزوّج وقد بلغ سنّ الثامنة والثلاثين تقريبًا. حتى إنها دعت، في إحدى المناسبات المحرجة، امرأة تخيّلت أنّها قد تعجبه إلى العشاء معهم، ما أكّد له أنّ أخته ارتكبت خطأً فادحًا في تقدير ذوقه واحتياجاته.

عندما أدخلته سيّارة الأجرة إلى عمق ضواحي الطبقة الوسطى، وجد سترايك نفسه وجهًا لوجه مع حقيقة غير مريحة، وهي أنّ استعداد لوريلاي لقبول الطابع غير الرسمي لترتيبهما الحالي لم ينبع من شعور مشترك بالرغبة في عدم الارتباط، بل من استماتتها اليائسة لإبقائه معها تحت أيّ ظرف تقريبًا.

فيما كان يحدّق من النافذة إلى منازل واسعة في كلّ منها مرأب مزدوج وحدائق مرتّبة، انجرفت أفكاره إلى روبن، التي اتصلت به يوميًا في غياب زوجها عن المنزل، ثمّ إلى شارلوت، وهي تمسك ذراعه برفق وتنزل سلّم لانكستر هاوس بحذائها ذي الكعب العالي. وجود لوريلاي في حياته خلال الأشهر العشرة والنصف الماضية جلب له المتعة والارتياح، فهي ودودة وغير متطلّبة، وبارعة في ممارسة الجنس وتتظاهر أنّها لم تقع في حبّه. ورأى نفسه أمام خيارَين، إمّا أن يسمح للعلاقة بالاستمرار، وأن يقنع نفسه بأنّه «يختبر ما ستؤول إليه الأمور»، وهي عبارة لا معنى لها في الحقيقة، أو يعترف بأنّه أجّل ما يجب القيام به، وأنّه كلما ترك الأمور تنجرف لفترة أطول، نتج عن ذلك المزيد من الفوضى والألم.

لم تسعده هذه الأفكار، وعندما توقفت سيّارة الأجرة خارج منزل أخته، قرب شجرة ماغنوليا في الحديقة الأمامية، ومع ارتعاش الستارة الشبكية، شعر باستياء لا أساس له تجاه أخته، كما لو أنّ هذا كلّه كان ذنبها.

فتح جاك الباب الأمامي قبل أن يطرقه سترايك. مقارنة بحالته في المرّة الأخيرة التي رآه فيها سترايك، بدا في صحّة جيّدة ملحوظة، وتراوح شعور المحقّق بين فرحه لشفائه، والانزعاج من أنّه لم يُسمح له باصطحاب ابن أخته إلى المتحف، بدلًا من القيام بالرحلة الطويلة وغير المريحة إلى بروملي. لكن فرحة جاك بوصول سترايك، وأسئلته الحماسية عن كلّ ما يتذكّره عن الوقت الذي قضياه معًا في المستشفى، لأنّه كان فاقدًا للوعي تمامًا، كانت مؤثّرة، إضافة إلى إصرار جاك على الجلوس بجانب خاله على العشاء، وأنّه احتكر انتباهه طوال الوقت. من الواضح أنّ جاك شعر بأنّهما أصبحا أكثر ارتباطًا لأنّ كلًّا منهما مرّ بمحنة الجراحة الطارئة. أصرّ جاك على الحصول على العديد من التفاصيل عن بتر ساق سترايك لدرجة أنّ غريغ ترك سكّينه وشوكته ودفع

بصحنه بعيدًا باشمئزاز. لطالما شعر سترايك بأنّ جاك، وهو الابن الأوسط، هو أقلّ الأبناء الذين يفضّلهم غريغ. فاستمتع ببعض الخبث بإرضاء فضول جاك، خاصّةً لأنّه لاحظ أنّ غريغ، الذي كان عادةً يسارع إلى وضع حدّ للحديث، يضبط نفسه بطريقة غير اعتيادية نظرًا لحالة جاك المتماثل إلى الشفاء. لوسي التي لم تنتبه إلى ذلك كله، أمضت السهرة بطولها تنظر إلى سترايك وجاك مبتسمة. ولم تسأله شيئًا عن حياته الخاصّة. كلّ ما بدا أنّها تطلبه هو أن يكون لطيفًا وصبورًا مع ابنها. ترك الخال وابن أخته مائدة العشاء متّفقين خير اتّفاق، واختار جاك مكانًا بجوار سترايك على الأريكة لمشاهدة حفل افتتاح الألعاب الأولمبية والثرثرة بدون توقف أثناء انتظارهما بدء البثّ المباشر، معربًا عن الأمل، من بين أمور أخرى، في أن يتضمّن الحفل بنادق ومدافع وجنودًا.

ذكّرت هذه الملاحظة البريئة سترايك بجاسبر تشيزيل وانزعاجه، حسبما ذكرت روبن، من أنّه لم يكن من المقرّر الاحتفال بالعظمة العسكرية البريطانية على هذا المنبر الوطني الواسع النطاق. ما جعل سترايك يتساءل عمّا إن كان جيمي نايت جالسًا أمام التلفزيون في مكان ما، يستعدّ للسخرية ممّا وصفه بكرنفال للرأسمالية.

سلّم غريغ سترايك زجاجة هاينكن. وقالت لوسي بحماسة: «لقد بدأ!».

بدأ البثّ المباشر بالعدّ التنازلي. وبعد ثوانٍ قليلة، لم ينفجر أحد البالونات المرقّمة. وفكّر سترايك بدافع من القلق الوطني ناسيًا فجأة كلّ شيء: أتمنّى ألّا يكون الاحتفال مخزيًا.

لكنّ حفل الافتتاح كان مشرّفًا إلى حدّ كبير لدرجة أنّ سترايك بقي لمشاهدته بكامله، وفوّت طوعًا آخر قطار، قبل أن ينام على الأريكة التي يمكن تحويلها إلى سرير وأن يتناول الفطور صباح يوم السبت مع العائلة.

أثناء تناول طبق الفطور البريطاني التقليدي المؤلّف من المقالي والذي أعدّته لوسي، سأله غريغ: «عمل الوكالة جيّد، أليس كذلك؟».

قال سترايك: «لا بأس».

يتجنّب سترايك عمومًا مناقشة عمله مع غريغ، الذي بدا أنّه فوجئ بنجاح شقيق زوجته. فلطالما أعطى غريغ انطباعًا بأنّه مستاء من سيرة سترايك العسكرية المتميّزة. بينما كان يجيب عن أسئلة غريغ عن هيكلية العمل، وحقوق الموظفين المستقلّين ومسؤولياتهم، ووضع روبن الخاصّ كشريكة تتقاضى راتبًا وإمكانية التوسّع، لاحظ سترايك، ولم تكن المرّة الأولى التي يلاحظ فيها ذلك، أنّ غريغ يغذّي أملًا هو بالكاد مقنع، بأن يكون سترايك قد نسي أو أهمل شيئًا، لكثرة ما يحسده على تدبير أموره بسهولة، هو الجندي، في عالم الأعمال المدنية.

وسأله: «ما هدفك النهائي؟» بينما جلس جاك بصبر إلى جانبه، وقد ظهر جليًا أنّه يأمل أن يتحدّث بعد مع سترايك عن الجيش. «أفترض أنّك تتطلّع إلى بناء الشركة وتكبيرها حتى لا تضطرّ إلى الخروج إلى الشارع؟ وأن توجّههم جميعًا من المكتب؟» فأجابه سترايك: «كلّا. فلو رغبت في وظيفة مكتبية لبقيت في الجيش. أهدف إلى تكوين عدد كافٍ من الموظفين الموثوق بهم بحيث يمكننا تحمّل عبء عمل مستمرّ، وكسب مبلغٍ لائقٍ من المال. على المدى القصير، أريد أن أجمع مبلغًا كافيًا في المصرف ليعيلنا ويساعدنا على تخطّي الأيام الصعبة».

ردّ غريغ: «يبدو أنّه هدف غير طموح. مع الدعاية المجّانية التي حصلت عليها بعد قضيّة السفّاح...».

قالت لوسي بحدّة من مكانها أمام المقلاة: «لن نتكلم عن هذه القضيّة الآن»، فنظر غريغ إلى ابنه وصمت، ما سمح لجاك بإعادة الدخول في المحادثة بسؤال عن الدورات العسكرية.

لوسي، التي أحبّت كلّ لحظة من زيارة شقيقها، كانت تتألق من الفرح والسرور وهي تودّعه بعد الفطور.

قال لها، بينما كان ابن أخته يبتسم له: «أخبريني متى يمكنني أن أخرج مع جاك».

«سأفعل، وشكرًا جزيلًا يا سترايك. لن أنسى أبدًا ما...» فقاطعها سترايك قائلًا: «لم أفعل أيّ شيء» وهو يربّت بلطف ظهرها. «لقد فعل ذلك بنفسه. إنّه قويّ، أليس كذلك يا جاك؟ شكرًا على الأمسية اللطيفة يا لوس».

اعتبر سترايك أنّه رحل في الوقت المناسب. أنهى سيجارته خارج المحطّة، وبقيت أمامه عشر دقائق قبل أن يستقلّ القطار التالي إلى وسط لندن، وفكّر أنّ غريغ عاد خلال وجبة الفطور إلى سلوكه السابق، ذلك المزيج من المرح والمحبّة الذي كان يعامل به صهره، واستفسارات لوسي عن روبن وهو يرتدي معطفه بدت له على وشك أن تتحوّل إلى تحقيق واسع النطاق عن علاقاته مع النساء عمومًا. كانت أفكاره قد عادت بتشاؤم إلى لوريلاي عندما رنّ جواله.

– آلو؟

سأل صوت نسائي من الطبقة العليا لم يعرفه على الفور:

– هل هذا كورموران؟

– أجل. من المتكلمة؟

– إيزي تشيزيل. وبدت كأنّها مصابة بالزكام.

كرّر سترايك متفاجئًا:

– إيزي! إيه... كيف حالك؟

– أوه، صامدة. وصلتنا... آه، فاتورتك.

قال سترايك:

– صحيح. متسائلًا عمّا إن كانت توشك على مناقشة المبلغ الذي كان كبيرًا.

– يسعدني جدًا أن أسدّدها لك على الفور، إذا أمكنك... هل يمكنك أن تأتي لمقابلتي؟ اليوم، إن كان ذلك مناسبًا؟ هل لديك الوقت؟

نظر سترايك إلى ساعته. للمرّة الأولى منذ أسابيع، لم يكن لديه ما يفعله سوى مقابلة لوريلاي في وقت لاحق لتناول العشاء، وكان يرحّب باحتمال تحصيل شيك كبير.

فقال:

– نعم، هذا ممكن. أين أنت يا إيزي؟

فأعطته عنوانها في تشيلسي.

– سأكون عندك بعد حوالي ساعة.

– ممتاز. وبدت مرتاحة، وأكملت: أراك بعد قليل.

38

آه، هذا الشكّ القاتل!

هنريك إبسن، روسميرشولم

أوشك النهار أن ينتصف عندما وصل سترايك إلى منزل إيزي في أبر شين رو في تشيلسي، وهو شارع ترصفه من الجهتَين المنازل التي، على عكس تلك الموجودة في شارع ألبوري، كانت غير متناسقة، لكن منظرها جميل. منزل إيزي صغير ومطليّ باللون الأبيض، بجنب بابه الأمامي فانوس. قرع جرس الباب، أجابته بعدها بثوانٍ قليلة.

كانت إيزي ترتدي سروالًا أسود فضفاضًا وسترة سوداء دافئة جدًّا لمثل هذا اليوم المشمس، فذكّرته بلقائه الأول بوالدها، الذي كان يرتدي معطفًا في يونيو. تدلّى صليب من الياقوت من رقبتها. ولاحظ سترايك أنّها اعتمدت الحداد الرسمي بقدر ما يسمح به لباس العصر الحديث وعاداته.

قالت بتوتّر: «تفضّل، تفضّل»، ولم تنظر مباشرة في عينيه، بل تراجعت ولوّحت له ليدخل إلى منطقة جلوس حسنة التهوية ومفتوحة على المطبخ، ولها جدران بيضاء وأرائك مزخرفة بألوان زاهية ومدفأة على طراز «الفنّ الجديد»، فضلًا عن تمثالَين متعرّجَين مصبوبَين لشخصيّتَين نسائيّتَين يدعمان رفّ الموقد. أطلّت النوافذ الخلفية الطويلة على فناء صغير خاصّ،

وُضع فيه أثاث من الحديد المطاوع باهظ الثمن بين النبتات المشذّبة بعناية كبيرة.

قالت إيزي، وهي تلوّح له ليتّجه نحو إحدى الأرائك الملوّنة:

– تفضّل. أتفضّل الشاي أم القهوة؟

– فنجان شاي سيكون ممتازًا، شكرًا.

جلس سترايك، وأزال عددًا من الوسائد غير المريحة المشكوكة بالخرز من تحته، وأخذ يتفحّص المكان. على الرغم من الأقمشة الحديثة المبهرجة، ساد الذوق الإنكليزي التقليدي على المكان. وعُلّقت صورتان مطبوعتان لمشهدَي صيد فوق طاولة محمّلة بصور ذات أطر فضّية، بما في ذلك صورة كبيرة بالأبيض والأسود لوالدَي إيزي في يوم زفافهما، جاسبر تشيزيل يرتدي زيّ فرسان الملكة، والسيّدة باتريشا، شقراء مع ابتسامة تظهر أسنانها كلها في ثوب من التول الأبيض كأنّه السحاب. عُلّقت فوق رفّ الموقد رسمة مائية كبيرة لثلاثة أطفال شقر، افترض سترايك أنّها تمثّل إيزي وشقيقَيها الأكبر سنًّا، فريدي المتوفّى وفيزي التي لا يعرفها.

أحدثت إيزي جلبة كبيرة في المطبخ، فأوقعت الملاعق الصغيرة أرضًا وفتحت خزائن وأغلقتها من دون أن تجد ما كانت تبحث عنه. أخيرًا، بعدما رفضت عرض سترايك للمساعدة، حملت صينية وضعت عليها إبريق شاي وكوبَين من الخزف الصيني والبسكويت ووضعتها على الطاولة على مسافة قريبة من المطبخ.

وسألت سترايك بتهذيب:

– هل شاهدت حفل الافتتاح؟ بينما كانت مشغولة بإبريق الشاي والمصفاة.

أجاب سترايك:

– نعم. كان رائعًا، أليس كذلك؟

– أحببت الجزء الأول، عن الثورة الصناعية، بعد ذلك أصبح نوعًا من الكياسة السياسية. لست متأكّدة من أنّ الأجانب سيفهمون حقًّا لماذا تكلّمنا

عن وزارة الصحّة الوطنية، وكنت أفضّل موسيقى أخرى غير موسيقى الراب. تفضّل الحليب والسكّر.

– شكرًا.

ساد صمت قصير لم يقطعه سوى رنين الفضّة والخزف. هذا النوع الفخم من الصمت الذي لا يعرفه في لندن إلّا الأشخاص الذين يملكون الكثير من المال. حتى في فصل الشتاء، لا يسود الصمت تمامًا في شقة سترايك في العلية: فالموسيقى ووقع الأقدام والأصوات تملأ شارع سوهو في أسفلها، وعندما يغادر المشاة المنطقة، تهدر حركة المرور خلال الليل، بينما تهزّ الريح نوافذها غير محكمة الإغلاق.

شهقت إيزي:

– آه، شيكك.

وقفزت مرّة أخرى لإحضار ظرف من المطبخ.

– تفضّل.

أخذ سترايك المغلّف منها وقال:

– شكرًا جزيلًا.

جلست إيزي مجدّدًا، وأخذت قطعة بسكويت، وغيّرت رأيها بشأن تناولها ووضعتها على طبقها. ارتشف سترايك الشاي الذي رجّح أنّه من أجود الأنواع، لكنّه لم يحبّ مذاقه لأنّه وجده بطعم الزهور المجفّفة.

قالت إيزي أخيرًا: «امم، من الصعب جدًا أن أعرف من أين أبدأ». تفحّصت أظافرها التي تحتاج إلى عناية.

تمتمت وهي تنظر إليه من خلال رموشها الشقراء: «أخشى أن تخالني مجنونة».

قال سترايك: «أشكّ في ذلك»، وهو يضع فنجانه على الطاولة ويتبنّى ما كان يأمل أن يكون تعبيرًا مشجّعًا.

– هل سمعت ما وجدوه في عصير برتقال أبي؟

– كلا.

– أقراص أميتريبتيلين، مطحونة لا أعرف ما إن كنت... إنّها مضادّات للاكتئاب. تقول الشرطة إنّها طريقة انتحار فعّالة وغير مؤلمة. نوع من محاولة مزدوجة... الحبوب والكيس.

ابتلعت جرعة من الشاي محدثة صوتًا مرتفعًا.

– كان رجال الشرطة لطفاء حقًا. إنّهم يتبعون تدريبًا خاصًا بهذا الشأن، أليس كذلك؟ قالوا لنا إن كان الهيليوم مركّزًا بكمّية كافية، يكفي أن يتنشّق المرء نفسًا واحدًا... ليغفو.

زمّت شفتيها.

ثمّ قالت بصوت عالٍ في اندفاع مفاجئ: الأمر هو أنّني بكلّ تأكيد أعرف أنّ أبي لم يكن لينتحر أبدًا، لأنّه كان يكره الانتحار، وكان دائمًا يقول إنّه طريق الجبان للرحيل، وإنّه أمر فظيع للعائلة وكلّ من يتركهم المرء وراءه. وكان الأمر غريبًا: لم يجدوا أيّ غلاف لأقراص الأميتريبتيلين في أيّ مكان في المنزل. لا علب فارغة، لا رقائق بلاستيكية للدواء، لا شيء. بالطبع، قد يجدون على العبوة اسم كينفارا. كينفارا هي من وُصفت من أجلها حبوب الأميتريبتيلين. إنّها تأخذه منذ أكثر من عام.

ألقت إيزي نظرة خاطفة على سترايك لترى التأثير الذي أحدثته كلماتها. لمّا لم يقل شيئًا، اندفعت في الحديث:

– تشاجر أبي وكينفارا في الليلة السابقة، في الحفل، قبل مجيئي لأتحدّث معك ومع تشارلي. كان أبي قد أخبرنا للتوّ أنّه طلب من راف أن يأتي إلى المنزل في شارع إيبوري في الصباح التالي. كانت كينفارا غاضبة. سألت عن السبب، ولم يخبرها أبي، بل ابتسم فقط، وأثار ذلك حنقها.

– لماذا قد...؟

قالت إيزي وقد أصابت في توقّع سؤال سترايك:

– لأنّها تكرهنا جميعًا. كانت يداها متشابكتَين، مفاصلها بيضاء. وأكملت: لطالما كرهت أيّ شيء وأيّ شخص يتنافس معها على اهتمام أبي أو عاطفته، وتكره راف خصوصًا لأنّه يشبه والدته تمامًا، ولطالما كانت كينفارا تعتبر أورنيلا تهديدًا لأنّها لا تزال فاتنة للغاية، لكن كينفارا لا يعجلها أن يكون

راف صبيًا أيضًا. لطالما خشيت أن يحلّ محلّ فريدي، وربّما أن يدخل مجدّدًا لائحة الورثة في الوصيّة. تزوّجت كينفارا أبي من أجل ماله. لم تحبّه قطّ.

– عندما تقولين «أن يدخل مجدّدًا»...

– حرم أبي راف من الميراث عندما... عندما فعل ذاك الشيء... بالسيّارة. كانت كينفارا وراء ذلك بالطبع، وحثّت أبي على قطع علاقته مع راف تمامًا... على أيّ حال، أخبرنا أبي في لانكستر هاوس أنّه دعا راف في اليوم التالي وصمتت كينفارا، وبعد بضع دقائق أعلنت فجأة أنّها ستغادر وخرجت. ادّعت أنّها عادت إلى شارع إيبوري، وكتبت رسالة وداع إلى أبي... لكنّك كنت هناك. ربّما رأيتها؟

– أجل. رأيتها.

– أجل، هي تدّعي أنّها كتبت تلك الرسالة وحزمت حقيبتها، ثمّ استقلّت القطار عائدة إلى وولستون. استجوبنا الشرطيّون بطريقة تدلّ على أنّهم اعتقدوا أنّ كينفارا تركته ما دفعه إلى أن ينتحر، لكنّه أمر سخيف للغاية! كان زواجهما في أزمة منذ مدّة طويلة جدًا. أعتقد أنّه استطاع أن يكشف نيّاتها، إذ إنّها كانت منذ أشهر وأشهر قبل ذلك لا تتوانى عن إلقاء الأكاذيب المجنونة وتقوم بجميع أنواع الأمور المجنونة لمحاولة الحفاظ على اهتمام أبي. صدّقني، لو اعتقد أبي أنّها على وشك أن تتركه، لارتاح ولما فكّر في الانتحار قطّ، لكنّه بالطبع، ما كان ليأخذ هذه الرسالة على محمل الجدّ، كان سيعرف جيّدًا أنّها ليست أكثر من تمثيلية. تملك كينفارا تسعة خيول وليس لديها أيّ مدخول. لن ترحل عن تشيزيل هاوس إلّا بالقوّة، تمامًا مثل «البائسة الأولى» وأوضحت: «... زوجة جدّي الثالثة. يبدو أنّ رجال عائلة تشيزيل يعجبون بالنساء ذوات الأثداء الكبيرة اللواتي يعشقن الخيول».

ازهرّ وجه إيزي خلف النمش وقالت: «أعتقد أنّ كينفارا قتلت أبي. لا أستطيع إخراج هذه الفكرة من رأسي، لا أستطيع التركيز، ولا التفكير في أيّ شيء آخر. كانت مقتنعة بوجود شيء ما بين أبي وفينيسيا: ارتابت منذ اللحظة الأولى التي رأت فيها فينيسيا، ثمّ أقنعها تطفّل صحافي جريدة صن بأنّها كانت محقّة في الارتياب، وربّما اعتقدت أنّ إعادة أبي لراف أثبتت

أنّه كان يستعدّ لمرحلة جديدة، وأعتقد أنّها طحنت مضادّات الاكتئاب ووضعتها في عصير البرتقال على غفلة منه – لطالما شرب كوب عصير في الصباح الباكر، كان هذا أمرًا روتينيًا – ثمّ، عندما شعر بالخمول ولم يستطع مقاومتها، وضعت الكيس على رأسه ثم، بعد أن قتلته، كتبت تلك الرسالة في محاولة لجعل الأمر يبدو كما لو كانت هي التي تطلب منه الطلاق. وأعتقد أنّها تسلّلت خارج المنزل بعد أن فعلت ذلك، وعادت إلى منزل وولستون وتظاهرت بأنّها كانت هناك عندما مات أبي.

انقطع نفس إيزي، وأمسكت بالصليب المتدلّي من رقبتها وأخذت تقلّبه بعصبية، وراقبت ردّ فعل سترايك، بنظرة توتّر وتحدٍّ.

عرف سترايك، الذي تعامل مع العديد من حالات الانتحار العسكري، أنّ العسكريين الناجين يعانون في معظم الأحيان نوعًا مؤلمًا من الحزن، وجرحًا مسمومًا يتفاقم أكثر من أولئك الذين تُوفّي أقاربهم برصاص العدوّ. قد يكون له شكوكه الخاصّة بشأن الطريقة التي لقي بها تشيزيل حتفه، لكنّه لم يشأ مشاركتها مع المرأة المشوّشة والحزينة الجالسة بجانبه. ما أدهشه بشكل أساسي في كلام إيزي اللاذع هو الكراهية التي أبدتها حيال زوجة أبيها. لم يكن اتّهامها لكينفارا اتّهامًا تافهًا. وتساءل سترايك ما الذي أقنع إيزي بأنّ المرأة الطفولية الحمقاء التي جلس معها خمس دقائق في السيّارة، قادرة على التخطيط لما يرقى إلى عملية القتل الممنهجة.

قال أخيرًا:

– لا بدّ أنّ الشرطة نظرت في تحرّكات كينفارا، إيزي. في مثل هذه الحالة، عادة ما يكون الزوج أول من يجري التحرّي عنه.

قالت إيزي وقد جاشت مشاعرها:

– لكنّهم اقتنعوا بقصّتها. أنا واثقة من ذلك.

وفكّر سترايك: إذًا إنّها الحقيقة. كان يقدّر كفاءة شرطة العاصمة بحيث لم يتخيّل أنّها ستتسرّع في تأكيد تحرّكات الزوجة التي يسهل عليها الوصول إلى مكان الجريمة.

– وُصفت لها الأدوية التي عُثر عليها في الجثة. مَن غيرها يعرف أيضًا أنّ أبي يشرب عصير البرتقال دائمًا في الصباح؟ مَن غيرها يستطيع الوصول إلى الأميتريبتيلين والهيليوم...؟

– هل اعترفت بشراء الهيليوم؟

– لا، لكنّها لن تعترف بذلك لو اشترته بالفعل، أليس كذلك؟ بل تقوم بمسرحيتها كفتاة صغيرة هستيرية. اعتمدت إيزي نبرة عالية وأكملت: لا أعرف كيف وصل إلى المنزل! لماذا تضايقونني جميعًا، اتركوني وشأني، لقد ترمّلت!

أخبرتُ الشرطة أنّها ضربت أبي بمطرقة قبل أكثر من عام.

جمد سترايك أثناء رفعه الشاي الذي لا يفتح الشهيّة إلى شفتَيه.

– ماذا؟

قالت إيزي وعيناها الزرقاوان الشاحبتان تحدّقان إلى سترايك لإفهامه:

– لقد هاجمت أبي بمطرقة، حصل شجار هائل بينهما، لأنّه... لا يهمّ السبب، لكنّهما كانا في الخارج في الإسطبل... في المنزل، في تشيزيل هاوس طبعًا... وأمسكت كينفارا بالمطرقة من صندوق الأدوات وضربت أبي على رأسه بها. حالفها الحظ أنّها لم تقتله آنذاك. تركته يعاني ضعفًا في حاسّة الشم. فقد نسبة كبيرة من حاسّتَي الشمّ والذوق أيضًا بعد ذلك، وكان يغضب لأتفه الأسباب، لكنّه أصرّ على كتمان الأمر. أرسلها إلى مركز إعادة تأهيل وأخبر الجميع بأنّها مريضة، «بإرهاق عصبي».

لكنّ فتاة الإسطبل شاهدت الأمر برمّته وأخبرتنا بما حدث بالفعل. واضطرّت إلى الاتّصال بالطبيب العامّ المحلّي لأنّ أبي كان ينزف بغزارة. كان الخبر سينتشر في جميع الصحف لو لم يدخلها مركزًا لعلاج الأمراض النفسية ويحجب الخبر عن الصحف.

التقطت إيزي فنجان الشاي، لكنّها اضطرّت إلى إعادته مكانه لأنّ يدَيها كانتا ترتعشان بشدّة.

ثمّ تابعت إيزي بحدّة: «ليست كما يحسبها الرجال. جميعهم يصدّقون تمثيلية الفتاة الصغيرة التافهة، حتى راف. «لكنّها فعلًا فقدت جنينًا يا

إيزي...». لكنّه لو سمع ربع ما تقوله كينفارا عنه من وراء ظهره، لسارع في تغيير رأيه. ثم قالت قافزة من موضوع إلى آخر:

– ماذا عن الباب الأمامي المفتوح؟ أنت تعرف كلّ شيء عن ذلك، هكذا تمكّنتما أنت وفينيسيا من الدخول، أليس كذلك؟ هذا الباب لا يُغلق بطريقة صحيحة إلّا إذا صفقته. كان أبي يعرف ذلك. لو كان في المنزل وحده لتأكّد من إغلاقه بإحكام، أليس كذلك؟ لكن إن تسلّلت كينفارا في الصباح الباكر دون أن ترغب في أن تحدث جلبة، فكان عليها أن تسحبه وتتركه، أليس كذلك؟ هي ليست ذكيّة جدًا، كما تعلم. كانت ستخفي جميع عبوات الأميتريبتيلين، معتقدةً أنها ستدينها إذا تركتها. أعلم أنّ الشرطة تعتقد أنّ غياب أغلفة الأقراص أمر غريب، لكنّي أعرف أنّهم جميعًا يميلون إلى احتمال الانتحار ولهذا السبب أردت التحدّث إليك يا كورموران. وانحنت إيزي إلى الأمام قليلًا في كرسيها. أريد أن أوكل إليك مهمّة. أريدك أن تحقّق في وفاة أبي.

تكهّن سترايك بأنّ هذا الطلب قادم تقريبًا منذ لحظة وصول الشاي. وكان احتمال الحصول على المال مقابل التحقيق في الأمر الذي يشغل سترايك إلى حدّ الهوس، أمرًا جذابًا بالطبع. مع ذلك، فإنّ العملاء الذين لا يطلبون سوى تأكيد نظرياتهم ينذرون دائمًا بالمتاعب. فهو لا يستطيع أن يقبل بالقضيّة وفقًا لشروط إيزي، إلّا أنّ تعاطفه مع حزنها قاده إلى البحث عن أسلوب ألطف من الرفض.

– لن ترغب الشرطة بأن أعيق العمل يا إيزي.

قالت إيزي بلهفة:

– ليس من الضروري أن يعرفوا أنّ الأمر يتعلق بوفاة أبي. يمكننا التظاهر بأنّنا نريدك أن تحقق في شأن الدخلاء إلى الحديقة التي تزعم كينفارا وجودهم. سيكون من مصلحتها أن نأخذ ادّعاءاتها على محمل الجدّ الآن.

– هل يعرف باقي أفراد العائلة أنّك تقابلينني؟

أجابت إيزي بلهفة:

– أجل! فيزي موافقة تمامًا.

– أحقًا؟ وهل تشكّ في كينفارا هي أيضًا؟

قالت إيزي، التي بدا عليها بعض الإحباط:

– في الحقيقة، لا، لكنّها توافق تمامًا على أنّ والدنا ما كان لينتحر.

– من الفاعل في رأيها، إن لم تكن كينفارا؟

قالت إيزي، التي بدت غير مرتاحة من هذا الاستجواب:

– في الواقع، تعتقد فيزي بأنّ جيمي نايت متورّط بطريقة ما، لكن من الواضح أنّها فكرة سخيفة. كان جيمي محجوزًا لدى الشرطة عندما تُوفي أبي، أليس كذلك؟ رأيناه أنا وأنت بينما كانت الشرطة تعتقله في الليلة السابقة، لكن فيز لا تريد أن تقتنع، إنّها تركّز على جيمي! قلت لها: «كيف عرف جيمي نايت مكان الأميتريبتيلين والهيليوم؟» لكنّها ترفض أن تقتنع، فهي تستمرّ في القول إنّ نايت يريد الانتقام...

– الانتقام ممّ؟

قالت إيزي بقلق:

– ماذا؟ رغم أنّ سترايك كان يعلم أنّها سمعته، وأردفت: آه... هذا لا يهمّ الآن. انتهت هذه المسألة كلّها.

أخذت إيزي إبريق الشاي، وتوجّهت إلى المطبخ، حيث أضافت المزيد من الماء الساخن من الغلّاية.

وقالت:

– فيز غير منطقية بشأن جيمي، وعادت مع إبريق الشاي الذي أعادت ملأه ووضعته بحدّة على الطاولة، وأضافت: لم تكن قادرة على تحمّله منذ أن كنّا مراهقتين.

سكبت لنفسها كوبًا ثانيًا من الشاي، وازهرّ لون وجهها.

عندما التزم سترايك الصمت، كرّرت بعصبية:

– لا يمكن أن يكون للابتزاز أيّ علاقة بوفاة أبي. انتهت هذه المسألة كلها.

سأل سترايك بهدوء:

– لم تخبروا الشرطة بالأمر، أليس كذلك؟

خيّم الصمت. تحوّل لون إيزي من الوردي إلى الأحمر. وارتشفت الشاي ثمّ قالت:

– كلا. وأضافت بسرعة: أنا آسفة، يمكنني أن أتخيّل ما تشعران به أنت وفينيسيا حيال ذلك، لكنّنا قلقون أكثر بشأن إرث أبي الآن. لا يمكننا تحمّل أن تعرف الصحافة بالأمر يا كورموران. الطريقة الوحيدة التي سيفسّرون بها وفاته لو علموا بالابتزاز هي أنّه دفعه إلى الانتحار، ولا أعتقد أنّه كان سيقتل نفسه بسبب ذلك، أو بسبب أيّ شيء آخر.

قال سترايك:

– لا بدّ أنّ ديلا استسهلت الحصول على أمر المحكمة، إن كانت عائلة تشيزيل تدعمها، بنفيها حصول أيّ ابتزاز.

– نحن نهتمّ أكثر بالذكرى التي سيتركها أبي عند الناس. الابتزاز... أمر انتهينا منه.

– لكن فيزي ما زالت تعتقد أنّ جيمي ربّما كانت له علاقة بوفاة والدك.

قالت إيزي بشكل غير متّسق:

– هذا ليس... ستكون هذه مسألة منفصلة، عمّا كان يُبتزّ بشأنه. كان جيمي حاقدًا علينا... يصعب شرح الأمر... فيز تتصرّف بسخافة بخصوص جيمي.

– كيف يشعر بقيّة أفراد الأسرة تجاه استخدامي مجدّدًا؟

– في الواقع، راف ليس متحمّسًا جدًّا، لكن لا علاقة له بالأمر. أنا من سيدفع لك.

– لماذا ليس متحمّسًا؟

– لأنّ الشرطة استجوبت راف أكثر من أيّ منّا، لأنّ... ثمّ كرّرت: اسمع، راف لا يهمّ، أنا العميل، أنا من يريد استخدامك. فقط عطّل حجّة غياب كينفارا، أعلم أنّه يمكنك أن تفعل ذلك.

– أخشى ألّا يكون في وسعي أن أتولّى المهمّة بهذه الشروط، يا إيزي.

– ولمَ لا؟

– لا يستطيع العميل أن يملي عليّ ما يمكنني وما لا يمكنني أن أتحرّى عنه. إن كنت لا تريدين الحقيقة كاملة، فأنا لست الشخص المناسب لك.

– أنت الشخص المناسب، أعلم أنّك الأفضل، ولهذا السبب وكّلك أبي، ولهذا السبب أريدك.

– إذًا، عليك أن تجيبي عن الأسئلة عندما أطرحها عليك، عوضًا عن أن تقولي لي ما هو مهمّ وما هو غير مهمّ.

حدّقت إلى وجهه من حافة فنجانها، ثمّ فاجأته ضحكتها الضعيفة.

– لا أعرف لماذا أنا متفاجئة. كنت أعلم أنّك هكذا. هل تذكر عندما تشاجرت مع جيمي موغام في نام لونج لو شاكر؟ لا بدّ أنّك تتذكّر. رفضت أن تتراجع... كان جميع من جلس إلى الطاولة ضدّك في وقت ما... ما كان موضوع الجدل، أتذكر...؟

قال سترايك الذي أخذته على حين غرة:

– الإعدام. أجل. أتذكّر ذلك.

بطرفة عين، بدا له أنّه لا يرى غرفة جلوس إيزي النظيفة والمشرقة، التي تحتوي على آثار من الماضي الإنجليزي الثريّ، بل غرفة المعيشة الداخلية ذات الإضاءة الخافتة لمطعم فيتنامي في تشيلسي حيث احتدم جدال، قبل اثنَي عشر عامًا معه، ومع أحد أصدقاء شارلوت على العشاء. كان لوجه جيمي موغام سمات تذكّر بوجه الخنزير في ذاكرته. وأراد أن يحرج الرجل الفظّ الذي ينتمي إلى طبقة اجتماعية دون طبقتهم وأصرّت شارلوت على إحضاره لتناول العشاء بدلًا من صديق جيمي القديم، جاغو روس...

وقالت إيزي:

– وغضب جيمي منك كثيرًا. لقد أصبح مستشارًا ناجحًا للملكة الآن، كما تعلم.

أجابها سترايك:

– لا بدّ أنّه تعلّم ضبط أعصابه في الجدال.

وضحكت ضحكة صغيرة أخرى. فقال، عائدًا إلى الموضوع الأساسي:

– إيزي، إن كنت تعنين ما تقولينه...

– أعني ما أقوله...

قال سترايك وهو يسحب دفتر ملاحظات من جيبه:

– إذًا ستجيبين عن أسئلتي.

وراقبته بتوجّس وهو يخرج قلمًا.

فقال سترايك:

– أنا كتوم، في العامَين الماضيَين، احتفظت بأسرار مئات العائلات ولم أفصح عن سرّ واحد منها. لن يُذكر أيّ شيء غير ذي صلة بوفاة والدك مرّة أخرى خارج وكالتي. ولكن إن كنت لا تثقين بي...

قالت إيزي بيأس:

– أنا أثق بك. ولدهشته الخفيفة، انحنت إلى الأمام ولمسته على ركبته، وأكملت: أثق بك يا كورموران، بصراحة، لكن... من الصعب... أن أتحدّث عن أبي...

قال وهو يجهّز قلمه:

– أفهم ذلك. لذا فلنبدأ بالسبب الذي جعل الشرطة تستجوب رافاييل أكثر بكثير من الباقين.

كان بإمكانه أن يرى أنّها لا تريد الإجابة، لكن بعد لحظة تردّد قالت:

– أعتقد أنّ السبب جزئيًا هو أنّ أبي اتّصل براف في وقت مبكر من صباح يوم وفاته. كانت آخر مكالمة أجراها.

– وماذا قال له؟

– لا شيء مهمًّا. لا يمكن أن يكون لهذا أيّ علاقة بوفاة أبي. وسارعت تضيف كما لو أنّها تريد القضاء على أيّ انطباع قد تتركه كلماتها الأخيرة: أعتقد أنّ السبب الأساسي لرفض راف توكيلي إيّاك هو أنّه وقع في حبّ فينيسيا أثناء وجودها في المكتب والآن، من الواضح أنّه يشعر بأنّه أحمق بعض الشيء لأنّه صارحها بمكنونات قلبه.

سأل سترايك:

– أغرم بها؟

– نعم، لذلك ليس من المستغرب أن يشعر بأنّ الجميع خدعوه.

– لكن ما لا نستطيع أن ننكره...

– أعرف ما ستقوله، لكن...

– ... إن كنت تريدينني أن أتحرّى عن الأمر، فسأكون أنا من يقرّر ما يهمّ، يا إيزي، وليس أنت. لذلك أريد أن أعرف. وعدّد لها كلّ المرّات التي قالت فيها إنّ المعلومات «لا تهمّ» على أصابعه فيما كان يعيدها: سبب اتّصال والدك برافاييل صباح وفاته، وسبب شجار والدك وكينفارا عندما ضربته على رأسه بالمطرقة... وسبب ابتزاز والدك؟

برق صليب الياقوت بريقًا باهتًا بينما ارتفع صدر إيزي وانخفض. وتكلّمت أخيرًا بتوتّر.

– لا يسعني أن أخبرك بالحديث الذي دار بين أبي وراف، آخر مرّة تحدّثا فيها. على راف أن يخبرك بذلك.

– لأنّ الأمر خاصّ؟

فأجابت:

– نعم. وقد تورّدت وجنتاها. فتساءل سترايك عمّا إن كانت تقول الحقيقة.

– قلتِ إنّ والدك طلب من رافاييل الذهاب إلى المنزل الواقع في شارع إيبوري يوم وفاته. هل كان يغيّر الموعد؟ هل ألغاه؟

– ألغاه. وكرّرت: اسمع، عليك أن تسأل راف.

قال سترايك وهو يدوّن ملاحظة:

– حسنًا. ما الذي حمل زوجة والدك على ضربه على رأسه بالمطرقة؟

امتلأت عينا إيزي بالدموع. ثمّ سحبت متنهّدة منديلًا من كمّها وضغطته على وجهها:

– لم أرغب في إخبارك بذلك لأنّني لم أرغب في أن تكوّن انطباعًا سيّئًا عن أبي الآن وقد... الآن وقد... أتفهم، لقد فعل شيئًا...

اهتزّ كتفاها العريضان وهي تبكي بطريقة تفتقر إلى الأنوثة. جلس سترايك، الذي وجد هذا الألم الصريح والصاخب أكثر تأثيرًا في نفسه من ترقرق عينيها بالدموع، كان يشعر بتعاطف عاجز بينما كانت تحاول أن تعتذر لاهثة.

– أنا... أنا آ...

فقال:

– لا بأس عليكِ، من الطبيعي أن تكوني مستاءة.

لكنّها بدت خجلة جدًا من فقدان السيطرة على مشاعرها، وعودتها إلى الهدوء تخللها المزيد من عبارات التأسّف المرتبكة. أخيرًا، مسحت وجهها تمامًا كما لو كانت تنظّف النافذة، وتفوّهت باعتذار أخير: «أنا آسفة جدًا»، واستقامت في جلستها وقالت بقوّة أعجبت سترايك نظرًا للظروف:

– إذا تولّيت القضيّة... بمجرّد التوقيع على الخطّ المنقّط...
سأخبرك ما فعله أبي وجعل كينفارا تضربه.

قال سترايك:

– أفترض أنّ الأمر نفسه ينطبق على السبب الذي جعل وين ونايت يبتزّان والدك؟

قالت ودموعها تنهمر مجدّدًا:

– اسمع، إنّها ذكرى أبي، وإرثه. لا أريد أن تكون هذه الأشياء ما يتذكّره الناس عنه... أرجوك ساعدنا يا كورم. أرجوك. أعلم أنّه لم ينتحر، أنا متيقّنة من ذلك...

ترك سترايك صمته يقوم بالعمل نيابة عنه. أخيرًا، بتعبيرٍ مثيرٍ للشفقة، قالت بصوت واضح:

– حسنًا. سأخبرك بكلّ شيء عن الابتزاز، فقط إذا وافق فيزي وتوركس.

– من هو توركس؟

– توركيل، زوج فيزي. أقسمنا أنّنا لن نخبر أيّ شخص على الإطلاق، لكنّني سأتحدّث معهما وإذا وافقا أخبرك كلّ شيء.

– ألن تستشيرا رافاييل؟

– لم يعرف شيئًا عن الابتزاز. كان في السجن عندما جاء جيمي لأول مرّة لمقابلة أبي، وعلى أيّ حال، لم يكبر معنا، لذلك لم يستطع... لم يعرف راف أبدًا.

– ماذا عن كينفارا؟ هل كانت تعلم؟

– آه، نعم. وجمّدت نظرات الحقد ملامحها الودّية. لكنّها بالتأكيد لن ترغب في أن نخبرك. وأضافت وهي تقرأ تعبير سترايك بشكل صحيح:

– لا لحماية أبي، بل لحماية نفسها. كينفارا استفادت، أتفهم؟ لم تهتمَ بما كان يفعله أبي، ما دامت تجني المال.

39

... بالطبع، قلّما أتكلّم عن الأمر؛ من الأفضل
أن تتكتّم عن مثل هذه الأمور.

هنريك إبسن، روسميرشولم

كانت روبن تمضي يوم سبت سيّئ، بعد ليلة أردأ من سابقتها.

استيقظت وهي تصرخ في الرابعة صباحًا، وشعرت بأنّها لا تزال عالقة في الكابوس الذي كانت تحمل فيه حقيبة كاملة مليئة بأجهزة التنصّت في الشوارع المظلمة، وتعلم أنّ رجالًا ملثّمين يطاردونها. كان جرح السكّين القديم على ذراعها قد انفتح مجدّدًا فيما كان مطاردوها يتبعون أثر الدم المتدفّق منه، وهي تعلم أنّها لن تصل أبدًا إلى حيث ينتظر سترايك حقيبة أجهزة التنصّت...

قال ماثيو مترنّحًا، نصف نائم: «ماذا؟».

أجابت روبن: «لا شيء» قبل أن تتمدّد عاجزة عن النوم حتى السابعة، عندما شعرت بأنّه يحقّ لها النهوض من السرير.

كان شابّ أشقر غير مرتّب الهيأة يتربّص في شارع ألبوري خلال اليومَين الماضيَين. ولم يكلّف نفسه عناء إخفاء أنّه يراقب منزلهما. ناقشت روبن أمره مع سترايك، الذي كان على يقين من أنّه صحافي وليس محقّقًا

خاصًا، ربّما صحافي متمرّن، أُرسل لمراقبتها لأنّ أجر ميتش باترسون بالساعة أصبح مصروفًا غير مبرّر.

انتقلت هي وماثيو إلى شارع ألبوري هربًا من المكان الذي كان يحوم فيه سفّاح شاكلويل. كان من المفترض أن يكون مكانًا آمنًا، لكنّه تلطّخ بسبب حالات الموت غير الطبيعي. في منتصف الصباح، لجأت روبن إلى الحمّام قبل أن يدرك ماثيو أنّها كانت تتنفّس بصعوبة مجدّدًا. جلست على أرض الحمّام، ولجأت إلى تقنيّة تعلّمتها في العلاج وإعادة الهيكلة المعرفية، تسعى إلى تقليص الأفكار التلقائية للمطاردة والألم والخطر التي تتبادر إلى ذهنها بفعل بعض الدوافع. (إنّه مجرّد أحمق يعمل لصحيفة «صن». إنّه يسعى وراء قصّة، هذا كلّ شيء. أنت في أمان. لا يستطيع الوصول إليك. أنت في أمان).

عندما خرجت من الحمّام ونزلت إلى الطابق الأرضي، وجدت زوجها يغلق أبواب المطبخ والأدراج فيما يعدّ شطيرة لنفسه. لم يعرض أن يعدّ لها واحدة.

– ما الذي يُفترض بنا أن نقوله لتوم وسارة، مع ذلك اللعين الذي يحدّق عبر النوافذ؟

وسألت روبن بصراحة:

– لماذا نخبر توم وسارة بأيّ شيء؟

– نحن ذاهبان لتناول العشاء عندهما الليلة!

صاحت روبن:

– آه...لا! أقصد نعم. آسفة. نسيت.

– ماذا لو تبعنا الصحافي السافل؟

– نتجاهله. ماذا يمكننا أن نفعل غير ذلك؟

سمعت جوّالها يرنّ في الطابق العلوي، وسُرّت لهذا العذر الذي يخوّلها الابتعاد من ماثيو، وذهبت للردّ عليه.

قال سترايك:

– مرحبًا. أخبار سارّة. أوكلت إلينا إيزي التحرّي عن موت تشيزيل. وصحح: في الحقيقة، ما أرادته حقًّا هو أن نثبت أنّ كينفارا هي الفاعلة، لكنّني تمكّنت من توسيع نطاق بحثنا.

همست روبن:

– هذا رائع!

وأغلقت باب غرفة النوم بحذر وجلست على السرير.

– علمت أنّ الخبر سيفرحك. الآن، ما نحتاج إليه في البداية هو معلومات عمّا توصّلت إليه تحقيقات الشرطة، وخاصّة مختبر الطبّ الشرعي. جرّبت للتوّ أن أستعلم عن الأمر من واردل، لكنّهم حـذّروه من التحدّث إلينا. يبدو أنّهم خمّنوا أنّني قد أستمرّ في التحقيق في الأمر. ثمّ جرّبت مع أنستيس، لكن بدون نتيجة فهو يعمل بدوام كامل على الألعاب الأولمبية ولا يعرف أيّ شخص يعمل على هذه القضيّة. لذلك كنت أسأل، هل عادت فانيسا من إجازتها التي أخذتها للاهتمام بوالدها؟

قالت روبن متحمّسة فجأة:

– أجل! إنّها المرّة الأولى التي تعرف فيها – هي وليس سترايك – الشخص المناسب الذي بإمكانه تزويدهما بالمعلومات.وأكملت: لكن مَن أفضل من فانيسا، إنّها تواعد رجلًا في مختبر الطبّ الشرعي، أوليفر، لم أقابله قطّ، لكن...

– إذا وافق أوليفر على التحدّث إلينا، فسيكون ذلك رائعًا. اسمعي، سأتّصل بشانكر، وأرى ما إن كان بإمكانه أن يبيعني بعض المعلومات التي يمكن أن نقايض بها. سأعاود الاتّصال بك.

وأقفل الخطّ. على الرغم من جوعها، لم تنزل روبن إلى الطابق السفلي، بل تمدّدت على سرير المصنوع من الخشب الماهوغني الأنيق، وهو هديّة زفاف من والد ماثيو. كان ضخمًا وثقيلًا لدرجة أنّهما احتاجا إلى مجموعة كاملة من رجال النقل الذين تعرّقوا وشتموا بصوت خافت إلى أن رفعوه قطعة قطعة إلى الطابق العلوي ثمّ أعادوا تجميعه في غرفة النوم. أمّا طاولة زينة روبن، من ناحية أخرى، فكانت قديمة ورخيصة. خفيفة كصندوق برتقال بدون أدراجها، استطاع رجل واحد أن يحملها ويصعد بها ويضعها بين نافذتَي غرفة النوم.

بعد عشر دقائق، رنّ جوالها مجدّدًا.

– لم تتأخّر.

– نعم، نحن محظوظان. شانكر أخذ يوم استراحة. صودف أنّ اهتماماتنا تزامنت. هناك شخص لا يمانع أن تقبض عليه الشرطة. أخبري فانيسا أنّنا نقدّم معلومات عن إيان ناش.

كرّرت روبن:

– إيان ناش؟ وجلست لتمسك القلم والورقة وتدوّن الاسم. من بالضبط...؟

– رجل عصابة. ستعرف فانيسا من هو.

– كم كلّفنا الأمر؟ الرابط الشخصي بين سترايك وشانكر عميق لكنّه لم يتعارض مع قواعد عمل شانكر.

– نصف رسوم الأسبوع الأول، لكنّ الأمر يستحق أن ننفق المال عليه إذا زوّدنا أوليفر بالمعلومات. كيف حالك؟

سألت روبن مذهولة:

– ماذا؟ أنا بخير. لماذا تسأل؟

– لا أفترض أنّه خطر لك أنّ لديّ واجب رعاية تجاهك، بصفتي صاحب عملك؟

– نحن شريكان.

– أنت شريك بأجر. يمكنك رفع دعوى عليّ بسبب ظروف عمل سيّئة.

قالت روبن، وهي تفحص الساعد حيث لا تزال الندبة الأرجوانية البالغ طولها 20 سنتمترًا، على بشرتها الشاحبة: «ألا تعتقد أن كان بإمكاني فعل ذلك لو أردت؟ ولكن إذا كنت تعرض عليّ تصليح الحمام عند الباب الأمامي...

أصرّ سترايك قائلًا:

– أقول فقط إنّ من الطبيعي أن يكون لك ردّ فعل. فالعثور على جثّة ليس أمرًا ممتعًا للكثيرين.

كذبت روبن:

– أنا بخير تمامًا.

وفكّرت: «يجب أن أكون بخير»، بعد أن ودّع كلّ منهما الآخر. «لن أفقد كلّ شيء، مرّة أخرى».

40

انطلاقتك بعيدة كلّ البعد عن انطلاقته.

هنريك إبسن، روسميرشولم

الساعة السادسة من صباح الأربعاء، نهضت روبن، التي كانت قد نامت مجدّدًا في غرفة الضيوف، وارتدت بنطلون جينز وقميصًا قطنيًا وسترة وحذاءً رياضيًا. وضعت في حقيبة ظهرها شعرًا مستعارًا داكن اللون اشترته عبر الإنترنت وتسلّمته في صباح اليوم السابق، تحت أنظار الصحافي المتطفّل الذي فشل في ملاحظة أيّ شيء. نزلت بتؤدة إلى الطابق السفلي حتى لا توقظ ماثيو الذي لم تناقش معه خطّتها. كانت تعلم جيّدًا أنّه لن يوافق.

على الرغم من أنّ العشاء ليلة السبت مع توم وسارة كان مروّعًا، سادت هالة من السلام بينهما. في الواقع، إنّ سبب هذا السلام على وجه التحديد هو أنّ العشاء كان مروّعًا للغاية. فقد بدأت السهرة بشكل مشؤوم لأنّ الصحافي تبعهما بالفعل في الشارع. لكنّهما نجحا في التخلّص منه، ويرجع ذلك إلى حدّ كبير إلى تدريب روبن على المراقبة المضادّة، فقد خرجا من دون أن يراهما من حجرة مترو الأنفاق المزدحمة قبل إغلاق الأبواب مباشرة، ما أغضب ماثيو بسبب ما اعتبره حيلًا طفولية لا داعيَ لها. لكنّه لم يستطع أن يلومها على ما حصل في وقت لاحق من السهرة.

فما بدأ تحليلًا باردًا على العشاء لخسارتهم مباراة الكريكيت الخيرية، احتدم فجأة وأصبح عدوانيًا، إذ انتقد توم الذي كان ثملًا، ماثيو، قائلًا إنّ مهارته في اللعب ليست بالجودة التي يخالها، وإنّ غروره أثار غضب بقيّة أفراد الفريق، وإنّه في الواقع، لا يحظى بشعبية في المكتب، لدرجة أنّ زملاءه يستاؤون منه، لأنّه لا يحسن مسايرتهم. ضعضع الهجوم المفاجئ ماثيو فحاول أن يسأل عن الخطأ الذي ارتكبه في المكتب، لكنّ توم اعتبر جرح ماثيو وعدم تصديقه لما يقوله استفزازًا، وكان في حالة ثمالة متقدّمة إلى حدّ أنّ روبن تصوّرت أنّه، بدون شك، بدأ بشرب النبيذ قبل وصولهما بوقت طويل.

صرخ توم:

– لا تمثّل دور البريء اللعين! لن أتحمّل ذلك بعد الآن! أنت تقلّل من شأني وتغيظني...

وسأل ماثيو روبن:

– هل كان على حقّ؟ وقد ضعضعه الموقف، فيما كانا عائدين سيرًا إلى محطّة مترو الأنفاق في الظلام.

فأجابت روبن، بصراحة:

– كلّا. أنت لم تقل له أيّ شيء سيّئ على الإطلاق.

وأضافت «الليلة فقط» في قرارة نفسها. كان من دواعي ارتياحها أن ترافق ماثيو إلى المنزل وهو يعاني الأذى والحيرة، بدلًا من أن ترافق الرجل الذي تعيش معه عادةً، وقد أكسبها تعاطفها معه ودعمها له سلمًا معه لمدّة يومين. لم تشأ أن تعرّض الهدنة للخطر بإخبار ماثيو بما كانت تخطّط له هذا الصباح لتبعد عن مسارها الصحافي الذي ما زال يتربّص بها. فهي لا يمكنها أن تسمح بأن يتبعها إلى الاجتماع مع اختصاصي في الطبّ الشرعي، خاصّة أنّ أوليفر، وفقًا لفانيسا، احتاج إلى قدر كبير من الإقناع ليقبل بمقابلة سترايك وروبن في المقام الأول.

خرجت روبن بهدوء من إحدى النوافذ الفرنسية إلى الفناء خلف المنزل، واستخدمت أحد كراسي الحديقة لتتسلّق الجزء العلوي من الجدار الذي فصل حديقتهما عن حديقة المنزل الواقع خلفهما مباشرة، وكانت

ستائره مغلقة لحسن الحظ. انزلقت من الحائط إلى حديقة الجيران مصدرة صوت ارتطام مكتوم على العشب.

أمّا الجزء التالي من هروبها فكان أصعب بقليل، إذ كان عليها أوّلًا أن تجرّ مقعدًا مزخرفًا ثقيلًا في حديقة جيرانها لمسافة عدّة أمتار، إلى أن استقرّ بمحاذاة السياج، ثمّ بعد أن وقفت وتوازنت على ظهره، صعدت فوق اللوح المطليّ بمادّة الكريوزوت، الذي تأرجح بنحو خطير وهي تقفز على مسكبة من الزهور في الجانب الآخر من السياج، حيث ترنّحت وسقطت. أسرعت منحنية عبر الحديقة إلى السياج المقابل، الذي تقود بوّابته إلى موقف السيّارات العامّ في الجانب الآخر.

لحسن الحظّ فتحت روبن المزلاج بسهولة. وعندما سحبت بوّابة الحديقة وأغلقتها خلفها، فكّرت بأسى في آثار الأقدام التي تركتها لتوّها عبر الحدائق النديّة. إذا استيقظ الجيران باكرًا، سيسهل عليهم اكتشاف مكان مجيء الدخيل الذي غزا حدائقهم، وغيّر مكان أثاثها وداس على ورود البيغونيا فيها. كان قاتل تشيزيل، في حال ثبت وجوده، أكثر مهارة في إخفاء أثره.

ربضت روبن على الأرض خلف سيّارة سكودا متوقفة في موقف السيّارات المهجور الذي يأوي عادة سيّارات شارع لا مرأب آخر فيه، واستخدمت المرآة الجانبية لتعديل الشعر المستعار الداكن الذي أخذته من حقيبتها، ثمّ انطلقت بخفّة على امتداد الشارع الموازي لشارع ألبوري، حتى انعطفت يمينًا إلى شارع ديبتفورد هاي.

باستثناء شاحنتَين صغيرتَين تقومان بالتسليم في الصباح الباكر وبائع جرائد يرفع باب واجهة متجره المعدني، لم ترَ روبن أيّ شخص في الجوار. ألقت نظرة واحدة من فوق كتفها، وشعرت باندفاع مفاجئ، ليس بسبب الذعر، بل بفضل الغبطة: لا أحد يتبعها. مع ذلك، لم ترفع الشعر المستعار عن رأسها إلى أن وصلت بأمان إلى مترو الأنفاق، ما فاجأ الشابّ الذي كان ينظر إليها خلسة من خلف جهاز الكيندل للقراءة.

اختار سترايك مقهى كورنر في شارع لامبث لقربه من مختبر الطبّ الشرعي حيث يعمل أوليفر بارغيت. عندما وصلت روبن، وجدت سترايك واقفًا في الخارج يدخّن. وقع بصر هذا الأخير على ركبتَي بنطالها الجينز الموحلتَين.

فأوضحت عندما اقتربت بما فيه الكفاية حتى يسمعها:

– هبوط عنيف في مسكبة من الزهور. ذلك الصحافي ما زال يتسكع أمام المنزل.

– هل ساعدك ماثيو على تسلّق الجدار؟

– لا، استخدمت أثاث الحديقة.

سحق سترايك سيجارته على الحائط المجاور وتبعها إلى داخل المقهى الذي تفوح فيه رائحة طيّبة من الطعام المقليّ. رأى سترايك أنّ روبن بدت أكثر شحوبًا ونحافة من المعتاد، لكنّها طلبت بابتهاج القهوة ولفافتَين من لحم الخنزير المقدّد.

فصحّح لها سترايك:

– لفافة واحـدة. وكـرر بأسف للرجل الواقف وراء المنضدة: لفافة واحدة. وقال لروبن: أحاول إنقاص وزني هذا أفضل لساقي، بينما كانا يجلسان إلى طاولة خلت للتوّ.

– آه، حسنًا.

فيما كان سترايك ينظّف الطاولة من فتات الخبز بكمّه، فكّر مجدّدًا أنّ روبن كانت المرأة الوحيدة التي التقى بها ولم تظهر أيّ اهتمام في تحسين مظهره. كان يعلم أنّ بإمكانه أن يغيّر رأيه الآن ويطلب خمس شرائح من لحم الخنزير المقدّد، وأنّها ستبتسم ابتسامة عريضة وتسلّمه إيّاها. جعلته هذه الفكرة يشعر بحنان خاصّ تجاهها وهي توافيه إلى الطاولة في بنطلونها الجينز الموحل.

وسأل:

– هل كلّ شيء على ما يرام؟ فيما سال لعابه وهو يشاهدها تضع الكاتشب على لفافتَيها.

كذبت روبن قائلة:

– نعم، كلّ شيء على ما يرام. كيف حال رجلك؟

– تحسّنت حالها. كيف يبدو هذا الرجل الذي سنلتقي به؟ أجابت روبن وفمها ملآن بالخبز واللحم المقدّد:

– طويل، أسود، نظّارة.

فنشاطها في الصباح الباكر فتح شهيّتها أكثر من أيّ وقت مضى في الأيام الأخيرة.

– هل عادت فانيسا إلى واجباتها في السهر على الألعاب الأولمبية؟

– أجل، لقد أزعجت أوليفر بإصرارها على مقابلتنا. لا أعتقد أنّه كان متحمّسًا للأمر، لكنّها ترغب في الحصول على الترقية.

– المعلومات التي تورّط إيان ناش ستساعدها على ذلك بالتأكيد. وفقًا لما أخبرني به شانكر، كانت شرطة المدينة تحاول...

همست روبن:

– أظنّ أنّه هو.

التفت سترايك ليرى رجلًا أسود نحيلًا، يبدو عليه القلق، يضع نظّارة بدون إطار يقف في المدخل. كان يحمل حقيبة. رفع سترايك يده ليحيّيه ودفعت روبن اللفافة والقهوة إلى المقعد التالي للسماح لأوليفر بالجلوس قبالته.

لم تكن روبن متأكّدة ممّا توقعته: كان الرجل وسيمًا، مع تسريحة شعره العالية وقميصه الأبيض الناصع، لكنّه بدا مرتابًا وغير موافق على ما يقوم به، وهما أمران لا يتوافقان مع شخصية فانيسا. مع ذلك، صافح اليد التي مدّها له سترايك والتفت إلى روبن، وقال:

– هل أنت روبن؟ فوّتنا علينا فرصًا عديدة للتعارف.

قالت روبن وهي تصافحه أيضًا:

– نعم. وجعلها مظهر أوليفر المرتّب تشعر بالاستياء بسبب شعرها الأشعث وبنطالها الموحّل. وأكملت: يسرّني التعرّف إليك أخيرًا. الخدمة ذاتية هنا، هل أحضر لك الشاي أو القهوة؟

– القهوة، نعم، القهوة جيدة. شكرًا.

عندما ذهبت روبن لتحضر القهوة، توجّه أوليفر إلى سترايك:

– قالت فانيسا إنّك تحمل لها بعض المعلومات.

– ربّما. هذا يتوقف على ما تحمله أنت لنا يا أوليفر.

– أودّ أن أعرف بالضبط ما تقدّمانه قبل أن نباشر.

سحب سترايك ظرفًا من جيب سترته ورفعه.

– رقم تسجيل سيّارة وخريطة مرسومة باليد.

يبدو أنّ ذلك أثار اهتمام أوليفر.

– هل يمكنني أن أسأل من أين حصلت عليهما؟

قال سترايك بمرح:

– يمكنك أن تسأل، لكنّ هذه المعلومات غير مدرجة ضمن الصفقة. سيقول لك إريك واردل إنّ مخبري مصدر موثوق بشكل كامل.

دخلت مجموعة من العمّال إلى المقهى وهم يتحدّثون بصوت عالٍ.

قال سترايك بهدوء:

– سيبقى هذا كلّه طيّ الكتمان. لن يعرف أحد أنّك تحدّثت إلينا.

تنهّد أوليفر، ثمّ انحنى، وفتح حقيبته وأخرج دفترًا كبيرًا. عندما عادت روبن حاملةً فنجانًا من القهوة لأوليفر وجلست إلى الطاولة، استعدّ سترايك لتدوين الملاحظات. قال أوليفر، وهو يلقي نظرة خاطفة على العمّال الذين كانوا الآن يتبادلون النكات بصوت عالٍ وقد جلسوا إلى الطاولة المجاورة:

– تحدّثت إلى أحد الأشخاص في الفريق من الذين عاينوا الجثّة والتحاليل المخبرية، وتحدّثت فانيسا مع شخص يعرف ما آل إليه التحقيق. وأكمل مخاطبًا روبن: هم لا يعرفون أنّ فانيسا صديقتك. إذا اكتُشِفَ خبر مساعدتنا لكما...

طمأنته روبن قائلة:

– لن يسمعوا الخبر منّا.

عبس أوليفر قليلًا وفتح دفتر ملاحظاته وراجع التفاصيل التي دوّنها فيه بخطّ صغير واضح.

– حسنًا، المعاينة الشرعية واضحة تمامًا. لا أعرف مقدار التفاصيل التقنيّة التي تريدانها...

قال سترايك:

– باختصار... أعطنا النقاط البارزة.

– اجترع تشيزيل حوالي 500 ملغرام من الأميتريبتيلين، ذوّبه في عصير البرتقال، وكانت معدته فارغة.

سأل سترايك:

– الجرعة كبيرة، أليس كذلك؟

– إنّها مميتة وحدها، حتى بدون الهيليوم، لكنّ مفعولها لن يكون بالسرعة ذاتها. من ناحية أخرى، كان مريض قلب، ما جعله أكثر عرضة للتأثر بها. يسبّب الأميتريبتيلين خللًا في النظام وسكتة قلبية إن كانت الجرعة مفرطة.

– أهي طريقة انتحار شائعة؟

– نعم، لكنّها أحيانًا لا تخلو من الألم كما يأمل الناس. كان معظم الجرعة لا يزال في معدته. ووجدنا آثارًا ضئيلة جدًّا منها في أمعائه. مات اختناقًا في الواقع، علمنا ذلك من تحليل أنسجة الرئة والمخّ. ويُقدّر أنّ مادّة الأميتريبتيلين استُعملت احتياطًا.

– هل من بصمات على الكوب وعلبة عصير البرتقال؟

قلب أوليفر صفحة في دفتر ملاحظاته.

– وجدنا بصمات تشيزيل على الكوب فقط. وعُثر على العبوة الكرتونية في حاوية النفايات فارغة، وبصمات تشيزيل أيضًا عليها، إضافة إلى بصمات أخرى. لا شيء مريب. تمامًا ما تتوقع أن تجده من بصمات خلال شراء المنتج. فُحص العصير الباقي في داخلها ولم يُعثر على أيّ نوع من المخدّر فيه. وُضع المخدّر في الكوب مباشرة.

– وعبوة الهيليوم؟

– وُجدت عليها بصمات تشيزيل أيضًا، وبعض البصمات الأخرى. لا شيء مريب. الأمر مماثل لعبوة العصير، ما تجده من بصمات أثناء الشراء.

سألت روبن:

– هل للأميتريبتيلين طعم؟

– نعم، إنّه مرّ.

ذكّر سترايك روبن قائلًا:

– خلل في حاسّة الشمّ. بعد الإصابة في الرأس. من المرجّح أنّه لم يتذوّق مرارته.

سألت روبن أوليفر:

– هل قد يجعله يشعر بالنعاس؟

– على الأرجح، خاصّةً إن لم يكن معتادًا على تناوله، لكنّها مادّة تسبّب للناس ردود فعل غير متوقعة؛ ربّما أصيب بالاضطراب.

سأله سترايك:

– هل من علامة تدلّنا كيف أو أين شحقت الحبوب؟

– في المطبخ. وُجدت آثار مسحوق على المدقّة والهاون هناك.

– هل من بصمات؟

– بصماته هو.

وسألت روبن:

– هل تعرف إن فحصوا حبوب العلاج التجانسي؟

قال أوليفر:

– ماذا؟

أوضحت روبن:

– كان هناك أنبوب من حبوب العلاج التجانسي على الأرض. لقد دست عليه. يحمل اسم لاشيسيز.

– لا أعرف شيئًا عنها.

شعرت روبن ببعض الحماقة لذكرها.

– على ظهر يده اليسرى علامة.

قال أوليفر:

– نعم. وعاد إلى ملاحظاته. جروح في الوجه وعلامة صغيرة على اليد.

سألت روبن وقد توقفت فجأة وهي تحمل لفافتها في يدها:

– على الوجه أيضًا؟

– أجل.

سأل سترايك:

– هل من تفسير لها؟

علّق أوليفر:

– إنّك تتساءل عمّا إن كان الكيس وُضع على رأسه عنوة. كان ما قاله تأكيدًا وليس سؤالًا. وأكمل: شأنك شأن المكتب الخامس. وقد علموا أنّه لم يسبّب الخدوش لنفسه. لا شيء تحت أظافره. من ناحية أخرى، لم تكن هناك كدمات على الجثّة تدلّ على التعنيف، ولم يختفِ شيء من الغرفة، ولا توجد علامات عراك...

قال سترايك:

– ما عدا السيف الملتوي.

قال أوليفر:

– أنسى دائمًا أنّكما كنتما هناك. أنتما تعرفان كلّ هذه الأمور.

– هل من علامات على السيف؟

– تمّ تنظيفه قبل فترة، لكنّ بصمات تشيزيل كانت على المقبض.

– في أيّ ساعة حصلت الوفاة؟

– بين السادسة والسابعة صباحًا.

ردّت روبن متأمّلةً:

– لكنّه كان يرتدي ملابسه كاملة.

قال أوليفر بهدوء:

– وفق ما سمعته عنه، كان، بكلّ ما للعبارة من معنى، رجلًا ليس للموت أن يفاجئه في ثياب النوم.

سأل سترايك:

– تميل الشرطة إلى فرضية الانتحار؟

– فليبقَ الأمر بيننا، لكنّني أعتقد أنّهم سيعتبرون جميع الاحتمالات قائمة. هناك بعض التناقضات التي تحتاج إلى شرح. تعرفان بالطبع أمر باب المدخل المفتوح. الخشب ملتوٍ. لن يغلق إلّا إذا أغلقته بالقوّة، لكنّه في بعض الأحيان يرتدّ وينفتح مجدّدًا إذا صفقته بقوّة. لذلك كان من الممكن أن يكون

انفتح عرضًا. ربّما لم يدرك تشيزيل أنّه تركه مفتوحًا، ولكن ربّما لم يكن القاتل يعرف الحيلة لإغلاقه.

سأل سترايك:

– هل تعرف كم مفتاحًا يوجد لهذا الباب؟

– كلّا. ستقدّران بدون شكّ أنّه كان علينا أنا وفان أن نبدو مهتمّين بشكل سطحيّ فقط، فيما كنّا نطرح هذه الأسئلة كلّها.

قال سترايك:

– مات وزير في الحكومة. كان يمكنكما أن تظهرا المزيد من الاهتمام.

– أعرف شيئًا واحدًا. كانت لديه أسباب كثيرة للانتحار.

استفسر سترايك:

– وما هي؟

وأمسك قلمه فوق دفتر ملاحظاته.

– قرّرت زوجته أن تهجره...

قال سترايك وهو يكتب:

– هذا ما زعمته.

– كانا قد فقدا طفلًا، وتُوفّي ابنه البكر في العراق، وتقول العائلة إنّه كان يتصرّف بغرابة، ويفرط في شرب الخمر، وما إلى ذلك، وكان يعاني مشاكل مالية خطيرة.

سأل سترايك:

– حقًّا؟ وما هي؟

– كاد يخسر كلّ ما يملك في انهيار عام 2008. ثمّ كانت هناك... تلك القضيّة التي كنتما تحققان فيها.

– أتعرف أين كان المبتزّان ساعة...؟

قام أوليفر بحركة سريعة عفوية كادت توقع قهوته. ثمّ مال نحو سترايك وهمس:

– هناك أمر قضائي، إن لم تسمعا...

فقال سترايك:

– نعم، سمعنا.

– يصادف أنّني أحبّ عملي...

قال سترايك ولم يكن الأمر قد أزعجه، لكنّه خفض صوته:

– حسنًا، سأعيد صياغة سؤالي. هل نظروا في تحرّكات غيرينت وين وجيمي...؟

قال أوليفر باقتضاب:

– نعم، ولكلٍّ منهما حجّة غياب.

– ما هما؟

– كان الأول في برموندسي مع...

صرخت روبن قبل أن تتمكّن من السيطرة على نفسها:

– ليس مع ديلا؟ فقد انصدمت ورأت من غير اللائق أن تؤكّد زوجة غيرينت العمياء حجّة غيابه، إذ كان لديها انطباع، سواء بدافع السذاجة أم غيره، بأنّ ديلا كانت بعيدة عن نشاطات غيرينت الإجرامية.

قال أوليفر باقتضاب:

– كلا، وهل نحن مجبرون على استخدام الأسماء؟

سأل سترايك:

– من إذًا؟

– أحد الموظّفين. ادّعى أنّه كان مع الموظّف وأكّد الموظف ذلك.

– هل من شهود آخرين؟

قال أوليفر بقليل من الإحباط:

– لا أعرف. أفترض ذلك. فقد قبلت الشرطة بالذريعة.

– ماذا عن جي... الرجل الآخر؟

– كان في إيست هام مع صديقته.

قال سترايك وهو يدوّن ملاحظة:

– حقًّا؟ رأيته يُنقل إلى شاحنة للشرطة، في الليلة التي سبقت وفاة تشيزيل.

قال أوليفر بهدوء:

– أُطلق سراحه بكفالة. لكنّ المبتزّين لا يقتلون ضحاياهم بشكل عام، أليس كذلك؟

أجابه سترايك وهو لا يزال يكتب:

– ليس إن كانوا يحصلون على المال منهم. لكن نايت لم يحصل على المال.

نظر أوليفر إلى ساعته.

قال سترايك وهو لا يزال يتّكئ بمرفقه على الظرف الذي يحتوي على المعلومات عن إيان ناش:

– سؤالان أخيران. أتعرف فانيسا شيئًا عن مكالمة هاتفية أجراها تشيزيل صباح يوم وفاته مع ابنه؟

– أجل، لقد قالت شيئًا عن ذلك، وبحث في دفتر ملاحظاته للعثور على المعلومات، وأضاف: نعم، لقد أجرى مكالمتَين بعد السادسة صباحًا بقليل، الأولى لزوجته، والثانية لابنه.

تبادل سترايك وروبن نظرة أخرى.

– علمنا باتّصاله برافاييل. لكنّه اتّصل بزوجته أيضًا؟

– أجل، اتّصل بها أوّلًا.

بدا أنّ أوليفر قرأ ردّ فعلهما بشكل صحيح، لأنّه قال:

– تمّت تبرئة الزوجة تمامًا. كانت أول شخص تحرّوا عنه بمجرّد أن اقتنعوا بأنّه لم يكن لوفاته دوافع سياسية، بالطبع.

رآها أحد الجيران تدخل المنزل الواقع في شارع إيبوري في المساء السابق وخرجت بعد ذلك بقليل تحمل حقيبة، قبل ساعتَين من عودة زوجها. وأقلّها سائق تاكسي في منتصف الشارع إلى بادينغتون. التقطتها الكاميرا في القطار عائدة إلى مكان سكنها – في أوكسفوردشاير؟ – ويبدو أنّ أحدًا ما كان في المنزل عندما عادت يمكنه أن يشهد على أنّها وصلت قبل منتصف الليل ولم تغادر إلى أن جاءت الشرطة لتبلغها بوفاة تشيزيل. هناك شهود عدّة على رحلتها بأكملها.

– من كان معها في المنزل؟

– لا أعرف. تحرّكت عينا أوليفر إلى الظرف الذي لا يزال تحت مرفق سترايك. وقال: هذا حقًّا كلّ ما لديّ.

سأل سترايك عن كلّ ما يريد أن يعرفه، وحصل على بعض المعلومات التي لم يكن يتوقّعها، بما في ذلك الخدوش في وجه تشيزيل، وضعف موارده المالية والمكالمة الهاتفية مع كينفارا في الصباح الباكر.

فقال لأوليفر، وهو يمرّر الظرف على الطاولة:

– لقد ساعدتنا كثيرًا. نقدّر لك ذلك.

بدا أوليفر مرتاحًا لانتهاء المقابلة. فوقف، وبعد مصافحة سريعة أخرى وإيماءة لروبن، غادر المقهى. ما إن ابتعد أوليفر عن الأنظار، حتّى عادت روبن إلى كرسيّها وتنهّدت.

فسألها سترايك وهو ينهي كوب الشاي:

– لماذا هذا التعبير الكئيب؟

– ستكون هذه أقصر مهمّة في التاريخ. تريدنا إيزي أن نثبت أنّ كينفارا هي القاتلة.

– بل تريد الحقيقة بشأن وفاة والدها. لكنّه ابتسم ابتسامة عريضة أمام تعبير روبن المشكك، وأكمل: أجل، إنّها تأمل أن تكون كينفارا هي الفاعلة. علينا أن نرى إن كان بإمكاننا إطاحة هذه الفرضيات كلّها، أليس كذلك؟ أنا ذاهب إلى وولستون يوم السبت. دعتني إيزي إلى تشيزيل هاوس، حتى أتمكّن من مقابلة أختها. هل ترافقينني؟ أفضّل عدم القيادة نظرًا إلى وضع ساقي في الوقت الحالي.

بادرت روبن على الفور:

– أجل، بالطبع.

كانت فكرة الخروج من لندن مع سترايك، ولو ليوم واحد، جذّابة لدرجة أنّها لم تهتمّ بالتفكير في ما إن كانت هي وماثيو لديهما أيّ خطط أخرى، لكن ما هو مؤكّد أنّه في وهج تقاربهما غير المتوقع، لن يثير أيّ مشكلة في هذا الشأن. فهي لم تعمل لمدّة أسبوع ونصف. وأضافت:

– يمكننا أن نأخذ اللاند روفر. فهي أفضل من سيّارتك البي أم على الطرق الريفية.

– قد تحتاجين إلى إلهاء ذلك الأخرق، إن كان لا يزال يراقبك.

– سيكون التخلّص منه إن كنت في السيّارة أسهل.

– أجل، على الأرجح.

كانت روبن تتمتّع بمهارة عالية في القيادة. على الرغم من أنّ سترايك لم يخبرها بالأمر، كانت هي الشخص الوحيد الذي يقبل عن طيب خاطر أن يقلّه بالسيّارة.

– في أيّ ساعة من المفترض أن نكون في تشيزيل هاوس؟

– في الحادية عشرة، لكن توقّعي أن تتغيّبي طوال اليوم لأنّني أرغب في أن ألقي نظرة على منزل نايت القديم أثناء وجودنا هناك. وتردّد: لا أتذكّر إن كنت أخبرتك بالأمر... لكنّني أبقيت باركلي يعمل متخفّيًا مع جيمي وفليك.

استعدّ ليسمع تعبيرها عن انزعاجها لأنّه لم يناقش الأمر معها، وعن استيائها لأنّ باركلي كان يعمل فيما بقيت هي قابعة في المنزل، أو ربّما أن تسأله عن السبب، وهذا أمر مبرّر نظرًا إلى وضع الشركة المالي، لكنّها قالت ببساطة، وهي تبدو متسلّية أكثر من حاقدة:

– تعلم جيّدًا أنّك لم تخبرني. لماذا أبقيته؟

– لأنّ لديّ شعورًا بأنّ هناك أمورًا يمكننا أن نكتشفها عن الأخوَين نايت وإن لم يكن الأمر ظاهرًا من النظرة الأولى.

– لطالما نصحتني بعدم الثقة بالمشاعر.

– لكنّني لم أدّع قطّ أنّني لست منافقًا. وأضاف عندما نهضا عن الطاولة: لم أخبرك بكلّ شيء، رافاييل ليس سعيدًا بسببك.

– ولمَ لا؟

– تقول إيزي إنّه وقع في حبّك. وهو منزعج للغاية لأنّه اتّضح أنّك تحرّية سرّية.

– آه... وتورّدت وجنتاها قليلًا. وأكملت: في الحقيقة، أنا واثقة من أنّه سيتدارك نفسه بسرعة كافية. إنّه من هذا النوع.

41

كنت أفكّر في ما جمعنا معًا منذ البداية،
وما يربط أحدنا بالآخر ارتباطًا وثيقًا...

هنريك إبسن، روسميرشولم

قضى سترايك ساعات طويلة من حياته محاولًا تخمين ما فعله لتدخل المرأة الجالسة في جواره في صمت كئيب. لكنّ أفضل ما يمكن أن يقال عن استياء لوريلاي الطويل خلال مساء يوم الجمعة هو أنّه كان يعرف بالضبط كيف تسبّب هو به حتّى أنّه مستعدّ حتّى للاعتراف بأنّ استياءها كان، إلى حدّ ما، مبرّرًا.

بعد خمس دقائق من وصوله إلى شقتها في كامدن، اتّصلت إيزي بجوّاله، جزء من اتصالها كان لإخباره عن رسالة تلقتها من غيرينت وين، والجزء الأكبر كان، كما يعلم، لتتحدّث معه. لم تكن أول شخص من عملائه يفترض أنّه اشترى، إلى جانب خدمات التحرّي، الخدمات المزدوجة للكاهن المعرّف والطبيب النفسي المعالج. أعطته إيزي جميع الإشارات التي تدلّ على أنّها تنوي قضاء أمسية الجمعة بكاملها في التحدّث إليه، وكانت مغازلتها عبر الهاتف أكثر وضوحًا من مغازلتها عند لمسها ركبته خلال لقائهما الأخير.

كان مألوفًا لدى سترايك أن تحاول النساء الضعيفات والوحيدات أحيانًا، اللواتي يلتقيهنّ في حياته المهنية، أن يحوّلنه إلى عشيق لهنّ. لم يمارس الجنس يومًا مع أيّ عميلة منهنّ، على الرغم من الإغراء الكبير الذي

وقع ضحيّته في بعض الأحيان. وكالة سترايك تعني له الكثير، لكنّه، حتى لو وجد إيزي جذابة، فهو يحرص على الحفاظ على أسلوبه المحترف، لأنّ أيّ علاقة معها سيلوّثها إلى الأبد في ذهنه ارتباطها بشارلوت.

على الرغم من رغبته الحقيقية في إنهاء المكالمة – لأنّ لوريلاي كانت قد أعدّت له طبقًا شهيًّا، وبدت جميلة جدًا في فستان حريري بلون الياقوت الأزرق يشبه ثوب النوم – تشبّثت إيزي بالمكالمة تشبّث المحارة بصخرتها. لم يتمكّن سترايك من التخلّص من موكّلته قبل ثلاثة أرباع الساعة، أمّا هي فضحكت طويلًا وبصوت عالٍ حتى على نكاته العادية، إلى أن تيقنت لوريلاي من أنّها كانت امرأةً في نهاية الأمر. بالكاد تخلّص من إيزي وبدأ يشرح للوريلاي أنّها عميلة مفجوعة، وإذا بباركلي يتّصل ليكلمه عن جيمي نايت. مجرّد ردّه على الاتّصال الثاني، على الرغم من قصر مدّته، ضاعف في نظر لوريلاي إساءته الأساسية.

كان هذا لقاءهما الأول، هو ولوريلاي، منذ أن تراجعت عن إعلانها لحبّها له. وأكّد سلوكها الجريح والمُهان أثناء العشاء اعتقاده، الذي حاول أن يدحضه، بأنّها خلافًا لما تؤكّده من رغبتها في استمرار علاقتهما الخالية من القيود، تتمسّك بالأمل في أنّها إذا توقفت عن الضغط عليه، سيدرك بكلّ بساطة أنّه، في الحقيقة، مغرم بها. حطّم حديثه على الهاتف لمدّة تقارب الساعة، فيما كان العشاء يذبل ببطء في الفرن، آمالها في أمسية مثالية، وفي إعادة ضبط علاقتهما.

فلو قبلت لوريلاي باعتذاره الصادق، ربّما كان شعر برغبة في ممارسة الجنس معها. لكن بحلول الساعة الثانية والنصف صباحًا، حين انفجرت لوريلاي أخيرًا بالبكاء لائمةً نفسها تارة ومبرّرة لنفسها تارة أخرى، كان متعبًا للغاية وفي مزاج سيّئ لا يسمح له بالقيام بالمبادرات الجسدية التي خشي أن تكتسب في نظر لوريلاي أهمّية لا يريد أن يربطها بها.

فكّر سترايك (يجب أن تنتهي هذه العلاقة) فيما كان ينهض من السرير، أجوف العينين أسود الوجنتين من لحيته التي نمت، في الساعة السادسة صباحًا، وكان يتحرّك بهدوء بقدر الإمكان على أمل ألّا تستيقظ لوريلاي قبل

أن يخرج من شقتها. أجبر سترايك عن التخلي عن وجبة الفطور، لأنّ لوريلاي قد استبدلت باب المطبخ بستارة خرز قديمة ظريفة كانت تهتزّ وتحدث صوتًا عاليًا، ووصل إلى أعلى الدرج المؤدّي إلى الشارع قبل أن تخرج من غرفة النوم المظلمة، نعسة شعثاء حزينة ومثيرة في لباس كيمونو قصير.

– ألن تودّعني حتّى؟

– لا تبكي. أرجوك لا تبكي. بدوتِ مستغرقة في النوم. يجب أن أذهب، ستقلّني روبن عند...

قاطعته لوريلاي:

– آه، لا، لا يمكنك أن تجعل روبن تنتظر.

– سأتّصل بك.

ظنّ أنّه سمع نحيبًا عندما وصل إلى الباب الأمامي، لكن بما أنّ فتحه يحدث صوتًا عاليًا ومزعجًا، تمكّن من التظاهر بأنّه لم يسمعه.

كان لديه متّسعٌ من الوقت، فتوجّه إلى مطعم ماكدونالدز قريب ليتناول شطيرة ماك إيغ مافن وقهوة كبيرة، على طاولة متّسخة، يحيط به بعض المستيقظين في وقت مبكر من يوم السبت. كان شابّ على ظهر رقبته دمّلة يقرأ صحيفة إندبندنت مباشرة أمامه، فقرأ الكلمات «وزيرة الرياضة تنهي زواجها» من فوق كتف الشابّ قبل أن يطوي الصفحة. سحب سترايك هاتفه وبحث في غوغل: «زواج وين». ظهرت القصص الإخبارية على الفور: «وزيرة الرياضة تنفصل عن زوجها: انفصال ودي»، «ديلا وين تنهي زواجها»، «وزيرة البارالمبياد العمياء تتطلّق».

كانت القصص الواردة من الصحف الكبرى كلّها تسرد الواقع باختصار، بعضها مليء بالتفاصيل عن مسيرة ديلا المهنية المثيرة للإعجاب في المجال السياسي وخارجه. من الطبيعي أن يكون محامو الصحف حذرين جدًّا حيال ما ينشرونه بشأن آل وين الآن، مع الاستمرار في تنفيذ الأمر القضائي. أنهى سترايك شطيرة الماك مافن التي طلبها بقضمتَين، وزجّ سيجارة غير مشتعلة في فمه وخرج من المطعم. أشعل سيجارته في الخارج على الرصيف، ثمّ ولج عبر هاتفه إلى صفحة مدوّن سياسي مشهور ومعروف بنشر الإشاعات المسيئة.

كُتبت الفقرة المختصرة قبل ساعات قليلة فقط.

«زوجَين مريبَين من وستمنستر معروفَين بولعهما بالموظفين الشباب ينفصلان أخيرًا. إنّه على وشك أن يفقد إمكانية الوصول إلى الشابّات الجذابات الطامحات إلى سيرة مهنية سياسية، بعد أن كان يلاحقهنّ فترة طويلة، لكنّها وجدت من الآن «مساعدًا» شابًّا وسيمًا لتخفيف آلام الانفصال».

بعد أقلّ من أربعين دقيقة، خرج سترايك من محطّة مترو بارونز كورت ليتّكئ على صندوق البريد العمودي أمام المدخل. شكّل سترايك صورة مميّزة على طراز «الفن الجديد»، أمام لافتة تحمل اسم المحطة بأحرف كبيرة خلفه، وأخرج هاتفه مجدّدًا واستمرّ في القراءة عن انفصال الزوجَين وين. تزوّجا قبل أكثر من ثلاثين عامًا. والزوجان الوحيدان اللذان كان يعرفهما واللذان دام زواجهما لهذه الفترة الطويلة هما العمّة والعمّ في كورنوال، اللذان كانا والدَين بديلَين له ولشقيقته عندما لم ترغب والدتهما برعايتهما أو لم تقدر على ذلك.

صدر صوت هدير مألوف وقعقعة جعل سترايك يرفع رأسه. كانت سيّارة لاند روفر قديمة أخذتها روبن من والدَيها تتّجه نحوه. فاجأ منظر رأس روبن الذهبي اللامع خلف عجلة القيادة سترايك المتعب والمكتئب قليلًا. وشعر بموجة من السعادة المفاجئة.

قالت روبن: «صباح الخير»، وفكّرت أنّ سترايك يبدو في حالة مروّعة عندما فتح الباب ورمى حقيبة ثياب داخل السيّارة. وصاحت: «اذهب إلى الجحيم!»، عندما ضرب السائق خلفها بوق سيارته، وزاد من توتّرها الوقت الذي احتاجه سترايك لركوب السيّارة.

– آسف... ساقي تسبّب لي المتاعب. ارتديت ملابسي على عجل.

– لا مشكلة – وأنت!

صرخت روبن في السائق الذي تجاوزها، مشيرًا إليها وملقيًا الشتائم.

أخيرًا جلس سترايك في مقعد الراكب، وصفق الباب وابتعدت روبن عن الرصيف.

سألها:

– هل عانيت مشكلة في الهروب؟

– ماذا تعن...

– الصحافي.

– أوه... كلّا... لقد رحل. استسلم.

تساءل سترايك عن المتاعب التي لا بدّ أن يكون ماثيو أثارها لتخلّي روبن عن عطلتها يوم السبت من أجل العمل.

وسألها:

– هل سمعتِ عن الزوجَين وين؟

– كلّا، ماذا جرى؟

– انفصلا.

– لا!

– بلى، الخبر في كلّ الصحف. اسمعي...

قرأ بصوت عالٍ المقالة القصيرة على الموقع السياسي.

قالت روبن بهدوء:

– يا إلهي.

– تلقيت مكالمتَين مثيرتَين للاهتمام الليلة الماضية. قال سترايك، بينما كانا يسرعان نحو الطريق السريع م4.

– ممّن؟

– أحدهما من إيزي والآخر من باركلي. وأكمل: حصلت إيزي على رسالة من غيرينت أمس.

– حقًّا؟

– أجل. أرسلها إلى تشيزيل هاوس قبل أيّام قليلة، لا إلى شقتها في لندن، لذلك لم تفتحها إلّا عندما عادت إلى وولستون. طلبت منها أن تصوّرها وترسلها إليّ بالبريد الإلكتروني. أتريدين أن تسمعيها؟

– أكمل...

– عزيزتي إيزابيلا...

قالت روبن بقشعريرة خفيفة:

– آه.

قرأ سترايك:

«آمل أنّك ستتفهّمين أنّنا أنا وديلا لم نشعر بأنّ من المناسب الاتّصال بك في أعقاب وفاة والدك مباشرة. ونحن نفعل ذلك الآن بدافع الودّ والحنان.»

– إن كنت بحاجة للإشارة إلى ذلك...

«ربّما كانت لدينا أنا وديلا خلافات سياسية وشخصية مع جاسبر، لكنّني آمل ألّا ننسى أبدًا أنّه كان رجل عائلة، ونحن ندرك أنّ خسارتك الشخصية كبيرة للغاية. أدرتِ مكتبه بلطف وكفاءة وسيكون ممرّنا الصغير أكثر فقرًا في غيابك».

قالت روبن:

– حتى إنّه كان يمتنع عن إلقاء التحيّة على إيزي!

وردّ سترايك:

– هذا بالضبط ما قالته إيزي على الهاتف ليلة أمس. مهلًا، سيذكرك أنت أيضًا.

«لا أصدّق أنّ لك أيّ علاقة بالأعمال التي تكاد تكون غير قانونية وقامت بها الشابّة التي تطلق على نفسها اسم «فينيسيا». نشعر بأنّ من العدل أن نبلغك بأنّنا نحقّق حاليًا في احتمالية أن تكون وصلت إلى بيانات سرّية حين دخلت مكتبنا بدون دعوة في مناسبات عدّة».

قالت روبن:

– لم أنظر أبدًا إلى أيّ شيء باستثناء وصلة الكهرباء، ولم أدخل المكتب في «مناسبات عدّة»، بل ثلاث مرّات، أي «عدد قليل» على الأكثر.

«كما تعلمين، لقد طالت مأساة الانتحار عائلتنا أيضًا. نعلم أنّ هذه الفترة ستكون عصيبة ومؤلمة للغاية لك. يبدو أنّ مصير عائلتَينا الالتقاء في أحلك الساعات.

نرسل لك أطيب تمنّياتنا، وأنتم دائمًا في ذهننا، إلخ، إلخ».

أغلق سترايك الرسالة على هاتفه.

قالت روبن:

– هذا ليس خطاب تعزية.

– كلّا، إنّه تهديد. إذا تحدّثت عائلة تشيزيل عن أيّ شيء اكتشفته عن غيرينت أو المؤسّسة الخيرية، فسوف يلاحقهم بعنف ويستخدمك أنت من أجل ذلك.

استدارت على الطريق السريع.

– متى قلت إنّ تلك الرسالة قد أرسلت؟

قال سترايك وهو يتفقّد هاتفه:

– قبل خمسة أو ستة أيّام.

– لا يبدو عليه أنّه كان يعلم أنّ زواجه قد انتهى، أليس كذلك؟ «ممرّنا سيكون أكثر فقرًا في غيابك». سيفقد وظيفته إذا انفصل عن ديلا، أليس كذلك؟

وافقها سترايك:

– أعتقد ذلك. ما مدى وسامة أمير مالك؟

سألت روبن مذهولة:

– ماذا؟ أوه... المساعد الشابّ؟ في الواقع يبدو وسيمًا، لكنّه ليس بعارض أزياء.

– لا بدّ أن يكون هو. كم شابًا آخر تمسك يده وتناديه يا حبيبي؟

قالت روبن:

– لا أستطيع أن أتخيّل أنّه عشيقها.

وكرّر سترايك:

– «رجل له عاداتك...» من المؤسف أنّك لا تستطيعين أن تتذكّري رقم تلك القصيدة.

– هل من قصيدة عن ممارسة الجنس مع امرأة متقدّمة في السنّ؟

– الأكثر شهرة منها تعالج هذا الموضوع بالذات. كان كاتولوس مغرمًا بامرأة أكبر منه سنًّا.

– أمير ليس مغرمًا بها. لقد سمعت الشريط.

– لم يبدُ مغرمًا، أوافقك الرأي. ولا مانع لديّ في معرفة أسباب الأصوات التي يصدرها في الليل. تلك التي يشتكي منها الجيران.

كانت ساقه تنبض من الألم. مدّ يده ليشعر بالصلة بين الطرف الاصطناعي وساقه، وهو يعلم أنّ جزءًا من المشكلة هو أنّه وضع الطرف الاصطناعي على عجل، في الظلام.

– هل تمانعين إذا عدّلت...؟

– تفضّل...

رفع سترايك بنطلونه وشرع في إزالة الطرف الاصطناعي. منذ أن أُجبر على عدم وضعه لمدّة أسبوعين، أظهر الجلد في نهاية ساقه ميلًا إلى التحسّس من أيّ احتكاك جديد. أخذ أنبوب الكريم (إي45) من حقيبته، ووضع كمّية لا بأس بها منه على الجلد المحمرّ.

قال وكأنّه يعتذر:

– كان عليّ أن أفعل هذا في وقت سابق.

استنتجت روبن من وجود حقيبة سترايك أنّه أتى من منزل لوريلاي، ووجدت نفسها تتساءل عمّا إن كان أكثر انشغالًا بالمتعة من القلق بشأن ساقه. أمّا هي وماثيو فلم يمارسا الجنس منذ عطلة نهاية أسبوع الذكرى السنوية لزواجهما.

قال سترايك:

– سأتركها لبعض الوقت. ورفع كلًّا من الطرف الاصطناعي والحقيبة إلى الجزء الخلفي من سيّارة اللاند روفر، التي رأى أنّها فارغة بخلاف قارورة ترتان وكوبَين بلاستيكيَّين. وخاب ظنّه. لطالما كانت هناك حقيبة محمولة مليئة بالطعام في المناسبات السابقة التي خرج فيها من لندن بالسيّارة.

– لا بسكويت؟

– ظننت أنّك تحاول إنقاص وزنك؟

–ما يؤكل في رحلة بالسيّارة لا يُحتَسب، أيّ اختصاصي تغذية قدير سيخبرك بذلك.

ابتسمت روبن.

– السعرات الحرارية أمر تافه: حمية كورموران سترايك. الإضراب عن الطعام: رحلات السيّارة التي جعت خلالها.

– كان عليك أن تتناول الفطور. وانزعجت لأنّها تساءلت للمرّة الثانية عمّا إن كان مشغولًا بأمر آخر آنذاك.

– تناولت الفطور. والآن أريد البسكويت.

– يمكننا التوقف في مكان ما إن كنت جائعًا، وقتنا يتّسع لذلك.

بينما أسرعت روبن بسلاسة لتجاوز سيّارتَين تسيران ببطء شديد، كان سترايك واعيًا لشعوره بالراحة التي لا يمكن أن تُعزى بالكامل إلى إزالة طرفه الاصطناعي، ولا حتى إلى الهروب من شقة لوريلاي ذات الديكور الرخيص وصاحبتها مفطورة القلب. إنّ إزالته لساقه الاصطناعية أثناء قيادة روبن، وعدم جلوسه مشنّج العضلات أمر غير عادي أبدًا. فهو عادة ما يضطرّ إلى الاجتهاد للتغلّب على القلق الذي يشعر به عندما يقود شخص آخر السيّارة ليس بسبب الانفجار الذي أطاح ساقه فحسب، بل كان لديه كره خاصّ وعميق تجاه قيادة النساء وهو تحيّز نسبه إلى تجارب مبكرة ومدمّرة للأعصاب مع جميع قريباته الإناث. مع ذلك، لم يكن تقديره لمهارتها هو الذي سبّب الفرح الكبير المفاجئ الذي شعر به عندما رآها تتّجه نحوه هذا الصباح. فيما كان سترايك يراقب الطريق، أحسّ بانتعاش حاد في الذاكرة سبّب له لذةً وألمًا في آن واحد. بدا كأنّ أنفه امتلأ مجدّدًا بعطر الورود البيضاء، حين كان يمسكها على الدرج في حفل زفافها وشعر بشفتيها عندما قبّلته في موقف سيّارات المستشفى الرطب والساخن. سألت روبن:

– هلّا أعطيتني نظارتي الشمسية؟ إنّها في حقيبتي.

سلّمها إيّاها.

– هل تريدين الشاي؟

– سأنتظر، اشرب أنت.

مدّ يده إلى الخلف بحثًا عن الترموس وسكب لنفسه ملء الكوب البلاستيكي. كان الشاي تمامًا كما يحبّه.

وقال لها:

– سألت إيزي عن وصيّة تشيزيل الليلة الماضية.

– هل ترك الكثير؟

وتذكّرت المنزل المتهالك في شارع إيبيري.

– أقلّ بكثير ممّا تتوقعين. وأخذ دفتر الملاحظات الذي دوّن فيه كلّ ما قالته له إيزي.وأضاف: كان أوليفر محقًا. إنّ عائلة تشيزيل مفلسة، نسبيًا بالطبع.

يبدو أنّ والد تشيزيل أنفق معظم ثروته على النساء والخيول. كان طلاق تشيزيل من السيدة باتريشا موجعًا للغاية. كانت عائلتها ثريّة تستطيع تحمّل تكاليف محامين أفضل. إيزي وشقيقتها لا ينقصهما المال بفضل عائلة والدتهما. وكان هناك صندوق استئماني، ما يفسّر شقة إيزي الأنيقة في تشيلسي.

حصلت والدة رافاييل على نفقة كبيرة يبدو أنّها أفرغت جيوب تشيزيل. بعد ذلك، ضاع القليل الذي بقي لديه في بعض الأسهم غير الآمنة التي نصح بها صهره في البورصة. «توركس» مستاء حيال ذلك، على ما يبدو. تفضّل إيزي ألّا نذكر الأمر اليوم. قضى انهيار عام 2008 على تشيزيل تقريبًا.

قام ببعض التدابير حتى لا يدفع ورثته ضرائب التركة. بعد وقت قصير من فقدانه القسم الأكبر من أمواله، حوّل بعض الموروثات العائلية القيّمة وتشيزيل هاوس إلى الحفيد الأكبر سنًا...

قالت روبن:

– برينغل...

– ماذا؟

– برينغل. هذا ما يسمّون الحفيد الأكبر. أوضحت روبن أنّ لفيزي ثلاثة أولاد، كانت إيزي تتكلّم عنهم دائمًا: برينغل وفلوبسي وبونغ.

فقال سترايك هامسًا:

– يا للهول! وكأنّنا سنجري مقابلة مع التيليتابيز.

ضحكت روبن.

– ... غير ذلك، يبدو أنّ تشيزيل كان يأمل أن يتمكّن من تصحيح وضعه المالي ببيع الأراضي المحيطة بتشيزيل هاوس والأشياء التي لا قيمة عاطفية كبيرة لها. كما أعاد رهن المنزل الواقع في شارع إيبوري.

سألت روبن:

– إذًا، فإنّ كينفارا وجميع خيولها تسكن في منزل حفيد زوجها وهي تغيّر الترس لتتمكن من تجاوز شاحنة.

– أجل، ترك تشيزيل رسالة رغبات مع وصيّته، يطلب فيها أن تحصل كينفارا على الحقّ في البقاء في المنزل مدى الحياة، أو حتى تتزوّج مجدّدًا. كم عمر برينغل؟

– حوالي العاشرة، على ما أظنّ.

– سيكون من المثير للاهتمام معرفة ما إن كانت العائلة ستحترم طلب تشيزيل نظرًا إلى أنّ أحدهم يعتقد أنّ كينفارا قتلته. لا أحد يعرف ما إن كانت كينفارا تملك ما يكفي من المال لتنفق على المكان، استنادًا إلى ما قالته لي إيزي الليلة الماضية. ترك لكلّ من إيزي وشقيقتها خمسين ألفًا، وسيحصل كلّ من الأحفاد على عشرة آلاف، وبالكاد يوجد ما يكفي من النقود لتنفيذ هذه الوصيّة. هذا يترك لكينفارا ما بقي من المنزل في شارع إيبوري بعد بيعه وجميع الأغراض الشخصية الأخرى، باستثناء الأشياء الثمينة التي وُضعت من قبل باسم الحفيد. في الأساس، ترك لها الأشياء غير المرغوب فيها التي لا تستحق البيع والهدايا الشخصية التي قدّمها لها أثناء الزواج.

– ولا يحصل رافاييل على شيء؟

– لن أشعر بالأسف الشديد تجاهه. وفقًا لإيزي، والدته الفاتنة امتهنت فنّ تجريد الرجال الأثرياء من ثرواتهم. سوف يرث منها شقة في تشيلسي.

قال سترايك:

– لذلك عمومًا، من الصعب القول إنّ تشيزيل قُتل من أجل ثروته. ما اسم الأخت الأخرى؟! لن أناديها فيزي.

قالت روبن مستمتعة بالموقف:

– صوفيا.

– حسنًا، يمكننا استبعادها. لقد تحقّقت من أنّها كانت تأخذ درسًا في ركوب الخيل لذوي الاحتياجات الخاصّة في نورثمبرلاند صباح يوم وفاته. لم يكن لرافاييل ما يكسبه من وفاة والده، وتعتقد إيزي أنّه يعرف ذلك، على الرغم من أنّنا سنحتاج إلى التحقق من الأمر. قالت إيزي إنّها «أسرفت في الشرب» في لانكستر هاوس وشعرت بالتعب في اليوم التالي. يمكن لجارتها أن تشهد أنّها كانت تتناول الشاي في الفناء المشترك خلف شقتهما وقت الوفاة. لقد أخبرتني ذلك بشكل طبيعي الليلة الماضية.

قالت روبن:

– بقيت كينفارا.

– صحيح. إن لم يخبرها تشيزيل بأنّه اتّصل بمحقّق خاصّ، فربّما أخفى عنها أيضًا الأوضاع العائلية المالية أيضًا. من المحتمل أنّها اعتقدت أنّها ستحصل على أكثر ممّا حصلت عليه، لكن...

– لديها أفضل حجّة غياب بين أفراد العائلة.

قاطعها سترايك:

– تمامًا...

كانا قد تركا الآن وراءهما الشجيرات والأجمات المقلّمة بطريقة ممتازة وقد اصطفّت على جانبَي الطريق السريع في ويندسور ومايدنهيد. وباتت أشجار قديمة حقيقية تصطفّ يمينًا ويسارًا الآن، وقد شهدت على قطع رفيقاتها عند شق تلك الطريق.

استمرّ سترايك في تقليب بضع صفحات في دفتر ملاحظاته:

– كانت مكالمة باركلي مثيرة للاهتمام. كان نايت في مزاج سيّئ منذ وفاة تشيزيل، على الرغم من أنّه لم يخبر باركلي بالسبب. ليلة الأربعاء، أغضب فليك، على ما يبدو، عندما قال لها إنّه يوافق زميلتها السابقة في السكن الرأي على أنّ فليك لها غرائز برجوازية؛ أتمانعين أن أدخّن؟ سأفتح النافذة.

كان النسيم باردًا إلى حدّ أنّه جعل عينيه المتعبتين تدمعان. وتابع، حاملًا سيجارته المحترقة خارج السيّارة بين نفس ونفس:

– غضبت فليك كثيرًا، وقالت إنّها كانت تقوم «بهذا العمل اللعين من أجله» ثمّ قالت إنّ الذنب لم يكن ذنبها إن لم يحصلا على أربعين ألفًا، ما جعل جيمي يفور من غضبه وفقًا لباركلي. رحلت فليك بسرعة، وصباح يوم الخميس، أرسل جيمي رسالة نصّية إلى باركلي يخبره فيها أنّه سيعود إلى حيث نشأ، لزيارة شقيقه.

سألت روبن مذهولة:

– بيلي في وولستون؟ وأدركت أنّها أصبحت تفكّر في شقيق نايت الأصغر كشخص أسطوري تقريبًا.

– ربّما كانت حجّة واهية يستعملها جيمي. من يعرف إلى أين هو ذاهب في الحقيقة... على أيّ حال، ظهر جيمي وفليك الليلة الماضية في الحانة، وهما يبتسمان. قال باركلي إنّ من الواضح أنّهما تصالحا على الهاتف وفي اليومين اللذين تغيّب فيهما، تمكّنت من العثور على وظيفة جيدة غير برجوازية.

– لا بأس.

– ما رأيك في العمل في المتجر؟

– لقد قمت بذلك قليلًا في سنّ المراهقة. لماذا؟

– حصلت فليك على عمل بدوام جزئي في محلّ مجوهرات في كامدن. أخبرت باركلي أنّ المتجر تديره امرأة مجنونة من الويكا. إنّها تدفع الحدّ الأدنى للأجور وتبدو مجنونة بالفعل، لذا هناك صعوبة في العثور على موظّف آخر.

– ألا تعتقد أنّهم قد يعرفونني؟

– لم يرَك الأخوان نايت وجهًا لوجه. ربّما إذا أجريت تغييرًا جذريًا لشعرك، ووضعت العدسات اللاصقة الملوّنة مجددًا... قال وهو يسحب نفسًا من سيجارته، ثم أكمل: أشعر بأنّ فليك تخفي الكثير. كيف عرفت ما هي جريمة تشيزيل ليبتزّاه؟ هي التي أخبرت جيمي بالأمر، لا تنسي، هذا أمر غريب.

قالت روبن:

– مهلًا... ماذا؟

– نعم، قالت ذلك عندما كنت أتبعهما في المسيرة. ألم أخبرك بالأمر؟

– كلّا.

تذكّر سترايك أنّها عندما قالت ذلك، كان قد قضى أسبوعًا بعد المسيرة عند لوريلاي رافعًا ساقه، وكان لا يزال غاضبًا جدًا من روبن لرفضها العمل لدرجة أنّه بالكاد تحدّث معها. ثمّ التقيا في المستشفى، وكان أكثر تشتتًا وقلقًا من أن ينقل المعلومات بطريقته المنهجية المعتادة.

فقال:

– أنا آسف. كان ذلك في الأسبوع بعد...

قالت مقاطعة:

– أجل. فضّلت هي أيضًا عدم التفكير في عطلة نهاية أسبوع التي حصلت فيها المسيرة. ماذا قالت بالتحديد؟

– إنّه لولاها لما علم بما فعله تشيزيل.

– هذا أمر غريب، لأنّه هو من نشأ بالقرب منهم مباشرة.

ذكّرها سترايك:

– لكنّ موضوع الابتزاز أمر حدث قبل ست سنوات فقط، بعد أن غادر جيمي المنزل. في رأيي، جيمي باقٍ مع فليك لأنّها تعرف الكثير. ربّما يخشى أن يضع حدًّا لعلاقته معها فتفضحه. إن لم تستطيعي الحصول على أيّ شيء مفيد منها، يمكنك التظاهر بأنّ بيع الأقراط لم يناسبك وترحلي، لكن نظرًا إلى حالة علاقتهما، أعتقد أنّ فليك قد تسرّ بأن تجد شخصًا ودودًا تخبره مآسيها.

ثمّ قال وهو يلقي طرف سيجارته من النافذة ويرفع الزجاج:

– لا تنسَي، إنّها أيضًا حجّة غياب جيمي في ساعة الوفاة.

تحمّست روبن لاحتمال عودتها إلى العمل متخفّية وقالت:

– لم أنسَ.

تساءلت ما سيكون ردّ فعل ماثيو إذا حلقت جانبي رأسها، أو صبغت شعرها باللون الأزرق. لم يبدِ الكثير من الاستياء من قضائها يوم السبت مع سترايك. وبدا لها أنّ أيّامها الطويلة في الإقامة الجبرية الفعلية في المنزل، وتعاطفها معه في خلافه مع توم، جعلاه يرضى عنها.

بُعيد العاشرة والنصف، غادرا الطريق السريع وسلكا طريقًا ريفيًا يتّجه إلى أسفل الوادي حيث قبعت قرية وولستون الصغيرة. توقفت روبن بجوار سياج مليء بأزهار الياسمين البرّي، حتى يتمكّن سترايك من إعادة تركيب ساقه الاصطناعية. أعادت روبن نظّارتها الشمسية إلى حقيبة يدها، ولاحظت رسالتَين نصّيتَين من ماثيو. وصلت الرسالتان قبل ساعتَين، لكن لا بدّ أنّ صوت سيّارة اللاند روفر على الطريق كان قد حجب تنبيه جوّالها.

ورد في الرسالة الأولى:

طوال اليوم. ماذا عن توم؟

وفي الرسالة الثانية، التي أرسلت بعد عشر دقائق:

تجاهلي الرسالة السابقة، قصدت أن أرسلها إلى المكتب.

كانت روبن تعيد قراءتهما عندما قال سترايك: «اللعنة!».

كان قد أعاد تركيب طرفه الاصطناعي، ويحدّق عبر نافذته في شيء لم تستطع هي رؤيته.

– ماذا؟

– انظري إلى هناك.

أشار سترايك إلى أعلى التلّ الذي نزلا منه لتوّهما. خفضت روبن رأسها حتى تتمكّن من رؤية ما لفت انتباهه.

برزت صورة كبيرة من الطبشور الأبيض كنقش بارز يعود إلى عصور ما قبل التاريخ على سفح التلّ. وبدا لروبن أنّه يشبه نمرًا، لكنّها أدركت ما كان من المفترض أن يكون قبل أن يقول سترايك:

– «فوق، قرب الحصان. خنق الطفلة فوق، قرب الحصان».

42

في الأسرة لا بدّ من وجود أمر غير متوقَّع...

هنريك إبسن، روسميرشولم

أشارت لوحة خشبية متقشّرة إلى المنعطف نحو تشيزيل هاوس. الطريق، الذي نمت عليه الأشواك وامتلأ بالحفر، تحدّه عن اليسار رقعة كثيفة من الغابات وعن اليمين حقل طويل فُصل إلى مراعٍ بواسطة سياج كهربائي، واحتوى عددًا من الخيول. بينما اندفعت سيّارة اللاند روفر نحو المنزل البعيد عن الأنظار، انطلق حصانان كبيران خوفًا من السيّارة الصاخبة وغير المألوفة. ثمّ تفاعل معهما باقي الأحصنة بالتسلسل، وبدأ معظمها بالركض أيضًا، وأخذ الحصانان الكبيران يركل أحدهما الآخر أثناء الركض.

قالت روبن وهي تراقب الحصانَين فيما تمايلت اللاند روفر على الأرض غير المستوية:

– واو، وضعت فحلَين معًا.

– هذا أمر سيّئ، أليس كذلك؟

فيما هاجم أحد الحصانَين، وهو مخلوق مشعر أسود اللون بأسنانه ورجليه الخلفيتين، حيوانًا بحجمه، كان سترايك سيصفه بأنّه بنّي، على الرغم من أنّه يعلم أنّ لونه له بدون شكّ اسم خاصّ في عالم الخيول.

قالت روبن:

– لا يتمّ ذلك عادة. وكشّرت عندما رأت رجلي الفحل الأسود تضربان جانب رفيقه.

انعطفا عند الزاوية ورأيا منزلًا بسيطًا على الطراز الكلاسيكي الجديد من الحجر الأصفر المتسخ. احتوت ساحته الأمامية المكسوّة بالحصى، على غرار الطريق الذي يؤدّي إليها، على حفر كثيرة وأعشاب طويلة. كانت نوافذ المنزل متّسخة فيما استقرّ حوض كبير من علف الخيول بشكل غير مناسب بجانب الباب الرئيسي. وتوقفت ثلاث سيّارات في الساحة: سيّارة أودي (كيو3) حمراء اللون، وسيّارة رينج روفر خضراء للسباق، وسيّارة غراند فيتارا قديمة وموحلة. جناح الإسطبلات كان إلى يمين المنزل وعلى الأرض المنبسطة إلى يساره حقل كريكت كبير استولت عليه زهور الأقحوان منذ فترة طويلة. أمّا وراءه، فقد امتدّت غابة أكثر كثافة.

بينما كانت روبن تدوس على الفرامل، خرج لابرادور أسود سمين وكلب ترير خشن الشعر ركضًا من الباب الرئيسي وهما ينبحان. بدا اللابرادور حريصًا على عقد الصداقات، لكن ترير النورفولك، الذي كان وجهه أشبه بالقرد الخبيث، ظلّ ينبح ويزمجر حتى ظهر عند المدخل رجل أشقر يرتدي قميصًا مخطّطًا وسروالًا من المخمل المضلّع بلون الخردل وصاح:

«اخرس يا راتنبيري!».

خاف الكلب واستبدل نباحه بزمجرة خافتة موجّهة إلى سترايك. دندن الرجل الأشقر: «توركويل ديمري» فيما كان يقترب من سترايك مادًّا يده. قبع تحت عينيه الزرقاوين الشاحبتَين هالتَين عميقتَين، وبدا وجهه الوردي اللامع وكأنّه لم يحتج يومًا إلى آلة حلاقة.

– تجاهلا الكلب، إنّه خبير بالتهديد.

– أنا كرموران سترايك. وهذه...

مدّت روبن يدها فإذا بكينفارا تخرج من المنزل، ترتدي بنطلونًا رياضيًا قديمًا وقميصًا باهتًا، وشعرها الأحمر الكثيف ينتشر في كلّ مكان.

وصرخت بسترايك وروبن:

– بحقّ السماء... ألا تعرفان أيّ شيء عن الخيول؟ لماذا سلكتما الطريق بهذه السرعة؟

وصرخ لها توركويل فيما كانت تنسحب:

– يجب أن تعتمري خوذة إن كنت ستذهبين إلى هناك، كينفارا!

وقال لسترايك وروبن وهو يقلب عينَيه بانزعاج:

– ليس الذنب ذنبكما. يجب أن تقودا السيّارة بسرعة على هذا الطريق وإلّا علقت في إحدى الحفر اللعينة، ها ها. ادخلا... آه، ها هي إيزي.

خرجت إيزي من المنزل مرتدية ثوبًا كحليًا على شكل قميص، وصليب الياقوت لا يزال يتدلّى من رقبتها. لدهشة روبن الطفيفة، احتضنت سترايك كما لو كان صديقًا قديمًا أتى لتعزيتها.

قال سترايك:

– مرحبًا إيزي، وتراجع نصف خطوة إلى الوراء لتخليص نفسه من العناق. تعرفين روبن بالطبع.

قالت إيزي وهي تبتسم وتقبّل روبن على وجنتيها:

– أوه، نعم، يجب أن أعتاد مناداتك «روبن» الآن. آسفة إن أخطأت وناديتك فينيسيا، ولا بدّ أنّني سأفعل فهذا ما اعتدته.

وسألت متابعة كلامها دون انقطاع:

– هل سمعتما عن الزوجَين وين؟

فهزّا رأسيَهما بالإيجاب.

قالت إيزي:

– رهيب، إنّه رجل رهيب، أنا سعيدة لأنّ ديلا تركته. على أيّ حال، ادخلا... وسألت زوج أختها: أين كينفارا؟ وهي تقودهما إلى المنزل الذي بدا كئيبًا مقارنة بأشعّة الشمس الساطعة في الخارج.

قال توركويل، بسبب تجدّد نباح ترير النورفولك:

– الخيول اللعينة انزعجت مجدّدًا. لا، ارحل يا راتينبيري، ستبقى في الخارج.

وصفق الباب الأمامي كي لا يدخل الترير، الذي بدأ يئنّ ويخدشه. مشى اللابرادور بهدوء في أعقاب إيزي وهي تقودهما عبر ممرّ قذر فيه درج حجري واسع، إلى غرفة الرسم على اليمين.

أطلّت النوافذ الطويلة على مرجة الكروكيت والغابة. عندما دخلوا، تسابق ثلاثة أطفال ذوو شعر أشقر فاتح جدًّا بين الأعشاب العالية في الخارج يطلقون صرخات صاخبة، ثمّ تواروا عن الأنظار. كانت ملابسهم وتصفيفة شعرهم قديمة الطراز وكأنّهم جاؤوا من أربعينيات القرن الماضي.

قالت إيزي باعتزاز:

– إنّهم أولاد توركويل وفيزي.

قال توركويل بفخر:

– هذا صحيح. زوجتي في الطابق العلوي، سأحضرها.

عندما ابتعدت روبن عن النافذة، شمّت نفحة رائحة قويّة أعطتها شعورًا بالتوتّر عجزت عن معرفة سببه، إلى أن رصدت إناءً من الزنابق الشرقية على طاولة خلف إحدى الأرائك، تطابق لونها مع الستائر الباهتة، التي كانت قرمزية ذات يوم ولونها الآن وردي شاحب، كما رصدت النسيج البالي على الجدران، حيث أظهرت بقعتان من اللون القرمزي الداكن مكان لوحتَين أزيلتا من مكانهما. كان كلّ شيء رثًّا وباليًا. عُلّقت إحدى اللوحات القليلة الباقية فوق رفّ الموقد، أظهرت فرسًا بيضاء مرقّطة باللون البنيّ في إسطبل، أنفها يلامس مهرًا أبيض ناصعًا ملتفًا على نفسه في كومة من القشّ.

وقف رافاييل تحت هذه اللوحة بهدوء شديد لدرجة أنّهما لم يلاحظاه على الفور. أدار ظهره إلى الشبكة الفارغة ووضع يديه في جيبَي بنطلونه الجينز، وبدا إيطاليًا أكثر من أيّ وقت مضى في هذه الغرفة ذات الطابع الإنكليزي المحض، مع وسائدها المزخرفة الباهتة، وكتب البستنة المكدّسة الواحد فوق الآخر على طاولة صغيرة ومصابيحها الصينية المتكسّرة.

قالت روبن:

– مرحبًا يا راف.

قال بدون أن يبتسم:

– مرحبًا روبن.

قالت إيزي:

– أقدّم لك كورموران سترايك يا راف.

لم يتحرّك رافاييل، فسار سترايك نحوه لمصافحته، فصافحه الأخير على مضض، وأعاد يده إلى بنطلونه الجينز بعد ذلك مباشرة. قالت إيزي التي بدت مشغولة إلى حدّ كبير بخبر انفصال الزوجَين وين:

– أنا وفيز كنّا نتحدّث عن وين. نتمنّى فقط أن يلتزم الصمت لأنّه الآن بغياب أبي يستطيع أن يقول ما يريده عنه بدون أن يحاسبه أحد، أليس كذلك؟

ذكّرها سترايك قائلًا:

– لديك معلومات تدين وين، إذا حاول ذلك.

فألقت عليه نظرة امتنان متوهّجة.

– أنت محق بالطبع، ما كنّا لنحصل عليها لولاك... ولولا فينيسيا...

وأضافت مصحّحة: أعني روبن.

سُمعت صرخة من خارج الغرفة: «توركس، أنا في الطابق السفلي!» ودخلت امرأة كانت شقيقة إيزي بدون شك، وهي تمشي إلى الخلف وتحمل صينية ملأى. كانت أكبر سنًا من إيزي، مسمرّة وكثيرة النمش، اختلط الشعر الأشقر بالرمادي على رأسها وارتدت قميصًا مخطّطًا شبيهًا بقميص زوجها، على الرغم من أنّها زادت عليه عقدًا من اللآلئ. صرخت: «توركس!» صرخة عالية جعلت روبن تقفز. «أنا هنا!».

وضعت الصينية مصدرة قعقعة على مسند للقدمين وُضع أمام راف والمدفأة.

– مرحبًا، أنا فيزي. أين ذهبت كينفارا؟

قالت إيزي، وهي تلفّ حول الأريكة لتجلس:

– تتظاهر بأنّها تعتني بالخيول. أفترض أنّه عذر حتى لا تكون هنا. اجلسا.

أخذ سترايك وروبن كرسيَّين مترهّلَين وُضعا جنبًا إلى جنب، في زاوية قائمة بالنسبة إلى الأريكة بدا أنّ النوابض الموجودة فيها قد تهالكت منذ عقود. شعرت روبن بعينَي رافاييل عليها.

قالت فيزي لسترايك، وهي تسكب الشاي للجميع:

– أخبرتني إيز أنك تعرف تشارلي كامبل.

فردّ عليها سترايك:

– هذا صحيح.

قال توركويل، الذي عاد لتوّه إلى الغرفة:

– رجل محظوظ.

لم يعطِ سترايك أيّ إشارة على أنّه سمع الملاحظة.

وتابعت فيزي:

– هل قابلت جونتي بيترز؟ صديق الكامبلز؟ كانت له علاقة بالشرطة... لا، يا بادجر، هذه ليست لك... توركس ما كان عمل جونتي بيترز؟

فأجاب توركويل بسرعة:

– كان قاضيًا.

فقالت فيزي:

– أجل، بالطبع، قاضٍ. هل قابلت جونتي يا كورموران؟

– لا، لم أقابله.

– كان متزوجًا بـ... ما اسمها، أجل الجميلة، أنابيل. فعلت الكثير من أجل مؤسّسة «إنقاذ الطفولة»، وحصلت على وسام رتبة الإمبراطورية البريطانية العام الماضي، بجدارة. لكن إن كنت تعرف الكامبلز، فلا بدّ من أنك قابلت روري مونكريف؟

قال سترايك بصبر:

– لا أظنّ ذلك، متسائلًا عمّا كانت ستقوله فيزي لو أخبرها أنّ عائلة كامبلز أبعدته عن أصدقائها وأعضاء عائلتها قدر الإمكان. في هذه الحال لربّما قالت: إذًا، لا بدّ أنك قابلت باسيل بلوملي؟ كانوا يكرهونه، أجل، فهو مدمن

على الكحول وعنيف، لكنّ زوجته تسلّقت جبل كليمنجارو من أجل «صندوق الرفق بالكلاب»...

أبعد توركويل اللابرادور السمين عن البسكويت فاندفع بعيدًا إلى الزاوية، حيث تمدّد ليأخذ قيلولة. جلست فيزي بين زوجها وإيزي على الأريكة.

قالت إيزي:

– لا أعرف ما إن كانت كينفارا تنوي العودة. فلنبدأ.

سأل سترايك عمّا إن كانت الأسرة سمعت المزيد عن التقدّم الذي أحرزته الشرطة في التحقيق. بعد صمت قصير، تردّدت خلاله صيحات الأطفال البعيدة عبر الأعشاب العالية، قالت إيزي:

– لا نعرف أكثر ممّا أخبرتك به من قبل، رغم أنّني أعتقد أنّنا جميعًا نعي... وسألت مناشدة أفراد الأسرة الآخرين: أليس كذلك؟... أنّ الشرطة تعتقد أنّه انتحار. من ناحية أخرى، من الواضح أنّهم يشعرون بأنّه يتعيّن عليهم إجراء تحقيق شامل...

قاطعها توركويل قائلًا:

– بسبب ما كان عليه يا إيز. وزير في المملكة، من الواضح أنّهم سوف ينظرون في الأمر بعمق أكبر ممّا سيفعلون مع رجل عادي من عامّة الشعب. وقال بنبرة وهو يعدّل جثّته الضخمة على الأريكة: يجب أن تعرف، يا كورموران؛ آسف أيّتها الفتاتان، لكنّني أعترف بأنّني شخصيًا، أعتقد أنه قتل نفسه.

وأكّد لسترايك:

– أفهم، بالطبع، أنّه أمر يصعب تحمّله، ولا تعتقد أنّني لست سعيدًا لأنّهما أحضراك إلى هنا. إن كان ذلك يريح الفتاتَين، فهذا أمر جيّد. لكن، آه، فريق الذكور في العائلة – إيه، راف؟ – يعتقد أنّ حماي شعر بأنّه لا يستطيع الاستمرار في العيش، هذا كلّ ما في الأمر. إنّها أمور تحدث. من الواضح أنّه لم يفكر بطريقة منطقية. وكرّر توركويل: إيه راف؟

لم يبدُ أنّ رافاييل استمتع بالأمر الضمني فتجاهل صهره وخاطب سترايك مباشرة:

– تصرّف والدي بغرابة في الأسبوعَين الأخيرَين. لم أفهم السبب في ذلك الوقت. لم يخبرني أحد أنّه كان يتعرّض للابتز...

قال توركويل بسرعة:

– لن ندخل في هذا الأمر. لقد اتّفقنا. إنّه قرار الأسرة.

قالت إيزي قلقة:

– كورموران، أعلم أنّك أردت أن تعرف سبب تعرّض أبي للابتزاز.

قال توركويل بحزم:

– لم يخالف جاسبر أيّ قانون، وانتهى الأمر. وقال لسترايك: أنا واثق من أنّك متحفّظ، لكنّ هذه الأمور تخرج إلى العلن، دائمًا. لا نريد أن تنقضّ علينا الصحافة مجدّدًا. وسأل زوجته: اتفقنا على هذا، أليس كذلك؟

قالت فيزي التي بدت فريسة أفكار متضاربة:

– أفترض ذلك. لا، بالطبع لا نريد أن ينتشر الأمر في جميع الصحف، لكنّ جيمي نايت كان له سبب وجيه ليرغب في أن يؤذي أبي، يا توركس، وأعتقد أنّ من المهم أن يعلم كورموران بذلك، على الأقلّ. أتعلم أنّه كان هنا، في وولستون، هذا الأسبوع؟

فقال توركويل:

– كلّا، لم أكن أعلم.

قالت فيزي:

– أجل، رأته السيّدة أنكيل. سألها إن رأت شقيقه.

قالت إيزي بغموض:

– بيلي الصغير المسكين. لم يكن على ما يرام. في الحقيقة لما كنتَ على ما يرام، لو ربّاك جاك أوكنت، أليس كذلك؟ وأخبرت سترايك وروبن: كان أبي يتنزّه مع الكلاب ذات ليلة منذ سنين، ورأى جاك يركل بيلي – يركله حرفيًا – وهو يركض في جميع أنحاء الحديقة. كان الصبيّ عاريًا. عندما رأى أبي، توقف جاك أوكنت بالطبع.

لم تخطر فكرة إبلاغ الشرطة أو وزارة الشؤون الاجتماعية عن هذا الحادث ببال إيزي أو والدها. وكأنّ جاك أوكنت وابنه مخلوقان برّيان في الغابة، يتصرّفان، للأسف، كما تتصرّف تلك الحيوانات بطبيعتها.

قال توركويل:

– أعتقد أنّه كلّما قلّ الحديث عن جاك أوكنت، كان ذلك أفضل. وتقولين إنّ جيمي كان لديه سبب ليتمنّى لوالدك الأذى، يا فيز، لكن ما كان يريده حقًّا هو المال، وقتل والدك بالتأكيد لم يكن...

قالت فيزي بحزم:

– كان غاضبًا من أبي. ربّما، عندما أدرك أنّ أبي لن يدفع المال، ثار غضبه. وقالت متوجّهة إلى سترايك: كان مرعبًا جدًّا عندما كان مراهقًا. انخرط في التيّار السياسي اليساري المتطرّف في وقت مبكر. واعتاد أن يتسكّع في الحانة المحلّية مع الأخوَين بوتشر، مخبرًا الجميع أنّه يجب شنق أعضاء حزب المحافظين وإغراقهم وتقطيعهم، محاولًا أن يبيع الناس مجلة «ذي سوشيل ووركر»...

ألقت فيزي نظرة جانبية على أختها الصغرى، التي تجاهلتها، بحسب تقدير سترايك.

قالت فيزي:

– كان يفتعل المشاكل، دائمًا. كانت الفتيات يحببنه، لكن...

فُتح باب غرفة الرسم، ولدهشة باقي أفراد العائلة دخلت كينفارا بسرعة محمرّة الوجه ومضطربة. وقف سترايك من كرسيّه المترهّل بصعوبة ومدّ لها يده.

– كرموران سترايك. كيف حالك؟

بدت كينفارا وكأنّها تودّ أن تتجاهل مبادرته الودّية، لكنّها صافحت اليد الممدودة رغمًا عنها. سحب توركويل كرسيًّا آخر بجانب مسند القدمين، وسكبت فيزي كوبًا إضافيًا من الشاي.

سأل توركويل بحرارة:

– هل الخيول بخير، يا كينفارا؟

قالت ملقية نظرة رديئة إلى روبن:

– اقتلع ميستيك جزءًا آخر من رومانو، لذلك اضطررت إلى الاتّصال بالطبيب البيطري مجدّدًا. إنّه ينزعج في كلّ مرّة يأتي أحدهم بالسيّارة بسرعة كبيرة على الطريق، لكنّه بخير تمامًا.

قالت فيزي:

– لا أعرف لماذا وضعت الفحلَين معًا يا كينفارا.

ردّت كينفارا بعنف قائلة:

– إنّها أسطورة أنّها لا تتّفق معًا. قطعان الفحول شائعة جدًا في البرّية. وأثبتت دراسة في سويسرا أنّها قادرة على التعايش بسلام بمجرّد قيامها بتأسيس التسلسل الهرمي في ما بينها.

كانت تتحدّث بنبرة جازمة، شبه متعصّبة.

قالت فيزي لكينفارا:

– كنّا نخبر كورموران عن جيمي نايت.

– ظننت أنّكم لا تريدون أن تكشفوا...؟

قال توركويل على عجل:

– ليس عن الابتزاز، بل عن كونه لطالما كان فتى مروّعًا منذ صغره.

قالت كينفارا:

– آه، فهمت.

قال سترايك وهو يراقبها بحثًا عن ردّ فعل:

– ابنة زوجك قلقة من أنّه قد تكون له علاقة بوفاة زوجك.

قالت كينفارا، بلامبالاة واضحة، وعيناها تتبعان رافاييل، الذي ابتعد للتوّ عن الجلسة لإحضار علبة المارلبورو بجانب مصباح طاولة:

– أعرف. لم أعرف جيمي نايت قطّ. رأيته للمرّة الأولى عندما ظهر في المنزل قبل عام للتحدّث إلى جاسبر. ستجد منفضة سجائر تحت تلك المجلة، يا رافاييل.

أشعل ابن زوجها سيجارته وعاد حاملًا المنفضة التي وضعها على طاولة بجانب روبن، قبل أن يستعيد مكانه أمام المدفأة الفارغة.

تابعت كينفارا:

– كانت هذه بداية الأمر. الابتزاز. لم يكن جاسبر موجودًا في تلك الليلة، لذلك تحدّث جيمي معي. غضب جاسبر كثيرًا عندما عاد إلى المنزل وأخبرته.

انتظر سترايك. واشتبه في أنّه لم يكن الوحيد في الغرفة الذي اعتقد أنّ كينفارا قد تكسر عهد العائلة بالتزام الصمت وتكشف عمّا قاله جيمي. لكنّها امتنعت عن ذلك، فسحب سترايك دفتر ملاحظاته.

– هل تمانعين إذا طرحت عليك بعض الأسئلة الروتينية؟ أشك في أنّه سيكون هناك أيّ شيء لم تسألك إيّاه الشرطة من قبل. بضع نقاط فقط أودّ توضيحها، إن كنتِ لا تمانعين. كم يبلغ عدد مفاتيح المنزل في شارع إيبوري؟

– ثلاثة أعرف بها أنا، قالت مشيرة إلى أنّ من الممكن أن يكون بقيّة أفراد الأسرة يخفون المفاتيح عنها.

سأل سترايك:

– ومع من كانت؟

– كان لجاسبر مفتاحه، ولديّ واحد، وكان هناك مفتاح إضافي أعطاه جاسبر لعاملة التنظيف.

– ما كان اسمها؟

– لا أعرف على الإطلاق. سرّحها جاسبر قبل أسبوعَين... من موته.

– لماذا سرّحها؟

– إن كان لا بدّ أن تعرف، تخلّصنا منها لأنّنا كنّا نريد توفير المال.

– هل جاءت من وكالة؟

– كلّا. كان جاسبر من الطراز القديم. وضع بطاقة في متجر محلّي وتقدّمت بطلب. أعتقد أنّها كانت رومانية أو بولندية أو شيئًا من هذا القبيل.

– هل لديك معلومات عنها؟

– كلّا. جاسبر هو من استخدمها ومن طردها. حتى إنّني لم ألتقِ بها قطّ.

– ماذا حدث لمفتاحها؟

– كان في دُرج المطبخ في شارع إيبوري، لكن بعد وفاته اكتشفنا أنّ جاسبر أخذه ووضعه في دُرج موصد في مكتبه. وقد أعادته لنا الوزارة مع جميع أمتعته الشخصية الأخرى.

قال سترايك:

– يبدو هذا غريبًا. أيعرف أحدكم لماذا فعل ذلك؟

لم يعطِ باقي أفراد الأسرة جوابًا، لكن كينفارا قالت:

– كان دائمًا حريصًا في الأمور التي تتعلّق بالأمن وكان مصابًا بجنون الارتياب في الفترة الأخيرة... إلّا عندما يتعلّق الأمر بالخيول بالطبع. جميع مفاتيح شارع إيبوري من نوع خاصّ. محظورة. يستحيل نسخها.

قال سترايك، مدوّنًا ملاحظة:

– يصعب نسخها، لكنّه ليس مستحيلًا، إن كنت تعرفين الأشخاص المناسبين. أين كان المفتاحان الآخران وقت الوفاة؟

– كان مفتاح جاسبر في جيب سترته ومفتاحي كان معي هنا، في حقيبتي.

قال سترايك منتقلًا إلى أمر آخر:

– عبوة الهيليوم. هل يعرف أحد متى تمّ شراؤها؟

واجه كلماته صمت مطبق.

سأل من جديد:

– هل أقيم حفل في أيّ وقت، ربّما لأحد الأطفال؟

قالت فيزي:

– أبدًا. كان منزل شارع إيبوري المكان الذي يستخدمه أبي للعمل. لم يقم إطلاقًا أيّ حفل هناك بحسب علمي.

سأل سترايك كينفارا:

– وأنت، يا سيّدة تشيزيل. أتتذكّرين أيّ مناسبة...؟

قاطعته قائلة:

– كلّا. قلت ذلك للشرطة من قبل، لا بدّ أنّ جاسبر اشتراها بنفسه، ما من تفسيرٍ آخر.

– هل عُثر على إيصال؟ أو فاتورة بطاقة ائتمان؟

فقال توركويل بدافع المساعدة:

– دفع نقدًا على الأرجح.

قال سترايك:

– هناك أمر آخر أودّ توضيحه، بشأن الاتّصالات الهاتفية التي أجراها الوزير صباح يوم وفاته. يبدو أنّه اتّصل بك يا سيّدة تشيزيل، ثمّ اتّصل بك يا رافاييل.

أومأ رافاييل برأسه. وقالت كينفارا:

– أراد أن يعرف ما إن كنت أعني ما قلته بشأن هجراني له وقلت نعم، إنّني أعني ما قلته. لم تطل المكالمة. كنت أجهل... كنت أجهل من كانت مساعدتك في الحقيقة. ظهرت فجأة وأجابني جاسبر بطريقة غريبة عندما سألته عنها وأنا... كنت مستاءة للغاية. ارتبت في الأمر.

سأل سترايك:

– هل فوجئت أنّ زوجك انتظر حتى الصباح للاتّصال بك بشأن الرسالة التي تركتها؟

– أخبرني أنّه لم يكتشفها عندما دخل.

– أين تركتها؟

– على منضدة سريره. لا بدّ أنّه كان ثملًا عندما رجع إلى المنزل. لقد كان... يشرب... الكحول بكثرة منذ أن بدأت عملية الابتزاز.

ظهر ترير النورفولك الذي حُجز خارج المنزل فجأة عند إحدى النوافذ الطويلة وبدأ ينبح عليهم مجدّدًا.

قال توركويل:

– الكلب اللعين.

وردّت كينفارا:

– إنّه يفتقد جاسبر. كان كلب جاسبر...

وقفت فجأة وابتعدت لتلتقط بعض المناديل من صندوق وُضع فوق كتب البستنة. بدا الجميع متضايقين. واستمرّ الكلب في النباح. استيقظ

اللابرادور النائم وأطلق صيحة عالية واحدة في المقابل، قبل أن يظهر أحد الأطفال الشقر مرّة أخرى على الحديقة وينادي ترير النورفولك ليلعب معه بالكرة، فابتعد مجدّدًا.

صاح توركويل:

– أحسنت يا برينفل!

بتوقف النباح، ملأت الغرفة تنهّدات كينفارا وأصوات اللابرادور الذي تمدّد ليعود إلى النوم. تبادلت إيزي وفيزي وتوركويل نظرات غريبة، بينما كان رافاييل ينظر أمامه. على الرغم من أنّ كينفارا لم ترق روبن، وجدت أنّ غياب أيّ ردّ فعل من العائلة دلالة على انعدام الإحساس.

سأل توركويل:

– من أين أتت تلك اللوحة؟ بلهجة تصطنع الاهتمام، وهو يحدّق في لوحة الحصانَين فوق رأس رافاييل. إنّها جديدة، أليس كذلك؟

قالت فيزي وهي تحدّق إليها:

– كانت إحدى لوحات تينكي. لقد أحضرت معها مجموعة من اللوحات غير القيّمة عن الخيول من إيرلندا.

سأل توركويل:

– أترون هذا المهر؟ محدّقًا بنظرة ناقدة في الصورة. هل تعرفون كيف يبدو؟ إنّها متلازمة البيضاء القاتلة. وسأل زوجته وأختها: هل سمعتما بها؟ لا بدّ أنّك تعرفين كلّ شيء عن ذلك، يا كينفارا، وبدا من الواضح لدى الجميع أنّه يقدّم لها طريقة للعودة إلى الحديث الخلوق.

– مهر أبيض ناصع، يبدو بصحّة جيّدة عند ولادته، ولكنّه يعاني خللًا في الأمعاء فلا يمكنه التبرّز. وأوضح لسترايك: كان أبي يربّي الخيول. لا يمكنها البقاء على قيد الحياة. المأساة هي أنّها تولد حيّة، لذلك ترضعها الفرس، وتتعلّق بها ثمّ...

قالت فيزي بتوتّر: «توركس»، لكنّ الأوان كان قد فات. فقد اندفعت كينفارا مسرعة من الغرفة وصفقت الباب خلفها.

قال توركويل متفاجئًا:

– ماذا؟ ماذا فعل...؟

همست فيزي:

– الطفل.

– يا للهول! نسيت تمامًا.

نهض، وشدّ سرواله القصير المخملي الخردلي، محرجًا وبطريقة دفاعية. وقال لمن في الغرفة:

– بربّكم. لم أتوقّع منها أن تأخذ الأمر على هذا النحو. حصانان في لوحة لعينة!

قالت فيزي:

– أنت تعرف ما هي عليه حيال أيّ شيء مرتبط بالولادة. ثمّ قالت لسترايك وروبن: آسفة. رُزقت طفلًا لم يعش. أتفهمان؟ إنّها حسّاسة للغاية حيال هذا الموضوع.

اقترب توركويل من اللوحة وأخذ يحدّق فوق رأس رافاييل إلى الكلمات المحفورة على لوحة صغيرة مثبتة في الإطار.

وقرأ «الفرس المفجوعة». فقال بلهجة انتصار:

– كنت محقًّا، أترون؟ المهر قد نفق بالفعل.

قال رافاييل بشكل غير متوقع:

– كينفارا تحبّها، لأنّ الفرس تذكّرها بليدي.

سأل توركويل:

– من؟

– الفرس التي أصيبت بالتهاب الصفيحة.

فسأل سترايك:

– ما هو التهاب الصفيحة؟

قالت له روبن:

– إنّه مرض في الحافر.

وسألت فيزي:

– أتركبين الخيل؟

– كنت أفعل.

قالت فيزي لسترايك:

– التهاب الصفيحة أمر خطير. يمكن أن يشلّ الحصان. ويتطلّب علاجه الكثير من الرعاية، وأحيانًا لا يمكن فعل أيّ شيء، لذا من اللطف...

قال رافاييل لسترايك:

– عالجت زوجة أبي تلك الفرس لأسابيع، وكانت تستيقظ في منتصف الليل وما إلى ذلك. لكن والدي انتظر...

قالت إيزي:

– راف، لا علاقة لهذا بأيّ شيء.

وتابع رافاييل بإصرار:

– ... انتظر حتى خرجت كينفارا ذات يوم، واستدعى الطبيب البيطري دون إخبارها وحقن الحصان.

قالت إيزي:

– كانت لايدي تتألم. أخبرني أبي بالحالة التي كانت عليها. كان من الأنانية أن تبقيها على قيد الحياة.

قال رافاييل، وعيناه على العشب خلف النوافذ:

– نعم، في الحقيقة لو خرجت وعدت لأجد جيفة حيوان أحببته، لربما أخذت أنا أيضًا أيّ أداة حادّة واستعملتها.

قالت إيزي:

– راف، أرجوك!

قال برضى مقيت:

– ... أنتِ من أراد هذا يا إيزي. أتعتقدين حقًا أنّ السيّد سترايك ومساعدته الفاتنة لن يجدا تيغان ويتحدّثا معها؟ سيعرفان قريبًا ما يمكن أن يفعله والدنا اللعين...

قالت فيزي بعنف:

– راف!

وقال توركويل:

– مهلًا يا صاح. وهي عبارة لم تفكّر روبن إطلاقًا أنّها ستسمعها خارج كتاب، وأكمل: كانت المسألة مزعجة جدًا، لكن ليست هناك حاجة لذلك.

تجاهل رافاييل الجميع وتوجّه إلى سترايك:

– أفترض أنّ سؤالك التالي سيكون، ماذا قال والدي لي أنا، عندما اتّصل بي ذلك الصباح؟

فردّ عليه سترايك:

– هذا صحيح

– أمرني بالمجيء هنا.

كرّر سترايك:

– هنا؟ إلى وولستون؟

– هنا، إلى هذا البيت. قال لي إنّه يعتقد أنّ كينفارا ستقوم بعمل غبيّ. بدا غامضًا، وغريبًا بعض الشيء. كما لو كان يعاني صداعًا من الكحول.

وسأل سترايك فيما استقرّ قلمه على دفتر ملاحظاته:

– ماذا فهمت من عبارة: عمل غبيّ؟

– في الحقيقة، لقد هدّدت بالانتحار من قبل، على ما أعتقد. أو ربّما خشي أن تحرق ما بقي لديه من أملاك. وأشار إلى الغرفة المتهالكة حولهم. كما ترى، ليس هذا بالكثير.

– هل أخبرك أنّها ستتركه؟

– كان لديّ انطباع بأنّ الأمور بينهما كانت سيّئة، لكنّني لا أتذكّر كلماته بالتحديد. ولم يكن كلامه متناسقًا.

– هل فعلت ما طلبه منك؟

– أجل. ركبت سيّارتي كالابن المطيع، وقدتها إلى هنا ووجدت كينفارا على قيد الحياة وبصحّة جيّدة في المطبخ، تستشيط غيظًا بسبب فينيسيا. ثمّ صحّح ما قاله: أعني روبن. أنا واثق أنّك فهمت أنّ كينفارا ظنّت أنّ أبي كان يمارس الجنس معها.

قالت فيزي وقد بدت مستاءة:

– راف!

قال توركويل:

– لا حاجة لهذا النوع من الكلام.

كان الجميع يتجنّب بعناية النظر إلى روبن. وعرفت أنّها احمرّت من الخجل.

سأل سترايك:

– يبدو الأمر غريبًا، أليس كذلك؟ أن يطلب منك والدك القدوم إلى أوكسفوردشاير، فيما كان هناك أشخاص أقرب بكثير، كان من الممكن أن يطلب إليهم السهر على زوجته؟ ألم أسمع أنّ شخصًا ما كان يقضي الليلة هنا؟

تكلّمت إيزي قبل أن يتمكّن رافاييل من الإجابة:

– كانت تيغان – فتاة الإسطبل – هنا في تلك الليلة لأنّ كينفارا لا تترك الخيول بدون جليس. ثمّ توقّعت سؤال سترايك التالي بشكل صحيح، فأكملت: أخشى أنّ أحدًا لا يملك أيّ تفاصيل عن كيفية الاتّصال بتيغان، لأنّ كينفارا تشاجرت معها مباشرة بعد وفاة أبي، فرحلت. لا أعرف أين تعمل الآن. ثمّ قالت وقد مالت إلى الأمام وخاطبت سترايك بجدّية: لا تنسَ، ربّما كانت تيغان نائمة نومًا عميقًا عندما ادّعت كينفارا أنّها عادت إلى هنا. المنزل كبير. كان من الممكن أن تدّعي أنّها عادت في أيّ وقت وربّما لم تدرك تيغان ذلك.

سأل رافاييل ساخطًا:

– لو كانت كينفارا معه في شارع إيبوري، فلماذا يطلب إليّ أن أوافيها هنا؟ وكيف تشرحين أنّها وصلت إلى هنا قبلي؟

بدت إيزي كأنّها ترغب في الردّ عليه ردًّا جيّدًا، لكنّها عجزت عن التفكير في ردّ. علم سترايك الآن لماذا قالت إيزي إنّ محتوى مكالمة تشيزيل الهاتفية مع ابنه «لا يهمّ»: لأنّ ذلك يبرّئ كينفارا من الاتّهام بقتل زوجها.

وسأل:

– ما شهرة تيغان؟

قالت إيزي:

– بوتشر.

– هل لها علاقة بالأخوَين بوتشر اللذين اعتاد جيمي نايت التسكّع معهما؟

خيّل لروبن أنّ الثلاثة الجالسين على الأريكة بدوا كأنّهم يتجنّبون النظر إلى بعضهم بعض. ثمّ أجابت فيزي:

– نعم، في واقع الأمر، ولكن...

قالت إيزي:

– أفترض أنّه يمكنني محاولة الاتّصال بالعائلة، ومعرفة ما إن كانوا سيعطونني رقم تيغان. نعم، سأفعل ذلك يا كورموران، وسأعلمك بما أجده.

عاد سترايك إلى رافاييل.

– إذًا، هل انطلقت فورًا بعد أن طلب منك والدك الذهاب إلى كينفارا؟

قال رافاييل:

– كلا، تناولت الفطور أولًا، واستحممت. لم أكن متحمّسًا لمقابلتها. لسنا متحابَّين. وصلت هنا حوالي الساعة التاسعة.

– كم بقيت من الوقت؟

قال رافاييل بهدوء:

– في النهاية، مكثت هنا ساعات. وصل شرطيان ليعلمانا بوفاة أبي. ولم أستطع الرحيل بعد ذلك، أليس كذلك؟ كانت كينفارا على وشك الانهيا...

فُتح الباب مجدّدًا ودخلت كينفارا، وعادت إلى كرسيّها ذي الظهر الصلب وقد استكان وجهها، وهي تمسك مناديل بيدها.

قالت:

– لديّ خمس دقائق فقط. اتّصل الطبيب البيطري للتوّ، إنّه في الجوار، سيأتي لمعاينة رومانو. لا أستطيع البقاء.

سألت روبن سترايك:

– هل يمكنني أن أسأل شيئًا؟ ثمّ قالت: أعلم أنّ الأمر قد لا يكون مهمًّا على الإطلاق، لكن كان هناك أنبوب أزرق صغير من حبوب العلاج التجانسي على الأرض بجانب الوزير عندما وجدته. ولا يبدو أنّ العلاج التّجانسيّ هو من النوع الذي قد يعتمده...

سألت كينفارا بحدّة:

– أيّ نوع من الحبوب؟

وفوجئت روبن فقالت:

– حبوب لاشيسيز...

– في أنبوب أزرق صغير؟

– أجل. هل كانت لك؟

– أجل.

سأل سترايك:

– وتركتها في شارع إيبوري؟

– كلّا، بل فقدتها منذ أسابيع... وقالت عابسة، وقد كان انزعاجها من نفسها أكثر من انزعاجها ممّن في الغرفة:

– لكنّي لم آخذها قطّ إلى هناك. اشتريتها في لندن، لأنّ الصيدلية في وولستون لا تبيع منها.

عبست، ومن الواضح أنّها كانت تستعيد تسلسل الأحداث في ذهنها.

– أتذكّر أنّني تذوّقت حبّتين منها خارج متجر الكيميائي، لأنّني أردت أن أعرف هل سيلاحظها في طعامه أم لا.

سألت روبن غير متأكّدة من أنّها سمعت بشكل صحيح:

– المعذرة، ماذا قلت؟

قالت كينفارا:

– طعام ميستيك. كنت سأعطيها لميستيك.

فقال توركويل:

– كنت ستعطين أقراص العلاج التجانسي لحصان؟ داعيًا الجميع للاتّفاق على أنّه أمر مضحك.

قالت كينفارا بغموض:

– وجد جاسبر الفكرة سخيفة هو أيضًا. وهي ما زالت غارقة في استعادتها لذكرياتها. أجل، فتحتها مباشرة بعدما دفعت ثمنها، وأخذت

حبّتَين، وقلّدت حركتها، ووضعت الأنبوب في جيب سترتي، لكن عندما وصلت إلى المنزل، لم أجدها في جيبي. ظننت أنّني أوقعتها بطريقة ما...

ثمّ شهقت شهقة صغيرة واحمرّت. وبدت كأنّها احتارت لأمر خاصّ أدركته في قرارة نفسها. ثمّ أدركت أنّ الجميع ما زالوا يراقبونها، فقالت:

– عدت إلى المنزل من لندن مع جاسبر في ذلك اليوم. التقينا في المحطّة، واستقلّينا القطار معًا... لقد أخرجها من جيبي! لقد سرقها، حتى لا أتمكّن من إعطائها لميستيك!

ضحكت فيزي ضحكة قصيرة وقالت:

– كينفارا، لا تكوني سخيفة إلى هذا الحدّ!

أطفأ رافاييل سيجارته فجأة في المنفضة الصينية القريبة من مرفق روبن. بدا كأنّه يمتنع بصعوبة عن التعليق.

وسألت روبن كينفارا:

– هل اشتريت المزيد منها؟

قالت كينفارا، التي بدت شبه مشوّشة بسبب الصدمة:

– نعم، (إلّا أنّ روبن اعتقدت أنّ استنتاجها بشأن ما حدث لأقراصها غريب جدًا)، وأكمت كينفارا: لكنّها كانت في قارورة أخرى، ذاك الأنبوب الأزرق هو الذي اشتريته أولًا.

استفسر توركويل من الجالسين في الغرفة عمومًا:

– أليس للعلاج التجانسيّ مجرّد تأثير وهمي؟ كيف يمكن لحصان...؟

تمتمت فيزي صارّة أسنانها:

– توركس، اصمت.

سأل سترايك بفضول:

– لماذا يسرق منك زوجك أنبوب أقراص الدواء؟ يبدو...

وأكمل رافاييل:

– ... حاقدًا بلا هدف؟ وقد طوى ذراعيه تحت صورة المهر النافق. ربّما لأنّه مقتنع جدًا بأنّه محق، والشخص الآخر مخطئ، فلا بأس من منعه من فعل شيء غير ضارّ؟

قالت إيزي في الحال:

– راف، أعلم أنّك مستاء.

قال رافاييل:

– لست مستاءً يا إيز. إنّه لأمر مريح للغاية، حقًّا، أن أستذكر جميع لأعمال القذرة التي قام بها أبي عندما كان على قيد الحياة...

قال توركويل:

– هذا يكفي يا فتى!

قال رافاييل وهو يخرج سيجارة أخرى من علبته:

– لا تدعُني «يا فتى». أفهمت؟ لا تدعني «يا فتى».

قال توركويل لسترايك بصوت عالٍ:

– عليك أن تسامح راف، إنّه منزعج من والد زوجتي بسبب الوصيّة.

– أعلم منذ وقت طويل أنّه لم يذكرني في الوصيّة! قاطعه رافاييل مشيرًا إلى كينفارا. هي من دبّرت ذلك!

قالت كينفارا وقد أصبح وجهها قرمزيًا الآن:

– لم يكن والدك بحاجة إلى أن أقنعه، صدّقني! على أيّ حال، لديك الكثير من المال، والدتك تفسدك دلالًا. التفتت إلى روبن: تركت والدته جاسبر من أجل تاجر ألماس، بعدما أخذت من جاسبر كلّ ما استطاعت أن تأخذه.

سأل سترايك بصوت عالٍ قبل أن يتحدّث رافاييل الذي بدا بوضوح أنّه يستشيط غيظًا:

– هل يمكنني طرح سؤالَين آخرَين؟

قالت كينفارا:

– سيكون الطبيب البيطري هنا من أجل رومانو بعد دقيقة. يجب أن أرجع إلى الإسطبل.

أكد لها سترايك:

– سؤالان فقط وأنهي. هل أضعت أيّ حبوب من الأميتريبتيلين؟ أعتقد أنّها وُصفت لك، أليس كذلك؟

– سألتني الشرطة ذلك، ثمّ قالت بغموض مزعج: ربّما فقدت بعضًا منها، لكن لا يمكنني أن أجزم بذلك. ظننت أنّني أضعت علبة، ثمّ وجدتها مجدّدًا ولم يكن فيها عدد الحبوب الذي توقعته، وأعلم أنّني قصدت أن أترك علبة في شارع إيبوري ستريت إذا ما نسيتها يومًا عندما آتي من لندن، ولكن عندما سألتني الشرطة، لم أستطع أن أتذكّر ما إن كنت فعلت ذلك بالفعل أم لا.

– لذا لا يمكنك أن تجزمي أنّك فقدت بعض الحبوب؟

– لا. ربّما سرق جاسبر بعضًا منها، لكن لا يمكنني أن أجزم بذلك.

وسأل سترايك:

– هل رأيت المزيد من الدخلاء في حديقتك منذ وفاة زوجك؟

– كلّا. لا أحد.

– سمعت أنّ صديقًا لزوجك حاول الاتّصال به باكرًا صباح وفاته، لكنّه لم يستطع ذلك. أتعرفين من هو ذاك الصديق؟

– أوه... أجل. كان هنري دروموند.

– ومن...؟

قاطعته إيزي قائلة:

– إنّه تاجر تحف فنّية، صديق قديم جدًّا لأبي. عمل رافاييل عنده لفترة قصيرة... أليس كذلك يا راف؟... إلى أن جاء لمساعدة أبي في مجلس العموم.

قال توركويل بضحكة صغيرة تظهر غيظه:

– لا أرى ما علاقة هنري بموضوعنا.

قال سترايك:

– حسنًا، أعتقد أنّ هذا كلّ شيء، متجاهلًا هذا التعليق وهو يغلق دفتر ملاحظاته، وأكمل: إلّا أنّني سأكون سعيدًا بمعرفة ما إن كنتِ تعتقدين أنّ موت زوجك كان انتحارًا، يا سيّدة تشيزيل.

انقبضت اليد التي تمسك الفوط الورقية قليلًا. وقالت:

– لا أحد مهتمّ بما أعتقده.

فقال لها سترايك:

– أؤكّد لك أنّني أهتمّ.

ومضت عينا كينفارا وانتقلت من رافاييل، الذي كان يعبس وهو يحدّق بالحديقة في الخارج، إلى توركويل.

– إن كنت تريد رأيي، فقد قام جاسبر بأمر غبيّ جدًا، قبل أن...

قال توركويل بحدّة:

– كينفارا، أنصحك...

قالت كينفارا:

– لست مهتمّة بنصيحتك! مهاجمة إيّاه فجأة، وقد ضاقت عيناها، وأكملت: على كلّ حال، إنّ نصائحك هي التي دفعت هذه العائلة إلى الإفلاس!

ألقت فيزي على زوجها نظرة تجاوزت إيزي، محذّرة إيّاه من الردّ. والتفتت كينفارا مجدّدًا إلى سترايك:

– استفزّ زوجي شخصًا، وهو شخص حذّرته من إغضابه، قبل وفاته بوقت قصير...

سأل سترايك:

– هل تقصدين غيرينت وين؟

– كلا، لكنّك قريب منه. لا يريدني توركويل أن أقول أيّ شيء عن ذلك، لأنّه يتعلق بصديقه العزيز كريستوفر... انفجر توركويل:

– اللعنة! ونهض، ورفع سرواله القصير المخملي مجدّدًا، وبدا ساخطًا، وأكمل: يا إلهي، هل نطلع غرباء على هذا الأمر الخيالي، الآن؟ ما علاقة كريستوفر بأيّ شيء بحق الجحيم؟ وقال لسترايك بصوت عالٍ: حماي انتحر! قبل أن يتوجّه إلى زوجته وأختها: تحمّلت هذا الهراء لأنكما تريدان راحة البال، لكن بصراحة، إن كان التحرّي عن الأمر سيقودنا إلى هذا...

صرخت إيزي وفيزي في محاولة لتهدئته وتبرير نفسيهما، وفي وسط هذه المعمعة، وقفت كينفارا وألقت بشعرها الأحمر الطويل إلى الخلف وسارت نحو الباب، تاركة روبن مع انطباع قويّ بأنّها ألقت بهذه القنبلة في الحديث عمدًا. ثمّ توقفت عند الباب، فالتفت الجميع إليها، كما لو أنّها نادتهم. وقالت بصوتها العالي الواضح الطفولي:

– عدتم جميعًا هنا وتعتبرون أنفسكم كأنّكم أصحاب المنزل الحقيقيون وأنا الدخيلة، لكنّ جاسبر قال إنّه يمكنني العيش هنا ما حييت. يجب عليّ الآن مقابلة الطبيب البيطري وعندما أعود، أودّ منكم جميعًا أن تكونوا قد رحلتم إلى منازلكم. ليس مرحّبًا بكم هنا بعد الآن.

43

... أخشى أنّنا لن نلبث أن نسمع شيئًا عن
شبح العائلة.

هنريك إبسن، روسميرشولم

سألت روبن عمّا إن كانت تستطيع أن تستخدم الحمّام قبل مغادرتهما تشيزيل هاوس، وقادتها فيزي عبر الردهة، وهي لا تزال غاضبة من كينفارا.

قالت فيزي فيما كانتا تعبران الردهة:

– كيف تجرؤ؟ كيف تجرؤ؟ هذا منزل برينفل، وليس منزلها. ثمّ أضافت: أرجوك، لا تولي أيّ اهتمام لما قالته عن كريستوفر، إنّها ببساطة تحاول إغاظة توركس، فقامت بأمر مثير للاشمئزاز، إنّه مستشيط من الغضب.

سألت روبن:

– من هو كريستوفر؟

– في الحقيقة، لا أعرف إن كان يمكنني أن أخبرك. لكنّني أفترض، إن كنت... بالطبع، لا يمكن أن يكون له أيّ علاقة بالأمر. إنّها مجرد نكاية من كينفارا. عنت السير كريستوفر باروكلو بيرنز. صديق قديم لعائلة توركس. كريستوفر موظف حكومي كبير وكان معلم ذاك الفتى مالك في وزارة الخارجية.

كان المرحاض باردًا وقديمًا. وعندما أغلقت الباب، سمعت روبن فيزي وهي تخطو عائدة إلى غرفة الرسم، بلا شكّ لتهدئة غضب توركويل. نظرت حولها: فإذا بالجدران الحجرية المتكسّرة والمطليّة عارية باستثناء العديد من الثقوب الصغيرة المظلمة التي لا يزال المسمار العرضي عالقًا فيها. افترضت روبن أنّ كينفارا كانت مسؤولة عن إزالة عدد كبير من أطر زجاج البليكسي عن الجدران وتكديسها على الأرض قبالة المرحاض. وكانت تحتوي على مزيج من الصور العائلية أُلصقت بطريقة فوضوية.

بعدما جفّفت روبن يديها بمنشفة رطبة تفوح منها رائحة الكلاب، جثمت لتلقي نظرة على هذه الأطر. كان من غير الممكن التمييز بين إيزي وفيزي عندما كانتا طفلتَين، ما يجعل من المستحيل معرفة أيّ منهما كانت تجول في سيّارتها الصغيرة في حديقة الكروكيت، أو تقفز فوق خشبة في صالة الألعاب الرياضية المحلّية، أو ترقص أمام شجرة عيد الميلاد في القاعة أو تحتضن جاسبر تشيزيل شابًا في نزهة تمرين على إطلاق النار، حيث كان الرجال جميعهم يرتدون سترات التويد أو القطن المشمّع.

مع ذلك، كان من الممكن التعرّف إلى فريدي على الفور، لأنّه على عكس أختَيه ورث شفة والده السفلية البارزة. نظرًا إلى أنّ شقاره يميل إلى البياض على غرار ابنة وابنَي أخته فقد ظهر تكرارًا، يبتسم للكاميرا عندما كان طفلًا صغيرًا، متحجّر الوجه في طفولته يرتدي زيًّا جديدًا للمدرسة الإعدادية، وموحلًا ومنتصرًا في طقم رياضة الرغبي. توقفت روبن مؤقتًا لفحص لقطة جماعية لمراهقين، ارتدى فيها جميعهم ثياب المبارزة البيضاء من رؤوسهم حتى أخماص أقدامهم، وقد ربطوا الأعلام البريطانية حول مؤخّراتهم. تعرّفت إلى فريدي، الذي كان يتوسّط المجموعة، ويحمل كأسًا فضّية كبيرة. في نهاية الصفّ البعيدة، وقفت فتاة بائسة، عرفتها روبن على الفور، تُدعى ريانون وين. أكبر سنًّا وأكثر نحافة ممّا كانت عليه في الصورة التي أظهرها والدها لروبن. تعارض تجهّمها الخفيف مع الابتسامات الفخورة على وجوه الآخرين جميعهم.

استمرّت روبن في تفحّص الصور وتوقفت عند آخر لوحة لتنظر في صورة حفل كبير باهتة.

التُقطت الصورة في سرادق، بدا أنّه مسرح. تراقص العديد من بالونات الهيليوم الزرقاء الزاهية على شكل الرقم ثمانية عشر فوق رؤوس الجمهور. وقد اصطفّ أمامهم حوالي مئة مراهق طُلب إليهم أن ينظروا إلى الكاميرا. فحصت روبن المشهد بعناية ووجدت فريدي بسهولة، محاطًا بمجموعة كبيرة من الشبّان والشابّات أمسك بعضهم بعضًا على مستوى الكتفَين، مبتهجين، وبعضهم يقهقه ضحكًا. بعد حوالي دقيقة، اكتشفت الوجه الذي بحثت عنه بحدسها: ريانون وين، نحيفة وشاحبة وغير مبتسمة بجانب طاولة المشروبات. بالقرب منها في الخلف، وقف صبيّان شبه مختبئَين في الظلّ، لم يرتديا ربطة عنق سوداء، بل جينزًا وقميصًا. أحدهما على وجه الخصوص كان وسيمًا وداكن البشرة وطويل الشعر، حمل قميصه صورة فرقة «ذا كلاش» الموسيقية.

أخرجت روبن جوّالها والتقطت صورة لكلٍّ من فريق المبارزة وصور حفلة عيد الميلاد الثامن عشر، ثمّ أعادت بعناية مجموعة ألواح زجاج البليكسي كما عثرت عليها وخرجت من الحمّام.

ظنّت لثانية أنّ القاعة الصامتة مهجورة. ثمّ رأت رافاييل يتّكئ على طاولة في الردهة، مكتوف اليدين. قالت روبن وقد بدأت بالسير نحو الباب الرئيسي:

– إلى اللقاء.

– تمهّلي.

عندما توقفت روبن، دفع رافاييل نفسه عن الطاولة واقترب منها.

– لقد كنت غاضبًا جدًا منك، كما تعلمين.

قالت روبن بهدوء:

– يمكنني أن أفهم السبب، لكنّني كنت أفعل ما وظّفني والدك لأقوم به.

اقترب منها، وتوقف تحت فانوس زجاجي قديم يتدلّى من السقف، كانت نصف مصابيحه الكهربائية مفقودة.

– أعتقد أنّك بارعة جدًا في جعل الناس يثقون بك، أليس كذلك؟

فقالت روبن:

– هذا ما يتطلّبه العمل.

– أنت متزوجة. قال وعيناه مثبّتتان على يدها اليسرى.

– أجل.

– بتيم؟

– كلّا... لا وجود لتيم.

– لست متزوّجة به؟ سأل رافاييل بسرعة مشيرًا إلى الخارج.

– كلّا، نحن فقط نعمل معًا.

– وهذه هي لكنتك الحقيقية. من يوركشاير.

– أجل. هذه هي.

ظنّت أنّه سيقول شيئًا مهينًا. وتحرّكت عيناه الزيتونيتان الداكنتان على وجهها، ثمّ هزّ رأسه قليلًا.

– يروقني الصوت كثيرًا، لكنّني أفضّل اسم «فينسيا» إذ يوحي لي بحفلات الجنس الجماعي التي يرتدي فيها الحضور أقنعة.

استدار وابتعد، تاركًا روبن تسرع للخروج إلى ضوء الشمس لتوافي سترايك، الذي افترضت أنّه ينتظر بفارغ الصبر في اللاند روفر.

لكنّها كانت مخطئة. فقد وقف سترايك بجانب غطاء محرّك السيّارة، بينما إيزي، الواقفة بالقرب منه، تتكلّم معه بسرعة بصوت خافت. عندما سمعت إيزي وقع قدمَي روبن على الحصى خلفها، تراجعت خطوة إلى الوراء وبدا لروبن كأنّها شعرت بالذنب وببعض الإحراج.

قالت إيزي وهي تقبّل روبن على وجنتَيها:

– سُررت لرؤيتك مجدّدًا. كما لو كانت الزيارة زيارة اجتماعية بسيطة. وسألت سترايك: سوف تتّصل بي، أليس كذلك؟

قال وهو يتوجّه إلى مقعد الراكب:

– أجل، سأبقيك على اطّلاع بالمستجدّات.

لم يتكلّم سترايك مع روبن عندما شغّلت محرّك السيّارة. لوّحت لهما إيزي بيدها، وقد بدا شكلها مثيرًا للشفقة في ثوبها الفضفاض. رفع سترايك يده إليها فيما أخذا المنعطف في الطريق الذي أخفاها عن ناظرَيهما.

حاولت روبن ألّا تزعج الأحصنة متقلّبة المزاج، فقادت بسرعة الحلزون. نظر سترايك إلى اليسار، ورأى أنّ الحصان المصاب لم يعد في الميدان، ولكن على الرغم من نيّتها الحسنة، فيما كانت السيّارة القديمة الصاخبة تمرّ بالحقل، انطلق الحصان الأسود راكضًا مجدّدًا.

قال سترايك، وهو يشاهد الحصان يصعد ويهبط:

– من الذي قد يلقي نظرة على حيوان كهذا ويقول: «يجب أن أمتطيه»؟

قالت روبن، وهي تحاول أن تتجنب أسوأ الحفر:

– أعرف قولًا مأثورًا قديمًا مفاده: «حصانك مرآتك». يقول الناس إنّ الكلاب تشبه أصحابها، لكنّني أعتقد أنّ القول أكثر صحّة بشأن الخيول.

– هذا ما يجعل كينفارا شديدة التوتّر وعرضة للانفجار بسبب استفزاز طفيف؟ يبدو ذلك صحيحًا. انعطفي هنا. أريد إلقاء نظرة على ستيدا كوتادج.

وأضاف بعد دقيقتَين:

– هنا. اصعدي من هنا.

كست المسار المؤدّي إلى ستيدا كوتادج أعشاب طويلة لدرجة أنّ روبن لم تره إطلاقًا عندما مرّا به في المرّة الأولى. وكان يؤدّي إلى عمق الغابة التي تمتدّ حتى حديقة تشيزيل هاوس، لكن لسوء الحظ، لم تتمكّن اللاند روفر من التقدّم سوى مسافة عشر ياردات إضافية قبل أن يصبح المسار غير سالك بالسيّارة. أطفأت المحرّك، وتساءلت إن كان سترايك سيتمكّن من السير على الطريق الذي كسته أوراق الأشجار، وهو بالكاد مرئيّ من كثرة انتشار الأشواك والقرّاص عليه. ولكنّها حذت حذوه فيما كان ينزل من السيّارة، وأغلقت الباب خلفها.

كانت الأرض زلقة، والأشجار متشابكة وكثيفة للغاية لدرجة أنّ المسار كان في ظلّ مظلم ورطب. ملأت أنفهما رائحة الخضار النفّاذة المرّة. وامتلأ الجوّ بحفيف الطيور والمخلوقات الصغيرة التي كانا يغزوان موطنها بفظاظة.

قال سترايك فيما كانا يشقان طريقهما بصعوبة عبر القرّاص والأعشاب:

– إذًا، كريستوفر باروكلو بيرنز. هذا اسم جديد.

– كلّا ليس جديدًا.

نظر سترايك إليها بطرف عينه، مبتسمًا، وتعثّر على الفور بأحد الجذور، لكنّه بقي واقفًا رغم ألم ركبته.

– اللعنة! تساءلت إن كنت تتذكّرين.

فقالت روبن على الفور ناقلة ما سمعته من قبل:

– لم يعد كريستوفر بأيّ شيء بشأن الصور. إنّه موظف حكومي قام بتدريب أمير مالك في وزارة الخارجية. أخبرتني فيزي بالأمر للتوّ.

– عدنا إلى مسألة «رجل له عاداتك»، أليس كذلك؟

لم يتحدّث أيّ منهما لفترة قصيرة وركزا على قسم من الدرب غدّار جدًّا حيث علقت أغصان شبيهة بالسياط بثيابهما وجلدهما. بدت بشرة روبن بلون أخضر شاحب مرقّطة بذهب أشعّة الشمس التي تخترق السقف الذي شكلته الأوراق فوقهما.

– هل تكلّمت مع رافاييل، بعد أن خرجت؟

قالت روبن وهي تشعر بالخجل قليلًا:

– إيه... أجل، في الواقع. خرج من غرفة الجلوس بينما كنت أخرج من الحمّام.

– لم أتصوّر أنّه سيفوّت فرصة التحدّث معك على انفراد.

قالت روبن، غير صادقة:

– لم يكن الأمر كذلك، متذكّرة الملاحظة بشأن حفل الجنس الجماعي المقنّع. وسألته: هل همست إيزي بأيّ شيء مثير للاهتمام في أذنك؟

استمتع سترايك بذكاء روبن في ردّ الضربة، وأبعد عينَيه عن الدرب، ففاته جذع موحل يعترض طريقه، وتعثّر للمرّة الثانية، لكنّه تفادى سقوطًا مؤلمًا بالتمسّك بشجيرة مغطّاة بنبات متسلّق شائك.

– اللعنة.

– هل أنت...؟

قال غاضبًا من نفسه:

– أنا بخير، وهو يفحص راحة يده المليئة بالأشواك ويبدأ بنزعها بأسنانه. سمع صوت طقطقة الخشب خلفه فاستدار ليرى روبن ممسكة بغصن ساقط، كسرته لصنع عصا مشي خشنة.

– استخدم هذه.

– لا أحتاج...، لكنّه لاحظ تعابير وجهها الصارمة، فاستسلم وقال: شكرًا.

انطلقا مجدّدًا، ووجد سترايك أنّ العصا أكثر فائدة ممّا أراد أن يعترف به.

– حاولت إيزي إقناعي فقط بأنّ كينفارا كان بإمكانها أن تتسلّل عائدة إلى أوكسفوردشاير، بعدما قتلت تشيزيل بين السادسة والسابعة صباحًا. لا أعرف إن كانت تدرك أنّ هناك العديد من الشهود في كلّ مرحلة من مراحل رحلة كينفارا من شارع إيبوري. ربّما لم تدخل الشرطة في التفاصيل مع العائلة حتى الآن، لكنّني أعتقد أنّه بمجرّد أن يؤكّدوا أنّه من المستحيل أن تكون كينفارا فعلت ذلك شخصيًا، ستقترح إيزي أنّها كلّفت قاتلًا محترفًا بالمهمّة. ما رأيك في نوبات غضب رافاييل المختلفة؟

قالت روبن، وهي تدور حول رقعة من نبات القراص:

– في الواقع، لا يمكنني إلقاء اللوم عليه لأنّه انزعج من توركويل.

وافق سترايك:

– لا، أعتقد أنّ توركس العجوز كان سيزعجني أنا أيضًا.

– بدا رافاييل غاضبًا جدًّا من والده، أليس كذلك؟ لم يكن مجبرًا على إخبارنا أنّ تشيزيل أمر بقتل تلك الفرس. ظننت أنّه قام بأقصى جهوده ليرسم والده بصورة... كيف أقول ذلك...

قال سترايك موافقًا على كلامها:

– ... رجل سافل. وأعتقد أنّ تشيزيل سرق حبوب كينفارا بدافع الحقد أيضًا. كانت تلك القصّة بكاملها غريبة في الواقع. ما الذي جعلك تهتمّين بهذه الحبوب إلى هذا الحدّ؟

– بدت في غير محلّها بالنسبة إلى تشيزيل.

– في الحقيقة، كانت أسئلة جيّدة. يبدو أنّ أحدًا لم يطرح الأسئلة بشأنها. إذًا، ما رأي عالمة النفس في تشويه رافاييل سمعة والده المتوفى؟

هزّت روبن رأسها مبتسمة، كما تفعل عادة عندما يشير إليها سترايك بهذه الطريقة. فهو يعرف جيّدًا أنّها تخلّت عن دروس علم النفس في الجامعة.

قال سترايك:

– أنا جادّ. وكشّر بينما انزلقت قدمه الاصطناعية على أوراق الشجر المتساقطة وأنقذ نفسه، هذه المرّة بمساعدة عصا روبن، وأكمل: اللعنة... تابعي. برأيك، ما الذي يدفعه إلى مهاجمة تشيزيل؟

قالت روبن وازنة كلماتها:

– أعتقد أنّه مجروح وغاضب. بدأت علاقته بوالده تتحسّن أكثر من أيّ وقت مضى، بحسب ما قاله لي عندما كنت في مجلس العموم.

الآن مات تشيزيل، ولن يتمكّن رافاييل من التصالح معه بطريقة صحيحة، أليس كذلك؟ بقي له واقع أنّه لم يُذكر في الوصيّة وليس لديه أيّ فكرة عن شعور تشيزيل الحقيقي تجاهه. كان تصرّف تشيزيل غير متوافق مع رافاييل. عندما كان ثملًا ومكتئبًا، بدا كأنّه يستند إليه، لكن بخلاف ذلك كان قاسيًا جدًّا معه. على الرغم من أنّني لا أستطيع أن أقول بصراحة إنّني رأيت تشيزيل لطيفًا مع أيّ شخص، باستثناء ربّما...

توقفت فجأة. فقال سترايك:

– تابعي.

– في الواقع، كنت سأقول إنّه كان لطيفًا جدًّا معي، في اليوم الذي اكتشفت فيه كلّ شيء عن «ليفل بلايينغ فيلد».

– عندما عرض عليك وظيفة؟

– أجل، وقال: قد يكون لديّ المزيد من العمل لك، بعد أن أتخلّص من وين ونايت.

سأل سترايك بفضول:

– حقًّا؟ لم تخبربني بذلك.

– ألم أفعل؟ كلّا، لا أعتقد أنّني فعلت ذلك.

وعلى غرارا سترايك، تذكّرت الأسبوع الذي قضاه عند لوريلاي، ثمّ الساعات التي قضاها في المستشفى مع جاك.

– ذهبت إلى مكتبه، كما أخبرتك، وكان على الهاتف في أحد الفنادق بشأن محفظة نقود فقدها. كانت المحفظة لفريدي. بعد أن أقفل تشيزيل الهاتف، أخبرته عن ليفل بلايينغ فيلد وكان في غاية السعادة. وقال: «إنّهم يتعثّرون، الواحد تلو الآخر».

لهث سترايك:

– أمر مثير للاهتمام. وكانت ساقه تقتله الآن. تعتقدين أنّ رافاييل حانق بشأن الوصيّة، أليس كذلك؟

قالت روبن، التي اعتقدت أنّها تلقّت ملاحظة ساخرة بصوت سترايك:

– الأمر لا يتعلّق بالمال فقط.

قال متذمّرًا:

– غالبًا ما يقول الناس ذلك. السبب هو المال، وهو ليس كذلك في الوقت نفسه. فما هو المال؟ الحرّية والأمان والمتعة وفرصة جديدة... وتابع سترايك: أعتقد أنّه يمكننا أن نحصل على المزيد من رافاييل، وأعتقد أنّه سيتعيّن عليك أن تفعلي ذلك.

– ماذا يمكنه أن يخبرنا أيضًا؟

قال سترايك، الذي كان يعاني الآن ألمًا شديدًا:

– أرغب في أن أعلم المزيد عن ذلك الاتّصال الهاتفي الذي أجراه تشيزيل، قبل أن يُلفّ رأسه بذلك الكيس مباشرة. لا أجد الأمر منطقيًا، لأنّه، حتى لو علم تشيزيل أنّه على وشك الانتحار، كان هناك أشخاص في وضع أفضل بكثير للسهر على كينفارا من ربيب لا تحبّه موجود على بعد أميال في لندن. المشكلة هي أنّ الاتّصال يصبح أقلّ منطقية إن كانت جريمة قتل. هناك أمر، نحن لا نـ... آه. الحمد لله!

ظهر كوخ ستيدا كوتادج للتوّ في مساحة خالية أمامهما. الحديقة، التي أحاطها سياج متهدّم، أصبحت الآن مكسوّة بالأعشاب الطويلة كما هي الحال في محيطها. كان المبنى منخفضًا، مشيّدًا بحجر داكن وكان واضحًا أنّه مهجور، فيه فتحة كبيرة في سقفه وشقوق في معظم نوافذه.

نصحت روبن سترايك قائلة:

– اجلس. وأشارت إلى جذع شجرة كبير خارج سياج الكوخ. امتثل سترايك لأمرها، فقد كان يشعر بألم كبير بحيث لم يناقشها، بينما شقّت روبن طريقها نحو الباب الأمامي ودفعته قليلًا، لكنّها وجدته موصدًا. تنقلت بين الأعشاب التي وصلت إلى ركبتها، وحدّقت من النوافذ المتّسخة الواحدة تلو الأخرى. لم ترَ سوى غرف فارغة غطّاها الغبار. استقرّ كوب قذر يحمل صورة جوني كاش بمفرده على سطح ملطّخ، وكانت هذه الإشارة الوحيدة إلى وجود شخص استعمل هذا المطبخ في السابق.

أخبرت سترايك، وهي تخرج من الجانب الآخر من الكوخ:

– لا يبدو أنّ أيّ شخص أقام هنا منذ سنين، ولا أثر لأيّ أحد نام هنا في العراء.

لم يجب سترايك، وكان قد أشعل سيجارة للتوّ. كان يحدّق إلى حفرة كبيرة في أرض الغابة، تبلغ مساحتها حوالي عشرين قدمًا مربّعًا، تحدّها الأشجار وقد امتلأت بالقرّاص والأشواك المتشابكة والأعشاب الطويلة.

سألها بعد حين:

– أتسمّين ذلك واديًا؟

نظرت روبن إلى الأسفل في المسافة التي تشبه الحوض، وقالت:

– أجد أنّه يشبه الوادي أكثر من أيّ شيء آخر مررنا به.

واستشهد سترايك بما قاله بيلي:

– «خنق الطفلة ودفنوها في الوادي بجوار منزل والدنا».

– سألقي نظرة. أنت ابقَ هنا.

– لا، لن تجدي شيئًا.

لكنّ روبن شرعت بالنزول إلى أسفل حافة الوادي شديدة الانحدار، وعلقت الأشواك ببنطلونها الجينز فيما كانت تنزل.

وجدت صعوبة كبيرة في التحرّك عندما وصلت إلى الأسفل. فقد وصل نبات القرّاص إلى خصرها تقريبًا، ورفعت يديها لتتجنّب الخدوش واللسعات. لطّخ زهور البقدونس الجبلي وحشيشة المبارك اللون الأخضر الداكن باللونين الأبيض والأصفر. وكانت أغصان الورود البرّية الشائكة الطويلة تتلوّى كالأسلاك

الشائكة في كلّ مكان كانت تطأه. قال سترايك: «انتبهي لنفسك». وقد شعر بالعجز وهو يشاهدها تكافح للتقدّم، وتخدش نفسها أو تلسع نفسها في كلّ خطوة تقوم بها. قالت روبن: «أنا بخير» وهي تحدّق إلى الأرض تحت الغطاء النباتي البرّي. إذا دُفن أيّ شيء هنا، فقد غطّته النباتات منذ مدّة طويلة، وسيكون الحفر عملًا صعبًا للغاية. قالت ذلك لسترايك، لأنّها انحنت منخفضة لترى ما يكمن تحت رقعة كثيفة من العوسج.

قال سترايك:

– أشكّ في أنّ كينفارا ستكون سعيدة إذا حفرنا هنا على أيّ حال. وفيما كان يقول ذلك تذكّر كلمات بيلي: «لن تسمح لي بالحفر، لكنّها قد تسمح لك بذلك».

قالت روبن بصوت متوتّر:

– مهلًا.

توتّر سترايك على الرغم من أنّه يعرف جيّدًا أنّه من المستحيل أن تكون عثرت على شيء.

– ماذا؟

– أرى شيئًا هنا، قالت وهي تحرّك رأسها من جانب إلى آخر لترى عبر رقعة سميكة من نبات القراص، في وسط الوادي.

– يا للهول!

– ماذا؟ ماذا ترين؟ كرّر سترايك. فعلى الرغم من أنّه جلس على ارتفاع أعلى منها بكثير، لم يستطع أن يرى شيئًا على الإطلاق في رقعة نبات القراص.

– لا أعـرف... ربّما كنت أتخيّل ذلك. تـردّدت: أنـت... لا تحمل قفّازات، أليس كذلك؟

– كلّا يا روبن.

لكنّها كانت قد دخلت في رقعة نبات القرّاص، مرفوعة اليدين، وكانت تدوس عليها من قاعدتها كلّما استطاعت ذلك، فسطّحتها على الأرض قدر الإمكان. ثمّ رآها سترايك تنحني وتسحب شيئًا من الأرض. انتصبت، ووقفت

ثابتة، وحنت رأسها النحاسيّ على الشيء الذي وجدته، إلى أن قال سترايك بصبر نافذ:

– ما هذا؟

تدلّى شعرها بعيدًا من وجهها الذي بدا شاحبًا وسط الأعشاب الخضراء الداكنة التي كانت تقف في وسطها، وهي ترفع صليبًا خشبيًا صغيرًا.

وأمرته:

– لا! ابقَ حيث أنت. أنا بخير، عندما تحرّك تلقائيًا نحو حافة الوادي لمساعدتها على الخروج.

كانت روبن، في الواقع، مغطّاة بخدوش ولسعات نبات القرّاص، لكنّها قرّرت أنّ عددًا قليلًا آخر منها لن يؤثّر، دفعت نفسها بقوّة أكبر لتخرج من الوادي، مستخدمة يديها لسحب نفسها إلى أعلى الجوانب شديدة الانحدار حتى اقتربت بما يكفي حتى يمدّ سترايك يده ويساعدها في الخطوات القليلة الأخيرة.

فقالت له وقد انقطع نفسها:

– شكرًا. يبدو أنّه هنا منذ سنين. وفركت التراب من أسفله الذي كان مدبّبًا، وكان ذلك أفضل حتى يُغرز في الأرض. كان الخشب رطبًا وملطّخًا.

قال سترايك:

– كُتب شيء عليه. وأخذه منها وحدق في السطح اللزج.

– أين؟

لامس شعرها خدّه عندما وقف كلّ منهما بقرب الآخر، محدّقَين إلى بقايا أحرف خُطّت بقلم حبر محاها منذ زمن طويل المطر والندى.

قالت روبن بهدوء:

– يبدو كأنّه خطّ طفل.

– هذا حرف السين، في النهاية... هل هذا جيم أم ياء؟ وهمست روبن:

– لا أعرف.

وقفا بصمت يفكّران في الصليب، حتى اخترق صدى نباح راتينبيري ترير النورفولك الخافت فانتشلهما من تفكيرهما.

قالت روبن بتوتر:

– ما زلنا في أرض كينفارا.

قال سترايك:

– أجل، ممسكًا بالصليب فيما بدأ يترنّح على الطريق التي جاءا منها، وهو يصرّ على أسنانه من شدّة الألم في ساقه، وأكمل: فلنجد حانة، إنّني أتضوّر جوعًا.

44

لكن عديدة هي أنواع الخيول البيضاء في
هذا العالم، يا سيدة هيلسيث...

هنريك إبسن، روسميرشولم

قالت روبن فيما كانا يتوجّهان بالسيّارة إلى القرية:

– بالطبع، إنّ صليبًا مغروزًا في الأرض لا يعني أنّ هناك من دُفن تحته.

قال سترايك:

– هذا صحيح، وقد احتاج إلى معظم أنفاسه في رحلة العودة بسبب الشتائم المتكرِّرة التي تفوّه بها بينما كان يتعثّر وينزلق على أرض الغابة، وأكمل: لكنّ هذا يحملك على التفكير، أليس كذلك؟

لم تجبه روبن. وكانت يداها على عجلة القيادة مدثّرةً بأشواك نبات القرّاص التي تخِزها وتحرقها.

بدا النُّزل الريفي الذي وصلا إليه بعد خمس دقائق كصورة لبطاقة بريدية بريطانية، وهو عبارة عن مبنى خشبي أبيض اللون، له نوافذ كبيرة بارزة مدعومة بالرصاص، غطّت سطحه ألواح تكسوها الطحالب، وتسلّقت الورود الحمراء إطار بابه. أكملت الصورة حديقة لاحتساء الجعة فيها عدد من المظلّات. حوّلت روبن سيّارة اللاند روفر نحو موقف سيّارات صغير قبالة النزل.

تمتم سترايك، الذي ترك الصليب على لوحة القيادة، وهو ينزل من السيّارة محدّقًا إلى الحانة:

– أصبح الأمر سخيفًا.

سألت روبن:

– أيّ أمر؟ وهي تلتفّ حول السيّارة من الخلف لتوافيه.

– اسم الحانة الحصان الأبيض.

قالت روبن، وهما يجتازان الطريق معًا:

– تيمّنًا بالحصان على التلّ. انظر إلى اللافتة.

رُسم الشكل الطبشوري الغريب الذي رأياه سابقًا على اللوح فوق عمود خشبي.

قال سترايك:

– الحانة التي قابلت فيها جيمي نايت في المرّة الأولى كانت تُسمّى أيضًا الحصان الأبيض.

قالت روبن، بينما كانا يصعدان الدرج إلى حديقة احتساء الجعة، وقد أصبحت مشية سترايك العرجاء الآن أكثر وضوحًا من أيّ وقت مضى:

– «الحصان الأبيض» هو أحد أكثر عشرة أسماء شعبية للحانات في بريطانيا. قرأت ذلك في إحدى المقالات. بسرعة، هؤلاء الأشخاص يغادرون... احجز طاولتهم، وسأحضر المشروب.

كانت الحانة ذات السقف المنخفض مكتظّة في الداخل. توجّهت روبن أولًا إلى حمّام السيدات حيث خلعت سترتها وربطتها حول خصرها وغسلت يديها الملتهبتين. تمنّت لو تمكّنت من العثور على أوراق الحمّاض البرّي في رحلة العودة من ستيدا كوتادج، لكنّ معظم انتباهها في رحلة العودة تحوّل إلى سترايك الذي كاد يسقط مرّتَين أخريَين وبدا غاضبًا مع نفسه، وصدّ عروض المساعدة على مضض ومال بشدّة على عصا المشي التي صنعتها له من غصن شجرة.

أظهرت لها المرآة أنّها كانت شعثاء وقذرة مقارنة بالأشخاص في مقتبل العمر الميسورين الذين رأتهم للتوّ في الحانة، لكن بما أنّها مستعجلة للعودة

إلى سترايك ومراجعة نشاط الصباح، فبالكاد مشّطت شعرها بفرشاة، ومسحت بقعة خضراء عن رقبتها وذهبت للوقوف في طابور المشروبات.

قال سترايك بامتنان:

– أحسنت يا روبن. عندما عادت إليه مع نصف لتر من أركيلز ويلتشير غولد، ودفع لها قائمة الطعام عبر الطاولة. تنهّد سترايك وقال: آه، هذا جيد، وهو يشرب جرعة كبيرة. إذًا ما هو الأكثر شعبية؟

– عفوًا؟

– ما اسم الحانة الأكثر شعبية. قلت إنّ اسم «الحصان الأبيض» في المراكز العشرة الأولى.

– آه، صحيح... إمّا «الأسد الأحمر» أو «التاج»، لا أتذكّر أيّهما.

قال سترايك مسترجعًا الذكريات:

– حانتي المحلّية كانت تُدعى «النصر».

فهو لم يعد إلى كورنوال منذ عامَين. وها هو يرى الحانة الآن في ذهنه، مبنى مربّع من حجر كورنوال مطلي باللون الأبيض، والدرج المجاور له الذي يقود إلى الخليج. تمكّن في تلك الحانة من أن يشرب الكحول للمرّة الأولى بدون أن يُسأل عن بطاقة هويّته، وكان في السادسة عشرة من عمره وقد رُمي مجدّدًا في منزل خالته وزوجها لبضعة أسابيع، بينما كانت والدته تمرّ بإحدى تلك الأزمات الوجودية المعتادة.

قالت روبن:

– حانتنا كانت «الحصان الكستنائي»، ورأت فجأة هي أيضًا الحانة التي لطالما اعتبرتها موطنها، بيضاء أيضًا، تقع في شارع يؤدّي إلى ساحة السوق في ماشام. هناك احتفلت بعلاماتها الممتازة مع أصدقائها، في الليلة عينها التي تشاجرت فيها مع ماثيو لسبب تافه فغادر، ورفضت أن تتبعه مفضّلة البقاء مع أصدقائها.

وسأل سترايك:

– لماذا يُنعت بالكستنائي؟ وقد شرب نصف جعّته وهو يستمتع بأشعّة الشمس، وقد مدّ ساقه الأليمة أمامه، وأكمل: لماذا لا يقولون بنّي؟

– في الواقع، توجد بالفعل خيول بنّية، لكنّ «كستنائي» يعني شيئًا مختلفًا. يعني الأطراف السوداء: الأرجل والبدة والذيل.

– ما كان لون مهرك... أنجوس، أليس كذلك؟

سألته روبن متفاجئة:

– كيف تذكّرت اسمه؟

– لا أعرف... تمامًا كما تتذكّرين أسماء الحانات. بعض الأشياء لا تُنسى، أليس كذلك؟

– كان رماديًا.

– أي أبيض. إنّها مجرد مصطلحات لخلط الأمور على العوامّ الذين لا يمارسون الفروسية، أليس كذلك؟

فأجابت روبن، ضاحكة:

– كلا. الخيول الرمادية لها جلد أسود تحت الشعر الأبيض. أمّا الخيول البيضاء الحقيقية...

قاطعها سترايك:

– ... فتنفق يافعة، بينما وصلت النادلة لأخذ طلبَيهما. بعد أن طلب سترايك البرغر، أشعل سيجارة أخرى وعندما وصل النيكوتين إلى دماغه، شعر بموجة قريبة من النشوة. نصف لتر جعة، ويوم دافئ في أغسطس، ووظيفة براتب جيّد، وطعام سيصل قريبًا وروبن جالسة قبالته وقد استعادا صداقتهما، إن لم يكن تمامًا كما كانت عليه قبل شهر العسل، فربّما أقرب ما يمكن إلى ذلك، الآن بعد أن تزوّجت. في الوقت الحالي، في حديقة احتساء الجعة المشمسة هذه، وعلى الرغم من الألم في ساقه، والتعب والفوضى التي تعمّ علاقته مع لوريلاي، بدت الحياة بسيطة ومفعمة بالأمل.

قال وهو ينفخ دخان سيجارته بعيدًا من وجه روبن:

– لم تكن المقابلات الجماعية فكرة جيّدة يومًا، ولكن جرت بعض التيّارات المتقاطعة المثيرة للاهتمام بين أفراد عائلة تشيزيل، أليس كذلك؟ سأستمرّ في العمل على إيزي. أعتقد أنّها قد تكون أكثر صراحة في غياب أفراد العائلة.

وفكّرت روبن بينها وبين نفسها وهي تخرج جوّالها. (سوف يروق إيزي أن تعمل عليها).

– لديّ ما أريك إيّاه. انظر.

أحضرت صورة حفل عيد ميلاد فريدي تشيزيل. وقالت، مشيرة إلى وجه الفتاة الباهت غير السعيد:

– هذه ريانون وين. كانت في حفل عيد ميلاد فريدي تشيزيل الثامن عشر. وعادت إلى الصورة السابقة لتظهر له المجموعة في السترات البيضاء: تبيّن أنّهم كانوا في فريق المبارزة البريطاني معًا.

قال سترايك وهو يأخذ الهاتف من روبن:

– بالطبع! السيف! السيف في شارع إيبوري. أراهن أنّه كان لفريدي!

– بالطبع! قالت متسائلة لماذا لم تدرك ذلك من قبل.

– لا بدّ أنّ الصورة التُقطت قبَيل انتحارها، وهو يدقّق عن كثب في وجه ريانون وين البائسة في حفل عيد الميلاد. و... اللعنة، هذا جيمي نايت الواقف وراءها. ماذا يفعل في حفل خاصّ لعيد ميلاد فريدي الثامن عشر؟

اقترحت روبن:

– يحتسي المشروب المجّاني؟

ضحك سترايك ضحكة خفيفة ثمّ أعاد الهاتف لروبن.

– أحيانًا يكون السبب الواضح هو الإجابة الصحيحة. هل كنت أتخيّل حين لاحظتُ أنّ إيزي بدت متضايقة قليلًا عندما قيل إنّ جيمي كان مثيرًا عندما كان مراهقًا؟

– لا، لاحظتُ ذلك أنا أيضًا.

– لا أحد يريدنا أن نتحدّث إلى رفيقَي جيمي القديمَين، الأخوَين بوتشر، أيضًا.

– لأنّ معلوماتهما تتجاوز مكان عمل أختهما؟

ارتشف سترايك جعته، مفكّرًا في ما أخبره به تشيزيل في المرّة الأولى التي التقيا فيها.

قال تشيزيل إنّ أشخاصًا آخرين متورّطون في فعلته التي يتعرّض للابتزاز بسببها، لكنّهم سيخسرون الكثير إذا انتشر الخبر.

أخرج دفتر ملاحظاته وتفكّر في خطّه الغليظ الذي تصعب قراءته، بينما جلست روبن بهدوء مستمتعة بالثرثرة الهادئة في حديقة احتساء الجعة. حلّقت نحلة كسولة في مكان قريب، لتذكّرها بدرب التنزّه بين الخزامى في فندق «الفور سيزنز» حيث احتفلت هي وماثيو بذكرى زواجهما. ورأت أنّ من الأفضل ألّا تقارن شعورها الآن بما شعرت به حينها.

قال سترايك وهو ينقر على دفتر الملاحظات المفتوح بقلمه:

– ربّما وافق الأخوان بوتشر على تولّي مهامّ جيمي بجرح الخيول أثناء وجوده في لندن؟ لطالما اعتقدت أنّه قد يكون له رفاق هنا يمكنهم أن يهتمّوا بهذا الجانب من الأمور. لكنّنا سنسمح لإيزي بمعرفة مكان تيغان منهما قبل الذهاب لمقابلتهما. لا نريد أن نزعج العميل ما لم يكن ذلك ضروريًا للغاية.

وافقت روبن:

– صحيح، أتساءل... أتعتقد أنّ جيمي التقى بهما عندما جاء إلى هنا بحثًا عن بيلي؟

قال سترايك وهو يشير إلى ملاحظاته:

– ممكن. ثمّ أضاف: هذا مثير جدًّا للاهتمام. أقرأ الحديث الذي دار بين جيمي وفليك في تلك المسيرة، إذ كانا يعرفان مكان بيلي في ذلك الوقت. كانا في طريقهما لمقابلته عندما آذيت أوتار ركبتي. أمّا الآن فقد فقدا أثره مجدّدًا... تعلمين أنّني قد أُعطي الكثير للعثور على بيلي. بدأت القصّة كلّها منه هو وما زلنا...

توقف عن الكلام عند وصول طعامهما: برغر بالجبنة الزرقاء لسترايك، ووعاء من يخنة اللحم بالفلفل الحارّ لروبن.

سألت روبن عندما ابتعدت النادلة:

– ما زلنا...؟

– ... لا نعلم شيئًا بشأن الطفلة التي يدّعي أنه رآها تموت. لم أرغب في سؤال عائلة تشيزيل عن سوكي لويس، أو ليس الآن على الأقلّ. من الأفضل عدم الإشارة إلى أنّني مهتمّ بأيّ شيء سوى وفاة تشيزيل في الوقت الحالي.

التقط شطيرة البرغر وقضم منها قضمة كبيرة، وعيناه مشتّتتان، يحدّق إلى الطريق. بعدما أكل نصف شطيرته، عاد إلى ملاحظاته.

وأعلن وهو يمسك قلمه مجدّدًا:

– ثمّة أمور يجب القيام بها. أريد أن أجد عاملة التنظيف التي سرّحها جاسبر تشيزيل. كان لديها مفتاح المنزل لبعض الوقت وقد تكون قادرة على إخبارنا بكيفية دخول الهيليوم إلى المنزل ووقت دخوله. ونأمل أن تجد لنا إيزي تيغان بوتشر، وستتمكن تيغان من إلقاء بعض الضوء على رحلة رافاييل إلى تشيزيل هاوس في صباح يوم وفاة والده، لأنّني ما زلت لا أصدّق تلك القصّة.

وسنترك أخوَي تيغان جانبًا في الوقت الحالي، لأنّ من الواضح أنّ آل تشيزيل لا يريدون منّا التحدّث إليهما، لكن قد أحاول التحدّث مع هنري دروموند، تاجر الأعمال الفنّية.

– لماذا؟

– كان صديقًا قديمًا لتشيزيل، وأسدى إليه معروفًا بتوظيف رافاييل. لا بدّ أنّهما كانا مقرّبَين نوعًا ما. من يدري؟ ربّما أخبره تشيزيل عن سبب الابتزاز. كما أنّه كان قد حاول الاتّصال بتشيزيل في وقت مبكر من صباح يوم وفاته. أودّ أن أعرف السبب. لذا، إليك الخطّة: ستحصلين على عمل في متجر المجوهرات الذي تعمل فيه فليك، ويمكن لباركلي الاستمرار في مراقبة جيمي وفليك عن كثب، وسأهتمّ بأمر غيرينت وين وأمير مالك.

قالت روبن على الفور:

– لن يتحدّثا معك أبدًا. أبدًا.

– هل تريدين المراهنة على ذلك؟

– أراهن بعشرة جنيهات أنّهما لن يفعلا ذلك.

– أنا لا أدفع لك ما يكفي لتبذّدي عشرة جنيهات. يمكنك أن تشتري لي نصف لترجعة.

دفع سترايك الفاتورة وعادا إلى السيّارة في الجهة المقابلة من الطريق، وتمنّت روبن سرًّا أن يكون هناك مكان آخر يجب أن يذهبا إليه لأنّ احتمال العودة إلى شارع ألبوري كان يحبطها.

قال سترايك وهو يقرأ خريطة على هاتفه:

– قد يكون من الأفضل لنا العودة عبر الطريق الرقم 40. حصل حادث على الطريق الرقم 4.

– حسنًا.

هذا من شأنه أن يجعلهما يمران بفندق «الفور سيزونز». عندما كانت روبن ترجع إلى الوراء للخروج بالسيّارة، تذكّرت فجأة رسالتَي ماثيو السابقتَين. وقد ادّعى أنّه كان يراسل زميلًا في العمل، لكنّها لم تتذكّر أنّه اتّصل بمكتبه في عطلة نهاية الأسبوع مرّة واحدة من قبل. وكانت إحدى شكاواه المنتظمة بشأن وظيفتها هي أنّ ساعات العمل والمسؤوليات كانت تمتدّ إلى يومَي السبت والأحد، على عكس عمله.

وسألت:

– ماذا؟ بعدما أدركت أنّ سترايك تكلّم معها للتوّ.

فكرّر سترايك:

– قلت، من المفترض أن تكون فألًا سيّئًا، أليس كذلك؟ وهما يبتعدان من الحانة.

– عمّ تتكلم؟

– عن الخيول البيضاء. أليست هناك مسرحية تظهر فيها الخيول البيضاء كنذير موت؟

قالت روبن وهي تغيّر الترس:

– لا أعرف. لكنّ الموت يأتي على حصان أبيض في سفر الرؤيا.

صحّح لها سترايك قائلًا:

– حصان شاحب اللون. وفتح النافذة حتى يتمكّن من التدخين مجدّدًا.

– متحذلق.

– هذا ما تقوله المرأة التي لا تنعت الحصان البنّي بالبنّي.

مدّ يده إلى الصليب الخشبي الضخم، الذي كان ينزلق على لوحة القيادة. أبقت روبن عينيَها على الطريق أمامها، وركّزت بإصرار على أيّ شيء سوى الصورة الحيّة التي رأتها عندما رصدت الصليب للمرّة الأولى، بين نباتات القرّاص السميكة التي تكاد تخفيه كلّيًا: صورة طفل متعفّن في الأرض في قاع ذلك الوادي المظلم في الغابة، مات ونسيه الجميع باستثناء الرجل الذي يعتبره الجميع مجنونًا.

45

من الضروري أن أتخلَى عن موقف
زائف وملتبس.

هنريك إبسن، روسميرشولم

في صباح اليوم التالي، دفع سترايك بألمه ثمن المشي عبر الغابة في أراضي تشيزيل هاوس. لذا لم يرقه النهوض من السرير والتوجّه إلى الطابق السفلي للعمل يوم الأحد لدرجة أنّه اضطرّ لتذكير نفسه بأنّه، على غرار شخصية هايمان روث في أحد أفلامه المفضّلة، كان قد اختار هذا العمل بكامل إرادته. إن كانت مهنة المحقّق الخاصّ، مساويةً للعمل في المافيا، بمطالبها التي تفوق المألوف، فإنّ من الواجب القبول ببعض الأمور مع المكافآت التي تترافق معها...

لقد خُيّر على كلّ حال. كان الجيش حريصًا على الاحتفاظ به حتى بعدما فقد نصف ساقه. وعرض أصدقاء أصدقائه عليه وظائف كثيرة تتراوح بين الأدوار الإدارية في مجال الحماية اللصيقة وبين الشراكات التجارية، لكنّ شغف اكتشاف الألغاز وحلّها وإعادة فرض النظام في عالم الأخلاق لم ينطفئ فيه، وهو يشكّ في أنّ ذلك سيحصل يومًا. الأعمال الإدارية، والعملاء المزعجون في كثير من الأحيان، وتوظيف المساعدين وفصلهم من العمل لم

يمنحه رضى جوهريًا؛ لكنّه قبِلَ بساعات العمل الطويلة والحرمان الجسدي والمخاطر العرضية في وظيفته بشكل رزين وأحيانًا بلذّة.

استحمّ سترايك، ووضع ساقه الاصطناعية، وتثاءب، وشقّ طريقه المؤلم إلى الطابق السفلي، متذكّرًا اقتراح صهره بأنّ هدفه النهائي يجب أن يكون الجلوس في مكتب بينما يقوم الآخرون فعليًا بالأعمال والتنقلات.

انجرفت أفكاره إلى روبن أثناء جلوسه أمام حاسوبها. لم يسألها قطّ عن طموحها النهائي في ما يتعلق بالوكالة وافترض، ربما بتعجرف، أنّه كطموحه تمامًا: تكوين رصيد مصرفي كافٍ لضمان حصولهما على دخل لائق أثناء تولّيهما العمل الأكثر إثارة للاهتمام، من دون الخوف من فقدان كلّ شيء في اللحظة التي يخسران فيها عميلًا. لكن ربّما كانت روبن تنتظر أن يفتح هو الحديث عن الفكرة التي اقترحها غريغ. فحاول أن يتخيّل ردّ فعلها، إذا دعاها إلى الجلوس على الأريكة التي تصدر الأصوات المخزية وهو يريها عرض باوربوينت يحدّد أهدافًا طويلة الأمد واقتراحات للعلامة التجارية. وفيما استعدّ للعمل، تحوّل تفكيره في روبن إلى ذكريات عن شارلوت. فتذكّر كيف كان الأمر في مثل هذه الأيّام عندما كانا معًا، عندما كان يحتاج إلى العمل لساعات متواصلة على الحاسوب بمفرده. في بعض الأحيان، كانت شارلوت تخرج، وغالبًا ما كانت تجعل من المكان الذي تقصده لغزًا غير ضروري، أو تخترع أسبابًا لمقاطعته، أو تتسبّب بشجار يبقيه مسمّرًا بينما الساعات الثمينة تمضي. وعلم أنّه كان يذكّر نفسه كم كان هذا السلوك صعبًا ومرهقًا له، لأنّه منذ أن رآها في لانكستر هاوس، باتت ذكراها تنفذ إلى ذهنه وتخرج منه مثل قطّة ضالّة.

بعد أقلّ من ثماني ساعات بقليل، وسبعة أكواب من الشاي، وثلاث رحلات إلى الحمّام، وأربع شطائر جبنة، وثلاثة أكياس من رقائق البطاطا، وتفاحة واثنين وعشرين سيجارة، سدّد سترايك جميع نفقات المقاولين من الباطن، وتأكّد من أنّ أحدث الإيصالات باتت في حوزة المحاسب، وقرأ تقرير هاتشينز الحديث عن الطبيب المتحايل وتتبّع عبر الفضاء الإلكتروني أخبار العديد من المدعوّين أمير مالك بحثًا عن الشخص الذي أراد إجراء مقابلة

معه. بحلول الساعة الخامسة، اعتقد أنّه وجده، لكنّ الصورة كانت بعيدة جدًا عن صورة «شابٍ وسيم»، وهو ما وُصف به في المقالة المفتقرة إلى صورة التي قرأها على الإنترنت عن مالك، وفضّل إرسال نسخة من الصور التي وجدها على موقع صور غوغل إلى روبن عبر البريد الإلكتروني، للتأكّد من أنّ هذا هو مالك الذي يسعى إليه.

تمدّد سترايك وهو يتثاءب، مستمعًا إلى قرع طبل مشترٍ محتمل في أحد المتاجر تحته في شارع الدنمارك. كان سترايك يتطلع إلى العودة إلى الطابق العلوي ومشاهدة أبرز الأحداث الأولمبية لليوم، التي تشمل يوسين بولت وهو يركض مسافة مئة متر، ويوشك على إغلاق حاسوبه عندما نبّهه صوت «بينغ» صغير بوصول بريد إلكتروني من Lorelei@VintageVamps.com، كتبت موضوعه ببساطة: «أنا وأنت».

فرك سترايك عينيه براحتَيه، كما لو أنّ مشهد البريد الإلكتروني الجديد كان وهمًا بصريًا. لكنّه بقي في أعلى صندوق بريده عندما رفع رأسه وفتح عينيه مجدّدًا.

وتمتم: «اللعنة». ثمّ قرّر أنّ من الأفضل له أن يعرف أسوأ ما قد يحدث، فضغط عليه.

وصل البريد الإلكتروني إلى ما يقرب من ألف كلمة وأعطى الانطباع بأنّه صيغ بعناية. وتضمّن تفصيلًا منهجيًا لشخصية سترايك، وبدا كملاحظات لحالة نفسية، على الرغم من أنّها ليست ميؤوسًا منها، تتطلّب تدخّلًا عاجلًا. حلّلت لوريلاي، أنّ كورموران سترايك مخلوق متضرّر بشكل أساسي ومختلّ وظيفيًا يقف في طريق سعادته نفسها. هو يتسبّب بالألم للآخرين بسبب عدم الأمانة في طريقته في معالجة عواطفه. لم يسبق له أن جرّب علاقة عاطفية صحيحة، لذلك هرب منها عندما أعطيت له. لكنّه يجد أنّ من الطبيعي أن يُعتنى به عندما يكون ضعيفًا، وربّما لن يدرك ذلك إلّا عندما يصل إلى الحضيض، ويجد نفسه وحيدًا، وغير محبوب يعذّبه الندم.

أعقب هذا التوقع وصف للبحث عن الذات والشكوك التي سبقت قرار لوريلاي بإرسال البريد الإلكتروني، بدلًا من إخبار سترايك ببساطة بأنّها

تضع حدًّا لاتّفاقهما على علاقة بدون قيود. وخلصت إلى أنّها تعتقد أنّ من العدل له أن تشرح كتابيًا لماذا تجده هي، وضمنيًا كلّ امرأة أخرى في العالم، غير مقبول ما لم يغيّر سلوكه. وطلبت إليه أن يقرأ ويفكّر في ما كتبته وأن يفهم أنّها «لا تكتب ذلك بدافع الغضب، بل الحزن»، وطلبت لقاءً آخر حتى يتمكّنا من «تحديد ما إن كنت تريد هذه العلاقة بدرجة كافية لنحاول إقامتها» بطريقة مختلفة.

بعد الوصول إلى آخر الرسالة، بقي سترايك في مكانه، محدّقًا إلى الشاشة، لا لأنّه يفكّر في الردّ، بل لأنّه يستجمع شجاعته لتحمّل الألم الجسدي الذي يتوقّعه عندما سيقف. أخيرًا اندفع ووقف، وجفل وهو يلقي وزنه على الساق الاصطناعية، ثمّ أطفأ حاسوبه وأوصد باب المكتب. وتساءل: «لماذا لا يمكننا إنهاء العلاقة عبر الهاتف؟ وهو يرفع نفسه على الدرج باستخدام الدرابزون. من الواضح أنّها انتهت، أليس كذلك؟ فلماذا نقوم بتشريحها؟»».

عندما وصل إلى شقته، أشعل سيجارة أخرى، وجلس على كرسيّ المطبخ واتّصل بروبن، التي ردّت على الفور تقريبًا.

قالت له بهدوء:

– مرحبًا. لحظة واحدة.

سمع باب يُغلق، ووقع أقدام، ثمّ باب آخر يغلق.

– هل وصلتك رسالتي في البريد الإلكتروني؟ أرسلت لك للتوّ صورتَين.

قالت روبن بصوت منخفض:

– لا. صور ماذا؟

– أظنّ أنّني وجدت مالك يعيش في باترسي. رجل قصير القامة بدين له حاجب واحد.

– ليس هو. رجلنا طويل القامة ونحيف يضع نظّارة.

قال سترايك محبطًا:

– لقد أهدرت ساعة كاملة إذًا. ألم يذكر ولو سهوًا أين يقيم؟ أو ما يحبّ أن يفعله في عطلة نهاية الأسبوع؟ أو رقم تأمينه الوطني؟

– كلا، بالكاد تحدّثنا. سبق أن أخبرتك بذلك.

– كيف يبدو تنكّرك؟

كانت روبن قد أخبرت سترايك عبر الرسائل النصّية أنّ موعد مقابلتها مع «امرأة الويكا المجنونة» التي تدير متجر المجوهرات في كامدن سيكون يوم الخميس.

– لا بأس به. كنت أجرّب...

سمع سترايك صيحة مكتومة في الخلفية.

فقالت روبن على عجل:

– آسفة، سأضطرّ إلى إقفال الخط.

– هل كلّ شيء على ما يُرام؟

– أجل، نتحدّث غدًا.

وأقفلت الخطّ. أبقى سترايك هاتفه على أذنه. واستنتج أنّه اتّصل في وقت غير مناسب لروبن، وربّما حتى خلال شجار بينها وبين زوجها، وأنزل جوّاله بخيبة أمل طفيفة لِقصَر المكالمة. تأمّل الهاتف في يده لبعض الوقت. كانت لوريلاي تتوقّع أن يتّصل بها بمجرّد أن يقرأ بريدها الإلكتروني. ثمّ قرّر أنّه يمكن أن يدّعي بمصداقية أنّه لم يره بعد؛ وألقى هاتفه جانبًا ومدّ يده ليأخذ بدلًا منه جهاز التحكم عن بعد في التلفزيون.

46



... كان يجب أن أتعامل مع هذه القضيّة بحكمة أكبر.

هنريك إبسن، روسميرشولم

بعد أربعة أيّام، وعند ساعة الغداء، اتّكأ سترايك على منضدة في مطعم يقدّم وجبات البيتزا الجاهزة، كان الأكثر ملاءمة لمراقبة منزل يقع في الجهة المقابلة من الشارع. واحد من تلك المنازل المزدوجة، التي يشترك البيت الأول فيها مع البيت الملاصق له عبر جدار، مبني بالطوب البني، وقد نُقش اسم «Ivy Cottages» بالحجر فوق البابين التوأمين. بدا لسترايك أنّ هذا الاسم أكثر ملاءمة لمساكن أكثر تواضعًا من هذين المنزلين، ذوَي النوافذ المقوّسة الأنيقة وأحجار العقد المزخرفة.

وهو يمضغ شريحة بيتزا شعر سترايك أنّ هاتفه يهتزّ في جيبه. نظر ليرى اسم المتّصل قبل أن يردّ، لأنّه كان قد أجرى مِن قبل محادثة مشحونة مع لوريلاي في ذلك اليوم. أجاب على الاتصال بعدما رأى أنّ روبن هي المتّصلة.

– قُبِلت للعمل، قالت روبن. بدت متحمّسة وهي تتابع: «أجريت مقابلتي للتوّ. المالكة مروّعة، لا أستغرب ألّا يرغب أحد في العمل عندها. عرضت عقدًا بلا ذِكر لساعات العمل. بشكل رئيسي، تريد موظّفتين لتحلّا محلّها عندما لا تشعر هي بالرغبة في العمل.

– أما زالت فليك تعمل هناك؟

– أجل، كانت تقف وراء الكاونتر عندما كنت أتحدّث مع صاحبة المتجر. تريد المرأة أن تختبرني غدًا.

– ألم يتبعك أحد؟

– كلّا، أظنّ أنّ الصحافي استسلم. لم يكن أمام المنزل البارحة أيضًا. على كلّ حال، حتى لو رآني لما عرفني. يجب أن ترى شعري.

– لماذا؟ ماذا فعلت به؟

– طبشور.

– ماذا؟

– طبشور للشعر، إنّه لون مؤقّت، لوّنته بالأسود والأزرق. ووضعت الكثير من موادّ التبرّج على عينيّ وبعض الأوشام المؤقتة.

– أرسلي لي صورة شخصية، فأنا أحتاج إلى القليل من الترفيه.

– رفّه عن نفسك بنفسك. ماذا لديك من أخبار؟

– لا شيء. خرج مالك من منزل ديلا معها هذا الصباح...

– يا للهول، هل يقيمان معًا؟

– ليست لدي أي فكرة. صعدا معًا في سيّارة أجرة مع واحد من تلك الكلاب التي تُرشِد العميان. عادا قبل ساعة وأنا أنتظر لأرى ما سيحدث بعد ذلك. هناك أمر واحد مثير للاهتمام: لقد رأيت مالك مِن قبل. عرفته فور أن شاهدته هذا الصباح.

– حقًّا؟

– نعم، لقد كان في اجتماع «مجلس معارضة الألعاب الأولمبية» الذي دعا إليه جيمي وحضرته أنا لمحاولة العثور على بيلي.

– يا له من أمر غريب... أتظنّ أنّه كان يعمل وسيطًا لغيرينت؟

– ربّما، لكن لا أفهم لماذا لم يكتفيا بالتكلّم عبر الهاتف إذا أرادا البقاء على اتّصال. أتعلمين؟ هناك أمر غريب بشأن مالك عمومًا.

سارعت روبن إلى القول: «لا داعي للقلق، لكنه لم يحبّني لأنّه كان يرتاب منّي. هذا يعني فقط أنّه أكثر ذكاءً من الباقين.

– ألا تتخيّلينه قاتلًا؟

– أبسبب ما قالته كينفارا؟

قال سترايك مكرّرًا ما قالته:

– «استفزّ زوجي شخصًا، وهو شخص حذّرته من ألّا يغضبه...».

– ولماذا يجب أن يقلق أيّ شخص بشكل خاصّ من مضايقة أمير؟ لأنّه أسمر البشرة؟ أشفقت عليه، في الواقع، لأنّه مجبر على العمل مع...

– انتظري. قال وترك آخر قطعة بيتزا تسقط في طبقه.

فُتح باب منزل ديلا الأمامي مجدّدًا.

– انطلقنا، قال سترايك، بينما خرج أمير مالك من المنزل بمفرده. أغلق الباب خلفه وسار بخفّة في ممر الحديقة منطلقًا نحو الطريق. خرج سترايك من مطعم البيتزا ساعيًا في أثره.

– إنه يسرع الخطى. يبدو سعيدًا لكونه بعيدًا عنها...

– كيف حال رِجلك؟

– شهدت أيّامًا أسوأ. مهلًا، إنّه ينعطف إلى اليسار... روبن، سأقفل الخط، يجب أن أسرع قليلًا.

– بالتوفيق.

– شكرًا.

عبر طريق ساوثوورك بارك بأسرع ما تسمح به ساقه، ثمّ تحوّل إلى شارع سكني طويل مرصوف بأشجار الدلب المزروعة في مسافات متناسقة، ومحاط بمنازل تعود إلى الحقبة الفكتورية تتجاور على جانبي الطريق. لدهشة سترايك، توقف مالك إلى اليمين عند منزل ببابٍ فيروزي اللون، ودخله. كانت المسافة بين مكان إقامته ومكان إقامة الزوجين وين خمس دقائق سيرًا على الأكثر.

كانت المنازل في ألما غروف ضيّقة، وفهِم سترايك أن الضوضاء الصاخبة يمكن أن تنتقل بسهولة عبر الجدران. منح سترايك مالك ما اعتبره وقتًا كافيًا لخلع سترته وحذائه، ثم اقترب من الباب الفيروزي ودقّ عليه.

بعد انتظار بضع ثوانٍ، فتح أمير. بعد استفسار لطيف ظهرت الصدمة على وجهه. من الواضح أنّ أمير كان يعرف بالضبط من هو سترايك.

– أمير مالك؟

لم يتكلم الشابّ في البداية، لكنّه وقف متجمّدًا وهو يمسك الباب بيد، ويضع الأخرى على حائط الردهة، ناظرًا إلى سترايك بعينين تقلّصتا من سماكة العدستين في نظّارته.

– ماذا تريد؟

– التحدّث معك.

– لماذا؟ بأيّ هدف؟

– وكّلتني عائلة جاسبر تشيزيل؛ إنّهم غير مقتنعين بأنّه انتحر.

بدا أمير مشلولًا لبرهة، فلم يتحرّك ولم يتكلّم.

أخيرًا، تراجع عن المدخل.

– حسنًا، تفضّل بالدخول.

لو كان مكان أمير، لأراد سترايك أيضًا أن يعرف ماذا كان المحقّق يعرف أو بماذا يشتبه، بدلًا من أن يتساءل طوال ليالٍ حافلة بالخوف عن سبب زيارته. دخل سترايك ومسح قدميه على الممسحة عند الباب.

كان المنزل من الداخل أكبر ممّا يبدو عليه من الخارج. قاد أمير سترايك عبر باب إلى اليسار نحو غرفة الجلوس. من الواضح جدًا أنّ الديكور كان يعبّر عن ذوق شخص أكبر سنًّا بكثير من أمير. سجّادة سميكة منقوشة بألوان وردية وخضراء ملتفّة، عدد من الكراسي المغطّاة بقماش قطني سميك، وطاولة قهوة خشبية وُضعت عليها قطعة قماش من الدانتيل إضافة إلى مرآة ذات حافات مزخرفة فوق رفّ الموقد، بينما رُكّب سخّان كهربائي قبيح في مدفأة حديدية. كلّها علامات تشير إلى أنّ في المنزل سكّان مسنّين، فقد كانت الأرفف عارية، والسطوح مجرّدة من الزينة أو من الأغراض الأخرى. ووُضع كتاب لستيغ لارسون على ذراع أحد الكراسي.

دار أمير لمواجهة سترايك ويداه في جيبي بنطاله الجينز.

– أنت كورموران سترايك، قال.

– هذا صحيح.

– شريكتك هي من تظاهرت بأنّها فينيسيا في مجلس العموم.

– أصبت مجدّدًا.

وسأل أمير للمرة الثانية:

– ماذا تريد؟

– أن أطرح عليك بعض الأسئلة.

– بأيّ شأن؟

– أتمانع أن أجلس؟ وجلس قبل أن ينتظر الموافقة. لاحظ أنّ عينَي أمير توجّهتا إلى ساقه، فمدّ الطرف الاصطناعي متفاخرًا، بحيث يمكن رؤية بريق الكعب المعدني فوق جوربه. بالنسبة لرجل يراعي إعاقة ديلا، قد يكون هذا سببًا كافيًا حتى لا يطلب أمير من سترايك أن يقف مجدّدًا. كما قلت، الأسرة لا تعتقد أنّ جاسبر تشيزيل انتحر.

– هل تعتقد أنّ لي علاقة بموته؟ سأل أمير في محاولة لأن يبدو مرتابًا، لكنه بدا خائفًا وحسب.

– كلّا، لكن إن كنت تريد الاعتراف فلا تتردّد. سيوفر عليّ ذلك الكثير من العمل.

لم يبتسم أمير.

قال سترايك:

– الشيء الوحيد الذي أعرفه عنك، يا أمير، هو أنّك كنت تساعد غيرينت وين في ابتزاز تشيزيل.

قال أمير على الفور:

– لم أفعل ذلك.

بدا ما قاله إنكارًا تلقائيًا غير مدروس يقوم به رجل مذعور.

– أما كنت تحاول الحصول على صور تدينه لتستخدمها ضدّه؟

– أجهل عمّا تتكلّم.

– تحاول الصحافة خرق الأمر القضائي الذي حصلت عليه رئيستك. بمجرّد وصول خبر الابتزاز إلى الرأي العامّ، لن تتمكن من إخفاء تورّطك في الأمر لمدّة طويلة. أنت وصديقك كريستوفر...

– ليس صديقي!

أثار عنف أمير اهتمام سترايك.

– هل تملك هذا المنزل يا أمير؟

– ماذا؟

– يبدو مكانًا كبيرًا لشخص يبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا ويحصل على راتب لا يمكن أن يكون كبيرًا...

– ملكية المنزل أمر لا يخصّك...

قال سترايك وهو يميل إلى الأمام:

– أنا لا أهتمّ للأمر على المستوى الشخصي، لكنّ الصحف ستفعل. ستبدو مدينًا للمالكين إن لم تدفع إيجارًا عادلًا. قد يبدو أنّك مدين لهما بشيء، كما لو كانا يمتلكانك. سيعتبر مكتب الضرائب أيضًا أنّها ميزة عينية إن كان المنزل ملك صاحبَي عملك، ما قد يسبّب مشاكل لكليهما...

– كيف عرفت أين تجدني؟

اعترف سترايك:

– في الحقيقة، لم يكن الأمر سهلًا. فأنت لا تظهر كثيرًا على الإنترنت، أليس كذلك؟ وأكمل وهو يمدّ يده بحثًا عن حزمة من الورق المطويّ في جيب سترته الداخلي، قبل أن يفتحها في النهاية: وجدت صفحة أختك على فايسبوك. هذه أختك، أليس صحيحًا؟

وضع قطعة الورق التي طبع عليها منشور فايسبوك على طاولة القهوة. امرأة جميلة وممتلئة الجسم، تضع حجابًا يبدو نافرًا بسبب رداءة نسخ الصورة. كانت محاطة بأربعة أطفال صغار.

معتبرًا صمت أمير موافقة، قال سترايك:

– عدت بضع سنوات إلى الوراء في المشاركات. أردف، وهو يضع صفحة مطبوعة ثانية فوق الأولى: هذا أنت، قبل أن يضع ورقة مطبوعة أخرى فوق بقية الأوراق.

وقف أمير الأصغر مبتسمًا وهو يضع رداءً أكاديميًا، وكان محاطًا بوالديه.

– لقد حصلت على المركز الأول من كلية لندن للسياسة والاقتصاد. أمر باهر. التحقت ببرنامج تدريب للخرّيجين في وزارة الخارجية، تابع سترايك ثم وضع ورقة ثالثة فوق الورقتين الأوليين، ظهرت فيها صورة رسمية لمجموعة صغيرة من الشبّان والشابّات الذين يرتدون ملابس أنيقة، كلّهم من السود أو من أقلّيات عرقية أخرى، يقفون حول رجل أصلع مزهر الوجه. ختم سترايك مطالعته: ها أنت ذا، مع الموظف المدني الكبير في السنّ، السير كريستوفر باروكلو بيرنز، الذي كان يدير في ذلك الوقت حملة تجنيد ضمن إتنيات متنوعة.

رفّت عين أمير.

عاد سترايك ليشرح وهو يضع آخر صفحاته الأربع المطبوعة على فيسبوك:

– وها أنت مرّة أخرى، منذ شهر واحد فقط، مع أختك في مطعم البيتزا هذا، المقابل لمنزل ديلا. بمجرّد أن حدّدت مكانه وأدركت مدى قربه من منزل آل وين، اعتقدت أنّه قد يكون من المفيد القدوم إلى بيرموندسي لمعرفة ما إن كان بإمكاني رؤيتك في الجوار.

حدّق أمير في صورته هو وأخته. هي التي التقطت هذه الصورة الشخصية. وظهر طريق ساوثوورك بارك بوضوح خلفهما، من خلال النافذة.

سأل سترايك أمير:

– أين كنت في السادسة صباحًا يوم الثالث عشر من يوليو؟

– هنا.

– هل يمكن لأيّ شخص أن يؤكّد ذلك؟

– أجل. غيرينت وين.

– وهل أمضى الليل هنا؟

تقدّم أمير بضع خطوات، ورفع قبضتيه. كان واضحًا أنّه لم يمارس الملاكمة في حياته، لكنّ سترايك توتّر. بدا أمير على وشك الانهيار.

أمسك سترايك يديه من دون عنف وعقّب:

– كلّ ما أقوله هو أنّ الساعة 6 صباحًا وقت أبكر من أن يكون غيرينت وين في منزلك.

خفض أمير قبضتيه ببطء، ثمّ، كما لو أنّه لا يعرف ماذا يفعل بنفسه، تراجع إلى الخلف نحو أول كرسي بذراعين، ليجلس على حافة مقعده.

– جاء غيرينت ليخبرني أنّ ديلا وقعت.

– أما كان من الممكن أن يتّصل هاتفيًا؟

– بلى، أفترض ذلك، لكنّه لم يفعل. أراد منّي أن أساعده في إقناع ديلا بالذهاب إلى المستشفى. كانت قد انزلقت على السلالم الليلة السابقة وتورّم معصمها. ذهبت إلى هناك – إنّهما يعيشان بعد المنعطف – لكنّني لم أستطع إقناعها. إنّها عنيدة. على أيّ حال، اتّضح أنّه مجرّد التواء وليس كسرًا. إنّها بخير.

– إذًا أنت حجّة غياب غيرينت ساعة وفاة جاسبر تشيزيل؟

– أفترض ذلك.

– وهو حجّة غيابك.

– لماذا قد أرغب في موت جاسبر تشيزيل؟

– هذا سؤال.

– بالكاد عرفت الرجل.

– حقًا؟

– نعم حقًا.

– إذًا ما الذي دفعه أن يجعل كاتولوس يشهد ضدّك، ويتكلّم عن القدر، ويلمّح أمام غرفة مليئة بالناس بأنّه يعرف أشياء عن حياتك الخاصّة؟

خيّم صمت طويل. رفّت عين أمير مجددًا وقال:

– لم يحدث هذا الأمر.

– حقًا؟ شريكتي...

– إنّها تكذب. لم يعرف تشيزيل أيّ شيء عن حياتي الخاصّة. لا شيء.

سمع سترايك أزيزًا خافتًا يصدر عن آلة الهوفر الكهربائية في المنزل المجاور. لقد كان على حقّ. لم تكن الجدران سميكة.

قال سترايك لمالك الذي بدا خائفًا أكثر من أيّ وقت مضى:

– لقد رأيتك من قبل، في اجتماع جيمي نايت في إيست هام، قبل شهرين.

– أجهل عمّا تتكلم. لقد أخطأت بيني وبين شخص آخر. ثمّ أضاف بشكل غير مقنع: من هو جيمي نايت؟

– حسنًا، يا أمير، إن كنت ستتصرّف بهذه الطريقة فلا فائدة من ذلك. أيمكنني استخدام حمّامك؟

– ماذا؟

– أحتاج إلى التبوّل، ثمّ أرحل وأتركك في سلام.

من الواضح أنّ أمير مالك أراد الرفض، لكنّه بدا غير قادر على إيجاد سبب للقيام بذلك.

قال أمير:

– حسنًا. لكن...

بدا كأنّ فكرة ما خطرت له.

– انتظر. يجب أن أزيل... كنت أنقع بعض الجوارب في الحوض.

– سأبقى هنا، بالضبط حيث أنا، قال سترايك.

غادر أمير الغرفة. أراد سترايك ذريعة للتجوال في الطابق العلوي بحثًا عن أدلّة، لكنّه سمِع وقع خطى أمير وفهِم أنّ الحمّام يقع خلف المطبخ في الطابق الأرضي.

بعد دقيقتين، عاد أمير، وقال:

– من هنا.

قاد سترايك عبر القاعة، من خلال مطبخ فارغ يعجز اللسان عن وصفه، وأشار له نحو الحمّام.

دخل سترايك، أغلق الباب وأوصده، ثمّ وضع يده أسفل المغسلة. كان ملمسها جافًا. مثل كل شيء آخر في الحمّام كانت الجدران وردية اللون هي الأخرى. وكانت هناك قضبان قرب المرحاض، وسكّة تمتدّ من الأرض إلى السقف في نهاية الحمّام، ما يدل إلى أنّ هذه الشقة كانت، في وقت ما من الماضي القريب، منزلًا لشخصٍ ضعيف أو معوق.

ما الذي أراد أمير إزالته أو إخفاءه قبل دخول المحقّق؟ فتح سترايك خزانة الحمّام. احتوت على أغراض قليلة جدًا إلى جانب الأغراض الضرورية الأساسية لشابّ: أدوات الحلاقة ومزيل العرق ومعطّر يوضع بعد الحلاقة.

عند إغلاق الخزانة، رأى انعكاس صورته ماثلةً أمام عينيه وفوق كتفه، ظهر الباب الذي غُلّق عليه بلا مبالاة رداء استحمام سميك، كحلي اللون، من فتحة الذراع بدلًا من أن يعلّق بواسطة الحلقة المصمّمة لهذا الغرض.

ضرب سترايك السيفون ليوهم صاحب المنزل بأنّه كان أكثر انشغالًا من أن يبحث ويلقي نظرة على ما حوله. اقترب من الرداء المعلّق وتحسّس الجيوب فوجدها فارغة. أثناء قيامه بذلك، انزلق الرداء الذي وُضع بشكل غير مستقرّ من مكانه. تراجع سترايك بخطوة إلى الوراء، حتى يقيّم ما كشف عنه للتوّ بأفضل طريقة ممكنة. حفر أحدهم بخشونة رسمًا لرمزٍ رباعي الأرجل على باب الحمّام، ما أدّى إلى تشقق الخشب والطلاء. فتح سترايك صنبور الماء البارد، تحسبًا لمحاولات أمير باستراق السمع، والتقط صورةً للرمز بواسطة هاتفه، ثم أغلق الصنبور وعلّق الرداء كما وجده.

وقف أمير ينتظر في آخر المطبخ.

سأله سترايك:

– أتسمح بأن آخذ هذه الأوراق معي؟ ومن دون أن ينتظر الإجابة عاد إلى غرفة الجلوس والتقط صفحات الفايسبوك.

وسأل عرضًا:

– ما الذي دفعك لترك وزارة الخارجية، على أيّ حال؟

– لم أستمتع بالعمل هناك.

– كيف حدث أن عملت مع الزوجين وين؟

– كنّا قد التقينا. وعرضت عليّ ديلا وظيفة وقبلت بالعرض.

حدث، في كثير من الأحيان، أن شعر سترايك بالانزعاج من الأسئلة التي يُجبر على طرحها خلال مقابلة.

قال وهو يمسك رزمة من الموادّ المطبوعة:

– لم يسعني إلّا أن ألاحظ أنك غبت عن أعين عائلتك لفترة طويلة بعد مغادرتك وزارة الخارجية. لم تعد تظهر في اللقطات الجماعية، ولا حتى في عيد ميلاد والدتك السبعين. توقفت أختك عن ذكرك لفترة طويلة.

لم يقل أمير شيئًا.

قال سترايك:

– وكأنّهم تبرّأوا منك.

– يمكنك الخروج الآن.

لكن سترايك لم يتحرك. وتابع:

– عندما نشرت أختك هذه الصورة لكما في مكان البيتزا (فتح الورقة الأخيرة مجدّدًا) كانت الردود...

وكرّر أمير بصوت أعلى:

– أريدك أن ترحل.

– «ماذا تفعلين مع هذا الحثالة؟»، «هل يعرف والدك أنك ما زلت تقابلينه؟»، تلا سترايك بصوت عالٍ الرسائل الموجودة أسفل صورة أمير وشقيقته. «لو كان أخي يسمح باللواط...».

هاجمه أمير، وأرسل لكمة باليد اليمنى نحو رأس سترايك إلّا أنه تجنّبها. لكنّ أمير، الذي لطالما حملت سحنته هيئة المجتهد العاقل، سيطر عليه نوع من الغضب الأعمى الذي يمكن أن يجعله خصمًا خطيرًا لأيّ رجل. اقتلع مصباحًا قريبًا من مقبسه وأداره بعنف لدرجة أنّ سترايك لو لم يبتعد في الوقت المناسب، لكانت قاعدة المصباح تحطّمت، لا على الحائط الذي قسم غرفة الجلوس إلى نصفين بل على وجهه.

صرخ سترايك: «كفى!»، فيما ألقى أمير بقايا المصباح أرضًا ومشى نحوه مرّة أخرى. صدّ سترايك قبضتَي أمير اللتين كانتا تدوران في الجوّ كالطاحونة،

وضرب بساقه الاصطناعية مؤخّرة ساق أمير، فألقى به أرضًا. شتمه بصوت خافت، لأنّ ما فعله آلم جذعه بشدة، ثم انتصب لاهثًا وقال:

– إن لم تتوقّف فسأبرّحك ضربًا.

تدحرج أمير ليصير بعيدًا من متناول سترايك ونهض على قدميه. كانت نظّارته تتدلّى من أذنٍ واحدة. خلعها بيد مرتجفة فاحصًا المفصّلة المكسورة. بدت عيناه ضخمتين فجأة.

عقّب سترايك:

– أمير، لست مهتمًّا بحياتك الخاصّة، بل أهتمّ بمن تخفي من أجله المعلومات...

همس أمير:

– اخرج.

– ... لأنّه إذا قرّرت الشرطة أنّها جريمة قتل، فسيظهر كلّ ما تحاول إخفاءه. تحقيقات القتل لا تحترم خصوصية أيّ شخص.

– اخرج!

– حسنًا. لا تقل إنّني لم أحذّرك.

عند الباب الأمامي، التفت سترايك للمرّة الأخيرة لمواجهة أمير، الذي تبعه إلى الردهة، واستعدّ عندما توقف سترايك.

– من الذي حفر تلك العلامة على باب حمّامك من الداخل يا أمير؟

– اخرج!

علم سترايك أنّه لا جدوى في الإصرار. وما إن تخطّى عتبة الباب حتى صفق الباب وراءه.

على بعد بضعة منازل، انحنى سترايك وهو عابس على شجرة، ليرفع وزنه عن طرفه الاصطناعي، وأرسل في رسالة نصّية إلى روبن الصورة التي التقطها للتوّ، وأرفقها بالرسالة:

هل تذكّرك بأيّ شيء؟

أشعل سيجارة وانتظر ردّ روبن، سعيدًا بحصوله على عذر لكي يبقى واقفًا، لأنّه بصرف النظر عن الألم في جذعه، كان أحد جانبي رأسه ينبض. أثناء تفادي المصباح، صدم رأسه بالحائط، وكان ظهره يؤلمه بسبب الجهد الذي بذله ليُلقي الشابّ على الأرض.

نظر سترايك إلى الوراء نحو الباب الفيروزي. إذا أراد أن يكون صادقًا، لاعترف بأنّ شيئًا آخر يؤلمه: ضميره. لقد دخل منزل مالك بقصد صدمه أو ترهيبه لينال منه الحقيقة بشأن علاقته مع تشيزيل والزوجين وين. مع أنّ المحقق الخاصّ ليس مجبرًا على اتّباع قاعدة الأطبّاء المأثورة: «القاعدة الأهم هي ألا تسبب الأذى»، حاول سترايك عمومًا استخراج الحقيقة من دون التسبّب بضرر غير ضروري للشخص الذي يستجوبه. كانت قراءة التعليقات في الجزء السفلي من هذا المنشور على فايسبوك بمثابة عمل دنيء. كشخصٍ ذكي، تعيس، ومرتبط بلا شك بالزوجين وين لسبب ليس من اختياره، مثّل انجراف أمير مالك إلى العنف ردّة فعل رجلٍ يائس. لم يكن سترايك بحاجة إلى الرجوع إلى الأوراق الموجودة في جيبه ليتذكّر صورة مالك وهو يقف بفخر في وزارة الخارجية، وهو يوشك أن يشرع في مسيرة مهنية ممتازة مع شهادته من الدرجة الأولى، بينما يقف أستاذه السير كريستوفر باروكلو بيرنز إلى جانبه.

رنّ جوّاله.

سألت روبن:

– أين وجدت هذا النحت بحق السماء؟

– على باب حمّام أمير، مخفيًّا تحت رداء.

– أنت تمزح.

– كلا. ما هذا الشكل في رأيك؟

– الحصان الأبيض على التلّ فوق وولستون.

– جيّد. الأمر يدعو إلى الارتياح، قال سترايك وهو يرفع مرفقه عن الشجرة التي يتكئ عليها منطلقًا وهو يعرج على طول الشارع مرّة أخرى. «خشيت أن أكون بدأت بالهلوسة ورؤية هذه الأشياء اللعينة»، فكّر في سرّه.

47

... أريـد أن أؤدّي دوري المـتواضـع في
صراعات الحياة.

هنريك إبسن، روسميرشولم

خرجت روبن من محطّة كامدن تاون الساعة الثامنة والنصف صباح يوم الجمعة، وانطلقت إلى متجر المجوهرات حيث كان من المقرّر أن تجري تجربة العمل، وهي تسترق النظر على كلّ نافذة تمرّ بها لتتحقّق من مظهرها.

في الأشهر التي أعقبت محاكمة سفّاح شاكلويل، طوّرت تقنيّات بارعة في التبرّج، مثل تغيير شكل حاجبيها أو طلي شفتيها باللون القرمزي، ما أحدث فرقًا كبيرًا في مظهرها عند اقترانه بالشعر المستعار والعدسات اللاصقة الملوّنة. لكنّها لم تضع من قبل الكثير من مساحيق التبرّج كما هي حالها اليوم. عيناها، اللتان وضعت عليهما عدسات لاصقة باللون البنّي الداكن، بدتا ثقيلتين من كثرة الكحل الأسود، بينما لوّنت شفتيها بالوردي الباهت، وأظافرها بلونٍ رصاصي. ولأنّ شحمتي أذنيها مثقوبتان بثقب واحد وحسب، اشترت زوجًا من أصفاد الأذنين الرخيصة في محاولةٍ للظهور بهيئة أكثر جرأة. ما زالت رائحة الفستان الأسود القصير المستعمل الذي اشترته من متجر أوكسفام المحلّي في ديبتفورد كريهةً بعض الشيء، على الرغم

من أنّها غسلته في اليوم السابق، وارتدته مع جوارب سميكة وجزمة سوداء مسطّحة، مع أنّ الصباح كان دافئًا. أملت أن يعكس هذا المظهر شبهًا بينها وبين فتيات الإيمو الأخريات ممّن يتردّدن على كامدن، وهي منطقة في لندن نادرًا ما زارتها، وربطتها بشكل أساسي بلوريلاي ومتجرها للملابس القديمة.

سمّت شخصيتها الجديدة بوبي كونليف. وجدت روبن أنه من الأفضل أن تحمل أسماءً مرتبطة بشخصية متخفّية، وهو ما استجابت له بالفطرة: بدا اسم بوبي قريبًا من روبن، وفي الواقع حاول الناس أحيانًا اختصار اسمها بهذه الطريقة، وأبرزهم شخص غازلها قبل مدّة طويلة في مكتب مؤقت، وشقيقها مارتن، عندما كان يرغب في مضايقتها. كانت شهرة كونليف هي شهرة ماثيو.

في ذلك اليوم غادر الأخير للعمل في وقت مبكر، لأنّه كان يراجع حسابات مكتب في بارنت، ما أراحها كثيرًا. ترك لها الحرّية لإكمال تحوّلها الجسدي بدون ملاحظاته المحبطة واستيائه من أنّها تعمل متخفّية مجدّدًا. في الواقع، وجدت أنّها تستمدّ بعض المتعة من استخدام شهرة زوجها – وهي المرّة الأولى التي تستخدمها – بينما كانت تجسّد صورة فتاة تعرف أنّ ماثيو سيكرهها. كلّما تقدّم ماثيو في السنّ، ازداد تأزّمه وازدراؤه من الناس الذين لا يرتدون الملابس التي يرتديها، أو يفكّرون أو يعيشون مثله.

كان متجر تريكيترا للمجوهرات الذي تملكه امرأة الويكا، مخفيًا في متاهة سوق كامدن. وصلت روبن إلى خارج المتجر عند الساعة التاسعة والربع، فوجدت أنّ أصحاب الأكشاك في ساحة كامدن لوك مشغولون، لكنّ متجر المجوهرات كان مغلقًا وفارغًا. بعد خمس دقائق من الانتظار، وصلت صاحبة العمل وهي تلهث قليلًا. كانت امرأة ضخمة قدّرت روبن أنّها في أواخر الخمسينات من عمرها، يظهر في أول شعرها المصبوغ باللون الأسود نصف بوصة من الجذور الفضّية، وكانت عيناها مكحلتين بالأسلوب ذاته كما بوبي كونليف، وترتدي فستانًا طويلًا من المخمل الأخضر.

خلال المقابلة السريعة التي كأنّها اختبار العمل، طرحت صاحبة المتجر عددًا قليلًا من الأسئلة، وبدلًا من ذلك تحدّثت طويلًا عن زوجها الذي بقيت معه ثلاثين عامًا وتركها ليذهب للعيش في تايلاند، وعن الجار الذي

يقاضيها بسبب نزاع حدودي ومجموعة الموظفين الجشعين والجاحدين الذين رحلوا عن تريكترا لتولّي وظائف أخرى. رغبتها غير المقنعة في الحصول على الحدّ الأقصى من ساعات العمل مقابل منحها للموظفين الحدّ الأدنى من الأجر، إلى جانب إفراطها في طلب الشفقة، جعلت روبن في المقام الأول تتساءل لماذا قد يرغب أيّ شخص في العمل لديها.

– أنت دقيقة في مواعيدك، قالت عندما أصبحت على مقربة من السمع، وعقّبت: هذا جيد.

– أين الأخرى؟

أجابتها روبن:

– لا أعرف.

فقالت صاحبة المتجر بنبرة طفيفة لا تخلو من الهستيريا:

– ليس في اليوم الذي يجب أن أقابل فيه محامي برايان!

فتحت الباب وأدخلت روبن المتجر، الذي كان بحجم كشك كبير، وعندما رفعت ذراعيها لتبدأ بسحب الستائر، اختلطت رائحة جسمها وعطر الباتشولي بالهواء العابق برائحة البخور. سقط ضوء النهار في المحلّ كأنّه شيء صلب، ما جعل كل شيء في المكان غير مرئي إلا عبره. تدلّت القلائد والأقراط الفضّية الباهتة من رفوف مثبتة على الجدران الأرجوانية الدكناء، وتميّز عدد كبير منها بالنجوم الخماسية ورموز السلام وأوراق الماريجوانا، بينما اختلطت النرجيلة الزجاجية ببطاقات التاروت والشموع السوداء والزيوت الأساسية والخناجر الاحتفالية على الرفوف السوداء خلف الكاونتر.

قالت المالكة:

– يمرّ ملايين السيّاح الإضافيين عبر كامدن في هذه الفترة، وإن لم ترجع... قالت وهي تصدر صخبًا وراء الكاونتر، ثم استدركت: ها أنت ذي، وهي تنظر نحو فليك، التي دخلت المتجر وهي عابسة. كانت فليك ترتدي قميصًا عليه شعار حزب الله موشّحًا بلوني الحزب، الأصفر والأخضر، وبنطلون جينز ممزّقًا، كما كانت تحمل حقيبة جلدية كبيرة.

قالت:

– لقد تأخّر مترو الأنفاق.

– أنا تمكّنت من الوصول إلى هنا، وكذلك فعلت بيبي!

صحّحت لها روبن قائلة: «بوبي»، متعمّدةً أن تُظهِر لهجة سكان يوركشاير بوضوح.

لم ترغب في أن تتظاهر بأنّها من سكّان لندن هذه المرّة. كان من الأفضل عدم الحديث عن المدارس والمواقع التي قد تعرفها فليك. قالت المالكة:

– حسنًا، أريدكما أن تمسكا زمام الأمور جيّدًا طوال الوقت، ضاربةً يدها باليد الأخرى بينما كانت تلفظ الكلمات الثلاث الأخيرة. حسنًا، يا بيبي... بوبي... أجل، تعالي إلى هنا وتعلّمي آلية العمل خلف الصندوق.

لم تجد روبن صعوبة في فهم كيفية العمل خلف الصندوق، لأنّها في سنّ المراهقة، عملت أيّام السبت في متجر لبيع الملابس في هاروغيت. من حسن الحظّ أنّها لم تكن بحاجة إلى تعليمات أطول، لأنّ سيلًا من المتسوّقين بدأ بالوصول بعد نحو عشر دقائق من فتح المتجر. دهشت روبن قليلًا، لأنّها ما كانت لتهتمّ بشراء أيّ شيء في المتجر، فيما بدا أنّ العديد من زوّار كامدن يشعرون بأنّ رحلتهم لن تكتمل بدون زوج من الأقراط المصنوعة من القصدير، أو شمعة نُقش عليها شكل نجمة خماسية، أو أحد أكياس الخيش الصغيرة التي وُضعت في سلّة بجانب الصندوق يُزعم أنّها تحتوي على طلسم سحري.

أعلنت المالكة في الساعة الحادية عشرة:

– حسنًا، يجب أن أرحل.

كانت فليك تساعد امرأة ألمانية طويلة القامة، متردّدة بين رزمتين من بطاقات التاروت.

– لا تنسيا، يجب أن تراقبا البضاعة طوال الوقت، حتى لا تُسرق، أردفت، ثمّ أضافت مشيرةً إلى الكشك الذي يبيع الأسطوانات الكبيرة القديمة في الخارج: صديقي إيدي يراقبكما. عشرون دقيقة لكلٍّ منكما على الغداء، تؤخذان بالتعاقب. وكرّرت متشائمة: لا تنسيا، إيدي يراقب.

ابتعدت عبر دوّامة من المخمل وروائح الأجساد. غادرت الزبونة الألمانية ببطاقات التاروت التي اختارتها وأغلقت فليك درج الصندوق، وتردّد صدى الضربة في المتجر الفارغ مؤقتًا.

قالت بفظاظة:

– العجوز اللعين إيدي. إنّه لا يهتمّ. يمكنه سلبها ولن يهتمّ للأمر.
وأضافت فليك لتأكيد كلامها: البقرة.

ضحكت روبن وبدت فليك سعيدة لذلك.

سألت روبن بلكنة سكان يوركشاير:

– ما اسمك؟ لم تخبرني به قطّ.

– فليك. أنت بوبي، أليس كذلك؟

– أجل.

أخرجت فليك جوّالها من حقيبتها، التي وضعتها من قبل تحت المنضدة، وتفحّصته، وبدا لها أنّها لا ترى ما كانت تأمل رؤيته على الشاشة، ثمّ أخفته عن الأنظار في الكيس مجدّدًا.

سألت فليك روبن:

– لا بدّ أنّك كنت بحاجة ماسّة إلى العمل، أليس كذلك؟

– كان عليّ أن أقبل بما أجده. لقد فصلوني.

– حقًا؟

– شركة أمازون اللعينة.

قالت فليك مبديةً اهتمامها:

– هؤلاء الأوغاد الذين يتهرّبون من دفع الضرائب. ماذا جرى؟

– لم أصل إلى المعدّل اليومي في المبيع.

أخذت روبن قصّتها مباشرة من تقرير إخباري حديث عن ظروف العمل في أحد مستودعات شركة البيع بالتجزئة: الضغط المستمرّ لتحقيق الأهداف، وتعبئة آلاف المنتجات يوميًا وفحصها تحت ضغط لا يرحم من المشرفين. تأرجح تعبير فليك بين التعاطف والغضب فيما كانت روبن تخبرها بالأمر.

وقالت عندما أنهت روبن الكلام:

– هذا أمر شائن!

– أجل، لا نقابة ولا شيء، بالطبع. كان والدي نقابيًا كبيرًا في يوركشاير.

– أراهن أنّه غضب من الأمر.

فقالت روبن من دون أن يرف لها جفن:

– لقد مات. بسبب رئتيه. كان عامل منجم سابقًا.

– اللعنة. آسفة لذلك.

باتت تنظر إلى روبن باحترام واهتمام الآن.

– أترين؟ لأنّك كنت عاملة لا موظّفة. هكذا يفلت هؤلاء الأوغاد من العقاب.

– ما الفرق؟

– حقوق قانونية أقلّ، لكنّك تستطيعين مقاضاتهم إذا اقتطعوا من راتبك.

– لا أعرف ما إن كان بإمكاني إثبات ذلك، كيف تعرفين هذه الأمور كلها؟

قالت فليك، وهي ترفع كتفيها:

– أنا ناشطة في الحركة العمّالية.

تردّدت وأضافت: وأمي محامية عمّالية.

– حقًا؟ قالت سامحة لنفسها بأن تبدو متفاجئة ولكن بأدب.

قالت فليك وهي تنظّف أظافرها:

– أجل، لكنّنا لا نتّفق. ما عدت أقابل أيًا من أفراد عائلتي، في الواقع. صديقي لا يروقهم، ولا توجّهي السياسي.

مسدّت قميص حزب الله وأظهرته لروبن. سألتها روبن:

– ماذا؟ هل يساندون المحافظين؟

– الأمر سيّان. ساندوا ذلك اللعين بلير.

شعرت روبن بجوّالها يهتزّ في جيب فستانها المستعمل.

– هل من حمّام هنا؟

– من هنا، أشارت فليك إلى باب مخفيّ جيّدًا مطليّ باللون البنفسجي وقد ثُبّت عليه المزيد من رفوف الحليّ.

خلف الباب البنفسجي، وجدت روبن حجيرة فيها نافذة وسخة ومتصدّعة. تربّعت خزانة بجانب وحدة مطبخ متداعية وُضعت فوقها غلّاية، ومنتجا تنظيف وقطعة قماش قاسية لشدّة وساختها. لم تجد روبن مكانًا للجلوس فالمساحة بالكاد تتّسع للوقوف، لأنّ مرحاضًا قذرًا وُضع في الزاوية.

حبست روبن نفسها داخل حجيرة الألواح الخشبية، ثم أنزلت غطاء المرحاض وجلست لتقرأ الرسالة النصّية الطويلة التي أرسلها باركلي لها ولسترايك للتوّ:

عثروا على بيلي. ألقوا القبض عليه في الشارع قبل أسبوعين. أصيب بنوبة نفسية، وأدخل المصحّ، في شمال لندن، لا أعرف أيّ واحد بعد. رفض أن يخبر الأطبّاء عن أقاربه حتى يوم أمس. اتّصل الاختصاصي الاجتماعي بجيمي هذا الصباح. يريدني جيمي أن أرافقه لإقناع بيلي بالخروج من المستشفى. يخشى ممّا سيخبره بيلي للأطبّاء، يقول إنّه يتكلّم كثيرًا.
وأيضًا، فقد جيمي قطعة ورق كتب عليها اسم بيلي وهو قلق جدًّا بشأن ذلك. سألني إن كنت رأيتها. قال إنّها مكتوبة بخطّ اليد، بدون تفاصيل أخرى، ولا أعرف لماذا يعطيها هذه الأهمّية. يعتقد جيمي أنّ فليك سرقتها. ساءت الأمور بينهما مجدّدًا.

بينما كانت روبن تقرأ الرسالة للمرّة الثانية، وصل ردّ من سترايك:

باركلي: اكتشف ترتيبات الزيارة في المستشفى، أريد أن أقابل بيلي.
روبن: حاولي البحث في حقيبة فليك.

بنبرةٍ ساخطة ردّت روبن برسالة نصّية: شكرًا، كأني لم أفكّر في ذلك! نهضت ثم ضربت السيفون وعادت إلى المتجر، حيث كانت ثلّة من القوطيين بملابسهم السوداء، يلتقطون البضائع كما لو أنهم مجموعة من

الغربان الشرهة. بينما كانت تمرّ بجانب فليك، رأتها روبن وهي تضع حقيبتها على رفّ تحت الكاونتر. عندما غادرت المجموعة أخيرًا وبحوزتها الزيوت العطرية والشموع السوداء، أخرجت فليك هاتفها لتفحصه من جديد، قبل أن تغرق مرّة أخرى في صمتٍ كئيب.

تعلّمت روبن من تجربة العمل في العديد من المكاتب المؤقتة أنّ بناء علاقة عمل جيّدة مع إحدى الزميلات، يمرّ باكتشافها أنّها ليست وحدها تعاني المآسي في علاقتها مع صديقها. فأخرجت هاتفها الخاصّ ورأت رسالة أخرى من سترايك:

لهذا السبب أحصل على راتب كبير. أنا ذكيّ جدًا.

وجدت روبن الجواب ظريفًا رغمًا عنها لكنّها امتنعت عن الابتسام وقالت:

– لا بدّ أنّه يحسبني غبيّة.

– ما الأمر؟

– صديقي المزعوم، وهي تضع هاتفها في جيبها. يُفترض أنّه منفصل عن زوجته. خمّني أين كان الليلة الماضية؟ رأته إحدى صديقاتي يغادر منزلها هذا الصباح. وزفرت بصوت عالٍ وجلست على الكاونتر.

قالت فليك وهي تنظّف أظافرها:

– نعم، صديقي يحبّ النساء المسنّات.

روبن، التي لم تنسَ أنّ جيمي تزوّج امرأة تكبره بثلاثة عشر عامًا، تفاءلت ببناء الثقة مع فليك، ولكن قبل أن تسأل المزيد من الأسئلة، دخلت مجموعة أخرى من الشابّات، يتحدّثن بلغة لم تتعرّف إليها روبن؛ بدت لها من أوروبا الشرقية. تجمّعن حول سلة من الطلاسم.

قالت فليك: «Dziękuję ci»، عندما سلّمتها إحداهنّ المال، فضحكت الفتيات وأثنين على لهجتها.

سألتها روبن بعدما غادرن:

– ماذا قلت للتوّ؟ هل تكلّمت بالروسية؟

– إنّها البولونية. تعلّمت القليل منها من عاملة التنظيف عند والدي.
ثمّ سارعت بالقول، كما لو أنّها أفضت بسرّ: أجل، لطالما اتّفقت مع عاملات التنظيف أكثر ممّا اتّفقت مع والـديّ. في الواقع، لا يمكنك اعتبار نفسك اشتراكية فيما لديك خادمة تنظّف منزلك، أليس كذلك؟ يجب ألّا يُسمح لأيّ شخص بالعيش في منزل كبير جدًا بالنسبة له، يجب أن يُفرض علينا توزيع الملكية قسريًا، وأن يعاد توزيع الأراضي والمساكن للأشخاص الذين يحتاجون إليها.

قالت روبن بحماسة:

– هذا عادل للغاية. بدت فليك مطمئنّة لأنّ بوبي كونليف، ابنة عامل منجم سابق راحل ونقابي في يوركشاير، تسامحت مع مهنة والديها.

فعرضت:

– هل تريدين كوبًا من الشاي؟

– أجل، سيكون ذلك رائعًا.

– هل سمعت عن الحزب الاشتراكي الحقيقي؟ بمجرّد أن عادت إلى المحلّ مع كوبين.

– كلّا.

أكّدت لها فليك:

– ليس حزبًا سياسيًا عاديًا، نحن أشبه بحملة قائمة على المجتمع، شبيهة بمسيرة جارو، أو ما شابه، الروح الحقيقية للحركة العمّالية، وليس تلك الإمبريالية اليمينية المزرية التي تتظاهر بأنّها «حزب العمّال الجديد». لا نريد أن نلعب اللعبة السياسية القديمة ذاتها، بل نريد تغيير قواعد اللعبة في سبيل العامل العادي...

رنّ نشيد الأممية على طريقة بيلي براغ. عندما مدّت فليك يدها داخل حقيبتها، أدركت روبن أنّ هذه هي نغمة رنّة هاتف فليك. قرأت فليك اسم المتّصل وتوتّرت.

– هل ستكونين بخير إن بقيت وحدك لبعض الوقت؟

– بالطبع.

دخلت فليك الغرفة الخلفية. وفيما كان الباب يُغلق سمعتها روبن تقول: «ماذا يجري؟ هل قابلته؟».

ما إن أغلق الباب بإحكام، حتى أسرعت روبن إلى حيث كانت تقف فليك، وأدخلت يدها تحت الغطاء الجلدي لحقيبة هذه الأخيرة. سرعان ما أدركت أنّ داخل الحقيبة يشبه أعماق سلّة المهملات. وتلمّست أصابعها أجزاءً متفرّقة من الورق المجعّد، أغلفة الحلوى، كتلة لزجة من شيء خمّنت أنّه قد يكون علكة للمضغ، وأقلامًا متنوّعة بدون غطاء وأنابيب للتبرّج، وعلبة من القصدير عليها صورة تشي غيفارا، وعبوة من التبغ المخصّص للّف الذي اندلق على بقيّة المحتويات، وبعض أوراق الريزلا وبعض السدادات القطنية النسائية الاحتياطية وكرة صغيرة ملتوية من القماش تكهّنت روبن بريبة أنها سروال داخلي مستعمل. لا بد وأن محاولة تسطيح كلّ قطعة من الورق وقراءتها ثمّ إعادة تجعيدها ستستغرق وقتًا طويلًا. بدا معظمها مسوّدات مقالات تمّ التخلي عنها. ثمّ، عبر الباب خلفها، سمعت فليك تقول بصوت عالٍ: «سترايك؟ بحق السماء...».

تجمّدت روبن وهي تسمع.

«... مذعور... وحده الآن... أخبرهم أنّه...».

«المعذرة»... قالت امرأة تنظر نحو الكاونتر. فقفزت روبن. أشارت الزبونة البدينة، ذات الشعر الرمادي، والتي كانت ترتدي قميصًا مصبوغًا، إلى الرفّ الموجود على الحائط، وسألت: هل يمكنني أن أرى ذلك «الأثام» المميّز؟

سألت روبن مرتبكة:

– أيّ واحد؟

قالت المرأة المسنّة مشيرة إلى خنجر الاحتفال:

– «الأثام».

ارتفع صوت فليك وخفت في الغرفة خلف روبن: «... أليس كذلك؟... تنس... أن تردّ لي الدين... أموال تشيزيل...».

قالت الزبونة وهي تزن السكّين بحذر في يدها:

– ممممم، هل لديك أكبر منه؟

من خلف الباب قالت فليك بصوت عـالٍ: «كـان معك أنـت وليس معي أنا»!

أجابت روبن الزبونة وهي تحدّق في الرفّ:

– ممم، أعتقد أنّ هذا كلّ ما لدينا. قد يكون هذا أكبر بقليل.

وقفت على رأس قدميها لتصل إلى السكين الأطول، فيما سمعت فليك تقول: «اذهب إلى الجحيم يا جيمي!».

قالت روبن:

– ها أنتِ ذا، وهي تسلّم الزبونة خنجرًا بطول 18 سنتيمترًا تقريبًا.

على وقـع قلائد متساقطة انفتح الباب خلف روبـن. خرجت فليك وأصابها الباب في ظهرها.

قالت فليك:

– آسفة. أخذت حقيبتها ورمت الهاتف مجدّدًا في داخلها، كانت تتنفّس بسرعة، وعيناها تلمعان.

تدخلت الساحرة العجوز، مشيرة إلى الزخرفة على مقبض الخنجر الأول، غير منزعجة من ظهور فليك الدرامي:

– أجل، كما ترين، أحبّ رسم القمر الثلاثي على الخنجر الأصغر، لكنّني أفضّل النصل الأطول.

بدت آثار الحمى على فليك، وتأرجحت حالتها بين الغضب والدموع، وهي الحالة التي كانت روبن تعرف أنّها إحدى أفضل الحالات التي يملك صاحبها قابلية للكلام والاعتراف. في محاولة يائسة للتخلّص من زبونتها المتعبة، قالت روبي بصراحة وبلهجة يوركشاير السميكة:

– هذا كلّ ما لدينا.

بقيت الزبونة لدقيقتين أخريين، ووزنت الخنجرين بيديها، ثم رحلت أخيرًا بدون أن تشتري أيًّا منهما.

سألت روبن فليك في الحال:

– هل أنت بخير؟

– كلّا. أحتاج إلى سيجارة.

ثمّ تفقّدت ساعتها.

– أخبريها أنّني أتناول الغداء إذا عادت، اتّفقنا؟

قالت روبن في نفسها: اللعنة، فيما كانت فليك تغادر آخذة معها حقيبتها ومزاجها المتقد.

لأكثر من ساعة، اهتمّت روبن بالمتجر بمفردها. شعرت بالجوع المتزايد. أطلّ إيدي مرّة أو مرّتين، من كشك التسجيلات ونظر من دون تركيز كبير إلى روبن في المتجر، لكنّه لم يُظهر أيّ اهتمام آخر بأنشطتها. في فترة هدوء قصيرة بين المزيد من الزبائن، دخلت روبن الغرفة الخلفية للتأكّد من وجود أيّ طعام هناك. لم تجد شيئًا.

عند الساعة الواحدة إلّا عشر دقائق، عادت فليك إلى المتجر برفقة رجل وسيم وأسمر، يرتدي تيشيرت زرقاء ضيّقة. حدق الرجل بروبن بدقة وغطرسة، على طريقة زير النساء. اكتنفت نظراته خليطًا من التقدير والازدراء محاولًا الاشارة إلى أنّها قد تكون جميلة المظهر، لكنّ عليها أن تبذل جهدًا أكثر بقليل لتثير اهتمامه. تعرف روبن أنّ هذه النظرة بمثابة استراتيجية فعّالة مع الشابّات الأخريات في المكاتب، إلّا أنّها لم تنجح معها يومًا.

قالت فليك لروبن:

– آسفة لأنّني تأخّرت كثيرًا. لم يكن مزاجها السيّئ قد تبدّد تمامًا. التقيت بجيمي صدفة. جيمي، هذه بوبي.

قال جيمي وهو يمدّ يده:

– كيف حالك؟

صافحته روبن.

قالت فليك لروبن:

– اذهبي، اذهبي وأحضري بعض الطعام لنفسك.

– آه... شكرًا.

انتظر جيمي وفليك مغادرتها، فتظاهرت روبن أنها تبحث عن النقود في حقيبتها. لكنها في الواقع، عندما جثت خلف الكاونتر، كانت تختبئ،

لتضبط جوّالها على آلة التسجيل قبل أن تضعه بعناية في الجزء الخلفي من الرفّ المظلم.

قالت بسعادة:

– أراكما بعد قليل إذاً، وابتعدت متوجّهة إلى السوق.

48

لكن ما رأيك بهذا كلّه يا ريبيكا؟

هنريك إبسن، روسميرشولم

انتقل دبّور طنّان من غرف مكتب سترايك الداخلية إلى غرفه الخارجية، وهو يمرّ بين النافذتين المفتوحتين للسماح بدخول هواء المساء المثقل بالدخان. أبعد باركلي الحشرة ملوّحًا بقائمة الوجبات الجاهزة التي وصلت للتوّ مع طلبية كبيرة من الطعام الصيني. نزعت روبن الأغطية عن العلب الكرتونية ووضعتها على مكتبها. بدوره، وقف سترايك بالقرب من الغلّاية محاولًا العثور على شوكة ثالثة.

ما فاجأ روبن هو أنّ ماثيو تفهّم الأمر عندما اتّصلت به من شيرينغ كروس رود قبل ثلاثة أرباع الساعة، لتعلمه أنّها بحاجة إلى مقابلة سترايك وباركلي ومن المحتمل أن تتأخّر للعودة إلى المنزل.

قال:

– حسنًا، توم يريد أن يذهب لتناول الكاري، على أيّ حال. أراك في المنزل.

سألته قبل أن يتمكن من إنهاء المكالمة:

– كيف كان يومك؟ العمل خارج المكتب في...

وغاب الاسم تمامًا عن ذهنها.

– في بارنيت. إنّها شركة لمبرمج ألعاب. أجل، كان كلّ شيء على ما يرام. كيف كان يومك أنت؟

– لا بأس به.

أظهر ماثيو عدم اهتمام كبير بتفاصيل قضيّة تشيزيل بعد شجاراتهما العديدة بهذا الشأن، لدرجة أنّه لم يكن هناك ما يدعو إلى إخباره بمكان وجودها، أو عن الشخصية التي تنتحلها، أو ما حدث في ذلك اليوم. بعد أن ودّع كلّ منهما الآخر، سارت روبن بين السيّاح المتجوّلين وشاربي الكحول ليلة الجمعة، مدركة أنّ المستمع العرضي كان ليعتقد أنّ حديثهما دار بين شخصين بالكاد يعرفان بعضهما البعض، وما يربطهما بالفعل هو مجرد علاقة ظرفية أو عرضية.

سألها سترايك وهو يحمل أربع عبوات من جعة تينينت:

– هل تريدين البيرة؟

– أجل، من فضلك.

كانت لا تزال ترتدي فستانها الأسود القصير وحذاءها ذا الأربطة، لكنّها ربطت شعرها الملوّن بالطبشور إلى الخلف، ونظّفت وجهها من مساحيق التبرّج السميكة كما أزالت عدستيها الداكنتين. عبر بقعة من ضوء الشمس في المغيب رأت وجه سترايك؛ وبدا لها أنّه ليس على ما يُرام. فقد أحاطت فمه خطوط أعمق من المعتاد كما انتشرت على جبهته أيضًا. رجحت أنها خطوط بسبب التعب، وأنها تخبئ ألمًا يوميًا. وكان يتحرّك أيضًا بطريقة غريبة، مستخدمًا الجزء العلوي من جسده للدوران ومحاولًا إخفاء عرجته أثناء عودته إلى مكتبها مع البيرة.

سألت سترايك، بينما كان باركلي يكدّس طبقه بالطعام:

– ماذا كنت تفعل اليوم؟

– أقتفي أثر غيرينت وين. إنّه مختبئ في فندق بائس للمبيت والإفطار على بعد خمس دقائق من منزله الزوجي. قادني طوال الطريق إلى وسط لندن ثمّ عدنا إلى برموندسي من جديد.

علّقت روبن قائلة:

– اقتفاء أثره أمر خطر، فهو يعرفك.

– كان من الممكن أن نقتفي أثره معًا نحن الثلاثة من دون أن يلاحظ ذلك. لا بدّ أنّه خسر 6 كيلوغرامات من وزنه منذ أن رأيته آخر مرة.

– ماذا فعل؟

– تناول الطعام في مكان بجوار مجلس العموم، يفتقر إلى النوافذ وشبيه بالسرداب. يُسمّى سيلاريوم.

قال باركلي:

– يبدو الأمر مبهجًا. واستقرّ على أريكة الجلد الزائف وبدأ بتناول كرات لحم الخنزير بالصلصة الحلوة والحامضة.

– إنّه شبيه بالحمام الزاجل الحزين، يعود إلى مكان أمجاده السابقة مع السيّاح. قال سترايك وهو يسكب كمّية كبيرة من النودلز السنغافوري في طبقه. بعد ذلك ذهبنا إلى كينغز كروس.

توقفت روبن عن صبّ براعم الفاصوليا في طبقها.

– مداعبة فموية على درج مظلم، تابع سترايك شرحه.

تمتمت روبن:

– أوه، وواصلت صبّ الطعام.

سأل باركلي باهتمام:

– هل شاهدت ذلك؟

– من الخلف. دخلت بصعوبة عبر الباب الأمامي، ثمّ تراجعتُ وخرجت وأنا أعتذر. لم يكن في حالة تمكّنه من التعرّف إليّ. بعد ذلك، اشترى لنفسه بعض الجوارب الجديدة من متجر «أسدا» ثمّ عاد إلى نَزْله.

قال باركلي، الذي كان قد أكل نصف الطعام في طبقه:

– يستمتع المرء كما يستطيع.

وأكد بعد أن رأى نظرة روبن أضاف وفمه لا يزال ملآنًا بالطعام:

– زوجتي تريدني في المنزل بحلول الساعة الثامنة والنصف.

– حسنًا يا روبن، قال سترايك وهو ينزل نفسه بحذر شديد على كرسيّه الخاصّ، الذي أحضره إلى المكتب الخارجي، معقبًا: «فلنستمع إلى حديث جيمي وفليك عندما اعتقدا أنّه لا أحد يستمع إليهما».

ثمّ فتح دفترًا وأخذ قلمًا من العلبة على مكتبه بيده اليمنى، وباليسرى وضع النودلز في فمه. انحنى باركلي الذي كان لا يزال يمضغ طعامه إلى الأمام على الأريكة، مبديًا اهتمامه. وضعت روبن جوّالها على المكتب وضغطت على زرّ التشغيل.

لم يُسمع لبعض الوقت أيّ صوت سوى خطى خافتة، وهي خطى روبن، تغادر متجر امرأة الويكا في وقت سابق بحثًا عن مكان لتناول الغداء.

ثمّ سُمع جيمي يقول بصوتٍ خافت لكن مسموع:

– ظننت أنّك هنا وحدك؟

– موظفة جديدة، هذا يومها الأول، على سبيل التجربة. أين سام؟

– أخبرته أنّني سأقابله في وقت لاحق في منزلك. حسنًا، أين حقيبتك؟

– جيمي، لم...

– ربّما التقطتها عن طريق الخطأ.

وسُمع المزيد من الخطوات، كشط على الخشب والجلد، وقعقعة، أصوات مكتومة، وحفيف.

– هذا مكبّ لعين للنفايات.

– ليس في حوزتي، كم مرّة يجب أن أقول لك ذلك؟ ولا يحق لك أن تبحث في حقيبتي بدون...

– الأمر خطير. لقد كانت في محفظتي. أين اختفت؟

– أوقعتها في مكان ما، أليس كذلك؟

– أو أخذها شخص ما.

– ولماذا آخذها أنا؟

– بوليصة التأمين.

– ماذا...

– ولكن إن كان هذا ما تفكّرين فيه، فعليك أن تتذكّري أنّك أنت من سرقه، لذا فهي تدينك بقدر ما تدينني، وأكثر.

– دخلت ذلك المكان من أجلك يا جيمي!

– أوه، هذه هي قصّتك إذًا، أليس كذلك؟ لم يجبرك أحد على ذلك. أنت من بدأ كلّ هذا، تذكّري.

– أجل، وأتمنّى الآن لو أنّني لم أفعل!

– فات الأوان لذلك. أريد أن أستعيد هذه الورقة وهذا من مصلحتك أيضًا. إنّها تثبت أنّه كان مسموحًا لنا الدخول إلى منزله.

– تقصد أنّه يثبت وجود علاقة بينه وبين بيل... آخ!

– كفى! لم يكن هذا مؤلمًا! أنت تحطّين من قدر النساء اللواتي يُضربن بالفعل، بتأديتك دور الضحيّة. الآن أنا لست أمازحك. إن كنت أنتِ أخذتِها...

– لا تهدّدني...

– وماذا ستفعلين، تلتجئين إلى والدك ووالدتك؟ ما سيكون شعورهما عندما يعلمان ما كانت ابنتهما الصغيرة تخطّط للقيام به؟

تحوّل تنفس فليك السريع الآن إلى بكاء وتنهّدات.

– سرقت منه المال، قال جيمي.

– وجدتَ الأمر مضحكًا آنذاك، وقلتَ إنّه يستحق ذلك... ردّت فليك.

– جرّبي هذا الدفاع في المحكمة، وانظري إلى أين سيقودك. إذا حاولت أن تنقذي نفسك من خلال الإيقاع بي، فلن أواجه أيّ مشكلة في إخبار الخنازير بأنّك كنت شريكتي منذ البداية. فإذا ظهرت تلك الورقة الصغيرة حيث لا أريدها أن تظهر...

– ليست في حوزتي، لا أعرف مكانها!

– ... لقد حذرتك، أعطني مفتاح الباب الأمامي لشقّتك.

– ماذا؟ لماذا؟

– لأنّني ذاهب إلى ذاك المكان القذر الذي تسمّينه شقة وسأفتشها مع سام.

– لن تذهب إلى هناك بدوني...

– ولمَ لا؟ هل لديك نادل هندي آخر ينام ثملًا هناك؟

– أنا لم...

– الأمر لا يهمّني. ضاجعي من تشائين. أعطني مفتاحك. أعطني إيّاه.

أظهر التسجيل صوت المزيد من الخطوات؛ ورنين مفاتيح وصوت جيمي وهو يبتعد متبوعًا بسلسلة من التنهّدات التي استمرّت حتى ضغطت روبن على زرّ التوقف.

قالت روبن:

– بكت إلى أن عادت صاحبة المتجر، وكان ذلك قبل أن أرجع بقليل، وبالكاد تكلّمت بعد ظهر هذا اليوم. حاولت أن أرافقها في طريقها إلى مترو الأنفاق، لكنّها صدّتني. آمل أن تكون في مزاج أكثر ميلًا إلى الثرثرة غدًا.

سأل سترايك باركلي:

– إذًا، هل فتّشت أنت وجيمي شقتها؟

– أجل. الكتب، والأدراج، وتحت فراشها. لا شيء.

– عمّ قال لك إنّكما تبحثان بالضبط؟

– قطعة من الورق كُتب عليها بخطّ اليد أشياء عديدة ومنها اسم بيلي. «كانت في محفظتي واختفت». ادّعى أنّه أمر يتعلّق بصفقة مخدّرات، يعتقد أنّني غبيّ قد يصدّق أيّ شيء.

وضع سترايك قلمه على الطاولة، وابتلع كمّية كبيرة من النودلز وقال:

– حسنًا، لا أعرف رأيكما، لكن ما يثير اهتمامي هو «إنّها تثبت أنّه كان مسموحًا لنا الدخول إلى منزله».

قالت روبن، التي نجحت حتى الآن في إخفاء حماستها بشأن ما كانت على وشك الكشف عنه:

– أظنّ أنّني قد أعرف المزيد عن ذلك. اكتشفت اليوم أنّ فليك يمكنها التحدّث قليلًا باللغة البولندية، ونعلم أنّها سرقت نقودًا من مكان عملها السابق. ماذا لو...؟

قال سترايك فجأة:

– «أقوم بهذا التنظيف». هذا ما قالته لجيمي، في المسيرة، عندما كنت أتبعهما! «أقوم بهذا التنظيف، وهو أمر مقزّز»... اللعنة... أتعتقدين أنّها كانت...؟

– عاملة تنظيف تشيزيل البولندية، مصمّمة على ألّا تُسلب منها لحظة انتصارها. أجل. أعتقد ذلك.

استمرّ باركلي في تناول كرات لحم الخنزير بنهم، على الرغم من أنّ عينيه كانتا تظهران دهشته.

قال سترايك:

– إذا صحّ ذلك، فإنّه يغيّر كلّ شيء. كان بإمكانها دخول المنزل، وتفتيشه، وإدخال أشياء إليه...

– كيف عَرَفت أنّه يريد عاملة تنظيف؟ سأل باركلي.

– لا بدّ أنّها رأت البطاقة التي وضعها في نافذة بائع الصحف.

– إنّهما يقيمان على مسافة أميال الواحد من الآخر. إنّها تعيش في هاكني.

– ربّما اكتشفها جيمي وهو يحوم في شارع إيبيري، محاولًا الحصول على المال بالابتزاز، عقبت روبن.

كان سترايك ينظر عابسًا.

– ربما كان الواقع عكس ذلك تمامًا. إذا اكتشفت الجريمة، التي هي موضوع الابتزاز، عندما كانت عاملة تنظيف، فلا بدّ أنّها حصلت على العمل قبل أن يحاول جيمي الحصول على المال.

– حسنًا، ربّما لم يخبرها جيمي. ربّما اكتشفا أنّه يريد عاملة تنظيف بينما كانا يحاولان العثور على معلومات تورّطه عمومًا.

اقترح باركلي:

– حتى يتمكّنا من كتابة مقالة على موقع «الحزب الاشتراكي الحقيقي؟» سيقرأها أربعة أو خمسة أشخاص في أحسن الأحوال.

شخر سترايك للدعابة، وقال:

– النقطة الأساسية هي أنّ هذه القطعة من الورق تقلق جيمي كثيرًا.

تناول باركلي آخر كرة لحم خنزير وأدخلها في فمه ثم أردف:

– فليك أخذتها. أنا واثق من ذلك.

سألت روبن:

– لماذا أنت واثق إلى هذا الحدّ؟

– إنّها تريد ممسكًا عليه، أجاب ونهض ليأخذ طبقه الفارغ إلى المجلى. السبب الوحيد الذي يبقيه معها هو أنّها تعرف الكثير. أخبرني ذات يوم أنّه سيكون سعيدًا إن كان بإمكانه التخلّص منها. سألته لماذا لا يتركها بكلّ بساطة، فلم يجب.

– ربّما مزّقتها إن كانت تورّطهما إلى هذا الحدّ؟

قال سترايك:

– لا أعتقد ذلك. إنّها ابنة محامية، ولن تدمّر الأدلة. ورقة كهذه قد تكون ذات قيمة إذا ساءت الأمور وقرّرت أن تتعاون مع الشرطة.

عاد باركلي إلى الأريكة والتقط البيرة.

سألته روبن، وقد بدأت أخيرًا بتناول وجبتها التي بردت:

– كيف حال بيلي؟

قال باركلي:

– مسكين هذا الوغد. لم يبق على عظامه سوى جلده. قبض عليه رجال شرطة المرور عندما قفز فوق حاجز في محطّة مترو الأنفاق. تعارك معهم وانتهى به الأمر أن أرسلوه إلى المصحّة. يقول الأطبّاء إنّه يعاني من عقدة الاضطهاد. في البداية اعتقد أنّ الحكومة تطارده وأنّ الطاقم الطبّي جزء من مؤامرة عملاقة، لكنّه أصبح أكثر عقلانية الآن بعدما عاد إلى معاقرة أدويته. أراد جيمي أن يأخذه إلى المنزل على الفور، لكنّ الأطبّاء رفضوا ذلك. وأضاف باركلي، الذي توقف قليلًا لإنهاء البيرة: ما يثير غضب جيمي حقًا، هو أنّ بيلي ما زال مهووسًا بسترايك، ويسأل عنه باستمرار. يعتقد الأطبّاء أنّ هذا جزء من أزمته الذهانية، أي أنّه اختار المحقّق الشهير لأنّه مقتنع بأنه الشخص الوحيد الذي يمكنه الوثوق به حقًا. لم أستطع أن أخبرهم أنهما التقيا هو وسترايك، لأنّ جيمي كان واقفًا إلى جانبي يخبرهم أنّ كلّ ما يقوله ترّهات.

– لا يريد الأطبّاء أن يقابله أحد من خارج العائلة، ولم يعودوا متحمّسين لأن يقابله جيمي بعدما حاول إقناعه بأنّ حاله جيدة بما فيه الكفاية ليرجع إلى المنزل.

سحق باركلي علبة البيرة بيده ونظر إلى ساعته:

– يجب أن أرحل يا سترايك.

قال سترايك:

– حسنًا. شكرًا على بقائك معنا. من الجيّد أن نتشارك المعلومات.

– لا بأس.

وغادر باركلي بعدما أومأ بيده لروبن. انحنى سترايك لالتقاط البيرة عن الأرض، لكنه بدا متجهمًا.

سألته روبن:

– هل أنت بخير؟ وهي تضع في طبقها المزيد من رقائق القريدس.

– بخير، أجاب وهو يحاول الوقوف، معقبًا: مشيت كثيرًا اليوم أيضًا، وكنت في غنًى عن عراك البارحة.

– عراك؟ أيّ عراك؟

– مع أمير مالك.

– ماذا!

– لا تقلقي. لم أؤذه... كثيرًا.

– لم تخبرني أنّ الشجار تحوّل إلى عراك.

– أردت أن أخبرك شخصيًا بالأمر، حتى أستمتع برؤيتك تنظرين إليّ وكأنّني سافل حقيقي. ما رأيك لو تعاطفت قليلًا مع شريكك ذي الرجل الواحدة؟

– أنت ملاكم سابق! وهو مجرد شخص يزن 60 كيلوغرامًا يزخ عرقًا!

– لقد هاجمني بمصباح.

– أمير فعل ذلك؟

لم تستطع أن تتخيّل أنّ الرجل المتحفّظ والرقيق الذي عرفته في مجلس العموم يستخدم العنف الجسدي ضدّ أيّ شخص.

– أجل. شعر بالضغط من مسألة تشيزيل، عندما ذكّرته بتعليق الأخير: «رجل له عاداتك»، ففقد صوابه. إن كان هذا يجعلك تشعرين بالارتياح، فأنا لا أشعر بالرضى حيال ذلك. مهلًا، يجب أن أتبوّل.

سحب نفسه بخفة عن الكرسيّ ونهض عن عتبة المكتب متجهًا إلى الحمّام. ما إن سمعته يغلق الباب، حتى رنّ جوّاله، الذي كان يُشحن على خزانة الملفّات بجانب مكتب روبن. نهضت لتتفقّده ورأت من خلال الشاشة المكسورة والملصقة اسم «لوريلاي». تساءلت عمّا إن كان يجب عليها الإجابة، إلّا أنّها تردّدت طويلًا، فانتقلت المكالمة إلى البريد الصوتي. كانت على وشك الجلوس مجدّدًا، عندما سمعت نقرة صغيرة تعلن وصول رسالة نصّية.

إن كنت ترغب في تناول وجبة ساخنة وفي علاقة جنسية بدون أيّ مشاعر إنسانية، فهناك مطاعم وبيوت دعارة من أجل ذلك.

سمعت روبن دويّ باب الحمّام في الخارج وأسرعت العودة بخطى متعثرة إلى كرسيّها. عاد سترايك إلى الغرفة وهو يعرج، أجلس نفسه على كرسيّه ثم التقط علبة النودلز.

قالت روبن: «رنّ هاتفك للتوّ ولم أجب». فقال سترايك: «ارميه لي».

ففعلت. قرأ سترايك النصّ من دون أن تتغيّر تعابير وجهه، وكتم صوت الهاتف ووضعه في جيبه.

– ماذا كنّا نقول؟

– إنّك لم تشعر بالرضى عن العراك.

صحّح لها سترايك:

– أشعر بالرضى بشأن العراك. فلو لم أدافع عن نفسي، لكان وجهي مليئًا بالغرز الآن. ووضع ملء شوكة من النودلز في فمه. ما لا أشعر بالرضى عنه هو أنّني قلت له إنّني أعلم أنّ عائلته نبذته، باستثناء أخت واحدة لا تزال تتكلّم معه. هذا كلّه موجود على فايسبوك. عندما ذكرت أنّ عائلته نبذته كاد يخلع رأسي بمصباح الطاولة.

بينما كان سترايك يمضغ النودلز علّقت روبن:

– ربّما هم مستاؤون لأنّهم يعتقدون أنّه على علاقة بديلا؟

رفع كتفيه وأبدى تعبيرًا جسديًا يعني فيه «ربما»، وابتلع ما في فمه، سائلًا:

– هل خطر لك أنّ أمير هو فعلًا الشخص الوحيد المرتبط بهذه القضيّة ولديه دافع؟ هدّده تشيزيل، على الأرجح، بكشف سرّه: «رجل له عاداتك». «لاشيسيز تعرف متى يحين وقت الجميع».

– ماذا حدث لـ«انسي الغاية وركّزي على الوسيلة؟».

– أجل، أجل، قال سترايك بضجر، وضع جانبًا طبقه الذي أكل منه تقريبًا كلّ النودلز، وأخرج سجائره وولّاعته، وجلس بعدما قوّم وضعيته قليلًا: حسنًا، دعينا نركّز على الوسائل. من كان يستطيع الوصول إلى المنزل، وإلى مضادّات الاكتئاب وإلى الهيليوم؟ ومن كان يعرف عادات جاسبر تشيزيل جيّدًا بما يكفي للتأكّد من أنّه سيشرب عصير البرتقال في ذلك الصباح؟ من كان لديه مفتاح، أو بمن كان يثق بما يكفي للسماح له بالدخول في الساعات الأولى من الصباح؟

– أفراد عائلته.

قال سترايك، وهو يشعل ولاعته:

– صحيح، لكنّنا نعلم أن كينفارا وفيزي وإيزي وتوركويل لا يمكنهم أن يكونوا الفاعلين، الأمر الذي يجعلنا نستبعد رافاييل وقصّته عن تلقيه أوامر الذهاب إلى وولستون في ذلك الصباح.

– أتعتقد حقًا أنّ بإمكانه أن يقتل والده ثمّ أن يتوجّه بهدوء إلى وولستون لانتظار وصول الشرطة مع كينفارا؟

قال سترايك، وهو ينفث نفخة طويلة من الدخان:

– انسي علم النفس أو الاحتمالات: إنّنا نأخذ الفرضية في الحسبان. لم أسمع شيئًا حتى الآن يمنع رافاييل من أن يكون في شارع إيبيري الساعة السادسة صباحًا. واستبق كلامها قائلًا: أعرف ما ستقولينه، لكنّها لن تكون المرّة الأولى التي يزوّر فيها قاتل اتّصالًا هاتفيًا. كان بإمكانه الاتّصال برقم هاتفه من جوال تشيزيل ليجعل الأمر يبدو كما لو أنّ والده أمره بالنزول إلى وولستون.

– هذا يعني أنّه إمّا أنّ تشيزيل لم يضع رمز مرور على جوّاله أو أنّ رافاييل كان يعرفه.

– أحسنتِ. يجب أن نتحقّق من هذا الأمر.

ضغط سترايك على طرف قلمه ودوّن ملاحظة في دفتره. أثناء ذلك، تساءل عمّا إن كان زوج روبن، الذي حذف سابقًا سجلّ مكالماتها من دون علمها، يعرف رمز مرورها الحالي. غالبًا ما تشكّل مسائل الثقة الصغيرة هذه مؤشّرات قويّة على متانة العلاقة بين زوجين.

قالت روبن:

– هناك مشكلة لوجستية أخرى إن كان رافاييل هو القاتل. لم يكن لديه مفتاح، وإذا سمح له والده بالدخول، فهذا يعني أنّ تشيزيل كان مستيقظًا وواعيًا بينما كان رافاييل يدقّ مضادّات الاكتئاب في المطبخ.

– نقطة جيّدة أخرى، لكن يجب أن نعرف كيف تمكّن أيّ من المشتبه فيهم من أن يسحق تلك الحبوب. خذي فليك مثلًا. إن كانت تتظاهر بأنّها عاملة تنظيف، فربّما كانت تعرف المنزل الواقع في شارع إيبيري أفضل من معظم أفراد العائلة. وتسنّت لها فرص كثيرة للتجوال فيه، وكانت في حوزتها نسخة صلبة من المفاتيح لفترة من الوقت. يصعب نسخ هذه المفاتيح لكن دعينا نفترض إنّها تمكّنت من ذلك، لذا لا تزال قادرة على دخول المنزل والخروج منه متى شاءت. تتسلّل في الساعات الأولى لتضع الحبوب في عصير البرتقال، لكن سحق الحبوب بالمدقة في الجرن عمل يحدث جلبة كبيرة...

قالت روبن:

– هذا إن لم تكن أحضرت الحبوب التي سحقتها مسبقًا، في كيس أو شيء من هذا القبيل، ورشّتها حول المدقة والجرن لتوهم أنّ تشيزيل هو من فعل ذلك.

– حسنًا، لكنّنا ما زلنا بحاجة إلى توضيح سبب عدم وجود آثار للأميتريبتيلين في علبة عصير البرتقال الفارغة في سلّة المهملات. كان من الممكن أن يعطي رافاييل كوبًا من العصير لوالده...

– بصمات تشيزيل كانت الوحيدة الموجودة على الكوب... ولكن عندما ينزل في الصباح من غرفته، ألن يعتبر تشيزيل وجود كوب من العصير مصبوبًا مسبقًا أمرًا غريبًا؟ أتشربين أنتِ كأسًا من شيء لم تصبّيه، ظهر بشكل غامض فيما كنت تعتقدين أنّه لا أحد في المنزل؟

في شارع الدنمارك، ارتفعت أصوات مجموعة من الشابّات فوق زحام المرور المستمرّ وهديره وهن ينشدن أغنية ريهانا «أين كنت؟ أين كنت؟ طوال حياتي، طوال حياتي...».

قالت روبن:

– ربّما انتحر بالفعل.

قال سترايك وهو ينفض رماد سيجارته على طبقه:

– هذا الاتجاه لا يغلق المسألة تمامًا. هيّا، فلنفكّر بالأشخاص الذين كانت لديهم الوسائل للوصول إلى شارع إيبيري في ذلك اليوم.

– رافاييل، فليك وجيمي أيضًا. كلّ ما ينطبق على فليك ينطبق عليه، لأنّها كانت ستتمكّن من إعطائه كلّ ما علمته من معلومات عن عادات تشيزيل ومنزله، وأن تمنحه مفتاحها المنسوخ.

– صحيح. هؤلاء ثلاثة أشخاص نعرف أنّه كان من الممكن أن يدخلوا المنزل في ذلك الصباح، لكنّ الجريمة تطلّبت أكثر بكثير من مجرّد القدرة على الدخول من الباب. كان على القاتل أيضًا أن يعرف أيّ نوع من مضادّات الاكتئاب تعاقر كينفارا، وأن يتدبّر أمر إدخال عبوة الهيليوم والأنابيب المطاطية، ممّا يشير إلى الاتّصال الوثيق بآل تشيزيل، ودخول المنزل للحصول على الأشياء بداخله، أو المعرفة من الداخل بوجود عبوة الهيليوم والأنابيب.

– بحسب علمنا، لم يزر رافاييل شارع إيبيري في الفترة الأخيرة ولم يكن على اتّفاق مع كينفارا لمعرفة نوع الحبوب التي كانت تتناولها، على الرغم من أنّني أفترض أنّ والده ربّما ذكرها أمامه. بالاستناد إلى هذه النظرية وحدها، يبدو أنّ الزوجين وين وأمير مستبعدون... لذلك، افتراضًا أنّ فليك هي بالفعل عاملة التنظيف، بات جيمي وفليك يتصدّران قائمة المشتبه فيهم.

تنفّس سترايك الصعداء وأغمض عينيه.

وتمتم، وهو يمرّر يده على وجهه:

– اللعنة، أستمرّ في العودة إلى الغاية، إلى الدافع وراء كل هذا.

فتح عينيه مرّة أخرى، وأطفأ سيجارته على طبق العشاء الخاصّ به، ثم أشعل على الفور واحدة أخرى.

– لست مندهشًا من اهتمام المكتب الخامس في هيئة الاستخبارات العسكرية، لأنّه لا يوجد مكسب واضح هنا. كان أوليفر محقًا، فالمبتزّون لا يقتلون ضحاياهم عمومًا، بل العكس هو الصحيح. قد تكون الكراهية سببًا، لكنّ القتل بدافع الغضب ينفّذ بمطرقة أو مصباح على الرأس، ولا يكون انتحارًا مزيّفًا خُطّط له بدقة. إن كانت جريمة قتل بالفعل، فهي أشبه بإعدام سريري مخطّط له بكلّ تفاصيله. لماذا؟ ماذا ربح القاتل من ذلك؟ هذا ما يجعلني أتساءل لماذا في ذلك الوقت؟ لماذا مات تشيزيل تحديدًا في ذلك الوقت؟

كان من مصلحة جيمي وفليك بالتأكيد أن يبقى تشيزيل على قيد الحياة حتى يتمكّنا من تقديم دليل يجبره على دفع المبلغ الذي يريدانه. والأمر نفسه مع رافاييل: لقد أُبعِد من الوصيّة، لكنّ علاقته بوالده كانت تُظهِر بعض علامات التحسّن. كان من مصلحته أن يبقى والده على قيد الحياة.

– لكن تشيزيل هدّد أمير سرًّا بكشف أمر فاضح وغير محدّد، أرجّح أن يكون جنسيًا، بالنظر إلى اقتباسه لكاتولوس، كما حصل أخيرًا على معلومات بشأن اختلاس وين للمال من مؤسّسة العائلة الخيرية. لا ينبغي أن ننسى أنّ غيرينت وين لم يكن مبتزًّا تقليديًا: فهو لم يسعَ إلى المال، لقد أراد دفع تشيزيل إلى الاستقالة وإلحاق العار به. هل كان وين أو مالك ينتقمان بطريقة مختلفة عندما أدركا أنّ الخطّة الأولى قد فشلت؟

سحب سترايك نفسًا قويًا من سيجارته وقال:

– ثمة ما يفوتنا يا روبن، أمر يربط بين هذه الأمور كلّها.

– قد لا يكون هناك رابط بين الأمور. إنّها الحياة، أليس كذلك؟ لدينا مجموعة من الأشخاص لكلّ منهم محنته وأسراره الشخصية. كان لبعضهم أسبابًا كافية كي لا يحبّون تشيزيل، ويستاؤون منه، لكنّ هذا لا يعني أنّهم مرتبطون على نحوٍ دقيق. قد تكون بعض الأمور غير ذات صلة بعضها ببعض.

– لا يزال هناك أمر نجهله.

– هناك أمور كثيرة لا...

– كلّا، إنّه أمر مهمّ، أمر... أساسي. أشتمّ ذلك. إنّه أمر يظهر بين الحين والآخر. لماذا قال تشيزيل إنّه قد يكون لديه المزيد من العمل لنا بعد أن يتخلّص من قضيّة وين ونايت؟

– لا أعرف.

– «إنّهم يتعثّرون ويقعون، الواحد تلو الآخر». من الذي تعثر ووقع من قبل؟

– غيرينت وين. كنت قد أخبرته للتوّ عن الأموال المفقودة من المؤسّسة الخيرية.

– تشيزيل كان على الهاتف، يحاول العثور على واحد من تلك الملاقط التي توضع فيها النقود. ملقط نقود يخصّ فريدي، عقّب سترايك.

قالت روبن:

– هذا صحيح.

كرّر سترايك:

– فريدي، وهو يحكّ ذقنه.

وعاد بالذاكرة إلى غرفة التلفزيون العامّة في مستشفًى عسكري ألماني. حيث كُتم صوت التلفزيون في الزاوية ووُضعت نسخ من مجلّة أحوال الجيش على طاولة غير مرتفعة. كان الملازم الشابّ الذي شهد وفاة فريدي تشيزيل جالسًا هناك بمفرده، عندما وجده سترايك على كرسيّه المتحرّك، فيما لا تزال رصاصة طالبان مستقرّة في عموده الفقري.

«... توقفت القافلة، أمرني الرائد تشيزيل بأن أخرج لأرى ما الذي يجري. أخبرته أنّني أرى حركة ما في أعلى التلّ. فقال لي إنّ من الأفضل لي أن أنفّذ أوامره. لم أبتعد مسافة أكثر من قدمين حتّى تلقّيت الرصاصة في ظهري. آخر ما أتذكّره هو صراخه من الشاحنة في وجهي. ثمّ اقتلع القنّاص الجزء الأعلى من رأسه».

طلب الملازم سيجارة من سترايك. لم يكن من المفترض به أن يدخّن، لكنّ سترايك أعطاه العلبة التي كان يحملها وكان قد دخّن نصف محتواها.

قال الشابّ الجالس على الكرسيّ المتحرّك: «تشيزيل كان سافلًا».

تخيّل سترايك، فريدي الأشقر الطويل القامة يمشي في أحد الدروب الريفية، يبحث عن الإثارة مع جيمي نايت ورفاقه. ثمّ رأى فريدي مرتديًا زيّ المبارزة، في الحلبة، تراقبه ريانون وين ذات الشخصية الغامضة، والتي كانت ربّما منذ ذلك الوقت تنتابها أفكار انتحارية.

هل يمكن لفريدي، الذي يكرهه جنوده بينما يحترمه والده، أن يكون ذاك الشيء الذي يسعى سترايك خلفه، ذاك العنصر الذي يربط كلّ الأمور بعضها ببعض، الذي يربط بين مبتزّين وقصّة طفل مخنوق؟ لكنّ الفكرة بدأت تتلاشى عندما تمعّن فيها، وانهارت خيوط التحقيق المختلفة مرّة أخرى، فبدت غير مترابطة اطلاقًا.

قال سترايك بصوت عالٍ، وعيناه تتّجهان إلى السماء وراء نافذة المكتب:

– أريد أن أعرف ما الذي تظهره الصور من وزارة الخارجية. أريد أن أعرف من الذي حفر حصان أوفينغتون الأبيض على الجزء الخلفي من باب حمّام أمير مالك، وأريد أن أعرف لماذا زُرع صليب في الأرض، في المكان المحدّد الذي قال بيلي إنّ طفلًا قد دُفن فيه.

وقفت روبن وبدأت بإزالة بقايا الوجبات الجاهزة الصينية، ثم علّقت:

– في الحقيقة، لم يقل أحد إنّك لست طموحًا.

– دعك منها، سأتولى الأمر. يجب أن ترجعي إلى المنزل.

– لا أريد أن أرجع إلى المنزل.

– لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا. ماذا ستفعلين غدًا؟

– حصلت على موعد بعد الظهر مع دراموند، صديق تشيزيل، ويعمل تاجرًا للقطع الفنّية.

بعد أن شطفت روبن الأطباق وأدوات المائدة، أخذت حقيبة يدها من حيث علّقتها، ثمّ استدارت. يميل سترايك إلى رفض قلق الآخرين عليه، لكن كان عليها أن تقول ذلك:

«لا أقصد الإهانة، لكنّك تبدو بحال مزرية. ربّما عليك أن تريح ساقك قبل أن تضطرّ إلى الخروج مجدّدًا؟ إلى اللقاء».

وغادرت قبل أن يجيب سترايك، فجلس غارقًا في التفكير حتى أدرك أخيرًا أنّه يجب أن يبدأ الرحلة المؤلمة إلى شقته في الطابق العلوي. بعد أن رفع نفسه ليقف مرّة أخرى، أغلق النوافذ وأطفأ الأنوار وأوصد باب المكتب.

وفيما كان يضع قدمه الاصطناعية على أول درجة من الدرج، رنّ هاتفه مرّة أخرى. كان يعلم، من دون أن يتحقّق من الأمر، أنّ المتّصلة هي لوريلاي. فهي لم تكن لتسمح له بالرحيل من دون أن تحاول على الأقلّ أن تؤذيه بشدة كما فعل هو معها. ببطء وبعناية، محاولًا أن يبقي وزنه بعيدًا عن طرفه الاصطناعي قدر الإمكان، صعد الدرج متجهًا إلى فراشه.

49

سكّان روسميرشولم؛ رجال الدين والجنود والرجال الذين شغلوا مناصب عالية في الدولة؛ رجال شرفاء كلّ واحدٍ منهم...

هنريك إبسن، روسميرشولم

لم تستسلم لوريلاي. أرادت أن تقابل سترايك وجهًا لوجه، وأرادت أن تعرف لماذا أعطت ما يقرب من عام من حياتها، في رأيها، لمصّاص دماء عاطفي.

قالت: «أنت تدين لي بمقابلة»، عندما التقط الهاتف أخيرًا في وقت الغداء في اليوم التالي. «أريد أن أقابلك. أنت تدين لي بذلك».

– وماذا سيحقق ذلك؟ قرأتُ رسالتك الإلكترونية، وقد أوضحت فيها مشاعرك. قلت لك من البداية ما كنت أريده وما لا أريده...

– لا تقل لي الجملة المبتذلة: «لم أدّعِ يومًا أنّني أريد أيّ علاقة جادّة». بمن اتّصلت عندما لم تستطع المشي؟ كنت سعيدًا بما يكفي أن أتصرّف مثل زوجتك عندما كنت...

بينما كانت ساقه المبتورة ممدودة على كرسيّ أمامه، أجاب وهو جالس في غرفة جلوسه المشتركة مع المطبخ:

– فلنتّفق كلانا على أنّني سافل – كان يرتدي سرواله القصير وحسب لكنّه سرعان ما سيحتاج إلى ارتداء طرفه الاصطناعي وملابس أنيقة بما يكفي

للاندماج مع الزائرين الآخرين في معرض هنري دراموند الفنّي – فليتمنَّ كلٌّ منّا للآخر التوفيق و...

– لا، لن يمكنك الرحيل بهذه السهولة. كنت سعيدة، كنت بخير...

– لم أرغب أبدًا في أن أجعلك تعيسة. أنا معجب بك...

– أنت معجب بي! أمضينا عامًا معًا وأنت معجب بي، صرَخت.

قال لها بعد أن فقد أعصابه في النهاية:

– ماذا تريدين؟ أن أتوجّه وأنا أعرج إلى حفل زواج لعين، وأنا لا أشعر بما يجب أن أشعر به، ولا أرغب في ذلك الزواج وأتمنّى أن أنفد منه؟ أنت تجعلينني أقول ما لا أريد قوله. لم أرغب في التسبب لك بالأذى...

– لكنّك فعلت! لقد جرحت مشاعري! والآن تريد الرحيل وكأنّ شيئًا لم يكن!

– وأنتِ تريدين شجارًا علنيًا في مطعم؟

قالت وهي تبكي الآن:

– أريد ألّا أشعر كأنّني أي شخص. أريد ذكرى لنهاية علاقتنا لا تجعلني أشعر بأنّني رخيصة ولا أهمّية لي...

– لم أعتبرك هكذا إطلاقًا. ولا أعتبرك هكذا الآن. أغمض عينيه متمنّيًا لو لم يعبر الغرفة ليتكلّم معها في حفل واردل مطلقًا. الحقيقة هي، أنّك أفضل...

– لا تقل لي إنّني أفضل ممّا تستحقّه. اترك لنا بعض الكرامة.

أقفلت الخطّ. اعترى سترايك شعورًا عارمًا بالراحة.

خلافًا لكلّ التحقيقات الأخرى التي قام بها سترايك، وبشكلٍ محكم، أعاده هذا التحقيق إلى البقعة الصغيرة ذاتها في لندن. بعد ساعات قليلة نزل من سيّارة الأجرة على الرصيف المنحدر قليلًا لشارع سانت جيمس، فوجد قصر سانت جيمس المبنيّ بالطوب الأحمر أمامه مباشرةً، ونادي برات في بارك بليس إلى يمينه. بعد أن دفع للسائق، توجّه إلى معرض دراموند، الذي يقع على الجانب الأيسر من الشارع بين محل لوكيل يبيع إحدى ماركات النبيذ ومتجر للقبّعات. على الرغم من أنّه تمكن من ارتداء طرفه الاصطناعي،

مشى سترايك بمساعدة عصا المشي القابلة للطيّ التي اشترتها له روبن سابقًا، في تلك الفترة التي أصبحت فيها ساقه تؤلمه لدرجة أنّها لم تكن تتحمّل وزنه.

ترك اتّصال لوريلاي أثرًا، مع أنه شكّل علامة على نهاية العلاقة التي أراد الهروب منها. وعلم في قرارة نفسه أنّه كان، معنويًا على الأقل إن لم يكن فِعليًا، مذنبًا ببعض التهم التي وجّهتها إليه. عندما أخبر لوريلاي في البداية أنّه لا يسعى إلى الالتزام ولا إلى الدوام، كان يعلم جيّدًا أنّها فهمت أنّه يعني «الآن» بدلًا من «أبدًا» ولم يصحّح لها هذا الانطباع، لأنّه أراد علاقة تشتّت انتباهه عن المشاعر التي عصفت به بعد زفاف روبن.

رغم كل شيء ما زال سترايك يملك القدرة على تجاهل عواطفه. تلك القدرة التي لطالما اشتكت منها شارلوت، وظهرت في فقرة طويلة من رسالة لوريلي، في رسالتها الإلكترونية المخصصة لشرح شخصيته. وصل قبل دقيقتين من موعده مع هنري دراموند، وضع أزمته العاطفية جانبًا بسهولة مركّزًا على الأسئلة التي كان ينوي طرحها على صديق الراحل جاسبر تشيزيل.

توقف في الخارج أمام رخام المعرض الأسود، ورأى صورته منعكسة في النافذة فرتّب ربطة عنقه. ارتدى أفضل بذلة إيطالية لديه. خلف انعكاس صورته، وُضعت لوحة مضاءة بذوق لافت في إطار ذهبي مزخرف على حامل لوحات خلف الزجاج الناصع. ظهر فيها علي على ما بدا لسترايك، حصانان غير واقعيين برقبتين تشبهان رقبة الزرافة وعينين محدّقتين، يمتطيهما فارسان من القرن الثامن عشر.

خلف الباب الثقيل كان المعرض صامتًا، ويحدث فوق أرضية من الرخام الأبيض شديد اللمعان. سار سترايك بحذر متكئًا على عصاه بين اللوحات الرياضية ولوحات الحياة البرّية، التي أضيئت بشكل خفيّ على الجدران البيضاء، ووُضعت جميعها في إطارات ثقيلة مذهّبة. وهو يمشي ظهرت أمامه شابّة شقراء أنيقة ترتدي فستانًا أسود ضيّقًا تخرج من باب جانبي.

بدون أن تسأل عن اسمه، رحبت به: «أوه، مساء الخير»، وابتعدت باتّجاه الجزء الخلفي من المعرض، فيما ينقر كعباها الدقيقان البلاط ويحدثان صوتًا يشبه صوت ارتطام المعادن بالأرض. «هنري! وصل السيّد سترايك!».

فُتح باب خفيّ، فدلف دراموند عبره. رجل غريب المظهر، بملامح متقشفة: أنف مقروص وحاجبان أسودان تمتد حولهما لفائف من الدهون التي تصل إلى الذقن والرقبة. يملك وجهًا كوجوه البيوريتانيّين وجسد كأجساد الإقطاعيين. سالفاه الطويلان كقوائم الماعز يمنحناه مظهرًا يجعله يبدو وكأنّه من زمن سحيق؛ أما بذلته التي تتوسطها صدرية رمادية داكنة، فتؤكد على نحو لا يترك مجالًا للشك بأنه ينتمي إلى الطبقة العليا.

– كيف حالك؟ تفضّل إلى المكتب، قال لسترايك وهو يمد يده لمصافحته.

تدخلت الشقراء:

– هنري، اتّصلت السيّدة روس للتوّ. في هذه الأثناء كان سترايك دخل الغرفة الصغيرة التي خلف الباب الخفيّ، فوجها مسيّجة بالكتب المتراصفة على رفوف من خشب الماهوغني، وبدت مرتّبة للغاية. تابعت الشقراء: إنّها ترغب في رؤية لوحة مانينغز قبل أن نغلق. أخبرتها أنّها محجوزة، لكنّها أصرّت...

قال دراموند:

– أخبريني عندما تصل. وهل يمكننا تناول بعض الشاي يا لوسيندا؟ واستفسر من سترايك: أم ترغب في بعض القهوة؟

– فنجان شاي سيكون رائعًا، شكرًا.

– تفضّل بالجلوس.

جلس سترايك ممتنًا لوجود كرسيّ جلدي كبير ومتين. لم يكن من شيء على المكتب العتيق الذي يفصل بين كرسيهما إلّا صينية عليها ورق للكتابة، وقلم حبر وفتّاحة رسائل من العاج والفضة. قال هنري دراموند متثاقلًا:

– إذًا، أنت تنظر في هذه القضيّة المروّعة لحساب العائلة؟

– هذا صحيح. هل تمانع إذا دوّنت بعض الملاحظات؟

– تفضّل.

أخرج سترايك دفتر ملاحظاته وقلمه. ودار دراموند برفق من جانب إلى آخر في كرسيّه الدوّار.

وقال بهدوء:

– صدمة رهيبة. بالطبع، يفكّر المرء على الفور في دور أجنبي. فقد كان وزيرًا في الحكومة، وعيون العالم على لندن مع الألعاب الأولمبية وما إلى ذلك...

– ألا تعتقد أنّه انتحر؟

تنهّد دراموند بشدّة.

– عرفته لخمسة وأربعين عامًا. لم تخلُ حياته من المشاكل. لكنّه تجاوز كلّ شيء – الطلاق من باتريشا، وفاة فريدي، الاستقالة من الحكومة، وحادث سيّارة رافاييل المروّع – لينهي حياته الآن عندما أصبح وزيرًا للثقافة، وعاد كلّ شيء إلى مساره الصحيح... حزب المحافظين كان كل حياته، كما تعلم. أجل. يكاد ينزف دمًا أزرق. كره خروجه من اللعبة، وسُرّ كثيرًا بالعودة، وبارتقائه إلى منصب وزير... كنّا نمازحه في أيّام شبابنا قائلين إنّه سيصبح رئيسًا للوزراء، بالطبع، لكنّه كان حلمًا مستحيلًا. لطالما قال جاسبر: «المحافظون يحبّون الأوغاد أو المهرّجين»، وهو لم يكن هذا ولا ذاك.

– إذًا هل تقول إنّه كان في حالة معنوية جيّدة عمومًا قبل وفاته؟

– آه... في الحقيقة، لا، لا يمكنني قول ذلك. كان يعاني الضغوط والمخاوف؛ لكن هل كانت له ميول انتحارية؟ قطعًا لا.

– متى قابلته للمرّة الأخيرة؟

– التقينا وجهًا لوجه للمرّة الأخيرة هنا في المعرض. أستطيع أن أخبرك بالضبط بالتاريخ: يوم الجمعة في الثاني والعشرين من حزيران.

علم سترايك أنّ هذا هو اليوم الذي التقى فيه تشيزيل للمرّة الأولى. وتذكّر الوزير وهو يبتعد باتّجاه معرض دراموند بعد غدائهما في نادي برات.

– وكيف بدا لك في ذلك اليوم؟

– بدا غاضبًا جدًّا، لكن هذا لم يكن منه مفرّ، بالنظر إلى ما رآه هنا عندما دخل.

التقط دراموند فتّاحة الرسائل وقلّبها برفق بين أصابعه السميكة.

– ابنه... رافاييل... كان قد ضُبط للتوّ للمرةً الثانية... آه.

امتنع دراموند للحظة.

وأضاف:

– متلبّسًا مع الشابّة الأخرى التي كانت تعمل هنا آنذاك، في الحمّام خلفي.

أشار إلى باب أسود غير لافت للأنظار.

– كنت قد ضبطتهما هنا من قبل، قبل شهر. لم أخبر جاسبر في المرّة الأولى، لأنّني شعرت بأنّ لديه ما يكفي من المشاكل.

– ماذا تعني؟

وضع دراموند أصابعه على العاج المزخرف، وتنحنح وقال:

– زواج جاسبر ليس... لم يكن... أعني أن أقول، كينفارا متعبة. امرأة صعبة. استمرّت في مضايقة جاسبر ليقبل بأن يزاوج إحدى أفراسها مع توتيلاس في ذلك الوقت.

عندما امتنع سترايك عن أيّ ردّ فعل، أوضح دراموند:

– إنّه حصان فحل تم ترويضه على أفضل نحو. تبلغ قيمة سائله المنوي بين 9 و10 آلاف.

– يا للهول!

– أجل. وعندما لا تحصل كينفارا على مرادها... أجهل ما إن كان الأمر يتعلّق بمزاجها أو أن هناك ما هو أكثر خطورة – عدم استقرار عقلي فعلي – على أيّ حال، واجه جاسبر وقتًا صعبًا للغاية معها.

بعد ذلك، كان قد مرّ بمسألة حادث رافاييل المروّع، آه، مقتل تلك الأمّ الشابّة المسكينة، والصحافة، وما إلى ذلك، ودخول ابنه السجن. كصديق، لم أرغب في زيادة مشاكله. أخبرت رافاييل في المرّة الأولى أنّني لن أبلغ جاسبر، لكنّني قلت له أيضًا إنّه تحذيري الأخير، وإذا خرج عن الطريق المستقيم مرّة أخرى، فسأطرده أكان والده صديقي أم لم يكن. كان عليّ أن أفكّر في فرانشيسكا أيضًا البالغة من العمر ثمانية عشر عامًا وكانت مغرمة به تمامًا، فأنا عرّابها. لم أرغب في إخبار والديها. لذا عندما دخلت وسمعتهما، لم يكن لديّ خيار آخر. اعتقدت أنّه لا بأس أن أترك رافاييل مسؤولًا عن المعرض

لمدّة ساعة لأنّ فرانشيسكا لم تأت إلى العمل في ذلك اليوم، لكنّها بالطبع تسلّلت خصّيصًا لرؤيته في يوم إجازتها.

وصل جاسبر ليجدني أطرق الباب. كان من المستحيل إخفاء ما كان يحدث. حاول رافاييل أن يمنعني من الدخول بينما كانت فرانشيسكا تهرب من النافذة. عجزت عن مواجهتي. اتّصلت بوالديها وأخبرتهما بكلّ شيء. وهي لم تعد إلى هنا.

أضاف دراموند بشدّة:

– رافاييل تشيزيل رجل سيّئ. فريدي، الابن الذي تُوفي – ويصادف أنّي عرّابه هو أيضًا – كان يساوي مليون... ثمّ قال وهو يقلّب سكين الجيب بين أصابعه: حسنًا، حسنًا، لا ينبغي لأحد أن يقول ذلك، أعلم.

فُتح باب المكتب ودخلت الشابّة الشقراء ذات الثوب الأسود بصينية الشاي. قارن سترايك في خياله الشاي الذي أمامه بالشاي الذي كان يشربه في المكتب، بينما وضعت الشابة إناءين من الفضّة على الطاولة أحدهما يحتوي على ماء ساخن، إضافة إلى كوبين خزفيين وطبقين من الخزف الصيني ووعاءً مليئًا بمكعّبات السكّر وملقطًا.

– وصلت السيّدة روس لتوّها، يا هنري.

– بلّغيها أنّني مشغول لمدّة عشرين دقيقة تقريبًا. اطلبي منها الانتظار، إن كان وقتها يسمح بذلك.

قال سترايك، عندما غادرت لوسيندا:

– لذا أعتبر أنّه لم يكن هناك متّسع من الوقت لتتبادلا الحديث في ذلك اليوم؟

قال دراموند بحزن:

– في الحقيقة، لا. جاء جاسبر لرؤية رافاييل في العمل معتقدًا أنّ كلّ شيء يسير على نحو رائع، ووصل وسط ذلك المشهد... ما إن أدرك ما كان يجري، حتى وقف تمامًا في صفّي. هو من دفع الصبيّ بعيدًا وفتح باب الحمام. شحب لونه كثيرًا. كان يعاني مشكلة في القلب، كما تعلم، عاناها

لسنوات. جلس على المرحاض فجأة. قلقت عليه كثيرًا، لكنّه لم يكن ليسمح لي أن أتّصل بكينفارا...

خجل رافاييل من نفسه عندئذٍ، وحاول مساعدة والده. لكنّه طلب إليه أن يخرج، وجعلني أغلق الباب، وأتركه في الداخل...

تجهّم درامونـد فجأة، وأخـذ يسكب لنفسه ولسترايك الشـاي. من الواضح أنّـه كان متأثرًا. ثـمّ أضـاف ثلاثة مكعّبات من السكّر في فنجانه، وأصدرت ملعقته الصغيرة صوتًا عندما اصطدمت بالفنجان.

– عذرًا. كانت آخر مرّة أرى فيها جاسبر، أتفهم؟ خرج من الحمّام، وكان لا يزال شاحب اللون، وصافحني، واعتذر، وقال إنّه خذل صديقه الأكبر... أنا.

سعل درامونـد مرّة أخرى. ابتلع ريقه واستمرّ بجهد واضح:

– لم يرتكب جاسبر أيّ خطأ. تعلّم رافاييل مثل هـذه الأخـلاق من والدته، وأفضل وصف لها بأنّها... من الدرجة العالية... في الواقع... كان لقاؤه بأورنيلا حقًا بداية مشاكل جاسبر كلّها. ليته بقي مع باتريشا...

على أيّ حـال، لم أر جاسبر بعد ذلك اليـوم. وواجـهت صعوبة في مصافحة رافاييل في الجنازة، إن كنت تريد الحقيقة.

تناول درامونـد رشفة من الشاي وجـرّب سترايك الشاي الخاصّ به ووجده خفيفًا جدًّا.

قال المحقق:

– يبدو هذا بأسره مزعجًا للغاية.

تنهّد دراموند وقال:

– يمكنك أن تقول ذلك.

– تعرف أنّ عليّ أن أسأل عن بعض الأمور الحسّاسة.

– بالطبع.

– لقد تحدّثت إلى إيزي. هل أخبرتك أنّ جاسبر تشيزيل تعرّض للابتزاز؟

قال دراموند بعدما نظر إلى الباب ليتأكّد من أنّه مغلق:

– لقد ذكرت ذلك. لكنّه لم ينبس لي ببنت شفة عن الأمر. قالت إيزي إنّ المبتز كان أحد الأخوين نايت... أذكر أنّها عائلة أقامت على أراضيهم. كان

الأب عاملًا صيانة، أليس كذلك؟ أمّا بالنسبة لعائلة وين، في الواقع، فلا أعتقد أنّ جاسبر كان يكنّ لها الكثير من الإعجاب. زوجان غريبان.

– ابنة الزوجين وين، ريانون، كانت مبارزة. كانت في فريق المبارزة البريطاني للصغار مع فريدي تشيزيل...

– نعم، كان فريدي بارعًا للغاية.

– دُعيت ريانون إلى حفلة عيد ميلاد فريدي الثامن عشر، لكنّها كانت أصغر منه بعامين. كانت في السادسة عشرة من عمرها فقط عندما انتحرت.

– يا له من أمر مروّع.

– ألا تعرف أيّ شيء عن ذلك؟

– وكيف لي أن أعرف؟ وظهرت ثنية رقيقة بين حاجبيه.

– ألم تحضر عيد ميلاد فريدي الثامن عشر؟

– بلى، في الواقع. أنا عرّاب فريدي، كما تعلم.

– ألا يمكنك أن تتذكّر ريانون؟

– يا إلهي، لا تتوقع منّي أن أتذكّر جميع الأسماء! كان في الحفل ما يزيد عن مئة شابّ وشابّة. أمر جاسبر بنصب سرادق في الحديقة ونظمت باتريشا لعبة البحث عن الكنز.

– حقًا؟

لم يتضمّن حفل عيد ميلاده الثامن عشر، في حانة متهالكة في شورديتش، لعبة البحث عن الكنز، حيث يصار إلى البحث عن الأدلة واحدًا تلو الآخر.

– فقط في الأرض كما تعلم. لطالما أحبّ فريدي المنافسة. كوب من الشمبانيا مقابل كلّ دليل إلى اللغز يجدونه، كان الجوّ مرحًا جدًّا، ومفعمًا بالحيوية. كنت أشرف على الدليل الثالث، في مكان كان الأولاد يطلقون عليه اسم «الوادي».

سأل سترايك عرضًا:

– الجوف في الأرض بجوار كوخ عائلة نايت؟ كان مليئًا بالنباتات عندما رأيته.

– لم نضع الدليل في الوادي، وضعناه تحت ممسحة الرجلين أمام باب جاك أوكنت. ما كنّا نستطيع الوثوق به لتوزيع الشمبانيا، لأنّه كان يعاني مشكلة في شرب الكحول. جلست قرب حافة الوادي على كرسيّ مرتفع وشاهدتهم وهم يصطادون الأدلة. كلّ من وجد الدليل حصل على كأس من الشمبانيا ورحل.

– مشروبات لمن هم دون الثامنة عشرة من العمر؟

قال دراموند، الذي انزعج قليلًا من الموقف المحبط هذا:

– لم يجبر أحد على شرب الشمبانيا. كان احتفالًا ببلوغه الثامنة عشرة من العمر.

سأل سترايك عائدًا إلى النقطة الرئيسة:

– إذًا لم يذكر لك جاسبر تشيزيل أيّ شيء لا يريد أن تذكره الصحافة؟

– لا شيء على الإطلاق.

– عندما طلب إليّ أن أجد طريقة لمواجهة مبتزّيه، أخبرني أنّ ما فعله حدث قبل ستّ سنوات. وأشار إلى أنّ ما قام به لم يكن مخالفًا للقانون آنذاك، إلّا أنّه غير قانوني اليوم.

– أجهل تمامًا ما قد يكون ذلك. كان جاسبر من النوع الملتزم بالقانون، كما تعلم. الأسرة بأكملها، كانت من ركائز المجتمع، ومن روّاد الكنيسة، ساعدوا المنطقة كثيرًا...

وتبع ذلك ترداد لسلسلة أعمال الإحسان «التشيزيلاني» استمرّ لبضع دقائق، لكنّ ذلك لم يخدع سترايك على الإطلاق. قال دراموند كلامًا مُشوّشًا، لأنّ سترايك كان واثقًا من أنّه يعرف بالضبط ما فعله تشيزيل. وشرع يتغنّى بميل جاسبر بالفطرة إلى صنع الخير، وكذلك جميع أفراد الأسرة، باستثناء النذل الحقير رافاييل.

واختتم حديثه قائلًا:

– ... ويده دائمًا في جيبه، حافلة صغيرة للكشّافة المحلية، مبلغ لإصلاح سقف الكنيسة، حتى بعد أن ساءت حال الأسرة... وقال مرة أخرى في إحراج بسيط: حسنًا، حسنًا...

قال سترايك مجدّدًا:

– والجريمة التي تعرّض للابتزاز بسببها...

لكنّ دراموند قاطعه قائلًا:

– لم تكن هناك جريمة. ثمّ تـدارك نفسه قائلًا: قلت ذلك بنفسك. أخبرك جاسبر أنّه لم يفعل شيئًا غير قانوني. لم يخرج عن القانون.

قرّر سترايك أنّ من غير المفيد أن يضغط أكثر على دراموند في موضوع الابتزاز، وقلّب صفحة في دفتر ملاحظاته، واعتقد أنّ دراموند تنفس الصعداء.

– اتّصلت بتشيزيل صباح يوم وفاته.

– أجل.

– هل كانت هذه هي المرّة الأولى التي تتحدّثان فيها بعد طرد رافاييل؟

– في الواقع لا. تكلمنا قبل أسبوعين من ذلك. أرادت زوجتي أن تدعو جاسبر وكينفارا لتناول العشاء. اتّصلت به في الوزارة، لكسر الجليد، كما تعلم، بعد قضيّة رافاييل. لم يطل الاتّصال، لكنّه كان ودّيًا جدًا. قال إنّهما لا يستطيعان المجيء في الليلة التي اقترحناها. كما قال لي... حسنًا، بصراحة، أخبرني أنّه لم يكن متأكّدًا من المدّة التي سيستمر فيها زواجه بكينفارا، وأنّ زواجهما يواجه مشكلة. بدا متعبًا منهكًا... وتعيسًا.

– لم يتّصل أحدكما بالآخر قبل الثالث عشر من ذلك الشهر؟

ذكّره دراموند قائلًا:

– لم نتكلّم معًا حتى في ذلك التاريخ. اتّصلت بجاسبر، نعم، لكنّه لم يردّ. وقالت لي إيزي... تعثّر في الكلام. أخبرتني أنّه ربّما كان ميتًا آنذاك.

قال سترايك:

– كان الوقت مبكرًا لإجراء مكالمة.

– ... كان لديّ معلومات رأيت من الضروري أن يحصل عليها.

– من أيّ نوع؟

– معلومات شخصية.

انتظر سترايك. شرب دراموند الشاي.

– يتعلّق الأمر بوضع الأسرة المالي، الذي كان كما أتخيّل في حال مزرية قُبيل وفاة جاسبر.

– أجل.

– باع أراضي وأعاد رهن المنزل في لندن، وأوكل إليّ ببيع جميع اللوحات القيّمة. لكنّ هذا لم يكف، في النهاية، حاول بيع بعض مخلّفات تينكي القديمة. كان الأمر... محرجًا بعض الشيء، في الواقع.

– لماذا؟

– أتعامل مع لوحات الرّسامين الكبار. لا أشتري لوحات الخيول المرقطة التي رسمها فنّانون شعبيون أستراليون غير معروفين. في سبيل مجاملة جاسبر، لأنّني صديق قديم، قيّمت بعضها لدى وكيلي المعتمد عند كريستي. اللوحة الوحيدة التي كانت لها أيّ قيمة مالية على الإطلاق هي لوحة لفرس ومهر مبقعين...

– أظنّ أنّني رأيتها.

– لكنّ ثمنها زهيد جدًا. زهيد جدًا.

– بكم، تخمّن ثمنها؟

قال دراموند باستخفاف:

– خمسة إلى ثمانية آلاف على الأكثر.

– مبلغ ليس بزهيد لبعض الناس.

– صديقي العزيز، لن يصلّح هذا المبلغ عُشر سقف منزل تشيزيل.

– لكنّه كان يفكّر في بيعها؟

– مع ست لوحات أخرى.

– كان لديّ انطباع بأنّ السيّدة تشيزيل متعلّقة بشكل خاصّ بهذه اللوحة.

– لا أعتقد أنّ رغبات زوجته كانت ذات أهمّية كبيرة بالنسبة له في النهاية...

تنهّد دراموند:

– يا للهول... هذا كلّه صعب للغاية. لا أرغب في أن أكون مسؤولًا عن إخبار العائلة بشيء أعرف أنّه لن يؤدّي إلّا إلى الأذى والغضب. إنّهم يعانون ما يكفي من الآن.

نقر على أسنانه بظفره.

وقال:

– أؤكّد لك أنّ سبب اتّصالي لا يمكن أن يكون له أيّ تأثير على وفاة جاسبر.

ومع ذلك بدا متردّدًا.

وقال، وهو يختار كلماته بعناية:

– يجب أن تتحدّث إلى رفاييل، لأنّني أعتقد... ربّما... ثمّ قال، كما لو أنّه لم يوضح ذلك تمامًا: لا أحبّ رافاييل، لكنّني أعتقد، في الواقع، أنّه فعل شيئًا مشرّفًا صباح يوم وفاة والده. على الأقلّ، لا أستطيع أن أرى أيّ مكسب شخصي له من ذلك، وأعتقد أنّه يلتزم الصمت بشأنه للسبب الذي يدعوني إلى الصمت أيضًا. بما أنّه من العائلة، فهو في وضع أفضل ليقرّر ما يجب فعله أكثر منّي. تحدّث إلى رافاييل.

خيّل إلى سترايك أنّ هنري دراموند يفضّل أن يجعل رافاييل نفسه غير محبوب من العائلة.

طُرق باب المكتب. وأطلت لوسيندا الشقراء رأسها.

– السيّدة روس تشعر بتوعّك، يا هنري؛ قرّرت الرحيل، لكنّها تودّ أن تودّعك.

قال دراموند وهو يقف:

– أجل، حسنًا. لا أعتقد أنّه يمكنني أن أفيدك أكثر من ذلك يا سيد سترايك.

قال سترايك وهو يقف أيضًا بصعوبة ممسكًا بعصاه مجدّدًا: «أشكرك جدًّا لأنّك قبلت أن تقابلني. هل يمكنني أن أطرح سؤالًا أخيرًا؟»

توقف دراموند وقال:

– بالتأكيد.

– هل تعني لك أيّ شيء عبارة: «وَضَعَ الحصان عليهم»؟

بدا دراموند في حيرة من أمره:

– من وضع أيّ حصان... وأين؟

– لا تعرف معنى هذه العبارة؟

– لا أعرف على الإطلاق. آسف للغاية، ولكن كما سمعت، لديّ زبونة تنتظر.

لم يسع سترايك سوى أن يتبع دراموند عائدًا إلى المعرض.

في وسط الرواق المهجور، وقفت لوسيندا، تعتني بامرأة داكنة الشعر، في حالة حمل متقدّم. كانت تجلس على كرسيّ عالٍ، وتشرب الماء.

عندما أدرك أنّها شارلوت، علم سترايك أنّ اللقاء للمرة الثانية لا يمكن أن يكون مصادفة.

50

... لقد وشمتني إلى الأبد؛ وشمتني
مدى الحياة.

هنريك إبسن، روسميرشولم

قالت بضعف، وهي تنظر إليه من فوق حافة كوبها الزجاجي: «كورم». كانت شاحبة، لكن سترايك، الذي يعلم أنها قد تفعل أيّ شيء لتتصنَع موقفًا يمكنها استخدامه لصالحها، بما في ذلك الامتناع عن الطعام أو وضع مستحضرات تبييض الوجه، أومأ برأسه فقط.

قال دراموند متفاجئًا:

– أوه، أيعرف أحدكما الآخر؟

تمتمت شارلوت:

– يجب أن أذهب. ووقفت بينما كانت لوسيندا القلقة تحوم حولها. تأخَرت، يجب أن أقابل أختي.

قالت لوسيندا:

– هل أنت واثقة من أنَك بخير؟

نظرت شارلوت نحو سترايك وابتسمت بشفتين مرتجفتين.

– هل تمانع أن ترافقني إلى أول الطريق؟ المكان ليس بعيدًا.

التفت دراموند ولوسيندا إلى سترايك، وكان من الواضح أنّهما مسروران بإلقاء مسؤولية هذه المرأة الثريّة وصاحبة العلاقات العامة على كاهله.

قال سترايك مشيرًا إلى عصاه:

– لست متأكّدًا من أنّني أفضل شخص لهذه المهمّة.

شعر بدهشة دراموند ولوسيندا.

قالت شارلوت:

– سأحذّرك بوضوح إذا شعرت أنّني سأدخل في المخاض فعلًا. من فضلك؟

كان يمكنه أن يرفض، أو أن يقول: «لماذا لا تطلبين من أختك أن توافيك إلى هنا؟» لكنّها علمت جيّدًا أنه لو رفض، لبدا فظًا أمام الشخصين اللذين قد يحتاج إلى التحدّث معهما مرّة أخرى.

فقال: «حسنًا»، وأبقى صوته خافتًا تحسبًا لأي مفاجأة. قالت شارلوت وهي تنهض عن الكرسيّ: «شكرًا جزيلًا يا لوسيندا».

كانت ترتدي معطفًا بيج من الحرير، فوق قميص أسود، وجينز مخصص للحوامل، وحذاءً رياضيًا. كلّ ما كانت ترتديه، حتى تلك الثياب غير الرسمية، كان من نوعية محترمة. لطالما فضّلت الألوان الأحادية المتدرجة من الأسود، والتصاميم الصارمة أو الكلاسيكية، التي تبرز جمالها الرائع.

فتح سترايك الباب أمامها، وقد ذكّره شحوبها بوجه روبن. كانا في رحلة، في سيارة مستأجرة، وقد نجح سترايك ببراعة بتجنب حادث مروّع، عندما انحرف في اللحظة الأخيرة واصطدم بجليد أسود.

قال لهنري دراموند: «شكرًا». وردّ تاجر القطع الفنّية بلهجة رسمية: «على الرحب والسعة».

قالت شارلوت: «المطعم ليس بعيدًا»، مشيرةً إلى المنحدر بينما كان باب المعرض يُغلق وراءهما.

سارا جنبًا إلى جنب، وربّما افترض المارّة أنّه المسؤول عن انتفاخ بطنها. لم يجد أي صعوبة بالتعرف إلى رائحة عطر شاليمار على بشرتها. كانت تتعطّر به منذ أن كانت في التاسعة عشرة من عمرها وقد اشتراه لها بنفسه

أحيانًا. تذكّر أنّهما سلكا هذا الطريق قبل عدة سنوات، وانتهى الأمر يومذاك بجدال مع والدها في مطعم إيطالي.

– تظنّ أنّني رتّبت هذا اللقاء.

لم يقل سترايك شيئًا. لم تكن لديه رغبة في الوقوع في شرك الشجارات أو الذكريات. وسارا مسافة مبنيين قبل أن يقول:

– أين ذلك المكان؟

– في شارع جيرمين. إنّه مطعم فرانكو.

ما إن لفظت الاسم، حتى عرف أنّه اسم المطعم ذاته الذي كانا قد التقيا فيه بوالدها منذ تلك السنوات الطويلة. أعقب ذلك مشادّة كلامية قصيرة، وشرسة للغاية، حيث سرى في قلب سترايك تيّار من الحقد الشديد تجاه والدها، وتجاه كلّ فرد من أفراد عائلتها الأرستقراطية، لكنهما عادا بعد إلى شقتها وتطارحا الغرام بقوّة وإلحاح يتمنّى الآن لو يمكنه أن يطرده من رأسه، بالإضافة إلى ذكرى بكائها عندما بلغت ذروتها، ودموعها الساخنة المتساقطة على وجهه وهي تصرخ من اللذة.

قالت بحدّة:

– آخ. توقف.

التفت. وإذا بها تحتضن بطنها بكلتا يديها، تراجعت إلى مدخل أحد المباني، وعبست.

قال:

– اجلسي على الدرجة هناك، مستاءً من اضطراره إلى تقديم الاقتراحات لمساعدتها.

قالت وهي تتنفّس بعمق:

– لا، أوصلني إلى مطعم فرانكو ويمكنك أن تذهب.

استمرّا في المشي حتى وصلا.

ظهر القلق علي مدير الفندق، فقد كان واضحًا أن شارلوت ليست على ما يُرام.

سألت شارلوت:

– هل وصلت أختي؟

أجاب مدير الفندق بنبرةٍ متوترة:

– ليس بعد.

ومثل هنري دراموند ولوسيندا، نظر إلى سترايك نظرةً توحي أن الأخير يتقاسم معهم مسؤولية هذه المشكلة المقلقة التي لم تخطر بباله يومًا.

بعد دقيقة واحدة على الأكثر، وجد سترايك نفسه جالسًا في مقعد أميليا على طاولة لشخصين بجانب النافذة، فيما كان النادل يهمّ بجلب زجاجة ماء. راحت شارلوت تتنفّس بعمق، ووضع النادل سلّة الخبز بينهما، وهو يقترح بتردّد أنّ شارلوت قد تشعر بتحسّن إذا أكلت شيئًا، ويقترح بهدوء على سترايك أنّه يمكنه الاتّصال بسيّارة إسعاف في أيّ لحظة، إذا بدا ذلك ضروريًا.

تركهما وحدهما أخيرًا. ومع ذلك، لم يتكلّم سترايك. بل قرر المغادرة لحظة تحسّن لونها أو وصول أختها. جلس جميع من حولهما لتناول العشاء متأنّقين، يستمتعون بالنبيذ والمعكرونة وسط ديكور يجتمع فيه الخشب والجلد مع الزجاج، أما الخلفية فمزينة بورق للجدران يظهر أشكالًا هندسية باللونين الأبيض وأحمر، وقد طُبِعت نقوش عليه بالأبيض والأسود.

تمتمت شارلوت مرة أخرى:

– تعتقد أنّني رتبت هذا.

لم يقل سترايك شيئًا. كان يترقّب وصول أختها، التي لم يقابلها منذ سنين وهو يعرف أنّها سترتاب عندما تجدهما جالسين معًا. ربّما ينشب شجار آخر مكتوم، مخفيّ عن الزبائن الآخرين الذين يتناولون عشاءهم، حيث ستعلّق معجدًا على شخصيته وخلفيته ودوافعه لمرافقة صديقته السابقة، الثريّة، الحامل، والمتزوّجة، إلى موعد على العشاء.

أخذت شارلوت كسرة خبز وبدأت تأكلها وهي تراقبه.

– كنت أجهل حقًّا أنّك ستكون هناك اليوم، يا كورم.

لم يصدّق ذلك لثانية واحدة. لقاؤهما في لانكستر هاوس كان صدفة: فقد رأى صدمتها عندما التقت عيناهُما، لكن هذا اللقاء كان كلّ شيء إلّا

صدفة كبيرة. لو لم يكن يعلم أنّ ذلك مستحيل، لافترض أنّها علمت أنّه انفصل عن صديقته في ذلك الصباح.

– أنت لا تصدّقني.

قال وهو لا يزال يبحث في الشارع عن أميليا:

– لا يهم.

– شعرت بصدمة حقيقية عندما قالت لوسيندا إنّك هناك.

(هراء. لا يفترض أن تخبرك من الذي كان في المكتب. كنت تعرفين من قبل).

– يحدث هذا كثيرًا في الفترة الأخيرة. إنّها تدعى تقلّصات براكستون هيكس، مخاضات كاذبة. أكره الحمل.

علم أنّه لم يتخلص من أول فكرة خطرت في باله، عندما مالت نحوه وقالت بهدوء:

– أعرف ما تفكّر فيه. لم أتخلّص من طفلنا. لم أفعل.

قال:

– لا تبدئي يا شارلوت.

وهو يشعر بأنّ الأرض الثابتة تحت قدميه تتشقق.

– خسرت...

قال بنبرةٍ محذّرة:

– لن نتحدث في هذا الموضوع مرّة أخرى. لن نعود عامين إلى الوراء. لا يهمّني الأمر.

– أجريت اختبارًا في منزل والدتي...

– قلت لا يهمّني.

أراد أن يغادر، لكنّها أصبحت أكثر شحوبًا وشفتاها ترتعشان. بعينين خضراوين مألوفتين تمامًا راحت تحدّق به. عينان مرقّطتان باللون الخمري، ومتلألئتان بالدموع. كانت نظراتها رهيبة. بدا البطن المنتفخ وكأنّه ليس جزءًا منها. لم يكن ليُفاجأ كثيرًا لو رفعت قميصها فظهرت وسادة.

– ليتهما كانا منك.

– بحق السماء يا شارلوت...

– لو كانا منك لسعدت بذلك.

– لا تكذبي عليّ. كنت ترفضين أن تُرزقي بالأطفال مثلي تمامًا.

سقطت الدموع الآن على خدّيها. ومسحتها فيما ارتجفت أصابعها بشدة أكثر من أيّ وقت. على الطاولة المجاورة ثمة رجل يحاول التظاهر بأنّه لا يرى شيئًا. غير أنّ شارلوت تُدرِك تمامًا درجة التأثير التي تحدثها على من حولها، فألقت على المتنصّت نظرة جعلته يصرف اهتمامه بسرعة إلى طبق التورتِلّيني الموجود أمامه، ثمّ تناولت قطعة خبز ووضعتها في فمها؛ مضغتها وهي تبكي. أخيرًا، ارتشفت بعض الماء لتيسّر ابتلاع لقمتها، ثمّ أشارت إلى بطنها وهمست:

– أشفق عليهما. هذا كلّ ما أشعر به: الشفقة. أشفق عليهما لأنّني والدتهما ووالدهما هو جاغو. يا لها من بدايةٍ للحياة. في البداية حاولت التفكير في طريقة تميتهما بدون أن أضطر إلى قتلهما.

– كفّي عن الإشفاق على نفسك. سوف يحتاجان إليكِ، ألا تعرفين ذلك؟ قال سترايك بقسوة.

– لا أريد أن يحتاج إليّ أحد. لم أرغب في ذلك يومًا. أريد أن أكون حرّة.

– لتقتلي نفسك؟

– أجل، أو لمحاولة جعلك تحبّني مجدّدًا.

انحنى نحوها.

– أنت متزوّجة وحامل بطفليه. انتهت قصّتنا، انتهت.

انحنت نحوه هي أيضًا، فيما كان وجهها المبلّل بالدموع أجمل ما رآه على الإطلاق. وكان بإمكانه أن يشمّ عطر شاليمار على بشرتها.

– سأحبّك دائمًا أكثر من أيّ شخص آخر في هذا العالم. أنت تعلم أنّ هذه هي الحقيقة. أحببتك أكثر من عائلتي، سأحبّك أكثر من طفليّ، سأحبّك على فراش الموت. أفكّر فيك عندما نكون أنا وجاغو... قالت.

– استمرّي في ذلك وسأرحل.

انحنت مرّة أخرى في مقعدها وحدّقت فيه كما لو أنه قطارٌ يقترب منها وهي مربوطة بالسكك التي تحدد مسار القطار.

– أنت تعلم أنّني أقول الحقيقة. أنت تعرف ذلك، قالت بصوت أجش.

– شارلوت...

– أعرف ما ستقوله، ستقول إنّني كاذبة. أنا كاذبة. أنا فعلًا كاذبة، لكن ليس بشأن الأمور المهمّة، ليس بشأن الأمور المهمّة يا بلوي.

– لا تناديني هكذا.

– لم تحبّني بما فيه الكفاية...

– لا تجرئي على لومي، قال من دون رغبة. وحدها هي كانت تستطيع أن تفقده صوابه: لم يستطع أحد آخر أن يفعل ولو أقلّ من ذلك بكثير. «نهاية علاقتنا... كانت بسببك»، أردف.

– أنت رفضت تقديم التنازلات...

– بل تنازلت. انتقلت لأقيم معك، كما أردت...

– لم تقبل بالوظيفة التي دبّرها لك أبي...

– كان لديّ عمل. كان لديّ الوكالة.

– أخطأت بشأن الوكالة، أعلم ذلك الآن. لقد حققت أمورًا رائعة... قرأت كلّ شيء عنك طوال الوقت: عثر جاغو على كلّ شيء في سجلّ البحث الخاصّ بي...

– كان يجب أن تخفي آثارك، أليس كذلك؟ كنت أكثر حذرًا معي بكثير، عندما كنت تطارحينه الغرام على غفلة منّي.

– لم أطارح جاغو الغرام خلال علاقتنا معًا...

– خطبته بعد أسبوعين من افتراقنا.

– لقد حدث ذلك بسرعة لأنّني جعلته يحدث بسرعة. قلت إنّني أكذب بشأن الطفل وكنت مجروحة وغاضبة... لكنّا متزوّجين الآن لو لم... عقّبت بشراسة.

قاطعهما النادل: «قائمة الطعام». وقد ظهر فجأة بجانب طاولتهما وسلّم قائمة لكلّ منهما. أبعد سترايك القائمة بحركة من يده.

– لن أبقى لتناول الطعام.

– خذها لأميليا، أمرته شارلوت.

فسحب القائمة من يد النادل ورماها على الطاولة أمامه.

– لدينا طبقان مميّزان اليوم، قال النادل.

– هل يبدو لك أنّنا نريد السماع عن الأطباق المميزة؟ أجابه سترايك غاضبًا.

وقف النادل للحظة، متجمّدًا من الدهشة، ثمّ ابتعد بين الطاولات المزدحمة، وقد بدا استياؤه حتى وهو يبتعد.

قال سترايك وهو يميل إلى شارلوت:

– هذا الهراء الرومانسي كلّه. رغبتِ في أمور لا أستطيع أن أعطيك إيّاها. في كلّ مرّة كنت تشعرين بالنقص.

– تصرّفت كعاهرة مدللة، أعلم أنّني فعلت ذلك، ثمّ تزوّجت جاغو وحصلت على تلك الأشياء كلّها التي ظننت أنّني أستحقها والآن أصبحت أريد أن أموت.

– الأمر يتجاوز العطلات والمجوهرات، يا شارلوت. أنت أردتِ أن تحطّميني.

تجمدت تعابيرها، كما يحدث غالبًا قبل أسوأ الانفجارات، والمشادّات الكلامية الأكثر هولًا.

– أردت منعي من الرغبة في أيّ شيء غيرك أنت. اعتبرت ذلك إثباتًا لحبّي لك. أردتني أن أتخلّى عن الجيش، وعن الوكالة، وعن ديف بولورث، وعن كلّ ما يجعلني ما أنا عليه.

– لم أرغب أبدًا في تحطيمك، فظيع فعلًا أن تقو...

– أردت أن تحطّميني لأنّ هذا ما تفعلينه دائمًا، لأنّك إن لم تحطمي الأشياء بيدك ستتلاشى لوحدهاز تحرصين أن تكوني في موقع السيطرة لأنّك إن قتلت العلاقة بيدك لن يكون عليك مشاهدتها وهي تموت.

– انظر في عينيّ وأخبرني أنّك أحببت أيّ شخص، منذ ذلك الوقت، كما أحببتني.

– لا، لم أفعل، والفضل لك، أجابها.

– أمضينا أوقاتًا رائعة معًا...

– عليك أن تذكّريني بها.

– تلك الليلة على متن مركب بنجي في ليتل فرانس...

– ... في عيد ميلادك الثلاثين؟ أو عيد الميلاد في كورنوال؟ استمتعنا كثيرًا، بالفعل.

سقطت يدها على بطنها. اعتقد سترايك أنّه رأى حركة عبر بلوزتها السوداء الرفيعة، وبدا له مجددًا أنّ هناك شيئًا غريبًا وغير بشري تحت جلدها.

– ستة عشر عامًا ونحن نفترق ونستعيد علاقتنا. أعطيتك أفضل ما لديّ، ولم يكن ذلك كافيًا على الإطلاق. أحيانًا يصل المرء إلى نقطة يتوقف فيها عن محاولة إنقاذ الشخص الذي عقد العزم على جعله يغرق معه، قال شارحًا.

قالت:

– أرجوك – فجأة، اختفت شارلوت الضعيفة واليائسة، ليحلَ محلّها شخص أكثر صرامة، امرأة بعينين باردتين وذكيّتين – أنت لم ترغب في إنقاذي يا بلوي. بل أردت أن تفككني. الفرق كبير.

رحّب سترايك فرحًا بظهور شارلوت الثانية، فهي مألوفة لديه من جميع النواحي، تمامًا كالنسخة الهشّة منها، لكنّ التخلّي عنها يترافق مع إحساس أقلّ بالذنب.

– أبدو مقبولًا أكثر الآن لأنّني اشتهرت ولأنّك تزوّجت بسافل.

استوعبت الضربة من دون أن يرفّ لها جفن، على الرغم من أنّ وجهها تورّد قليلًا. لطالما استمتعت شارلوت بالقتال.

– كم يسهل توقّع تصرّفاتك. علمت أنّك ستقول إنّني عدت لأنّك أصبحت مشهورًا.

– في الحقيقة، أنت تميلين إلى الظهور مجدّدًا حيث تجدين حالة دراماتيكية يا شارلوت. أتذكّر أنّه في المرّة الأخيرة، كانت ساقي قد بترت في الانفجار.

قالت بابتسامة باردة:

– أيّها السافل! هكذا تشرح اعتنائي بك لأشهر بعد ذلك؟

رنّ جواله: روبن.

قال وقد أدار ظهره لشارلوت لينظر من النافذة:

– مرحبًا. كيف تجري الأمور؟

قالت روبن بلهجة سكان يوركشاير، وقد بدت أكثر ثقلًا من المعتاد:

– مرحبًا، أتّصل فقط لأبلغك أنّني لا أستطيع أن ألتقي بك الليلة، سأخرج مع صديقة، إلى حفلة.

قال سترايك:

– أفترض أنّ فليك تستمع؟

– أجل، في الواقع، لماذا لا تحاول الاتّصال بزوجتك إذا شعرت بالوحدة؟

قال سترايك مستمتعًا على الرغم من نظرة شارلوت الباردة على الجهة الأخرى من الطاولة:

– سأفعل ذلك. هل تريدين منّي أن أصرخ في وجهك لإعطاءك بعض المصداقية؟

قالت روبن بصوت مرتفع:

– كلا، اذهب إلى الجحيم، وأقفلت الخطّ.

سألت شارلوت وقد زمّت عينيها:

– من كان هذا؟

قال سترايك:

– يجب أن أرحل، وهو يضع جوّاله في جيبه ويحاول التقاط عصا المشي التي انزلقت وسقطت تحت الطاولة بينما كان هو وشارلوت يتجادلان.

بعد أن أدركت شارلوت ما يسعى إليه، انحنت جانبًا ونجحت في التقاطها قبل أن يتمكّن من الوصول إليها. وسألته:

– أين العصا التي أهديتها لك؟

– العصا من قصب المالاكا الماليزي؟ ما زلت أحتفظ بها.

– من اشترى لك هذه؟ روبن؟

وسط سيل من الاتّهامات وجنون الاضطهاد الذي تشعر به كانت شارلوت تقوم بين الحين والآخر بتكهّنات دقيقة على نحوٍ غير متوقع.

– في الواقع، أجل. تأسف على الفور لقوله ذلك. كان يلعب لعبة شارلوت، وفي الحال، تحوّلت إلى شارلوت ثالثة، وهي نادرًا ما تتخذ هذه الشخصية. ليست باردة ولا هشّة، بل صادقة إلى درجة التهوّر.

– ما جعلني أتحمّل هذا الحمل هو فكرة أنّني بمجرّد أن أنجبهما، سأتمكّن من الرحيل.

– ستتخلّين عن طفليك لحظة خروجهما من الرحم؟

– سأبقى محاصرة لمدّة ثلاثة أشهر بعد. إنّهم يرغبون في الصبيّ إلى حدّ أنّهم لا يتعبون من مراقبتي. بمجرّد أن ألِد، سيختلف الأمر. سأتمكّن من الرحيل. كلانا يعرف أنّني سأكون أمًّا سيّئة. سيكونان أفضل حالًا مع عائلة روس. والدة جاغو تستعدّ من الآن لتحلّ محلّي.

مدّ سترايك يده طالبًا عصا المشي. تردّدت شارلوت ثمّ سلمته إيّاها. نهض.

– بلّغي تحيّاتي إلى أميليا.

– لن تأتي. لقد كذبت. علمت أنّك ستأتي إلى معرض هنري. حضرت عرضًا خاصًّا معه أمس. وأخبرني أنّك ستجري مقابلة معه.

– وداعًا يا شارلوت.

– ألا تفضّل أن تعرف أنّني أريد استرجاعك؟

قال وهو ينظر إليها من أعلى إلى أسفل:

– لكنّني لا أريدك.

– لا تكذب يا بلوي.

خرج سترايك من المطعم وهو يعرج متجاوزًا النُدل المحدّقين، وقد بدا أنّهم علموا جميعًا بأنّه تصرّف بوقاحة مع أحد زملائهم. عندما خرج وهو يعرج إلى الشارع، شعر أنه مطارد، وكأنّ شارلوت أرسلت في أثره شبحًا سيتبعه إلى أن يلتقيا مجدّدًا؛ شبح على هيئة امرأة ستطارد مناماته حتى يتصل هناك، في المنام، جسده بجسدها.

51

هل يمكنك أن تعطيني مثلًا أعلى أو اثنين؟

هنريك إبسن، روسميرشولم

قال الأناركي:

– لقد تعرّضت لغسل دماغ حتى تعتقدي أنّ الأمر يجب أن يكون بهذه الطريقة. أترين، يجب أن تعوّدي عقلك على عالم خالٍ من القادة. لا يتمتّع أي فرد بسلطة أكبر من أيّ فرد آخر.

– صحيح، إذًا أنت لم تصوّت مطلقًا؟ قالت روبن.

اكتظّت حانة دوق ويلينغتون في هاكني مساء يوم السبت، لكنّ الظلام كان لا يزال دافئًا، ما جعل العشرات من أصدقاء فليك ورفاقها في مجلس معارضة الألعاب الأولمبية سعداء بالتجوال على الرصيف في شارع بولز بوند. قرروا أن يشربوا قبل العودة إلى شقة فليك حيث أقيم الحفل. حمل العديد من أفراد المجموعة أكياسًا تحتوي على زجاجات نبيذ وبيرة رخيصة.

ضحك الأناركي وهزّ برأسه. كان طويل القامة نحيفًا، أشقر، ومجدل الشعر، ثقب في جسمه ثقوبًا عديدة. اعتقدت روبن أنّها عرفته من الشجار العنيف وسط الحشد ليلة حفل الألعاب البارالمبية. عرض عليها كرة الحشيش التي أحضرها للمساهمة في التسلية العامّة خلال الحفل. روبن، التي اقتصرت

تجربتها مع المخدّرات على نفسين من شيشة الحشيش، وقد حدث ذلك قبل فترة طويلة خلال مسيرتها الجامعية المتقطّعة. تظاهرت بحذلقة أنها مهتمة.

– كم أنت ساذجة! الانتخاب جزء من الخدعة الديمقراطية الكبرى! إنّه طقس لا هدف له، صُمّم لجعل الجماهير تعتقد أنّ لها رأيًا وتأثيرًا! إنّها صفقة تقاسم السلطة بين المحافظين الحمر والزرق! قال لها.

– ما هي الطريقة إن لم تكن الانتخاب؟ واحتضنت نصف ليتر البيرة التي كانت بالكاد لمستها.

– التنظيم المجتمعي والمقاومة والاحتجاج الجماهيري.

– ومن ينظّمها؟

– المجتمعات نفسها. لقد تعرّضتِ لغسل دماغ لا محال. كرّر الأناركي، مخفّفًا من قسوة البيان بابتسامة صغيرة، لأنّ صراحة الاشتراكية بوبي كونليف من يوركشاير تروقه... «لتصدقي فعلًا أنّك بحاجة إلى قادة». ثم تابع: «لكن يمكن للناس أن يقودوا أنفسهم بمجرّد أن يستيقظوا».

– ومن سيوقظهم؟

– الناشطون، وهو يضرب صدره الرقيق، الذين لا يقومون بذلك من أجل المال أو السلطة، ويريدون تمكين الشعب، لا السيطرة عليه. انظري، حتى النقابات... وأضاف: بدون إساءة، لأنّه يعرف أنّ والد بوبي كونليف كان نقابيًا، تعتمد هياكل السلطة نفسها، والقادة يقلّدون الإدارة.

سألت فليك:

– هل أنت بخير يا بوبي؟ وتوقّفت إلى جانبها بعد أن شقّت الحشد نحوها. سنغادر بعد دقيقة، كانت تلك كأسنا الأخيرة. وأضافت بنبرةٍ متوترة نسبيًا: ماذا تقول لها يا ألف؟

بعد يوم سبت طويل في محلّ الحليّ، وتبادل العديد من الاعترافات (في حالة روبن كانت اعترافات خيالية تمامًا) بشأن حياتهما العاطفية، فُتنت فليك ببوبي كونليف لدرجة أنّ لهجتها أصبحت أقرب إلى لهجة سكان يوركشاير. بحلول المساء، كانت قد اقترحت عليها دعوة مزدوجة، أولًا لحفل تلك الليلة، وثانيًا، بانتظار موافقة صديقتها هايلي، لنيل فراش في غرفة النوم

التي أخلتها أخيرًا زميلتها السابقة في الشقة، لورا. قبلت روبن كلا العرضين، وأجرت مكالمتها الهاتفية مع سترايك، ووافقت على اقتراح فليك، وبما أنّ امرأة الويكا غائبة، أغلقتا المتجر باكرًا.

– يقول لي إنّ والدي كان مجرد رأسمالي، قالت روبن.

قالت فليك بينما احتجّ الأناركي ضاحكًا:

– اللعنة يا ألف.

سارت مجموعة الأناركيين على طول الرصيف متجهين إلى شقة فليك، في الليل، وهم يتأرجحون. على الرغم من رغبته الواضحة في مواصلة تعليم روبن أساسيات «عالم بلا قادة»، طردت فليك الأناركي من جانب روبن، لأنّها أرادت التحدّث عن جيمي. على مسافة عشر ياردات أمامهم، سار ماركسيٌّ ملتحٍ وممتلئ الجسم، عرّفوه إلى روبن باسم ديغبي، وقد كان ذاهبًا إلى الحفلة بمفرده، بقدمين متقابلتين مثل الحمام.

– أشك في أنّ جيمي سيأتي، قالت فليك لروبن وكأنّها تحصّن نفسها ضدّ خيبة الأمل. إنّه مضطرب المزاج، قلق على أخيه.

– ما به؟

– إنّه سكيزو أو شيء من هذا القبيل.

كانت روبن واثقة من أنّ فليك تعرف المصطلح الصحيح، لكنّها قالت «شيء من هذا القبيل» للتظاهر بأنّها تفتقر إلى التعليم بوجود شخص أمامها ينتمي إلى الطبقة العاملة. خلال فترة ما بعد الظهر أخبرتها سهوًا أنّها بدأت دراسات جامعية، وبدا أنّها تأسف لذلك، ومنذ ذلك الحين كانت تجهد لتتكلم بسطحية: «لا أدري. لديه أوهام»، قالت.

– ما هي؟

قالت فليك بضحكة صغيرة:

– يعتقد أنّ هناك مؤامرات حكومية أو ما شابه تحاك ضدّه.

– اللعنة.

– أجل، إنّه في المستشفى... تسبّب بالكثير من المتاعب لجيمي. وضعت لفافة رقيقة في فمها وأشعلتها. هل سمعت من قبل عن كورموران سترايك؟

قالت الاسم كما لو أنه كان اسماً لمرض نفسي آخر.

– من؟

– إنّه محقّق خاصّ. تكلّمت عنه الصحف كثيرًا.

أتذكرين عارضة الأزياء، لولا لاندري التي سقطت من النافذة؟

– ليس جيّدًا.

نظرت فليك من فوق كتفها للتأكّد من أن الأناركي ألف لا يستطيع سماعها.

– في الحقيقة، ذهب بيلي لمقابلته.

– لِمَ بحق الجحيم؟

قالت فليك بضحكة صغيرة أخرى:

– لأنّ بيلي مصاب بالذهان، أتفهمين؟ يعتقد أنّه رأى شيئًا قبل سنوات...

– ماذا؟ سألت روبن قبل أن تنهي فليك جملتها.

– جريمة قتل.

– يا للهول!

– لم يرَ شيئًا بالطبع. هذه ترّهات، كلّها. أعني أنّه رأى شيئًا ما، لكنّ أحدًا لم يمت. جيمي كان هناك، هو يعلم. على أيّ حال، ذهب بيلي إلى ذاك المحقّق السافل والآن لا يمكننا التخلّص منه.

– ماذا تعنين؟

– لقد ضرب جيمي.

– المحقّق فعل ذلك؟

– أجل. تبع جيمي في تظاهرة كنّا نقوم بها، وضربه، واعتقلوا جيمي.

قالت بوبي كونليف مرة أخرى:

– اللعنة.

– هذا الرجل يمثّل الدولة العميقة، إن كنت تفهمين قصدي؟ خدم في الجيش وللملكة والعلَم وتلك الأمور اللعينة كلها. جيمي وأنا كان لدينا معلومات تطيح وزيرًا محافظًا.

– حقًا؟

– أجل. لا أستطيع أن أخبرك ما هي، لكنّها معلومات خطرة، ثمّ أفسد بيلي كلّ شيء. أرسل سترايك ليتحرّى عن الأمر ونعتقد أنّه اتّصل بالحكومة...

صمتت فجأة، وعيناها تتبعان سيّارة صغيرة مرّت بها للتوّ.

حسبت أنّه جيمي للحظة. لكن لا، فسيّارته معطّلة.

تعكّر مزاجها مرّة أخرى. خلال فترات الركود في المتجر في ذلك اليوم، أخبرت فليك روبن بتاريخ علاقتها مع جيمي، التي تشبه في معاركها التي لا تنتهي والهدنات وإعادة التفاوض قصّة منطقة متنازع عليها. يبدو أنّهما لم يتوصّلا إطلاقًا إلى اتّفاق بشأن وضع العلاقة وانهارت كلّ معاهدة بينهما بسبب الشجارات والخيانات.

«يجب أن تتخلصي منه، إن كنتِ تريدين رأيي»، قالت لها روبن، التي اتّبعت طوال اليوم سياسة حذرة لمحاولة جعل فليك تتخلّى عن ولائها الأعمى تجاه جيمي، غير الوفيّ، على أمل انتزاع الأسرار منها.

قالت فليك:

– ليت الأمر بهذه السهولة. وقد عادت إلى لكنة يوركشاير التي اعتمدتها في نهاية النهار. لا أريد أن أتزوّج أو أيّ شيء من هذا القبيل، – وأضحكتها الفكرة – يستطيع أن يطارح من يشاء الغرام، وأنا أيضًا. هذا هو الاتّفاق وأنا قبلته.

وكانت قد أوضحت من قبل لروبن في المتجر أنّها كويرية، وتؤمن بالشمولية الجنسية، وقد تنجذب إلى أحد من أي جنس كان، أما الزواج الأحادي، إذا نظرنا إليه نظرة صحيحة، فسنجد أنه أداة للقمع الأبوي. عبر هذه الكلمات شعرت روبن بتأثير جيمي الواضح عليها. سارتا في صمت لبعض الوقت. استفحل الظلام عندما دخلوا نفقًا. بشيء من الاطمئنان قالت فليك:

– أعني، لقد استمتعت أنا أيضًا من جانبي.

– يسعدني سماع ذلك، ردّت روبن.

– لن يُسعد جيمي لمعرفتهم جميعًا.

الماركسي صاحب القدمين اللتين تبدوان كقوائم الحمام، الذي كان يمشي أمامهما، أدار رأسه لدى سماعه قولها هذا. ورأت روبن، على

ضوء مصباح الشارع، ابتسامته الصغيرة وهو ينظر إلى فليك: التقط كلماتها بوضوح. غير أنّ هذه الأخيرة، فيما كانت تحاول العثور على مفاتيح بابها من أسفل حقيبتها المزدحمة، لم تلاحظ ذلك.

قالت فليك مشيرة إلى ثلاث نوافذ مضاءة فوق متجر رياضي صغير:

– نحن نقيم فوق. لقد رجعت هايلي. تبًّا، آمل أنّها تذكّرت أن تخفي حاسوبيَ المحمول.

يمكن الوصول إلى الشقة من مدخل خلفي، بصعود سلّم بارد وضيّق. حتى من أسفل الدرج، كان باستطاعتهم سماع الأزيز القوي لموسيقى «زنوج في باريس». عند وصولهم إلى المنور، وجدوا الباب الهشّ مفتوحًا وقد اتّكأ عدد من الأشخاص على الجدران في الخارج، يتشاركون لفّة حشيش هائلة الحجم.

«ماذا تساوي خمسون ألفًا لسافل مثلي». غنّى كانييه ويست، من داخل الشقّة ذات الإضاءة الخافتة.

التقى الوافدون الجدد، البالغ عددهم اثني عشر شخصًا أو نحو ذلك، بعدد كبير من الأشخاص في الداخل. يُذهل المرء لعدد الأشخاص الذين يمكن أن يتسعوا في شقة صغيرة كهذه، تتكوّن من غرفتي نوم فقط، وحمّام صغير ومطبخ صغير بحجم خزانة.

– نستخدم غرفة هايلي للرقص. إنّها الأكبر، الغرفة التي ستشاركينها إيّاها، صرخت فليك في أذن روبن بينما كانتا تشقّان طريقهما نحو الغرفة المظلمة.

أضيئت الغرفة بسلسلتين من الأضواء الصغيرة فقط، بالإضافة إلى الأضواء المستطيلة الصغيرة المنبعثة من هواتف أولئك الذين يتفقّدون رسائلهم النصّية ومواقع التواصل الاجتماعي، وعبقت الغرفة برائحة الحشيش واكتظّت بالناس. في وسط الأرضية، وقفت أربع شابّات ورجل يرقصون. اعتادت عينا روبن تدريجًا على الظلام، ورأت سريرين بطابقين شبيهين بهيكل عظمي، جلس في طابقه العلوي عدد قليل من الأشخاص الذين يتشاركون لفّة حشيش. استطاعت أن ترى علم قوس قزح الخاصّ بالمثليين وملصق مسلسل «ترو بلود» لتارا ثورنتون على الحائط خلفهم.

ذكّرت روبن نفسها بأنّ جيمي وباركلي مشّطا هذه الشقة من قبل بحثًا عن قطعة الورق التي سرقتها فليك من تشيزيل ولم يعثرا عليها، وهي تنظر في الظلام بحثًا عن مخابئ محتملة. تساءلت عمّا إن كانت فليك احتفظت بها، لكن من المؤكّد أنّ جيمي كان سيفكّر في ذلك. وعلى الرغم من ميول فليك المعلنة، فكّرت روبن أنّ جيمي يبقى في وضع أفضل منها لإقناع فليك بخلع ملابسها. في هذه الأثناء، قد يكون الظلام صديقًا لروبن فيما تنزلق يدها تحت الفرش والسجّادات، لكنّ الحفل كان مكتظًّا لدرجة أنّها شكّت في إمكانية القيام بذلك من دون أن ينتبه أحد إلى سلوكها الغريب.

صرخت فليك في أذن روبن: «... العثور على هايلي»، وحشرت عبوة بيرة في يدها، ثم خرجتا من الغرفة مجدّدًا إلى غرفة نوم فليك الخاصّة، التي بدت أصغر ممّا كانت عليه في الواقع، لأنّ كلّ بوصة من الجدران والسقف كانت مغطّاة بالنشرات والملصقات السياسية، وباللون البرتقالي لمجلس معارضة الألعاب الأولمبية واللون الأسود والأحمر للحزب الاشتراكي الحقيقي المسيطر. عُلّق علم فلسطيني ضخم فوق الفراش المنبسط على الأرض.

وجدتا خمسة أشخاص داخل هذه الغرفة، المضاءة بمصباح منفرد. استلقت شابّتان، إحداهما سوداء البشرة والأخرى بيضاء، متشابكتي الأطراف على الفراش على الأرض، بينما جلس ديغبي ذو اللحية الصغيرة على الأرض، ليتحدّث إليهما. وقف شابّان في وضعية غريبة يتّكئان على الحائط، ويراقبان خلسة الفتاتين الجالستين على الفراش، وقد قرّبا رأسيهما من بعضهما البعض أثناء لفّهما لفافة حشيش.

– هايلي، هذه بوبي. إنّها مهتمّة بالنصف الثاني من غرفة لورا، قالت فليك.

نظرت كلتا الفتاتين على السرير حولهما: أما الشقراء طويلة القامة ذات الرأس الحليق والعينين النعستين، فأجابت وقد بدت تحت تأثير المخدّر:

– قلت لشانيس إنّ بإمكانها الانتقال إلى هنا.

فقبّلتها الفتاة السوداء الصغيرة التي كانت بين ذراعيها في رقبتها.

قالت فليك:

– أوه، والتفتت إلى روبن بأسف كبير. اللعنة!

– لا بأس، قالت روبن متظاهرة بالشجاعة لا خيبة الأمل.

وسُمع صوت أحدهم ينادي من القاعة:

– فليك، جيمي في الطابق السفلي.

قالت فليك متظاهرة بالانزعاج:

– أوه، اللعنة، لكنّ روبن رأت المتعة متقدة في وجهها. تابعت: انتظري هنا، وغادرت متوجّهة نحو الأشخاص المكدّسين في القاعة.

تصاعد صوت جاي زي يغنّي الراب من الغرفة الأخرى: «أيها البرعم الصغير، أمسك بيدها».

تظاهرت روبن بأنّها مهتمّة بالمحادثة بين الفتاتين على السرير مع ديغبي، وانزلقت على الحائط لتجلس على الأرضية الخشبية، وهي تحتسي البيرة بينما كانت تفحص غرفة نوم فليك سرًّا. من الواضح أنّه جرى ترتيبها للحفل. خلت الغرفة من الخزانة، وحلّت محلّها سكّة تعليق ملابس عليها معاطف وفستان، بينما وُضعت القمصان والسترات المطويّة بدون ترتيب في زاوية مظلمة. في أعلى الخزانة ذات الأدراج رُتِبّ عدد من الدمى الصغيرة، جنبًا إلى جنب مع أدوات التبرّج العديدة، فيما انتصبت لافتات مختلفة في الزاوية. لا بدّ أنّ جيمي وباركلي فتّشا هذه الغرفة جيّدًا جدًّا. تساءلت روبن عمّا إن كانا فكّرا في البحث وراء كلّ هذه الملصقات. لسوء الحظ، حتى لو لم يفعلا ذلك، فهي لا يمكنها أن تبدأ بفكّها عن الجدران الآن.

قال ديغبي مخاطبًا الفتاتين على السرير:

– اسمعا، هذه أمور أساسية. توافقان على أنّ الرأسمالية تعتمد جزئيًا على عمل النساء المتدنّي الأجر، أليس كذلك؟ لذا فالنسوية، إذا أرادت أن تكون فعّالة، يجب أن تكون أيضًا ماركسية، لأنّ الأولى تقود إلى الثانية.

قالت شانيس:

– الأبوية أسوأ من الرأسمالية.

بطرف عينها، رأت روبن جيمي وهو يشق طريقه عبر الصالة الضيّقة، وذراعه ملتفة حول عنق فليك. بدت الأخيرة أسعد ممّا كانت عليه طوال المساء.

– اضطهاد المرأة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بعدم قدرتها على دخول القوى العاملة، أعلن ديغبي.

فصلت هايلي ذات العينين النعستين نفسها عن شانيس لتمدّ يدها نحو المراهقين في الملابس السوداء. مرّت لفافتهما فوق رأس روبن.

– آسفة بشأن الغرفة. يصعب جدًا الحصول على شقة في لندن، أليس كذلك؟ قالت هايلي لروبن ببرودة، بعد أن أخذت نفسًا طويلًا من اللفافة.

– تمامًا.

– ... لأنك تريد إدراج النسوية في الأيديولوجية الماركسية.

تعبيرًا عن عدم التصديق أطلق ديغبي ضحكة صغيرة:

– ليست المسألة مسألة إدراج، فالأهداف واحدة!

حاولت هايلي أن تعطي اللفافة لشانيس، لكنّ شانيس المتحمّسة أبعدتها منها بحركة بيدها.

وسألت ديغبي:

– أين كنتم أنتم الماركسيين عندما تحدّينا شرط المغايرة الجنسية كمعيار أساسي لتكوين أسرة؟

قالت هايلي بشكل ببرودة: «موافقة، موافقة»، وهي تقرّب جسدها إلى جسد شانيس وتمرّر لفافة المراهقين إلى روبن، التي أعادتها مباشرة إلى الشبّان. على الرغم من أنّهما كانا مهتمّين بالمثليتين، غادرا غرفة النوم على الفور قبل أن يعرض عليهما أيّ شخص آخر مشاركة المخزون الضئيل من المخدّرات.

قالت روبن بصوت عالٍ وهي تقف على قدميها: «دخّنت قليلًا في الماضي لكنّني أقلعت». لكنّ أحدًا لم يستمع إليها. انتهز ديغبي الفرصة لإلقاء نظرة خاطفة على تنّورتها السوداء القصيرة وهي تمرّ بالقرب منه في طريقها إلى الخزانة ذات الأدراج. تذرعت روبن أنها مهتمة بالنقاش المحتدم عن النسوية والماركسية، وظهر على وجهها حنين إلى الماضي. بذريعة الانغماس في النقاش، حملت الدمى المحشوّة ثمّ أعادتها إلى مكانها بعد أن تحسّست

من خلال القطيفة الرقيقة الخرز البلاستيكي والحشو بداخلها. لم يبدُ على أيّ منها أنّها فُتحت وأعيدت خياطتها لإخفاء قطعة من الورق.

عادت روبن وهي تشعر بإحساس طفيف باليأس، إلى القاعة المظلمة، حيث وقف الناس مضغوطين، يتدفّقون إلى المدخل.

دقت فتاة على باب الحمام.

وقالت: «توقفا عن المضاجعة، يجب أن أتبوّل!» ما أدّى إلى إضحاك الواقفين حولها.

الأمر ميؤوس منه.

دخلت روبن المطبخ الصغير، الذي كان بالكاد أكبر من حجرتَي هاتف، حيث جلس ثنائي في زاوية، وقد وضعت الفتاة ساقيها فوق ساقي الرجل، الذي كانت يده تحت تنّورتها، بينما كان المراهقان في الملابس السوداء يبحثان بلا جدوى عن الطعام. تظاهرت روبن بأنّها تبحث عن مشروب آخر، وقامت بغربلة العلب والزجاجات الفارغة، وهي تراقب تقدّم المراهقين عبر الخزائن وقدّرت أنّ علبة الحبوب ليست آمنة كمخبأ.

بينما كانت روبن تهمّ بالمغادرة ظهر ألف الأناركي عند مدخل المطبخ. بات الآن أقل انتشاءً ممّا كان عليه في الحانة. قال بصوت عالٍ محاولًا التركيز على روبن:

– ها هي ذي، ابنة رئيس الاتّحاد.

– هذه أنا. بينما أنشد ديبانج «أوليفر، أوليفر، أوليفر تويست» من غرفة النوم الثانية. حاولت أن تمرّ من تحت ذراع ألف، لكنّه أنزلها، ومنعها من الخروج من المطبخ. اهتزّت الأرضية الخشبية الرخيصة تحت خطوات الراقصين المتحمّسين في غرفة هايلي.

قال ألف:

– أنت مثيرة. أتسمحين لي بأن أقول ذلك؟ أعني ذلك بتلك الطريقة النسوية اللعينة.

وضحك.

قالت روبن:

– شكرًا. ونجحت في محاولتها الثانية في المراوغة لتخطّيه والعودة إلى القاعة الصغيرة، حيث كانت الفتاة اليائسة لا تزال تقرع باب الحمّام. أمسك ألف بذراع روبن وانحنى وقال شيئًا غير مفهوم في أذنها. عندما انتصب واقفًا مجدّدًا، ترك ألوان شعرها بقعة سوداء على طرف أنفه المتعرّق.

سألت روبن:

– ماذا؟

فصرخ:

– قلت هل تريدين أن نجد مكانًا أكثر هدوءًا لنكمل حديثنا؟

لكن ألف لاحظ شخصًا يقف خلفها بعد ذلك: «كيف الحال يا جيمي؟» سأله.

وصل نايت إلى القاعة. ابتسم لروبن، ثمّ اتّكأ على الحائط، وهو يدخّن ويمسك بعبوة بيرة. يكبر جيمي معظم المدعوّين بعشر سنوات، لذا رمقته بعض الفتيات بالنظرات، وهو يرتدي تيشيرت أسود وبنطلون جينز ضيّقين.

– هل أنت أيضًا تنتظرين شغور الحمّام؟سأل روبن.

– أجل. أجابته لأنّها بدت لها أبسط طريقة لتخلّص نفسها من كلّ من جيمي والمسمى ألف الأناركي، إذ احتاجت إلى ذلك. من خلال باب غرفة هايلي المفتوح، رأت روبن فليك ترقص، وكان يبدو عليها السرور بوضوح. كانت تضحك لكلّ ما يقال.

قال جيمي لروبن:

– أخبرتني فليك أنّ والدك كان رجلًا نقابيًا. عامل منجم، أليس كذلك؟

– أجل.

وقالت الفتاة اتي كانت تدقّ على باب الحمام: «اللعنة!» تراقصت حيث كانت واقفة في حال من اليأس لبضع ثوانٍ أخرى، ثمّ شقّت طريقها للخروج من الشقة.

وصرخت لها إحدى الفتيات الأخريات: «ستجدين صناديق قمامة إلى اليسار!» انحنى جيمي ليقترب من روبن، حتى تتمكّن من سماعه بالرغم من نغمات الموسيقى العالية. ورأت أنّ تعبيره كان متعاطفًا، بل لطيفًا.

– لكنّه تُوفي، أليس كذلك؟ والدك.

قال جيمي:

– بداء الرئة؟

أجابت روبن:

– أجل.

قال جيمي بهدوء:

– أنا آسف. اختبرت شيئًا مشابهًا أنا أيضًا.

سألت روبن:

– حقًا؟

– أجل. أمّي. أصابها داء برئتيها أيضًا.

– أهو داء مرتبط بمكان العمل؟

– الأسبستوس. أومأ برأسه وهو يسحب سيجارته. لن يحدث ذلك بعد الآن، فقد سنّوا تشريعات تمنع استعماله. كنت في الثانية عشرة من عمري. وأخي كان في الثانية من عمره، حتى إنّه لا يتذكّرها. عاقر والدي الكحول حتى موته بعد رحيلها.

قالت روبن بصدق:

– إنّه أمر مؤلم جدًا. أنا آسفة.

نفث جيمي الدخان بعيدًا عن وجهها مكشّرًا.

– نحن الاثنان من نوع واحد، قال وهو يضرب عبوة البيرة بعبوة روبن. نحن من قدامى المناضلين في الحرب الطبقية.

ترنّح ألف الأناركي مبتعدًا، وهو يتمايل بعض الشيء، واختفى في الغرفة المظلمة التي بدت مثقوبة بالأضواء الصغيرة.

سأل جيمي:

– هل حصلت عائلتك على أيّ تعويض؟

– إنّنا نحاول، أمّي لا تزال تلاحق القضيّة.

ردّ عليها وهو يرفع عبوته ويشرب:

– حظًا سعيدًا لها. حظًا سعيدًا لها.

وقرع على باب الحمّام.

وصرخ قائلًا:

– أسرعوا، فالناس ينتظرون.

اقترحت روبن:

– ربّما في الداخل شخص مريض؟

– لا، لا بدّ أنّهما شخصان يقيمان علاقة سريعة.

خرج ديغبي من غرفة نوم فليك وهو يبدو ساخطًا.

وأعلن بصوت عالٍ:

– أنا أداة للقمع الأبوي، على ما يبدو.

لم يضحك أحد. حكّ ديغبي بطنه تحت قميصه، الذي لاحظت روبن الآن أنّه يحمل صورة غروتشو ماركس، وتوغّل في الغرفة حيث كانت فليك ترقص.

تمتم جيمي لروبن:

– إنّه أداة بالفعل. درس في إحدى مدارس رودولف شتاينر. لا أحد يعطيه نجومًا على الجهد الذي يقوم به الآن، وهو لا يستطيع تقبل هذا الواقع.

ضحكت روبن، لكن جيمي لم يفعل. نظر في عينيها لمدّة أطول بقليل من اللازم، وإذا بباب الحمّام يُفتح وأخرجت شابّة ممتلئة وحمراء الوجه رأسها منه. ورأت روبن خلفها رجلًا له لحية رمادية ناعمة يعيد وضع قبّعة ماو على رأسه.

قال جيمي:

– لاري، أيّها الوغد العجوز القذر. وابتسم للفتاة ذات الوجه الأحمر التي مرّت بالقرب من روبن واختفت في الغرفة المظلمة التي دخلها ديغبي.

قال التروتسكي المسنّ راسمًا ابتسامة متوتّرة:

– مساء الخير يا جيمي. وغادر الحمّام هو أيضًا وسط هتافات الشباب في الخارج.

قال جيمي لروبن:

– هيّا، وهو يمسك الباب ليمنع أيّ شخص آخر من تجاوزها.

فقالت له:

– شكرًا، بينما كانت تدخل الحمّام.

وجدت روبن وهج ضوء النيون باهرًا بالمقارنة مع ظلمة بقيّة الشقّة. بالكاد اتّسع الحمّام لمكان للوقوف بين أصغر دش رأته في حياتها على الإطلاق، تجاوره ستارة شفافة متسخة تتدلّى من نصف خطّافاتها، ومرحاض صغير تطفو فيه كمّية كبيرة من المناديل المبللة وفلاتر السجائر. لمع واقٍ ذكري مستعمل في سلّة المهملات.

فوق الحوض، عُلّقت ثلاثة أرفف متهالكة مكتظّة بأدوات التنظيف نصف مستخدمة، وقد كُدّست بفوضى عارمة، ويمكن أن تؤدّي لمسة واحدة إلى وقوعها كلها.

خطرت لروبن فكرة مفاجئة، فاقتربت من هذه الأرفف. تذكرت كيف أنّها اعتمدت على الجهل الشديد لمعظم الرجال وتجنّبهم للأمور المتعلقة بالحيض، عندما أخفت أجهزة التنصّت في علبة تامباكس. مرّت عيناها بسرعة على الرف: زجاجات نصف مستخدمة من شامبو من إنتاج السوبر ماركت، عبوة مسحوق للتنظيف من نوع «فيم»، إسفنجة قذرة، مزيل عرق رخيص، عدد قليل من فراشي الأسنان المستخدمة كثيرًا الموضوعة في كوب طرفه مكسور. بحذر شديد، نظرًا لأنّ كلّ تلك الأغراض حُشرت معًا بإحكام، أخرجت روبن صندوقًا صغيرًا من ماركة «ليل ليتس»، يحتوي على سدادة واحدة مختومة. عندما مدّت يدها لتعيد الصندوق إلى مكانه، لاحظت زاوية حزمة صغيرة، مضغوطة مغلّفة بغلاف بلاستيكي، ومخبّأة خلف عبوة «فيم» وزجاجة من جِل الاستحمام بالفاكهة.

لشدة الإثارة شعرت بالوخز. مدّت يدها وخلعت غطاء البوليثين الأبيض بعناية من المكان الذي كان مثبّتًا فيه، محاولة ألّا توقع شيئًا.

طرق شخص على الباب.

وصرخت فتاة جديدة: «سأنفجر!» وصاحت لها روبن: «لن يطول بي الأمر».

لُفّت فوطتان صحّيتان ضخمتان في غلاف غير رومانسي البتّة خاصّ بهما («من أجل تدفّق ثقيل للغاية»)، وهو نوع من الفوط التي من غير المحتمل

أن تسرقها امرأة شابّة، خصوصًا إن كانت ترتدي ملابس ضيّقة. استخرجتهما روبن. لم تجد في الأولى أيّ شيء غريب. أمّا الثانية فقد أطلقت صوت خربشة صغيرة ونقيّة عندما ثنتها روبن. زادت حماسة روبن، وقلّبتها جانبًا، فهمت أنّها قد قُطعت بشفرة حلاقة على الأرجح. أدخلت أصابعها في الرغوة التي تشبه الأنسجة في داخلها، وشعرت بقطعة سميكة من الورق. كانت مطويّة. سحبتها برفقٍ وفتحتها.

كانت ورقة للكتابة مماثلة تمامًا لتلك التي كتبت عليها كينفارا رسالة وداعها، اعتلاها نقش لاسم «تشيزيل» على الجزء العلوي وظهرت تحته وردة تيودور، كقطرة من الدم. كُتبت بضع كلمات وعبارات مفككّة بخطّ يد مميّز رأته روبن كثيرًا في مكتب تشيزيل، وفي منتصف الصفحة وُضعت دائرة حول كلمة واحدة عدّة مرّات.

251 إيبيري ستريت

لندن

SW1W

بلان دو بلان

سوزوكي ✔

~~الأم؟~~



Odi et amo, quare id faciam, Fortasse Requiris? Nescio, sed fieri sentio et excrucior.

بالكاد استطاعت أن تتنفس من حماستها، وأخرجت جوّالها، والتقطت عدّة صور للملاحظة، ثمّ أعادت طيّها، ووضعتها داخل الفوطة الصحّية وأعادت الرزمة إلى حيث كانت على الرفّ. حاولت تشغيل شاطف المرحاض، لكنّه كان مسدودًا وكلّ ما حققته هو أنّ الماء ارتفع بشكل ينذر بالسوء في الوعاء، رافضًا أن ينزل، وتمايلت فلاتر السجائر وسط منديل يدور في دوامة.

قالت روبن وهي تفتح الباب:

– آسفة. المرحاض مسدود.

فردّت الفتاة الثملة التي نفد صبرها في الخارج:

– لا يهمّ، سأتبوّل في المغسلة.

وتجاوزت روبن وأغلقت الباب. وجدت روبن جيمي لا يزال واقفًا في الخارج.

فقالت له:

– أعتقد أنّني سأرحل.جئت فقط لأرى ما إن كانت تلك الغرفة شاغرة، لكنّ إحداهنّ سبقتني إليها.

قال جيمي باستخفاف:

– أمر مؤسف. تعالي لحضور اجتماع في وقت من الأوقات. إنّنا نحتاج إلى تلك الروح الشمالية بيننا.

– أجل، ربما.

– ربّما ماذا؟

وصلت فليك وهي تحمل زجاجة بادوايزر.

قال جيمي وهو يسحب سيجارة جديدة من علبته:

– ستحضر أحد اجتماعاتنا. كنت محقّة يا فليك، إنّها اشتراكية بالفعل.

مدّ جيمي يده وسحب فليك إليه، وشدّها إلى جانبه، وقبّلها على رأسها.

قالت فليك مبتسمةً وقد شعرت بدفء وهي تلفّ ذراعها حول خصر جيمي:

– أجل، إنّها كذلك. تعالي إلى اجتماعنا التالي يا بوبي.

قالت بوبي كونليف، ابنة النقابي:

– أجل، قد أفعل ذلك، ثمّ ودّعتهما وشقّت طريقها للخروج من القاعة وخرجت نحو السلّم البارد.

عجز أيّ شيء عن ثنيها عن الابتهاج، حتى مشهد أحد المراهقين بملابسه السوداء وهو يتقيّأ بغزارة على الرصيف خارج الباب الرئيسي، وقد فاحت الرائحة. أرسلت لسترايك، من دون أن تقوى على الانتظار، صورة ملاحظات جاسبر تشيزيل، وأسرعت الخطى نحو محطّة الحافلات.

52

يمكنني أن أؤكّد لك أنّك كنت مخطئة تمامًا
يا آنسة ويست.

هنريك إبسن، روسميرشولم

فوق أغطية الفراش في غرفة نومه العلوية، غلب النعاس سترايك وهو يرتدي كامل ملابسه. كان طرفه الاصطناعي لا يزال مربوطًا بجسده. استقرّ مجلّد الورق المقوّى الذي يحتوي على كلّ ما يتعلق بملفّ تشيزيل على صدره، وأخذ يهتزّ برفق فيما كان يشخر. كان يحلم بأنّه يسير ممسكًا يد شارلوت عبر منزل تشيزيل المهجور، الذي اشترياه. لم تعد شارلوت حاملًا، بل كانت طويلة القامة، نحيفة وجميلة. تمشي وتترك خلفها أثرًا من عطر شاليمار يسقط من على منديلها الأسود. لكنّ سعادتهما المتبادلة كانت تتبخّر في برد الغرف المتهالكة الرطبة التي كانا يجولان فيها. ما الذي دفعهما إلى اتّخاذ القرار الطائش والخيالي بشراء هذا المنزل المهيب، ذي الجدران المتقشّرة والأسلاك المتدلّية من السقف؟

أيقظت سترايك فجأة رجّة قويّة تنذر بوصول رسالة نصّية. في جزء من الثانية، أدرك أنّه عاد إلى غرفته العلوية، وحده، وأنّه ليس صاحب منزل تشيزيل ولا عشيق شارلوت روس، قبل أن يتلمّس الهاتف وهو نصف ممدّد. كان يتوقّع بدون أيّ شك أنّه على وشك رؤية رسالة منها.

أخطأ التقدير: رأى اسم روبن عندما نظر إلى الشاشة مترنّحًا. علاوة على ذلك، كانت الساعة تشير إلى الواحدة صباحًا. نسي سترايك للحظات أنّها كانت في حفل مع فليك، فجلس على عجل في السرير وانزلق ملفّ الورق المقوّى الذي كان على صدره بسلاسة، مبعثرًا صفحاته المختلفة عبر ألواح الأرضية، بينما كان سترايك يحدّق بعينين ضبابيتين في الصورة التي أرسلتها إليه روبن للتوّ.

«تبًّا!».

اتّصل بها على الفور متجاهلًا فوضى الأوراق المبعثرة عند قدميه.

قالت روبن بابتهاج: «مرحبًا»، وسط الأصوات التي تظهر بوضوح أنها تأتي من حافلة ليلية في لندن: قعقعة وهدير المحرّك، طحن المكابح، دق الجرس الصغير، وضحكة السكّير التي لا مفرّ منها وقد صدرت هذه المرّة من امرأة شابّة.

– اللعنة! كيف؟ هل تمكّنت من العثور عليها؟

– أنا امرأة. وخُيّل إليه أنّه يسمع ابتسامتها. أعرف أين نخفي الأشياء عندما لا نريد أن يُعثر عليها. اعتقدت أنّك ستكون نائمًا.

– أين أنت... في حافلة؟ انزلي واركبي سيّارة أجرة. يمكننا وضع الكلفة على حساب تشيزيل إذا حصلت على إيصال.

– لا حاجة لذلك...

– افعلي ما قلته لك! كرّر سترايك وبدا عدوانيًا أكثر ممّا كان ينوي، لأنّها على الرغم من أنّها حقّقت للتوّ إنجازًا كبيرًا، فقد طُعنت أيضًا بالسكّين قبل عام، عندما كانت وحيدة في الشارع عند حلول الظلام.

– حسنًا، حسنًا، سأركب سيّارة أجرة. هل قرأت ملاحظات تشيزيل؟

– أنظر إليها الآن. وحوّل الاتّصال إلى مكبّر الصوت حتى يتمكّن من قراءة ملاحظات تشيزيل أثناء التحدّث معها. أتمنّى أن تكوني تركتها حيث وجدتها؟

– أجل. فكّرت أنّ ذلك أفضل؟

– بالتأكيد. أين كانت بالضبط...؟

– داخل فوطة صحّية.

قال سترايك مندهشًا:

– يا للهول! لم أفكّر قطّ في ذلك...

قالت روبن باعتدال:

– لا أنت، ولا جيمي ولا باركلي. هل يمكنك قراءة ما هو مكتوب في الأسفل؟ باللغة اللاتينية؟

حدّق سترايك بالشاشة وترجم:

– «أكره وأحبّ. قد تسأل لماذا أفعل ذلك؟ لا أعرف. هذا ما أشعر به، وما يعذّبني...» قصيدة لكاتولوس مجدّدًا. قصيدة مشهورة.

– هل درست اللاتينية في الجامعة؟

– لا.

– إذًا كيف...؟

– القصّة طويلة.

في الواقع، لم تكن قصّة قدرته على قراءة اللاتينية طويلة، لكنّها – في نظر معظم الناس – لا يمكن تفسيرها. لم يكن يشعر بالرغبة في تلاوة القصة منتصف الليل، ولم يرغب في التوضيح بأنّ شارلوت درست كاتولوس في أكسفورد.

كرّرت روبن:

– «أكره وأحب». لماذا كتب تشيزيل ذلك؟

– لأنّه كان يشعر بذلك؟

شعر بجفاف فمه لأنه دخّن كثيرًا قبل أن يغفو. نهض، وشعر بألم وتشنّج، وشقّ طريقه بعناية متجنّبًا الأوراق المتساقطة، متّجهًا إلى الحوض في الغرفة الأخرى وهو يحمل هاتفه.

سألت روبن متشكّكة:

– الشعور تجاه كينفارا؟

– هل رأيت امرأة أخرى في الجوار عندما كنت على اتّصال وثيق به؟

– كلا، بالطبع، لكنّه ربّما لا يتحدّث عن امرأة.

واعترف سترايك:

– هذا صحيح. ذكر كاتولوس الحبّ بين الرجال كثيرًا في أعماله. ربّما لهذا السبب أحبّه تشيزيل إلى هذا الحدّ.

ملأ سترايك كوبًا بماء الصنبور البارد، وشربه دفعةً واحدة، ثمّ ألقى كيس شاي فيه وشغّل الغلّاية، بينما كان يحدّق طوال الوقت في شاشة هاتفه المضاءة في الظلام.

وتمتم:

– كلمة «أم»، مشطوبة.

– تُوفّيت والدة تشيزيل قبل 22 عامًا. عقبت روبن شارحة: استعلمت عنها للتوّ.

همهم سترايك:

– همهم... كلمة «بيل» محاطة بدائرة.

– إنّها ليست كلمة «بيلي»، لكن إذا اعتقد جيمي وفليك أنّه عنى شقيقه، فلا بدّ أنّ الناس كانوا ينادون «بيلي» «بيل» أحيانًا.

– ما لم يكن يعني بـBill «الفاتورة»، الشيء الذي تدفعينه، أو منقار بطّة... «سوزوكي»... «بلان دو»... مهلًا. يملك جيمي نايت سيّارة سوزوكي ألتو قديمة.

تقول فليك إنّها غير صالحة للقيادة. أجل. قال باركلي إنّها فشلت في اختبار وزارة المواصلات.

– كانت سيّارة غراند فيتارا متوقفة خارج منزل عائلة تشيزيل عندما زرنا العائلة أيضًا. لا بدّ أنّها لأحد أفراد العائلة.

– أحسنت.

أشعل المصباح العلوي وتوجّه إلى الطاولة بجانب النافذة، حيث ترك قلمه ودفتره.

قالت روبن بعد تمعّن:

– أتعرف؟ أعتقد أنّني رأيت عبارة «بلان دو بلان» في مكان ما أخيرًا.

– حقًا؟ سأل سترايك الذي جلس لتدوين المزيد من الملاحظات: هل شربت الشامبانيا أخيرًا؟

– لا، ولكن... أجل، لا بدّ أنّني رأيتها على ملصق نبيذ، أليس كذلك؟ «بلان دو بلان»... ما معنى ذلك؟ نبيذ أبيض من العنب الأبيض؟

– أجل.

لمدّة دقيقة تقريبًا، لم يتحدّث أيّ منهما، وكلاهما يتفحّص المذكّرة. قال سترايك أخيرًا:

– أتعلمين، أكره أن أقول هذا يا روبن، لكنّني أعتقد أنّ الأمر الأكثر إثارة للاهتمام بشأن هذه الورقة هو أنّها في حوزة فليك. فهي تبدو كأنّها قائمة مهامّ. لا أرى أيّ شيء هنا يثبت ارتكاب خطأ أو يوحي بأسباب الابتزاز أو القتل.

كررت روبن:

– كلمة «الأم» مشطوبة، وكأنّها مصمّمة على انتزاع معنى من العبارات المشفّرة. تُوفّيت والدة جيمي نايت بسبب داء الأسبست الذي فتك برئتيها، جراء تنشقها مادة البناء. أخبرني بذلك للتوّ، خلال حفل فليك.

نقر سترايك على مفكّرته بخفّة بطرف قلمه، مفكّرًا، حتى أثارت روبن السؤال الذي كان يتصارع معه.

– علينا إخبار الشرطة بهذا، أليس كذلك؟

تنهّد سترايك وقال:

– أجل، يجب أن نفعل ذلك، وفرك عينيه. هذا يثبت أنّه كان بإمكانها دخول منزل شارع إيبيري. لسوء الحظ، هذا يعني أنّه سيتعيّن علينا إخراجك من متجر الحليّ. بمجرّد أن تفتّش الشرطة حمّامها، لن يطول بها الأمر قبل أن تعرف من الذي أخبرهم.

– اللعنة، شعرت حقًا بأنني أوشك على أن أجعلها تتكلّم.

وافق سترايك:

– أجل. هذه هي مشكلة غياب الصفة الشرعية في التحقيق. سأتنازل عن الكثير لأضع فليك في غرفة استجواب... وأضاف وهو يتثاءب: يا لها من

قضيّة لعينة! راجعت الملفّ طوال هذا المساء. هذه الورقة مثل أيّ شيء آخر: إنّها تثير أسئلة أكثر ممّا تقدّم أجوبة.

قالت روبن:

– مهلًا، وسمع أصوات حركة، آسفة كورموران، سوف أنزل هنا، يمكنني رؤية محطّة سيّارات أجرة...

– حسنًا. قمت بعمل رائع الليلة. سأتّصل بك غدًا... أعني في وقت لاحق اليوم.

عندما أقفلت روبن الخطّ، وضع سترايك سيجارته في المنفضة، وعاد إلى غرفة نومه لالتقاط أوراق مُجلّد القضية المبعثرة على الأرض، وعاد بها إلى المطبخ. تجاهل الغلّاية التي غلى ماؤها، وأخذ البيرة من الثلّاجة. جلس إلى الطاولة مع الملفّ، وتردّد لبعض الوقت، ثم فتح النافذة بجانبه قليلاً للسماح بدخول بعض الهواء النقيّ إلى الغرفة فيما يستمرّ في التدخين.

درّبته الشرطة العسكرية على تنظيم الاستجوابات والنتائج ضمن ثلاث فئات عامّة: الأشخاص والأماكن والأشياء. وكان سترايك يطبّق هذا المبدأ القديم السليم على ملفّ تشيزيل قبل أن يغفو على سريره. نشر محتويات الملفّ على طاولة المطبخ وبدأ العمل مجدّدًا، بينما هبّ نسيم الليل البارد محمّلًا بأبخرة البنزين عبر الصور والأوراق، فارتجفت زواياها.

تمتم سترايك: «الأشخاص».

كان قد كتب قائمة قبل أن يغفو بالأشخاص الأكثر إثارة للاهتمام بشأن وفاة تشيزيل. رأى أنّه صنّف بدون وعي الأسماء وفقًا لدرجة تورّطهم في ابتزاز الرجل الميت. تصدّر اسم جيمي نايت القائمة، وتلاه اسم غيرنيت وين، ثمّ ما رجّح سترايك على أنّه نائب كلّ منهما، فليك بيردو وأمير مالك. بعد ذلك جاءت كينفارا، التي كانت على بيّنة من أنّ تشيزيل يتعرّض للابتزاز، وتعرف السبب؛ ديلا وين، التي أدّى الحكم القضائي الذي حصلت عليه إلى إبقاء خبر الابتزاز بعيدًا من الصحافة، لكنّ سترايك كان يجهل درجة مشاركتها الدقيقة في القضيّة، ثمّ جاء رافاييل، الذي كان يجهل، بحسب ما زعمه الجميع، ما فعله والده، والابتزاز نفسه. في أسفل القائمة أتى بيلي نايت، الذي كانت

علاقته الوحيدة المعروفة بالابتزاز هي صلة القرابة بينه وبين المبتزّ الأساسي. سأل سترايك نفسه، لماذا رتّب الأسماء بهذا الترتيب بالذات؟ لم تثبت أيّ علاقة بين موت تشيزيل وابتزازه، إلّا إذا كان التهديد بالكشف عن جريمة تشيزيل المجهولة هو الذي دفعته إلى الانتحار.

عندها أدرك سترايك أنّ تسلسلًا هرميًا مختلفًا قد يظهر إذا قلب القائمة رأسًا على عقب. في هذه الحال، يصبح بيلي في القمّة، طالبًا نزيهًا، لا يسعى إلى كسب المال أو إلى جلب العار على رجل آخر، بل إلى الحقيقة والعدالة. بالترتيب المعكوس، جاء رافاييل في المرتبة الثانية، بقصّته الغريبة – والتي بدت لسترايك غير معقولة – عن ذهابه إلى زوجة أبيه صباح يوم وفاة والده، والذي أخفى، حسب أقوال هنري دراموند على مضض، دافعًا يتعلّق بالشرف، ما زال سترايك لا يستطيع تحديده. صعدت ديلا إلى المرتبة الثالثة، وهي امرأة تحظى بإعجاب كبير وتتمتّع بأخلاق لا تشوبها شائبة، ولا تزال أفكارها ومشاعرها الحقيقية تجاه زوجها المبتزّ وتجاه ضحيّته يلفّها الغموض.

بالقراءة المعكوسة، بدا لسترايك أنّ علاقة كلّ مشتبه فيه بالرجل الميت أصبحت أكثر تقاطعية وصلابة، حتى انتهت القائمة بجيمي نايت ومطالبته الملحة بمبلغ أربعين ألف جنيه.

استمرّ سترايك في استعراض قائمة الأسماء آملًا أن يرى شيئًا ما فجأة ينبثق من خطّ يده الكثيف، الشائك، بالطريقة التي قد تكتشف بها عينان غير مركّزتين صورة ثلاثية الأبعاد مخفيّة في سلسلة من النقاط ذات الألوان الزاهية. لكنّ كلّ ما أدركه هو وجود عدد غير عادي من الأزواج المرتبطين بوفاة تشيزيل: غيرنيت وديلا، جيمي وفليك؛ زوج من الأشقاء الكاملين... إيزي وفيزي، وجيمي وبيلي؛ وثنائي من المتعاونين في الابتزاز: جيمي وغيرينت؛ وزوجان شكّلهما كلٌّ من المبتزّين مع نائبه: فليك وأمير. وبرز أيضًا زوج شكّله اقتران شبه أمومي بين ديلا وأمير. ترك هذا التركيب شخصين شكّلا زوجًا في عزلة داخل عائلة متماسكة: الأرملة كينفارا، ورافاييل الابن الدخيل المخيّب للآمال.

نقر سترايك بقلمه بدون وعي على دفتر ملاحظاته، وخطرت في باله فكرة. «أزواج». بدأت القصّة بكاملها بجريمتين: ابتزاز تشيزيل والادّعاءات

بشأن قتل بيلي للطفل حديث الولادة. حاول سترايك العثور على الصلة بينهما منذ البداية، غير قادر على التصديق أنّهما قد تكونان حالتين منفصلتين تمامًا، حتى لو كان رابطهما الظاهر الوحيد هو صلة الدم بين الأخوين نايت. قلب سترايك الصفحة، ونظر في الملاحظات التي تحمل عنوان «الأماكن».

بعد بضع دقائق أمضاها في فحص ملاحظاته الخاصّة المتعلقة بالوصول إلى المنزل في شارع إيبيري، والمواقع – في العديد من الحالات كانت غير معروفة – للمشتبه فيهم وقت وفاة تشيزيل، دوّن ملاحظة ليذكّر نفسه بأنّه لم يتلقّ بعد من إيزي تفاصيل عن كيفية الوصول إلى تيغان بوتشر، فتاة الإسطبل التي يمكن أن تؤكّد أنّ كينفارا كانت في المنزل في وولستون بينما كان تشيزيل يختنق في كيس بلاستيكي في لندن.

انتقل سترايك إلى الصفحة التالية، التي حملت عنوان «الأشياء»، ووضع قلمه على الطاولة. نشر صور روبن حتى شكّلت كولاج افتراضي لمكان الوفاة. تفحّص الوميض الذهبي في جيب الرجل الميت، ثمّ السيف المنحني، الذي يخفي الظلام نصفه في زاوية الغرفة.

بدا لسترايك أنّ القضيّة التي يحقّق فيها مليئة بأشياء عُثر عليها في أماكن مفاجئة: السيف في الزاوية، أقراص اللاشيسيز على الأرض، الصليب الخشبي الملفوف بأعشاب القرّاص في قعر الوادي، علبة الهيليوم والأنابيب المطّاطية في منزل لم يُقم فيه حفل للأطفال على الإطلاق. لكنّ عقله المتعب لم يجد أيّ إجابات أو مسارات. أخيرًا، ابتلع ما بقي من البيرة، ورمى العبوة الفارغة عبر الغرفة في صندوق نفايات المطبخ. انتقل إلى صفحة بيضاء في دفتر ملاحظاته، وبدأ بكتابة قائمة مهامّ ليوم الأحد الذي كانت قد انقضت منه ساعتان حتى الآن.

1. <u>الاتّصال بواردل</u>

عُثر على ملحوظة في شقة فليك، الحصول على تحديث عمّا توصّلت إليه الشرطة حتى الآن إن أمكن.

2. <u>الاتّصال بإيزي</u>

عرض الملحوظة المسروقة عليها.

السؤال: هل عُثر على ملقط النقود الخاص بفريدي؟

معلومات عن كيفية الاتّصال بتيغان؟

بحاجة لرقم هاتف رافاييل.

وأيضًا رقم هاتف ديلا وين إذا أمكن.

3. الاتّصال بباركلي

تحديث المعلومات.

تغطية جيمي وفليك مجدّدًا

متى يزور جيمي بيلي؟

4. الاتّصال بالمستشفى

محاولة تدبير مقابلة مع بيلي في غياب جيمي.

5. الاتّصال بروبن

تدبير مقابلة مع رافاييل.

6. الاتّصال بديلا

محاولة تدبير مقابلة.

وبعد المزيد من التفكير، أنهى القائمة بـ:

7. شراء أكياس الشاي / الجعة / الخبز.

بعد ترتيب ملفّ تشيزيل، وإلقاء محتوى منفضة السجائر الفائضة في سلّة المهملات، وفتح النافذة للسماح بدخول المزيد من الهواء البارد والنقيّ، ذهب سترايك ليتبوّل أخيرًا. نظّف أسنانه، وأطفأ الأنوار وعاد إلى غرفة نومه، حيث بقي مصباح واحد للقراءة مضاءً.

بعدما تراجعت همّته بسبب البيرة والاجهاد، شقّت الذكريات التي سعى إلى دفنها في العمل طريقها إلى ذهنه وسيطرت عليه. أثناء خلعه ملابسه وساقه الاصطناعية، وجد سترايك نفسه يراجع كلّ كلمة قالتها له شارلوت عبر الطاولة المخصّصة لاثنين في مطعم فرانكو، متذكّرًا عينيها الخضراوين، وعطر شاليمار، الذي استطاع التعرف إليه رغم روائح الثوم في المطعم، وتذكّر أصابعها البيضاء الرقيقة وهي تلعب بالخبز.

دخل الفراش. واستلقى بين الشراشف الباردة هناك واضعًا يديه خلف رأسه، وراح يحدّق في الظلام. تمنّى أن يشعر بعدم المبالاة، ولكنّه في الواقع شعر بفخر عارم لفكرة أنّها قرأت كلّ شيء عن القضايا التي شهرته، وأنّها فكّرت فيه أثناء وجودها في الفراش مع زوجها. لكنّ عقله وخبرته، على الرغم من ذلك، شمّرا الآن عن سواعدهما، واستعدّا لإجراء تشريح احترافي للحديث الذي يتذكّره. نزع بطريقة منهجية الإشارات، التي لا لبس فيها، عن إرادة شارلوت الدائمة بصدم الناس وحاجتها إلى الصراع، التي لا يمكن إشباعها على ما يبدو. إنّ التخلّي عن زوجها وطفليها الحديثي الولادة من أجل محقّق مشهور بساقٍ واحدة سيشكّل بالتأكيد تتويجًا لسعيها المستمرّ إلى افتعال الاضطرابات. فقد قامت، بدافع كراهيتها المرضَية تقريبًا للروتين أو المسؤولية أو الالتزام، بتخريب كلّ إمكانية للاستمرارية، كي لا تضطرّ إلى مواجهة احتمالات الملل أو التسوية. عرف سترايك هذا كلّه، لأنّه كان يعرفها أكثر من أيّ إنسان آخر، ويعلم أنّ فراقهما الأخير قد حدث في اللحظة المحدّدة التي وجب فيها تقديم التضحيات الحقيقية واتّخاذ الخيارات الصعبة.

لكنّه كان يعلم أيضًا – وكانت معرفته هذه شبيهة بالبكتيريا التي لا يمكن القضاء عليها وتمنع شفاء الجرح الذي تنتشر فيه – أنّها تحبّه كما لم تحبّ أيّ شخص آخر أبدًا. بالطبع، قالت له صديقات وزوجات أصدقائه المتشكّكين زوجاتهم، اللواتي لم تحبّ أيّ منهنّ شارلوت، مرارًا وتكرارًا، «ما تفعله بك ليس حبًّا»، أو «بدون مزاح يا كورم، كيف تعلم أنّها لم تقل الشيء نفسه تمامًا لجميع عشّاقها الآخرين من قبلك؟». أولئك النساء رأين أنّ ثقته بحب له ما هي إلا نتيجة الوهم أو الأنانية. لم يكنّ حاضرات في تلك الأوقات من النعيم التامّ والتفاهم المتبادل التي ظلّت جزءًا من أفضل ما حدث في حياة سترايك. لم يشاركن في النكات التي لا يمكن أن يفهمها أيّ إنسان آخر سوى هو وشارلوت، أو شعرن بالحاجة المتبادلة التي شدّت أحدهما إلى الآخر وأبقتهما معًا لمدّة ستة عشر عامًا.

تخلّت عنه وذهبت مباشرة إلى الرجل الذي اعتقدت أنّه سيؤذي سترايك في أسوأ طريقة ممكنة. في الواقع، آلمه ذلك بالفعل، لأنّ روس كان

النقيض المطلق له وكان قد واعد شارلوت قبل أن يتعرّف إليها سترايك. ومع ذلك، ظلّ على يقين من أنّ ذهابها إلى روس كان بمثابة تضحية بالنفس، وأنّها فعلت ذلك لتترك أثرًا واضحًا، لأن حضور تأثيرها في الآخرين لطالما كان شكلًا من أشكال الرضى بالنسبة بشارلوت.

Difficile est longum subito deponere amorem,
Difficile est, verum hoc qua lubet efficias.

من الصعب أن تتجاهل حبًّا قديمًا فجأة،
الأمر صعب، لكنّ هذا ما يجب أن تفعله بطريقة أو بأخرى.

أطفأ سترايك الضوء، وأغمض عينيه ليغرق مجدّدًا في أحلام مضطربة لمنزل فارغ، حيث كانت المربّعات على ورق الجدران شاهدةً على إزالة كلّ شيء ذي قيمة، لكنّه سار هذه المرّة بمفرده، فيما يخالجه إحساس غريب بأنّ عيونًا خفيّة كانت تراقبه.

53

ثـمّ، فـي النهاية، ذلـك البـؤس المؤلم
المقرون بانتصارها...

هنريك إبسن، روسميرشولم

وصلت روبن إلى المنزل قبل الساعة الثانية صباحًا بقليل. تتسلّلت إلى المطبخ لتعدّ شطيرة، ولاحظت في الروزنامة أنّ ماثيو خطّط للعب كرة القدم في وقت لاحق من ذلك الصباح. لذا، بينما كانت تستعدّ للصعود إلى الفراش إلى جانبه بعد ثلث ساعة، ضبطت منبّه هاتفها على الساعة الثامنة، ثمّ وصلت هاتفها بالشاحن. أرادت النهوض لرؤيته قبل أن يخرج، ضمن مساعيها للحفاظ على المودّة بينهما. وبدوره، بدا مسرورًا لأنّها بذلت جهدًا للانضمام إليه لتناول الإفطار. ولكن عندما سألته عمّا إن كان يريدها أن تحضر المباراة لتشجيعه، أو ملاقاته لتناول طعام الغداء لاحقًا، رفض كلا العرضين.

– عليّ الاهتمام ببعض المستندات عصر اليوم. ولا أريد تناول المشروب وقت الغداء. سأعود فور الانتهاء، قال.

سرّها ذلك لأنّها كانت متعبة جدًا، فتمنّت له وقتًا ممتعًا ثمّ ودّعته بقبلة.

في محاولة لعدم التفكير في مقدار الراحة التي حلّت عليها بمجرّد مغادرة ماثيو للمنزل، راحت تشغل نفسها بالغسيل والمهامّ المنزلية الأخرى

حتى بعد منتصف النهار بقليل. وبينما كانت تغيّر الملاءات على سريرها، وردها اتّصال من سترايك.

بادرته قائلة وقد تخلّت عن مهمّتها بكلّ سرور.

– آلو، هل من أخبار جديدة؟

– بل الكثير منها، هل أنت جاهزة لتدوين بعض الملاحظات؟

– أجل، قالت وهي تتناول دفترًا وقلمًا من أعلى منضدة الزينة، ثمّ جلست على الفراش.

– لقد أجريت بعض المكالمات. أولًا، واردل. إنّه معجب جدًّا بعملك وتمكّنك من الوصول إلى الورقة...

ابتسمت روبن لنفسها ورأت الانعكاس في المرآة.

– على الرغم من أنّه حذّرني من أنّ الشرطة لن تتهاون معنا إذا كنّا «ننقّب في تفاصيل قضيّة مفتوحة» على حدّ تعبيره. طلبت إليه ألّا يقول من أين تلقى بلاغًا بشأن الورقة، لكنّني منطقيًا أتوقع أنّهم سيتوصّلون إلى الحقيقة نظرًا للصداقة التي تجمعني بواردل. هذا أمر لا مفرّ منه. لكنّ اللافت في الأمر هو أنّ الشرطة لا تزال مهتمّة بالتفاصيل نفسها التي تهمّنا نحن بالنسبة إلى مسرح الجريمة، وقد أجروا تدقيقًا معمّقًا في شؤون تشيزيل المالية.

– هل يبحثون عن دليل على الابتزاز؟

– نعم، لكنّهم لم يصلوا إلى أيّ شيء، لأنّ تشيزيل لم يدفع. وإليك الجزء المثير للاهتمام. تلقى تشيزيل مبلغًا نقديًا غير مبرّر قدره أربعون ألف جنيه في العام الماضي. أودعه في حساب مصرفي منفصل فتحه خصّيصًا لهذه الغاية، ثمّ يبدو أنّه أنفق المبلغ بكامله على تصليحات المنزل وأمور أخرى.

– تلقّى أربعين ألف جنيه؟

– أجل. وتدّعي كينفارا وبقيّة أفراد الأسرة الجهل التامّ في المسألة. يقولون إنّهم لا يعرفون من أين جاء المبلغ ولا لمَ قد يفتح تشيزيل حسابًا منفصلًا لتلقّيه.

– إنّه المبلغ عينه الذي طلبه جيمي قبل أن يتراجع عن طلبه. غريب.

– بالتأكيد. لذا اتّصلت بإيزي.

فلاحظت روبن:

– لقد كنت مشغولًا بالفعل.

– هذا ليس كلّ شيء. نفت إيزي معرفتها بمصدر الأربعين ألفًا، لكنّني لست متأكّدًا من أنّني أصدّقها. ثمّ سألتها عن الورقة التي سرقتها فليك. إنّها منزعجة جدًّا من أنّ فليك كانت تتظاهر بأنّها تعمل عاملة تنظيف لدى والدها. بدت ممتعضة جدًّا. أعتقد أنّها للمرّة الأولى تفكّر في احتمال أن تكون كينفارا غير مذنبة.

– إذًا فهي لم تقابل تلك المرأة البولندية المزعومة؟

– صحيح.

– ماذا قالت عن الورقة؟

– هي أيضًا تعتقد أنّها تبدو كقائمة مهام. وتفترض أنّ «سوزوكي» تعني سيّارة الـ«غراند فيتارا» التي يملكها تشيزيل. ليس لديها أيّ تفسير لكلمة «أمّي». الشيء الوحيد المثير للاهتمام الذي ذكرته يتعلق بعبارة «بلان دو بلان». كان تشيزيل يعاني حساسية من الشمبانيا. يبدو أنّها كانت تسبّب له الاحتقان الشديد والاضطراب. والغريب في الأمر هو أنّني رأيت صندوقًا فارغًا كبيرًا يحمل عبارة «مويت إي شاندون» في المطبخ عندما تفحصته، صباح يوم وفاة تشيزيل.

– لم تخبرني بذلك من قبل.

– كنّا قد عثرنا لتوّنا على جثّة وزير في الحكومة. لم أعتقد أنَ الصندوق الفارغ مثير للاهتمام في ذلك الوقت، ولم يخطر ببالي قطّ أنّه قد يكون ذا صلة بأيّ شيء إلى أن تحدّثت إلى إيزي اليوم.

– هل كان يحتوي على زجاجات؟

– لم أرَ شيئًا بداخله، ووفقًا للعائلة لم يعتَد تشيزيل استقبال الضيوف هناك. فإن لم يكن يشرب الشمبانيا، فلماذا كان الصندوق هناك؟

– هل تعتقد...

– هذا بالضبط ما أعتقده. أعتقد أنّ هذا الصندوق استُخدم لإدخال الهيليوم والأنابيب المطاطية إلى المنزل خفية.

أبدت روبن تعجّبها وقد استلقت على السرير غير المرتّب وراحت تحدّق في السقف.

– حيلة ذكيّة. ربّما أرسل القاتل الصندوق إليه كهديّة، لكونه يعلم أنّه لن يفتحه ليشرب منه.

– أستبعد ذلك، فما الذي كان يمنعه من فتح الصندوق أو إعادة إهدائه لشخص آخر؟ علينا أن نعرف متى تمّ إرساله. في هذه الأثناء، تمّ حلّ أحد الألغاز الصغيرة، فقد عُثر على ملقط النقود الخاصّ بفريدي.

– أين؟

– في جيب تشيزيل. بسببه تحديداً ظهر الوميض الذهبي في الصورة التي التقطتها.

قالت روبن بصراحة:

– أوه. إذًا لا بدّ أنّه وجده قبل وفاته؟

– من الصعب العثور عليه بعد وفاته.

فردّت روبن ساخرة:

– ها ها. ثمّة احتمال آخر.

– أنّ القاتل دسّه في الجثّة؟ غريب أن تقولي ذلك، فقد قالت إيزي إنّها فوجئت عندما ظهر ملقط النقود على الجثّة، لأنّه إن كان وجده، فلا بدّ من أنّه كان سيخبرها، ولا سيّما أنّه أثار ضجّة كبيرة حول فقدانه على ما يبدو.

أجابت روبن موافقة:

– صحيح، سمعته خلال اتّصال هاتفي يتذمّر من ذلك. أفترض أنّهم رفعوا عنه البصمات؟

– بلى، ولم يجدوا شيئًا مريبًا. ولكن هذا لا يعني شيئًا في هذه المرحلة. إن كان هناك قاتل، فلا بدّ من أنّه كان يرتدي القفازات. وسألت أيضًا إيزي عن السيف الملتوي، لقد كنّا على حقّ. كان ملك فريدي. لا أحد يعرف ما الذي أدّى إلى التوائه، ولم تظهر عليه سوى بصمات تشيزيل. من الممكن أن يكون تشيزيل تناوله عن الجدار وهو في حالة سِكر وانفعال، وداس عليه عن طريق الخطأ، ولكن يمكن أن يكون القاتل تناوله أيضًا وهو يضع القفازات.

تنهّدت روبن، وقد شعرت بأنّ سعادتها في العثور على الورقة كانت سابقة لأوانها.

– إذًا، ما من أدلّة حقيقية حتى الآن؟

– على مهلك، لم أطلعك على الخبر السارّ بعد. تمكّنت إيزي من الوصول إلى رقم هاتف جديد للفتاة التي تعمل في الإسطبل والتي يمكنها تأكيد حجّة غياب كينفارا، تيغان بوتشر. أريد منك الاتّصال بها. أظنّ أنّها لن تخاف من التحدّث معك.

دوّنت روبن الرقم الذي تلاه سترايك.

قال سترايك:

– وبعد أن تتّصلي بتيغان، أريدك أن تتّصلي برافاييل. وأعطاها الرقم الثاني الذي حصل عليه من إيزي. أودّ أن أفهم ما الذي كان يفعله بالضبط صبيحة يوم وفاة والده.

أجابت روبن:

– سأفعل ذلك. وقد سرّها أن يكون لديها شيء ملموس تقوم به.

وأضاف سترايك:

– سيعاود باركلي التحقيق في أمر جيمي وفليك. أمّا أنا...

صمت لبرهة عمدًا، فما كان من روبن إلّا أن ضحكت قائلة:

– أنت...

– ... سأجري مقابلة مع بيلي نايت وديلا وين.

سألته روبن مندهشة:

– ماذا؟ كيف ستدخل إلى المستش...؛ لن توافق على طلبك...

– أنت مخطئة، فقد عثرت لي إيزي على رقم ديلا في سجلّات تشيزيل. لقد اتّصلت بها للتوّ. أعترف، كنت أتوقع منها أن تردّني خائبًا...

– من معرفتي بديلا، أفترض أنها كانت ستستخدم عبارات قاسية أيضًا.

– في البدء بدا لي أنّها ستفعل ذلك، لكن أمير اختفى.

قالت روبن بحدّة:

– ماذا؟

– هدّئي من روعك. ديلا تقول إنّه اختفى. لكن في الواقع، استقال أول من أمس وأخلى منزله، فلا يمكن اعتباره مفقودًا. إنّه لا يجيب على اتّصالاتها... وهي تلقي اللوم عليّ في ذلك، لأنّني «روّعته» عندما ذهبت لاستجوابه حسب قولها. وأضافت أنّه في حالة نفسية دقيقة جدًا وأنّني الملوم إذا ما أقدم على أيّ فعل ليؤذي نفسه. لذا...

– هل عرضت عليها أن تجده مقابل إجابتها عن الأسئلة؟

– أصبتِ، قبلت عرضي على الفور. طلبت إليّ أن أطمئنه بأنّه ليس في أيّ ورطة وبأنّ كلّ الأمور التي سمعتها عنه لن تؤدّي إلى أيّ عواقب وخيمة.

ردّت روبن بنبرة قلقة:

– آمل أن يكون بخير. لم يستلطفني بتاتًا، لكنّ هذا يثبت أنّه أذكى منهم جميعًا. متى ستقابل ديلا؟

– مساء اليوم عند السابعة، في منزلها في برموندسي. وبعد ظهر يوم غد، إذا سار كلّ شيء كما هو مخطّط له، سأتحدّث مع بيلي. تأكّدت من باركلي أنّ جيمي لا يخطّط لزيارته في ذلك الوقت، لذلك اتّصلت بالمستشفى وأنتظر أن يعاود الطبيب النفسي الذي يعالج بيلي الاتّصال بي الآن لتأكيد الموعد.

– هل تعتقد أنّهم سيسمحون لك باستجوابه؟

– تحت إشرافهم، نعم، أعتقد أنّهم سيقبلون. إنّهم مهتمّون بمعرفة مدى وضوح أفكاره حين يتحدّث معي. إنّه يتناول أدويته من جديد وقد تحسّن كثيرًا، لكنّه لا يزال يروي قصّة الولد المخنوق. سأزور الجناح المغلق غدًا في حال موافقة الفريق الطبّي.

– حسنًا، ممتاز. جيّد أن يكون لديك دليل يمكن اتّباعه. يعلم الله أنّنا بحاجة إلى تحقيق اختراق في القضيّة، حتى لو كان يتعلّق بحالة الوفاة التي لم نُكلّف بالتحقيق فيها.

قال سترايك:

– قد لا تكون هناك حالة وفاة في قصّة بيلي، ولكنّني سأظلّ قلقًا إلى الأبد ما لم نكتشف ذلك. سأعلمك كيف سارت الأمور مع ديلا.

تمنّت له روبن التوفيق وودّعته قبل إنهاء المكالمة، لكنّها ظلّت مستلقية على سريرها. وبعد بضع ثوانٍ قالت بصوت عالٍ:

«بلان دو بلان».

ومرّة أخرى، شعرت بأنّ ذكرى قديمة تتحرّك في ذاكرتها، وتعكّر مزاجها. أين رأت هذه العبارة فيما كانت تشعر بالبؤس؟

ردّدت عبارة «بلان دو بلان» فيما همّت لتنهض من السرير. «بلانك د – آخ!» داست بقدمها الحافية على شيء صغير وحادّ للغاية. انحنت والتقطت قرطًا ماسيًا صغيرًا. في البداية، حدّقت فيه فقط دونما أيّ انفعال. القرط لم يكن لها. فهي لا تملك قرطًا ماسيًا. تساءلت لماذا لم تدس عليه عندما صعدت إلى الفراش مع ماثيو فيما كان نائمًا في الصباح الباكر. ربّما لم تقترب منه، أو، على الأرجح، كان القرط في السرير وسقط أرضًا عندما سحبت روبن الملاءة.

بالطبع، هناك العديد من الأقراط المرصّعة بالماس في العالم. لكنّها تذكّرت أنّ ثمّة قرطين ماسيّين جذبا انتباهها في الفترة الأخيرة وكانت ترتديهما سارة شادلوك في آخر مرّة التقتها روبن مع ماثيو لتناول العشاء، في تلك الليلة التي هاجم فيها طوم ماثيو بقسوة مفاجئة وغير مبرّرة.

جلست روبن والقرط الماسي في يدها واستغرقت في التفكير لمدّة دقيقة، ولو أنّها بدت لها أطول من ذلك بكثير. ثمّ وضعت القرط بعناية على المنضدة بجانب السرير، والتقطت هاتفها المحمول، ودخلت صفحة «الإعدادات» وأزالت الخاصية التي تحدد هويتها عندما تتصل، ثمّ اتّصلت بهاتف طوم المحمول.

أجاب بعد بضع رنّات، وبدا حانقًا. في الخلفية، سمعت صوت مقدّم برامج يتساءل بصوت عالٍ عن الحفل الختامي للأولمبياد المقبل.

– نعم، آلو؟

أنهت روبن المكالمة. لم يكن طوم يلعب كرة القدم. ظلّت جالسة بلا حراك، وهاتفها في يدها، على فراش الزوجية الثقيل الذي وجدوا صعوبة كبيرة في نقله أعلى السلالم الضيّقة في هذا المنزل المستأجر الجميل، بينما

راحت تستذكر الإشارات الواضحة التي كانت قد تجاهلتها عمدًا، على الرغم من عملها كمحققة.

جالت روبن بنظرها في أرجاء الغرفة الفارغة السابحة بنور الشمس وبكلّ هدوء قالت لنفسها: «يا لغبائي».



54

يقدّرون تصرّفاتك اللطيفة ويعرف الجميع كل شيء عنك: تصرفاتك اللطيفة التي لا تخرج عن الاستقامة، عقلك المستنير، وشرفك الذي لا توجد حوله أيّة شكوك...

هنريك إبسن، روسميرشولم

على الرغم من أنّ الضوء كان لا يزال ساطعًا في ساعات المساء الأولى، غرقت حديقة ديلا الأمامية بالظّلال، ما منحها جوًّا هادئًا وحزينًا، على عكس الطريق المزدحم والمغبرّ الذي يقع أمام البوّابة تمامًا. عندما قرع سترايك جرس الباب، لاحظ وجود قطعتين كبيرتين من براز الكلاب على العشب الأمامي النظيف وتساءل في نفسه عمّن يساعد ديلا في مثل هذه المهامّ اليومية بعد انتهاء زواجها.

فُتح الباب فظهرت وزيرة الرياضة بنظّارتها السوداء التي تحجب العينين خلفها. كانت ترتدي – ما كانت تسمّيه عمّة سترايك المسنّة في كورنوال – معطفًا منزليًا، وهو رداء بنفسجي من الكتان، يصل بطوله إلى الركبة، مزوّد بأزرار حتى أعلى الرقبة. منحها مظهرًا كنسيًا مهيبًا. وقفت الكلبة التي ترشد العميان خلفها، تنظر إلى سترايك بعينين دكناوين حزينتين.

قال المحقّق من دون أن يتحرّك: «مرحبًا، أنا كورموران سترايك». بما أنّها لا تستطيع أن تتعرّف إليه بالعين أو أتفحص أيًا من البطاقات التي تعرّف عنه، كانت تلك الطريقة هي الوحيدة التي تمكّنها من معرفة من يدخل منزلها: من خلال صوته. «تكلّمنا على الهاتف من قبل وطلبت إليّ أن آتي لزيارتك».

قالت بدون أن تبتسم:

– أجل. تفضّل بالدخول.

تراجعت لتسمح له بالدخول، وهي تمسك بطوق الكلب الذي ينتمي إلى فصيلة اللابرادور. دخل سترايك وحفّ رجليه بممسحة الباب. تنامت إلى مسمعه موجات موسيقية تتألف من أوتار صاخبة وآلات نفخ، قطعها قرع على الطبل. افترض أنّها أصوات تأتي من غرفة الجلوس. سترايك، الذي ترعرع على يد أمّ تستمع إلى فرق الميتال أكثر من أي شيء آخر، لم يكن يعرف سوى القليل جدًا عن الموسيقى الكلاسيكية. لكنّ هذه الموسيقى أضفت جوًّا من الشؤم الذي يلوح في الأفق، ما جعلها غير محبّبة بالنسبة له. بدت الردهة المظلمة، لأنّ أحدًا لم يشعل الضوء، عادية جدًّا بسجّادتها التي زيّنتها زخارف بنّية دكناء. على الرغم من كونها عملية بدت له قبيحة.

قالت ديلا:

– أعددت القهوة. سأحتاج منك إلى أن تحمل الصينية إلى غرفة الجلوس من أجلي، إن كنت لا تمانع.

– لا بأس.

تبع كلب اللابرادور، الذي لم يفارق كعب ديلا، وذيله يهتزّ بشكل خفيف. ارتفعت أصوات السيمفونية عندما مرّا بغرفة الجلوس، ولمست ديلا إطار الباب برفق أثناء مرورها، لتتحسّس العلامات المألوفة كي توّجه نفسها.

سأل سترايك محاولًا أن يقول أيّ شيء:

– بيتهوفن؟

– برامز. السمفونية الأولى، المقطوعة C.

جميع الحواف في المطبخ كانت مستديرة. ولاحظ سترايك أنّ مقابض الفرن كانت تحمل أعدادًا نافرة. وكُتبت على لوحة من الفلين خصصت

للملاحظات، قائمة بأرقام الهواتف المعنونة «في حالة الطوارئ»، موجّهة لعاملة التنظيف أو المساعدة منزلية. فيما عبرت ديلا نحو الجهة المقابلة من المجلى، أخرج سترايك جوّاله من جيب معطفه والتقط صورة لرقم غيرنيت وبن. وصلت يد ديلا الممدودة إلى حافة الحوض الخزفي العميق، وتنحّت جانبًا، حيث قبعت صينية محمّلة بكوب وغلاية امتلأت بالقهوة الطازجة. بجانبها كانت هناك زجاجتي نبيذ. تحسّست ديلا كلتيهما، استدارت ووجّهتهما إلى سترايك، وهي لا تزال لا تبتسم.

سألت:

– ما هما؟

– شاتونوف دو باب، 2010، في يدك اليسرى، وشاتو موزار، 2006، في اليمنى.

– أريد كأس شاتونوف دو باب إن كنت لا تمانع فتح الزجاجة وسكب كأس لي. أفترض أنك لا تريد شرابًا كحوليًا، لكن إذا أردت، فتفضّل بصبّ واحد لنفسك.

قال سترايك، الذي التقط المفتاح الذي وضعته بجانب الصينية:

– شكرًا، سأكتفي بالقهوة.

انطلقت بصمت إلى غرفة الجلوس، تاركةً إيّاه ليتبعها بالصينية. عندما دخل الغرفة، شمّ رائحة الورود القوية وتذكّر روبن بشكل عابر. بينما كانت ديلا تلمس الأثاث بأطراف أصابعها، وهي تتّجه نحو كرسيّ بذراعين خشبيّين عريضين، رأى سترايك أربع مجموعات كبيرة من الزهور في مزهريات موزعة حول الغرفة تضفي ألوانها الزاهية من الأحمر والأصفر والوردي حيوية على رتابة المكان.

ضغطت ديلا برجلَيها من الخلف على الكرسيّ ليستقيم جسدها وجلست بعناية، ثمّ التفتت نحو سترايك وهو يضع الصينية على المنضدة.

قالت مشيرةً بيدها إلى ذراع الكرسي:

«هلّا وضعت كأسي، على ذراع الكرسي الأيمن؟»

ففعل، وراقبته كلبة اللابرادور الشاحبة، التي كانت مرتمية إلى جانب كرسيّ ديلا، بعينين لطيفتين نعستين.

انطلق صوت أوتار الكمان في السيمفونية في لحظة جلوس سترايك. اكتست الغرفة بمختلف تدرّجات اللون البنّي في سجّادتها البنية الفاتحة وأثاثها، وقد صُمّمت على الأرجح في السبعينيات. وغطّت نصف أحد الجدران رفوف مُدمَجة فيها ألف قرص مضغوط على الأقلّ بحسب تقدير سترايك. وعلى منضدة في الجزء الخلفي من الغرفة وُضعت كومة من مخطوطات برايل. بينما استقرّت صورة كبيرة مؤطرة لفتاة مراهقة على رفّ الموقد. وخطر لسترايك ألّا يمكن لوالدة ريانين وين التنعّم بالسلوى المريرة من النظر إلى صورة ابنتها كلّ يوم، فوجد نفسه يتعاطف معها تعاطفاً في غير محلّه.

علّق قائلًا:

– أزهار جميلة.

أجابت ديلا:

– أجل. كان عيد ميلادي قبل أيّام.

– أتمنّى لك عمرًا طويلًا مليئًا بالسعادة.

– هل أنت من منطقة الغرب؟

– بشكل جزئي. أنا من كورنوال.

– هذا واضح من لكنتك.

انتظرت فيما حمل الإبريق وصبّ القهوة لنفسه. ولمّا انقطع صوت انسكاب القهوة، وقالت:

«كما قلت لك على الهاتف، ينتابني قلق شديد بشأن أمير. لا بدّ أنّه ما زال في لندن، أنا متأكدة، فهذا المكان الوحيد الذي يعرفه. ليس مع عائلته.» وبدا لسترايك أنّ في نبرتها شيء من الازدراء، ثمّ أضافت: «أنا قلقة جدًّا عليه».

تحسّست بيدها حذرة وتناولت كأس النبيذ المجاورة لها وارتشفت منها.

– عندما تطمئنه أنّه ليس في مأزق، وأنّك لن تنشر أيّ معلومات يخبرك بها تشيزيل عنه، عليك أن تطلب إليه أن يتّصل بي... فوراً.

استمرّت آلات الكمان بالأزيز والأنين فبالنسبة إلى أذنَي سترايك غير المعتادتَين، بدت الموسيقى ناشزة فكأنّها نذير شؤم. حكّت الكلبة المرشدة نفسها، فيما ارتطمت رجلها على السجّادة. أخرج سترايك دفتر ملاحظاته وقلمه.

– هل لديك أسماء أو معلومات الاتّصال الخاصّة بأيّ أصدقاء قد يذهب مالِك إليهم؟

– لا. لا أعتقد أنّ أصدقاءه كثر. ذكر مؤخرًا صديقًا من الجامعة لكنّي لا أذكر اسمه. ولا أظن أنّه كان صديقًا مقرّبًا.

بدا أنّ الحديث عن الصديق غير المقرّب ضايقها.

أكملت: «درس في كلّية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، لذا فهو يعرف جيّدًا هذه المنطقة في لندن».

– علاقته جيّدة بإحدى أخواته، أليس كذلك؟

قالت ديلا في الحال:

– أوه، لا! لا، لا، لقد تبرّؤوا منه جميعًا. لا، ليس لديه أحد إطلاقًا، غيري، لهذا السبب الوضع خطير جدًا.

– نشرت الأخت صورة لهما على فايسبوك قبل فترة قصيرة. كان ذلك في مطعم البيتزا مقابل منزلك.

لم تكشف تعابير ديلا عن صدمتها فحسب، بل كان استياؤها واضحًا.

– قال لي أمير إنّك كنت تتطفّل على الإنترنت. أيّ أخت كانت؟

– عليّ أن أتأكّ...

قاطعته ديلا:

– لكن لا أظن أنّه سيقيم عندها بعد أن تعاملت معه الأسرة كلّها بهذه الطريقة. ربّما اتّصل بها. يمكنك أن تسألها عمّا تعرفه.

– سأفعل. هل لديك فكرة أخرى عن المكان الذي قد يقصده؟

– ليس لديه أيّ أحد آخر، هذا ما يقلقني. إنّه ضعيف. من الضروري أن أجده.

وعدها سترايك:

– حسنًا، سأبذل قصارى جهدي. قلت على الهاتف إنّك مستعدة للإجابة عن بعض الأسئلة.

بات تعبير وجهها أكثر ممانعة.

– أشكّ في أنّ لديّ أيّ معلومات مهمّة لك، لكن هات.

– هل يمكننا أن نبدأ بجاسبر تشيزيل وعلاقة زوجك به؟

أظهرت بتعبيرها أنّها وجدت السؤال وقحًا ومضحكًا بعض الشيء. وأجابت بابتسامة باردة وحاجبين مرفوعين:

– كانت علاقتي بجاسبر علاقة عمل طبعاً.

أضاف سترايك بعض السكّر إلى قهوته وحرّكها، ثمّ ارتشف منها وسأل:

– وكيف كانت هذه العلاقة؟

– بما أنّ جاسبر استخدمك لتنبش معلومات مسيئة إلينا، أظنّ أنّك تعرف الإجابة عن هذا السؤال.

– إذًا، أنت تؤكّدين أنّ زوجك لم يكن يحاول ابتزاز تشيزيل، أليس كذلك؟

– طبعاً.

عرف سترايك أنّ الضغط على هذه النقطة بالذات سينفّرها، فقد أوضح الأمر القضائي إلى أيّ حدّ يمكن أن تذهب ديلا لتدافع عن نفسها، لذا بدا أنّ التراجع المؤقّت عن هذه النقطة ضروريًا.

– ماذا عن بقيّة أفراد عائلة تشيزيل؟ هل التقيت بأحد منهم؟

أجابت بحذر:

– بعضهم.

– وكيف وجدتهم؟

– بالكاد أعرفهم. قال غيرنيت إنّ إيزي كانت تعمل بجدّ.

– وابن تشيزيل الراحل كان في فريق المبارزة البريطاني للناشئين مع ابنتك، ألس كذلك؟

بدا له أنّ عضلات وجهها تشنّجت. وذكّره ذلك بشقائق نعمان البحر التي تنغلق على نفسها عندما تستشعر وجود حيوان مفترس في جوارها. فقالت:

– أجل.

– هل كان فريدي يروقك؟

– لا أظنّ أنّني تحدّثت معه أبداً. غيرنيت هو الذي كان يوصل ريانون إلى بطولاتها. وكان يعرف الفريق.

امتدّ ظلّ سيقان الورود قرب النافذة فبدا كظلّ القضبان على السجّادة. واستمرّت سيمفونية برامز تعصف في الخلفية. أسهمت عدسات ديلا غير الشفّافة في إضفاء شعور بالخطر الغامض. وتذكّر سترايك، الرغم من أنّه غير متخوّف أبدًا، العرّافين الكفيفين الذين انتشروا في الأساطير القديمة، والهالة الخارقة للطبيعة التي ينسبها الأشخاص الأصحّاء جسديًا إلى هذه الإعاقة بالتحديد.

– ما الذي أعطى جاسبر تشيزيل الرغبة في اكتشاف أمور تضرّ بك، هل تعرفين؟

قالت ديلا ببساطة:

– لم أرقه. كنّا نختلف باستمرار. وقد جاء من خلفية يرى الناس فيها أنّ أيّ شيء ينحرف عن أعرافهم ومعاييرهم هو أمر مشكوك فيه، وغير طبيعي، لا بل خطير. كان رجلًا أبيض ثريًا محافظًا، يا سيّد سترايك، وشعر بأنّ من الأفضل أن تكون أروقة السلطة مأهولة حصرًا بالذكور المحافظين البيض الأغنياء. وسعى، في كلّ شيء، إلى إعادة الوضع الذي كان سائدًا في أيّام شبابه.وخلال سعيه إلى تحقيق هذا الهدف، كان في كثير من الأحيان منافقًا لا يحترم المبادئ.

– ماذا تعنين؟

– اسأل زوجته.

– أنت تعرفين كينفارا، أليس كذلك؟

– لن يمكنني أن أقول إنّي «أعرفها». التقيت بها قبل فترة وكان ذلك مثيرًا للاهتمام طبعًا في ضوء تصريحات تشيزيل العامّة بشأن قدسية الزواج.

خُيّل لسترايك أنّه تحت اللغة النبيلة، وعلى الرغم من قلق ديلا الحقيقي بشأن أمير، كانت تستمتع بقول هذه الأمور.

فسأل:

– ماذا جرى؟

– وصلت كينفارا بشكل غير متوقع في وقت متأخّر بعد ظهر أحد الأيّام إلى الوزارة، لكنّ جاسبر كان قد غادر إلى أوكسفوردشاير. أظنّ أنّها كانت تنوي مفاجأته.

– متى كان هذا؟

– أظن... منذ عام على الأقلّ، قبل عطلة البرلمان بفترة وجيزة على ما أعتقد. كانت في حالة حزن شديدة. سمعت جلبة في الخارج وخرجت لأكتشف ما يجري. وعلمت من خلال صمت من كانوا في المكتب الخارجي أنّهم كانوا جميعًا في صدمة. كانت منفعلة جدًّا، وطالبت برؤية زوجها. في البداية ظننت أنّها سمعت أخبارًا مروّعة وتحتاج إلى مواساة جاسبر ودعمه. فأدخلتها مكتبي.

وما إن أصبحنا وحدنا، حتّى انهارت تمامًا. بالكاد تكلّمت بطريقة منطقية، ولكن من القليل الذي استطعت أن أفهمه أنّها كانت قد اكتشفت لتوّها وجود امرأة أخرى.

– هل قالت من هي؟

– لا أظنّ ذلك. ربّما فعلت، لكنّها كانت... في الحقيقة، كان الأمر مزعجًا جدًّا، وأضافت ديلا بحزم: بدت كأنّها عانت فجيعة، لا أنّها تواجه نهاية زواجها. «كنت مجرّد جزء من لعبته»، «لم يحبّني قط»، وهكذا دواليك.

– ما اللعبة التي كانت تتكلم عنها في رأيك؟

– اللعبة السياسية على ما أظنّ. تحدّثت عن تعرّضها للإذلال، وأنّه قال لها، ما معناه، إنّها قد خدمت هدفها. كان جاسبر تشيزيل رجلًا طموحًا للغاية، كما تعلم. خسر حياته المهنية ذات مرّة بسبب خيانته الزوجية. أتخيّل أنّه بحث عن الزوجة الجديدة التي ستحسّن صورته، وتوقف عن القيام بالرحلات الليلية إلى إيطاليا لأنّه كان يحاول العودة إلى الحكومة. ربّما اعتقد أنّ المحافظين في المقاطعة ستروقهم كينفارا. فهي من عائلة محترمة. تحبّ الخيول.

سمعت، لاحقًا، أنّ جاسبر أدخلها مصحّة عقلية بعد فترة وجيزة.

وأضافت وهي تأخذ رشفة أخرى من النبيذ:

«بهذه الطريقة تتعامل عائلات مثل عائلة تشيزيل مع المشاعر المفرطة، على ما أظنّ. ومع ذلك بقيت معه. بالطبع، فالناس يبقون، حتى عندما يُعامَلون معاملة مروِّعة. سمعته يقول عنها إنّها وطفلة مزاجية ناقصة العقل. وأتذكّر أنّه قال إنّ والدة كينفارا سوف «ترعاها» في عيد ميلادها، لأنّه كان يجب أن يكون في البرلمان للتصويت. كان بإمكانه أن يلغي صوته، بالطبع... أن يجد نائبًا من حزب العمّال ويبرم معه تلك الصفقة التي تؤدّي إلى إلغائه. لكنّه لم يكلّف نفسه عناء ذلك.

أمثال كينفارا تشيزيل، اللواتي تستند كامل قيمتهنّ الذاتية إلى حالة زواجهنّ ونجاحه، يتحطّمن عندما تسوء أمورهنّ. أعتقد أنّ اهتمامها بخيولها كان متنفسًا و... أجل، تذكّرت، آخر ما قالته لي في ذلك اليوم هو أنّه إضافة إلى كلّ شيء آخر، كان عليها الآن العودة إلى المنزل لقتل فرس تحبّها».

مدّت ديلا يدها إلى رأس غوين العريض الناعم، التي استلقت إلى جانب كرسيّها:

– شعرت بالأسف الشديد عليها، حينئذ. آنستني الحيوانات كثيرًا في حياتي. لا يمكن للمرء أن يغالي في تقدير الراحة التي تقدّمها الحيوانات أحيانًا.

لاحظ سترايك أنّ اليد التي كانت تداعب الكلب ما زالت تضع خاتم الزواج، إلى جانب خاتم ثقيل من حجر الجمشت يتناسب لونه مع لون معطفها المنزلي. لا بدّ أنّ أحدهم، وقد افترض سترايك أنّه غيرينت، أخبرها أنّه من اللون نفسه. وشعر مجددًا بشفقة غير مرحّب بها.

– هل أخبرتك كينفارا كيف أو متى اكتشفت أنّ زوجها لم يكن مخلصًا؟

– لا، لا، فقد أطلقت العنان لموجة مضطربة من الغضب والحزن، كالطفلة الصغيرة، وظلّت تردد: «لقد أحببته ولم يحبّني أبدًا، كان كلّ ما بيننا كذبًا». لم أسمع قطّ مثل هذا الانفجار من الحزن المتأجج، حتى في جنازة أو على فراش الموت. لم أتحدّث معها مجددًا إلّا لألقي السلام عليها. وتصرّفت كما لو أنّها لا تتذكّر ما حدث بيننا.

أخذت ديلا رشفة أخرى من النبيذ.

سأل سترايك:

– هل يمكن أن نعود إلى مالك؟

فقالت على الفور:

– أجل، بالطبع.

– صباح اليوم الذي مات فيه جاسبر تشيزيل – في الثالث عشر – هل كنت هنا، في المنزل؟

ساد بينهما صمت طويل.

وقالت أخيرًا بنبرة متغيّرة:

– لماذا تسألني ذلك؟

– لأنني أرغب في تأكيد قصّة سمعتها.

– تقصد أنّ أمير كان معي ذلك الصباح؟

– تمامًا.

– في الواقع، هذا صحيح تمامًا. انزلقت في الطابق السفلي ولويت معصمي. اتّصلت بأمير وجاء. أرادني أن أذهب إلى الطوارئ، لكن لم تكن هناك حاجة إلى ذلك. كنت ما زلت أستطيع أن أحرّك أصابعي كلّها. احتجت فقط إلى بعض المساعدة في تحضير الفطور وما إلى ذلك.

– أنت اتّصلت بمالك؟

– ماذا؟

ذلك السؤال الشفاف «ماذا؟» الذي عادةً ما يلقيه أيّ شخص يخشى أن يكون قد ارتكب خطأً... خمّن سترايك أنّ بعض التفكير السريع يدور خلف النظّارة الداكنة.

– أنت اتّصلت بأمير؟

– لماذا؟ ماذا قال هو عمّا حدث؟

– قال إنّ زوجك ذهب بنفسه ليأتي به من منزله.

– أوه، بالطبع، أجل، لقد نسيت.

سأل سترايك برفق:

– أنسيت؟ أم أنك تدعمين قصّتهما؟

كرّرت ديلا بحزم:

– لقد نسيت. عندما قلت إنّني «اتّصلت به» لم أقصد الهاتف. قصدت أنّني أرسلت في طلبه. أرسلت غيرينت.

– ولكن إن كان غيرنيت هنا عندما انزلقت، أما كان يستطيع أن يساعدك في إعداد الفطور؟

– أعتقد أنّ غيرنيت أراد من أمير أن يساعده على إقناعي بالذهاب إلى الطوارئ.

– حسنًا. إذًا فكرة الذهاب إلى أمير كانت فكرة غيرينت، لا فكرتك؟

– لم أعد أتذكّر الآن.

لكن بعد ذلك، ناقضت نفسها وقالت: «كان وقوعًا مؤلمًا. ويعاني غيرنيت ضعفًا في الظهر. لذا، بطبيعة الحال، احتاج إلى المساعدة، ففكّرت في أمير، ثمّ أصرّا عليّ لأذهب إلى الطوارئ، لكن لم تكن هناك حاجة لذلك. فقد كان التواءً بسيطًا».

أخذ الضوء يتلاشى وراء الستائر الشبكية. وعكست نظّارة ديلا السوداء لون الشمس الأحمر وهي تغيب فوق سطوح المنازل.

قالت مرّة أخرى بصوت متوتّر:

– أنا قلقة للغاية على أمير.

– لديّ سؤالان أخيران. لمّح جاسبر تشيزيل أمام غرفة مليئة بالناس إلى أنّه يعرف شيئًا يسيء إلى سمعة مالك. هل يمكنك إخباري أيّ شيء عن ذلك؟

قالت ديلا بهدوء:

– نعم، تلك المحادثة هي التي جعلت أمير يفكّر أولًا في الاستقالة. شعرت به يبتعد عنّي بعد حدوث ذلك. ثمّ أنت أنهيت العمل، أليس كذلك؟ ذهبت إلى منزله لتزيد من التهكّم عليه.

– لم أتهكّم عليه يا سيّدة وين...

– اللواط يا سيّد سترايك، ألم تتعلّم معنى تلك الكلمة طوال الوقت الذي قضيته في الشرق الأوسط؟

– بلى، أعرف معناها. السدومية. بدا أنّ تشيزيل يهدّد أمير بكشف أمره...

قالت ديلا بشراسة:

– لم يكن أمير ليعاني من كشف الحقيقة، أؤكّد لك! ليس هذا مهمًّا، لكنّه ليس مثليًا!

واصلت سيمفونية برامز ما اعتبره سترايك مسارها الكئيب والمشؤوم بشكل متقطّع، وتنافس البوق والكمان على إثارة أعصابه.

قالت ديلا بصوت عالٍ:

– هل تريد الحقيقة؟ اعترض أمير على تعرّضه للتحرّش، وعلى تلمّس موظف حكومي كبير له، يظنّ أنّ تحرّشه بالموظفين الشبان الذين يعلمون معه سرًا لكنه في الحقيقة مكشوف، بل إنّه تحوّل إلى أضحوكة! وعندما يفقد فتى مسلم متعلّم أعصابه ويصفع موظفًا حكوميًا كبيرًا، أيّ من الاثنين تظنّ ستتلطّخ سمعته؟ أيٌّ منهما، في رأيك، يصبح موضوع إشاعات مهينة، ويُجبَر على الاستقالة من عمله؟

– ليس السير كريستوفر باروكلو-بيرنز.

قالت ديلا بحدّة:

– كيف عرفت عمّن كنت أتكلّم؟

سألها سترايك متجاهلًا سؤالها:

– لا يزال في منصبه، أليس كذلك؟

– بالطبع! الجميع على علم بألاعيبه الصغيرة غير الضارّة، لكن لا أحد يريد أن يشهد ضدّه. أحاول منذ سنين أن أفعل شيئًا لكفّ يد باروكلو-بيرنز. عندما سمعت أنّ أمير ترك برنامج مراعاة التنوع في التوظيف في ظروف غامضة، بذلت جهدي للعثور عليه. لقد كان في حالة يرثى لها عندما اتّصلت به لأول مرّة، كانت حالته تدعو للشفقة بالفعل. بصرف النظر تمامًا عن خسارته مهنة كان ينبغي أن تكون ناجحة للغاية، سمع أحد أقاربه، وهو رجل خبيث،

بعض الشائعات ونشر أخبارًا كاذبة بأنّ أمير طُرد بسبب نشاط جنسي مثليّ في العمل.

ليس والد أمير من النوع الذي ينظر بلطف إلى ابن مثليّ الجنس. وكان أمير يقاوم ضغوط والدَيه للزواج بفتاة يعتقدان أنّها مناسبة له. وحصل شجار رهيب ومقاطعة كاملة. وخسر هذا الشاب اللامع كلّ شيء، أسرته، ومنزله ووظيفته، في غضون أسبوعين.

– إذًا هذا كان سبب تدخّلك؟

– نملك أنا وغيرنيت منزلًا شاغرًا في آخر الشارع. أقامت والدتانا فيه. ليس لدينا أشقاء. وقد أصبح من الصعب جدًا رعاية والدتينا من لندن، لذلك أحضرناهما من ويلز وأسكنّاهما معًا في آخر الشارع. تُوفيت والدة غيرنيت قبل عامَين، ووالدتي هذا العام، لذا كان المنزل شاغرًا. لم نكن بحاجة إلى تأجيره. وبدا من المنطقي أن نسمح لأمير بأن يقيم فيه.

– وكان هذا بدافع الإحسان البحت؟ ألم تفكّري في مدى فائدته لك، عندما أعطيته وظيفة ومنزلًا؟

– ماذا تعني بـ«فائدة»؟ إنّه شابّ ذكيّ للغاية، أيّ مكتب سيكون...

– كان زوجك يضغط على أمير للحصول على معلومات تدين جاسبر تشيزيل من وزارة الخارجية، يا سيّدة وين. صور. كان يضغط على أمير ليذهب إلى السير كريستوفر ليحصل على بعض الصور.

مدّت ديلا يدها لتأخذ كأسها، وأخطأت ساق الكأس ببوصة وضربت الزجاج بمفصل أصابعها. اندفع سترايك إلى الأمام في محاولة للإمساك بها، ولكن بعد فوات الأوان: ارتفع سيلٌ مقوّسٌ من النبيذ الأحمر في الهواء وتناثر على السجّادة البنية الفاتحة، وسُمِع صوت ارتطام الكأس بها. نهضت غوين واقتربت من بقعة النبيذ وشمّتها باهتمام ضئيل.

سألت ديلا بإلحاف:

– ما مدى الضرر؟ بينما أمسكت ذراعَي كرسيّها، ووجهها مطرق إلى الأرض.

قال سترايك:

– ليس الوضع جيّدًا.

– الملح من فضلك... ضع الملح عليها. إنّه في الخزانة على يمين موقد الغاز!

عندما شغّل سترايك الضوء عند دخوله المطبخ، لفت انتباهه لأول مرّة شيء غريب فشل في ملاحظته عند دخوله سابقًا: مغلّف معلّق عاليًا على خزانة مثبّتة على الحائط إلى اليمين، مرتفع بحيث لا يمكن لديلا الوصول إليه. بعد أن أخذ الملح من الخزانة، التفّ لقراءة الكلمة الوحيدة المكتوبة عليها: «غيرينت».

صاحت ديلا ببعض الإلحاح من غرفة الجلوس:

– على يمين موقد الغاز!

وصاح سترايك، وهو يسحب الظرف إلى الأسفل ويفتحه:

– آه، على اليمين!

وجد في الداخل إيصالًا من شركة «كينيدي بروس جوينرز» لاستبدال باب حمّام. لعق سترايك إصبعه، ورطب غطاء الظرف، وأغلقه قدر الإمكان، وأعاده إلى مكانه حيث وجده.

قال لديلا وهو يعود إلى الغرفة:

– آسف. كان الملح أمامي مباشرة ولم أرَه.

فتح الجزء العلوي من علبة الكرتون وسكب الملح على البقعة الأرجوانية. انتهت سيمفونية برامز عندما نهض، وهو يشكّ في نجاح هذا العلاج المنزلي.

همست ديلا في الغرفة التي خيّم عليها الصمت:

– هل وضعت الملح؟

أجاب: «أجل»، وهو يشاهد الملح الأبيض يمتصّ النبيذ فيتحوّل إلى لون رمادي. وأضاف: «أعتقد أنّك ما زلت بحاجة إلى منظّف سجّاد».

– يا للأسف... اشترينا السجّادة هذه السنة.

بدت شديدة الاضطراب، لكنّ سترايك شكّ في أنّ السبب يعود إلى النبيذ المسكوب. عندما عاد إلى الأريكة ووضع الملح بجانب القهوة، بدأت

الموسيقى مرّة أخرى، هذه المرّة، ارتفعت موسيقى (Hungarian Air) لم تكن أكثر هدوءًا ولا أقلّ غرابة من السمفونية.

سألها:

– هل تريدين المزيد من النبيذ؟

قالت:

– أجل، أودّ ذلك.

سكب لها كأسًا أخرى ووضعها مباشرة بين يديها. شربت منها قليلًا ثمّ قالت مرتجفة:

– كيف أمكنك أن تتوصّل إلى ما أخبرتني به للتوّ، يا سيد سترايك؟

– أفضّل عدم الإجابة على هذا السؤال، لكنّي أؤكّد لك أنّ المعلومات صحيحة.

قالت ديلا وهي تمسك النبيذ بيديها الاثنتين:

– يجب أن تجد لي أمير. إن كان يعتقد أنّني كنت موافقة على أن يطلب منه غيرنيت الذهاب إلى باروكلو-بيرنز للحصول على خدمة، فلا عجب أن يكون...

كان واضحًا أنّها بدأت تفقد السيطرة على نفسها. وحاولت أن تضع كأس النبيذ على ذراع كرسيّها وكان عليها أن تتحسس الذراع باليد الأخرى قبل أن تفعل ذلك بنجاح، بينما كانت تهزّ رأسها بدافع عدم التصديق.

سأل سترايك بهدوء:

– لا عجب أنّه ماذا؟

– اتّهمني... بكبته... والسيطرة عليه... بالطبع، هذا يفسّر كلّ شيء... كنّا مقرّبَين جدًا – لن تفهم ذلك – فمن الصعب شرحه، لكنّنا تحوّلنا إلى عائلة بسرعة كبيرة. في بعض الأحيان، كما تعلم، يحصل تقارب فوري – صلة لا تستطيع السنوات تكوينها مع أشخاص آخرين – لكن في الأسابيع القليلة الماضية، تغيّر كلّ شيء، شعرت بذلك، بدءًا من قيام تشيزيل بهذه المهزلة أمام الجميع؛ أصبح أمير فاترًا. بدا كأنّه فقد ثقته بي... كان يجب أن أعرف... يا للهول، كان يجب أن أعرف... عليك أن تجده، عليك أن تجده...

اعتقد سترايك أنّ عمق إحساسها الملتهب بالحاجة ربّما كان جنسيًا في الأصل، وربَما أيقظت ذكورة أمير الشابة رغبة لديها لم تكن تدرك وجودها. مع ذلك، بينما كانت ريانون وين تراقبهما من الإطار المذهّب الرخيص، وهي تبتسم ابتسامة لم تدرك عينيها الواسعتين القلقتين، وفوق أسنانها تقويم لامع ثقيل، رجّح سترايك أن تكون ديلا امرأة تمتلك أمرًا افتقرت إليه شارلوت بوضوح: غريزة الأمومة التي يشوبها، في حالة ديلا، أسف وألم لا يمكن التغلّب عليهما.

همست:

– هذا أيضًا. هذا أيضًا. ما الذي لم يفسده؟

– أنت تتكلّمين عن...

قالت ديلا بخدر:

– زوجي! من غيره؟ مؤسّستي الخيرية – مؤسّستنا الخيرية – لكنّك تعلم ذلك بالطبع، أليس كذلك؟ أنت من أخبر تشيزيل عن الخمسة وعشرين ألفًا المفقودة، أليس كذلك؟ والأكاذيب، الأكاذيب الغبيّة التي كان غيرنيت يخبرها للناس؟ ديفيد بيكام، ومو فرح – وكلّ تلك الوعود المستحيلة؟

– اكتشفت شريكتي ذلك.

قالت ديلا مشتّتة:

– لن يصدّقني أحد، لكنّني لم أعرف، لم يكن لديّ أيّ فكرة. فاتتني آخر أربعة اجتماعات لمجلس الإدارة؛ بسبب الاستعدادات للألعاب البارالمبية. لم يخبرني غيرنيت بالحقيقة إلّا بعد أن هدّده تشيزيل بنشر الخبر في الصحف. حتى في ذلك الحين ادّعى أنّ ذلك كان خطأ المحاسب، لكنّه أقسم لي أنّ الأمور الأخرى لم تكن صحيحة. أقسم بقبر أمّه.

حرّكت خاتم زواجها بإصبعها وبدت مشتّتة الذهن.

– أفترض أنّ شريكتك البائسة تعقّبت أثر إلسبيث لاسي-كيرتس أيضًا؟

ليشجعها سترايك على قول المزيد، كذب قائلًا:

– أجل، للأسف. هل أنكر غيرنيت ذلك أيضًا؟

– إن قال في وقت من الأوقات أيّ شيء ضايق الفتيات، فقد شعر بأسف شديد، لكنّه أقسم أنّه لم يفعل أيّ شيء آخر، لا لمس، فقط بعض الدعابات المنحلّة. وأضافت ديلا بغضب: لكن في هذا الجوّ، يجب على الرجل أن يفكّر جيّدًا في الدعابات التي يطلقها أمام مجموعة من الفتيات في الخامسة عشرة من العمر!

انحنى سترايك إلى الأمام وأمسك كأس نبيذ ديلا، التي كانت معرّضة لخطر الانسكاب مرّة أخرى.

– ماذا تفعل؟

قال سترايك:

– أنقل كأسك إلى الطاولة.

– أوه، شكرًا لك. وتابعت قائلة، وهي تبذل جهدًا ملحوظًا للسيطرة على نفسها: كان غيرنيت يمثّلني أنا في تلك المناسبة، وسوف تسير الأمور كما هي دائمًا في الصحافة عندما يُنشر كل شيء: سيكون الذنب ذنبي كلّه، كالعادة، لأنّ جرائم الرجال تقع دائمًا على عاتقنا في التحليل النهائي، أليس كذلك يا سيّد سترايك؟ المسؤولية الأخيرة تقع دائمًا على عاتق المرأة، التي كان يجب أن تمنع حدوث الفعل، وأن تتصرّف، أو أن تعرف. إخفاقاتكم هي حقًّا إخفاقاتنا، أليس كذلك؟ لأنّ دور المرأة الأساسي هو تقديم الرعاية، وليس هناك ما هو أسوأ من الأمّ السيّئة في هذا العالم.

ضغطت بأصابعها المرتجفة على صدغيها وهي تتنفّس بصعوبة. وراء الستائر الشبكية، بدأ الليل الذي اتّشح باللون الأزرق الداكن يغطي شيئًا فشيئًا، كالستار، لون غروب الشمس الأحمر الملتهب، ومع ازدياد ظلام الغرفة، تلاشت ملامح ريانون وين تدريجًا في العتمة. وسرعان ما باتت ابتسامتها الشيء الوحيد الذي يمكن رؤيته، يتخلّلها تقويم الأسنان القبيح.

– أعطني نبيذي من فضلك.

فعل سترايك ذلك. شربت ديلا معظمه دفعة واحدة وظلت ممسكة بالكأس وقالت بمرارة:

– غالبًا ما تثير المرأة الكفيفة أفكارًا غريبة عند الكثيرين. بالطبع، عندما كنت أصغر سنًا، كان الأمر أسوأ. غالبًا ما كانت حياتنا الخاصّة تثير عندهم اهتمامًا فاسقًا. بل كانت أول مكان تذهب إليه عقول بعض الرجال. ربّما اختبرت هذا أنت أيضًا، بساقك الواحدة؟

وجد سترايك أنّه لم يستأ من إشارة ديلا الصريحة إلى إعاقته.

واعترف:

– أجل، اختبرت بعضًا من هذه الأمور. شابّ كنت معه في المدرسة، لم أره منذ سنين. كانت المرة الأولى التي أعود فيها إلى كورنوال منذ حادث التفجير. بعد لترين ونصف من الجعة، سألني متى أخبر النساء أنّني سأنزع ساقي مع بنطلوني. ظنّ أنّه مضحك.

ابتسمت ديلا ابتسامة رقيقة.

– لا يخطر ببال بعض الناس أنّنا نحن من يجب أن يطلق الدعابات، أليس كذلك؟ لكنّ الأمر سيكون مختلفًا بالنسبة إليك كرجل... فمعظم الناس يعتقدون أنّ الترتيب الطبيعي للأشياء هو أن تعتني المرأة القادرة جسديًا بالرجل المعاق. اضطرّ غيرنيت إلى تحمّل ذلك لسنوات... افترض الناس أنّه غير طبيعي لأنّه اختار زوجة تعاني من إعاقة. أعتقد أنّني ربّما حاولت تعويض ذلك. أردت أن يكون له دور... ومكانة... لكنّني أدرك اليوم أنّه كان من الأفضل لكلينا لو قام بعمل غير مرتبط بي.

فكّر سترايك أنّها ثملة قليلًا، وأنّها ربّما لم تتناول أيّ طعام. وشعر برغبة في تفقّد ثلاجتها، ولم تكن الرغبة في محلّها. وفيما هو جالس هنا مع هذه المرأة الضعيفة المثيرة للاهتمام، سهل عليه أن يفهم كيف تورّط أمير معها على الصعيدين المهني والخاصّ، من دون أن ينوي ذلك مسبقًا.

قالت ديلا وهي جالسة باستقامة على كرسيّها:

– يفترض الناس أنّني تزوّجت غيرنيت لأنّني لم أجد شخصًا آخر يريدني، لكنّهم مخطئون تمامًا. أغرم شابّ بي عندما كنت في المدرسة، وطلب إليّ الزواج عندما بلغت التاسعة عشرة من عمري. كان لديّ خيار

واخترت غيرينت. لا كمقدّم رعاية، أو لأنّ طموحي اللامحدود جعل الزواج ضروريًا، كما أشار الصحافيون أحيانًا... بل لأنّي أحببته.

تذكّر سترايك اليوم الذي تبع فيه زوج ديلا إلى السلالم في كينغز كروس، وما أخبرته به روبن عن سلوك غيرنيت في العمل. ومع ذلك لم يجد ما قالته ديلا أمرًا يصعب تصديقه. فقد علّمته الحياة أنّه يمكن الشعور بحبّ عظيم وقويّ لمن لا يستحق، وهو يمنح المواساة للجميع على الرغم من كلّ شيء.

– هل أنت متزوّج يا سيّد سترايك؟

– لا.

– الزواج كيان لا يمكن فهمه بسهولة، حتى بالنسبة إلى المتزوجين أنفسهم. تطلب االأمر... هذه الفوضى كلها... حتى أدرك أنّني لا أستطيع الاستمرار. لا أعرف حقًا متى توقّفت عن حبّه، لكن بعد وفاة ريانون، ضاع...

انكسر صوتها... ضاع كلّ شيء منّا. ابتلعت ريقها. من فضلك هلّا سكبت لي كأس نبيذ أخرى؟

ففعل. أصبحت الغرفة مظلمة للغاية الآن. وتغيّرت الموسيقى مرّة أخرى، إلى كونشرتو كمان حزين الذي بدا أخيرًا، في رأي سترايك، مناسبًا للحديث. في البدء، لم ترغب ديلا في التحدّث إليه، لكنّها بدت الآن متردّدة في إنهاء الحديث.

سأل سترايك بلطف:

– لماذا كره زوجك جاسبر تشيزيل إلى هذا الحدّ؟ أبسبب خلافاتك السياسية مع تشيزيل أم...؟

قالت ديلا وين بسأم:

– لا، لا. لأنّ غيرنيت يجب أن يلوم شخصًا آخر غير نفسه على المصائب التي حلّت به. انتظر سترايك، لكنّها اكتفت بأخذ رشفة أخرى من النبيذ ولم تقل شيئًا.

– ما الذي...؟

قالت بصوت عالٍ:

– لا تهتمّ. لا يهمّ، لا يهمّ. لكن بعد لحظة، بعد تناول جرعة كبيرة أخرى من النبيذ، قالت: لم تكن ريانون تريد فعلًا تعلّم المبارزة. على غرار معظم الفتيات الصغيرات، ما أرادته هو الحصول على مهر صغير، لكنّنا – أنا وغيرنيت – لم نأتِ من خلفية مالكي الخيول. كنّا نجهل تمامًا ما يفعله المرء بالخيول. عندما أفكّر في الماضي، أفترض أنّه كانت هناك بدائل لذلك. لكنّنا كنّا مشغولَين للغاية وشعرنا أنّ الأمر لن يكون عمليًا، لذا تعلّمت المبارزة بدلًا من ذلك، وبرعت فيها أيضًا...

ثمّ سألت ببعض الجفاف:

– هل أجبت عن عدد كافٍ من أسئلتك، يا سيّد سترايك؟ هل ستجد أمير؟

وعدها سترايك:

– سأحاول. هل يمكنك أن تعطيني رقمه؟ ورقمك حتى أتمكّن من إطلاعك على آخر المستجدّات؟

أعطته ديلا الرقمَين اللذَين حفظتهما عن ظهر قلب، ودوّنهما قبل أن يغلق دفتر ملاحظاته ويقف.

– لقد ساعدتني كثيرًا يا سيّدة وين. شكرًا لك.

قالت، وقد ارتسم تجعّد خفيف بين حاجبيها:

– يبدو هذا مقلقًا. لست متأكّدة من أنّني قصدت ذلك.

– هل ستكون...؟

قالت ديلا بصوت واضح:

– تمامًا. ستتّصل بي عندما تجد أمير، أليس كذلك؟

وعدها سترايك:

– سأتّصل بك بعد أسبوع على الأكثر... هل سيأتي أحد الليلة لزيارتك، أو...؟

قالت ديلا:

– أرى أنّك لست بالقسوة التي توحي بها سمعتك. لا تقلق عليّ. ستأتي جارتي لتأخذ غوين في نزهة من أجلي قريبًا. وهي تتحقّق من مفاتيح الغاز وما إلى ذلك.

– في هذه الحال، لا تنهضي. طاب مساؤك.

رفعت الكلبة شبه البيضاء رأسها تشمّ حواليها فيما مشى سترايك نحو الباب. ترك سترايك ديلا جالسة في الظلام، ثملة بعض الشيء، لا جليس لها سوى صورة الابنة الميتة التي لم ترها قطّ.

أدرك سترايك وهو يغلق الباب الأمامي، أنّه لم يشعر بهذا المزيج الغريب من الإعجاب والتعاطف والشكّ تجاه أيّ شخص من قبل.

55

... فلنقاتل على الأقلّ بأسلحة شريفة.
ما دام القتال محتّمًا.

هنريك إبسن، روسميرشولم

ماثيو، الذي كان من المفترض أنّه خرج من المنزل لفترة الصباح فقط، لم يعد بعد إلى المنزل. وأرسل رسالتَين نصّيتَين منذ ذلك الحين، واحدة في الثالثة من بعد الظهر:

يعاني طوم مشاكل في العمل، ويرغب في الكلام. ذهبت إلى الحانة معه (أنا سأشرب الكولا) سأرجع بأسرع ما يمكن.

ثمّ عند الساعة السابعة:

أنا آسف حقًّا، إنّه غاضب، لا يمكنني أن أتركه. سأجد له سيّارة أجرة ثمّ أرجع. آمل أن تكوني قد أكلت. أحبّك x

فيما كان كاشف المتّصل الخاصّ بها متوقّفًا، اتّصلت روبن مجدّدًا بجوّال طوم. وأجاب على الفور. لم تسمع ضجيجًا يدلّ على وجوده في حانة في الخلفية.

أجاب طوم: «نعم؟» وبدا لها واعيًا رصينًا «من المتّصل؟» أقفلت روبن الخطّ.

استقرت الحقيبتان اللتان كانت قد حزمتهما في الردهة. وكانت قد اتّصلت بفانيسا وسألتها إن كان بإمكانها أن تنام على أريكتها لبضع ليالٍ، قبل أن تجد شقّة جديدة تقيم فيها. استغربت أنّ فانيسا لم تبدِ دهشة كبيرة، لكنّها في الوقت نفسه شعرت بالارتياح لأنّها لن تضطرّ إلى درء شفقتها.

كانت روبن تنتظر في غرفة الجلوس، تراقب الليل يخيّم من النافذة، وتساءلت في نفسها إن كانت ستشعر بالشكّ لو لم تعثر على القرط. في الآونة الأخيرة، باتت تشعر بالامتنان للوقت الذي تقضيه بدون ماثيو، وهي تشعر بالاسترخاء، وعدم اضطرارها إلى إخفاء أيّ شيء، سواء كان ذلك حيال العمل الذي تقوم به في قضيّة تشيزيل أو نوبات الهلع التي يجب السيطرة عليها بهدوء، بدون توتّر، على أرضية الحمّام.

جلست روبن على كرسيّ أنيق خاصّ بصاحب الشقة الذي كان غائبًا، وشعرت كأنّها تسكن في ذكرى من الذكريات. كم من مرّة يدرك المرء أنّه يعيش ساعة من شأنها أن تغيّر مجرى حياته إلى الأبد؟ وأدركت أنّها ستتذكّر هذه الغرفة لمدّة طويلة، فعاينتها جيدًا، لترسّخ الصورة في ذهنها، محاولة تجاهل ما تملّكها وأحرق قلبها من شعور بالحزن والعار والألم.

بُعيد الساعة التاسعة مساءً، سمعت، وقد اعترتها موجة من الغثيان، مفتاح ماثيو يدخل في القفل وصوت فتح الباب.

صرخ ماثيو: «آسف»، حتى قبل أن يغلق الباب، «إنّه أحمق سخيف، أُجبرت على إقناع سائق سيّارة الأجرة بأن يقلّه...».

سمعت روبن صيحة تعجّب خفيفة صدرت عنه عندما رأى الحقيبتين. الآن، وقد أصبح بإمكانها الاتّصال، ضغطت على الرقم الجاهز على جوّالها. دخل ماثيو غرفة الجلوس، مرتبكًا، في الوقت المناسب لسماعها تحجز سيّارة أجرة. وأقفلت الخطّ. نظر كلّ منهما إلى الآخر.

– ما قصّة الحقيبتين؟

– أنا راحلة.

ساد بينهما صمت طويل. وبدا أنّ ماثيو لم يفهم.

– ماذا تعنين؟

– لا أعرف كيف يمكن أن أكون أكثر وضوحًا يا مات.

– أنت تهجرينني؟

– هذا صحيح.

– لماذا؟

– لأنّك تمارس الجنس مع سارة.

شاهدت ماثيو وهو يكافح للعثور على الكلمات التي قد تنقذه، لكن الثواني مرّت وفات الأوان ليعبّر عن حالة عدم التصديق، التفاجؤ البريء، وعدم الفهم الصادق.

قال أخيرًا بضحكة مصطنعة:

– ماذا؟

– أرجوك لا تتكلّف العناء. لا حاجة لذلك... انتهى الأمر.

بقي ماثيو واقفًا في مدخل غرفة الجلوس وشعرت أنّه يبدو متعبًا، بل منهكًا.

وقالت:

– كنت سأرحل وأترك رسالة، لكنّي شعرت بأنّه تصرّف عاطفيّ مبالغ به. على أيّ حال، علينا أن نتناقش في بعض الأمور العمليّة.

وخيّل إليها أنّها تراه يفكّر: كيف كشفت نفسي؟ من أخبرتِ؟

وسارع إلى القول:

– اسمعي، وألقى حقيبته الرياضية بجانبه (وهي ممتلئة، بلا شك، بمجموعة نظيفة ومكويّة من الثياب)، أعلم أنّ علاقتنا لم تكن جيّدة، لكنّني أريدك أنت يا روبن. لا تفرّطي بعلاقتنا. أرجوكِ.

مشى إلى الأمام وجثا بالقرب من كرسيّها وحاول أن يمسك بيدها. فذُهشت وسحبتها بسرعة.

وكرّرت:

– أنت تمارس الجنس مع سارة.

فنهض، ومشى نحو الأريكة وجلس، ووضع وجهه في يديه وقال بضعف:

– أنا آسف. أنا آسف. ساءت علاقتنا كثيرًا...

– ... إلى حدّ أنّك اضطررت لممارسة الجنس مع خطيبة صديقك؟

رفع نظره في ذعر مفاجئ.

– هل تكلمت مع طوم؟ هل علم؟

شعرت روبن فجأة بأنّها غير قادرة على أن تتحمّل أن تكون قريبة منه، فابتعدت نحو النافذة، يعتريها شعور بالاحتقار لم تشعر به من قبل.

– حتى الآن يا مات، أنت قلق بشأن احتمال ترقيتك؟

قال:

– كلا... اللعنة... أنت لا تفهمين. انتهى الأمر بيني وبين سارة.

– آه أحقًا؟

– أجل. أجل! اللعنة – يا لسخرية القدر! – لقد تحدّثنا طوال اليوم. اتّفقنا على أنّه لا يمكن أن نستمرّ في علاقتنا، ليس بوجودكما – أنت وطوم – ووضعنا للعلاقة حدًّا الآن، قبل ساعة.

ضحكت روبن ضحكة صغيرة، وشعرت أنها منفصلة عن جسدها وقالت:

– يا للهول! حقًّا يا لسخرية القدر!

ورنّ جوّالها. أجابت وكأنها في حلم.

سأل سترايك:

– روبن؟ لديّ معلومات جديدة. قابلت ديلا وين للتوّ.

فسألته، وهي تحاول أن تبدو ثابتة ومبتهجة، مصمّمة على عدم اختصار الاتصال:

– كيف جرت المقابلة؟ أصبحت حياتها المهنية الآن هي حياتها كلّها ولم يعد ماثيو قادرًا على مسّها. أدارت ظهرها لزوجها الغاضب، ونظرت إلى الشارع المظلم المرصوف بالحصى.

قال سترايك:

– مثيرة جدًا لسببين. أوّلًا، أعطتني معلومتين سهوًا. لا أعتقد أنّ غيرنيت كان مع أمير في صباح اليوم الذي مات فيه تشيزيل.

قالت روبن:

– هذه فعلًا معلومة مثيرة للاهتمام. وكانت تجبر نفسها على التركيز، مدركةً أنّ ماثيو يراقبها.

– لديّ رقمه وقد طلبته، لكنّه لم يردّ. وفكّرت أن أتأكّد إن كان لا يزال في النزل في آخر الشارع لأنّني كنت في الجوار، لكنّ صاحب النزل يقول إنّه غادر.

– أمر مؤسف. ما الخبر الآخر المثير للاهتمام؟

سأل ماثيو بصوت عالٍ من خلفها:

– هل هذا سترايك؟

فتجاهلته.

سأل سترايك:

– ما كان هذا؟

– لا شيء. تابع.

– حسنًا، الخبر الثاني المثير للاهتمام هو أنّ ديلا التقت بكينفارا العام الماضي، وكانت في حالة هستيرية لأنّها اعتقدت أنّ تشيزيل...

شحب جوّال روبن بقوّة من يدها. التفتت. وإذا بماثيو ينهي المكالمة بحركة من إصبعه.

صرخت روبن:

– كيف تجرؤ؟ ومدّت يدها. أعده إليّ!

– نحاول إنقاذ زواجنا اللعين وأنت تتلقّين الاتّصالات منه؟

– أنا لا أحاول إنقاذ هذا الزواج! أعد إليّ هاتفي!

تردّد، ثمّ رماه لها مجدّدًا، وبدا مغتاظًا عندما عاودت بهدوء الاتّصال بسترايك.

قالت، وعينا ماثيو الثائرتان مسمّرتان عليها:

– آسفة على ذلك، كورموران، انقطع الخطّ.

– هل كلّ شيء على ما يرام عندك يا روبن؟

– لا بأس. ماذا كنت تقول عن تشيزيل؟

– أنّه كان على علاقة غرامية.

قالت روبن وعيناها مثبتتان على ماثيو:

– علاقة غرامية! مع من؟

– من يدري؟ هل تمكنت من الاتصال برافاييل؟ نعلم أنّه لم يكلّف نفسه عناء حماية ذكرى والده. قد يخبرنا مع من كانت العلاقة.

– تركت رسالة له ولتيغان. لم يتّصل بي أيّ منهما بعد.

– حسنًا، حسنًا، أبقيني على اطّلاع. هذا يلقي ضوءًا مثيرًا للاهتمام على حادثة ضرب رأسه بالمطرقة، أليس كذلك؟

– بدون شكّ.

– وصلت إلى مترو الأنفاق. هل أنت متأكّدة من أنّك بخير؟

أجابت بنبرة أملت أن تجعلها تبدو وكأنّها تتوق إلى القيام بأعمال أخرى: «أجل، بالطبع. نتحدّث قريبًا».

وأقفلت الخطّ.

قلّدها ماثيو بنبرة عالية وحادّة يستخدمه دائمًا عندما يقلّد النساء:

– نتحدّث قريبًا. نتحدّث لاحقًا، يا كورموران. إنّني أنهي زواجي لأكون رهن إشارتك، يا كورموران. لا مانع لديّ في العمل مقابل الحدّ الأدنى من الأجر، ما دام بإمكاني أن أكون خادمتك.

قالت روبن:

– اغرب عن وجهي يا مات. اغرب عن وجهي وعد إلى سارة. بالمناسبة، وضعت القرط الذي تركته في سريرنا في الطابق العلوي على منضدة السرير.

قال ماثيو بجدّية مفاجئة:

– روبن، يمكننا تجاوز هذا الأمر. إن كنّا نحبّ بعضنا، يمكننا ذلك.

– في الحقيقة، المشكلة في ذلك يا مات هي أنّني لم أعد أحبّك.

لطالما اعتقدت روبن أنّ فكرة اسوداد العينين هي فكرة خيالية أدبية، لكنّها رأت عينيه الفاتحتين تتحوّلان إلى اللون الأسود باتّساع حدقتيهما بسبب الصدمة.

قال بهدوء:

– أيّتها السافلة.

شعرت بدافع جبان للكذب، للتراجع عن هذا الاعتراف القاطع، لحماية نفسها، لكنّ شيئًا أقوى منها منعها من ذلك: الحاجة إلى الإدلاء بالحقيقة العارية، بعد أن كذبت عليه وعلى نفسها لفترة طويلة.

فقالت:

– كلا. كان يجب أن ننفصل في شهر العسل. بقيت معك بسبب مرضك. أشفقت عليك. ثمّ صحّحت ما قالته، مصمّمة على إجراء الأمور بشكل صحيح: لا، في الواقع، ما كان علينا أن نذهب في شهر العسل. كان يجب أن أرحل من حفل الزفاف بمجرّد علمي أنّك حذفت الاتّصالات التي وصلتني من سترايك.

أرادت أن تتحقّق من ساعتها لمعرفة موعد وصول سيّارة أجرتها، لكنّها خشيت أن ترفع عينيها عن زوجها. فقد كان تعبيره أشبه بأفعى تطلّ من وراء صخرة.

سألها بهدوء:

– كيف تعتقدين أنّ حياتك تبدو للآخرين؟

– ماذا تعني؟

– تخلّيت عن الجامعة. والآن تتخلّين عنا. حتى إنّك تخلّيت عن معالجتك النفسية. أنت تتهربين من كلّ شيء! الشيء الوحيد الذي لم تتخلّي عنه هو هذه الوظيفة الغبيّة التي كادت تودي بحياتك وقد طُردت منها أيضًا. لقد أعادك فقط لأنّه يريد أن يمارس الجنس معك. وربّما لا يستطيع الحصول على أيّ شخص آخر بهذه الكلفة البخسة.

شعرت روبن كأنّه صفعها. انقطع نفسها فبدا صوتها ضعيفًا.

قالت وهي تتّجه نحو الباب:

– شكرًا يا مات. شكرًا لأنّك سهّلت عليّ الأمر كثيرًا.

لكنّه تحرك بسرعة لمنعها من الخروج.

– كانت هذه وظيفة مؤقّتة. لقد أولاك انتباهًا واهتمامًا، فأقنعت نفسك على خطأ بأنّها المهنة المناسبة لك، لكن في الحقيقة كان عليك الابتعاد كلّ البعد عن هذا العمل اللعين، نظرًا إلى تاريخك...

حبست روبن دموعها، وصمّمت على عدم الاستسلام.

– رغبت في العمل البوليسي لسنين عديدة...

سخر منها ماثيو:

– كلا، هذا غير صحيح! متى أردت ذلك...؟

صرخت روبن:

– كانت لديّ حياة قبلك! كانت لديّ حياة منزلية وقلت أمورًا لم تسمعها أنت إطلاقًا! لم أخبرك بذلك يا ماثيو لأنّني علمت أنّك ستضحك كما ضحك أخواي الأحمقان! درست علم النفس على أمل أن يأخذني إلى فرع الطبّ الشرعي...

– لم تخبريني بذلك يومًا، أنت تحاولين التبرير...

– لم أخبرك لأنّني كنت أعرف أنّك ستسخر...

– هراء...

صرخت:

– هذا ليس هراءً! أنا أقول لك الحقيقة، هذه هي الحقيقة كاملة، وأنت تثبت وجهة نظري الآن، أنت لا تصدّقني! راقك أن أتخلّى عن الجامعة...

– ماذا تعنين بحق السماء؟

– لا تستعجلي للعودة، لست مجبرة على الحصول على شهادة...

– الآن تلومينني لأنّني تعاطفت معك؟

– بل راقك الأمر، راقك أن أبقى عالقة في المنزل، لماذا لا تعترف بذلك؟ كانت سارة شادلوك ترتاد الجامعة وأنا المخفقة بقيت في ماشام... لقد عوّض ذلك عليك حصولي على درجات ممتازة أفضل من درجاتك، والوصول إلى خياري الأول...

ضحك ماثيو بجفاف:

– أوه!... أوه، حصلت على علامات لعينة ممتازة أفضل من علاماتي؟ أجل، عانيت ليالٍ من الأرق...

– لو لم أتعرّض للاغتصاب، لكنّا انفصلنا منذ سنين!

– هل هذا ما تعلّمتِه في العلاج النفسي؟ أن تختلقي الأكاذيب عن الماضي، لتبرير هرائك كلّه؟

صرخت روبن وقد دفعها إلى حالة من الغضب الثائر:

– تعلّمت أن أقول الحقيقة! وإليك المزيد منها: بدأت أشعر بأنّني لا أحبّك قبل أن أتعرّض للاغتصاب! لم تهتمّ بأيّ شيء كنت أفعله...لا دروسي ولا أصدقائي الجدد. كلّ ما رغبت في معرفته هو ما إن كان شبّان آخرون يحاولون مغازلتي. لكن بعد تلك الحادثة، كنت رقيقًا ولطيفًا جدًّا... بدوت لي الرجل الأكثر أمانًا في العالم، والوحيد الذي يمكنني الوثوق به. لهذا السبب بقيت. لولا ذاك الاغتصاب لما كنّا هنا الآن.

سمع كلاهما السيّارة تتوقف في الخارج. وحاولت روبن أن تتخطّاه متوجّهة إلى الردهة، لكنّه تحرّك لمنعها مجدّدًا.

– لا، لن ترحلي. لن تتخلّي عن علاقتنا بهذه السهولة. بقيت لأنّني كنت آمنًا؟ كفاك هراءً. لقد أحببتني.

– حسبت أنّني أحبّك، لكن ليس بعد الآن. ابتعد عن طريقي. أنا راحلة.

حاولت روبن أن تتخطّاه، لكنّه تحرّك لمنعها مجدّدًا. وقال مرّة أخرى: «لا»، وبدأ يتقدّم نحوها مجبرًا إياها على التراجع إلى غرفة الجلوس. «ستبقين هنا. سنكمل الحديث حتى النهاية». قرعت سائقة سيّارة الأجرة الصغيرة جرس الباب.

صاحت روبن: «أنا قادمة!» لكنّ ماثيو زمجر غضبًا: «لن تهربي هذه المرّة، ستبقين وسنحلّ كلّ هذه الأمور...».

صرخت روبن، وكأنّها تصرخ بكلب: «لا!» وتوقفت، رافضة أن يجبرها على التراجع أكثر إلى داخل الغرفة، على الرغم من أنّه كان قريبًا جدًّا لدرجة

أنّها شعرت بأنفاسه على وجهها، وتذكّرت فجأة غيربينت وين، وغمرها شعور بالاشمئزاز. «ابتعد عنّي. فورًا!».

شأنه شأن الكلب، خطا ماثيو خطوة إلى الوراء، مستجيبًا لا للأمر، بل لنبرة في صوتها أيقظت فيه غضبًا وخوفًا في آن واحد.

قالت روبن: «نعم»، وعلمت أنّها كانت على مشارف نوبة هلع، لكنّها صمدت، وكلّ ثانية لم تستسلم فيها منحتها القوّة، وظلّت ثابتة في موقفها، «أنا راحلة. يمكنك أن تحاول أن توقفني، لكنّك لن تتمكّن من ذلك. قاتلت رجالًا أكبر وأخسّ منك بكثير يا ماثيو. أنت لا تحمل حتّى سكّينًا لعينًا».

اكفهرّت عيناه وتحوّلتا إلى لون أسود لم تره فيهما من قبل، وتذكّرت فجأة كيف لكمه شقيقها مارتن في وجهه خلال حفل زفافهما. غير آبهة بما سيحصل، شعرت ببهجة سوداء ووعدت نفسها أنّها ستعطيه لكمة أقوى من لكمة مارتن، وأنّها ستكسر له أنفه اللعين إذا اضطرّت إلى ذلك.

قال وقد ارتخى كتفاه فجأة:

– أرجوكِ، روبن...

– سوف تضطرّ إلى إيذائي إذا أردت منعي من الرحيل، لكنّني أحذّرك، سأحاكمك بتهمة الاعتداء إذا فعلت ذلك. وهذا لن يفيد طموحاتك في المكتب، أليس كذلك؟

بقيت تنظر في عينيه لبضع ثوانٍ أخرى ثمّ مشت نحوه مجدّدًا، وقد أحكمت إغلاق قبضتيها، وتوقّعت أن يصدّها أو يمسكها، لكنّه تنحّى جانبًا.

وقال بصوت مبحوح:

– روبن، انتظري. فلنكن جدّيّين، انتظري، قلتِ إنّ هناك أمورًا علينا مناقشتها...

قالت:

– يمكن للمحاميَين أن يفعلا ذلك.

ووصلت إلى الباب الأمامي وفتحته.

ولامسها نسيم الليل البارد فأنعشها.

جلست امرأة ممتلئة الجسم أمام عجلة قيادة سيّارة فوكسهول كورسا. عندما رأت حقيبتَي روبن، خرجت لتساعدها في رفعهما إلى صندوق السيّارة. تبعها ماثيو ووقف في المدخل. عندما بدأت دخول السيّارة، نادى عليها فانهمرت دموعها أخيرًا، لكنّها لم تنظر إليه وأغلقت باب السيّارة.

قالت للسائقة بصوت متعب:

– أرجوك، فلننطلق.

وكان ماثيو في الوقت نفسه قد نزل من الدرج وانحنى للتحدّث معها من خلال النافذة.

– ما زلت أحبّك!

تحرّكت السيّارة مبتعدة في شارع ألبوري المرصوف بالحجارة، متجاوزة واجهات المنازل الجميلة المصبوبة لبحّارة السفن التجارية، حيث لم تشعر قطّ بالانتماء. عندما وصلت السيّارة إلى الجزء العلوي من الشارع، علمت أنّها إذا نظرت إلى الوراء، سوف ترى ماثيو واقفًا يراقب السيّارة تبتعد. التقت عيناها بعينَي السائقة في مرآة الرؤية الخلفية.

قالت روبن بلا تفكير:

– آسفة، ثمّ شعرت بالارتباك لأنّها اعتذرت، فأكملت: لقد تركت زوجي للتوّ.

سألتها السائقة وهي تشغّل مؤشّر السيّارة:

– حقًّا؟ أنا تركت اثنين. يصبح الأمر أسهل مع الممارسة.

حاولت روبن أن تضحك، لكنّ ضحكتها خرجت أشبه بحازوقة عالية، وعندما اقتربت السيّارة من البجعة الحجرية الوحيدة التي تعتلي الحانة عند الزاوية، بدأت تبكي بكاءً شديدًا.

قالت السائقة بلطف:

– تفضّلي، ومرّرت لها علبة مناديل مغلّفة بالبلاستيك.

قالت روبن باكية:

– شكرًا. وسحبت منديلًا وضعته على عينيها المتعبتين حتى تلطّخ النسيج الأبيض بآثار التبرّج الأسود الكثيف الذي وضعته لانتحال شخصية

بوبي كونليف. تجنّبت نظرة السائقة المتعاطفة في مرآة الرؤية الخلفية، ثبتت نظرها على حجرها. كانت المناديل من ماركة أميركية غير مألوفة، وعلى غلافها عبارة: «دكتور بلان».

في الحال، تنشّطت ذاكرة روبن الضعيفة، كما لو كانت تنتظر هذا الدليل الصغير. وتذكّرت بالضبط أين رأت عبارة «بلان دو بلان»، لكنّها علمت ألّا علاقة لذلك بالقضيّة، بل كان الأمر متعلقًا بزواجها المنهار، وبنزهة بين أزهار الخزامى، وبحديقة مائية يابانية، وبآخر مرّة قالت فيها «أحبّك»، وهي كانت المرّة الأولى التي لم تعنِ فيها هذه العبارة.

56

لا يسعني، ولن يرضيني، أن أمضي في حياتي
حاملًا جثة على كاهلي.

هنريك إبسن، روسميرشولم

عندما اقترب سترايك من زاوية هنلي على الطريق الدائري الشمالي بعد ظهر اليوم التالي، رأى أنّ حركة المرور أمامه قد توقفت، فشتم مغمغمًا. خضع تقاطع دائم الازدحام للتحسينات في وقت سابق من ذلك العام، وكان من المفترض أن تخفّف شدّته. عندما انضمّ إلى صفّ السيّارات المتوقّفة، أنزل زجاج نافذته، وأشعل سيجارة ونظر إلى ساعة لوحة عدّاداته، وكان يعتريه شعور مألوف بعجز وغيظ تولّده القيادة في لندن في كثير من الأحيان. تساءل من قبل عمّا إذا كان من الحكمة أن يأخذ مترو الأنفاق شمالًا، لكنّ مستشفى الأمراض النفسية يقع على بعد ميل من أقرب محطّة، وكانت قيادة سيّارة البي أم أسهل على ساقه التي ما زالت تؤلمه. لكنّه الآن بات يخشى أن يتأخّر عن مقابلة كان مصمّمًا على عدم تفويتها، أولًا لأنّه لم يرغب في إغضاب فريق الطبّ النفسي الذي سمح له بمقابلة بيلي نايت، وثانيًا لأنّه كان يجهل إن كانت ستسنح له فرصة ثانية للتحدّث إلى الأخ الأصغر بدون خوف من اللقاء بالأخ الأكبر. وكان باركلي قد أكّد له في ذلك الصباح أنّ خطط جيمي لهذا اليوم تضمّنت كتابة مقالة جدلية عن التأثير العالمي لروتشيلد على موقع

«ريل سوشليست»، وتجربة العينة الجديدة من حشيشة الكيف الذي أتى له بها باركلي. بينما كان سترايك يعبث وينقر بأصابعه على عجلة القيادة، عاد للتفكير في سؤال كان يزعجه منذ الأمسية السابقة، عمّا إن كان انقطاع الاتّصال في منتصف مكالمته مع روبن سببه انتزاع ماثيو الهاتف من يدها. لم يجد تأكيدتها لاحقًا بأنّ كلّ شيء على ما يرام مقنعًا جدًّا.

أثناء تسخينه الفاصوليا المطبوخة على موقده ذي العين الواحدة، لأنّه كان لا يزال يحاول إنقاص وزنه، فكّر سترايك في الاتّصال بروبن مجدّدًا. تناول عشاءه الخالي من اللحوم بدون حماسة أمام التلفزيون، وكان من المفترض أنّه يشاهد أبرز أحداث حفل اختتام الألعاب الأولمبية، لكن بالكاد لفت انتباهه مشهد «سبايس غيرلز» يجُلن في الملعب فوق سيّارات أجرة من لندن. قالت ديلا وين: الزواج كيان لا يمكن فهمه بسهولة، حتى بالنسبة إلى المتزوجين أنفسهم. ربّما كانت روبن وماثيو في الفراش معًا الآن. هل كان سحب الهاتف من يدها أسوأ من حذف سجلّ مكالماتها؟ فقد بقيت مع ماثيو بعد ذلك. أين كان خطّها الأحمر؟

من المؤكد أنّ ماثيو كان أكثر حرصًا على سمعته ومستقبله من أن يتخلّى عن جميع الأعراف المتحضّرة. آخر فكرة طرأت على بال سترايك قبل أن يغفو في الليلة السابقة هي أنّ روبن كانت قد نجحت في محاربة سفّاح شاكلويل، وربّما كانت هذه فكرة مروّعة، لكنّها جلبت له بعض الطمأنينة.

كان المحقق يدرك تمامًا أنّ حال زواج شريكته المبتدئة يجب أن تكون أقلّ ما يشغل باله، نظرًا إلى أنّه لم يجد حتى الآن معلومات محدّدة للعميلة التي تدفع حاليًا راتب ثلاثة محقّقين متفرّغين لمعرفة الحقيقة بشأن وفاة والدها. مع ذلك، على الرغم من تقدّم حركة المرور أخيرًا، استمرّت أفكار سترايك بشأن روبن وماثيو حتى رأى أخيرًا علامة تشير إلى عيادة الطبّ النفسيّ، وحاول جاهدًا التركيز على المقابلة القادمة.

على عكس المبنى المستطيل الضخم من الإسمنت والزجاج الأسود حيث أدخل ابن أخته جاك قبل أسابيع قليلة، كان المستشفى الذي أوقف سترايك سيّارته أمامه بعد عشرين دقيقة تعلوه أبراج تكسوها المتعقّفات

ونوافذ بيزنطية محجوبة بقضبان حديدية. وبدا المبنى لسترايك أشبه بولد لقيط لبيت حلوى وسجن قوطي. وعلى قوس من الطوب الأحمر الوسخ فوق المدخل الأمامي الكبير المزدوج، حفر نحّات من العصر الفيكتوري كلمة «Sanatorium» (المصحة). فتح سترايك الباب وكان قد تأخّر خمس دقائق، ولم يكلّف نفسه عناء تبديل حذائه الرياضي بآخر أكثر أناقة. أغلق سيّارة البي أم دبليو وأسرع، وهو يعرج، صاعدًا الدرجات الأمامية القذرة.

وجد في الداخل رواقًا باردًا بسقف عالٍ عاجي اللون، ونوافذ تشبه نوافذ الكنيسة، ولم تخفِ رائحة المطهّر القويّة رائحةَ العفن التي تفحّ من المكان. عثر على رقم الجناح الذي أُعطِيَ له عبر الهاتف، فانطلق عبر ممرّ إلى اليسار.

ألقى ضوء الشمس المتسرّب من النوافذ المحصّنة بالقضبان بقع ضوء مخطّطة على الجدران ذات اللون العاجي، التي عُلّقت عليها رسوم بطريقة غير متوازية، رسمها بعض المرضى السابقين. عندما مرّ سترايك بسلسلة من الملصقات التي تصوّر مشاهد مزرعة مفصّلة باللبّاد والأشرطة الملوّنة والخيوط المغزولة، خرجت فتاة مراهقة نحيلة من الحمّام ترافقها ممرّضة. لم يبدُ أنّ أيّ منهما لاحظت سترايك. في الواقع، بدا له أنّ عينَي الفتاة الباهتَين مركّزتان على معركة كانت تخوضها في داخلها، بعيدًا عن العالم الواقعي.

فوجئ سترايك قليلًا عندما وجد أبواب الجناح المغلق المزدوجة في نهاية ممرّ الطابق الأرضي، فقد ربط في ذهنه بين أبراج الأجراس وزوجة روتشستر الأولى ودفعه هذا الرابط المبهم إلى تصوّر الجناح في الطابق العلوي، ربّما مخبّأ في أحد تلك الأبراج المدبّبة. أمّا الواقع فكان بسيطًا جدًا: جرس أخضر كبير على الحائط، ضغط عليه سترايك، فجاء ممرّض ذو شعر أحمر وحدّق إليه من نافذة زجاجية صغيرة، واستدار للتحدّث إلى شخص خلفه. فُتح الباب وأدخل سترايك.

تضمّن الجناح أربعة أسرّة ومنطقة جلوس، جلس فيها مريضان يرتديان ملابس نهارية، يلعبان لعبة الداما: رجل أكبر سنًّا يبدو بلا أسنان، وشابّ شاحب على رقبته ضمادة سميكة. تحلّقت مجموعة من الأشخاص حول

كمبيوتر عمل متطور داخل الغرفة: مساعد ممرّض، وممرّضتان أخريان، وما افترض سترايك أنّهما طبيبان، رجل وامرأة. استدار الجميع محدّقين إليه عندما دخل. ودفعت إحدى الممرّضات زميلتها بمرفقها.

قال الطبيب، الذي كان قصير القامة، وجذابًا إلى حدّ ما، بلكنة قويّة من مانشستر:

– سيّد سترايك. كيف حالك؟ أنا كولين هيبورث، تحدّثنا على الهاتف. هذه زميلتي كاميلا محمد.

صافح سترايك المرأة، التي ذكّرته بذلتها الكحلية ببذلة شرطية، والتي قالت:

– سيجلس كلانا في الغرفة خلال مقابلتك مع بيلي. لقد ذهب إلى الحمّام. إنّه متحمّس جدًّا لمقابلتك مجدّدًا. فكّرنا أن نستخدم إحدى غرف مقابلاتنا الخاصّة. إنّها هنا.

قادته حول الكمبيوتر، حيث الممرّضات ظلّلن ينظرن إليه بشغف، إلى غرفة صغيرة تحتوي على أربعة كراسيّ ومكتب مثبّت على الأرض، جدرانها وردية شاحبة وخالية. قال سترايك: «ممتاز». الغرفة تشبه مئات غرف المقابلات التي استخدمها في الشرطة العسكرية. هناك أيضًا، حضرت أطراف ثالثةٌ الاستجوابات في كثير من الأحيان وتألّفت عادة من المحامين.

قالت كاميلا محمد وهي تغلق الباب وراء سترايك وزميلها حتى لا تسمع الممرّضات حديثهم:

– كلمة سريعة قبل أن نبدأ، ما الذي تعرفه عن حالة بيلي؟

– أخبرني شقيقه أنّه يعاني من الاضطراب الفُصاميّ العاطفيّ.

قالت:

– هذا صحيح. توقف عن تناول دوائه وانتهى به الأمر إلى نوبة ذهانية كاملة، عندما جاء لمقابلتك على ما يبدو.

– أجل، بدا مضطربًا جدًّا في ذلك الوقت. وبدا كما لو أنّه كان ينام في الشارع أيضًا.

– لا بدّ أنّ هذا ما حدث. أخبرنا شقيقه أنّه فُقد حوالي أسبوع في ذلك الوقت. ثمّ أضافت: نعتقد أنّ بيلي لم يعد يعاني الذهان الآن، لكنّه لا يزال منغلقًا جدًّا على نفسه، لذلك من الصعب قياس مدى تفاعله مع الواقع. يصعب الحصول على صورة دقيقة للحالة الذهنية لشخص لديه أعراض الرهاب والهلوسة.

قال الطبيب من مانشستر:

– نأمل أن تتمكّن من مساعدتنا في فصل بعض الحقائق عن التخيّلات. فهو لا ينفكّ يتكلّم عنك منذ أن أُدخِل المصحّة. هو متحمّس جدًا للتكلّم معك، لكن ليس معنا. وكان قد أعرب أيضًا عن خوفه... من التداعيات إذا أفشى بمعلومات لأيّ شخص، وهنا تصعب مجدّدًا معرفة ما إن كان هذا الخوف جزءًا من مرضه أو... ما إن كان هناك شخص لديه سبب حقيقي لأن يخاف منه. لأن...

تردّد وكأنّه يحاول اختيار كلماته بعناية.

فقال سترايك:

– أتخيّل أنّ أخاه يمكنه أن يكون مخيفًا إذا أراد ذلك.

وبدا الطبيب النفسي مرتاحًا لأنّ سترايك فهمه من دون أن يُضطرّ هو إلى أن ينتهك مبدأ السرّية.

– أنت تعرف أخاه، أليس كذلك؟

– التقيت به. هل يزوره كثيرًا؟

– مرّ لزيارته مرّتين أو ثلاثًا، لكنّ بيلي غالبًا ما يصبح أكثر اضطرابًا وهياجًا بعد رؤيته. وأضاف الطبيب من مانشستر: إذا بدا أنّه تأثّر بالمثل أثناء مقابلتك...

فقال سترايك:

– مفهوم.

قال كولين بابتسامة خافتة:

– من الغريب حقًّا أن نراك هنا. افترضنا أنّ تركيزه عليك كان جزءًا من ذهانه. فالهوس بالمشاهير شائع جدًّا في هذا النوع من الاضطرابات... وقال

بصراحة: في واقع الأمر، قبل يومين فقط، كنت أنا وكاميلا متّفقَين على أنّ تركيزه عليك سيحول دون خروجه المبكر. من حسن الحظّ أنّك اتّصلت، فعلًا.

قال سترايك بهدوء:

– أجل، من حسن الحظّ.

طرق الممرّض الأصهب الباب وأدخل رأسه:

– بيلي مستعدّ للتحدّث إلى السيّد سترايك.

قالت الطبيبة النفسية:

– عظيم. إيدي، هل يمكنك أن تحضر لنا بعض الشاي هنا؟ وسألت سترايك الذي كان خلف كتفها: شاي؟ فأومأ سترايك برأسه. فتحت الباب قائلة: ادخل يا بيلي.

وها قد وقف أمامه: بيلي نايت، يرتدي قميصًا رماديًا وسروالًا للركض، وينتعل خُفَّي المستشفى. ما زالت عيناه الغارقتان مكفهرَّتين بشدّة، وقد حلق رأسه في وقت ما منذ أن قابله سترايك. ضُمّد إصبعه وإبهام يده اليسرى. حتى من خلال البذلة الرياضية التي أحضرها له أحدهم، جيمي على الأرجح، استطاع سترايك أن يتبيّن أنّه يعاني نقصًا حادًّا في الوزن، ولكن على الرغم من أنّه كان قد أكل أظافره حتى أدماها وتقرّحت زاوية فمه، لم تعد رائحته شبيهة برائحة الحيوان. دخل غرفة المقابلة محدّقًا إلى سترايك، ثمّ مدّ يدًا نحيلة فصافحه سترايك. وخاطب بيلي الطبيبَين:

– هل ستبقيان هنا؟

قال كولين:

– أجل، لكن لا تقلق. سنلزم الصمت. يمكنك أن تقول ما تريده للسيد سترايك.

وضعت كاميلا كرسيَّين مقابل الحائط وجلس سترايك وبيلي متقابلَين، يفصل بينهما المكتب. تمنّى سترايك لو كان توزيع الأثاث أقلّ رسمية، لكن علّمته تجربته في فرع التحقيق الخاصّ أنّ الحاجز القويّ بين المحقّق والمستجوَب مفيد في كثير من الأحيان، ولا شكّ في أنّ هذا يصحّ أيضًا في جناح الطبّ النفسي المقفل.

قال سترايك:

– حاولت العثور عليك، منذ أن جئت لمقابلتي لأول مـرّة. قلقت عليك كثيرًا.

– أجل. آسف على ذلك.

– أتتذكّر ما قلته لي في المكتب؟

بدون تركيز لمس بيلي أنفه ثمّ صدره، لكنّ هذه الحركة لم تكن سوى ذكرى طفيفة عن التشنّج اللاإرادي الذي أظهره في شارع الدنمارك، وكأنّه جاهد لتذكير نفسه بما شعر به في ذلك الوقت. قال بابتسامة صغيرة حزينة:

– أجل. أخبرتك عن الطفلة فوق، قرب الحصان. التي رأيتها تُخنَق.

– أما زلت تعتقد أنّك شاهدت طفلة تُخنَق؟

رفع بيلي إصبع السبّابة إلى فمه، وقضم الظفر وأومأ.

قال وهو يبعد إصبعه:

– أجل. رأيت ذلك. يقول جيمي إنّني تخيّلت ذلك لأنّني... كما تعلم، مريض، أنت تعرف جيمي، أليس كذلك؟ ذهبتَ إلى «الحصان الأبيض» تقتفي أثره، أليس كذلك؟

أومأ سترايك إيجابًا. كان غاضبًا جدًّا. قال بيلي بضحكة مفاجئة:

– الحصان الأبيض. هذا أمر مضحك، اللعنة، هذا مضحك. لم أفكّر في ذلك من قبل.

– أخبرتني أنّك رأيت طفلة تُقتل «قرب الحصان». أيَّ حصان قصدت؟

– الحصان الأبيض في يوفينغتون. شكل كبير من الطبشور، فوق التلّ، بالقرب من المكان الذي نشأت فيه. إنّه لا يشبه الحصان، بل هو أشبه بالتنّين وهو موجود على «تلّ التنّين» أيضًا. لم أفهم إطلاقًا لماذا يقول الجميع إنّه حصان.

– هل يمكنك أن تخبرني بالضبط ما رأيته هناك؟

على غرار الفتاة الهزيلة التي مرّ بها سترايك للتوّ، خُيّل إليه أنّ بيلي يحدّق إلى داخل نفسه، وأنّ هذا الواقع الخارجي لم يعد موجودًا بالنسبة إليه ولو مؤقتًا. قال أخيرًا بهدوء:

– كنت طفلًا صغيرًا، صغيرًا جدًّا. أعتقد أنّهم أعطوني شيئًا. شعرت بالمرض والغثيان، كما لو كنت أحلم، كنت بطيئًا ومترنّحًا، وظلوا يحاولون إجباري على تكرار بعض الكلمات ولم أستطع التحدّث بشكل صحيح، ووجدوا جميعًا الأمر مضحكًا. سقطت على العشب في الطريق إلى أعلى التلّ. حملني أحدهم لمسافة قصيرة. كنت أرغب في النوم.

– هل تعتقد أنّهم أعطوك مخدّرًا؟

– أجل. حشيشة الكيف، على الأرجح، اعتاد جيمي أن يحمل القليل منه. أعتقد أنّ جيمي اصطحبني معهم إلى أعلى التلّ لمنع والدي من معرفة ما فعلوه.

– من تقصد بـ«معهم»؟

– لا أعـرف. الكبار. يكبرني جيمي بعشر سنوات. اعتاد أبي أن يجعله يعتني بي طوال الوقت، إذا خرج مع أصدقائه الذين يشربون. جاءت المجموعة إلى المنزل في الليل واستيقظت. أعطاني أحدهم اللبن لآكل. كان بينهم طفل صغير آخر. فتاة. وبعد ذلك خرجنا جميعًا في السيّارة... لم أرغب في الذهاب. شعرت بالتوعّك. كنت أبكي لكنّ جيمي ضربني.

وذهبنا إلى الحصان في الظلام. كنت أنا والفتاة الصغيرة الطفلَين الوحيدَين. أضاف بيلي: كانت تجهش بالبكاء. وبدا أنّ جلد وجهه النحيل يتقلّص بشدّة فوق عظامه عندما قال ذلك. تصرخ وتنادي والدتها، وقال هو: «والدتك لا تستطيع سماعك الآن، لقد ذهبت».

– من قال هذا؟

همس بيلي:

– هو، الشخص الذي خنقها.

فُتح الباب وأدخلت ممرّضة جديدة الشاي. قالت ببهجة وعيناها المتحمستان مسمّرتان على سترايك: «تفضلوا». قطّب الطبيب النفسي جبينه قليلًا، ثمّ انسحبت الممرّضة وأغلقت الباب مجدّدًا.

قال بيلي:

– لم يصدّقني أحد على الإطلاق، وسمع سترايك استنجاده المبطّن. حاولت أن أتذكّر المزيد، ليتني أستطيع ذلك، حتى لو كان عليّ التفكير في الأمر طوال الوقت، أتمنّى أن أتذكّر المزيد منه. خنقها حتى تسكت. لا أظنّ أنّه قصد الذهاب إلى هذا الحدّ. ثمّ أصيب الجميع بالذعر. أتذكّر أنّ أحدهم صرخ: «لقد قتلتها!»...

ثمّ قال بيلي بهدوء:

– «أو قتلته»، فقد قال جيمي بعد ذلك إنّه كان صبيًا، لكنّه لن يعترف بذلك الآن. يقول إنّني أختلق القصّة كلّها. «لماذا أقول إنّه كان صبيًا إذا لم يحدث أيّ شيء من هذا القبيل، أنت مجنون!» ثمّ أضاف بيلي بعناد: لقد كانت فتاة. لا أعرف لماذا حاول أن يقول إنّه صبيّ. أطلقوا عليها اسم فتاة، لا أتذكّر ما كان اسمها، لكنّها كانت فتاة.

رأيتها تسقط. ميتة. مرتخية على الأرض. كانت الظلمة كثيفة، وأصيب الجميع بالذعر.

لا أتذكّر أيّ شيء عن العودة إلى سفح التلّ، ولا أتذكّر أيّ شيء بعد ذلك باستثناء الدفن، في قاع المنحدر بجوار منزل والدي.

سأل سترايك:

– في الليلة ذاتها؟

قال بيلي بتوتر:

– أعتقد ذلك، أعتقد أنّه كان كذلك. لأنّني أتذكّر أنّني نظرت من نافذة غرفة نومي وكان الظلام لا يزال كثيفًا وكانا، هو وأبي، يحملانها إلى الوادي.

– من هو؟

– قاتلها. أعتقد أنّه كان هو. فتى ضخم. شعره أبيض. وضعا حزمة على الأرض، ملفوفة ببطانية وردية، ثمّ ردما الحفرة.

– هل سألت والدك عمّا رأيته؟

– كلّا. لم أسأل والدي يومًا عمّا فعله للعائلة.

– أيّ عائلة؟

عقد بيلي حاجبيه وظهرت الحيرة على وجهه.

– أتقصد عائلتك؟

– كلّا. الأسرة التي كان يعمل لديها. أسرة تشيزيل.

خُيّل لسترايك أنّها المرّة الأولى التي يُذكر فيها اسم عائلة الوزير المتوفّى أمام الطبيبَين النفسيّين. ورأى قلمَين يتحرّكان بتعثّر.

– ما علاقة الدفن بها؟

بدا بيلي مرتبكًا. فتح فمه ليقول شيئًا، وبدا كأنّه غيّر رأيه، عبس للجدران الوردية الباهتة وانقضّ على سبابته يقضمها مجددًا. وقال أخيرًا:

– لا أعرف لماذا قلت ذلك.

لم يبدُ الأمر وكأنّه كذبة أو إنكار. بدا بيلي متفاجئًا بالفعل بالكلمات التي خرجت من فمه.

– ألا يمكنك أن تتذكّر أنّك سمعت أيّ شيء، أو رأيت أيّ شيء، جعلك تعتقد أنّ دفن الطفلة كان متعلّقًا بآل تشيزيل؟

قال بيلي ببطء:

– كلا، وقد تجعّد جبينه. أنا فقط... اعتقدت حينها، عندما قلت ذلك... أنّه كان يقدّم معروفًا لـ... كأنّني سمعت شيئًا بعد ذلك... هزّ رأسه. تجاهل الأمر. لا أعرف لماذا قلت ذلك.

فكر سترايك: الأشخاص والأماكن والأشياء، وأخرج دفتر ملاحظاته وفتحه.

وقال:

– غير جيمي والفتاة الصغيرة التي ماتت، ماذا يمكنك أن تتذكّر عن مجموعة الأشخاص الذين صعدوا إلى الحصان الأبيض في تلك الليلة؟ كم كان عدد الأشخاص هناك برأيك؟

فكر بيلي بجدّية.

– لا أعرف. ربّما... ربّما ثمانية أو عشرة أشخاص؟

– أكانوا كلّهم شبّانًا؟

– كلّا. كانت هناك نساءٌ أيضًا.

من فوق كتف بيلي، رأى سترايك الطبيبة النفسية ترفع حاجبيها.

– هل يمكنك أن تتذكّر أيّ شيء آخر عن المجموعة؟ وأضاف سترايك، متوقّعًا اعتراض بيلي: أعلم أنّك كنت صغيرًا، وأعلم أنّك ربّما تناولتَ شيئًا أفقدك تركيزك، لكن هل يمكنك أن تتذكّر أيّ شيء لم تخبرني به؟ أيّ شيء فعلوه؟ أيّ شيء كانوا يرتدونه؟ هل يمكنك تذكّر لون شعر أو بشرة أيّ منهم؟ أيّ شيء على الإطلاق؟

ساد صمت طويل، ثمّ أغمض بيلي عينيه لفترة وجيزة وهزّ رأسه مرّة واحدة، وكأنّه يختلف بشدّة مع اقتراح لم يسمعه أحد سواه.

– كانت سمراء. الفتاة الصغيرة. مثل...

بلفتة بسيطة من رأسه، أشار إلى الطبيبة خلفه.

– آسيوية؟

– ربّما، نعم. شعرها أسود.

– من حملك إلى أعلى التل؟

– تناوب جيمي وأحد الرجال الآخرين على فعل ذلك.

– ألم يتكلّم أحد عن سبب صعودهم إلى التل في الظلام؟

– أعتقد أنّهم أرادوا الوصول إلى العين.

– عين الحصان؟

– أجل.

– لماذا؟

– لا أعرف. ومرّر يديه بعصبية على رأسه الحليق. هناك قصص عن العين، كما تعلم. لقد خنقها في العين، أعرف ذلك. أذكر ذلك جيّدًا. بالت على نفسها عندما ماتت. رأيت بولها ينسكب على المنطقة البيضاء.

– ولا يمكنك أن تتذكّر أيّ شيء عن الرجل الذي فعل ذلك؟

تجعّد وجه بيلي. وانحنى ظهره، وبدأ يتنفّس بصعوبة وينتحب نحيبًا خاليًا من الدموع. تحرّك الطبيب للقيام من مقعده، وبدا على بيلي أنّه شعر بالحركة، لأنّه تمالك نفسه وهزّ رأسه.

وقال:

– أنا بخير، أريد أن أخبره. يجب أن أعرف إن كان ذلك حقيقة. طوال حياتي، لم أعد أتحمّل ذلك، يجب أن أعرف. دعه يسألني، أعلم أنّه يجب عليه أن يفعل ذلك. دعه يسألني، أستطيع أن أتحمّل ذلك.

جلس الطبيب النفسي ببطء.

– لا تنس كوب الشاي يا بيلي.

– أجل، قال هو يغمض عينَيه ليطرد منهما الدموع ويمسح أنفه بطرف كمّه. حسنًا.

أخذ الكوب بين يده المغطّاة بالضمادة ويده السليمة، وارتشف منه.

سأله سترايك:

– أتوافق على المتابعة؟

– أجل. تابع.

– هل يمكنك أن تتذكّر أيّ شخص يتكلّم عن فتاة تدعى سوكي لويس يا بيلي؟

توقع سترايك أن يجيبه بـ«لا». وقلب الصفحة إلى قائمة الأسئلة المكتوبة تحت عنوان «الأماكن» عندما قال بيلي:

– أجل.

– ماذا؟

– كان الأخوان بوتشر يعرفانها. إنّهما رفيقا جيمي، من الديار. قاما ببعض الأعمال حول منزل عائلة تشيزيل في بعض الأحيان، مع أبي. القليل من البستنة والمساعدة في الاهتمام بالخيول.

– هل كانا يعرفان سوكي لويس؟

– أجل. لقد هربت، أليس كذلك؟ كانت في الأخبار المحلّية. وتحمّس الأخوان بوتشر لأنّهما رأيا صورتها على التلفزيون وكانا يعرفان عائلتها. كانت والدتها مجنونة. أجل، كانت في الرعاية وهربت إلى أبردين.

– أبردين؟

– أجل. هذا ما قاله الأخوان بوتشر. كانت في الثانية عشرة من عمرها. كان لها بعض الأقرباء هناك. واستقبلوها.

– حقًا؟

وتساءل عمّا إن كانت أبردين تبدو بعيدة جدًا من الأخوَين بوتشر المراهقَين في أوكسفوردشاير، وما إن كانا أكثر ميلًا إلى تصديق هذه القصّة لأنّه يستحيل عليهما التحقّق منها فأصبحت بالتالي، على نحو غريب، أكثر قابلية للتصديق.

سأل سترايك:

– إنّنا نتحدّث عن أخوَي تيغان، أليس كذلك؟

تكلّم بيلي بسذاجة من فوق كتفه مخاطبًا الطبيب النفسي:

– يمكنك أن ترى أنّه ماهر، أليس كذلك؟ أترى كم يعرف من الأمور؟

وأضاف عائدًا إلى سترايك: «أجل، إنّها أختهما الصغرى. كانوا مثلنا، يعملون لدى عائلة تشيزيل. كان العمل وفيرًا عند العائلة في الأيام الخوالي، لكنّهم باعوا الكثير من الأراضي. وما عادوا يحتاجون إلى عدد كبير من العمّال».

شرب المزيد من الشاي، ممسكًا الكوب بيديه الاثنتين.

قال سترايك:

– بيلي، هل تعرف أين كنت منذ أن أتيت إلى مكتبي؟

ظهر التشنّج اللاإرادي في الحال. أفلتت يد بيلي اليمنى الكوب الدافئ ولمست أنفه ثمّ صدره بشكل عصبي سريع.

– كنت... لا يريدني جيمي أن أتحدّث عن ذلك. قال – وهو يعيد الكوب بشكل طائش إلى المنضدة – قال لي ألّا أتكلّم عن الأمر.

قال الطبيب من خلف سترايك:

– أعتقد أنّ من المهمّ أن تجيب عن أسئلة السيّد سترايك أكثر من القلق بشأن ما يعتقده أخوك. تعلم أنّك لست مجبرًا على مقابلة جيمي إن كنت لا تريد ذلك، يا بيلي. يمكننا أن نطلب منه أن يمنحك بعض الوقت بمفردك هنا، لكي يتحسّن وضعك بسلام.

سأل سترايك:

– هل زارك جيمي حيث كنت تقيم؟

عضّ بيلي شفته. وقال أخيرًا:

– نعم، قال إنّه يجب أن أبقى هناك وإلّا سأفسد عليه الأمور مجدّدًا. وأضاف بضحكة عصبية: ظننت أنّ الباب ملغوم بالمتفجّرات. ظننت أنّني إن حاولت الخروج من الباب سأنفجر. ثمّ أكمل وهو يبحث في تعبير سترايك عن دليل: هذا غير صحيح على الأغلب، أليس كذلك؟ تراودني أفكار من هذا النوعِ في بعض الأحيان، عندما تسوء حالتي.

– هل يمكنك أن تتذكّر كيف خرجت من المكان الذي كنت محتجزًا فيه؟

– اعتقدت أنّهم عطّلوا المتفجّرات. طلب إليّ الرجل أن أرحل ففعلت.

– أيّ رجل كان هذا؟

– الشخص الذي كان مسؤولًا عن إبقائي هناك.

– هل يمكنك أن تتذكّر أيّ شيء فعلته عندما كنت محتجزًا؟ كيف قضيت وقتك؟

هزّ رأسه.

فقال سترايك:

– هل يمكنك أن تتذكّر أنّك حفرت أيّ شيء في الخشب؟

ظهرت على وجه بيلي نظرة مليئة بالخوف والتعجّب. ثمّ ضحك.

– أنت تعرف كلّ شيء. ورفع يده اليسرى المضمّدة. انزلق السكّين، ودخل في يدي.

أضاف الطبيب النفسي لكي يفيد سترايك:

– كان بيلي يعاني من مرض الكزاز عندما أُدخل المصحّة. كان هناك جرح شديد الالتهاب في تلك اليد.

– ماذا حفرت على الباب يا بيلي؟

– فعلت ذلك حقًّا، أليس كذلك؟ هل حفرت صورة الحصان الأبيض على الباب؟ لأنّني في ما بعد لم أعد أعرف إن كنت قد فعلت فعلًا.

– أجل، لقد فعلت. رأيت الباب. كان الحفر جميلًا.

– أجل، اعتدت... القيام ببعض تلك الأمور. الحفر. لوالدي.

– علامَ كنت تحفر يا بيلي؟

قال بيلي فجأة:

– «على القلادات. دوائر صغيرة خشبية مثقوبة يُمرَّر شريط جلدي من ثقبها. للسيّاح. كنّا نبيعها في متجر في وانتاغ.

– بيلي، هل يمكنك أن تتذكّر كيف انتهى بك المطاف في ذلك الحمّام؟ هل ذهبت هناك لرؤية أحد، أو هل أخذك أحد إلى هناك؟

جالت عينا بيلي على الجدران الوردية مرّة أخرى، وارتسم تجعّد عميق بين عينيه وهو يفكّر.

– كنت أبحث عن رجل يُدعى وينر... كلّا...

– وين؟ غيرنيت وين؟

قال بيلي وهو يرمق سترايك بدهشة مجددًا:

– أجل. أنت تعرف كلّ شيء. كيف تعرف هذه الأمور كلها؟

– لأنّني بحثت عنك. لماذا أردت أن تقابل وين؟

قال بيلي وهو يقضم إصبعه مجدّدًا:

– سمعت جيمي يتكلّم عنه. قال جيمي إنّ وين سيساعده على معرفة كلّ شيء عن الطفلة التي قُتلت.

– وين كان سيساعد في العثور على المعلومات عن الطفلة التي خُنقت؟

قال بيلي بتوتر:

– أجل. اعتقدت أنّك أحد الذين يحاولون أن يمسكوا بي ويسجنوني، بعد أن قابلتك. وأضاف بيأس: اعتقدت أنّك تحاول الإيقاع بي و... تراودني هذه الأفكار عندما تسوء حالتي. لذلك ذهبت إلى وينر... وين... بدلًا من ذلك. كتب جيمي رقم هاتفه وعنوانه، لذلك ذهبت لمقابلة وين ثمّ أمسك بي.

– أمسك بك؟

تمتم بيلي قائلًا:

– أمسك بي الرجل الأسمر، ورمق الطبيبة النفسية بنظرة خاطفة إلى الخلف. كنت خائفًا منه، خلته إرهابيًا يريد قتلي، لكنّه أخبرني بعد ذلك أنّه يعمل مع الحكومة، لذلك اعتقدت أنّ الحكومة تريدني أن أبقى هناك في منزله وأنّ الأبواب والنوافذ مفخّخة بالمتفجّرات... لكنّني لا أعتقد أنّها كانت

كذلك بالفعل. هذا ما تخيّلته فقط. أظنّ أنّه لم يرغب بوجودي في حمّامه. وأضاف بيلي بابتسامة حزينة: ربما أراد التخلّص منّي طوال الوقت. وأنا أرفض الرحيل، لأنّني تخيّلت أنّني سأموت في الانفجار. زحفت يده اليمنى بدون وعي إلى أنفه وصدره: أظنّ أنّني حاولت الاتّصال بك مجدّدًا، لكنّك لم تجب.

– لقد اتّصلتَ فعلًا. وتركتَ رسالة على جهاز الردّ الآلي الخاصّ بي.

– حقًّا؟

– أجل...

قال بيلي وهو يفرك عينيه:

– فكّرت أنّك ستساعدني على الخروج من هناك... آسف على ذلك. عندما أكون في هذه الحال، لا أكون واعيًا بما أفعل.

سأل سترايك بهدوء:

– لكن هل أنت متأكّد أنك رأيت طفلة تُخنق يا بيلي؟

قال بيلي بحزن:

– أجل. أجل، الذكرى لا تفارقني على الإطلاق. متأكّد من أنّني رأيت ذلك.

– هل حاولت يومًا أن تحفر في المكان الذي تعتقد أنّ...؟

– يا للهول، لا. أن أذهب وأحفر بالقرب من منزل والدي؟ قال بضعف: لا، كنت خائفًا من القيام بذلك. لم أرغب في رؤية المكان مجدّدًا. بعد أن دفنوها، تركوا نباتات القرّاص والأعشاب تنمو. وراودتني كوابيس مروّعة عن هذه الحادثة. أنّها تصعد من الوادي في الظلام، وهي متعفّنة، وتحاول التسلّق إلى نافذة غرفة نومي.

تحرّك قلما الطبيبَين النفسيَين يخدشان أوراقهما.

انتقل سترايك إلى فئة «الأشياء» التي كتبها في دفتر ملاحظاته. وقد بقي لديه سؤالان.

– هل سبق لك أن وضعت صليبًا في الأرض حيث رأيت الجثة تُدفن يا بيلي؟

قال بيلي، وقد ارتعب لمجرّد سماع تلك الفكرة:

– لا. لم أقترب من الوادي قطّ. كنت أتجنّب ذلك قدر المستطاع، لم أرغب في ذلك على الإطلاق.

– سؤال أخير. بيلي، هل قام والدك بأيّ عملٍ غير عادي لعائلة تشيزيل؟ أعلم أنّه كان عاملًا يدويًا، لكن هل يمكنك التفكير في أيّ شيء آخر قام...؟

قال بيلي:

– ماذا تعني؟

وبدا فجأة خائفًا أكثر من أيّ وقت خلال المقابلة بكاملها.

قال سترايك بعناية:

– لا أعرف، وهو يراقب رد فعله. إنّني أتساءل فقط...

– حذّرني جيمي من هذا! أخبرني أنّك تجمع المعلومات عن أبي. لا يمكنك أن تلومنا على ذلك، ليس لدينا أيّ علاقة بالأمر، كنّا طفلَين!

– أنا لا ألومكما على أيّ شيء، ولكن...

وارتفع صوت تحرّك الكراسي: وقف بيلي والطبيبان النفسيان، وضغطت الطبيبة على زرّ سرّي بجانب الباب علم سترايك أنّه جرس إنذار.

– هل فعلت هذا كلّه لأتكلّم؟ هل تحاول الإيقاع بي وبجيمي؟

– كلّا، ووقف هو أيضًا. أنا هنا لأنّني أعتقد أنّك رأيت طفلة تُخنق يا بيلي.

باليد غير المضمدة، لمس بيلي المضطرب والمرتاب أنفه ثمّ صدره مرّتَين بشكل سريع.

وهمس:

– لماذا تسأل ماذا فعل أبي إذًا؟ هي لم تمت بهذه الطريقة، لم يكن لذلك أيّ علاقة! ثمّ قال بصوت مكسور: سيبرحني جيمي ضربًا. أخبرني أنّك تلاحقه بسبب ما فعله أبي.

قال الطبيب النفسي بحزم:

– لن يضرب أحد أحدًا. وقال بخفة لسترايك: أظنّ أنّ الوقت انتهى.

ودفع الباب ليفتحه. هيّا، بيلي، اخرج.

لكن بيلي لم يتحرّك. ربّما كان بيلي قد نما جسديًا في جلده وعظمه، لكنّ وجهه اعتراه خوف ويأس طفل صغير يتيم الأم، عبث بسلامة عقله الأشخاص الذين كان يُفترض أن يحموه. سترايك، الذي التقى عددًا لا يُحصى من الأطفال الذين اقتُلعوا من جذورهم وأهملوا، خلال طفولته غير المستقرّة، رأى في تعبير بيلي وتوسّله، نداءً أخيرًا لعالم البالغين، حتى يؤدوا الواجب الذي كان من المفترض أن يؤديه الكبار، ويفرضوا النظام على الفوضى، ويستبدلوا الوحشية برجاحة العقل. عندما وقفا وجهًا لوجه، شعر بارتباط غريب مع المريض النفسي الهزيل حليق الرأس، لأنّه أدرك أنّه يتوق هو أيضًا إلى النظام مثله. في حالته، قاده ذلك إلى الجانب الرسمي من المكتب، وربّما كان الاختلاف الوحيد بينهما هو أنّ والدة سترايك عاشت مدّة كافية وأحبّته حبًا كافيًا، لمنعه من الانهيار عندما ألقت الحياة بفظائعها عليه.

– سأكتشف ما حدث للطفلة التي رأيتها تُخنق يا بيلي. أعدك بذلك.

بدا الطبيبان النفسيان مندهشَين، وأيضًا غير موافقَين. وعلم سترايك أنّ الإدلاء ببيانات محدّدة أو قرارات مضمونة لم يكن جزءًا من مهنتهما. أعاد دفتر ملاحظاته إلى جيبه، وتحرّك من خلف المكتب ومدّ يده. بعد لحظات طويلة من التفكير، بدأت العدوانية تتبدّد لدى بيلي، فمدّ يده إلى سترايك، وأخذ يده المعروضة وأمسكها لفترة طويلة، وعيناه مغرورقتان بالدموع.

ثمّ قال بصوت خافت، حتى لا يسمعه الطبيبان: «كرهت وضع الحصان عليهم، يا سيّد سترايك. كرهت ذلك».

57

هل تتحلّين بالشجاعة وقوّة الإرادة لذلك
يا ريبيكا؟

هنريك إبسن، روسميرشولم

كانت شقة فانيسا، المكوّنة من غرفة نوم واحدة، تشغل الطابق الأرضي من منزل منفصل على بُعد مسافة قصيرة من ملعب ويمبلي. قبل مغادرتها إلى العمل في ذلك الصباح، أعطت روبن مفتاحًا احتياطيًا لشقّتها، وطمأنتها بلطف إلى أنّها تعلم أنّها ستحتاج إلى أكثر من يومَين للعثور على مكان سكن جديد، وأنّها لا تمانع وجودها معها في الشقّة حتى تعثر على مكان آخر.

كانتا قد سهرتا إلى وقت متأخّر من الليل تتناولان الشراب. أخبرت فانيسا روبن القصّة الكاملة لاكتشافها أنّ خطيبها السابق قد خدعها، وهي قصّة مليئة بالتحوّلات والتقلّبات التي لم تروِها فانيسا من قبل، وتضمّنت إنشاء صفحتين مزيّفتين على فايسبوك كطُعم لخطيبها السابق وعشيقته نتج عنهما، بعد ثلاثة أشهر من الإقناع والصبر، تلقّي فانيسا صورًا من كليهما وهما عاريان. أُعجبت روبن بالحيلة وصُدمت في الوقت نفسه، وضحكت عندما أعادت فانيسا تمثيل المشهد الذي مرّرت فيه الصور لخطيبها السابق، وقد وضعتها داخل بطاقة عيد الحبّ التي سلّمته إيّاها على طاولة لشخصين في مطعمهما المفضّل.

قالت فانيسا:

– أنت لطيفة أكثر من اللازم، يا فتاة، بنظرة فولاذية من فوق كوب بينو غريغيو. لو كنت مكانك لكنت احتفظت بقرط أذنها اللعين على الأقلّ وحوّلته إلى قلادة.

أثناء وجود فانيسا في العمل، كان لحاف احتياطي مطويًا بعناية في آخر الأريكة التي جلست عليها روبن، وحاسوبها المحمول مفتوح أمامها. أمضت فترة الظهيرة بكاملها تعاين الغرف الشاغرة في المساكن المشتركة، وهذا كلّ ما تستطيع الحصول عليه بالراتب الذي يدفعه لها سترايك. ظلّت ذكرى السرير بطابقين في شقة فليك تتبادر إلى ذهنها فيما أجرت مسحًا للإعلانات ضمن نطاق الأسعار المناسبة لها، التي تضمّنت بعض الغرف المخيفة الشبيهة بزنازين السجن التي تحتوي على أسرّة متعدّدة، وبعض الإعلانات الأخرى احتوت على صور تبدو مناسبة لتُرفق بمقالة عن عجوز بخيل منعزل اكتشفه جيرانه ميتًا. بدت ضحكات الليلة الماضية بعيدة الآن؛ وروبن تتجاهل الغصة المؤلمة القاسية في حلقها التي تأبى أن تختفي، بغضّ النظر عن عدد أكواب الشاي التي تناولتها.

حاول ماثيو الاتّصال بها مرّتين في ذلك اليوم. لم تجب على أيّ من الاتّصالين ولم يترك رسالة. ستحتاج إلى الاتّصال بمحامٍ للطلاق قريبًا، ما سيكلّفها مالًا لا تملكه، لكن يجب عليها أولًا أن تجد لنفسها مكانًا تقيم فيه وأن تستمرّ في تخصيص عدد الساعات المعتادة للتحقيق في قضيّة تشيزيل، لأنّه إذا شعر سترايك بأنّها لا تبذل ما يكفي من الجهد، فإنّ الجزء الوحيد من حياتها الذي توليه أيّ قيمة في الوقت الحالي سيتعرّض للخطر.

تخلّيت عن الجامعة. والآن تتخلّين عنا. حتى إنّك تخلّيت عن معالجتك النفسية. أنت تتهربين من كلّ شيء!

تلاشت صور الغرف المظلمة في الشقق المجهولة أمام عينيها وهي تتصوّر ماثيو وسارة في السرير الماهوغني الثقيل الذي اشتراه والد زوجها، عندئذ بدا لروبن أنّ داخلها يتحوّل إلى رصاص سائل، وأوشكت أن تفقد سيطرتها على نفسها، وأحسّت برغبة في الاتّصال بماثيو لتصرخ في وجهه،

لكنّها لم تفعل، لأنّها رفضت أن تتحوّل إلى ما يريد أن يجعل منها، امرأة لاعقلانية، فاقدة السيطرة والانضباط، تتهرّب من كلّ شيء.

على أيّ حال، كان لديها أخبار لسترايك، وهي أخبار تتوق إلى نقلها له بمجرّد أن ينهي مقابلته مع بيلي. ردّ رافاييل تشيزيل على جوّاله في الساعة الحادية عشرة صباح ذلك اليوم، قابلها بالبرود في البداية، لكنّه وافق على اللقاء بها بشرط أن يختار مكان اللقاء. بعد ساعة، تلقّت مكالمة من تيغان بوتشر، التي لم تتطلّب الكثير من الإقناع للموافقة على إجراء مقابلة. في الواقع، بدا لروبن أنّ أملها خاب لأنّها ستتحدّث مع شريكة سترايك الشهير بدلًا من الرجل نفسه.

نسخت روبن تفاصيل غرفة في بوتني – الإقامة مع صاحبة الشقّة، نباتية، تحبّ القطط – وتحقّقت من الساعة وقرّرت أن ترتدي الفستان الوحيد الذي كانت قد أحضرته معها من شارع ألبوري، وهو مكويّ وجاهز، يتدلّى من أعلى باب مطبخ فانيسا. سوف تحتاج إلى أكثر من ساعة للانتقال من ويمبلي إلى المطعم في شارع أولد برومبتون، حيث وافقت هي ورافاييل على أن يتقابلا، وخشيت أن تحتاج إلى وقت أطول من المعتاد لتبدو أنيقة المظهر.

المرأة التي نظرت إليها من مرآة حمام فانيسا كانت شاحبة الوجه ومنتفخة العينين من قلّة النوم. رنّ جوالها فيما كانت لا تزال تحاول إخفاء الهالات السوداء حول عينيها.

قالت وهي تحوّل الجوّال إلى مكبّر الصوت:

– كورموران، مرحبًا. هل قابلت بيلي؟

استغرقت رواية مقابلته مع بيلي عشر دقائق، وخلال هذه الفترة أنهت روبن تبرّجها، ومشّطت شعرها وارتدت الفستان.

انتهى سترايك بالقول:

– أتعرفين، بدأت أتساءل عمّا إن كان ينبغي لنا أن نفعل ما يريدنا بيلي أن نفعله في المقام الأول: الحفر.

– ممم... مهلًا... ماذا؟ أتقصد... حرفيًا؟

– قد نضطرّ إلى ذلك.

لأوّل مرّة طوال ذلك اليوم، طغى طابع آخر على متاعبها، طابع وحشي. فجثّة جاسبر تشيزيل هي أول جثّة رأتها خارج سياق المستشفى وقاعة الجنازة المريحَين والمعقّمَين. تذكّرت صورة الرأس المحبوس في كيس بلاستيكي، والفم المفتوح الشبيه بثقب أسود. لكنّه لم يكن شيئًا مقارنة بما خشيت أن تجده في قعر ذاك الوادي: الديدان، وبطّانية متحلّلة وبقايا طفلة صغيرة متحلّلة ومتعفّنة.

– كورموران، إن كنت تعتقد أنّ هناك بالفعل طفلة مدفونة في الوادي، يجب أن نخبر الشرطة.

– ربّما، لو كنت متأكّدًا من أنّ طبيبَي بيلي النفسيَين سيؤكّدان صحّة مزاعمه، لكنّهما لن يفعلا ذلك. تحدّثت معهما طويلًا بعد المقابلة. لا يمكنهما الجزم بأنّ خنق الطفلة لم يحدث – المشكلة التقليدية، يستحيل إثبات أنّ أمرًا ما لم يحصل – لكنّهما لا يصدّقان ذلك.

– يعتقدان أنّه اختلق القصّة؟

– ليس بالمعنى المباشر. يعتقدان أنّه وهم أو، في أحسن الأحوال، أنّه أساء تفسير شيء رآه عندما كان صغيرًا جدًا، أو ربّما كان شيئًا رآه في التلفزيون، إذ إنّ ذلك سيكون متّسقًا مع أعراضه العامّة. أعتقد أنّ من غير المحتمل أن يكون هناك أيّ شيء هناك، لكن من الجيّد أن نتيقّن من الأمر. على أيّ حال، كيف كان يومك؟ هل من أخبار؟

– ماذا؟ تمتمت روبن: آه... أجل. سأقابل رافاييل لتناول مشروب عند الساعة السابعة.

– عمل ممتاز. أين؟

– مكان يسمّى نام... أو شيء من هذا القبيل... نام لونغ لوشيكر؟

– في تشيلسي؟ ذهبت إلى هناك قبل وقت طويل. ليست أفضل أمسية قضيتها.

– وعاودت تيغان بوتشر الاتصال. إنّها معجبة بك قليلًا، على ما يبدو.

– هذا ما تحتاج إليه هذه القضيّة، شاهد آخر مضطرب عقليًا.

ردّت روبن، محاولة أن تبدو مرحة:

– بل هي عديمة الذوق. على أيّ حال، تقيم مع والدتها في وولستون وتعمل في حانة في ميدان سباق نيوبري. تقول إنّها لا تريد مقابلتنا في القرية لأنّ والدتها لا تحبّ أن يراها الناس معنا، لذلك تتساءل عمّا إن كان بإمكاننا القدوم لمقابلتها في نيوبري.

– كم يبعد هذا من وولستون؟

– 30 كيلومترًا أو نحو ذلك.

– حسنًا، ماذا لو أخذنا سيّارة اللاند روفر إلى نيوبري لمقابلة تيغان، ثمّ ربّما عرجنا إلى الوادي، فقط لإلقاء نظرة أخرى؟

– حسنًا، موافقة، فيما كانت تفكّر في وجوب ذهابها إلى شارع ألبوري لتحضر اللاند روفر، فقد تركتها هناك لأنّ أماكن ركن السيّارات تتطلّب تصريحًا في شارع فانيسا. متى؟

– في أيّ وقت تستطيع فيه تيغان مقابلتنا، ومن الأفضل أن يكون هذا الأسبوع. خير البرّ عاجله.

– حسنًا، وهي تفكّر في الخطط المبدئية التي وضعتها لرؤية الغرف خلال اليومَين المقبلَين.

– هل كلّ شيء على ما يرام يا روبن؟

– أجل، بالطبع.

– اتّصلي بي بعد مقابلتك لرافاييل إذًا، اتفقنا؟

قالت روبن، وهي سعيدة بإنهاء المكالمة:

– سأفعل. نتكلّم لاحقًا.

58

... أعتقد أنّ نوعين مختلفين من الإرادة يمكن
أن يتواجدا في الوقت نفسه في شخص واحد.

هنريك إبسن، روسميرشولم

خيّم في نام لونغ لو شيكر جوّ حانةٍ من العصر الاستعماري المتدهور. بأنوارها الخافتة ونباتاتها المورقة واللوحات والمطبوعات المتنوّعة التي تعرض النساء الجميلات، امتزج في الديكور النمطان الأوروبي والفيتنامي. عندما دخلت روبن المطعم في الساعة السابعة وخمس دقائق، وجدت رافاييل متّكئًا على العارضة، مرتديًا بذلة داكنة وقميصًا أبيض بدون ربطة عنق، كان قد شرب نصف مشروبه، وكان يتحدّث إلى الجميلة ذات الشعر الطويل التي وقفت أمام جدار لامع من الزجاجات.

قالت روبن:

– مرحبًا.

– مرحبًا... عيناك مختلفتان. هل كانتا بهذا اللون في منزل تشيزيل؟

– زرقاوان؟ وخلعت المعطف الذي كانت ترتديه لأنّها شعرت بقشعريرة، على الرغم من دفء المساء. أجل.

– أفترض أنّني لم ألاحظ ذلك لأنّ نصف المصابيح لم تكن موجودة. ماذا تريدين أن تشربي؟

تردّدت روبن. هي لا يُفترض بها أن تشرب أثناء إجراء مقابلة، لكنّها في الوقت نفسه اشتهت الكحول فجأة. قبل أن تقرّر، قال رافاييل بتوتّر طفيف:

– كنت تعملين متخفّية اليوم أيضًا، أليس كذلك؟

– لماذا تسأل؟

– اختفى خاتم زواجك مجدّدًا.

– هل كانت عيناك بهذه الحدّة في المكتب؟

وابتسم ابتسامة عريضة، مذكّرًا إياها بسبب إعجابها به، رغم إرادتها.

– لاحظت أنّ نظّارتك كانت مزيّفة، أتتذكّرين؟ وخمّنت في ذلك الوقت أنّك كنت تريدين أن تؤخذي على محمل الجدّ، لأنّك كنت أجمل من أن تمتهني السياسة. لذلك...، وأشار إلى عينيه البنّيتين العميقتين، قد تكون عيناي حادّتين، لكن هذا...، ونقر على رأسه، ليس حادًا بما يكفي.

قالت روبن مبتسمة:

– سأشرب كوب نبيذ أحمر، وسأدفع بالطبع.

قال رافاييل على الفور:

– إن كان هذا كلّه على حساب السيّد سترايك، فلنتناول العشاء. فأنا مفلس وأتضوّر جوعًا.

– حقًّا؟

بعد يوم من البحث في الغرف المتاحة للإيجار التي تناسب راتبها في الوكالة، لم تكن في مزاج لسماع حديث تشيزيل عن الفقر مجدّدًا.

قال رافاييل بابتسامة خبيثة قليلًا:

– أجل، حقًّا، غير أنّك قد لا تصدّقين ذلك. وشكّت روبن في أنّه عرف ما كانت تفكّر فيه. هل سنأكل أم لا؟

قالت روبن، التي بالكاد لمست الطعام طوال اليوم:

– حسنًا، فلنأكل. أخذ رافاييل زجاجة جعته عن البار وقادها إلى المطعم حيث جلسا إلى طاولة لشخصين قرب الحائط. كان الوقت مبكرًا جدًّا لدرجة أنّهما كانا وحدهما في المطعم.

قال رافاييل:

– ارتادت والدتي هذا المكان في الثمانينيات، وقد اشتهر لأنّ المالك كان يطلب من الأثرياء والمشاهير أن يرتدوا الملابس الرسمية وإن لم يرتدوا ملابس مناسبة للحضور طردهم، وقد أحبّ الجميع ذلك.

– حقًّا؟ سألت وأفكارها تجول على بعد أميال من الحديث. فقد أدركت للتوّ أنّها لن تتناول العشاء مرّة أخرى مع ماثيو، منفردَين. تذكّرت آخر مرّة تناولا فيها العشاء، في فندق فورسيزونز معًا. بماذا كان يفكّر وهو يأكل في صمت؟ من المؤكّد أنّه كان غاضبًا منها لاستمرارها في العمل مع سترايك، ولكنّه ربّما كان أيضًا يزن في ذهنه العوامل الجاذبة لدى منافستها سارة، بوظيفتها ذات الأجر الجيّد عند كريستيز، ومجموعة قصصها التي لا تنتهي عن ثروة الآخرين، وأدائها الواثق من دون شك في السرير، حيث سقط قرط من قرطيها المرصّعين بالماس اللذين اشتراهما لها خطيبها على وسادة روبن.

قال رافاييل:

– اسمعي، إن كان تناول الطعام معي سيجعلك تبدين هكذا، فأنا أفضّل العودة إلى الحانة.

– ماذا؟ قالت متفاجئةً من أفكارها. أوه! لا! ليس الذنب ذنبك.

أحضر النادل نبيذ روبن. شربت منه جرعة كبيرة. وقالت:

– أنا آسفة. كنت أفكّر في زوجي. لقد تركته الليلة الماضية.

عندما شاهدت رافاييل يتجمّد متفاجئًا والزجاجة على شفتيه، عرفت أنّها تجاوزت حدودًا غير مرئيّة. طوال الوقت الذي قضته في الوكالة، لم تستخدم أبدًا الحقائق المتعلّقة بحياتها الخاصّة لكسب ثقة الآخرين، ولم تخلط يومًا بين الأمور الخاصّة والمهنية لكسب مودّة شخص آخر. بتحويلها خيانة ماثيو إلى جهاز للتلاعب برافاييل، عرفت أنّها كانت تفعل شيئًا من شأنه أن ينفّر زوجها ويثير اشمئزازه. فلطالما اعتبر أنّ زواجهما يجب أن يكون مقدّسًا، بعيدًا كلّ البعد من وظيفتها التي اعتبرها بائسة ومتداعية.

سأل رافاييل:

– هل أنت جادّة؟

– نعم، لكنّني لا أتوقّع منك أن تصدّقني، ليس بعد كلّ الهراء الذي قلته لك عندما كنت فينيسيا. على أيّ حال...، أخرجت دفتر ملاحظاتها من حقيبة يدها، قلت إنّك موافق على أن أطرح عليك بعض الأسئلة؟

– أجل. وبدا لها من الواضح أنّه محتار بين الاستمتاع والذهول. هل هذا صحيح؟ هل انهار زواجك الليلة الماضية؟

– أجل. لماذا تبدو مصدومًا إلى هذا الحدّ؟

– لا أعرف. لأنّك تبدين... كمرشدات الكشافة. نظر إلى وجهها بتمعّن. إنّه جزء من جاذبيتك.

قالت روبن دون أن تفقد رباطة جأشها:

– هل يمكنني أن أطرح أسئلتي؟

شرب رافاييل بعض الجعة وقال:

– مشغولة دائمًا بالعمل. تجعلين الرجل يبحث عمّا قد يشتّت انتباهك.

– من دون مزاح...

– حسنًا، حسنًا، الأسئلة...لكن دعينا نطلب أولًا. هل تحبّين طبق الديم سوم؟

قالت روبن وهي تفتح دفتر ملاحظاتها:

– أيّ طبق يجيدونه.

يبدو أنّ طلب الطعام أبهج رافاييل. فقال:

– اشربي.

– لا يُفترض بي أن أشرب على الإطلاق، وهي في الواقع، لم تلمس النبيذ بعد جرعتها الأولى. حسنًا، أردت التحدّث عن شارع إيبوري.

– تابعي.

– سمعت ما قالته كينفارا عن المفاتيح. تساءلت هل...

سأل رافاييل بثبات:

– ... كان لديّ واحد من قبل؟ خمّني كم مرّة دخلت هذا المنزل.

انتظرت روبن.

– مرّة واحدة. لم أذهب إليه إطلاقًا عندما كنت طفلًا. عندما خرجت من... – تعلمين أين – أبي، الذي لم يزرني مرّة واحدة أثناء وجودي في الداخل، دعاني إلى تشيزيل هاوس لرؤيته، فذهبت. مشّطت شعري، وارتديت بذلة، وذهبت إلى ذلك المكان المشؤوم ولم يكلّف نفسه عناء المجيء. احتُجز من أجل تصويت متأخّر في المجلس أو ما شابه من الهراء. تخيّلي كم كانت كينفارا سعيدة لوجودي طوال الليل، في ذلك المنزل الكئيب اللعين الذي كنت أرى كوابيس عنه منذ أن كنت طفلًا. أهلًا بك في بيتك يا راف.

استقليت القطار المبكر إلى لندن. بعد أسبوع، لا اتّصال من أبي حتى حصلت على استدعاء آخر، هذه المرّة لأذهب إلى شارع إيبوري. فكّرت ألّا أذهب في الواقع. ولماذا ذهبت؟

أجابته روبن:

– لا أعرف. لماذا؟

نظر مباشرة في عينيها:

– يمكنك أن تكرهي شخصًا وأن تتمنّي في الوقت ذاته أن يهتمّ لأمرك، وأن تكرهي نفسك لأنّك تتمنّين ذلك.

قالت روبن بهدوء:

– أجل، بالطبع يمكنك ذلك.

– لذا توجّهت إلى شارع إيبوري، معتقدًا أنّني قد أحصل على؛ ليس على استقبال حنون، أعني، لقد قابلت والدي، ولكن ربّما، على بعض المشاعر الإنسانية. فتح الباب، وقال «ها أنت ذا»، وقادني إلى غرفة الجلوس حيث وجدت هنري دراموند وأدركت أنّني كنت هناك لإجراء مقابلة عمل. قال دراموند إنّه سيوظّفني، وصاح أبي في وجهي بألّا أفسد الأمر ودفعني خارجًا إلى الشارع. كانت أول وآخر مرّة أدخل فيها ذلك المكان على الإطلاق، لذلك لا يمكنني القول إنّ لديّ ارتباطات عاطفية به.

توقف يتأمّل في ما قاله للتوّ، ثمّ أطلق ضحكة قصيرة:

– وانتحر والدي هناك بالطبع. لقد نسيت ذلك.

قالت روبن وهي تدوّن ملاحظة:

– لا مفتاح.

– لا، من بين الأشياء العديدة التي لم أحصل عليها، مفتاح احتياطي ودعوة لزيارة المكان كلّما رغبت في ذلك.

قالت روبن بحذر:

– أريد أن أطرح عليك سؤالًا قد يبدو غير ملائم بعض الشيء.

قال رافاييل وهو يميل إلى الأمام:

– هذا يبدو مثيرًا للاهتمام.

– هل شككت في أنّ والدك كان على علاقة غرامية؟

قال بطريقة مضحكة بدافع المفاجأة:

– ماذا؟ كلّا، ولكن... ماذا؟

– خلال العام الماضي أو نحو ذلك؟

– خلال زواجه بكينفارا؟

بدا مذهولًا.

قالت روبن:

– حسنًا، إن لم تشكّ...

– بحق السماء، ما الذي جعلك تعتقدين أنّه كان على علاقة غرامية؟

– لطالما كانت كينفارا متسلّطة للغاية، وقلقة للغاية بشأن مكان وجود والدك، أليس كذلك؟

قال رافاييل مبتسمًا:

– أجل، لكنّك تعرفين سبب ذلك. أنت كنت السبب.

– سمعت أنها انهارت قبل أن أبدأ بالعمل في المكتب بأشهر. أخبرت أحدهم أن والدك خدعها. كانت منهارة تمامًا. حصل ذلك قُريب الفترة التي قُتلت فيها فرسها...

– ضربت أبي بالمطرقة؟ عبس. أوه. ظننت أنّ ذلك كان بسبب عدم رغبتها في قتل الحصان. حسنًا، أعتقد أنّ أبي كان زير نساء عندما كان أصغر سنًّا. ربّما هذا ما كان عليه، في الليلة التي ذهبت فيها إلى منزل تشيزيل

وبقي هو في لندن، كانت كينفارا تتوقّع عودته بالتأكيد وغضبت عندما أخبرنا أنّه لن يأتي في اللحظة الأخيرة.

قالت روبن وهي تدوّن الملاحظة:

– أجل، ربّما. هل يمكنك أن تتذكّر تاريخ ذلك الحدث؟

– إيه... أجل، في الواقع أتذكّره. لا يميل المرء إلى نسيان اليوم الذي يخرج فيه من السجن. خرجت يوم الأربعاء في السادس عشر من فبراير من العام الماضي، وطلب إليّ أبي أن أذهب إلى منزل تشيزيل يوم السبت التالي، إذًا... في التاسع عشر من الشهر.

سجّلت روبن الملاحظة.

– ألم تلحظ إشارات أو تسمع بوجود امرأة أخرى؟

– بربّك، كنت هناك في مجلس العموم. ورأيت كيف أنّني قلّما كنت أتكلّم معه. هل كان سيخبرني أنّه كان يعبث مع النساء؟

– أخبرك عن رؤية شبح جاك أوكنت يحوم حول المنزل ليلًا.

– كان ذلك مختلفًا. كان ثملًا، و... منهارًا، لم يكن في حالته الطبيعية.

– يتكلّم عن القصاص الإلهي... لا أعرف، ربّما كان يتحدّث عن علاقة غرامية. ربّما صحا ضميره في النهاية، بعد ثلاث زيجات.

– لم أكن أعلم أنّه تزوّج والدتك؟

ضاقت عينا رافاييل.

– آسف، نسيت للحظة أنّني اللقيط.

قالت روبن بلطف:

– بربك، أنت تعرف أنّني لم أقصد...

فتمتم:

– حسنًا، آسف. أنا شديد الحساسية حيال الموضوع. هذه نتيجة حرمان أحد والدَيك لك من الميراث.

تذكّرت روبن مقولة سترايك بشأن الميراث: السبب هو المال، والسبب ليس المال، وفي صدى خارق لأفكارها، قال رافاييل:

– ليس المال هو السبب، والله يعلم كم أحتاج إليه الآن. أنا عاطل عن العمل، ولا أعتقد أنّ هنري دراموند العجوز سيعطيني شهادة حسن سلوك، ألا توافقينني الرأي؟ والآن يبدو أنّ والدتي ستستقرّ بشكل دائم في إيطاليا، لذا فهي تتحدّث عن بيع الشقّة في لندن، ما يعني أنّني سأكون بلا مأوى. وأضاف بمرارة: هذا ما ستؤول إليه الأمور. سأنتهي كصبيّ إسطبل لعين عند كينفارا. لن يقبل أحد غيري العمل عندها ولن يوظّفني أيّ شخص آخر...

لكن السبب ليس االمال فقط. عندما يُستبعد شخص من وصيّة... في الحقيقة، كلمة استبعاد، تشرح كلّ شيء. فالوصيّة هي آخر ما يوصي به الميت لعائلته ولم يذكرني فيها حتى، والآن ينصحني توركويل اللعين بأن أرحل إلى سيينا عند والدتي «للبدء بحياة جديدة». قال رافاييل وقد بدا تعبير وجهه خطيرًا: «السافل».

– أهناك تقيم والدتك؟ في سيينا؟

– أجل. إنّها مرتبطة بكونت إيطالي هذه الأيّام، وصدّقيني، آخر ما يريده هو انتقال ابنها البالغ من العمر تسعة وعشرين عامًا للعيش معهما. إنّه لا يظهر أيّ إشارة على رغبته في الزواج بها وقد بدأت تقلق بشأن تقدّمها في السنّ فخطرت لها فكرة بيع الشقة. باتت أكبر سنًّا من أن تلعب الحيلة التي لعبتها على والدي.

– ماذا تعن...

– حملت منه عن قصد. لا تنصدمي إلى هذا الحدّ. أمّي لا تؤمن بحمايتي من واقع الحياة. أخبرتني القصّة منذ سنين. أنا رهان لم يؤتِ ثماره. حسبت أنّه سيتزوّجها إذا حملت، لكن كما قلت للتو...

– قُلت إنّني آسفة. أنا فعلًا آسفة. ما قلته ينمّ عن عدم إحساس و... غباء.

اعتقدت أنّ رافاييل قد يقول لها أن تذهب إلى الجحيم، لكنّه قال بهدوء:

– أترين؟ أنت فعلًا لطيفة. ما كنت تمثّلين بالكامل، أليس كذلك؟ في المكتب؟

– لا أعرف. لا أعتقد، لا.

شعرت بساقيه تنحرفان تحت الطاولة، فتحرّكت إلى الخلف قليلًا مرّة أخرى.

قال رافاييل:

– صفي لي زوجك.

– لا أعرف كيف أصفه.

– هل يعمل عند كريستي؟

– لا، إنّه محاسب.

فقال رافاييل مذعورًا:

– يا للهول! أيعجبك هذا النوع؟

– لم يكن محاسبًا عندما قابلته. أيمكننا أن نرجع إلى اتّصال والدك بك صباح يوم وفاته؟

– إن كنت ترغبين في ذلك، لكنّني أفضّل التحدّث عنك أكثر بكثير.

– لماذا لا تخبرني ماذا حصل في ذلك الصباح، ثمّ يمكنك أن تسألني ما تشاء.

عبرت ابتسامة سريعة على وجه رافاييل. وشرب جرعة من جعته وقال:

– اتّصل بي والدي. أخبرني أنّه يعتقد أنّ كينفارا توشك أن تقوم بعمل غبيّ وطلب إليّ أن أذهب مباشرة إلى وولستون لأمنعها من ذلك. وسألته بالفعل لماذا يكلّفني أنا بهذه المهمّة.

قالت روبن وهي تنظر إلى ملاحظاتها:

– لم تخبرنا بذلك في تشيزيل هاوس.

– بالطبع لم أفعل، لأنّ الآخرين كانوا هناك. قال أبي إنّه لا يريد أن يطلب ذلك إلى إيزي. وتكلّم عنها بعبارات قاسية على الهاتف... ثمّ تابع: لقد كان جاحدًا كبيرًا في الحقيقة. عملت إيزي في مكتبه بدون توقّف ورأيت كيف عاملها.

– ماذا تقصد، بأنّه قسا بالكلام عنها؟

– قال إنّها قد تتشاجر مع كينفارا، وتضايقها وتجعل الأمور أسوأ ممّا هي عليه وما شابه. الطحّان يغبّر على الكلّاس، لكن ها أنت ذا. قال رافاييل، لكنّ الحقيقة هي أنّي كنت بمثابة رئيس الخدم بالنسبة إليه، واعتبر إيزي فردًا من عائلته. لم يمانع أن تتلطّخ يداي ولا يهمّ إن أغضبتُ زوجته باقتحامي منزلها ومنعها من...

– منعها ممّ؟

– آه! الطعام!

وضعت النادلة طبق الديم سوم أمامهما ورحلت.

كرّرت روبن: «عمّ أوقفت كينفارا؟ عن هجر والدك؟ عن أذيّة نفسها؟

قال رافاييل وهو يعاين فطائر الجمبري:

– أحبّ هذا الطبق، وهو يأخذ قطعة بعوديه. أصرّت روبن: تركت رسالة تعلمه أنّها راحلة. هل أرسلك والدك إلى هناك لتقنعها بألّا تتركه؟ هل خشي أن تقنعها إيزي بأن تتركه؟

– هل تعتقدين حقًّا أنّني أستطيع إقناع كينفارا بالبقاء متزوّجة به؟ عدم رؤيتي وحدها تحفّزها لترحل.

– لماذا أرسلك إليها إذًا؟

– لقد أخبرتك. خشي أن تقوم بعمل غبيّ.

– راف، يمكنك أن تستمرّ في هذا العبث السخيف...

تجمّد.

– يا للهول! تبدين فعلًا من يوركشاير عندما تقولين ذلك. كرّري ما قلته.

– تعتقد الشرطة أنّ هناك شيئًا مريبًا في قصّتك حول ما كنت تفعله في ذلك الصباح. ونحن كذلك.

بدا أنّ ذلك جعله أكثر رصانة.

– كيف تعرفين ما تعتقده الشرطة؟

– لدينا علاقات مع رجال الشرطة. راف، أعطيت الجميع انطباعًا بأنّ والدك كان يحاول منع كينفارا من إيذاء نفسها، لكنّ أحدًا لا يصدّق ذلك في

الحقيقة. كانت فتاة الإسطبل هناك. تيغان. كان من الممكن أن تمنع كينفارا من إيذاء نفسها.

مضغ رافاييل طعامه لبعض الوقت وبدا لروبن أنّه يفكّر.

تنهد قائلًا:

– حسنًا. حسنًا، إليك الحقيقة. تعرفين أنّ أبي باع كلّ شيء من شأنه أن يأتي ببعض المال أو أعطاه لبيريغرين؟

– لمن؟

قال رافاييل مستاءً:

– لبرينفل. أفضّل عدم استخدام ألقابهم اللعينة السخيفة.

قالت روبن:

– لمَ يبيع كلّ شيء ذي قيمة؟

– ماذا تعنين؟

– تلك اللوحة للفرس والمهر تساوي خمسة إلى ثمانية...

رنّ جوّال روبن. وعلمت من نغمة الرنين أنّ ماثيو هو المتّصل.

– ألن تجيبي؟

– كلّا.

انتظرت حتى توقف الهاتف عن الرنين، ثمّ أخرجته من حقيبتها.

قال رافاييل وهو يقرأ الاسم رأسًا على عقب:

– مات. إنّه المحاسب، أليس كذلك؟

– أجل. وأسكتت الهاتف، لكنّه بدأ على الفور يهتزّ في يدها بدلًا من ذلك. اتّصل ماثيو مرّة أخرى.

واقترح رفاييل:

– ضعي حظرًا على اتّصالاته.

– أجل، فكرة سديدة.

كلّ ما كان يهمّها الآن هو الحفاظ على تعاون رفاييل. بدا أنّه يستمتع بمشاهدتها تضع حظرًا على اتّصالات ماثيو. أعادت الجوّال إلى حقيبتها وقالت:

– أكمل بشأن اللوحات.

– حسنًا، أتعلمين كيف أفرغ أبي كلّ الأشياء الثمينة من خلال دراموند؟

قالت روبن رغمًا عنها:

– يعتقد بعضنا أنّ اللوحة التي تبلغ قيمتها خمسة آلاف جنيه قيّمة.

قال رافاييل بتوتّر مفاجئ:

– حسنًا، أيّتها الآنسة الاشتراكية. يمكنك الاستمرار بالسخرية بشأن أنّ أمثالي لا يعرفون قيمة المال...

فقالت روبن وهي تلعن نفسها:

– آسفة. أنا آسفة بالفعل. اسمع، إنّني... حاولت العثور على غرفة للإيجار طوال هذا الصباح. خمسة آلاف جنيه قد تغيّر حياتي في الوقت الحالي.

قال رافاييل وقد عقد حاجبيه:

– آه! أنا... حسنًا. في الواقع، أنا أيضًا قد أنتهز فرصة وضع خمسة آلاف في جيبي الآن، لكنّني أتحدث بدون مزاح عن أشياء ثمينة، تساوي عشرات ومئات الآلاف، أشياء أراد والدي الاحتفاظ بها في العائلة. وقد سلّمها بالفعل إلى برينغل الصغيرة لتجنّب نفقات التركة. ومنها خزانة صينية مطليّة بالورنيش وصندوقًا صغيرًا من العاج وأشياء أخرى، ولكن كان هناك أيضًا القلادة.

– أيّ قلـ...؟

– إنّها قلادة ماسية قبيحة كبيرة، وبيده التي لم تكن مشغولة بالفطيرة، كان يحاول أن يؤشّر راسمًا طوقًا سميكًا. حجارته مهمّة توارثته خمسة أجيال أو شيء من هذا القبيل، وكان العرف أن يذهب إلى الابنة الكبرى عندما تبلغ الحادية والعشرين من عمرها، لكنّ والد والدي، الذي ربّما سمعت عنه، كان زير نساء...

– هو الذي تزوّج تينكي الممرّضة؟

وأضاف رافاييل وهو يهز رأسه:

– كانت زوجته الثالثة أو الرابعة. لم أستطع أن أتذكّر يومًا. على أيّ حال، لم يُرزق سوى بالبنين، لذلك سمح لجميع زوجاته بارتداء القلادة على التوالي، ثمّ تركه لوالدي، الذي حافظ على استمرار التقليد الجديد. تناوبت زوجاته على ارتدائه – حتى والدتي وضعته مرّة واحدة – ونسي تسليمه إلى

ابنته في عيد ميلادها الحادي والعشرين، ولم تحصل عليه برينغل ولم يذكره في وصيّته.

– لذا... مهلًا، هل تعني أنّه الآن...؟

– اتّصل بي أبي ذلك الصباح وأخبرني أنّه يجب أن أحصل على القلادة اللعينة. وأضاف بسخرية:

– مهمّة بسيطة، يستمتع بها أيّ شخص. أن أذهب إلى زوجة أبي التي تكرهني، وأكتشف أين تحتفظ بقلادة ثمينة، ثمّ أسرقها من دون علمها.

– هل تعتقد أنّ والدك صدّق أنّها ستتركه، وخشي أن تأخذ القلادة معها؟

– أفترض ذلك.

– كيف بدا على الهاتف؟

– أخبرتك بذلك: بدا مترنّحًا. ظننت أنّه كان ثملًا. بعد أن سمعت أنّه انتحر، تداعى صوت رافاييل... كيف أقول ذلك...

– إذًا؟

– في الحقيقة، لم أستطع أن أنسى أنّ آخر ما قاله لي أبي في حياته كان: «اركض واحرص على أن تحصل أختك على ألماساتها». كلمات سأحتفظ بها إلى الأبد!

لم تعد روبن تعرف ماذا تقول، فأخذت رشفة أخرى من النبيذ، ثمّ سألت بهدوء:

– هل تدرك إيزي وفيزي أنّ القلادة باتت ملك كينفارا الآن؟

ارتسمت على شفتَي رافاييل ابتسامة خالية من روح الدعابة.

– في الواقع، إنّهما تعرفان أنّ الأمر قانوني، لكن إليك الأمر المضحك حقًا: إنّهما تعتقدان أنّها ستسلّمه لهما. بعد كلّ ما قالتاه عنها، بعدما اتّهمتاها بالسعي خلف المال لسنين، وبأنّها فاشلة في كلّ فرصة تتاح لها، لا يمكنهما فهم أنّها لن تسلّم القلادة إلى فيزي من أجل فلوبسي – اللعنة – فلورانس – لأنّ... وهنا تحوّل صوته إلى نبرة عالية وصارخة، عزيزتي حتى تي تي أس لن تفعل ذلك، فهو ملك العائلة، ويجب أن تدرك أنّه لا يمكنها أن تبيعه.

إنّهم شديدوا الغرور والأنانية. يعتقدون أنّ هناك نوعًا من القانون الطبيعي، يمنح أفراد عائلة تشيزيل ما يرغبون فيه وأنّ المخلوقات الأقلّ مرتبة منهم عليها أن تمتثل لرغباتهم.

– كيف عرف هنري دراموند أنّك تحاول منع كينفارا من الاحتفاظ بالقلادة؟ فقد أخبر كورموران أنّك ذهبت إلى منزل تشيزيل لأسباب نبيلة.

ضحك رفاييل.

– بانت الحقيقة بالفعل، أليس كذلك؟ نعم، يبدو أنّ كينفارا تركت رسالة لهنري قبل يوم من وفاة أبي، تسأله أين يمكن أن تحصل على تقييم للقلادة.

– هل هذا هو سبب اتّصاله بوالدك في ذلك الصباح؟

– تمامًا. اتّصل ليعلمه ما تخطّط له.

– لماذا لم تخبر الشرطة بهذا كلّه؟

– لأنّه بمجرّد أن يكتشف الآخرون أنّها تنوي بيع القلادة، ستتحوّل الأمور إلى حرب نووية. سينشب خلاف عظيم وستذهب العائلة إلى المحامين وتتوقع منّي أن أنضمّ إليها في القضاء على كينفارا، وفي الوقت نفسه ما زلت أعامَل كمواطن من الدرجة الثانية، كرجل توصيل، لعين، أنقل جميع اللوحات القديمة إلى دراموند في لندن وأسمع كم سيجني أبي منها، بدون أن يصلني فلس واحد. لن أتورط في فضيحة القلادة الكبرى، ولن ألعب لعبتهم اللعينة. كان يجب أن أقول لأبي أن يذهب إلى الجحيم، يوم اتصل بي هاتفيًا، لكنه لم يبد لي في حال جيدة، وأعتقد أنني أشفقت عليه، ما يثبت أنهم على حق، أنا لست بتشيزيل حقيقي.

انقطع نفسه. انضم إليهما زوجان في المطعم الآن. التفتت روبن إلى المرآة بينما كانت شقراء أنيقة ترمق رافاييل وهي تجلس مع رفيقها السمين وردي اللون.

سألها رافاييل:

– إذًا، لماذا تركت ماثيو؟

قالت روبن:

– خانني. لم تكن لديها طاقة للكذب.

– مع من؟

خيّل إليها أنّه يسعى إلى إعادة نوع من توازن القوى. ومهما كان مقدار الغضب والازدراء الذي أبداه خلال فورة غضبه حيال عائلته، فقد سمعت في كلامه مقدارًا كبيرًا من الألم أيضًا.

قالت روبن:

– مع صديقة له من الجامعة.

– كيف عرفت؟

– من قرط من الماس في سريرنا.

– حقًّا؟...

– حقًّا.

وشعرت بموجة مفاجئة من الاكتئاب والإرهاق بشأن الرحلة الطويلة التي ستقوم بها لتصل إلى تلك الأريكة الصلبة في ويمبلي. وهي لم تتصل بعد بوالدَيها لإخبارهما بما حدث.

قال رافاييل:

– لو كانت الظروف طبيعية، كنت حاولت مغازلتك. لكن ليس الآن. ليس الليلة، ربما بعد أسبوعين أو ثلاث... المشكلة هي أنني أنظر إليك، رفع سبابته، وأشار إليها أولًا، ثم إلى شخصية خيالية خلفها، وأرى رئيسك ذا الساق الواحدة يلوح فوق كتفك.

– هل من سبب معيّن يجعلك تشعر بالحاجة إلى ذكر أنّ له ساق واحدة؟

ابتسم رافاييل.

– تدافعين عنه، أليس كذلك؟

– كلا، أنا...

– لا بأس. إنّه يعجب إيزي أيضًا.

– أنا لم...

– تدافعين عن نفسك أيضًا.

قالت روبن نصف ضاحكة:

– بحق السماء.

وابتسم رافاييل.

– سأتناول جعة أخرى. وقال مشيرًا إلى كأسها التي لا تزال ممتلئةً حتى ثلثيها: اشربي هذا النبيذ، لماذا لا تشربين؟

عندما حصل على زجاجة أخرى، قال بابتسامة حاقدة:

– لطالما أحبّت إيزي الرجال الخشنين. هل لاحظت نظرة فيزي المشحونة إلى إيزي عندما ذُكر اسم جيمي نايت؟

– لاحظت ذلك بالفعل. ما كان السبب؟

قال رافاييل مبتسمًا:

– حفل عيد ميلاد فريدي الثامن عشر. حضر جيمي مع اثنين من رفاقه إلى الحفل، وإيزي... كيف أقول هذا بلباقة... فقدت شيئًا بوجوده.

فقالت روبن متفاجئة:

– آه...

– كانت في حالة سكر شديدة ودخلت القصّة ضمن الأسطورة العائلية. لم أكن موجودًا. كنت صغيرًا جدًا. كانت فيزي مندهشة من أنّ أختها أقامت علاقة مع ابن النجّار في أراضي العائلة لدرجة اعتقادها بأنّه يتمتّع بنوع من الجاذبية الجنسية الشيطانية الخارقة للطبيعة. لهذا السبب تعتقد أنّ كينفارا وقفت إلى جانبه قليلًا، عندما جاء يطلب المال.

قالت روبن بحدّة:

– ماذا؟ ومدّت يدها إلى دفتر ملاحظاتها مرّة أخرى، الذي سقط وأُغلِق.

قال رافاييل:

– لا تتحمّسي كثيرًا، ما زلت لا أعرف سبب ابتزازه لأبي، لم أعرف ذلك قطّ. لست فردًا كاملًا في العائلة، أتفهمين؟ فلا يمكن الوثوق بي تمامًا.

أخبرتكما كينفارا بهذا في تشيزيل هاوس، ألا تتذكّرين؟ كانت وحدها في المنزل، عندما جاء جيمي لأول مرّة. كان أبي في لندن مجدّدًا. ممّا جمعته من معلومات علمت أنّها عندما ناقشت هي وأبي الموضوع لأول مرّة، وجدت أنّ جيمي محقّ في طلبه. وتعتقد فيزي أنّ هذا يرجع إلى جاذبية جيمي الجنسية. هل تجدين أنّه يتمتّع بها فعلًا؟

قالت روبن دون مبالاة فيما كانت تدوّن الملاحظات:

– أفترض أنّ البعض يعتقدون ذلك. رأت كينفارا أنّ على والدك أن يدفع لجيمي ماله، أليس كذلك؟

– ممّا فهمته، لم يضع جيمي الأمر في خانة الابتزاز في البدء، فرأت أنّ مطالبه مشروعة وقالت إنّ عليه أن يمنحه شيئًا.

– متى كان هذا، أتعلم؟

قال رافاييل وهو يهز رأسه:

– لا أعرف. أعتقد أنّني كنت في السجن في ذلك الوقت. كانت لديّ أمور أخرى أقلق بشأنها.

قال للمرّة الثانية:

– خمّني، كم مرّة سألوني كيف كان الوضع في السجن؟

أجابته روبن بحذر:

– لا أعرف.

– فيزي لم تسأل إطلاقًا. أبي، أبدًا...

– قلت إنّ إيزي زارتك.

اعترف ورفع زجاجته يشرب في صحّة أخته:

– أجل. أجل، فعلت، باركها الله. أمّا توركس فرمى دعابة قائلًا إنّه ليس من مصلحتي أن أنحني في الحمّام. وأضاف بابتسامة قاسية: فقلت لا بدّ أنّه يعرف هذه الأمور كلّها، لا سيّما وأنّ صديقه العجوز كريستوفر يمرّر يده بين سيقان الشبّان في المكتب. وتبيّن أنّ الأمر خطير عندما يحاول مُدان عجوز مشعر أن يقوم به، لكنّه أمر سخيف عندما يكون متعلّقًا بتلاميذ المدارس العامّة.

نظر إلى روبن: «أفترض أنّك تعرفين الآن لماذا كان أبي يسخر من ذلك الرجل المسكين أمير؟».

اومأت برأسها.

أضاف رافاييل مقلّبًا عينيه بتململ:

– ما جعل كينفارا تعتقد أنّه دافع للقتل. هذا إسقاط، إسقاط/مطلق كلّهم يقومون بذلك. تعتقد كينفارا أنّ أمير قتل أبي، لأنّ أبي عامله بقسوة في غرفة مليئة بالناس. كان يجب أن تسمعي بعض ما كان أبي يقوله لكينفارا في النهاية.

وتعتقد فيزي أنّ جيمي نايت ربّما فعل ذلك لأنّه كان غاضبًا بشأن المال. هي غاضبة للغاية لأنّ ثروة الأسرة تبدّدت، لكنّها لا تستطيع أن تنبس بكلمة، لأنّ زوجها هو أحد أسباب نفادها.

وتعتقد إيزي أنّ كينفارا قتلت أبي لأنّ كينفارا شعرت بأنّها غير محبوبة ومهمّشة ويمكن الاستغناء عنها. أبي لم يشكر إيزي قطّ على أيّ شيء فعلته من أجله، ولم يأبه عندما قالت إنّها ستغادر. أتفهمين الوضع؟ لا يملكون الشجاعة ليقولوا إنّهم شعروا برغبة في قتله في وقت من الأوقات، والآن بعد موته، يُسقطون ذلك على شخص آخر... ولهذا السبب، لا يتحدّث أيّ منهم عن غيرنيت وين. يحصل على حماية مضاعفة، لأنّ فريدي القدّيس كان سبب ضغينة وين الكبيرة. من الواضح جدًّا لهم أنّ لديه دافعًا حقيقيًا، لكن لا يُفترض بنا أن نذكر ذلك.

قالت روبن بعد أن جهّزت قلمها:

– هيّا. اذكر ذلك.

– لا، انسي الأمر، ما كان يجب أن...

– لا أعتقد أنّك تقول الكثير عرَضًا، يا راف. تكلّم.

ضحك وقال:

– أحاول التوقف عن الإساءة إلى أشخاص لا يستحقون ذلك. هذا كله جزء من مشروع الخلاص العظيم.

– من الذي لا يستحق ذلك؟

– فرانشيسكا، الفتاة الشابّة – تعلمين – في المعرض. هي التي أخبرتني. لقد علمت بالأمر من أختها الكبرى، فيريتي.

كرّرت روبن:

– فيريتي.

وعلى الرغم من أنّها كانت محرومة من النوم، حاولت جاهدة أن تتذكر أين سمعت هذا الاسم. كان الاسم شبيهًا جدًّا بـ«فينيسيا» بالطبع... ثمّ تذكّرت.

قالت عابسة محاولة التذكر:

– مهلًا. كانت هناك فتاة تُدعى فيريتي في فريق المبارزة مع فريدي وريانون وين.

قال رافاييل:

– أصبتِ!

قالت روبن بسأم:

– كلكّم تعرفون بعضكم بعضًا، مردّدة صدى أفكار سترايك عن غير قصد عندما بدأت الكتابة مرّة أخرى.

– هذه المتعة في نظام المدارس العامّة. في لندن، إن كنت ثريّة، فستقابلين الأشخاص الثلاثمئة نفسهم في كلّ مكان تذهبين إليه. أجل، عندما وصلت لأول مرّة إلى معرض دراموند، لم تستطع فرانشيسكا الانتظار لتخبرني أنّ أختها الكبرى واعدت فريدي في الماضي. أظنّ أنّها اعتقدت أنَ هذا جعل لكلينا قدرًا واحدًا، أو شيئًا من هذا القبيل.

وأكمل رافاييل: لكن عندما أدركت أنّني أعتقد أنّ فريدي كان سافلًا، غيّرت مسارها وأخبرتني بقصّة سيّئة.

على ما يبدو، في حفل الثامنة عشرة، قرّر فريدي وفيريتي واثنان آخران معاقبة ريانون لأنّها تجرّأت على احتلال مكان فيريتي في فريق المبارزة. اعتبروها – أظنّ – أقرب إلى عامة الناس، إلى أهل ويلش؛ لذلك وضعوا مخدّرًا في شرابها، للمزاح فقط. نوع من الأمور التي تحصل في مسكن التلاميذ، كما تعلمين.

لكنّها لم تتفاعل جيّدًا مع الفودكا القويّة، أو ربّما، من وجهة نظرهم، كان ردّ فعلها جيّدًا جدًا. على أيّ حال، تمكّنوا من التقاط بعض الصور الجميلة لها، ليتناقلوها فيما بينهم... كان الإنترنت في أيامه الأولى. في أيّامنا هذه، أفترض أنّ نصف مليون شخص كانوا قد شاهدوا الصور في الساعات الأربع

والعشرين الأولى، لكنّ ريانون كان عليها فقط أن تتحمّل فريق المبارزة بأكمله ومعظم رفاق فريدي يشمتون بها.

وأكمل رافاييل: على أيّ حال، بعد حوالي شهر، انتحرت ريانون.

قالت روبن بصوت خافت:

– يا للهول!

– أجل. بعد أن أخبرتني فراني الصغيرة القصّة، سألت إيزي عنها. فاستاءت للغاية وطلبت إليّ ألّا أكرّرها أبدًا... لكنّها لم تنكر الأمر. سمعت الكثير من الهراء مثل: «لا أحد يقتل نفسه بسبب مزحة سخيفة في حفل» وطلبت إليّ ألّا أتكلّم عن فريدي بهذه الطريقة، فهذا سيفطر قلب أبي... لكن لا قلب للموتى حتى ينفطر، أليس كذلك؟ وأعتقد أنّ الوقت حان ليطفئ أحد هالة قدسية فريدي الأبدية. فلو لم يولد في عائلة تشيزيل لكان اللقيط انتهى في سجن الأحداث. لكنني أفترض أنّك ستقولين إنّه لا يحق لي أن أتكلّم بعد ما فعلته.

قالت روبن بلطف:

– لا. ليس هذا ما كنت سأقوله.

تلاشى التعبير المشاغب على وجهه. ونظر إلى ساعته.

– أنا مضطر إلى الرحيل. يجب أن أكون في مكان آخر في الساعة التاسعة.

رفعت روبن يدها لتطلب الفاتورة. عندما التفتت مجدّدًا إلى رافاييل، رأت عينيه تتحركان بطريقة روتينية مراقبتَين النساء الأخريات في المطعم، وفي المرآة رأت كيف حاولت الشقراء أن تلفت انتباهه.

قالت له وهي تسلّم بطاقتها الائتمانية إلى النادلة:

– يمكنك الذهاب. لا أريد تأخيرك.

– لا، سأرافقك إلى الخارج.

بينما كانت لا تزال تضع بطاقتها الائتمانية في حقيبة يدها، التقط معطفها وحمله لها.

– شكرًا.

– لا شكر على واجب.

عندما وصلا إلى الرصيف، نادى سيّارة أجرة.

وقال:

– خذيها. أرغب في المشي لتصفية ذهني. أشعر كأنّني خارج من جلسة علاج سيّئة.

– لا، لا بأس.

فهي لم ترغب في تحميل سترايك نفقة سيّارة أجرة طوال طريق العودة إلى ويمبلي.

– سأركب مترو الأنفاق. تصبح على خير.

– تصبحين على خير، فينيسيا.

ركب رافاييل سيّارة الأجرة، التي ابتعدت، وشدّت روبن معطفها بإحكام أكبر حول نفسها بينما سارت في الاتّجاه المعاكس. كانت المقابلة فوضوية، لكنّها حصلت على أكثر بكثير ممّا توقّعته من رافاييل. أخرجت جوّالها مجدّدًا من حقيبتها، واتّصلت بسترايك.

59

نلائم بعضنا البعض...

هنريك إبسن، روسميرشولم

عندما رأى أنّ روبن تتّصل به، وضع سترايك، الذي أخذ دفتر ملاحظاته إلى توتنهام لتناول مشروب، الدفتر في جيبه، وشرب ما بقي من نصف لتر جعته جرعة واحدة وأجاب على الاتّصال في الشارع. الفوضى التي أحدثتها أعمال البناء في الجزء العلوي من شارع توتنهام كورت – القناة المليئة بالحطام حيث كان الشارع، السور المحمول والحواجز البلاستيكية، والممرّات والألواح الخشبية التي مكّنت عشرات الآلاف من الناس من الاستمرار في المرور عبر التقاطع المزدحم – أصبحت مألوفة لديه الآن حتى أنّه بالكاد لاحظها. لم يخرج من أجل المنظر، بل لتدخين سيجارة، ودخّن اثنتين بينما نقلت له روبن كلّ ما قاله لها رافاييل.

بمجرّد انتهاء الاتصال، أعاد سترايك جوّاله إلى جيبه وأشعل سيجارة ثالثة بطرف السيجارة الثانية شارد الذهن وبقي واقفًا هناك، يفكّر بعمق في كلّ ما قالته مجبرًا المارّة على الالتفاف من حوله.

أثار اهتمام المحقّق أمران ممّا أخبرته به. بعدما أنهى سيجارته الثالثة وألقى بها في الهاوية المفتوحة على الطريق، عاد إلى داخل الحانة وطلب نصف لتر آخر من الجعة. كانت مجموعة من الطلّاب قد احتلّت طاولته الآن،

فتوجّه إلى الخلف، حيث اصطفّت مقاعد مرتفعة تحت قبّة من الزجاج الملوّن أبهت ظلام الليل ألوانها. هنا، أخرج سترايك دفتر ملاحظاته مجدّدًا وأعاد فحص قائمة الأسماء التي انكبّ عليها في الساعات الأولى من يوم الأحد، بينما كان يسعى لإلهاء نفسه عن التفكير في شارلوت. نظر إليها مرّة أخرى كأنّه يعرف أن ثمّة أمر مخفيّ بين سطورها، وقلّب بضع صفحات لإعادة قراءة الملاحظات التي كتبها عن مقابلته مع ديلا.

لا بدّ أنّ حجم سترايك الكبير، وظهره الحدب، وعدم تحركه، باستثناء عينيه اللتين تجولان على الخطوط التي خربشها في منزل المرأة العمياء، أخاف من دون قصد رحّالَين خجولَين أرادا أن يسألاه إن كان بإمكانهما مشاركته طاولته والجلوس قليلًا ليريحا أقدامهما المتقرّحة. خشيا عواقب تشتيت تركيزه شبه الملموس، فتراجعا قبل أن يلاحظهما.

عاد سترايك إلى قائمة الأسماء. متزوّجون، عشّاق، شركاء تجاريون، أشقّاء.

أزواج.

واستمرّ في تقليب الصفحات رجوعًا إلى الوراء للعثور على الملاحظات التي كتبها أثناء المقابلة مع أوليفر، الذي أعلمهما بنتائج المختبر الشرعي. جريمة قتل بجزأين: الأميتريبتيلين والهيليوم، وكلّ منهما قد يكون مميتًا بمفرده، غير أنّهما استُخدما معًا.

أزواج.

ضحيّتان، قُتلت الأولى قبل عشرين سنة من الثانية، طفلة مخنوقة ووزير حكومي مختنق، دُفنت الأولى في أرض الثاني.

أزواج.

فتح سترايك بعناية صفحة فارغة ودوّن ملاحظة جديدة لنفسه:

فرانشيسكا - تأكيد القصّة.

60

... يجب عليك حقًا أن تشرح لمَ يهمّك هذا
الأمر – هذا الاحتمال – إلى هذا الحدّ.

هنريك إبسن، روسميرشولم

في صباح اليوم التالي، ظهر بيان رسمي مصوغ بعناية عن جاسبر تشيزيل في جميع الصحف. إلى جانب بقيّة الجمهور البريطاني، علم سترايك خلال تناوله الفطور أنّ السلطات خلصت إلى عدم تورّط أيّ جهة أجنبية أو منظمة إرهابية في وفاة وزير الثقافة المفاجئة، لكن لم يتم التوصل إلى استنتاج آخر بعد. استُقبلت الأخبار التي تفيد بعدم وجود أخبار جديدة بعدم الاهتمام على شبكة الإنترنت. كانت صناديق البريد المحلية لدى الفائزين بالألعاب الأولمبية البريطانيين لا تزال مطليّة باللون الذهبي، والجمهور يستمتع بوهج الميداليات التي نالوها، وتتركّز حماسته الرياضية التي لم تُستنفد بعد بأكملها على اقتراب بدء الألعاب البارالمبية. حُفظت وفاة تشيزيل في الأذهان الشعبية على أنّها انتحار غامض لا يمكن تفسيره، لأحد أعضاء حزب المحافظين الأثرياء.

حرصًا على معرفة ما إن كان هذا البيان الرسمي يشير إلى أنّ تحقيق شرطة المدينة يوشك على الانتهاء، اتّصل سترايك بواردل لمعرفة ما كان في جعبته من معلومات.

لسوء الحظ، لم يكن الشرطي على دراية بالأمر أكثر من سترايك نفسه. أضاف واردل، ببعض الانزعاج، أنّه لم يحصل على يوم عطلة واحد خلال ثلاثة أسابيع، وأنّ المراقبة الأمنية في العاصمة بينما كانت المدينة ترزح تحت وطأة ملايين الزوّار الإضافيين، كانت معقّدة ومرهقة إلى حدّ يتخطّى قدرة سترايك على تصوّرها، وأنّه لم يتسنّ له الوقت لمعرفة ما توصّل إليه التحقيق بشأن الأمور لا علاقة لها بالموضوع من أجل سترايك.

قال سترايك بدون تأثر:

– لا بأس. كنت أسأل فقط. انقل سلامي إلى أبريل.

قال واردل قبل أن يتمكّن سترايك من إقفال الخط:

– بالمناسبة... أرادت منّي أن أسألك ما الذي تنوي أن تفعله مع لوريلي.

– من الأفضل أن أتركك تذهب يا واردل، فالبلد بحاجة إليك. وأقفل الخط على صوت الضحكة التي أطلقها الشرطي على مضض.

في غياب المعلومات المتعلقة باتّصالاته بالشرطة، وعدم وجود صفة رسمية لتأمين المقابلات التي يريدها، شعر سترايك بالإحباط المؤقّت في نقطة حاسمة من القضيّة، وهو إحباط لم تهوّنه أُلفته.

علم بعدما أجرى بضعة اتّصالات هاتفية بعد الفطور أن فرانشيسكا بولهام، زميلة رافاييل وعشيقته في وقت ما في معرض دراموند، لا تزال تدرس في فلورنسا، حيث أُرسلت لإبعادها عن نفوذه الخبيث، وأنّ والدَي فرانشيسكا يقضيان حاليًا عطلة في سريلانكا. ورفضت مدبّرة منزل بولهام، وهي الشخص الوحيد المرتبط بالعائلة التي تمكّن سترايك من التكلّم معها، رفضًا قاطعًا أن تعطيه أرقام هاتف أيّ منهم. ومن خلال ردّ فعلها، خمّن أنّ أفراد عائلة بولهام قد يكونون من النوع الذي يهرع إلى المحامين لمجرّد فكرة اتّصال محقق خاصّ بمنزلهم.

بعد استنفاد جميع السبل الممكنة للاتّصال بعائلة بولهام التي كانت في عطلة، ترك سترايك طلبًا مهذّبًا لإجراء مقابلة على البريد الصوتي الخاصّ بغيرنيت وين، وهو الرابع الذي كان قد تركه له في ذلك الأسبوع، لكن اليوم

انتهى بدون أن يعاود وين الاتّصال به. لم يتمكّن سترايك من لومه. وشك في أنّه قد يرغب في المساعدة لو كان مكان وين.

لم يخبر سترايك روبن بعد أنّ لديه نظرية جديدة بشأن القضيّة. كانت مشغولة في شارع هارلي، تراقب الطبيب المتحايل، لكنّها اتّصلت بالمكتب يوم الأربعاء وأخبرته بالخبر المفرح الذي يفيد أنّها رتّبت مقابلة مع تيغان بوتشر يوم السبت في ميدان سباق نيوبري.

فقال سترايك: «ممتاز». وقد أبهجه احتمال العمل، وهو يخطو إلى المكتب الخارجي ليفتح خرائط غوغل على حاسوب روبن.

– حسنًا أعتقد أنّنا سنسهر طوال الليل. قابلي تيغان، ثمّ نتوجّه إلى ستيدا كوتادج عند حلول الظلام.

– كورموران، هل أنت جادّ بهذا الشأن؟ هل تريد حقًا أن تذهب للحفر في الوادي؟

قال سترايك بطريقة غامضة، فيما تفحّص الشوارع الفرعية على الشاشة:

– يبدو ما قلته وكأنّه أغنية أطفال. اسمعي، لا أعتقد أنّنا سنجد أيّ شيء هناك. في الواقع، اعتبارًا من البارحة، أنا واثق من ذلك.

– ماذا حدث البارحة؟

– خطرت لي فكرة. سأخبرك عندما أقابلك. اسمعي، وعدت بيلي بأن أكتشف الحقيقة بشأن الطفلة المخنوقة. وما من طريقة أخرى للتأكّد تمامًا من الأمر، هل هناك طريقة أخرى غير الحفر؟ لكن إن كنت تشعرين بعدم الارتياح، يمكنك البقاء في السيّارة.

– وماذا عن كينفارا؟ سنكون في أراضيها.

– لن ننبش أيّ شيء مهمّ. المنطقة بكاملها هي أرض بور مهملة. سأطلب من باركلي أن يقابلنا هناك بعد حلول الظلام. لا نفع كثيرًا لي في الحفر. هل سيوافق ماثيو على أن تخرجي للعمل ليلة السبت؟

قالت روبن: «لا بأس»، بنبرة غريبة جعلت سترايك يدرك أنّه لن يكون موافقًا على الإطلاق.

– وأنتِ لا تمانعين قيادة اللاند روفر؟

– هل من الممكن أن نأخذ سيّارتك البي أم بدلًا منها؟

– أفضّل عدم أخذ البي أم على هذا المسار المهجور المكسوّ بالنباتات. هل تشكو اللاند...؟

قاطعته روبن قائلة:

– كلّا. لا بأس، حسنًا، سنأخذ سيّارة اللاند روفر.

– رائع. كيف حال المتحايل؟

– إنّه يقوم بمعايناته. هل من أخبار عن أمير؟

– طلبت إلى آندي أن يحاول العثور على الأخت التي لا يزال على علاقة جيّدة بها.

– وماذا تفعل أنت؟

– قرأت للتوّ موقع «ريل سوشليست».

– لماذا؟

– يتكلّم جيمي كثيرًا عن نفسه على مدوّنته. الأماكن التي زارها والأشياء التي رآها. هل توافقين على الاستمرار في مراقبة المتحايل حتى يوم الجمعة؟

– في الواقع، كنت سأسألك إن كان بإمكاني أن آخذ إجازة يومَين لمعالجة بعض الأمور الشخصية.

قال سترايك متفاجئًا:

– أوه.

– لديّ موعدان أفضّل عدم تفويتهما.

لم يناسب سترايك أن يضطرّ إلى مراقبة الطبيب المتحايل بنفسه، ويعود ذلك جزئيًا إلى الألم المستمرّ في ساقه، لكنّ الأمر يعود أساسًا إلى رغبته في مواصلة العمل لتأكيد نظريته في قضيّة تشيزيل. كما أنّها لم تعطه المهلة الكافية مسبقًا لتطلب إجازة مدّتها يومان. من ناحية أخرى، أكّدت روبن لتوّها استعدادها للتضحية بعطلة نهاية الأسبوع للذهاب والحفر في وادٍ من المرجّح ألّا يجدوا شيئًا فيه.

– أجل، لا بأس. هل كلّ شيء بخير؟

– أجل، شكرًا. سأخبرك إذا حدث أيّ شيء مثير للاهتمام مع المتحايل. وإلّا يجب أن نغادر لندن الساعة الحادية عشرة يوم السبت.

– هل نلتقي أمام محطة بارون كورت مجدّدًا؟

– هل يمكنك أن تقابلني في محطة ملعب ومبلي الأولمبي؟ سيكون الأمر أسهل عليّ، لأنّني سأكون في الجوار ليلة الجمعة.

كان هذا أيضًا غير مريح: فهي رحلة لسترايك ستتضاعف مدّتها وتتضمّن تغيير مترو الأنفاق.

قال مرّة أخرى:

– أجل، حسنًا.

بعد أن أقفلت الخطّ، ظلّ جالسًا في كرسيّه لفترة من الوقت، يفكّر في محادثتهما.

كانت متكتّمة بشكل ملحوظ بشأن طبيعة الموعدَين المهمَّين لدرجة أنّها لم ترغب في تفويتهما. وتذكّر كيف بدا ماثيو غاضبًا جدًّا أثناء مكالمته مع روبن في المرّة السابقة، لمناقشة وظيفتها المسبّبة للضغوط وغير المستقرّة والخطيرة في بعض الأحيان. ثمّ إنّها بدت مرّتين تفتقر إلى الحماس بشكل واضح بشأن احتمال الحفر في الأرض الصلبة في أسفل الوادي، وطلبت الآن أن تقود سيّارة البي أم بدلًا من سيّارة اللاند روفر الشبيهة بالدبابة.

ونسي تقريبًا الشكوك التي ساورته منذ شهرَين في أنّ روبن ربّما تحاول الحمل. وتداعت إلى ذهنه صورة بطن شارلوت المنتفخ على مائدة العشاء. ليست روبن من النوع الذي قد يتخلّى عن طفله بُعيد ولادته. إن كانت روبن حاملًا...

أدرك سترايك، بمنطقه ومنهجيته المعتادَين، أنّه ينظّر انطلاقًا من بيانات شحيحة، ومع ذلك، تخيّل ماثيو، الأب المستقبلي، وهو يستمع إلى طلب روبن المتوتّر للحصول على إجازة لإجراء الفحوص الطبّية وهو يومئ بغضب إليها بأنّ الوقت قد حان للتوقّف، ولتيسير أمورها والعناية بنفسها بطريقة أفضل.

عاد سترايك إلى مدوّنة جيمي نايت، لكنّه احتاج إلى وقت أطول قليلًا من المعتاد لإعادة ضبط ذهنه المضطرب.

61

أوه، يمكنك إخباري. فأنا وأنت من هؤلاء الأصدقاء.

هنريك إبسن، روسميرشولم

أعطى مسافرو مترو الأنفاق سترايك مساحة أكبر بقليل ممّا كان ضروريًا صباح يوم السبت، حتى إنهم سمحوا له بأن يضع حقيبة أدواته جانبه. وقد سهل عليه عمومًا أن يشق طريقه بين الحشد، نظرًا لحجمه الضخم وشكله الشبيه بالملاكم، لكنّ الطريقة التي كان يتمتم بها ويلعن وهو يجاهد لصعود الدرج في محطّة ملعب ويمبلي – لأنّ المصاعد معطّلة – جعلت المارّة أكثر حرصًا على عدم دفعه أو إعاقته.

ويكمن السبب الرئيس لمزاج سترايك السيّئ في أنّه شاهد ميتش باترسون في ذلك الصباح من نافذة المكتب، وهو يجول في المدخل، مرتديًا بنطلون جينز وقلنسوة غير مناسبين لسنّه ولا لشكله. فغضب وارتبك لظهور المحقّق الخاصّ مجدّدًا، ولكن بما أنّه لا يستطيع أن يخرج من المبنى إلّا من الباب الأمامي، فقد طلب من سائق سيّارة الأجرة أن ينتظره في آخر الشارع، ولم يغادر المبنى إلّا عندما وصل ووقف ينتظره. كان تعبير باترسون سيضحكه عندما قال وهو يمرّ بالقرب منه: «صباح الخير يا ميتش» لولا أنّه يشعر بالإهانة من أنّ باترسون حسب أنّه قد لا ينتبه إليه أحد وهو يراقب الوكالة شخصيًا.

طوال الطريق إلى محطّة وارن ستريت، حيث طلب إلى سائق سيّارة الأجرة أن ينزله، كان سترايك في حالة تأهّب شديد، قلقًا من أن يكون وجود باترسون هناك إلهاءً أو خدعة، ليتمكّن شخص آخر يسهل عليه التخفّي من اقتفاء أثره. حتى الآن، بعد أن تسلّق لاهثًا الدرج في ويمبلي، استدار ليفحص المسافرين بحثًا عن الشخص الذي انحنى إلى الأسفل أو استدار أو أخفى وجهه على عجل. ولم يفعل أيّ منهم ذلك. عمومًا، خلص سترايك إلى أنّ باترسون كان يعمل بمفرده؛ وأنّه ربّما وقع ضحيّة افتقاره إلى القوى العاملة، وهي مشكلة مألوفة جدًّا لسترايك. وعلم أنّه إذا قبل باترسون بهذه المهمّة فلأنّ شخصًا ما دفع له مبلغًا كبيرًا.

رفع حقيبة أدواته على كتفه ليؤمّن عليها وانطلق نحو المخرج.

بعد التفكير مليًّا في المسألة خلال رحلته غير المريحة إلى ويمبلي، فكّر سترايك في ثلاثة أسباب لعودة باترسون إلى الظهور. الأول هو أنّ الصحافة سمعت ببعض التطوّرات الجديدة المثيرة للاهتمام في تحقيق الشرطة في قضيّة وفاة تشيزيل، وأنّ هذا دفع إحدى الصحف إلى إعادة توظيف باترسون، وأوكلت إليه مهمّة معرفة ما كان سترايك يقوم به ومدى معرفته عن تلك الوفاة.

الاحتمال الثاني هو أنّ شخصًا ما دفع لباترسون لاقتفاء أثر سترايك، على أمل إعاقة تحرّكاته أو عمله. ويشير ذلك إلى أنّ موكّل باترسون كان شخصًا يتحرّى عنه حاليًا، وفي هذه الحال، كان أداء باترسون للمهمّة بنفسه أمرًا منطقيًا إذ إنّ الهدف اقتصر على زعزعة استقرار سترايك من خلال إخباره بأنّه مراقب.

أمّا السبب الثالث المحتمل لتجدّد اهتمام باترسون به فهو أكثر الأسباب إزعاجًا لسترايك، لأنّه شعر بأنّ من المرجّح أن يكون السبب الحقيقي. وبات يعرف الآن أنّه قد رُصد في مطعم فرانكو مع شارلوت. كانت مخبرته هي إيزي، التي اتّصلت به على أمل أن يوضح لها تفاصيل النظرية التي لم يخبرها لأحد بعد.

صرخت قبل أن يتمكّن من طرح سؤال:

– إذًا، سمعت أنّك تناولت العشاء مع شارلوت!

– لم نتناول العشاء. جلست معها لمدّة عشرين دقيقة لأنّها كانت تشعر بتوعّك ثمّ رحلت.

قالت إيزي التي بردت حماستها بسبب نبرة صوته:

– أوه... آسفة. لم أقصد التطفّل، كان رودي فوربز في مطعم فرانكو وقد رآكما...

إن كان رودي فوربز، أيًّا كان، ينشر في جميع أنحاء لندن أنّ سترايك أخذ خطيبته السابقة الحامل والمتزوّجة لتناول العشاء أثناء وجود زوجها في نيويورك، فإنّ الصحف الشعبية ستهتمّ بالأمر بالتأكيد، لأنّ خبر أفعال شارلوت المتمرّدة، الجميلة والأرستقراطية، قد تدرّ عليها أموالًا كثيرة. فقد لوّن اسمها أعمدة الإشاعات منذ أن كانت في السادسة عشرة من عمرها، وكانت محنها المختلفة – هروبها من المدرسة، وإعادة تأهيلها في العيادات النفسية – موثّقة جيّدًا. كذلك فمن المحتمل أيضًا أن يكون جاغو روس هو من كلّف بيترسون بالمراقبة، وهو قادر بالتأكيد على تحمّل تكاليفها. وإذا نتج عن مراقبة تحرّكات زوجة روس أثرٌ جانبيٌّ كتدمير أعمال سترايك، فما من شكّ في أنّه سيعتبر ذلك مكافأة إضافية.

رأت روبن، التي جلست على بعد مسافة قصيرة من المحطّة في اللاند روفر، سترايك وهو يخرج إلى الرصيف، حاملًا حقيبة أدواته على كتفه، وأدركت أنّه بدا في مزاج سيّئ أكثر من أيّ وقت مضى. أشعل سيجارة، وجال بنظره على الشارع حتى شاهد سيّارة اللاند روفر في نهاية سلسلة من السيّارات المتوقفة وبدأ يعرج نحوها دون أن يبتسم. لم تستطع روبن، التي كان مزاجها متعكّرًا على نحو خطير، إلّا أن تفترض أنّه كان غاضبًا من الاضطرار إلى القيام برحلة طويلة إلى ويمبلي وهو يحمل حقيبة بدت ثقيلة فيما ساقه تؤلمه.

كانت قد استيقظت في الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم، ولم تستطع أن تغفو مجدّدًا، محصورة وغير مرتاحة على أريكة فانيسا الصلبة، تفكّر في مستقبلها، وفي الشجار الذي دار بينها وبين والدتها عبر الهاتف. اتّصل ماثيو بالمنزل في ماشام، محاولًا التواصل معها، ولم تقلق ليندا قلقًا شديدًا فحسب، بل غضبت لأنّ روبن لم تخبرها بما حدث أولًا.

– أين تقيمين؟ مع سترايك؟

– بالطبع لا أقيم مع سترايك، لماذا قد أفعل ذلك؟

– أين إذًا؟

– عند صديقة.

– من؟ لماذا لم تخبرينا؟ ماذا ستفعلين؟ أريد أن آتي إلى لندن لأراك!

صرّت روبن أسنانها قائلة:

– أرجوك لا تفعلي.

شعرت روبن بالذنب حيال نفقات الزفاف التي وضعتها هي وماثيو على عاتق والديها، ولأنّهما سيُحرجان عندما يُضطرّان إلى إخبار أصدقائهما أنّ زواجها انتهى بالكاد بعد عام من بدئه، هذا عبء ثقيل عليها، لكنّها لم تستطع تحمّل أن تأتي ليندا لتلحّ عليها وتحاول إقناعها بالعودة إلى يوكشار، وتعاملها كما لو كانت ضعيفة ومدمّرة. آخر ما تحتاج إليه في الوقت الحالي هو أن تقترح عليها أمّها أن ترجع إلى يوركشاير، لتعود إلى غرفة النوم التي شهدت بعضًا من أسوأ الأوقات في حياتها.

بعد يومَين من مشاهدة العديد من المنازل المكتظّة بالسكّان، قدّمت روبن دفعة مسبقة لغرفة تخزين في منزل في كيلبورن، حيث سيكون لديها خمسة رفاق سكن آخرين، وستتمكّن من الانتقال إليها في الأسبوع التالي. كلّما فكّرت في المكان، اضطربت معدتها من الخوف والبؤس. هي في سنّ الثامنة والعشرين تقريبًا، ستكون أكبر رفيقة سكن في المنزل. في محاولة لاسترضاء سترايك، خرجت من السيّارة وعرضت عليه مساعدته في حقيبة الأدوات، لكنّه قال لها بتوتّر إنّه قادر على تدبّر أمره. عندما اصطدم القماش بأرضية اللاند روفر المعدنية، سمعت أصواتًا عالية لأدوات معدنية ثقيلة وشعرت بتشنّج وتوتّر في معدتها.

ألقى سترايك نظرة سريعة على مظهر روبن، وازدادت أسوأ شكوكه. بدت له شاحبة، مع هالات سوداء تحت عينيها، كما بدت منتفخة الوجه ومتعبة، وبدا أنّها فقدت بعض الوزن في الأيام القليلة منذ أن رآها آخر مرّة. دخلت زوجة صديقه القديم في الجيش غراهام هارداكري المستشفى في المراحل

الأولى حملها بسبب تقيّئها المستمرّ. ربّما كان أحد موعدَي روبن المهمَّين لمعالجة هذه المشكلة. سأل سترايك روبن بخشونة، وهو يربط حزام الأمان:

– هل أنت بخير؟

– لا بأس، شعرت أنّها المرّة الألف التي تعطيه فيها هذا الجواب، واعتبرت لهجته القاسية تعبيرًا عن انزعاجه من رحلته الطويلة في مترو الأنفاق.

انطلقا من لندن بصمت. أخيرًا، عندما وصلا إلى الطريق م 40، قال سترايك:

– ظهر باترسون مجدّدًا. كان يراقب المكتب هذا الصباح.

– أنت تمزح!

– هل من أحد يراقب منزلك؟

قالت روبن بعد تردّد غير ملحوظ:

– ليس على حدّ علمي. ربّما هذا سبب اتّصال ماثيو بها، عندما اتّصل بمنزل والدَيها في ماشام.

– ألم تواجهي مشكلة في الخروج هذا الصباح؟

فأجابت روبن، بصراحة:

– لا.

في الأيّام التي انقضت منذ رحيلها، تخيّلت أنّها تخبر سترايك بأنّ زواجها قد انتهى، لكنّها لم تتمكّن بعد من العثور على الكلمات التي تسمح لها بأن تخبره بالهدوء المطلوب. وأحبطها ذلك، فكّرت بينها وبين نفسها أنّها من المفترض أن تتمكّن من القيام بذلك بسهولة. فهو الصديق والزميل الذي وقف إلى جانبها عندما ألغت حفل الزفاف وهو يعلم بخيانة ماثيو السابقة مع سارة. وافترضت أنّها يجب أن تكون قادرة على إخباره بالأمر بشكل عرضي في منتصف الحديث، كما فعلت مع رافاييل.

لكنّ المشكلة هي أنّه في المناسبات النادرة التي تشاركت فيها هي وسترايك معلومات عن حياتهما العاطفية، كان أحدهما ثملًا على الأقلّ. وبخلاف ذلك، تكتّم كلّ منهما في هذه الأمور، على الرغم من اقتناع ماثيو الناتج عن ارتيابه الحادّ بأنّهما يمضيان معظم ساعات عملهما في المغازلة.

لكن كانت هناك أسباب أخرى غير ذلك. فسترايك هو الرجل الذي احتضنته على الدرج في حفل زفافها، الرجل الذي تخيّلت أنّها قد تترك زوجها من أجله قبل اكتمال الزواج، الرجل الذي أمضت من أجله ليالي شهر العسل تحفر أخدودًا في الرمال البيضاء وهي تسير بمفردها على الشاطئ متسائلة عمّا إن كانت تحبّه. كانت خائفة من أن تفضح نفسها، خائفة من الكشف عمّا فكرت فيه وشعرت به، لأنّها واثقة بأنّه إن كان لديه أدنى شكّ في ما شكّله من عامل تخريبي، في بداية زواجها ونهايته، من المؤكّد أنّ ذلك سيلوّث علاقة العمل بينهما، كذلك من المؤكد أنّها ستخسر وظيفتها لو علم بنوبات الهلع التي تنتابها.

لا، يجب أن تبدو مثله تمامًا: رزينة وقادرة على التحمّل، وقادرة على امتصاص الصدمات والسير قدمًا، ومستعدّة لمواجهة كلّ ما ترميها به الحياة، حتى ما يكمن في قاع الوادي، بدون أن تجفل أو تتراجع.

سألته:

– إذًا، ما الذي يخطّط له باترسون؟

– سنعرف مع الوقت. هل سار موعداك على ما يُرام؟

– أجل. ولتصرف انتباهها عن غرفتها المستأجرة الصغيرة الجديدة، والطالبَين العشيقَين اللذين رافقاها ليرياها المنزل، فيما رمقا بعضهما البعض بنظرات جانبية بشأن المرأة البالغة التي كانت ستقيم معهما، قالت: ستجد البسكويت في الحقيبة هناك. لا شاي، آسفة، لكن يمكننا التوقّف إذا أردت.

بقي التيرموس في شارع ألبوري، وهي أحد الأشياء التي نسيت أن تأخذها عندما تسلّلت إلى المنزل بينما كان ماثيو في عمله.

قال سترايك بلهجة خالية من الحماس:

– شكرًا. وتساءل عمّا إن كانت عودة الوجبات الخفيفة إلى الظهور، على الرغم من حميته المعلنة، دليلًا آخر على حمل شريكته.

رنّ هاتف روبن في جيبها. وتجاهلته. كانت قد تلقّت مرّتين في ذلك الصباح اتّصالًا من الرقم المجهول نفسه وخشيت أن يكون المتّصل ماثيو الذي اكتشف أنّها حجبت اتصالاته فاستعار هاتفًا آخر.

سألها سترايك:

– هل تريدين الردّ على الاتّصال؟ وهو يراقب وجهها الشاحب.

– ... ليس أثناء القيادة.

– يمكنني الردّ عليه، إذا أردتِ.

قالت بسرعة:

– لا.

توقّف الهاتف عن الرنين، لكنّه سرعان ما بدأ يرنّ مجدّدًا. أخرجت روبن الهاتف من سترتها وهي مقتنعة بأنّ المتّصل هو ماثيو وقالت:

– أعتقد أنّني أعرف من المتّصل، ولا أريد التحدّث إليه الآن. هل يمكنك أن تكتم صوته بمجرّد أن يتوقّف الهاتف عن الرنين؟

أخذ سترايك الجوّال.

– الاتّصال محوّل من رقم المكتب. سأشغّله على مكبّر الصوت، قال سترايك محاولًا مساعدتها، فسيّارة اللاند روفر القديمة لم تكن مزوّدة بجهاز تدفئة، فما بالك بالبلوتوث. فعل ذلك، ممسكًا الجوّال بالقرب من فمها، حتى يُسمع صوتها مع ضجيج محرّك السيّارة وهديره.

– مرحبًا، روبن هنا. من المتكلم؟

– روبن؟ ألا تقصدين فينيسيا؟ قال صوت بلكنة أهل ويلش.

قالت روبن من دون أن يفارق ناظراها الطريق:

– هل هذا السيّد وين؟ فيما حمل سترايك الهاتف بثبات من أجلها.

– نعم، أيّتها السافلة، أنا هو.

تبادل روبن وسترايك نظرات مذهولة. اختفى وين المتملّق والخنوع الحريص على إثارة الإعجاب والإبهار.

– حصلت على ما كنت تريدينه، أليس كذلك؟ عندما كنت تتسكّعين في ذلك الممرّ وتلصقين ثدييك حيث لم يكن مرغوبًا فيهما، «أوه، سيّد وين...» وأخذ يقلّدها كما كان يفعل ماثيو، بنبرة عالية حمقاء... «أوه، ساعدني، سيّد وين، هل يجب أن أقوم بالأعمال الخيرية أم أن أدخل في السياسة، دعني

أنحني قليلًا فوق المكتب، سيّد وين». كم عدد الرجال الذين أوقعتهم في شراكك بهذه الطريقة، إلى أيّ مدى تذهبين...؟

سألت روبن بصوت عالٍ وهي تتكلّم فيما هو يتكلم:

– هل لديك ما تخبرني إيّاه يا سيّد وين؟ لأنّك إذا اتّصلت لإهانتي...

صرخ وين:

– لديّ الكثير لأخبرك إيّاه، الكثير من الأمور اللعينة. سوف تدفعين الثمن يا آنسة إلكوت، على ما فعلته بي، ستدفعين ثمن الضرر الذي سبّبته لي ولزوجتي، لن تنفذي بهذه السهولة، لقد انتهكت القانون في هذا المكتب وسأجرّك إلى المحكمة، أتفهمين؟ وأصبح شبه هستيري. سنرى كيف تعمل حيلك على القاضي! ياقة منخفضة و«أوه، أشعر بالحرّ الشديد...».

بدا كأنّ ضوءًا أبيض ظهر على مرمى عين روبن، بحيث أصبحت الطريق أمامها تشبه النفق.

صرخت:

– لا! ورفعت يديها عن عجلة القيادة قبل أن تضربهما بقوّة مرّة أخرى، وذراعاها ترتعشان. إنّها الـ«لا» نفسها التي صرختها في وجه ماثيو، «لا» تحتوي على قدر من القوّة والعنف جعلت غيرنيت وين يصمت بالطريقة نفسها تمامًا.

– لم يجبرك أحد على مداعبة شعري والتربيت على ظهري والتحديق في صدري يا سيّد وين، لم يكن هذا ما أردته أنا على الرغم من أنّني متأكدة من أنّ اعتقاد ذلك يثير...

قال سترايك:

– روبن!

لكنّ تأثيره فيها لم يتجاوز تأثير ضجيج هيكل السيّارة القديم، كما تجاهلت أيضًا مداخلة غيرنيت المفاجئة:

– من غيرك هناك؟ هل هذا أنت يا سترايك؟

– أنت سافل يا سيّد وين، أنت إنسان سافل سرق من مؤسّسة خيرية، ولست سعيدة فقط لأنّني حصلت على معلومات تدينك، بل سأكون أكثر

سعادة بإخبار الجميع أنّك تستعمل صور ابنتك الميتة لتحاول أن تنظر عبر قمصان الشابّات...

لهث وين:

– كيف تجرئين! أليس هناك حد... أنت تجرئين على ذكر ريانون... سيظهر كلّ شيء، عائلة صامويل موراب...

صاحت روبن:

– تبًّا لك ولضغائنك اللعينة! أنت لصّ منحرف.

بينما كانت روبن بالكاد تعي ما تفعله، وتواصل إلقاء الشتائم على وين من بعيد، صرخ سترايك في الجوّال:

– إن كان لديك أيّ شيء آخر تقوله، أقترح عليك كتابته يا سيّد وين.

أنهى الاتّصال بضغطة زر، وأمسك بعجلة القيادة لأنّ روبن تركتها مجدّدًا لتلوّح بيديها. قال سترايك:

– اللعنة! توقفي على جانب الطريق، توقفي الآن!

أطاعته روبن تلقائيًا، وقد أخذ الأدرينالين منها مأخذ الكحول، وعندما توقّفت سيّارة اللاند روفر، فكّت حزام مقعدها وخرجت إلى كتف الطريق فيما كانت السيّارات العابرة تئزّ على الطريق العام. تعثّرت في مشيها بالكاد تدرك ما تفعله، ابتعدت عن اللاند روفر، وانهمرت دموع الغضب على وجنتيها، في محاولة للهروب من نوبة الهلع التي باتت الآن على وشك التغلّب عليها، لأنّها أبعدت، من دون رجعة، رجلًا قد يحتاجان التحدّث إليه، وقد بدأ يتحدّث عن الانتقام، وربّما كان هو من يدفع لباترسون...

– روبن!

وفكّرت: الآن سيعتقد سترايك أيضًا أنّها إنسانة متهرّبة، وحمقاء مختلة لا ينبغي لها أن تتولّى هذا النوع من العمل، إذ إنّها تهرب عندما تتعقّد الأمور. وهذا ما جعلها تلتفّ لمواجهته بينما كان يعرج خلفها، ومسحت وجهها بقوة بكمّها وقالت، قبل أن ينبس ببنت شفة:

– أعلم أنّه ما كان يجب أن أفقد أعصابي، أعلم أنّني أخطأت، أنا آسفة.

ضاع جوابه في موجة تدفق الدم الصاخب داخل أذنها، وانتابتها نوبة الهلع الآن وكأنّها كانت تنتظر توقّفها عن الركض. أصيبت بالدوار، ولم تعد قادرة على ترتيب أفكارها، فانهارت على حافة الطريق، ودخلت الأعشاب الجافّة متشابكةً في سروالها الجينز، فأغمضت عينيها ووضعت رأسها بين يديها، محاولة أن تتنفّس بهدوء لترجع إلى حالتها الطبيعية فيما تمرّ السيّارات مسرعة بالقرب منها.

لم تعرف إن كانت قد مضت دقيقة أم عشر دقائق، ولكنّ نبضها تباطأ أخيرًا، وانتظمت أفكارها وتلاشى الهلع، ليحلّ محلّه شعور بالعار. انفضح أمرها بعد كلّ ادّعاءاتها أنّها قادرة على التحمّل والتأقلم.

وصلت إليها نفحة من دخان سيجارة. ففتحت عينيها، ورأت ساق سترايك بارزة على الأرض إلى يمينها. هو أيضًا جلس على حافة الطريق.

وسأل محدّثًا:

– منذ متى تنتابك نوبات الهلع؟

بدا لها ألّا جدوى من الكذب. فتمتمت:

– منذ نحو عام.

– وهل يساعدك أحد على تخطيها؟

– أجل. خضعت للعلاج لبعض الوقت. والآن أمارس تمارين العلاج المعرفي السلوكي.

سأل سترايك بلطف:

– لكن هل تمارسينها حقًا؟ فأنا قد اشتريت لحمًا مقدّدًا نباتيًا منذ أسبوع، لكنّه لا يحسّن من صحّتي ببقائه في الثلّاجة.

بدأت روبن بالضحك ووجدت أنّها لا تستطيع التوقف. وانهمرت المزيد من الدموع من عينيها. راقبها سترايك بلطف وهو يدخّن سيجارته.

اعترفت روبن أخيرًا، وهي تمسح وجهها مجدّدًا:

– كان بإمكاني القيام بها بنحو أكثر انتظامًا.

– هل من شيء آخر تريدين أن تخبريني إيّاه، الآن، بما أنّنا نوضح الأمور؟

شعر بأنّه يجب عليه أن يعرف الأسوأ الآن، قبل أن يقدّم لها أيّ نصيحة بشأن حالتها النفسية، لكنّ روبن بدت مرتبكة.

أضاف:

– هل من مشاكل صحّية أخرى قد تؤثّر في قدرتك على العمل؟

– مثل ماذا؟

تساءل سترايك عمّا إن كان التحقيق المباشر يشكّل نوعًا من التعدّي على حقوقها في العمل.

فقال:

– أتساءل، هل يمكن أن تكوني... حاملًا. بدأت روبن تضحك مجدّدًا.

– يا إلهي، هذا مضحك.

– حقًا؟

قالت وهي تهزّ رأسها:

– كلّا، أنا لست حاملًا.

ولاحظ سترايك فجأة أنّها لم تضع خاتمَي زواجها وخطوبتها. وقد اعتاد رؤيتها بدونهما لأنّها انتحلت شخصية فينيسيا هول وبوبي كونليف لدرجة أنّه لم يلفت انتباهه غيابهما اليوم، لكنّه لم يرغب في طرح سؤال مباشر، لأسباب لا علاقة لها إطلاقًا بقانون العمل.

قالت روبن، مقطّبة الحاجبَين أمام حركة المرور في محاولة منها لعدم البكاء مرّة أخرى:

– انفصلنا أنا وماثيو، قبل أسبوع.

قال سترايك:

– آه... تبًا! أنا آسف.

لكنّ تعبيره القلق تناقض تمامًا مع مشاعره الفعلية. ابتهج مزاجه السيّئ فجأة لدرجة أنّه كان أشبه بانتقاله تلقائيًا من مزاج رزين إلى مزاج رجل احتسى لترًا ونصف لتر من الجعة. وذكّرته رائحة المطّاط والغبار والعشب المحترق بموقف السيّارات حيث قبّلها عن طريق الخطأ، وسحب نفسًا آخر من سيجارته وحاول جاهدًا ألّا تظهر مشاعره على وجهه.

قالت روبن، ودموعها تنهمر مجدّدًا:

– أعلم أنّه ما كان ينبغي عليّ أن أتكلّم مع غيرنيت وين بهذه الطريقة. ما كان يجب أن أذكر ريانون، لقد فقدت سيطرتي على نفسي و... لكنّ الرجال، الرجال اللعينون! يحكمون على الجميع وكأنّ الجميع مثلهم!

– ماذا حدث مع مات...؟

قالت روبن بعنف:

– كان على علاقة بسارة شادلوك. خطيبة صديقه المقرّب. تركت قرطًا في سريرنا وأنا... اللعنة. لم تكن هناك فائدة. غطّت وجهها بيديها، وشعرت بأنّه لم يعد لديها ما تخسره الآن، فاسترسلت في البكاء لأنّها سقطت تمامًا في نظر سترايك، الجزء الوحيد الباقي من حياتها الذي كانت تسعى إلى الحفاظ عليه قد انهار. كم سيسرّ ماثيو لرؤيتها تنهار على حافة الطريق السريع، مثبتة وجهة نظره بأنّها غير مؤهّلة لأداء العمل الذي أحبّته، وأنّها مقيّدة إلى الأبد بماضيها، لأنّها وُجدت مرّتين في المكان غير المناسب وفي الوقت غير المناسب مع الرجل غير المناسب.

سقط حمل ثقيل على كتفيها. وضع سترايك ذراعه حولها. شعرت بأنّ هذه الحركة مريحة ومشؤومة في الوقت نفسه، لأنّه لم يفعل ذلك من قبل، وتيقّنت بأنّها مقدّمة سيخبرها بعدها أنّها غير مؤهّلة للعمل، وأنّهما سيلغيان المقابلة التالية ويعودان إلى لندن.

– أين تقيمين؟

قالت روبن وهي تحاول مسح أنفها عينيها المغرورقتَين بالدموع:

– على أريكة فانيسا. وبلّل المخاط والدموع ركبتي سروال الجينز. لكنّني وجدت مكانًا جديدًا الآن.

– أين؟

– في كيلبورن، في غرفة في منزل مشترك.

قال سترايك:

– اللعنة يا روبن، لماذا لم تخبريني؟ نيك وإلسا لديهما غرفة احتياطية مناسبة، سيكونان سعيدين...

قالت روبن بين شهقتين:

– لا أريد أن أزعج صديقَيك.

– لن تزعجيهما. وضع سيجارته في فمه وبدأ يفتّش جيوبه بيده الفارغة. إنّهما يحبّانك ويمكنك البقاء عندهما لمدّة أسبوعين أو ثلاثة حتى... آه. كنت أعرف أنّ لديّ واحدًا. إنّه مجعّد، لم أستخدمه... لا أظنّ ذلك، على أيّ حال...

أخذت روبن المنديل، وأتلفته بنفخة واحدة من أنفها.

بدأ سترايك:

– اسمعي، لكنّ روبن قاطعته على الفور:

– لا تقل لي أن آخذ إجازة. أرجوك، لا تقل هذا. أنا بخير، أنا مستعدّة للعمل، لم أصب بنوبة هلع منذ وقت طويل، أنا...

– ... أنتِ لا تسمعين.

فتمتمت:

– حسنًا، آسفة، ممسكة المنديل المبلّل داخل قبضتها. تابع.

– بعدما أصبت في الانفجار، لم أستطع ركوب السيّارة من دون القيام بما قمتِ به للتوّ، كنت أشعر بالذعر وأتصبّب عرقًا باردًا وأشعر بالاختناق. لفترة من الوقت كنت أفعل أيّ شيء لتجنّب أن يقودني شخص آخر بالسيّارة. ما زلت أواجه هذه المشكلة، في الحقيقة.

قالت روبن:

– لم أدرك ذلك. ليس الأمر واضحًا عليك.

– أجل، لأنّك أفضل سائقة عرفتها. يجب أن تريني عندما أركب السيّارة مع أختي. ما أريد قوله يا روبن... اللعنة!

وصلت شرطة المرور، وتوقف الشرطيان خلف سيّارة اللاند روفر المهجورة، وبدوَا في حيرة من أمرهما بسبب جلوس الراكبَين على بعد خمسين ياردة على الحافة، غير آبهَين بمصير سيّارتهما التي لم يوقفاها بطريقة مناسبة.

وقال أحدها ساخرًا:

– ألستما على عجلة من أمركما لطلب المساعدة، إذًا؟

كان مختالًا إذ يحسَب نفسه ظريفًا.

رفع سترايك ذراعه من على كتفَي روبن، ووقف كلاهما، لكنّ سترايك وقف متعثرًا.

قال سترايك للضابط بلطف:

– عانت من الدوار بسبب السيّارة. احترس، قد تتقيّأ عليك.

عادا إلى السيّارة. وكان زميل الضابط الأول ينظر في القرص الضريبي في سيّارة اللاند روفر القديمة.

وعلق قائلًا:

– لا نرى الكثير من السيّارات بهذا العمر على الطرقات هذه الأيّام.

قالت روبن:

هذه السيّارة لم تخذلني بعد.

همس لها سترايك:

– هل أنت متأكّدة من أنّك تستطيعين القيادة؟ فيما أدارت روبن مفتاح التشغيل. يمكننا التظاهر بأنّك ما زلت تشعرين بالتوعّك.

– أنا بخير.

وهذه المرّة، كانت تقول الحقيقة. لقد وصفها سترايك بأنّها أفضل سائقة يعرفها، وقد لا يكون ذلك إطراءً هائلًا لكنّه أعاد لها بعضًا من احترامها لنفسها. وانحرفت بسلاسة إلى الطريق السريع.

ساد بينهما صمت طويل. وقرّر سترايك أنّ مزيدًا من النقاش بشأن صحّة روبن العقلية يجب أن ينتظر حتى تتوقف عن القيادة.

ثمّ قال متأمّلًا وهو يخرج دفتر ملاحظاته:

– ذكر وين اسمًا في نهاية الاتّصال هناك، هل سمعته؟

تمتمت روبن بخجل:

– كلا.

أكمل سترايك مدوّنًا ملاحظة:

– قال صامويل وشيئًا آخر. مردوك؟ ماتلوك؟

– لم أسمع.

قال سترايك باعتزاز:

– ابتهجي، ما كان ليطلق الاسم لو لم تصرخي في وجهه. لكنّني لا أنصحك بأن تنعتي من تريدين إجراء المقابلات معهم باللصوص المنحرفين في المستقبل...

تمدّد في مقعده، ووصل إلى الحقيبة المحمولة على المقعد الخلفي.

– هل ترغبين بقطعة بسكويت؟

62

... لا أريد أن أشهد هزيمتك يا ريبيكا.

هنريك إبسن، روسميرشولم

كان موقف السيّارات في ميدان سباق نيوبري ممتلئًا عند وصولهما. ارتدى العديد من الأشخاص المتّجهين إلى سرادق التذاكر ملابس مريحة، على غرار سترايك وروبن، أي الجينز والسترات، لكنّ آخرين ارتدوا الفساتين الحريرية والبدلات والصدريات المبطّنة والقبّعات المصنوعة من قماش التويد والسراويل القصيرة المخملية المضلّعة باللونين الخردلي والبرتقالي التي ذكّرت روبن بتوركويل.

اصطفّا في طابور لشراء التذاكر، كلّ منهما غارق في أفكاره. كانت روبن تخاف ممّا سيحدث بمجرّد وصولهما إلى «كرافتي فيلي»، حيث تعمل تيغان بوتشر. كانت مقتنعة أنّ سترايك لم يحكم كلّيًا على صحّتها العقلية بعد، وتخوّفة من أن يكون قد أجّل فقط الإعلان عن رغبته في عودتها إلى وظيفة مكتبية في مكتبه لفترة.

في الواقع، كان ذهن سترايك، مؤقتًا، يجول في مكان آخر. ذكّرته الدرابزينات البيضاء خلف المظلّة الصغيرة حيث اصطفّ الحشد لشراء التذاكر، وكثرة التويد والسراويل القصيرة، بآخر مرّة كان فيها في مضمار سباق. لم يهتمّ يومًا بهذه الرياضة على وجه الخصوص. فالشخصية الأبوية

الوحيدة في حياته، عمّه تيد، كان لاعب كرة قدم وبحّارًا، وبينما كان اثنان من أصدقائه في الجيش يستمتعان بالمراهنة على الخيول، لم يجد هو أيّ جاذبية لهذه الرياضة.

لكنّه قبل ثلاث سنوات، حضر سباق الدربي إبسوم مع شارلوت واثنين من أشقّائها المفضّلين. على غرار سترايك، جاءت شارلوت من عائلة مفكّكة ومضطربة. وفي أحد اندفاعاتها الحماسية غير المتوقعة، أصرّت على قبول دعوة فالنتاين وساشا، على الرغم من عدم اهتمام سترايك بهذه الرياضة ومشاعره غير الودّية تجاه الرجلين، اللذين اعتبراه ظاهرة غريبة لا يمكن تفسيرها في حياة أختهما.

كان مفلسًا في ذلك الوقت، بعدما أسّس وكالته بمبلغ زهيد من المال، فيما يطارده المحامون لسداد القرض الصغير الذي أخذه من والده البيولوجي، عندما رفضت جميع المصارف طلبه للحصول على قرض باعتبار مشروعه مخاطرة كبيرة. ومع ذلك، غضبت شارلوت عندما رفض وضع رهان آخر، بعدما خسر خمسة جنيهات على المرشّح المفضّل، «فيم أند غلوري»، الذي جاء في المركز الثاني. وكانت قد امتنعت عن وصفه بالمتشدّد أو القاسي، أو بالسوقي والمغرم بالنقود، كما فعلت في السابق عندما رفض محاكاة تصرّف عائلتها وأصدقائها بالإنفاق الطائش والتباهي. وبتشجيع من أخويها، اختارت أن تراهن بنفسها بمبالغ أكبر فأكبر، وفازت أخيرًا بـ2500 جنيه إسترليني وأصرّت على زيارة خيمة الشمبانيا، حيث أثار جمالها ومعنوياتها العالية اهتمام الكثيرين.

بينما كان يسير مع روبن في طريق واسع مدرّج يمتدّ بالتوازي من مضمار السباق نفسه خلف المدرّجات الشاهقة، وبارات المقاهي وأكشاك عصير التفّاح وعربات الآيس كريم، وغرف تغيير الملابس الخاصّة بالفرسان وحانة المالكين والمدرّبين، فكّر سترايك في شارلوت، والرهانات التي ربحاها والأخرى التي لم يربحاها، حتى أعاده صوت روبن إلى الواقع.

– أعتقد أنّ هذا هو المكان.

أظهرت لافتة مرسومة رأس مهر داكنة اللون ذات لجام مكسور تغمز للمارّة، وكانت اللافتة معلّقة على جانب حانة من الطوب تتألّف من طابق واحد. كانت منطقة الجلوس في الهواء الطلق مزدحمة، بينما كؤوس الشمبانيا الطويلة تتلألأ وسط ضجّة من الأحاديث والضحك. وكانت حانة «كرافتي فيلي» تطلّ على حلبة وكانت ستُعرض فيها الخيول قريبًا، وقد بدأ الحشد يتجمّع حولها.

قال سترايك لروبن:

– احجزي تلك الطاولة العالية، وسأحضر المشروبات وأخبر تيغان أنّنا وصلنا.

اختفى داخل المبنى من دون أن يسألها ماذا تريد أن تشرب.

جلست روبن إلى إحدى الطاولات العالية ذات الكراسي المعدنية، التي تعلم أنّ سترايك يفضّلها لأنّ الجلوس عليها والنزول عنها سيكون أسهل على ساقه المبتورة من النزول عن الأرائك الخيزرانية المنخفضة. تمّت حماية المنطقة الخارجية بأكملها بمظلّة من مادّة البولي يوريثين لحماية شاربي الكحول في الأيّام الممطرة. لكنّ السماء صافية اليوم، والجوّ دافئ يهبّ فيه نسيم خفيف بالكاد يحرّك أوراق النباتات التي تزيّن مدخل الحانة. فكّرت روبن أنّها ستكون ليلة صافية للحفر في الوادي خارج ستيدا كوتادج، مفترضة دائمًا أنّ سترايك لم يكن على وشك إلغاء الرحلة الاستكشافية، لأنّه يعتقد أنّها أقلّ استقرارًا وأكثر اضطرابًا من أن ترافقه في هذه المهمّة.

عندما راودتها هذه الفكرة شعرت ببرودة تختلجها وشغلت نفسها بقراءة القوائم المطبوعة بأسماء العدّائين التي وُزِّعَت، إلى جانب بطاقات الدخول المصنوعة من الورق المقوّى، حتى وُضِعَت نصف زجاجة مويت إي شاندون بشكل غير متوقع أمامها وجلس سترايك ممسكًا بنصف لتر من الجعة.

قال ببهجة وهو يميل لها كأسه قبل أن يأخذ رشفة: «جعَة دوم بار جاهزة للسكب». نظرت روبن بهدوء إلى زجاجة الشمبانيا الصغيرة، التي وجدت أنّها تشبه فقاقيع الصابون.

– لماذا الشامبانيا؟

قال سترايك:

– للاحتفال، بعد أن تناول جرعة كبيرة من جعته. وتابع قائلًا، وهو يفتّش في جيوبه بحثًا عن السجائر: أعلم أنّه ليس من المفترض أن أقول ذلك، لكنّك أفضل حالًا من دونه. يمارس الجنس مع خطيبة صديقه في الفراش الزوجي؟ إنّه يستحقّ كلّ ما يصيبه من مآسٍ.

– لا أستطيع أن أحتسي الكحول. إنّني أقود السيّارة.

– كلّفتني الشامبانيا خمسة وعشرين جنيهًا، خذي منها جرعة على الأقلّ.

– خمسة وعشرون جنيهًا، من أجل هذا؟ واستغلّت انشغال سترايكك بإشعال سيجارته لتمسح خلسة عينيها الدامعتين مجدّدًا.

– أخبريني، قال وهو يلوّح بعود الكبريت ليطفئه، هل فكّرت يومًا إلى أين ستؤول أمور الوكالة؟

قالت روبن بقلق:

– ماذا تعني؟

– كان زوج شقيقتي يعطيني رأيه في هذا الموضوع، في الليلة التي بدأت فيها الألعاب الأولمبية. وشدّد على أنّه يُفترض بي أن أصل إلى حدّ لا أضطرّ فيه للخروج إلى الشارع للعمل.

قالت روبن مذعورة:

– لكنّك لا تريد ذلك، أليس كذلك... مهلًا... هل تحاول إخباري بأنّ عليّ العودة إلى المكتب والردّ على الهاتف؟

قال سترايك وهو ينفث الدخان بعيدًا عنها:

– لا، لقد تساءلت فقط هل فكّرتِ في المستقبل.

وسألته روبن، وقد زاد قلقها:

– هل تريد منّي أن أرحل؟ أن أرحل وأقوم بعمل آخر؟

– اللعنة يا إيلاكوت! لا! أسألك هل تفكّرين في المستقبل؟ هذا كلّ ما في الأمر.

وراقبها وهي تفتح الزجاجة الصغيرة.

قالت بتردّد:

– أجل، بالطبع. أعمل على تحسين حالتنا المادّية قليلًا، كي لا نبقى خائفَين من الحاجة إلى المال، لكنّني أحبّ... وارتعش صوتها... هذه الوظيفة، كما تعلم. ولا أريد غيرها. أريد أن أمارسها وأتحسّن و... وأن أجعل من هذه الوكالة أفضل وكالة في لندن.

ابتسم سترايك ابتسامة عريضة، وضرب كأس جعته بكأسها المليئة بالشامبانيا.

– حسنًا، ضعي في اعتبارك أنّنا نريد الشيء نفسه تمامًا عندما أقول التالي، اتّفقنا؟ ويمكنك أن تشربي. لا تستطيع تيغان أن تأخذ استراحة قبل أربعين دقيقة، وأمامنا متّسع من الوقت قبل أن نتوجّه إلى الوادي هذا المساء.

شاهدها وهي تأخذ رشفة من الشمبانيا قبل أن يستمرّ في الكلام.

– ليس من علامات القوّة أن تتظاهري أنّك بخير عندما لا تكونين كذلك.

عارضته روبن قائلة:

– في الواقع، أنت مخطئ. وكأنّ الشمبانيا التي انتشرت فقاقيعها على لسانها منحتها الشجاعة حتى قبل أن تصل إلى دماغها. في بعض الأحيان، يساعدك التظاهر بأنّك على ما يرام، في أن تصبح فعلًا على ما يرام. في بعض الأحيان عليك أن ترتدي قناع الشجاعة وتخرج إلى العالم، وبعد فترة لا يعود القناع قناعًا، بل يصبح واقعًا. لو انتظرت أن أشعر بالاستعداد لمغادرة غرفتي بعد... ما حدث، لبقيتُ هناك. اضطررت للمغادرة قبل أن أكون جاهزة. وقالت، وهي تنظر مباشرة في عينيه، وعيناها محتقنتان بالدم ومتورّمتان: عملت معك لمدّة عامين، أشاهدك تسير قدمًا مع غضّ النظر عن أيّ شيء، فيما تعلم أنّ أيّ طبيب كان سيطلب إليك أن ترفع ساقك وتستريح.

سأل سترايك بحكمة:

– وإلى أين أوصلني هذا، إيه؟ بتّ عاجزًا عن الحركة لمدّة أسبوع، وأوتار ركبتي تصرخ طلبًا للرحمة كلّما مشيت أكثر من خمسين ياردة. هل تريدين المقارنة؟ فلنقارن. أنا أتبع حمية وأقوم بحركات التمدّد المطلوبة منّي...

– وبديل اللحم النباتي الذي يتعفّن في البراد؟

– يتعفّن؟ إنّها مادّة شبيهة بالمطّاط الصناعي، ستعيش أكثر منّي.

وأضاف رافضًا أن يسمح لها بتحويل الحديث إلى موضوع آخر: بعد ما حصل السنة الماضية كنت سأحتاج إلى أعجوبة حقيقية حتى لا تتأثري إطلاقًا. وبحثت عيناه عن رأس الندبة الأرجوانية الظاهرة من تحت كمّ قميصها القصير. لا شيء من ماضيك يمنعك من القيام بهذه المهنة، لكن عليك أن تعتني بنفسك إن أردت الاستمرار في القيام بها. إن كنت تحتاجين إلى عطلة لترتاحي...

– هذا آخر ما أرغب فيه...

– لا يتعلّق الأمر بما تريدينه، بل بما تحتاجين إليه.

– هل أخبرك شيئًا ظريفًا؟ وشعرت بسبب جرعة الشامبانيا التي اجترعتها أو لأي سبب آخر، بأنّ مزاجها تحسّن وانطلق لسانها. من المنطقي أن تفترض أنّني عانيت نوبات هلع لا تُعدّ ولا تُحصى في الأسبوع الأخير، أليس كذلك؟ إنّني أبحث عن مكان أقيم فيه، وأزور الشقق، وأجول في كلّ أنحاء لندن، وفوجئت بعدد كبير من الأشخاص يأتون إليّ من الخلف. وأضافت شارحة فكرتها: أن يفاجئني الناس من الخلف فيما لا أتوقع ذلك.

– لا أعتقد أنّنا نحتاج إلى فرويد ليشرح لنا ذلك.

وأكملت روبن:

– لكنّني كنت بخير. وأعتقد أنّ السبب يعود إلى...

وانقطعت عن الكلام، لكنّ سترايك ظنّ أنّه فهم ما قد تكون نهاية جملتها. فخاطر بالقول:

– تصبح هذه المهنة مستحيلة إن كانت حياتك في المنزل على غير ما يرام. لقد اختبرت ذلك. أعرف.

روبن، التي ارتاحت لأنّه فهمها، أخذت رشفة أخرى من الشامبانيا ثمّ أضافت بسرعة:

– أعتقد أنّ الأمر أثّر سلبًا على حالتي، فقد اضطررت إلى إخفاء ما يجري، وإلى أداء التمارين خفية، لأنّ أيّ علامة تدلّ على أنّني لست بخير كانت تجعل ماثيو يصرخ في وجهي مجدّدًا لأنّني أمارس هذا العمل. اعتقدت

أنّه من حاول الاتّصال بي على الهاتف هذا الصباح، ولهذا السبب لم أرغب في الردّ. وعندما بدأ وين يهينني ويشتمني؛ في الحقيقة، شعرت كما لو أنّني تلقيت الاتّصال. لست بحاجة إلى وين ليخبرني أنّني عبارة عن ثديَين متنقّلَين، وفتاة غبيّة مشتّتة لا تدرك أنّ هذه هي السمة الوحيدة المفيدة التي تتّسم بها.

فكر سترايك: ماثيو كان يقول لك ذلك؟ متخيّلًا بعض الإجراءات التصحيحية التي رأى أنّ ماثيو قد يستفيد منها وقال ببطء وحذر:

– كونك امرأة... أنا أيضًا أقلق عليك أكثر عندما تكونين وحيدة في مهمّة، أكثر ممّا كنت سأقلق لو كنت رجلًا. قال بحزم وهي تفتح فمها مذعورة: دعيني أنهي كلامي، على كلّ منّا أن يكون صادقًا مع الآخر أو قُضي علينا. فهلّا استمعت إليّ؟ لقد نجوت من قاتلَين باستخدام ذكائك وتدريبك. وأراهن على أنّ ماثيو اللعين ما كان ليستطيع أن ينجو لو كان مكانك. لكنّني لا أريد أن تواجهي الخطر مرّة ثالثة، يا روبن، لأنّ الحظّ قد لا يحالفك في المرّة المقبلة.

– أنت تطلب إليّ العودة إلى وظيفة مكتبية...

قال لها بصرامة:

– هلّا تركتني أنهي كلامي؟ لا أريد أن أفقدك، لأنّك أفضل محقّقة لديّ. في كلّ قضيّة عملنا فيها منذ وصولك، وجدت دليلًا لم أتمكّن من العثور عليه وصارحك أشخاص ما كنتُ لأتمكّن من إقناعهم بالتحدّث إليّ. وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم والفضل في ذلك يعود إليك إلى حدّ كبير. لكنّك ستكونين دائمًا الخاسرة إذا هاجمك رجل عنيف، ولديّ مسؤوليات هنا. أنا الشريك الأكبر، وأنا الشخص الذي يمكنك مقاضاته...

– أنت تخشى أن أقاضيك...؟

قال بقسوة:

– لا يا روبن، أنا قلق من أن ينتهي بك الأمر بالموت وسأضطرّ إلى تحمّل تأنيب الضميري طوال حياتي.

أخذ جرعة أخرى من جعة الدوم بار، ثمّ قال:

– يجب أن أكون واثقًا من أنّك بصحّة ذهنية جيّدة إن كنت سأرسلك إلى الشارع. أريد ضمانة لا تشوبها شائبة منك بأنّك ستعالجين نوبات الهلع هذه، لأنّك لست وحدك من يتحمّل العواقب إن لم تتمكّني من مواجهة الأخطار.

تمتمت روبن:

– حسنًا، وعندما رفع سترايك حاجبيه، أضافت: إنّني أعني ذلك. سأفعل ما يتطلّبه الأمر. سأفعل.

أصبح الحشد حول الحلبة أكثر كثافة من أيّ وقت مضى.

من الواضح أنّ موكب المتسابقين في السباق التالي كان سيظهر. سألت روبن:

– كيف تجري الأمور مع لوريلي؟ إنّها تروقني.

– أخشى أن يكون لديّ المزيد من الأخبار السيّئة لك، لأنّك وماثيو لستما الوحيدَين اللذين انفصلا في نهاية الأسبوع الماضي.

قالت روبن: «اللعنة. أنا آسفة»، وغطّت إحراجها بشرب المزيد من الشمبانيا.

قال سترايك مستمتعًا:

– بالنسبة إلى شخص لا يريد الشرب، ستقضين على الزجاجة بسرعة كبيرة.

قالت روبن:

– لم أخبرك، أليس كذلك؟ متذكّرةً أمرًا فجأة، وهي ترفع الزجاجة الخضراء الصغيرة. أعرف أين رأيت بلان دو بلان من قبل، ولم تكن على زجاجة؛ لكنّ ذلك لا يساعدنا في هذه القضيّة.

– تابعي.

– هناك جناح في فندق «لو مانوار أو كات سيزون» يحمل هذا الاسم. ريمون بلان، كما تعلم، هو رئيس الطبّاخين الذي أسّس الفندق. إنّه لعب على الكلام. «بلان دو بلان»، وبالمفرد لا بالجمع.

– هل هو المكان الذي احتفلتما فيه بذكرى زواجكما؟

أجابت روبن:

– أجل. لكنّنا لم نكن في جناح بلان دو بلان. لم نتمكّن من حجز جناح. لكنّني أتذكّر أنّني مررت باللافتة. ولكن، نعم... إنّه المكان الذي احتفلنا فيه بالذكرى السنوية الأولى. وردّدت بحسرة: الأولى، فيما يصل البعض إلى الذكرى السبعين.

ظهرت سبعة خيول ثوروبريد أصيلة داكنة الواحد تلو الآخر على الحلبة، والفرسان يرتدون الحرير ويمتطونها جاثمين فوقها كالقرود، فيما قاد فتيان وفتيات الإسطبل المخلوقات العصبية، بجوانبها الحريرية وخطواتها الثابتة. سترايك وروبن من القليلين الذين لم يرفعوا أعناقهم لرؤيتها بطريقة أفضل. قبل أن يُتاح لروبن الوقت لإعادة التفكير في الموضوع، فتحت الموضوع الذي ترغب في مناقشته.

– هل كانت تلك شارلوت التي رأيتك تتحدّث إليها في حفل الاستقبال البارالمبي؟

– أجل.

ونظر إليها. تمكنت روبن من قبل أن تدرك أنّه يستطيع قراءة أفكارها بسهولة شديدة.

– لم تكن شارلوت هي السبب في انفصالي عن لوريلي. إنّها متزوّجة الآن.

وأشارت روبن قبل أن تأخذ رشفة من الشامبانيا:

– أنا وماثيو كنّا كذلك أيضًا. لكنّ هذا لم يردع سارة شادلوك.

– أنا لست سارة شادلوك.

– هذا واضح. فلو كنت مزعجًا مثلها لما عملت لديك.

– ربما أضع ذلك في تقرير التقييم القادم عن الموظفين:

«ليس مزعجًا مثل عشيقة زوجي».

وسأضع التقرير في إطار.

ضحكت روبن.

قال سترايك:

– تعلمين، كانت لديّ فكرة عن بلان دو بلان، أنا أيضًا. كنت أراجع قائمة مهام تشيزيل، محاولًا استبعاد بعض الاحتمالات وإثبات نظرية.

سألت روبن بحدّة:

– أيّ نظرية؟

ولاحظ سترايك أنّها، حتى بعد أن اجترعت نصف زجاجة الشمبانيا، ورغم انهيار زواجها، واضطرارها للنوم في غرفة بحجم الصندوق في كيلبورن، لم ينقص اهتمام روبن الشديد بالقضيّة أبدًا.

– أتذكرين عندما أخبرتك أنّني اعتقدت أنّ هناك موضوعًا مهمًا، موضوعًا أساسيًا، بشأن قضيّة تشيزيل؟ شيئًا لم نره بعد؟

– نعم، قلت إنّ الأمر يطرح نفسه باستمرار تقريبًا.

– تتذكّرين جيدًا. قال رفاييل بعض الأمور...

وإذا بهما يسمعان صوتًا نسائيًا متوتّرًا خلفهما يقول: «بدأت استراحتي الآن».



63

إنّها مسألة شخصية بحتة، ولا ضرورة أبدًا
للإعلان عنها في جميع أنحاء الريف.

هنريك إبسن، روسميرشولم

كانت تيغان بوتشر قصيرة وكثيرة النمش وتقليدية المظهر، وقد صفّفت شعرها الداكن على شكل كعكة. حتى في زيّ الحانة الأنيق المؤلّف من ربطة عنق رمادية وقميص أسود طُرّز عليه حصان أبيض وفارس، بدت كأنّها قد ترتاح أكثر إذا ارتدت جزمة ولينغتون موحلة. كانت قد أحضرت قهوة بالحليب من الحانة لتشربها أثناء المقابلة.

قالت: «أوه... شكرًا جزيلًا» عندما ذهب سترايك لإحضار كرسيّ إضافي، ومن الواضح أنّها سُرّت لأنّ المحقق الشهير فعل ذلك من أجلها.

قال سترايك:

– لا بأس. هذه شريكتي، روبن إيلاكوت.

– أجل، أنتِ من اتّصل بي، أليس كذلك؟ فيما كانت تصعد على الكرسيّ العالي بصعوبة لقِصر قامتها الشديد. بدت متحمّسة وخائفة في الوقت نفسه.

قال لها سترايك:

– ليس أمامك الكثير من الوقت، أعرف، لذا سنبدأ على الفور إن لم يكن لديك مانع يا تيغان؟

– كلّا... أعني أجل. لا بأس. تفضّل.

– كم من الوقت عملت لحساب جاسبر وكينفارا تشيزيل؟

– كنت أعمل لديهما بدوام جزئي بينما كنت لا أزال في المدرسة، إذا احتسبنا ذلك... سنتان ونصف، أجل.

– هل أحببت العمل لديهما؟

قالت تيغان بحذر:

– لا بأس به.

– كيف وجدت الوزير؟

– كان لا بأس به. وأدركت أنّها لم تقدّم وصفًا دقيقًا، فأضافت: عائلتي تعرفه منذ زمن طويل. قام أخواي ببعض الأعمال في تشيزيل هاوس لسنوات، بشكل متقطّع.

قال سترايك وهو يدوّن الملاحظات:

– حقًا؟ ماذا فعل أخواك؟

– تصليح الأسوار، وبعض أعمال البستنة، لكنّهم باعوا معظم الأراضي الآن. وأصبحت الحديقة بريّة.

تناولت فنجانها وأخذت منها رشفة، ثمّ قالت بقلق:

– قد تفقد أمّي صوابها إن علمت أنّي أقابلكما. طلبت مني أن أبتعد عن هذه القضيّة.

– لماذا؟

– إنّها تقول دائمًا: «التكتّم خير وقاية»، وأيضًا: «الأقلّ ظهورًا، يثير أكبر قدر من الإعجاب». هذا ما كان يُقال لي إذا أردت الذهاب إلى حفل ديسكو المزارعين الشباب.

ضحكت روبن. فابتسمت تيغان بفخر لأنّها أضحكتها. وسأل سترايك:

– كيف وجدت السيّدة تشيزيل بصفتها صاحبة عمل؟

قالت تيغان مرة أخرى:

– لا بأس.

– السيّدة تشيزيل كانت يبقى أحد في المنزل لينام فيه إذا تغيّبت هي عنه، هل هذا صحيح؟ ليكون بالقرب من الخيول؟

– أجل، ثمّ تطوّعت لإعطاء بعض المعلومات للمرّة الأولى: إنّها تخاف كثيرًا.

– ألم يُجرح أحد خيولها؟

– يمكنك أن تسمّيه جرحًا إذا أردت، لكنّني سأسمّيه مجرّد خدش. تمكّن رومانو من التخلّص من بطّانيته خلال الليل. كان هذا عمّلا أخرق.

سأل سترايك بعدما استقرّ قلمه على دفتر ملاحظاته:

– لا تعرفين أيّ شيء عن الدُّخلاء في الحديقة إذًا؟

قالت تيغان ببطء:

– في الحقيقة، هي قالت شيئًا بهذا الشأن، لكن...

وقعت عيناها على علبة بنسن أند هدجز، التي وضعها سترايك بجانب كأس جعته.

وسألت بجرأة كبيرة:

– هل يمكنني أن أدخّن سيجارة؟

– تفضلي، وأخرج ولاعة ودفعها تجاهها.

أشعلت تيغان السيجارة، وأخذت نفسًا عميقًا وقالت:

– لا أعتقد أنّ أحدًا دخل الحدائق. إنّها فقط السيّدة تشيزيل. إنّها...

واجتهدت لتجد الكلمة المناسبة: في الواقع لو كانت حصانًا لسمّيتها الجفلة. أنا لم أسمع شيئًا عندما كنت أقضي الليل هناك.

– نمت هناك في المنزل عشيّة العثور على جاسبر تشيزيل ميتًا في لندن، أليس كذلك؟

– أجل.

– أتذكرين في أيّ ساعة عادت السيدة تشيزيل في ذلك اليوم؟

قالت تيغان:

– حوالي الساعة الحادية عشرة. صدمني وصولها في هذا الوقت. بعدما بدأت أعصابها تسترخي، بدت تيغان أكثر ميلًا إلى الثرثرة. لأنّها كانت

ستبقى في لندن. ثار غضبها عندما دخلت، لأنّني دخّنت سيجارة أمام التلفزيون – إنّها لا تحبّ التدخين – وشربتُ كأسين من النبيذ من الزجاجة الموجودة في الثلّاجة، أيضًا. وكانت قد قالت لي أن آخذ أيّ شيء أريده قبل أن تغادر، لكنّها هكذا، تغيّر رأيها دائمًا. ما كان صحيحًا منذ دقيقة يصبح خاطئًا في الدقيقة التالية. كان عليّ أن أتعامل معها بحذر شديد دائمًا. لكنّها كانت غاضبة عندما وصلت. عرفت ذلك من طريقتها في المشي في الردهة. السيجارة والنبيذ أعطياها عذرًا لتصرخ في وجهي. إنّها كذلك.

– لكنّك أمضيت الليل هناك، على أيّ حال؟

– أجل. قالت إنّني ثملة ولا يجب أن أقود السيّارة، ولم يكن هذا صحيحًا، لم أكن ثملة، ثمّ طلبت إليّ أن أذهب لأتفقّد الخيول لأنّها تريد أن تجري اتّصالًا هاتفيًا.

– هل سمعتها تجري الاتّصال؟

عدّلت تيغان جلستها على الكرسيّ المرتفع، بحيث اتّكأ مرفق ذراعها التي تحمل السيجارة على يدها الثانية، وضاقت عيناها قليلًا بسبب الدخان، وهي وضعية اعتقدت أنّها مناسبة أثناء التعامل مع محقّق خاصّ ذكيّ.

– لا أعرف إن كان من المناسب أن أقول لك.

– ماذا لو اقترحت اسمًا وأومأت لي إن كان الاسم صحيحًا؟

– هيا إذًا. قالتها بلهجة من انعدام الثقة وفضول شخص وُعد بخدعة سحرية.

– هنري دراموند. تركت له رسالة تقول إنّها تريد تثمين عقد؟

أومأت تيغان بالإيجاب، وقد أثار المحقّق إعجابها رغمًا عنها.

وقالت:

– أجل. هذا صحيح.

– ثمّ ذهبتِ لتفقّد الخيول؟

– نعم، وعندما عدت، قالت السيّدة تشيزيل إنّ عليّ البقاء على أيّ حال، لأنّها ستحتاج إليّ في الصباح الباكر، فبقيت.

سألت روبن:

– وأين نامت هي؟

أجابت تيغان بضحكة مندهشة:

– في الطابق العلوي. بالطبع. في غرفة نومها.

– هل أنت متأكّدة من أنّها أمضت الليل هناك؟

قالت تيغان بضحكة صغيرة أخرى:

– أجل. غرفة نومها بجوار غرفتي. إنّهما الغرفتان الوحيدتان اللتان تطلّان على الإسطبلات. كان بإمكاني سماعها وهي تخلد إلى النوم.

وسألها سترايك:

– هل أنت متأكّدة من أنّها لم تغادر المنزل أثناء الليل؟ ألم تذهب بالسيّارة إلى أيّ مكان، على حدّ علمك؟

– كلا، لو حصل لسمعت السيّارة. توجد حفر في كلّ مكان حول هذا المنزل، لا يمكنك المغادرة دون إصدار ضجة. على أيّ حال، التقيتها صباح اليوم التالي جانب الدرج، متّجهة إلى الحمّام في ثوب نومها.

– كم كانت الساعة؟

– السابعة والنصف تقريبًا. تناولنا الفطور معًا في المطبخ.

– هل كانت لا تزال غاضبة منك؟

اعترفت تيغان:

– قليلًا.

– ألم تسمعيها تتلقّى مكالمة أخرى، حول وقت الفطور؟

قالت تيغان معجبة بمعلوماته بصراحة:

– أتقصد، من السيد تشيزيل؟ أجل. خرجت من المطبخ لتردّ على الاتّصال. كلّ ما سمعته كان «لا، هذه المرّة أنا أعني ذلك يا جاسبر». بدت كأنّها تتشاجر معه. أخبرت الشرطة بذلك. اعتقدت أنّهما تجادلا في لندن ولهذا السبب عادت إلى المنزل باكرًا بدلًا من البقاء هناك.

وأضافت تيغان ببعض من التردّد:

– ثمّ خرجتُ لتنظيف الإسطبل، وخرجت هي وبدأت تدرّب براندي، أحد خيولها، ثمّ بعد ذلك وصل. رافاييل، كما تعلم. الابن.

وسألها سترايك:

– ماذا حدث بعد ذلك؟

تردّدت تيغان.

قال سترايك:

– تشاجرا، أليس كذلك؟ مدركًا كم مضى من وقت استراحة تيغان.

قالت تيغان مبتسمة في اندهاش صريح:

– فعلًا أنت تعرف كلّ شيء!

– أتعرفين سبب الشجار؟

– موضوع اتّصالها الهاتفي في الليلة السابقة.

– القلادة؟ أرادت السيّدة تشيزيل بيعها؟

– أجل.

– أين كنت عندما كانا يتشاجران؟

– كنت أنظّف الإسطبل. نزل من سيّارته ومشى نحوها في مدرسة الخيل...

تمتمت روبن عندما رأت حيرة سترايك:

– حلبة تدرّب فيها الخيول.

فقال:

– آه!

قالت تيغان:

– أجل، إنّه المكان الذي كانت تدرّب فيه براندي. في البداية كانا يتحدّثان ولم أستطع سماع ما كانا يقولانه، ثمّ تحوّل الأمر إلى شجار وصراخ فترجّلت وصاحت بي كي آتي وأفكّ سرج براندي. وأضافت بلطف: أي أن أنزع سرجه ولجامه، في حال لم يفهم سترايك ما عنته، وسارا إلى المنزل وكان بإمكاني سماعهما يتشاجران بعدما غابا عن ناظريّ.

أضافت تيغان: لم تحبّه قطّ. رافاييل. كانت تجده مدلّلًا، وتنتقده دائمًا. وأضافت بلهجة عادية تتعارض مع احمرار وجهها: أنا شخصيًا وجدت أنّه لا بأس به.

– هل يمكنك أن تتذكّري ما كانا يقولانه؟

– قليلًا. قال لها إنّها لا تستطيع بيعها، وإنّها ملك والده أو شيء من هذا القبيل، وأجابته بأن يهتمّ بشؤونه الخاصّة.

– ماذا جرى بعد ذلك؟

قالت تيغان بقليل من التعثّر:

– دخلا، وأكملتُ تنظيف الإسطبل، وبعد قليل، رأيت سيّارة شرطة قادمة على الطريق و... أجل، كان الأمر مروّعًا. جاءت الشرطية وطلبت إليّ الدخول للمساعدة. دخلت إلى المطبخ وكانت السيّدة تشيزيل شاحبة ممتقعة، كانت متأثّرة جدًا. طلبوا إليّ أن أريهم مكان أكياس الشاي. حضّرت لها مشروبًا ساخنًا وأجلسها رافاييل. قالت تيغان: كان لطيفًا جدًّا معها، على الرغم من أنّها نعتته بجميع الألقاب البذيئة التي تعرفها.

نظر سترايك إلى ساعته:

– أعلم أنّ وقتك قصير. سؤالان بعد.

– حسنًا.

– وقعت حادثة قبل أكثر من عام، حين هاجمت السيّدة تشيزيل السيّد تشيزيل بالمطرقة.

– آه، يا إلهي، أجل. فقدت صوابها تمامًا. كان ذلك مباشرة بعد موت ليدي في بداية الصيف، كان موتًا رحيمًا. وكانت فرس السيدة تشيزيل المفضّلة. عادت السيّدة تشيزيل إلى المنزل وكان الطبيب البيطري قد أنهى الأمر. أرادت أن تتم العملية في وجودها وفقدت صوابها عندما عادت ورأت شاحنة تاجر الخيول.

سألت روبن:

– منذ متى عرفت أنّه يجب قتل الفرس؟

قالت تيغان بحزن:

– في آخر يومين أو ثلاثة أيّام، أعتقد أنّنا جميعًا كنّا نعرف. لكنّها كانت فرسًا جميلة، وبقينا نأمل أن تنجو. انتظر الطبيب البيطري عودة

السيّدة تشيزيل إلى المنزل لساعات، لكن ليدي كانت تتألّم ولم يستطع الانتظار طوال اليوم، لذا...

أومأت تيغان إيماءة تعبّر عن اليأس.

سأل سترايك:

– هل لديك فكرة عن سبب ذهابها إلى لندن في ذلك اليوم، إن كانت تعلم أنّ ليدي كانت تحتضر؟

هزّت تيغان رأسها.

– هل يمكنك أن تخبرينا بما حدث بالضبط عندما هاجمت زوجها؟ هل قالت أيّ شيء قبل ذلك؟

– كلّا. جاءت إلى الفناء، ورأت ما حدث، وركضت نحو السيّد تشيزيل، وأمسكت بالمطرقة وضربته. ونفر الدم في كلّ مكان. قالت تيغان بصدق: كان الأمر مرعبًا ومروّعًا.

سألت روبن:

– ماذا فعلت بعد أن ضربته؟

قالت تيغان بشكل غير متوقّع:

– وقفت بدون حراك. وعلى وجهها تعبير... كانت شبيهة بشيطان أو ما شابه. اعتقدتُ أنّه مات، ظننت أنّها قتلته. أدخلوها المصحّة لمدّة أسبوعين، كما تعلمان. ذهبت إلى أحد المستشفيات. كان عليّ أن أهتمّ بالخيول بمفردي... أحبط الجميع لموت ليدي. أحببت تلك الفرس واعتقدت أنّها ستنجو، لكنّها استسلمت واستلقت أرضًا وامتنعت عن الطعام. لم أستطع إلقاء اللوم على السيّدة تشيزيل لأنّها استاءت لكن... كادت تقتله. وكرّرت: كان الدم في كلّ مكان. رغبت في ترك العمل. وأخبرت أمّي بذلك. أخافتني السيّدة تشيزيل، تلك الليلة.

سأل سترايك:

– إذًا ما الذي جعلك تبقين؟

– لا أعرف، في الحقيقة... أرادني السيّد تشيزيل أن أبقى، وأنا شغوفة بالخيول، ثمّ خرجت من المستشفى وكانت مكتئبة حقًا وأعتقد أنّني أشفقت عليها. ظلّت تبكي في اسطبل ليدي الفارغ.

– هل كانت ليدي هي الفرس التي أرادت السيدة تشيزيل... إيه... سأل سترايك روبن: ما المصطلح الصحيح؟

اقترحت روبن:

– التزاوج؟

– أجل... أن تزاوجها الحصان الشهير؟

قالت تيغان مقلبة عينيها بشكل شبه خفيّ:

– توتيلاس؟ كلا، أرادت أن تزاوج براندي، لكنّ السيّد تشيزيل رفض ذلك رفضًا قاطعًا. توتيلاس يكلّف ثروة!

– هذا ما سمعته. ألم يصدف أنّها ذكرت استخدام حصان آخر؟ هناك واحد يُسمّى «بلان دو بلان»، لا أعرف ما إن كان...

– لم أسمع به من قبل. كلّا، لقد أصرّت على توتيلاس، كان الأفضل، كانت تركّز عليه.هكذا هي السيدة تشيزيل هكذا. عندما تتّخذ قرارًا لا يمكنك أن تغيّر رأيها. كانت تنوي تزويج ذلك الحصان الحاصل على الجائزة الكبرى الجميل و... تعلمان أنّها فقدت طفلًا، أليس كذلك؟

طأطأ سترايك وروبن رأسيهما.

– أشفقت أمّي عليها، واعتقدت أنّ إصرارها على حصولها على مهر هو... بديل عن ذلك. تعتقد أمّي أنّ الأمر كلّه يتعلّق بالطفل، وهو سبب تغيّر مزاج السيّدة تشيزيل طوال الوقت. مثلًا، ذات يوم، بعد أسابيع قليلة من خروجها من المستشفى، أتذكّر أنّها كانت مهووسة. أعتقد أنّ السبب كان الأدوية التي أعطوها إياها. كانت تحت تشعر بنشوة عالية. تغنّي في الفناء. وقلت لها: «تبتدين مبتهجة يا سيّدتي»، فضحكت وقالت: «أوه، أحاول إقناع جاسبر وأعتقد أنّني على وشك النجاح، أعتقد أنّه سيسمح لي باستخدام توتيلاس». لكنّها كانت كلّها ترّهات. سألته وغضب كثيرًا حيال ذلك، فقال إنّها تحسَب أمنياتها حقيقة وإنّه بالكاد يستطيع تحمّل نفقات الخيول التي تملكها الآن.

قال سترايك:

– ألا تظنّين أنّه ربّما أراد أن يفاجئها من خلال تقديم حصان مختلف لعملية التزاوج؟ حصان أرخص سعرًا؟

– كان الأمر سيزعجها. كانت تريد توتيلاس ولا تريد غيره.

أطفأت السيجارة التي أعطاها إيّاها سترايك، ونظرت إلى ساعتها وقالت بأسف:

– بقيت دقيقتان من استراحتي فقط.

قال سترايك:

– أمران آخران، وننتهي. سمعت أنّ عائلتك تعرف منذ سنوات فتاة تدعى سوكي لويس؟ هربت من الرعاية...

قالت تيغان مجدّدًا، بسعادة:

– أنت تعرف كلّ شيء! كيف عرفت ذلك؟

– أخبرني بيلي نايت بالأمر. أتعرفين ماذا جرى لسوكي؟

– أجل، ذهبت إلى أبردين. كانت في فصل دان في المدرسة. كانت والدتها مروّعة: تشرب الكحول وتتعاطى المخدّرات على أنواعها. ثمّ تناولت جرعة زائدة ذات يوم وانتهى أمر سوكي في الرعاية. فهربت عند والدها. كان يعمل في منصات التنقيب في بحر الشمال.

– وتعتقدين أنّها وجدت والدها، أليس كذلك؟

ظهر على تيغان تعبير انتصار ومدّت يدها إلى جيبها الخلفي لتأخذ جوّالها. بعد نقرات قليلة، أرَت سترايك صفحة الفايسبوك التي كانت تبحث عنها وقد ظهرت فيها امرأة سمراء مبتهجة، وقفت مع مجموعة من الصديقات أمام حوض سباحة في إيبيزا. من خلال البشرة المسمرّة، والابتسامة التي أظهرت أسنانًا مبيّضة، والرموش المستعارة، تبيّن سترايك طيف الفتاة النحيفة ذات الأسنان الأمامية النافرة في الصورة القديمة التي وجدها. حملت الصفحة اسم «سوزانا مكنيل».

قالت تيغان بسرور:

– أتريان؟ استقبلها والدها إلى عائلته الجديدة. اسمها الصحيح هو «سوزانا» لكن والدتها كانت تناديها «سوكي». أمّي تربطها صداقة مع خالة سوزانا. وهي تقول إنّها بألف خير.

– هل أنت متأكّدة تمامًا من أنّها هي؟

– نعم، بالطبع. كلّنا فرحنا من أجلها. كانت فتاة لطيفة.

وتفقّدت ساعتها مجدّدًا.

ثمّ قالت:

– عذرًا، لكنّ استراحتي انتهت، يجب أن أذهب.

قال سترايك:

– بقي سؤال واحد. ما مدى معرفة أخويك بعائلة نايت؟

– معرفة جيّدة. كان الولدان في مرحلتَين مختلفتَين في المدرسة، ولكن نعم، لقد عرفاهما من خلال عملهما في منزل عائلة تشيزيل.

– ماذا يفعل أخواك الآن يا تيغان؟

– يدير بول مزرعة بالقرب من أيلزبري، ودان في لندن يعمل في هندسة المساحات الخارجية. ثمّ قالت منزعجة لأول مرّة من رؤية قلم سترايك وهو يتحرّك على دفتر ملاحظاته: لماذا تدوّن هذا؟ يجب ألّا تخبرا أخويّ أنّني تحدّثت إليكما! سيفقدان صوابهما إذا اعتقدا أنّني تحدّثت عمّا كان يحدث في المنزل!

– حقًا؟ ماذا كان يحدث هناك؟

جالت نظرة تيغان بقلق منه إلى روبن فإليه مجدّدًا:

– أنت تعرف، أليس كذلك؟

وعندما لم يردّ أيّ من سترايك ولا روبن قالت:

– اسمعا، دان وبول ساعدا في نقلها فقط، وتحميلها. وكان ذلك قانونيًا في ذلك الوقت!

– ما الذي كان قانونيًا؟

قالت تيغان في حال تراوح بين القلق والمزاح:

– أعرف أنّك تعرف. تكلّم أحدهم، أليس كذلك؟ هل هو جيمي نايت؟ لقد عاد منذ فترة ليست ببعيدة يستكشف المستجدّات، وطلب التحدّث إلى دان. على أيّ حال، يعلم الجميع بالأمر. كان من المفترض أن يكون الأمر سرًّا، لكنّنا جميعًا كنّا نعرف عن جاك.

– ماذا كنتم تعرفون عنه؟

– أنّه صانع المشانق.

استوعب سترايك المعلومات من دون أن يرفّ له جفن. لكنّ روبن لم تكن واثقة من أنّ تعابير وجهها بقيت على حالها مثل تعابير وجهه.

قالت تيغان:

– لكنّكما كنتما تعرفان ذلك. أليس كذلك؟

قال سترايك لطمأنتها:

– أجل. كنّا نعرف ذلك.

قالت تيغان بارتياح فيما انزلقت عن كرسيّها بطريقة تفتقر إلى اللباقة:

– هذا ما اعتقدته. ولكن إذا قابلتما دان، لا تخبراه أنّني قلت ذلك. إنّه مثل أمّي. «التكتّم خير وقاية». لكن، لم يعتقد أحدنا أنّه كان هناك أيّ خطأ في ذلك. لو أبقوا على عقوبة الإعدام، لكان هذا البلد في حال أفضل، في رأيي.

قال سترايك:

– شكرًا لمقابلتنا تيغان.

احمرّت قليلًا من الخجل فيما صافحته أولًا، ثمّ صافحت روبن. وقالت:

– لا بأس، وبدا عليها وكأنّها تتركهما على مضض، وأضافت: هل ستبقيان لحضور السباق؟ يجري «براون بانثر» في المضمار رقم 2-30.

– ربّما، لدينا القليل من الوقت قبل موعدنا التالي.

– راهنت بعشرة جنيهات على «براون بانثر». حسنًا... إلى اللقاء.

ابتعدت بضع خطوات ثمّ استادرت وعادت باتجاه سترايك، وقد زاد احمرار وجهها.

– هل يمكنني أن آخذ صورة معك؟

قال سترايك:

– أمممم... وحرص على ألّا ينظر إلى روبن، أفضّل ألّا نفعل ذلك، إن كنت لا تمانعين.

– هل يمكنني الحصول على توقيعك إذًا؟

قرّر سترايك أنّ طلبها الثاني هو أهون الشرّين، ووقع لها على منديل ورقي.

– شكرًا.

غادرت تيغان أخيرًا وهي تمسك بمنديلها. وانتظر سترايك حتى اختفت داخل الحانة قبل أن يلتفت إلى روبن، التي انشغلت بجوّالها.

قالت وهي تقرأ عن شاشة الجوّال: «قبل ستّ سنوات، جاء توجيه من الاتّحاد الأوروبي يمنع الدول الأعضاء من تصدير أدوات التعذيب. حتى ذلك الحين، كان من مسموحًا ضمن القانون تصدير المشانق المصنوعة في بريطانيا إلى الخارج».

64

عليك التكلّم حتى أفهمك.

هنريك إبسن، روسميرشولم

قال سترايك مقتبسًا ما قاله له تشيزيل في نادي برات:

– «تصرّفت وفقًا للقانون وبما يرضي ضميري»، وهذا ما فعله حقًا. لم يخفِ يومًا أنّه يؤيّد الإعدام، أليس كذلك؟ أفترض أنّه قدّم الخشب من أراضيه.

كما وفّر المساحة اللازمة لجاك أوكنت ليَبنيها؛ ولهذا السبب منع جاك أوكنت راف من دخول الحظيرة عندما كان طفلًا. وكانا على الأغلب يتقاسمان الأرباح.

قالت روبن متذكّرة ما صرخت به فليك عند مرور سيّارة الوزير ليلة حفل البارالمبياد:

– مهلًا، «وضع الحصان عليها»... كورموران، أتعتقد...؟

– أجل. هذا ما أعتقده. آخر ما قاله لي بيلي في المستشفى هو: «كرهت وضع الحصان عليها». حتى وسط نوبة ذهانية، استطاع بيلي أن يحفر صورة حصان إيفينغتون الأبيض على الخشب... كان جاك أوكنت يجبر ولدَيه على حفر صورة الحصان على الحليّ للسيّاح وعلى المشانق المعدّة للتصدير... أنشأ عملًا تجاريًا جيدًا مع ولدَيه، أليس كذلك؟

ضرب سترايك كأس جعته بزجاجة الشمبانيا الصغيرة الخاصّة بروبن وشرب آخر قطرات جعة الدوم بار.

– نخب أول اكتشاف أساسي لنا في هذه القضيّة. إن كان جاك أوكنت يضع بعض العلامات التجارية المحلّية على المشنقة، فقد كان من الممكن العثور على صانعها، أليس كذلك؟ وليس على الصانع فقط: بل على وادي الحصان الأبيض، وعلى تشيزيل. الأمر منطقي يا روبن. أتتذكّرين لافتة جيمي التي عليها صور مجموعة من الأطفال السود القتلى؟ كان تشيزيل وجاك أوكنت يصدّرانها إلى الخارج؛ ربّما إلى الشرق الأوسط أو أفريقيا. قال سترايك متذكّرًا كلمات تشيزيل في نادي برات: لكنّ تشيزيل لم يعرف أنّ صورة حصان حُفِرت عليها، بالطبع لا! هو قطعًا لم يعرف، لأنّه عندما أخبرني أنّ هناك صورًا، قال: «لا توجد عليها علامات مميّزة، على حدّ علمي».

سألت روبن متّبعةً تسلسل أفكارها الخاصّ:

– أتذكر حين قال جيمي إنّ تشيزيل مدين له؟ وإنّ كينفارا اعتقدت أنّ مطالبته بالمال كانت مشروعة في البداية؟ ما احتمال أن يكون جاك أوكنت ترك بعض المشانق الجاهزة للبيع عند وفاته؟... وأنّ تشيزيل باعها من دون أن يتكلّف عناء تعقّب ابنَي جاك ليعطيهما حقّهما؟

قال سترايك وهو يهز برأسه:

– تفكير ذكيّ جدًا. لذلك بالنسبة إلى جيمي، بدأ كلّ شيء كمطالبة بحصّته العادلة في تركة والده. ثمّ عندما أنكر تشيزيل أنّه يدين لهما بأيّ شيء، تحوّل الأمر إلى ابتزاز.

– لكن إذا فكّرت في الأمر، ليست المعلومات خطيرة بحيث يمكن استخدامها، أليس كذلك؟ أتعتقد حقًا أنّ تشيزيل كان سيخسر الكثير من الناخبين بسبب ذلك؟ كان بيعها قانونيًا في الوقت الذي باعها فيه، ولطالما أيّد عقوبة الإعدام علنًا، لذلك لا يمكن لأحد القول إنّه منافق. نصف سكّان البلد يعتقدون أنّه يجب علينا إعادة الحكم بالإعدام شنقًا. لست متأكّدة من أنّ الأشخاص الذين يصوّتون لتشيزيل قد يرون أنّه ارتكب خطأً كبيرًا.

اعترف سترايك:

– نقطة أخرى جيّدة، وربّما كان من الممكن أن يتخطّى تشيزيل ذلك. فقد نجا من فضائح أسوأ: حمل عشيقته، والطلاق، وطفل غير شرعي، وحادث سيّارة رافاييل وهو متأثّر بالمخدّرات ودخوله السجن... لكن كانت هناك عواقب «لم يُحسَب لها حساب»، أتذكرين؟ ثمّ سأل سترايك وهو يفكّر: ما الذي أظهرته تلك الصور في وزارة الخارجية، التي أصرّ وين كثيرًا على الحصول عليها؟ ومن هو «صامويل» هذا الذي ذكره وين على الهاتف؟

أخرج سترايك دفتر ملاحظاته ودوّن بضع جمل بخطّ يدٍ غليظ تصعب قراءته.

قالت روبن:

– على الأقلّ لدينا دليل يؤكّد صحّة قصّة راف، القلادة.

غمغم سترايك فيما كان لا يزال يكتب. وعندما انتهى، قال:

– أجل، كان هذا مفيدًا، إلى حدّ ما.

– ماذا تعني بـ«إلى حدّ ما»؟

– إنّ توجّهه إلى أوكسفوردشاير لمنع كينفارا من الهرب بقلادة ثمينة قصّة أفضل من تلك التي تفيد أنّه ذهب ليحاول منعها من أذيّة نفسها، لكنّني ما زلت أعتقد أنّه لم يخبرنا بكلّ شيء.

– لمَ لا؟

– إنّه الاعتراض ذاته. لماذا يرسل تشيزيل رافاييل إلى هناك كمبعوث له، بينما كانت زوجته تكرهه؟ لا أستطيع أن أفهم لماذا قد يكون رافاييل أكثر إقناعًا من إيزي.

– هل تكره رافاييل أو شيء من هذا القبيل؟

رفع سترايك حاجبيه.

– لا مشاعر شخصية لي تجاهه، إيجابية أو سلبية. وأنت؟

قالت روبن بسرعة:

– بالطبع لا. ثمّ أضافت: إذًا، ما هي تلك النظرية التي ذكرتها، قبل وصول تيغان؟

– آه، أجل. في الحقيقة، قد لا يكون الأمر مهمًّا، لكنّ بضعة أشياء قالها لك رافاييل لفتت انتباهي، وشغلت تفكيري.

– ما هي؟

فأخبرها سترايك.

– لا أرى شيئًا مهمًّا في أيّ من ذلك.

– ربّما ليس كلّ أمر مهمًّا بمعزل عن الآخر، لكن حاولي أن تجمعي الأمور كلّها مع ما قالته لي ديلا.

– أيّ جزء؟

لكن حتى عندما ذكّرها سترايك بما قالته ديلا، ظلّت روبن في حيرة من أمرها.

– لا أرى العلاقة.

نهض سترايك مبتسمًا.

– فكّري في الأمر لفترة. سأتّصل بإيزي وأخبرها أنّ تيغان أفشت السرّ بشأن المشانق.

ابتعد واختفى وسط الحشود بحثًا عن مكان هادئ لإجراء مكالمته، تاركًا روبن تحرّك الشمبانيا التي أصبحت فاترة الآن في الزجاجة الصغيرة وهي تفكّر في ما قاله سترايك للتوّ. حاولت جاهدة ربط المعلومات المشتتة ولكن محاولتها باءت بالفشل، وبعد بضع دقائق استسلمت وجلست ببساطة تستمتع بالنسيم الدافئ الذي يحرّك شعرها عن كتفيها.

على الرغم من إرهاقها، وزواجها المتداعي وخوفها الحقيقي من الذهاب للحفر في الوادي في وقت لاحق من تلك الليلة، أحسّت بالارتياح في جلوسها هنا، وتنشّق روائح حلبة السباق، والهواء اللطيف المفعم برائحة العشب والجلود، والخيل، وكانت تصلها آثار عطور النساء اللواتي يخرجن من الحانة نحو المدرّجات، ورائحة دخان لحم الغزال الذي يُشوى في شاحنة قريبة. لأول مرّة منذ أسبوع، أدركت روبن أنّها جائعة بالفعل.

أمسكت سدادة زجاجة الشمبانيا وقلّبتها بين أصابعها، متذكّرةً قطعة فلّين أخرى، تلك التي احتفظت بها من حفل عيد ميلادها الحادي والعشرين،

التي من أجلها عاد ماثيو إلى المنزل من الجامعة مع مجموعة من الأصدقاء الجدد، ومن بينهم سارة. بالنظر إلى الماضي، عرفت أنّ والدَيها أرادا أن يقيما حفلًا كبيرًا من أجل عيد ميلادها الحادي والعشرين تعويضًا عن عدم حضورها حفل التخرّج الذي كانوا يتوقّعونه جميعًا.

تأخّر سترايك في العودة. ربّما كانت إيزي تعطيه التفاصيل كلها، الآن بعدما اكتشفا ما هو موضوع الابتزاز، أو ربّما اعتقدت روبن أنّها أرادت ببساطة إبقاءه مدّة أطول معها على الهاتف.

لكن إيزي ليست من النوع الذي يعجبه.

أذهلتها الفكرة قليلًا. وشعرت بقليل من الذنب لأنّ هذه الفكرة خطرت لها وازداد عدم ارتياحها عندما طردت هذه الفكرة فكرة أخرى.

صديقاته جميعهنّ جميلات. إيزي ليست جميلة.

يجذب سترايك النساء الجميلات بشكل ملحوظ، بسبب مظهره الضخم المحبوب الشبيه بالدب، وشعره الكثيف الذي يصفه هو بـ«يشبه شعر العانة».

«لا بدّ أنّني أبدو مروّعة»، ذلك كان أول ما فكّرت فيه روبن.

كان وجهها منتفخًا وشاحبًا عندما صعدت إلى سيّارة اللاند روفر هذا الصباح، وقد بكت كثيرًا منذ ذلك الحين. وبدأت تفكّر في ما إن كان لديها الوقت للعثور على حمّام لتمشيط شعرها على الأقلّ، عندما رصدت سترايك وهو يتّجه نحوها حاملًا قطعة برغر من لحم الغزال في كلّ يد وقسيمة مراهنة في فمه.

قال لها من خلال أسنانه:

– إيزي لم تردّ. تركت لها رسالة. خذي قطعة برغر وتعالي. راهنت للتوّ بعشرة جنيهات على براون بانثر.

– لم أدرك أنّك مراهن.

– لست كذلك، وهو يزيل قسيمة الرهان من بين أسنانه ويضعها في جيبه، لكنّني أشعر بأنّ الحظّ يحالفني اليوم. تعالي، سنشاهد السباق.

عندما ابتعد سترايك، أدخلت روبن سدادة الشمبانيا في جيبها.

قال وفمه مليء بلقمة من البرغر، عندما اقتربا من المضمار:

– «براون بانثر» يعني النمر البنّي، إلّا أنّه ليس بنّيًا، أليس صحيحًا؟ لبدة سوداء، لذلك هو...

– كستنائي، نعم. هل أنت مستاء لأنّه ليس نمرًا أيضًا؟

– أحاول فقط أن أفهم هذا المنطق. ذلك الحصان الذي وجدته على الإنترنت – بلان دو بلان – كان كستنائيًا وليس أبيض.

– تقصد أنّه لم يكن رماديًا.

فتمتم سترايك:

– اللعنة، بنبرة تتأرجح بين المزاح والسخط.

65



أتساءل، كم عدد الذين يفعلون ذلك؛ الذين يجرؤون على ذلك؟

هنريك إبسن، روسميرشولم

حصل «براون بانشر» على المركز الثاني. صرفا مكاسب سترايك بين الطعام والقهوة، حتى انقضت ساعات النهار وحان الوقت للتوجّه إلى وولستون وإلى الوادي. بينما كان الذعر يثقل صدر روبن كلّما فكرت في الأدوات الموجودة في الجزء الخلفي من سيّارة اللاند روفر والوادي المظلم المليء بالقرّاص، شتّت سترايك أفكارها، سواء عن قصد أو بغير قصد، بسبب رفضه المستمرّ لشرح توفقا شهادة ديلا وين مع كلام رافاييل تشيزيل، أو الاستنتاجات التي استخلصها منهما.

وظلّ يقول:

– فكّري، فكّري فقط.

لكنّ روبن كانت مرهقة، وكان من الأسهل لها أن تدفعه ببساطة ليشرح لها الأمر أثناء شرب القهوة وتناول السندويشات، محاولة الاستمتاع بهذه الفترة المفصلية في حياتهما العملية، لأنّها لم تقضِ هي وسترايك ساعات طويلة معًا إلّا في أوقات الأزمات. ولكن مع غروب الشمس أكثر وأكثر في الأفق، اندفعت أفكارها بإصرار أكبر نحو الوادي، وفي كلّ مرّة خطرت الفكرة في

بالها، شعرت بتشنّج صغير في معدتها. لاحظ سترايك صمتها القلِق المتزايد، واقترح للمرّة الثانية أن تبقى في اللاند روفر بينما يقومان هو وباركلي بالحفر.

قالت روبن بلطف:

– كلّا. لم آتِ للجلوس في السيّارة.

مرّت خمس وأربعون دقيقة تقريبًا قبل أن يصلا إلى وولستون. كان لون السماء عند الغرب يفقد حمرته بسرعة عندما نزلا للمرّة الثانية إلى وادي الحصان الأبيض، وبحلول الوقت الذي وصلا فيه إلى الموقع، كانت بعض النجوم الباهتة ترصّع سماءً شاحبة. انعطفت روبن ودخلت سيّارة اللاند روفر إلى الطريق المكسوّ بالعشب والنباتات الذي يؤدّي إلى ستيدا كوتادج، وارتجّت السيّارة وشقّت طريقها فوق الحفر العميقة وبين الأشواك والأغصان المتشابكة، نحو ظلام دامس في ظلّ الأشجار الكثيفة حولهما.

قال لها سترايك:

– ادخلي إلى أقصى حدّ ممكن. وتفقد الوقت على جوّاله، ثمّ أكمل: على باركلي أن يركن سيّارته خلفنا. كان يجب أن يصل قبلنا، طلبت إليه أن يكون هنا الساعة التاسعة.

أوقفت روبن السيّارة وأطفأت المحرّك، ونظرت إلى الغابة الكثيفة التي تقع بين المسار ومنزل عائلة تشيزيل. ربّما كانا غير مرئيّين، لكنّهما ما زالا يتعدّيان على ممتلكات الغير. ولم يهمّها قلقها بشأن احتمال كشف أمرهما مقارنة مع خوفها الحقيقي الملموس ممّا يكمن تحت نباتات القرّاص المتشابكة في قاع ذلك الحوض المظلم خارج ستيدا كوتادج، ولذا عادت إلى الموضوع الذي استخدمته كمصدر إلهاء طوال فترة الظهيرة.

قال لها سترايك للمرّة الألف:

– قلت لك... فكّري. فكّري في حبوب «لاشسيس». أنت من قال إنّ لها أهمّية مميّزة، تذكّري. فكّري في كلّ تلك الأشياء الغريبة التي استمرّ تشيزيل في القيام بها: السخرية من أمير أمام الجميع، قائلًا إنّ لاشسيس «تعرف متى يحين أوان كلّ شخص»، وقال لك «إنّهم يتعثّرون الواحد تلو الآخر»، ثمّ بحث عن محفظة نقود فريدي، الذي كان في جيبه.

– فكّرت في هذه الأمور، لكنّني ما زلت لا أرى كيف...

– الهيليوم والأنابيب التي تدخل المنزل داخل صندوق شمبانيا. كان أحدهم يعلم أنّه لن يشربه، فقد كانت لديه الحساسية تجاه النبيذ الأبيض. اسألي نفسك كيف عرفت فليك أنّ هناك ما يحقّ لجيمي أن يطالب به تشيزيل. فكّري في خلاف فليك مع رفيقة سكنها لورا...

– ما علاقة هذا بذاك؟

قال سترايك بطريقة مثيرة للغضب:

– فكري! لم يُعثر على الأميتريبتيلين في عبوة عصير البرتقال الفارغة في نفايات تشيزيل. تذكّري كينفارا، المهووسة بمكان وجود تشيزيل. خمّني ما الذي ستخبرني به فرانشيسكا الصغيرة من معرض دراموند إذا تمكّنتُ من الحديث معها على الهاتف. فكّري في تلك المكالمة مع مكتب دائرة تشيزيل بشأن الأشخاص الذين «يتبوّلون على أنفسهم عند احتضارهم»؛ وهو أمر غير حاسم في حدّ ذاته، أوافقك الرأي، ولكنّه مؤشر قويّ جدًا عندما تفكّرين في الأمر مليًا...

قالت روبن متشكّكة:

– أنت تسخر منّي. فكرتك تربط بين هذه الأمور كلها بطريقة منطقية؟

قال سترايك متعاليًا:

– أجل، وتوضح أيضًا كيف عرف وين وأمير بوجود صور في وزارة الخارجية، على الأرجح لمشنقة جاك أوكنت قيد الاستخدام، فيما كان أمير قد استقال من هناك قبل شهور ووين لم تطأ قدمه تلك الوزارة على حدّ علمنا...

رنّ جوّال سترايك فتفقّد الشاشة.

كانت إيزي تعاود الاتصال.

– سأردّ على الاتّصال في الخارج. أحتاج إلى سيجارة.

خرج من السيّارة. وسمعته روبن يقول: «مرحبًا»، قبل أن يغلق الباب. جلست في انتظاره، وكان ذهنها يضجّ بالأفكار. إمّا أن تكون قد خطرت لسترايك فكرة رائعة، أو أنّه كان يسخر منها، وكانت تميل قليلًا إلى الاحتمال الثاني، فالمعلومات التي سردها للتو لا تبدو مترابطة فيما بينها على الإطلاق.

بعد خمس دقائق، عاد سترايك إلى مقعد الراكب.

قال وهو يغلق الباب مجدّدًا:

– عميلتنا ليست سعيدة. كان من المفترض أن تخبرنا تيغان أنّ كينفارا تسلّلت عائدة في تلك الليلة إلى لندن لتقتل تشيزيل، لا أن تؤكّد حجّة غيابها، وأن تتحدّث عن مشانق تشيزيل.

– هل اعترفت إيزي بالأمر؟

– لم يكن لديها خيار، أليس كذلك؟ لكن الأمر لم يرقها. وأصرّت بشدّة على إخباري بأنّ تصدير المشانق كان قانونيًا في ذلك الوقت. أجبتها بأنّ والدها كان قد أخذ مالًا يعود إلى جيمي وبيلي، وكنت محقة. كانت مشنقتان قد صُمّمتا وأصبحتا جاهزتَين للبيع عندما تُوفي جاك أوكنت ولم يتكلّف أحد عناء إخبار ولديه. ولم يرقها الاعتراف بذلك أيضًا.

– هل تعتقد أنّها تخشى أن يطالبا بعقار تشيزيل؟

– لا أرى أنّ ذلك سيكون في مصلحة سمعة جيمي في الدوائر التي يتسكّع فيها، أن يقبل المال الناتج عن شنق أشخاص في بلدان العالم الثالث، لكن لا أحد يعرف.

مرت سيّارة على الطريق خلفهما، فالتفت سترايك بأمل:

– اعتقدت أنّه قد يكون باركلي... ونظر إلى ساعته. ربّما فاته المنعطف.

قالت روبن، التي كانت أقلّ اهتمامًا بمزاج إيزي أو مكان وجود باركلي مقارنة بالنظرية التي حجبها سترايك عنها:

– كورموران، هل فعلًا لديك فكرة تشرح كلّ ما قلته لي للتوّ؟

قال سترايك مداعبًا ذقنه:

– أجل. المشكلة هي أنّها تقرّبنا من اكتشاف الفاعل، لكنّي ما زلت عاجزًا عن معرفة السبب، ما لم يتمّ ذلك بدافع الكراهية العمياء؛ لكنّها لا تبدو كجريمة عاطفية، أليس كذلك؟ لم تكن هذه ضربة مطرقة على الرأس، بل كان إعدامًا خُطّط له جيّدًا.

– ماذا حدث لنظرية «الوسيلة قبل الدافع»؟

– كنت أركّز على الوسائل. هي قادتني إلى هذه الفكرة.

– ألن تخبرني حتى إن كان «قاتلًا» أو «قاتلة» على الأقلّ؟

– لن يحرمك أيّ معلّم جيّد من رضى اكتشاف ذلك بنفسك. هل بقي لدينا بعض البسكويت؟

– كلّا.

– من حسن الحظ أنّني اشتريت هذا إذًا.

وأخرج لوح تويكس من جيبه، وفكّ غلافه وأعطاها نصفه فأخذته على مضض بينما هو وجد الأمر مسليًا.

لم يتكلّما حتى أنهيا الأكل. ثمّ قال سترايك، وهو أكثر جدّية ممّا كان عليه:

– الليلة مهمّة. إن لم نجد شيئًا مدفونًا في بطانية وردية في الجزء السفلي من الوادي، نكون قد أنهينا قضيّة بيلي بالكامل: ويكون قد تخيّل الخنق، فنطمئنه وسأحاول إثبات نظريتي بشأن موت تشيزيل، من دون أن تشتّت تفكيري أمور أخرى ومن دون أن أقلق بشأن علاقة طفلة ميتة بالأمر وبقاتلها.

ذكّرت روبن سترايك:

– أو قاتله. قلت إنّ بيلي لم يكن متأكّدًا إن كان فتى أم فتاة.

وفيما قالت ذلك، أظهر لها خيالها الجامح هيكلًا عظميًا صغيرًا ملفوفًا في بقايا بطانية متعفّنة. هل يمكن معرفة ما إن كان الجسد ذكرًا أم أنثى ممّا بقي منه؟ هل سيجدون مشبكًا أو رباط حذاء، أو أزرارًا، أو خصلة طويلة من الشعر؟

وفكّرت في نفسها: أتمنّى ألّا نجد شيئًا يا ربّ، أرجو ألّا نجد شيئًا.

لكنّها سألت بصوت عالٍ:

– وإذا وجدنا – شيئًا – شخصًا – مدفونًا في الوادي؟

– تكون نظريتي خاطئة، لأنّني لا أستطيع أن أرى كيف قد يتناسب طفل مخنوق في أوكسفوردشاير مع أيّ شيء ذكرته لك من قبل.

قالت روبن برويّة:

– هذا ليس ضروريًا. قد تكون محقًّا بشأن من قتل تشيزيل، وقد يكون هذا الأمر منفصلًا تمامًا عن مقتله.

قال سترايك وهو يهزّ برأسه:

– كلّا، إنّها أكثر من مصادفة. إن كان هناك شيء مدفون في الوادي، فإنّ له علاقة بالأمور الأخرى كلها. شاهد أحد الأخوين جريمة قتل عندما كان طفلًا، والآخر ابتزّ رجلًا قُتل بعد عشرين عامًا، فيما دُفن الطفل في أرض تشيزيل... إن كان هناك طفل مدفون في الوادي، فإنّه على علاقة بالأمر. لكنّني أرجّح عدم وجود أيّ شيء. فلو اعتقدت بجدّية أنّ هناك جثّة في الوادي، لحاولت إقناع الشرطة بالقيام بالمهمّة. عملنا الليلة هو لبيلي. لقد وعدته.

جلسا يشاهدان الطريق يتلاشى عن الأنظار تدريجًا في الظلام، وكان سترايك يفحص جوّاله من حين إلى آخر.

– أين باركلي اللعـ...؟ آه!

ما إن قال لك حتّى ظهرت مصابيح أمامية على المسار خلفهما. تقدّم باركلي بسيّارة غولف قديمة فوق الطريق وداس على الفرامل، وأطفأ المصابيح. في المرآة الجانبية، شاهدت روبن طيفه مغادرًا السيّارة، وتتحوّل إلى باركلي بلحمه ودمه عندما وصل إلى نافذة سترايك، حاملًا حقيبة أدوات مثل حقيبة المحقق تمامًا.

قال باقتضاب:

– مساء الخير. ليلة جميلة لسرقة قبر.

قال سترايك:

– تأخرت.

– أجل. أعرف. تلقّيت لتوّي مكالمة من فليك. أعتقد أنّك تريد أن تسمع ما لديها.

واقترح سترايك:

– اصعد في الخلف. يمكنك إخبارنا أثناء انتظارنا. سننتظر عشر دقائق، ونتأكّد من أنّ الظلام أصبح دامسًا.

صعد باركلي إلى الجزء الخلفي من سيّارة اللاند روفر وأغلق الأبواب. استدار سترايك وروبن في مقعديهما للتحدّث معه.

– اتّصلت بي، منتحبة...

– بلغةٍ أبسط، لو سمحت.

– ... باكية، بل مرتعدة من الخوف. داهمت الشرطة شقتها اليوم.

قال سترايك:

– أخيرًا. وبعد؟

– فتّشوا الحمّام ووجدوا ملحوظة تشيزيل. واستجوبوها.

– وكيف فسّرت وجود الملحوظة معها؟

– لم تخبرني. كلّ ما أرادته هو معرفة مكان جيمي. إنّها في حالة يرثى لها. قالت لي: «فقط أخبر جيمي أنّهم حصلوا عليها، وسيفهم ما أعنيه».

– أين جيمي، هل تعلم؟

– أجهل ذلك تمامًا. رأيته البارحة ولم يذكر ما ينوي القيام به، لكنّه أخبرني أنّه أغضب فليك لأنّه سألها عمّا إن كان لديها رقم بوبي كونليف. وقال باركلي مبتسمًا لروبن: أعجبته بوبي الشابّة. أخبرته فليك أنّها لا تعرف الرقم وسألته عن سبب اهتمامه الشديد بها. قال جيمي إنّه كان «يحاول» أن يصطحب بوبي إلى اجتماع لـ«ريل سوشليست»، لكن، كما تعلمان، فليك ليست غبيّة.

سألت روبن:

– هل تعتقد أنّها أدركت أنّني من بلّغ الشرطة؟

قال باركلي:

– ليس بعد. إنّها مذعورة.

قال سترايك، وهو يحدّق إلى الجزء الصغير من السماء الذي يمكنهم رؤيته من خلال أوراق الشجر فوقهم:

– حسنًا، أعتقد أنّ علينا أن نبدأ. أحضر تلك الحقيبة بجانبك يا باركلي، وضعت فيها الأدوات والقفّازات.

سأل باركلي متشكّكًا:

– كيف ستحفر وساقك في هذه الحال؟

– لا يمكنك أن تفعل ذلك وحدك وإلّا بقينا هنا حتى مساء غد.

قالت روبن بحزم:

– سأحفر أنا أيضًا. شعرت بشجاعة أكبر بعد تأكيدات سترايك أنّه من غير المرجّح أن نجد أيّ شيء في الوادي.

– مرّر لي تلك الجزمة يا سام.

كان سترايك يخرج المصباح وعصا المشي من حقيبة أدواته.

قال باركلي:

– سأحملها.

وعلا صوت الأدوات المعدنية الثقيلة وهو يرفع حقيبة سترايك على كتفه إلى جانب حقيبته.

انطلق الثلاثة على الطريق، ومشت روبن وباركلي بنفس وتيرة مشي سترايك، الذي تقدّم بعناية، مركّزًا ضوء مصباحه على الأرض ومستخدمًا العصا بانتظام، يتّكئ عليها ويفسح لنفسه الطريق مبعدًا كلّ ما يعوق طريقه. كتمت الأرض الناعمة صوت خطواتهم، لكنّ الليل الهادئ زاد من قعقعة الأدوات التي يحملها باركلي، وحفيف المخلوقات الصغيرة غير المرئيّة التي تفرّ من العمالقة الذين غزوا بريّتها، ونباح الكلب الآتي من اتّجاه منزل عائلة تشيزيل. تذكّرت روبن كلب تيرير النورفولك، وأملت ألّا يكون طليقًا.

عندما وصلوا إلى الحقل، لاحظت أنّ الكوخ في الليل بات أشبه ببيت ساحرة شرّيرة. وسهل عليها أن تتخيّل شخصيات كامنة خلف النوافذ المتصدّعة، فقالت لنفسها بحزم إنّ الوضع مخيف بما يكفي من دون أن تتخيّل فظائع جديدة، فابتعدت عنه.

ترك باركلي الحقيبتَين تقعان أرضًا عند حافة الوادي مصدرًا أنّة خافتة، وفتح كلتَيهما. وبفضل ضوء المصباح، رأت روبن مجموعة واسعة من الأدوات: معولًا، ومنكاشًا، وقضيبَين، ومذراة، وفأسًا صغير، وثلاثة مجارف، إحداها برأس مدبّب. ورأت أيضًا عدّة أزواج من قفّازات البستنة السميكة.

قال باركلي وهو يحدّق إلى الوادي المظلم أسفلهم:

– أجل، ستكفيها هذه المعدّات. علينا أن ننزع هذه الأعشاب وإلّا لن تكون لنا أيّ فرصة للحفر في الأرض.

قالت روبن:

– حسنًا، وهي تمدّ يدها إلى زوج قفّازات.

سأل باركلي سترايك، الذي فعل الشيء نفسه:

– هل أنت متأكّد من أنك قادر على هذا يا رجل؟

قال سترايك بعصبيّة:

– بحق السماء، يمكنني أن أزيل بعض نبات القرّاص.

قال باركلي، ممسكًا بالمعول والقضيب:

– أحضري الفأس يا روبن. علينا أن نقتلع العديد من الشجيرات.

هبط الثلاثة معًا في الجانب الحادّ من الوادي وشرعوا في العمل. لمدّة ساعة تقريبًا قطعوا الأغصان المتعرّجة وسحبوا نباتات القرّاص، متبادلين الأدوات أحيانًا أو صاعدين إلى الأعلى لجلب معدّات مختلفة.

على الرغم من برودة الجو، سرعان ما بدأت روبن تتعرّق، واضطرّت إلى أن تخلع طبقة تلو الأخرى من ملابسها. من ناحية أخرى، كان سترايك يكرّس قدرًا كبيرًا من الطاقة للتظاهر بأنّ الانحناء والالتواء المستمرّين على أرض زلقة غير مستوية لا يؤلم قدمه المبتورة. أخفى الظلام تعابير وجهه العابسة، وكان حريصًا على تعديل تعابيره كلّما شغّل باركلي أو روبن المصباح للتحقق من تقدّمهم.

ساعد النشاط البدني في تبديد خوف روبن ممّا يمكن أن يختبئ تحت أقدامهم. وقالت في نفسها إنّ هذه ربّما هي الحال في الجيش: العمل اليدوي الشاق والصداقة الحميمة بين الزملاء تساعد المرء على التركيز على شيء غير الواقع المروّع الذي قد ينتظره. انكبّ الجنديان السابقان على مهمّتهما بطريقة منهجية ودون شكوى باستثناء بعض الشتائم عندما مزّقت الجذور والفروع العنيدة ثيابهما وجلدهما.

قال باركلي أخيرًا:

– حان وقت الحفر، عندما أصبح قاع الوادي نظيفًا بقدرِ الإمكان، وأكمل: عليك أن تخرج يا سترايك.

قال سترايك:

– أنا سأبدأ، يمكن لروبن أن تحلّ محلّي في ما بعد. ثم قال لها: هيّا، خذي قسطًا من الراحة، واحملي المصباح بثبات من أجلنا ومرّري لي المذراة. علّمت نشأة روبن مع ثلاثة أشقّاء دروسًا قيّمة عن الأنا الذكورية، وعن حسن اختيار معاركها. واقتناعًا منها بأنّ الأمر الذي أطلقه سترايك نبع من كبريائه أكثر من عقلانيته، امتثلت له، وتسلّقت جانب الوادي شديد الانحدار، لتجلس وتمسك المصباح بثبات أثناء عمل الرجلَين، ولتمرّر لهما أدوات مختلفة لمساعدتهما على إزالة الصخور ومعالجة البقع القاسية من الأرض من وقت إلى آخر.

كان العمل بطيئًا. وكانت سرعة حفر باركلي تفوق سرعة سترايك بثلاثة أضعاف، وقد رأت روبن أنّه يكافح من البداية، خاصّة عندما يضغط على رأس المجرفة المدبّبة لإدخالها في الأرض بقدمه، فيما لا يمكنه الاعتماد على رجله الاصطناعية لتحمّل وزنه بالكامل على الأرض غير المستوية وهي تؤلمه كلما ضغط نحو الأسفل على معدن المجرفة القاسي. امتنعت في كلّ دقيقة مرّت عن التدخّل لتعرض على سترايك أن تأخذ مكانه، إلى أن تمتم «اللعنة»، وانحنى، ووجهه متجهّم من الألم.

فاقترحت:

– هل عليّ أن أحلّ محلّك؟

تمتم بغيظ:

– أعتقد أنّك ستضطرّين إلى ذلك.

جرّ نفسه خارج الوادي، محاولًا عدم وضع المزيد من الثقل على قدمه، وأخذ المصباح من روبن أثناء نزولها وحمله بثبات للاثنين أثناء عملهما، وكانت قدمه في ألم شديد وكما توقّع ومتورّمة من شدّة الاحتكاك.

حفر باركلي قناة قصيرة بعمق قدمين قبل أن يأخذ استراحته الأولى، وتسلق الحفرة لإحضار زجاجة ماء من حقيبته. وبينما كان يشرب، أخذت روبن قسطًا من الراحة، واتّكأت على مقبض مجرفتها، ووصل صوت النباح إليهم مجدّدًا، فحدّق باركلي صوب منزل تشيزيل غير المرئيّ وسأل:

– أيّ نوع من الكلاب لديها هناك؟

قال سترايك:

– لابرادور عجوز وتيرير لعين.

قال باركلي وهو يمسح فمه بذراعه:

– إذا أطلقتهما سينكشف أمرنا. سوف يمرّ الكلب مباشرة عبر تلك الشجيرات. فحاسة السمع عند كلاب التيرير جيّدة جدًّا.

قال سترايك:

– آمل ألّا تسمح لهما بالخروج، وأضاف: استريحي خمس دقائق يا روبن. وأطفأ المصباح.

صعدت روبن أيضًا من الوادي أخذت زجاجة ماء جديدة من باركلي. الآن بعدما توقّفت عن الحفر، شعرت بالقشعريرة تجتاح جسمها كله. بدا صوت رفرفة المخلوقات الصغيرة وهروبها في العشب والأشجار عاليًا جدًا في الظلام. ولم يتوقّف الكلب عن النباح، وخُيّل لروبن أنّها سمعت صراخ امرأة من بعيد.

– هل سمعتما ذلك؟

قال باركلي:

– أجل. كأنّها طلبت إليه أن يصمت.

وانتظروا. أخيرًا، توقف التيرير عن النباح.

قال سترايك:

– فلننتظر بضع دقائق أخرى. دعه ينام.

انتظروا، وبات صوت همس الأوراق في الظلام أكثر وضوحًا، حتى نزلت روبن وباركلي إلى الوادي مجدّدًا وعاودا الحفر.

باتت عضلات روبن الآن تتوسّل الرحمة، وبدأت كفّاها تتقرحان تحت القفّازين. كلّما تعمّقا في الحفر، أصبحت المهمّة أصعب، والتربة أكثر تماسكًا ووفرة بالصخور والحجارة. كان طرف الخندق من جهة باركلي أعمق بكثير من الطرف الذي كانت تهمّ بحفره...

اقترح سترايك:

– دعيني أحفر قليلًا.

ردّت بقوّة قائلة:

– كلّا، وكانت متعبة جدًا فلم يسعها أن تتعامل بلطف معه، وأكملت: سوف تؤذي ساقك.

لهث باركلي قائلًا:

– إنّها محقة يا صديقي. ارم لنا زجاجة ماء أخرى. أشعر بعطش شديد.

بعد ساعة، وصل طرف الحفرة إلى وسط باركلي وباتت راحتا روبن تنزفان تحت القفازين الكبيرين، اللذين يحكّان طبقات من جلدها بينما كانت تستخدم الطرف غير الحادّ من القضيب لمحاولة إخراج صخرة ثقيلة من الأرض.

– هيّا، أيّتها الصخرة... اللعينة...

عرض عليها سترايك:

– هل تريدين المساعدة؟ واستعدّ للنزول.

قالت له بغضب:

– ابقَ مكانك. لن أتمكّن من حملك إلى السيّارة بعد كلّ هذا العمل.

وخرجت منها صرخة صغيرة أخيرة لا إرادية لأنّها نجحت في قلب الصخرة الصغيرة. انزلقت حشرتان صغيرتان ملتصقتان بالجانب السفلي من الحجر هربًا من ضوء المصباح. ووجّه سترايك الشعاع مجدّدًا إلى باركلي.

قالت روبن بحدّة:

– كورموران!

– ماذا؟

– أحتاج إلى ضوء.

شيء ما في صوتها جعل باركلي يتوقّف عن الحفر. تجاهل سترايك تحذيرها الذي أطلقته من لحظة وبدلًا من توجيه الشعاع نحوها، نزل إلى الوادي نحو المنطقة المحفورة. تأرجح ضوء المصباح، وأعمى روبن للحظة.

– ماذا رأيت؟

قالت:

– وجّه الضوء إلى هنا، على الصخرة.

صعد باركلي نحوهما، وكان سرواله مغطًى من الاسفل إلى الجيوب بالتراب.

نفّذ سترايك ما طلبته. حدّق ثلاثتهم إلى السطح المغطى بالصخور. رأوا أمامهم الوحل، ورأوا شريطًا من مادّة من الواضح أنّها ليست من النباتات، بل من صوف، باهتة اللون لكن وردية بشكل واضح.

استداروا معًا في حركة منسجمة لفحص الفجوة الباقية في الأرض مكان الصخرة، ووجّه سترايك المصباح إلى الحفرة.

لهثت روبن قائلة:

– اللعنة، ومن دون تفكير، خبّأت وجهها بقفّازي الحديقة الموحلَين. انكشفت بضع بوصات من الموادّ القذرة، تحت شعاع المصباح القويّ، وكانت أيضًا وردية اللون.

قال سترايك:

– أعطني هذا، وسحب المعول من يدها.

– لا!

لكنّه كاد يدفعها جانبًا. من خلال ضوء المصباح المنحرف، استطاعت أن ترى تعابير وجهه، حازمة، وغاضبة، كما لو أنّ وجود البطّانية الوردية كدّره بشدّة، أو كما لو أنّه أهين شخصيًا لوجودها.

– باركلي، خذ هذا.

ودفع بالمعول إلى زميله.

– حاول أن تكسر الحجر هنا بقدر ما تستطيع. وحاول ألّا تثقب البطّانية. روبن، اذهبي إلى الطرف الآخر. استخدمي المذراة. ثمّ توجّه بالحديث إلى باركلي من جديد: وانتبه إلى يديّ. ثمّ وضع المصباح في فمه حتى يضيء أمامه وجثا على ركبتيه في التراب وبدأ بدفع التراب جانبًا بأصابعه.

همست روبن متجمّدة من البرد:

– اسمعا.

وصل إليهم صوت نباح كلب التيرير المجنون مرّة أخرى عبر هواء الليل.

همست روبن مجدّدًا:

– لقد صرخت، أليس كذلك، عندما قلبت الصخرة؟ أظنّ أنّني أيقظته من النوم مجدّدًا.

قال سترايك:

– لا تهتمّي بهذا الآن، بينما كانت أصابعه مشغولة برفع الأوساخ عن البطانية.

– احفري.

– ولكن ماذا لو...؟

– سنتعامل مع الأمر إذا وقع. احفري.

أكملت روبن الحفر. وبعد دقيقتين، استبدل باركلي المعول بمجرفة. شيئًا فشيئًا، انكشفت البطانية الوردية، التي لا تزال محتوياتها مدفونة عميقًا بحيث لا يمكن للحافرين نبشها.

قال باركلي، وهو يراقب امتداد البطانية القذرة:

– هذا ليس شخصًا بالغًا.

واستمر التيرير في النباح في البعيد، من صوب منزل عائلة تشيزيل.

قال باركلي، متوقفًا ليزيل العرق والوحل عن عينيه:

– يجب أن نبلغ الشرطة، يا سترايك. ألسنا نعبث في موقع جريمة هنا؟

لم يردّ سترايك. شعرت روبن بغثيان طفيف، وشاهدت أصابعه تستشعر شكل الشيء المخفيّ تحت البطانية القذرة.

قال لها:

– اصعدي إلى حقيبتي، ستجدين فيها سكّينًا. سكّين ستانلي. بسرعة.

استمرّ التيرير ينبح نباحًا يشتتهم. وهُيّئ لروبن أنّ صوت نباحه يعلو. تسلّقت أعلى الجانب الحادّ من الوادي، وبحثت في أعماق الكيس المظلمة، ووجدت السكّين وعادت إلى سترايك.

وهمست:

– كورموران، أعتقد أنّ سام محقّ. يجب أن نترك هذا للـ...

قال وهو يمدّ يده:

– أعطني السكّين. هيّا بسرعة، أستطيع أن أشعر بها. إنّها الجمجمة. بسرعة.

خلافًا لجميع غرائزها، سلّمته السكّين. وسمعت صوت ثقب في القماش ثمّ صوت تمزّق.

وقالت لاهثة:

– ماذا تفعل؟ وهي تراقب سترايك يجرّ شيئًا في الأرض.

قال باركلي بغضب:

– اللعنة يا سترايك، أتحاول أن تقتلع...؟

صدر صوت تحطم مروّع، وكشفت الأرض عن شيء كبير وأبيض. أطلقت روبن صيحة صغيرة، وتراجعت وسقطت فيما يشبه وضعية جلوس على طرف الوادي.

كرّر باركلي:

– اللعنة.

حوّل سترايك المصباح إلى يده الحرّة لكي يسلّط ضوءه على الشيء الذي اقتلعه للتوّ من الأرض. وفوجئ كلّ من روبن وباركلي برؤيته يحمل جمجمة حصان مشوّهة ومكسورة جزئيًا.

66

لا تجلس هنا للتفكير والنظر في معاضل لا حلّ لها.

هنريك إبسن، روسميرشولم

الجمجمة التي بقيت محميّة على مرّ السنين بالبطّانية، تجلّت شاحبة في ضوء المصباح، واتّسمت بطريقة غريبة بطابع الزواحف بطول أنفها وحدّة فكّها السفلي. بقي فيها عدد قليل من الأسنان الحادّة. وإضافة إلى ثقبَي العينين كان فيها تجويفان، أحدهما في الفكّ، والآخر في جانب الرأس، وتصدّع العظم وتشقّق حول كلّ منهما.

قال سترايك:

– أطلق عليه الرصاص، وأدار الجمجمة ببطء بين يديه. أظهر التواء ثالث مسار رصاصة أخرى كسرت جمجمة الحصان لكنّها لم تخترقها.

عرفت روبن أنّها كانت ستشعر باستياء أكبر بكثير لو كانت الجمجمة بشرية، لكنّها مع ذلك ارتعشت من الصوت الذي أحدثته الجمجمة عند تحرّرها من الأرض، ومن مشهد هذا الهيكل الهشّ غير المتوقع لما كان مخلوقًا حيًّا يتنفّس في يوم من الأيام، الذي عرته اليوم البكتيريا والحشرات.

وقالت:

– يقتل البيطري الخيول برصاصة واحدة في جبهتها. لا يرشّها بالرصاص.

جزم باركلي:

– بندقية، واقترب لتفحّص الجمجمة، وأردف: أطلق أحدهم النار عليه.

سأل سترايك روبن:

– ليس كبيرًا، أليس كذلك؟ هل كان مهرًا؟

– ربّما، لكنّني أعتقد أنّه يشبه المهر القزم إلى حدّ كبير، أو الحصان القزم.

أدار الجمجمة ببطء في يديه وشاهدها ثلاثتهم تتحرّك في ضوء المصباح. بذلوا من الألم والجهد في نبشها من الأرض قدرًا كبيرًا إلى حدّ بدا أنّها تحمل أسرارًا تتجاوز أسرار وجودها.

قال سترايك:

– إذًا، شهد بيلي دفنًا بالفعل، لكنّه لم يكن دفن طفل. قالت روبن:

– لن تضطرّ إلى إعادة التفكير في نظريتك.

كرّر باركلي:

– نظرية؟

لكنّهما تجاهلاه.

قال سترايك وقد بدا وجهه كالشبح خلف ضوء المصباح:

– لا أعرف يا روبن. إن لم يبتكر قصة الدفن، فلا أعتقد أنّه ابتكر...

قال باركلي:

– اللعنة. فعلتها! لقد أطلقت الكلبين اللعينين.

لم يعد نباح التيرير الحادّ واللابرادور العميق مكتومًا بين الجدران، ووصل إليهم عبر الغابة في الليل. من دون مقدّمات، رمى سترايك الجمجمة وقال:

– باركلي، احمل جميع الأدوات وارحل من هنا. سنلهي الكلبين عنك.

– ماذا عن...؟

قال سترايك:

– اتركه، لا وقت لدينا للردم. روبن، تعالي، أنت معي...

قالت روبن:

– ماذا لو اتّصلت بالشرطة؟ وقد وصلت إلى قمّة الوادي أولًا ثمّ استدارت لمساعدة سترايك على الصعود.

قال لاهثًا:

– سنستبق الأمر، هيّا، أريد أن أوقف الكلبَين قبل أن يصلا إلى سام.

الغابة كثيفة ومتشابكة. ترك سترايك عصاه في الوادي. وأمسكت روبن بذراعه وهو يعرج بأسرع ما يمكن، صارخًا من الألم في كلّ مرّة يجبر فيها ساقه المبتورة على تحمّل وزنه. لمحت روبن وميضًا خفيفًا من الضوء عبر الأشجار. وعلمت أنّ شخصًا خرج من المنزل وهو يحمل مصباحًا يدويًا.

فجأة، ظهر تيرير النورفولك من خلال الشجيرات، وأخذ ينبح بشراسة.

قالت روبن لاهثة:

– أحسنت! أجل، لقد وجدتنا!

متجاهلًا مبادرتها الودّية هجم عليها وحاول أن يعضّها، فركلته بجزمة الويلينغتون، وأبعدته بينما وصلت إليهما أصوات اللابرادور الضخم القادم نحوهما.

قال سترايك:

– أيّها الأبله الصغير، محاولًا صدّ تيرير النورفولك وهو يندفع حولهما مزمجرًا، لكن بعد ثوانٍ، شمّ التيرير رائحة باركلي فأدار رأسه نحو الوادي وقبل أن يتمكّن أيّ منهما من إيقافه، انطلق مجدّدًا وهو ينبح بجنون.

قالت روبن:

– اللعنة.

قال سترايك:

– لا تهتمّي، استمرّي في التقدّم، على الرغم من أنّ طرف قدمه كان يحرقه وتساءل إلى أيّ مدى سيدعمه.

تمكّنا من التقدّم بضع خطوات فقط عندما وصل إليهما اللابرادور السمين.

صاحت روبن:

– كلب جيّد، أجل، كلب جيّد. وسمح لها اللابرادور، الذي كان أقلّ حماسًا بشأن المطاردة، بإحكام قبضتها على طوقه. قالت روبن:

– تعال، تعال معنا، وجرّته قليلًا بينما لا يزال سترايك يتّكئ عليها، نحو ساحة الكروكيت المكسوّة بالأعشاب العالية حيث رأيا المصباح يتمايل أكثر من قبل في الظلام. نادى صوت صاخب:

– بادجر! راتينبيري! من أنتم؟ من هناك؟

كان الطيف الذي يحمل المصباح أنثويًا وضخمًا. صرخت روبن:

– لا بأس يا سيّدة تشيزيل! هذا نحن!

– من تعنين بـ«نحن»؟ من أنتم؟

تمتم سترايك لروبن قائلًا:

– افعلي ما أفعله، وصاح:

– سيّدة تشيزيل، إنّنا كورموران سترايك وروبن إيلاكوت.

وصرخت عبر المسافة المتضائلة بينهما:

– ما الذي تفعلانه هنا؟

صرخ سترايك:

– سيدة تشيزيل، كنّا نجري مقابلة مع تيغان بوتشر في القرية، بينما كان هو وروبن وبادجر المتردّد يشقّون طريقهم بجهد عبر الأعشاب الطويلة، ثمّ أكمل: كنّا عائدَين من هنا ورأينا شخصَين يدخلان أرضك.

– أيّ شخصَين؟ أين؟

– دخلا الغابة هناك. من أعماق الأشجار، كان تيرير النورفولك لا يزال ينبح بشدّة. نحن لا تعرف رقم هاتفك وإلّا كنّا اتّصلنا لنحذّرك.

الآن وقد أصبحا على بعد بضعة أقدام منها، رأيا أنّ كينفارا ترتدي معطفًا سميكًا ومبطّنًا فوق ثوب نوم قصير من الحرير الأسود، وأنّ ساقيها عاريتان خارج جزمة ويلينغتون. قابل سترايك ارتيابها وصدمتها وشكّها بأن طمأنها:

– رأينا أنّه يجب علينا أن نفعل شيئًا، لأنّنا الوحيدان اللذان رأيا ذلك، ثمّ تقدّم خطوتَين أخريَين نحوها بمساعدة روبن، ثمّ توقّف وقال بروح بطوليّة: المعذرة على مظهرنا. هذه الغابة موحلة وقد وقعت مرّتين أو ثلاثًا.

اجتاح نسيم بارد العشب المظلم. وحدّقت إليه كينفارا، مرتبكة مرتابة، ثمّ أدارت وجهها في اتّجاه نباح الكلب المستمرّ.

وصرخت:

– راتنبيري! راتنبيري!

التفتت كينفارا مجدّدًا إلى سترايك:

– كيف كان مظهرهما؟

ألّف سترايك:

– رجلان، شابّان، بدا أنّهما يتمتّعان باللياقة البدنية من الطريقة التي كانا يتحرّكان بها. علمنا أنّك واجهت مشكلة مع المتسللين من قبل...

قالت كينفارا وهي تبدو خائفة:

– أجل، واجهت ذلك من قبل. ثمّ أضافت وكأنّها المرّة الأولى التي تنتبه فيها لحال سترايك الذي يتكئ بشدّة على روبن، والألم يعلو وجهه: أعتقد أنّ من الأفضل أن تدخلا.

قال سترايك بامتنان:

– شكرًا جزيلًا، هذا لطف منك.

أزاحت كينفارا طوق اللابرادور من قبضة روبن وصرخت: «راتنبيري!» مرّة أخرى، لكنّ الكلب الذي كان ينبح بعيدًا لم يستجب، لذلك سحبت اللابرادور، الذي ظهرت عليه علامات التمرّد، نحو المنزل، وتبعتها روبن وسترايك.

تمتمت روبن لسترايك:

– ماذا لو اتّصلت بالشرطة؟

فأجاب:

– سنعبر ذلك الجسر عندما نصل إليه.

كانت نافذة غرفة الرسم الممتدّة من الأرض إلى السقف مفتوحة. من الواضح أنّ كينفارا تبعت كلبيها المحمومين من خلالها، باعتبارها أسرع طريق إلى الغابة.

حذّرتها روبن:

– نحن موحلان جدًا، وهم يشقون طريقهم عبر ممرّ الحصى المحيط بالمنزل.

قالت كينفارا وهي تدخل غرفة الرسم دون أن تكلّف نفسها عناء خلع جزمتها:

– اتركي حذاءك في الخارج. أريد أن أغيّر هذه السجّادة، على أيّ حال.

خلعت روبن جزمتها، وتبعت سترايك إلى الداخل وأغلقت النافذة.

أضاء مصباح واحد الغرفة الباردة القذرة.

– رجلان؟ كرّرت كينفارا، مستديرة مرّة أخرى نحو سترايك. من أين رأيتهما يأتيان بالضبط؟

– من فوق الحائط على الطريق.

– أتعتقد أنّهما عرفا أنّكما رأيتماهما؟

– آه، أجل. توقفنا، لكنّهما ركضا في الغابة. أعتقد أنّهما عدلا عن خطّتهما بمجرّد أن تبعناهما. وسأل روبن: أليس كذلك؟

قالت روبن:

– أجل، نعتقد أنّنا سمعناهما يركضان عائدَين نحو الطريق عندما أطلقتِ الكلبَين.

قالت كينفارا:

– لا يزال راتنبيري يطارد شخصًا ما... بالطبع، يمكن أن يكون ثعلبًا... ثعالب الغابة تفقده صوابه.

لفت انتباه سترايك تغيير طرأ في الغرفة منذ زيارته الأخيرة، إذ ظهر مربّع جديد من ورق الحائط القرمزي الداكن فوق رفّ الموقد، حيث عُلّقت من قبل لوحة الفرس والمهر.

فسأل:

– ماذا حدث للوحتك؟

استدارت كينفارا لترى ما قصده سترايك. وتأخّرت في الردّ بضع ثوانٍ:

– بعتها.

قال سترايك:

– آه... حسبت أنّك كنت تحبّين هذه اللوحة كثيرًا.

– ليس بعد ما قاله توركويل في ذلك اليوم. بات وجودها يضايقني منذ ذلك الحين.

– آه...

استمرّ نباح راتنبيري يُسمع من الغابة حيث تأكد سترايك من أنه وجد باركلي، وهو يكافح للعودة إلى سيّارته مع حقيبتَين مليئتَين بالأدوات. الآن بعد أن أفلتت كينفارا قبضتها عن طوقه، أطلق اللابرادور السمين نباحًا واحدًا وهرع إلى النافذة، حيث بدأ يئنّ ويخدش الزجاج.

قالت كينفارا، وقد اختلجها مزيج من مشاعر القلق والغضب:

– لن تصل الشرطة في الوقت المناسب، حتى لو اتّصلت بهم. إنّهم لا يعطونني الأولوية. يعتقدون أنّني أختلق وجود هؤلاء الدخلاء.

قالت وقد توصّلت إلى قرار:

– سأتفقّد الخيول.

لكن بدلًا من الخروج من النافذة، خرجت من غرفة الرسم إلى القاعة ومن هناك، سمعاها تدخل غرفة مختلفة.

همست روبن:

– آمل ألّا يكون الكلب قد عضّ باركلي.

تمتم سترايك:

– الأفضل أن تأملي ألّا يكون باركلي قد اقتلع رأسه بالمجرفة.

فُتِح الباب مجدّدًا. عادت كينفارا، وذُعرت روبن لرؤيتها تحمل مسدّسًا.

قال سترايك وهو يتأرجح إلى الأمام وأذهلها بأخذ المسدّس من قبضتها:

– سآخذ هذا. تفحّصه وقال: هارينغتون وريتشاردسون بسبع طلقات؟ حيازته غير قانونية يا سيّدة تشيزيل.

– كان لجاسبر، كما لو أنّ هذا يمثّل رخصةً خاصة لحيازته، وأكملت: وأفضّل أن آخذ...

قال سترايك بحزم:

– سأرافقك للاطمئنان على الخيول، ويمكن لروبن البقاء هنا ومراقبة المنزل.

لم تستطع كينفارا أن تحتجّ لأنّ سترايك سارع إلى فتح نافذة غرفة الرسم. اغتنم اللابرادور الفرصة وعاد إلى الحديقة المظلمة، وتردّد صدى نباحه في المكان كله.

صاحت كينفارا:

– آه، بحق السماء! ما كان يجب أن تتركه يخرج... بادجر! والتفتت بسرعة نحو روبن، وقالت: ابقي في هذه الغرفة! ثمّ تبعت اللابرادور إلى الحديقة، وعرج سترايك وراءها وهو يحمل المسدّس. اختفى كلاهما في الظلام. أمّا روبن فوقفت حيث تركاها مصدومة من أمر كينفارا الحازم.

سمحت النافذة المفتوحة بدخول الكثير من هواء الليل البارد إلى الداخل، حيث كانت الغرفة باردة أساسًا. اقتربت روبن من سلّة الأخشاب بجانب النار، وقد امتلأت بشكل مغرٍ بالصحف والعصيّ والأخشاب وغيرها من موادّ إشعال النار، لكنّها وجدت من الصعب إشعال النار في غياب كينفارا. كانت الغرفة رثّة من جميع النواحي كما تتذكّرها، وباتت الجدران الآن مجرّدة من كلّ شيء باستثناء أربع صور مطبوعة لمناظر طبيعية من أوكسفوردشاير. في الخارج، على الأراضي التابعة للمنزل، استمرّ الكلبان في النباح، ولكن داخل الغرفة، كان الصوت الوحيد الذي لم تلاحظه روبن في زيارتها الأخيرة، بسبب حديث العائلة ومشاحناتها، هو دقات ساعة حائط طويلة قديمة قابعة في الزاوية.

بدأت كلّ عضلة في جسدها تؤلمها بعد ساعات طويلة من الحفر، وكانت يداها المتقرّحتان تحرقانها. ما إن جلست على الأريكة المترهّلة، وهي تعانق نفسها لتدفئ جسدها قليلًا، حتى سمعت صريرًا فوق رأسها بدا كأنّه وقع أقدام.

حدّقت روبن إلى السقف. ربّما تخيّلت ذلك. فالبيوت القديمة تصدر أصواتًا غريبة تبدو بشرية وتصبح لاحقًا مألوفة. كانت مشعاعات التدفئة عند والدَيها تحدث ضوضاء صاخبة في الليل، وأبوابهما القديمة تصدر صريرًا عندما يشغلان التدفئة المركزية. ربّما كان الأمر غير مهمّ.

سمعت صريرًا مرة ثانية، على بعد عدّة أقدام من المكان الذي صدر منه صرير أوّل مرة.

عندما وقفت، عاينت الغرفة بحثًا عن أيّ شيء يمكنها استخدامه كسلاح. قبع تمثال ضفدع برونزي قبيح على طاولة إلى جانب الأريكة. وعندما أمسكت أصابعها بالسطح البارد المحفّر، سمعت صريرًا للمرة الثالثة فوقها. لم تتخيّل ذلك، فقد تحرّكت الخطوات عبر الغرفة مباشرة فوق الغرفة التي كانت فيها.

وقفت روبن ثابتة تمامًا لمدّة دقيقة تقريبًا، مرهفة السمع. وعلمت ما كان سترايك سيقوله لها في هذه الحال:

– ابقي مكانك.

ثمّ سمعت حركة صغيرة أخرى فوقها. وتأكّدت أنّ شخصًا ما يمشي في الطابق العلوي.

تحرّكت بهدوء قدر الإمكان وقد ساعدها في ذلك أنّها كانت تمشي بجوربَيها، ودارت حول باب غرفة الرسم من دون أن تلمسه مخافة أن يصرّ، سارت بهدوء إلى وسط الردهة ذات البلاط الحجري، الذي يلقي عليه الفانوس المعلّق ضوءًا متقطّعًا. توقفت تحته، مرهفة السمع مجدّدًا وقلبها ينبض بتوتّر، متخيّلة شخصًا مجهولًا يقف فوقها، متجمّدًا، مستمعًا، ينتظر. توجّهت إلى أسفل الدرج ممسكةً بالضفدع البرونزي بيدها اليمنى. كانت حافّة الدرج فوقها مظلمة. وتردّد صدى نباح الكلبَين من أعماق الغابة.

كانت في منتصف الدرج عندما أحسّت أنّها سمعت جلبة صغيرة فوقها مجدّدًا: جرّ أقدام على السجّادة تبعها حفيف باب يُغلق.

علمت أنّه لا فائدة من أن تصرخ: «من هنا؟» فلو أنّ الشخص المختبئ عنها يرغب في إظهار وجهه، لما ترك كينفارا تغادر المنزل بمفردها لمواجهة من أثارَ الكلبَين.

عند وصولها إلى أعلى الدرج، لاحظت شعاعًا من الضوء منبعثًا على الأرضية المظلمة من الغرفة الوحيدة المضاءة. شعرت بقشعريرة في عنقها وفروة رأسها بينما تسلّلت نحوه، وخشيت أن يكون المختبئ المجهول يراقبها

من إحدى الغرف الثلاث المظلمة مفتوحة الأبواب التي كانت تمرّ بجانبها. نظرت مرارًا من فوق كتفها ودفعت باب غرفة النوم المضاءة بأطراف أصابعها، ورفعت الضفدع البرونزي عاليًا ودخلت.

تيقنت أنّها دخلت غرفة كينفارا: فوضوية، مليئة بالأغراض، مهجورة. أضاء مصباح واحد الغرفة، وُضع على منضدة بجانب السرير قرب الباب. كان السرير منكوشًا بحيث بدا أنّ أحدهم تركه على عجلة، وكان اللحاف المبطّن عاجي اللون على الأرض. غطّى الجدران عدد من صور الخيول، كلها أقلّ جودة بكثير من اللوحة التي اختفت من غرفة الرسم، حتى بالنسبة إلى عين روبن غير الخبيرة. رأت روبن أنّ أبواب خزانة الملابس مفتوحة، لكن لا يمكن سوى لقزم أن يختبئ بين الملابس الكثيفة في داخلها.

عادت روبن إلى حافة الدرج المظلمة. وتوجّهت في الظلام محكمة قبضتها على الضفدع البرونزي. الأصوات التي سمعتها جاءت من غرفة فوق رأسها مباشرة، ما يعني أنّها على الأرجح الغرفة ذات الباب المغلق المواجه لها.

عندما مدّت يدها نحو مقبض الباب، اشتدّ إحساس الرعب وتخيّلت أنّ عيونًا غير مرئيّة تراقبها. عندما فتحت الباب ودفعته، تحسّست بيدها على الحائط دون أن تدخل، حتى وجدت زرّ الضوء.

كشف الضوء القويّ عن غرفة نوم باردة عارية فيها سرير نحاسي وخزانة واحدة ذات أدراج. شُحبت الستائر الثقيلة على الحلقات النحاسية القديمة لإخفاء الحديقة والأراضي المجاورة. وعلى السرير المزدوج، وُضعت لوحة، «الفرس المفجوعة»، الفرس البنّية والبيضاء المنحنية فوق المهر الأبيض النقيّ الملتفّ في القشّ.

تلمّست روبن جيب سترتها بيدها التي لا تحمل ثقّالة الورق البرونزية على شكل ضفدع فوجدت جوّالها والتقطت عدّة صور للّوحة الملقاة على غطاء السرير. وبدا لها أنّها وُضعت على عجل هنا.

شعرت فجأة بأنّ شيئًا تحرّك وراءها. فاستدارت بسرعة محاولة التخلّص من الصورة الساطعة للإطار المذهّب الذي أحرق عينَيها بفعل ضوء

الكاميرا الوامض. ثمّ سمعت صوتَيْ سترايك وكينفارا يصعدان من الحديقة فعرفت أنّهما عائدان إلى غرفة الرسم.

أطفأت الضوء في الغرفة بسرعة، وركضت محاولة أن تحدث أقلّ قدر ممكن من الضجّة عبر حافة الدرج ونزلت. خوفًا من عدم قدرتها على الوصول إلى غرفة الرسم في الوقت المناسب لتستقبلهما، اندفعت إلى الحمّام في الطابق السفلي، وشغّلت شاطف المرحاض، ثمّ ركضت عائدة عبر القاعة، ووصلت إلى غرفة الرسم بدخول مضيفتها إليها من الحديقة.



67

... كان لديّ سبب وجيه بما فيه الكفاية
كي أخفينا بغيرةٍ خلف حجاب.

هنريك إبسن، روسميرشولم

تخبّط كلب تيرير النورفولك بقوائمه الموحّلة بين ذراعَي كينفارا. وعندما رأى روبن، بدأ راتنبيري ينبح مجدّدًا محاولًا أن يتحرّر.

قالت روبن لاهثة:

– آسفة، كنت بحاجة شديدة إلى دخول الحمّام. فيما أخفت الضفدع البرونزي خلف ظهرها. وصدّق على كلامها خزّان مياه شاطف المرحاض القديم بإصدار أصوات الأزيز والدويّ التي انتشر صداها في الردهة ذات البلاط الحجري. سألت روبن سترايك، وهو يدخل الغرفة وراء كينفارا: هل وجدتما شيئًا؟

قال سترايك:

– لا شيء. وبدا منهكًا من شدّة الألم. انتظر أن يدخل اللابرادور اللاهث إلى الغرفة وأغلق النافذة فيما كان المسدّس لا يزال في يده الأخرى، ثمّ أردف: لكن كان هناك دخيلان من دون شك. عرف الكلبان ذلك وأعتقد أنّهما هربا. إنّها لصدفة كبيرة أن نمرّ من هناك حين كانا يتسلّقان الجدار!

صرخت كينفارا:

– اصمت يا راتنبيري!

وضعت التيرير أرضًا، وعندما رفض أن يتوقّف عن النباح في وجه روبن، هدّدته برفع يدها فخاف وتراجع إلى الزاوية حيث اللابرادور.

سألت روبن:

– هل الخيول بخير؟ وقد انتقلت إلى الطاولة التي أخذت منها ثقّالة الورق البرونزية.

قال سترايك متجهّمًا فيما انحنى ليستشعر ركبته:

– أحد أبواب الإسطبل لم يكن موصدًا بإحكام. لكن السيّدة تشيزيل تعتقد أنّه تُرك هكذا. أتمانعين أن أجلس يا سيّدة تشيزيل؟

أجابته كينفارا بنبرة وقحة:

– لا... لا مانع.

وتوجّهت إلى طاولة اصطفّت عليها الزجاجات في إحدى زوايا الغرفة وفتحت زجاجة فيموس غراوس وصبّت لنفسها كأسًا كبيرة من الويسكي. فيما كانت كينفارا توليهما ظهرها وضعت روبن ثقّالة الورق على الطاولة مجدّدًا. وحاولت أن تلفت نظر سترايك إلّا أنّه جلس على الأريكة وهو يصدر أنّة خافتة ونظر إلى كينفارا وقال من دون خجل:

– لن أرفض الدعوة إن دعيتني، وهو يتجهّم مجدّدًا ويدلّك ركبته، وأكمل: في الحقيقة، أخشى أنّني مجبر على نزع ساقي الاصطناعية، أتمانعين؟

– لا بأس... ماذا تريد أن تشرب؟

– سأشرب الويسكي أنا أيضًا، من فضلك، وهو يضع المسدّس على الطاولة إلى جانب الضفدع البرونزي، وأشار بعينيه إلى روبن حتى تجلس هي أيضًا.

فيما صبّت كينفارا بعض الويسكي في كأس خرى، بادر سترايك بنزع ساقه الاصطناعية. استدارت كينفارا لتعطيه كأسه وراقبته مفتونة ومحرجة فيما كان ينزع رجله الاصطناعية ولم تحجب نظرها سوى عندما شاهدت الساق المبتورة الملتهبة. تنهّد سترايك فيما أسند الساق الاصطناعية إلى الكرسيّ الصغير وأسدل بنطلونه على ساقه المبتورة.

وقال:

– شكرًا جزيلًا، فيما أخذ الكأس من يدها وارتشف منها.

كانت كينفارا عالقة مع رجل عاجز عن المشي، ومن المُفترض بها أن تكون ممتنَة له، وقد سلّمته لتوّها كأس ويسكي، لكنّها جلست وقد خلا وجهها من أيّ تعبير.

قال سترايك:

– في الحقيقة يا سيّدة تشيزيل، كنت سأتّصل بك هاتفيًا لتأكيد بعض الأمور التي سمعناها من تيغان في وقت سابق اليوم. ويمكننا أن نمرّ عليها الآن إن شئت لننهيها.

ارتعشت كينفارا ارتعاشًا خفيفًا ونظرت إلى المدفأة الخالية، فقالت روبن محاولة المساعدة:

– هل تريدين أن أش...؟

أجابت كينفارا بلهجة عدائية:

– كّلا. أستطيع أن أفعل ذلك بنفسي.

توجّهت إلى السلّة الكبيرة القابعة إلى جانب المدفأة وأخذت منها صحيفة قديمة. وبينما جمعت كينفارا قطعًا صغيرة وكومة من أوراق الصحف ومكعّب لإشعال النار، تمكّنت روبن من لفت نظر سترايك إليها.

وهجّت له من دون صوت: «يوجد شخص في الطابق العلوي»، لكنّها لم تتيقّن من أنّه فهم ما قالته له. فقد رفع حاجبيه بحيرة والتفت مجدّدًا إلى كينفارا.

اشتعل عود كبريت واشتعلت النار حول كومة الأوراق والأخشاب الصغيرة في المدفأة. حملت كينفارا كأسها وعادت إلى طاولة المشروبات، حيث زادت في كأسها كمّية كبيرة من الويسكي الإسكتلندي، ثمّ بعد أن لفّت المعطف عليها عادت إلى سلّة قطع الخشب واختارت قطعة كبيرة ووضعتها في النار وجلست على الأريكة.

قالت لسترايك بتجهّم:

– هيّا إذًا، ماذا تريد أن تعرف؟

– كما قلت لك، تحدّثنا إلى تيغان بوتشر اليوم.

– وبعد؟

– وبتنا نعرف الآن لماذا ابتزّ جيمي نايت وغيرنيت وين زوجك.

لم تبد كينفارا أيّ مفاجأة.

قالت وهي تهزّ كتفيها:

– قلت للفتاتَين الغبيّتَين إنّك ستكتشف ذلك. إيزي وفيزي. عرف الجميع هنا ما كان يفعله جاك أوكنت في الحظيرة. وكان لا بدّ من أن يتكلّم أحدهم بالطبع.

ابتلعت جرعة من الوسكي محدثة بعض الصوت.

– أفترض أنّك تعرف الأمر كلّه، أليس كذلك؟ المشنقة؟ والصبيّ في زيمبابوي؟

سأل سترايك مجازفًا:

– تقصدين صموئيل؟

– بالضبط، صموئيل مو... مودراب أو ما شابه.

اشتعلت النيران فجأة، وارتفعت ألسنة اللهب متجاوزة قطعة الخشب، التي غرقت في وابل من الشرارات.

– قلق جاسبر من أن تكون مشنقته عندما سمعنا أنّ الصبيّ شُنق. أفترض أنّك تعرف الأمر كلّه، أليس كذلك؟ أنّ هناك مشنقتَين؟ لكنّ واحدة فقط وصلت إلى الحكومة. اختفت المشنقة الأخرى، فقد خُطفت الشاحنة أو شيء من هذا القبيل. هكذا فقد الجميع أثرها.

الصور مروّعة للغاية، على ما يبدو. تعتقد وزارة الخارجية أنّه على الأرجح حصل خطأ في تحديد هويّة الشابّ. لم ير جاسبر كيف يمكن أن يكتشفوا أنّه صانعهما، لكن جيمي قال إنّه يستطيع إثبات ذلك.

قالت كينفارا:

– عرفت أنّك ستكتشف الأمر، في لجهة من الرضى المرير، وأضافت: تيغان ثرثارة فظيعة.

– لذا، لنستوضح الأمور، عندما جاء جيمي نايت هنا أول مرّة لرؤيتكم، كان يطالب بنصيبه وبنصيب بيلي في المشنقتَين اللتَين تركهما والده عند وفاته؟

قالت كينفارا وهي تحتسي الويسكي:

– بالضبط. كانتا تساويان ثمانين ألفًا معًا. وأراد أربعين.

قال سترايك، الذي تذكّر أنّ تشيزيل تحدّث عن عودة جيمي بعد أسبوع من محاولته الأولى في الحصول على المال، وطلب مبلغًا أقلّ:

– لكنّ زوجك أخبره أنّه لم يتسلّم سوى ثمن واحدة منهما، لأنّ الأخرى سُرقت في الطريق أليس كذلك؟

قالت كينفارا وهي ترفع كتفيها:

– أجل. ثمّ طلب جيمي عشرين ألفًا، لكنّنا كنّا قد أنفقنا المبلغ.

– ما كان شعورك حيال طلب جيمي، عندما جاء أول مرّة يطلب المال؟

تساءلت روبن عمّا إن كان احمرار وجه كينفارا الطفيف بسبب السؤال أم مفعول الويسكي.

– في الواقع، اقتنعت بوجهة نظره، إن كنت تريد الحقيقة. فهمت لماذا شعر بأنّ له حقًّا في المطالبة بالمال. فنصف عائدات المشنقة من حق الولدَين نايت. كان هذا هو الاتّفاق عندما كان جاك أوكنت على قيد الحياة، لكنّ جاسبر رأى أنّ جيمي لا يمكنه استلام سعر المشنقة المسروقة، بما أنّه خزّنها في حظيرته، وتحمّل جميع تكاليف النقل وما إلى ذلك... وقال إنّ جيمي لا يستطيع مقاضاته، حتى لو أراد ذلك. هلى أيّ حال هو لم يحبّ جيمي.

– لا، أعتقد أنّهما كانا على خلاف سياسي.

كادت كينفارا تبتسم.

– السبب شخصي أكثر من ذلك. ألم تسمع عن جيمي وإيزي؟ كلا... أظنّ أنّ تيغان أصغر من أن تكون سمعت تلك القصّة. قالت وخُيّل إليها أنّ سترايك بدا مصدومًا عندما قالت ذلك، ثمّ أكملت: لم يحدث الأمر سوى مرّة واحدة، لكنّ جاسبر اعتبر الأمر كافيًا. رجل مثل جيمي نايت يفضّ عذرية ابنته الحبيبة...

وأكملت: لم يكن جاسبر يستطيع أن يعطي المال لجيمي، حتى لو أراد ذلك. كان قد أنفقه. سدّ به كشف حسابنا لفترة من الوقت وأصلح سقف الإسطبل. وأضافت بعدما شعرت أنّه يلومها بينه وبين نفسه: لم أعلم إطلاقًا بالاتّفاق الذي قام بين جاسبر وجاك أوكنت، إلى أن أوضحه لي جيمي تلك الليلة. أخبرني جاسبر أنّ المشنقة كانت ملكه وصدّقته. صدّقته بطبيعة الحال. فقد كان زوجي.

نهضت مرّة أخرى وعادت إلى طاولة المشروبات بينما غادر اللابرادور السمين ركنه البعيد قرب الأريكة الصغيرة العثمانية، باحثًا عن الدفء، وقبع أمام النار الهائجة. هرول تيرير النورفولك بعد ذلك وراءه، بعد أن زمجر على سترايك وروبن، حتى قالت كينفارا بغضب:

– اصمت يا راتنبيري.

قال سترايك:

– هناك أمران آخران أردت أن أسألك عنهما، أولًا، هل كان لزوجك رمز سريّ على هاتفه؟

– بالطبع. كان شديد الحرص على أمنه.

– إذًا لم يعطه لعدد كبير من الناس؟

– حتى إنّه لم يطلعني أنا عليه. لماذا تسأل؟

قال سترايك متجاهلًا السؤال:

– أخبرنا ابن زوجك قصّة مختلفة لتفسير مجيئه إلى هنا، صباح يوم وفاة زوجك.

– آه حقًا؟ ماذا قال هذه المرّة؟

– إنّه حاول منعك من بيع قلادة كانت ملك العائلة منذ...

قاطعته قائلة:

– قرّر قول الحقيقة أخيرًا، أليس كذلك؟ وعادت نحوهما وهي تحمل كأس ويسكي جديدةً في يديها. بشعرها الأصهب الطويل المتشابك بفعل هواء الليل، وخدّيها المتورّدين، بدا مظهرها مهملًا بعض الشيء الآن، وتناست أن تمسك معطفها لتبقيه مغلقًا وهي تتّجه عائدة إلى الأريكة، وكشف ثوب نومها

الأسود عن فجوة عميقة بين نهدَيها. جلست مجدّدًا على الأريكة وأردفت: أجل، أراد أن يمنعني من أخذ القلادة وهو، بالمناسبة، أمر يحق لي تمامًا أن أقوم به. إنّها ملكي بموجب شروط الوصيّة. كان يجب أن يكون جاسبر أكثر حرصًا في كتابتها لو لم يرغب في أن أحصل عليها، أليس كذلك؟

تذكّرت روبن دموع كينفارا، آخر مرّة زارا فيها هذه الغرفة هي وسترايك، وكيف أشفقت عليها، على الرغم من أنّها تصرّفت بطريقة فظّة مع الجميع. كان تصرّفها اليوم مختلفًا عن الأرملة المنكوبة، لكنّ روبن اعتقدت أنّ المشروب سبّب قسوتها، أو أنّها الصدمة التي شعرت بها لتطفّلهما على أراضيها.

– إذًا أنت تدعمين قصّة رافاييل بأنّه قاد سيّارته إلى هنا لمنعك من أخذ القلادة؟

– ألا تصدّقه؟

– ليس تمامًا.

– لا؟ لمَ؟

– لم أقتنع بالحجّة. لست مقتنعًا بأنّ زوجك كان في حالة جيّدة بما فيه الكفاية في ذلك الصباح ليتذكّر ما وضعه أو أغفله في وصيّته.

– كان في حالة جيّدة بما فيه الكفاية ليتّصل بي ويسألني إن كنت سأهجره.

– هل أخبرته أنّك ستبيعين القلادة؟

– كلّا، ليس بالتحديد. قلت له إنّني سأرحل حالما أجد مكانًا آخر لي وللخيول. أفترض أنّه ربّما تساءل كيف سأتدبّر أمري وأنا أفتقر إلى المال الخاصّ، ما جعله يتذكّر القلادة.

– إذًا جاء رافاييل هنا بدافع الولاء البسيط للأب الذي حرمه من الميراث؟

ألقت كينفارا نظرة طويلة وثاقبة على سترايك من فوق كأسها، ثمّ قالت لروبن:

– هلّا رميت حطبة أخرى على النار؟

لاحظت روبن أنّ كينفارا لم تقل «من فضلك»، لكنّها فعلت ما طلبته إليها رغم ذلك. زمجر تيرير النورفولك، الذي انضمّ إلى اللابرادور النائم قرب الموقد، إلى أن عادت وجلست في مكانها.

قالت كينفارا بأسلوب جازم:

– حسنًا، إليك الحقيقة. لم يعد الأمر مهمًّا بعد الآن، على أيّ حال. ستكتشف الفتاتان اللعينتان الأمر في النهاية ولن يحصل رافاييل إلّا على ما يستحقّه.

جاء بالفعل محاولًا منعي من أخذ القلادة، لكن لم يكن ذلك من أجل جاسبر أو فيزي أو إيزي. وقالت بحدّة لروبن: أنت تعرفين ألقاب العائلة جميعها، أليس كذلك؟ لا بدّ أنّها أضحكتك لبعض الوقت عندما كنت تعملين مع إيزي؟

– آه...

قالت كينفارا بفظاظة:

– كفّي عن الادّعاء، أعلم أنّك سمعتِها. إنّهم يلقبونني بـ«تينكي الثانية» أو شيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟ ومن وراء ظهر رافاييل، إيزي وفيزي وتوركويل يلقّبونه بـ«الكريه». هل كنت تعرفين ذلك؟

– كلّا.

– لقب لطيف، أليس كذلك؟ والدة رافاييل معروفة للجميع باسم «الأوركا»، لأنّها ترتدي دائمًا الأسود والأبيض. على أيّ حال... قالت كينفارا، التي أصبح وجهها الآن شديد الاحمرار: عندما أدركت الأوركا أنّ جاسبر لن يتزوّجها، أتعرفان ماذا فعلت؟

هزّت روبن رأسها.

– أخذت قلادة العائلة الشهيرة للرجل الذي أصبح عشيقها التالي وهو تاجر ألماس، وجعلته يزيل الأحجار الثمينة ويستبدلها بالزيركون. وأوضحت كينفارا، في حال عدم فهم سترايك وروبن: بدائل الألماس من صنع الإنسان. لم يدرك جاسبر أبدًا ما فعلته ولا أنا بالتأكيد. أتوقّع أنّ أورنيلا كانت تضحك

كثيرًا كلّما صوّروني وأنا أضع القلادة، معتقدة أنّني أضع أحجارًا كريمة بقيمة مئة ألف جنيه.

على أيّ حال، عندما علم ربيبي الحبيب أنّني سأهجر والده، وسمع أنّني قلت إنّني أملك ما يكفي من المال لشراء أرض للخيول، فهم أنّني أنوي تقييم القلادة. لذا جاء مسرعًا إلى هنا، لأنّ آخر ما يريده هو أن تكتشف الأسرة ما فعلته والدته. فهل سيبقى له ولو فرصة واحدة ليرضى عنه والده بعد ذلك؟

سأل سترايك:

– لماذا لم تخبري أحدًا بهذا الأمر؟

– لأنّ رافاييل وعدني في ذلك الصباح بأنّه إن لم أخبر والده بما فعلته الأوركا، ربّما يتمكّن من إقناع والدته بإعادة الأحجار، أو على الأقلّ بأن تعطيني مالًا بقيمتها.

– وهل ما زلت تحاولين استعادة الأحجار المفقودة؟

حدّقت كينفارا بحذر إلى سترايك من حافة كأسها:

– لم أفعل أيّ شيء حيال ذلك منذ وفاة جاسبر، لكن هذا لا يعني أنّني لن أفعل. لماذا أترك للأوركا اللعينة أن تنفذ بما هو حق لي؟ كُتب في أسفل وصيّة جاسبر، أنّ محتويات المنزل التي لم تُذكر بالتحـ... ونطقت كلامها بعناية وقد أثقل المشروب لسانها: بالتحديد، ملكي أنا. وقالت وهي ترمق سترايك بنظرة ثاقبة: والآن، هل هذا أشبه بتصرّف رافاييل في نظرك؟ أن يأتي إلى هنا لمحاولة التستّر على أفعال والدته العزيزة؟

– أجل، أعترف بذلك. شكرًا لصدقك.

نظرت كينفارا بحدّة إلى الساعة الطويلة، التي باتت تشير إلى الساعة الثالثة صباحًا، لكنّ سترايك تجاهل تلميحها.

– سيّدة تشيزيل، هناك أمر أخير أريد أن أسألك إيّاه وهو أمر شخصي، للأسف.

سألت منزعجة:

– ما هو؟

– تحدّثت إلى السيدة وين أخيرًا. ديلا وين، تعلمين...

– ديلا وين وزيرة الرياضة، قالت كينفارا، مثلما فعل زوجها، في المرّة الأولى التي قابله فيها سترايك، وأكملت: أجل، أعرف من هي. إنّها امرأة غريبة جدًا.

– ماذا تعنين؟

رفعت كينفارا كتفيها بفارغ الصبر، كما لو كان الأمر واضحًا.

– لا تهتمّ. ماذا قالت؟

– إنّها قابلتك في حالة حزن كبير منذ عام، وممّا استطاعت أن تفهمه، أنّك كنت منزعجة لأنّ زوجك قد اعترف لك بعلاقة غرامية.

فتحت كينفارا فمها ثمّ أغلقته. جلست هكذا لبضع ثوانٍ، ثمّ هزّت رأسها كما لو كانت تطرد منه بعض الأفكار وقالت:

– أنا... اعتقدت أنّه كان غير مخلص، لكنّي أخطأت. فهمت كلّ شيء بشكل خاطئ.

– وفقًا للسيّدة وين، قال لك كلامًا قاسيًا إلى حدّ ما.

– لا أتذكّر ما قلته لها. لم أكن في حال جيّدة في ذلك الوقت. كنت عاطفية أكثر من اللزوم وفهمت كلّ شيء بشكل خاطئ.

– سامحيني، لكن، للمراقب من الخارج مثلي... بدا زواجك...

قالت كينفارا بعنف:

– يا له من عمل مروّع الذي تقوم به. يا له من عمل مقزّز وغير طبيعي! أجل، زواجنا كان في ورطة، وماذا إذًا؟ هل تعتقد أنّه الآن وقد مات، الآن وقد انتحر، أريد أن أسترجع كلّ ذلك معكما، أنتما الغريبَين اللذين جرّتهما ربيبتاي الغبيّتان لإثارة الأمور وجعلها أسوأ بعشر مرّات؟

– إذن غيّرت رأيك، أليس كذلك؟ تعتقدين أنّ زوجك انتحر؟ عندما كنّا هنا في المرّة الأخيرة، اقترحت أنّ أمير مالك...

قالت بطريقة هستيرية:

– لا أعرف ما قلته آنذاك! ألا يمكنك فهم ما كانت عليه الحال، منذ أن انتحر جاسبر، مع الشرطة والأسرة ومعكما؟ لم أكن أعتقد أنّ هذا سيحدث، لم يخطر ذلك في بالي، لم يبدُ ذلك حقيقيًا... كان جاسبر تحت ضغط هائل

في الأشهر القليلة السابقة، يشرب كثيرًا، ومزاجه مروّع – بسبب الابتزاز، والخوف من أن تظهر الحقيقة إلى العلن – أجل، أعتقد أنّه انتحر وعليّ أن أعيش مع حقيقة أنّني هجرته في ذلك الصباح، وأنّها ربّما كانت هذه هي القشّة التي قصمت ظهر البعير!

عاد تيرير النورفولك إلى النباح بشراسة مرّة أخرى. واستيقظ اللابرادور فجأة وبدأ ينبح أيضًا.

وصرخت كينفارا:

– أرجوكما ارحلا. ووقفت. وأكملت: اخرجا! منذ البداية لم أرغب في أن تتدخّلا في هذه القضيّة! هلّا رحلتما؟

قال سترايك بأدب وهو يضع كأسه الفارغة على الطاولة:

– بالتأكيد، هلّا تنتظرين حتى أربط ساقي مجدّدًا؟

وقفت روبن. وشدّ سترايك ساقه الاصطناعية مجدّدًا بينما كانت كينفارا تشاهده وصدرها يرتفع وينخفض، وهي تحمل كأسها في يدها. أخيرًا، أصبح سترايك جاهزًا للوقوف، لكنّ محاولته الأولى جعلته يسقط على الأريكة مجدّدًا. وبمساعدة روبن، استطاع الوقوف أخيرًا.

– وداعًا، يا سيّدة تشيزيل.

أجابت كينفارا بالتوجّه نحو الباب وفتحه مجدّدًا، ثمّ صرخت للكلبين أن يبقيا في مكانهما عندما نهضا بحماس. لم يكد ضيفا كينفارا غير المرحّب بهما يخرجان إلى الدرب المكسوّ بالحصى حتى صفقت الباب خلفهما. بينما كانت روبن ترتدي جزمة الويلينغتون مجدّدًا، سمعا أزيز حلقات الستارة النحاسية التي سحبتها كينفارا لتغلقها، ثمّ نادت الكلبَين ليخرجا من الغرفة.

قال سترايك، الذي لم يضع ثقله على ساقه الاصطناعية:

– لست متأكّدًا من أنّني سأتمكّن من العودة إلى السيّارة يا روبن. في النهاية... ربّما كان الحفر... ربّما كان خطأً.

أمسكت روبن بذراعه من دون أن تقول شيئًا ووضعتها على كتفيها.

لم يقاوم. تحرّكا معًا ببطء عبر الأعشاب. سألت روبن:

– هل فهمت ما أومأت إليك به هناك؟

قال وهو يتجهّم بشكل مروّع كلّما وضع ساقه الاصطناعية على الأرض:

– أنّ أحدهم موجود في الطابق العلوي؟ أجل فهمت.

– لم يبدُ لي أنّك...

قال وهو ما زال يتّكئ عليها:

– لستُ متفاجئًا... انتظري... وتوقّف. لم تصعدي إلى الطابق العلوي؟

– بلى.

– بحق السماء...

– سمعت خطى.

– وماذا كان سيحدث لو هاجمك؟

– حملت سلاحًا ولم أكن... ولو لم أصعد، لما رأيت هذا.

أخرجت روبن جوّالها، وعرضت صورة اللوحة على السرير وسلّمته إيّاه. لم ترَ تعبير كينفارا عندما رأت الجدار الفارغ. كورموران، هي لم تدرك أنّ اللوحة قد نُقلت حتى سألتها عنها. من كان في الطابق العلوي حاول إخفاءها بينما كانت في الخارج.

حدّق سترايك إلى شاشة الهاتف لفترة شعر أنّها طويلة، فيما ضغطت ذراعه بشدّة على كتف روبن. وقال أخيرًا:

– هل هذا خيل مرقّط؟

قالت روبن غير مصدّقة:

– هل تتكلّم جدّيًا؟ أتناقش لون الفرس؟ الآن؟

– أجيبي.

– كلّا، المرقّط مبقّع بالأبيض والأسود، وليس بنّيًا و...

– يجب أن نتّصل بالشرطة. ارتفع احتمال حصول جريمة قتل أخرى بنسبة كبيرة.

– هل أنت جادّ؟

– أنا جادّ تمامًا. أعيديني إلى السيّارة وسأخبرك بكلّ شيء... لكن لا تطلبي إليّ أن أتكلّم حتى نصل إلى السيّارة، لأنّ ألم ساقي يقتلني.

68

لقد ذقت الدم الآن...

هنريك إبسن، روسميرشولم

بعد ثلاثة أيّام، تلقى سترايك وروبن دعوة غير مسبوقة. على سبيل المجاملة، لاختيارهما مساعدة الشرطة بدلًا من التفوّق عليها، بنقلهما المعلومات بشأن ملحوظة فليك المسروقة و«الفرس المفجوعة»، رحّبت شرطة المدينة بشريكَي المباحث في مركز التحقيقات في نيو سكوتلاند يارد. اعتاد سترايك وروبن أن تعاملهما الشرطة على أنّهما مزعجان أو متبجّحان، وفوجئا، بل حتى أحسّا بالامتنان لهذا التحسّن غير المتوقع في العلاقة.

عند وصولهما، خرجت الاسكتلندية الشقراء طويلة القامة التي تدير الفريق من غرفة الاستجواب لمدّة دقيقة لمصافحتهما. علم سترايك وروبن أنّ الشرطة كانت قد أحضرت شخصيَن مشتبهًا فيهما للاستجواب، على الرغم من عدم توجيهها الاتهامات لأيّ منهما حتى الآن.

أخبرتهما المحقّقة الأولى جودي ماكموران:

– أمضينا الصباح في نوبات هستيرية وإنكار قاطع، لكنّني أعتقد أنّنا سنجعلها تعترف بحلول نهاية اليوم.

– هل من الممكن أن نسمح لهما بإلقاء نظرة سريعة يا جودي؟ سأل مرؤوسها، المحقّق جورج لايبورن، الذي قابل سترايك وروبن عند الباب

ورافقهما إلى الطابق العلوي. كان رجلًا قصير القامة ذكّر روبن بشرطي المرور الذي اعتقد نفسه ظريفًا، على طرف الطريق العامّ حيث تعرّضت لنوبة الهلع.

قالت المحققة الأولى ماكموران بابتسامة:

– اذهبوا إذًا.

قاد لايبورن سترايك وروبن حول زاوية وعبر الباب الأول على يمينهم إلى منطقة مظلمة وضيّقة، نصف جدارها كان مرآة مزدوجة الاتّجاه في إحدى غرف الاستجواب.

شعرت روبن بالذهول، فهي لم تشاهد مثل هذه الأماكن سوى في الأفلام والتلفزيون. جلست كينفارا تشيزيل على جانب أحد المكاتب، بجانب محامٍ رفيع الشفتَين يرتدي بذلة مقلّمة. خلا وجهها الأبيض من التبرّج، وارتدت سترة حريرية رمادية شاحبة مجعّدة بدا أنّها نامت فيها، وكانت تبكي وقد غطّت وجهها بمنديل. جلس قبالتها مفتّش آخر في بذلة أرخص بكثير من بذلة المحامي، بدون أن تظهر أيّ تعابير على وجهه.

أثناء مشاهدتهم، دخلت المحقّقة الأولى ماكموران الغرفة مرّة أخرى وجلست على الكرسيّ الشاغر بجانب زميلها. بعد ما بدا وقتًا طويلًا جدًّا، لكنّه ربّما امتدّ دقيقة واحدة فقط، تكلّمت المحقّقة الأولى ماكموران:

– أليس لديك حتى الآن ما تقولينه عن ليلتك في الفندق، سيّدة تشيزيل؟

همست كينفارا:

– هذا أشبه بالكابوس. لا أصدّق أنّ هذا يحدث، لا أصدّق أنّني هنا.

بدت عيناها ورديّتين، منتفختَين وخاليتَين من الرموش الآن وقد أزال بكاؤها الماسكارا.

قالت مرتجفة:

– جاسبر انتحر. كان مكتئبًا! سيخبركما الجميع بذلك! كان الابتزاز يتآكله... هل تحدّثتما إلى وزارة الخارجية؟ حتى فكرة أنّه قد تكون هناك صور لذلك الصبيّ الذي شنقوه... ألا يمكنكما أن تريا مدى خوف جاسبر؟ فلو انتشر الخبر...

تصدّع صوتها.

وسألت:

– أين أدلّتكم ضدّي؟ أين هي؟ أين؟

سعل محاميها سعالًا جافًّا خفيفًا.

قالت المحققة الأولى ماكموران:

– لنعد إلى موضوع الفندق. لماذا تعتقدين أنّ زوجك اتّصل بهم، محاولًا التأكّد...

قالت كينفارا بطريقة هستيرية:

– النزول في فندق ليس جريمة! والتفتت إلى محاميها: هذا أمر سخيف، تشارلز، كيف يمكنهم رفع اتّهامي لأنّني ذهبت إلى...

قال المحامي للمحققة الأولى ماكموران:

– ستجيب السيّدة تشيزيل عن أيّ أسئلة لديك عن عيد ميلادها.

وظنّت روبن أنّه تفاؤل رائع... لكن في المقابل...

فُتح باب غرفة المراقبة وارتطم بسترايك.

قال لايبورن لزميله الذي دخل:

– حسنًا، سنخرج. تعالوا، سنذهب إلى غرفة الحادث. لديّ الكثير لأريكما إيّاه.

فيما انعطفوا عند الزاوية الثانية، رأوا إريك واردل يسير باتّجاههم.

قال مبتسمًا وهو يصافح يد سترايك:

– لم يخطر لي قطّ أنّني سأرى هذا اليوم. أن تدعوكما الشرطة للاطّلاع على التحقيق!

سأل لايبورن وقد بدا مستاءً قليلًا من احتمال مشاركة شرطيّ آخر للضيفين اللذين كان حريصًا على إثارة إعجابهما:

– هل ستبقى يا واردل؟

– سأفعل. لأكتشف ما كنت أساعد فيه طوال هذه الأسابيع.

قال سترايك فيما تبعوا لايبورن إلى غرفة الأدلّة:

– لا بدّ أنّ تمرير كلّ تلك الأدلّة التي عثرنا عليها قد أتعبك كثيرًا.

ضحك واردل.

روبن التي اعتادت على المكتبَين الضيّقين المتهالكَين قليلًا في شارع الدنمارك فُتنت لرؤية المساحة التي خصّصتها سكوتلاند يارد للتحقيق في وفاة مشبوهة لشخصية مرموقة. حمل لوح أبيض على الحائط جدولًا زمنيًا لعملية القتل. كما حمل الجدار المجاور مجموعة من صور موقع الوفاة والجثّة، تظهر تشيزيل متحرّرًا من كيسه البلاستيكي، بحيث بان وجهه المحتقن في صورة مقرّبة مروّعة، مع خدش حادّ أسفل أحد خدّيه، بعينَين غائمتَين نصف مفتوحتَين، وبشرة أرجوانية داكنة.

لاحظ لايبورن اهتمامها، فأطلعها على تقارير اختبارات السموم وسجلّات الهاتف التي استخدمتها الشرطة لبناء قضيّتها، ثم فتح الخزانة الكبيرة حيث تمّت تعبئة الأدلّة المادّية ووُضعت علامات عليها، بما في ذلك أنبوب حبوب اللاشيسيز المتصدّع، وعلبة عصير البرتقال، ورسالة وداع كينفارا لزوجها. عندما رأت روبن الملحوظة التي سرقتها فليك، ونسخة مطبوعة من صورة «الفرس المفجوعة» مستلقية على سرير احتياطي، اللتين علمت أنّهما أصبحتا الآن محوريّتين في قضيّة الشرطة، شعرت بالفخر.

قال المحقق لايبورن:

– حسنًا، وأغلق الخزانة وسار نحو شاشة الحاسوب. حان الوقت لرؤية السيّدة الصغيرة تعمل.

أدخل قرص فيديو في أقرب آلة، واقترب من سترايك وروبن وواردل.

ظهرت صورة الساحة الأمامية المزدحمة لمحطة بادينغتون.

وأشخاص بالأبيض والأسود يتحرّكون في كلّ مكان. وظهر الوقت والتاريخ في الزاوية اليسرى العليا.

قال لايبورن:

– ها هي ذي، وضغط على زرّ التوقف المؤقّت مشيرًا إلى امرأة بإصبعه الضخم. أترونها؟

على الرغم من عدم وضوح الصورة، كان يمكن التعرّف إليها على أنّها كينفارا. ظهر في الصورة رجلٌ ملتحٍ وهو يحدّق إليها، ربّما لأنّ معطفها كان

مفتوحًا، ما كشف عن الفستان الأسود الذي ارتدته في حفل افتتاح الألعاب البارالمبية. ضغط لايبورن على زرّ التشغيل مرّة أخرى.

– انظروا إليها... إنّها تتصدّق على المتشرّد...

كانت كينفارا قد تبرّعت لرجل متدثرٍ بغطاء ويحمل كوبًا جلس عند أحد المداخل.

قال لايبورن ولم يكن لكلامه من داعٍ:

– راقبوها، ذهبت مباشرة إلى عامل السكّة الحديدية – سؤال لا طائل منه – وأظهرت له تذكرتها... شاهدوها الآن... انطلقت إلى المنصّة، توقفت وسألت رجلًا آخر، لتتأكّد من أنّهم سيتذكّرون مرورها في كلّ خطوة قامت بها على الطريق، حتى لو لم تصوّرها الكامبرا... وبعد ذلك... صعدت إلى القطار.

ارتعشت الصورة وتغيّرت. كان قطار يسير باتّجاه المحطة في سويندون. نزلت كينفارا منه وهي تتحدّث إلى امرأة أخرى.

قال لايبورن:

– أترون؟ ما زالت تحرص على أن يتذكّرها، تحسّبًا لعدم عمل الكاميرات. و...

تغيّرت الصورة مرّة أخرى إلى موقف السيّارات في محطّة سويندون.

قال لايبورن:

– ها هي، السيّارة متوقّفة في مكان تلتقطها فيه الكاميرا. ركبت السيّارة وانطلقت. عادت إلى المنزل، وأصرّت على بقاء فتاة الإسطبل طوال الليل، ونامت في الغرفة المجاورة، وخرجت في صباح اليوم التالي لتركب الخيل على مرأى من الفتاة... حجّة غياب لا تشوبها شائبة. طبعًا، مثلكما، خلصنا إلى أنّه إن كانت هذه جريمة قتل فلا بدّ من أنّ شخصَين اثنَين قد نفّذاها.

سألت روبن:

– أبسبب عصير البرتقال؟

– على وجه التحديد. لو كان تشيزويل (لفظه بهذه الطريقة) تجرّع الأميتريبتيلين من غير علمه، فمن الأرجح أنّه صبّ كوب عصير ذُوّب فيه

المخدّر من علبة كانت في البرّاد، لكنّ العلبة في نفاياته لم تحتوِ على المخدّر ولم تحمل سوى بصماته.

قال سترايك:

– من السهل أن تضع بصماته على أغراض صغيرة من بعد موته، يكفي أن تضع يده عليها وتضغط.

قال لايبورن:

– تمامًا، وتوجّه إلى الجدار المليء بالصور وأشار بإصبعه إلى صور مقرّبة من الجرن والمدقّة، وأكمل: لذا عدنا إلى هذَين الغرضَين. إنّ الطريقة التي اصطفّت فيها بصمات تشيزيل وطريقة انتشار المخدّر أشارتا إلى أنّه قد وُضع قصدًا، ما يعني أنّ المخدّر قد سكبه في العصير، قبل ساعات من الوفاة، شخص يملك مفتاح المنزل ويعرف أيّ نوع من مضادّ الاكتئاب تستخدم الزوجة، وأنّ تشيزويل فاقدٌ لحاسّتَي الشمّ والتذوّق وأنّه كان يشرب العصير يوميًا في الصباح. وكلّ ما وجب عليه فعله هو جعل شريك له يضع عبوة عصير برتقال تحمل بصماته بعد موته ولا تحتوي على مضادّ الاكتئاب في النفايات، وأن يأخذ معه العبوة التي تحتوي على الأميتريبتيلين.

قال لايبورن: من أكثر من الزوجة يعرف هذا كلّه ويمكنه القيام به؟ لكن حجّة غيابها التي لا تشوبها شائبة تؤكّد أنّها كانت على مسافة تفوق سبعين ميلًا منه عندما كان يشرب العصير والدواء المضادّ للاكتئاب. لن ننسى أنّها تركت تلك الرسالة لتعطينا هذه القصّة الواضحة: زوجها الذي يواجه الإفلاس والابتزاز يدرك أنّ زوجته تهجره، فيفقد رباطة جأشه وينتحر.

ثمّ أضاف لايبورن مشيرًا إلى الصورة المكبّرة لوجه تشيزيل الميت، الذي تخلّص من كيسه البلاستيكي، ما أظهر خدشًا عميقًا أحمر على وجنته:

– لكن... هذا أثار لدينا بعض الشكوك. فقد وجدنا في البداية أنّ هذا الخدش مريب. فجرعة مفرطة من الأميتريبتيلين قد تسبّب الهيجان كما يمكنها أن تسبّب النعاس. ويبدو من هذه العلامة أنّ أحدهم كان قد وضع له الكيس بالقوّة على رأسه.

كذلك الباب المفتوح، فآخر شخص دخل أو خرج لم يعرف أنّ هناك طريقة لإغلاق الباب بطريقة صحيحة، لذا لم يبدُ لنا أنّ تشيزويل كان آخر من لمسه. وغياب علبة الحبوب المضادّة للاكتئاب، بدا ذلك مريبًا من البداية. لماذا قد يتخلّص جاسبر تشيزويل من العلبة؟ إنّها أخطاء صغيرة تنمّ عن الإهمال.

قال سترايك:

– كادت الخطّة تنجح. لو أنام دواء الأميتريبتيلين تشيزيل على النحو المنشود، ولو خطّطا لجميع الأمور بأدقّ تفاصيلها كإغلاق الباب بطريقة صحيحة، وترك علبة الحبوب المضادّة للاكتئاب في الموقع...

– لكنّهما لم يفعلا، وهي ليست ذكيّة بما يكفي لتبتكر قصّة جديدة كي تخلّص نفسها.

قال سترايك مكرّرًا ما قالته كينفارا:

– «لا أصدّق أنّ هذا يحدث». كلامها ثابت. قالت لنا ليلة السبت: «لم أعتقد أنّ هذا سيحدث، لم يبدُ الأمر حقيقيًا...».

قال واردل بهدوء:

– فلتجرّب قول ذلك في المحكمة.

قال لايبورن:

– أجل، ماذا توقّعت، يا عزيزتي، عندما سحقت حفنة من الحبوب ووضعتها في عصير البرتقال؟ أنت مذنبة بكلّ ما للكلمة من معنى.

قال سترايك:

– إنّه لأمر مذهل أن ترى الناس يكذبون على أنفسهم عندما ينجرفون في أعقاب شخص يتحلّى بشخصية أقوى من شخصيتهم. أراهنكم بعشرة جنيهات أنّه عندما ستجبرها ماكموران على الاعتراف أخيرًا، ستقول كينفارا إنهما بدآ على أمل أن ينتحر تشيزيل، ثمّ حاولا الضغط عليه للقيام بذلك، وأخيرًا وصلا إلى نقطة لم يعد فيها فرق كبير بين محاولة دفعه للانتحار ووضع الحبوب في عصير البرتقال بنفسها. أرى أنّها لا تزال تحاول إقناعكم بأنّ قضيّة المشنقة هي سبب انتحاره.

اعترف لايبورن قائلًا:

– لقد أحسنت فعلًا في ربط الأمور بقضيّة المشنقة. كنّا متأخّرين قليلًا عنك في هذا الموضوع، لكنّ أمورًا كثيرة توضّحت لنا. وأضاف وهو يأخذ ظرفًا بنّيًا من مكتب قريب ويُخرج صورة كبيرة منه: هذا أمر سرّي للغاية، لكنّ هذه الصور وصلتنا من وزارة الخارجية هذا الصباح. كما تريان...

روبن، التي اقتربت لترى، تمنّت لو أنّها لم تفعل ذلك. ما فائدة مشاهدة هذه الصورة المروّعة؟ جثّة ما بدا أنّه صبيّ مراهق، أكلت طيور الجيف عينيه، يتدلّى من حبل المشنقة في شارع مليء بالركام؟ كان الصبيّ حافي القدمين. وعلمت روبن أنّ أحدهم سرق حذاءه.

اختُطفت الشاحنة التي احتوت على المشنقة الثانية. لم تتسلّمها الحكومة ولم يحصل تشيزويل على ثمنها. وأشارت الصورة إلى أنّ المتمرّدين استخدموها في عمليات إعدام خارج نطاق القضاء. كان هذا الفتى المسكين، صموئيل موراب، في المكان والوقت غير المناسبَين. طالب بريطاني، أخذ عطلة لمدّة سنة وذهب لزيارة عائلته. قال لايبورن: الأمر ليس واضحًا جدًا لكن انظرا إلى هنا، خلف قدمه مباشرةً...

قال سترايك:

– أجل، قد تكون هذه علامة الحصان الأبيض.

ارتجّ هاتف روبن، الذي وضعته في الوضع الصامت، في جيبها. كانت تنتظر اتّصالًا مهمًّا، لكنّها كانت مجرّد رسالة نصّية من رقم غير معروف.

أعلم أنّك حظرتِ رقمي، لكنّي بحاجة إلى مقابلتك. طرأ طارئ ومن مصلحتك ومصلحتي أن نناقش الأمر. مات.

قالت روبن لسترايك:

– ليس أمرًا مهمًّا. وأعادت الجوّال إلى جيبها.

كانت هذه هي الرسالة الثالثة التي تركها ماثيو في ذلك اليوم.

الأمر طارئ، بالطبع!

ربّما اكتشف توم أنّ خطيبته وصديقه يمارسان الجنس. ربّما كان توم يهدّد بالاتّصال بروبن، أو زيارة المكتب في شارع الدنمارك، ليكتشف

ما تعرفه عن المسألة. إن كان ماثيو يعتقد أنّ هذا يشكّل «أمرًا طارئًا» لروبن، الواقفة حاليًا بجانب عدّة صور لوزير حكومي تمّ تخديره وخنقه، فهو مخطئ. وبذلت بعض الجهد لتركّز على المحادثة في غرفة الحادثة.

كان لايبورن يقول لسترايك:

– قضيّة القلادة... قصّتك أكثر إقناعًا بكثير من تلك التي أخبرنا إيّاها. كلّ هذا الهراء بشأن رغبته في منعها من إيذاء نفسها.

– روبن هي مَن جعلته يغيّر قصّته، وليس أنا.

قال لايبورن لروبن بقليل من التعالي:

– آه... في الحقيقة... أحسنت العمل. وجدت أنّه سافل نذل عندما أخذت أقواله الأوّلية. ومغرور. خرج للتوّ من السجن، ولم يبد أيّ ندم على دهس تلك المرأة المسكينة.

سأل سترايك:

– هل تمكّنتم من الاتّصال بفرانشيسكا؟ الفتاة التي عملت في صالة العرض.

– تمكنّا من الاتّصال بوالدها في سريلانكا وهو غير سعيد. لم أستطع أن أعرف منه شيئًا، في الواقع. إنّه يحاول كسب الوقت ليوكل محاميًا للفتاة. من المزعج جدًّا أن تكون العائلة بكاملها في الخارج. كان عليّ أن أكون صارمًا معه عبر الهاتف. أفهم سبب عدم رغبته في عرض كلّ شيء في المحكمة، لكن للأسف هذا ما سيحصل. هذا يعطيك فكرة عن عقلية الطبقة العليا، أليس كذلك؟ قانون للأغنياء...

قال سترايك:

– ما دمنا نتكلّم عن هذا الموضوع، أفترض أنّك تحدّثت مع أمير مالك؟

– أجل، وجدناه بالضبط حيث قال رجلك، هاتشينز، أليس كذلك؟ إنّه موجود... عند أخته. لقد حصل على وظيفة جديدة...

قالت روبن بطريقة عفوية:

– آه! يسرّني ذلك!

– ... ولم يكن سعيدًا جدًّا بحضورنا في البداية، لكن انتهى به الأمر إلى التكلّم بصراحة وأفادنا كثيرًا. قال إنّه وجد ذلك الفتى المضطرب – بيلي، أليس كذلك؟ – في الشارع، وقد أراد أن يرى رئيسه، وإنّه كان يصرخ بشأن طفل مات خنقًا ودُفن في أرض تشيزويل. أخذه إلى منزله عازمًا على أن ينقله إلى المستشفى، لكنّه طلب نصيحة غيرنيت وين أولًا. فغضب وين للخبر. وطلب إليه ألّا يستدعي سيّارة إسعاف مهما حصل.

سأل سترايك عابسًا:

– حقًّا؟

– حسبما أخبرنا به مالك، قلق وين من أنّ ارتباطه بقصّة بيلي قد يشوّه مصداقيته. لم يرغب في أن يشوّه سمعته بمريض ذهاني. صرخ في وجه مالك لأنّه أدخله منزلًا تملكه عائلة وين وطلب إليه أن يرميه في الشارع مجدّدًا. كانت المشكلة...

قال سترايك:

– ... أنّ بيلي رفض أن يرحل.

– تمامًا. قال مالك إنّ من الواضح أنّه فقد صوابه، وتوهّم أنّه محتجز رغمًا عنه. تقوقع في الحمّام معظم الوقت. أخذ لايبورن نفسًا عميقًا وقال: على أيّ حال، سئم مالك من التستّر على عائلة وين. وأكّد أنّ وين لم يكن معه في صباح يوم وفاة تشيزويل. أخبر وين مالك بعد أن ضغط عليه لكي يكذب ويؤمّن له حجّة غياب، أنّه تلقّى اتّصالًا هاتفيًا عاجلًا الساعة السادسة صباح ذلك اليوم، ولهذا السبب غادر منزل الزوجية مبكرًا.

سأل سترايك:

– وهل تتبّعتم ذلك الاتّصال؟

التقط لايبورن نسخة مطبوعة من سجلّات الهاتف، وتصفّحها ثمّ سلّم بضع صفحات منها تحمل العلامات إلى سترايك.

– هاك. وأضاف: هواتف ذات استعمال واحد. لدينا ثلاثة أرقام مختلفة حتى الآن. لا بدّ أنّ هناك المزيد. استُخدمت مرّة واحدة لا غير، ولا يمكن تعقبها باستثناء وجودها المسجّل على هذه الأوراق. شهور من التخطيط.

استُخدم هاتف يُستعمل مرّة واحدة للاتّصال بوبن في ذلك الصباح، واستُخدم هاتفان آخران للاتّصال بكينفارا تشيزويل في مناسبات منفصلة خلال الأسابيع السابقة. إنّها «لا تتذكّر» من اتّصل بها، لكن في المرّتَين – هل ترى هنا؟ – تحدّثت مع المتّصل لأكثر من ساعة.

سأل سترايك:

– كيف يبرّر وين هذا كلّه؟

قال لايبورن:

– إنّه منغلق على نفسه مثل المحار. نحن نعمل على الأمر، لا تقلق... لم يتعرّض نجوم الأفلام الإباحية للنكاح بقدر ما تعرّض غيرنيت و... ابتسم وقال لروبن: آسف، يا عزيزتي، لكن روبن وجدت الاعتذار أكثر إساءة من أيّ شيء آخر قاله... ثمّ أكمل: لكنّك تفهمين ما أعنيه. من الأفضل له أن يخبرنا بكلّ شيء الآن. وكرّر، متعثّرًا في الشرح: لقد قُضي عليه بكلّ الطرق... وأكمل: ما يثير اهتمامي هو مدى معرفة الزوجة بالأمر. إنّها امرأة غريبة.

سألت روبن:

– ماذا تعني؟

قال لايبورن مشيرًا نحو عينيه بشكل مبهم:

– تعرفين... أعتقد أنّها تستغلّ عماها قليلًا. من الصعب جدًا أن نصدّق أنّها كانت تجهل ما خطّط له زوجها.

تدخّل سترايك:

– فيما يخصّ أشخاص الذين لا يعرفون ما الذي يخطّط له شريكهم، وخُيّل له أنّه رأى بريقًا حادًّا في عين روبن، وأكمل: كيف تسير الأمور مع صديقتنا فليك؟

قال لايبورن:

– حقّقنا تقدّمًا جيّدًا جدًّا معها. ساعدنا والداها كثيرًا في قضيّتها. كلاهما محاميان وقد حثّاها على التعاون. اعترفت بأنّها كانت عاملة التنظيف في منزل تشيزويل، وأنّها سرقت الملحوظة وتسلّمت صندوق الشمبانيا

مباشرة قبل أن يخبرها تشيزويل بأنّه لا يستطيع تحمّل تكاليف عملها بعد الآن. قالت إنّها وضعته في خزانة في المطبخ.

– من سلّمه؟

–لا تتذكّر. سنكتشف الأمر. خدمة البريد السريع، لن أتعب نفسي بالتساؤل، تمّ طلبها من أحد الهواتف التي ذكرتها.

– وبطاقة الائتمان؟

اعترف لايبورن:

– كان هذا إنجازًا جيّدًا آخر لك. كنّا نجهل أنّ بطاقة ائتمان قد فُقدت. وصلتنا التفاصيل من المصرف هذا الصباح. في اليوم الذي أدركت فيه رفيقة فليك في الشقة أنّ بطاقتها اختفت، قام شخص بشحن صندوق من الشمبانيا واشترى ما قيمته مئة جنيه من الأغراض على أمازون، لتُرسل جميعًا إلى عنوان في مايدا فيل. لم يستلمها أحد، لذلك أعيدت إلى المستودع حيث استلمها بعد ظهر ذلك اليوم شخص لديه إشعار بالتسليم الذي لم يتمّ. نحاول العثور على الموظفين الذين يمكنهم التعرّف إلى الشخص الذي استلمها ونحصل على تفصيل ما تمّ شراؤه من أمازون، لكنّني أراهن على الهيليوم والأنابيب وقفّازات اللاتكس.

– خطّط ذلك كله مسبقًا قبل أشهر. أشهر.

سأل سترايك، مشيرًا إلى نسخة من الملحوظة بخطّ يد تشيزيل، التي كانت ملقاة على الجانب في كيسها البلاستيكي:

– وهذه؟ هل أخبرتكم لماذا سرقتها؟

– تقول إنّها قرأت فيها كلمة «بيل» فاعتقدت أنّ فيها ما يتعلّق بشقيق صديقها... الأمر مضحك بالفعل، لو لم تسرقها، لما كنّا فهمنا الأمر بهذه السرعة، أليس كذلك؟

شعرت روبن أنّ كلمة «نحن» فيها وقاحة، لأنّ سترايك هو الذي «فهم»، وهو الذي اكتشف أخيرًا معنى ملحوظة تشيزيل، أثناء عودتهما إلى لندن من منزل عائلة تشيزيل.

قال سترايك:

– روبن تستحق الجزء الأكبر من الفضل هنا أيضًا. وجدت الملحوظة ولاحظت «بلان دو بلان» والغراند فيتارا. أنا جمعت بين هذه الأمور بمجرّد أن أصبحت أمامي.

قال لايبورن وهو يفرك بطنه مشتّت الذهن:

– في الواقع، كنّا وراءكما تمامًا. أنا متأكّد من أنّنا كنّا سنصل إلى الاستنتاج ذاته.

رجّ جوّال روبن في جيبها مجدّدًا: كان أحدهم يتّصل هذه المرّة.

– يجب أن أردّ على هذا الاتّصال. هل من مكان أستطيع...؟

قال لها لايبورن وهو يفتح بابًا جانبيًا:

– من هنا.

كانت الغرفة غرفة آلة تصوير، فيها نافذة صغيرة مغطّاة بستارة فينيسية. أغلقت روبن الباب بحيث لا تسمع محادثة الآخرين وأجابت.

– مرحبًا سارة.

قالت سارة شادلوك:

– مرحبًا.

بدت مختلفة تمامًا عن سارة التي عرفتها روبن منذ ما يقارب تسع سنوات، تلك الشقراء الواثقة والمذهلة التي شعرت روبن، حتى في سنّ المراهقة، بأنها تأمل سرًّا أن تفشل علاقة ماثيو طويلة المدى مع صديقته. سارة التي كانت دائمًا موجودة على مرّ السنين، تضحك على نكات ماثيو، وتلامس ذراعه، وتطرح الأسئلة المحمّلة بالمعاني حول علاقة روبن بسترايك، سارة التي واعدت رجالًا آخرين، واستقرّت أخيرًا مع توم المملّ المسكين، الأصلع الذي يعمل في وظيفة براتب جيّد، الذي زيّن إصبعها وأذنيها بالماس، لكنّه لم يستطع أن ينسيها شغفها بماثيو كونليف.

اختفى اليوم اختيالها كله.

قالت وقد بدت ضعيفة وخائفة:

– سألت خبيرَين لكنّهما عاجزان عن الجزم، من صورة التُقطت على الهاتف...

قالت روبن بهدوء:

– بالطبع لا. قلت في رسالتي إنّني لم أتوقّع إجابة نهائية، أليس كذلك؟ نحن لا نطلب تحديدًا ثابتًا أو تقييمًا. كلّ ما نريد معرفته هو ما إن كان شخص ما آمن بصدق...

قالت سارة:

– إذن، أجل. أحد خبرائنا متحمّس جدًّا حيال ذلك، في الواقع. ورد في أحد الدفاتر القديمة لوحة رُسمت عن فرس ومهر نافق، لكن لم يُعثر عليها مطلقًا.

– أيّ دفاتر؟

أجابتها سارة:

– آه، آسفة. لم تبدُ قطّ متواضعة وخائفة إلى هذا الحدّ بوجود روبن، وأكملت: ستابز.

سألت روبن، وقد التفتت لتنظر من النافذة إلى حانة فثرز، حيث كانت تحتسي المشروب هي وسترايك في بعض الأحيان:

– ماذا لو كانت لستابز بالفعل؟

– في الحقيقة، من الواضح أنّه تخمين فقط... لكن إن كانت أصلية، إن كانت هي اللوحة التي أدرجها في عام 1760، فقد تساوي الكثير.

– أعطيني تقديرًا تقريبيًا.

– لوحة «غيمكراك» بلغت قيمتها...

قالت روبن وهي تشعر بالدوار فجأة:

– ... اثنان وعشرون مليونًا. أجل. لقد قلت ذلك في حفل تدشين المنزل.

لم تجب سارة. ربّما كان ذكرُ الحفل، يوم أحضرت الزنابق إلى منزل زوجة عشيقها، قد أخافها.

– لذا، إن كانت لوحة الفرس المفجوعة لوحة أصلية لستابز... من المُحتمل أن تحقّق أكثر من لوحتة «غيمراك» في المزاد العلني. إنّ موضوعها فريد من نوعه. كان ستابز عالِمًا في التشريح، وكان عالِمًا بقدر ما كان فنّانًا.

إن كان هذا تصويرًا لمهر أبيض، فقد يكون أول رسم من هذا القبيل مسجّل له. وقد يضرب جميع الأرقام القياسية.

رجّ جوّال روبن في يدها. وصلت رسالة نصّية أخرى.

– كان هذا مفيدًا جدًّا يا سارة، شكرًا. هل ستحافظين على سرّية الموضوع؟

– أجل، بالطبع. وأردفت بسرعة: روبن، اسمعي...

قالت روبن، محاولة أن تبقى هادئة:

– كلا. إنّني أعمل في قضيّة.

– انتهى الأمر، انتهى، مات منهار تمامًا...

– الوداع يا سارة

أقفلت روبن الخطّ، ثمّ قرأت الرسالة التي وصلت للتوّ.

قابليني بعد العمل وإلّا أدليت ببيان للصحافة.

فيما تاقت روبن إلى العودة إلى المجموعة المجاورة لتنقل إليها المعلومات المثيرة التي تلقّتها للتوّ، مكثت في مكانها، وقد أربكها التهديد بشكل مؤقت، وأرسلت رسالة نصّية:

بيان للصحافة بأيّ شأن؟

جاء ردّه في غضون ثوانٍ، مليئًا بالأخطاء المطبعية المعبّرة عن غضبه.

اتّصلت صحيفة «ميل» بالمكتب هذا الصباح وترك المتّصل رسالة يسأل فيها عن شعوري حيال علاقة زوجتي الغرامية مع كورنيش سترايك. وبعد ظهر اليوم اتّصلوا من صحيفة «صن»، لا بدّ أنّك تعرفين أنّه يخرج مع امرأة أخرى وربّما لا تهتمّين للأمر. لن أقبل بأن تتّصل بي الصحف في المكتب. إمّا أن تقابليني أو سأدلي لهم بتصريح لإبعادهم عني.

كانت روبن تعيد قراءة الرسالة عندما وصلت رسالة أخرى، هذه المرّة مع مقالة مرفقة.

في حال لم تريه بعد.

فتحت روبن الملف المرفق، الذي كان لقطة لمقالة من صحيفة إيفنينغ ستاندارد.

قضيّة شارلوت كامبل وكورموران سترايك الغريبة

لطالما كانت شارلوت كامبل جزءًا أساسيًا من أعمدة الإشاعات منذ أن هربت من مدرستها الخاصّة الأولى. وعاشت حياتها في مرأى ومسمع وسائل الإعلام. معظم الناس يختارون مكانًا سرّيًا للتشاور مع محقق خاصّ، لكنّ السيّدة كامبل الحامل – وهي تحمل الآن اسم السيّدة جاغو روس – اختارت طاولة جانب النافذة في أحد أكثر المطاعم ازدحامًا في ويست إند. هل كانا يناقشان خدمات المحقّق أثناء الحوار المحتدم، أم أمرًا أكثر شخصية؟ السيد سترايك، وهو الابن غير الشرعي لنجم الروك جوني روكبي، بطل الحرب ومعاصر شيرلوك هولمز، كان عشيق كامبل السابق.
سيتوق زوج كامبل رجل الأعمال بلا شك إلى حلّ اللغز عند عودته من نيويورك – لقاء عمل أم متعة؟

اختلجت مشاعر روبن، واعتراها شعور بالذعر والغضب والإهانة عندما تصوّرت ماثيو يتحدّث إلى الصحافة ملمّحًا إلى احتمال وجود علاقة جنسية بينها وبين سترايك بالفعل.
حاولت الاتّصال بالرقم، لكن اتّصالها تحوّل مباشرة إلى البريد الصوتي. بعد ثانيتين، ظهرت رسالة نصّية غاضبة أخرى.

أنا مع عميل ولا أريد التحدّث عن الأمر أمامه. قابليني فقط.

غضبت روبن وأجابت:

وأنا في نيو سكوتلاند يارد. اعثر على ركن هادئ.

وتخيّلت ابتسامة ماثيو المهذبة بينما كان العميل يراقب، وعذره السلس الذي يستعمله فقط في المكتب: «أرجو المعذرة»، بينما كان يصوغ ردوده الغاضبة.

لدينا أمور يجب حلّها وأنت تتصرّفين كالطفلة برفضك مقابلتي. إمّا أن تأتي لتتحدّثي إليّ أو سأتّصل بالصحف في الساعة الثامنة. وبالمناسبة، ألاحظ أنّك لم تنكري أنّك مارست الجنس معه.

غضبت روبن وشعرت بأنّها محاصرة، فردّت عليه:

حسنًا، فلنناقش الأمر وجهًا لوجه، أين؟

أرسل لها عنوان حانة في ليتل فينيس. كانت روبن لا تزال مضطربة عندما دفعت باب الغرفة لتفتحه، وقد تجمّعت المجموعة الآن حول شاشة تعرض صفحة من مدوّنة جيمي نايت كان سترايك يقرؤها بصوت عالٍ:

– «... بعبارة أخرى، يمكن أن تكلّف زجاجة نبيذ واحدة في فندق «لو مانوار أو كاتر سيزون» أكثر ممّا تتلقّاه أمّ عازبة عاطلة من العمل من المال في الأسبوع لإطعام وإيواء عائلتها بكاملها». قال سترايك: لفت انتباهي الاختيار الغريب للمطعم، إن كان يريد التذمّر بشأن المحافظين وإنفاقهم. هذا ما جعلني أعتقد أنّه كان هناك في المدّة الأخيرة. ثمّ أخبرتني روبن أنّ «بلان دو بلان» هو اسم أحد أجنحتهم، لكنّني لم أربط بين الأمرَين بسرعة. أدركت الأمر بعد بضع ساعات.

قال واردل وهو واقف خلف سترايك، مكتوف اليدين:

– إنّه منافق خبيث قبل كلّ شيء آخر، أليس كذلك؟

سأل سترايك:

– هل بحثتم في وولستون؟

قال لايبورن:

– في كوخه القذر في شارع شارلمونت، وولستون، وفي كلّ مكان، لكن لا تقلق. لدينا معلومات عن إحدى صديقاته في دولويتش. زملائي يفتّشون شقّتها الآن. إن حالفنا الحظّ، فسنلقي القبض عليه الليلة.

لاحظ لايبورن أنّ روبن تقف وهاتفها في يدها، وقالت له:

– أعلم أنّ لديكم أشخاصًا ينظرون في الأمر، لكنّني على تواصل مع كريستيز. وأرسلت إليها صورة لوحة «الفرس المفجوعة» وقد اتّصلت بي للتوّ. وفقًا لأحد خبرائهم، ربّما كانت اللوحة من رسم ستابز.

قال لايبورن:

– حتى أنا سمعت بستابز.

وسأل واردل:

– ماذا تكون قيمتها لو اتّضح أنّها له؟

– الجهة التي اتّصلت بها تعتقد أنّ قيمتها قد تزيد عن 22 مليونًا.

صفّر واردل وقال لايبورن:

– يا للهول.

ذكّرهم سترايك قائلًا:

– لا يهمّنا كم تبلغ قيمتها. ما يهمّ هو ما إن كان شخص ما اكتشف أنّها قد تكون قيّمة.

قال واردل:

– اثنان وعشرون مليونًا تشكّل دافعًا كبيرًا.

قالت روبن، وهي ترتدي سترتها من خلف الكرسيّ حيث تركتها:

– كورموران، هل لي بكلمة معك في الخارج؟ قالت للآخرين: أنا آسفة سأضطرّ إلى الرحيل.

سأل سترايك عندما عادا إلى الممرّ معًا وأغلقت روبن الباب على الشرطيّين:

– هل كلّ شيء على ما يُرام؟

– أجل... في الواقع، ليس بالفعل. قالت وهي تعطيه جوالها: ربّما، من الأفضل أن تقرأ هذا.

عبس سترايك وهو يمرّ ببطء على محادثة روبن وماثيو، بما في ذلك مقالة صحيفة إيفنينغ ستاندارد.

– هل ستذهبين لمقابلته؟

– يجب أن أفعل. ربّما هذا هو سبب حوم ميتش باترسون حولنا. إذا أجّج ماثيو نيران الصحافة، وهو أكثر من بإمكانه القيام بذلك... فالصحافة متحمّسة بشأنك و...

قال بقسوة:

– انسي علاقتي بشارلوت، فرضت عليّ نفسها بالإكراه لمدّة عشرين دقيقة. وهو يحاول إكراهك أنت...

– أعلم ذلك، لكنّني مجبرة على التكلم معه عاجلًا أو آجلًا. معظم أغراضي لا تزال في شارع ألبوري. ولا يزال لدينا حساب مصرفي مشترك.

– هل تريدين أن أرافقك؟

قالت روبن متأثّرة:

– شكرًا، لكنّني لا أعتقد أنّ ذلك سيساعدني.

– إذًا، اتّصلي بي لاحقًا، اتّفقنا؟ وأعلميني بما يحدث.

وعدته:

– سأفعل.

توجّهت وحدها نحو المصاعد. لم تلاحظ من سار بجانبها في الاتّجاه المعاكس حتى قال أحدهم: «بوبي؟».

استدارت روبن. وقفت فليك بيردو عائدة من الحمّام مع شرطية يبدو أنّها كانت قد رافقتها. على غرار كينفارا، غسلت الدموع تبرّجها. وبدت صغيرة ومنكمشة في قميص أبيض اشتبهت روبن في أنّ والدَيها أصرّا على أن ترتديه بدلًا من قميص حزب الله.

– اسمي روبن، كيف حالك يا فليك؟

بدت فليك وكأنّها تصارع أفكارًا وحشية لا يسعها الإفصاح عنها.

ثمّ تابعت كلامها: آمل أنّك تتعاونين. أخبريهم بكلّ شيء.

واعتقدت أنّها رأت هزّة رأس صغيرة، وتحدّيًا غريزيًا، وبصيصًا باهتًا من الولاء لم ينطفئ بعد، حتى في المأزق الذي وجدت فليك نفسها فيه.

قالت روبن بهدوء:

– يجب أن تتعاوني، كنت أنت ضحيّته التالية، يا فليك، فقد كنت تعرفين الكثير.

69

توقّعت الحالات الطارئة كلّها، منذ وقت طويل.

هنريك إبسن، روسميرشولم

بعد مرور عشرين دقيقة في مترو الأنفاق، نزلت روبن في محطّة وارويك أفينيو في جزء من لندن كانت بالكاد تعرفه. لطالما شعرت بفضول غامض تجاه ليتيل فينيس، فقد أُطلق عليها اسمها الأوسط، «فينيسيا»، لأنّ أمّها حملت بها في البندقية الحقيقية. وممّا لا شكّ فيه أنّها من الآن فصاعدًا سترىبط هذه المنطقة بماثيو واللقاء المرير والمتوتّر الذي ينتظرها من دون شكّ في آخر القناة.

سارت في شارع يُدعى كليفتون فيلاز، حيث نثرت الأشجار أوراقًا رقيقة خضراء كأنّها من حجر اليشم، إلى جانب المنازل المربّعة عاجيّة اللون، وتوهّجت جدرانها ذهبيّة تحت شعاع الغروب. جمال هذه الأمسية الصيفية الهادئ جعلها تشعر فجأة بالحزن الشديد، لأنّها تذكّرت مثل هذه الليلة في يوركشاير، قبل عقد من الزمن، عندما سارعت في الطريق من منزل والدَيها، وهي بالكاد تبلغ السابعة عشرة من عمرها، وتتأرجح على كعبها العالي، متحمّسة بشدّة بشأن موعدها الأول مع ماثيو كونليف، الذي نجح لتوّه في اختبار القيادة وسيأخذها إلى هاروغيت في المساء.

ها هي تتّجه نحوه مجدّدًا لكن هذه المرّة لفكّ الارتباط الدائم في حياتهما. احتقرت نفسها لشعورها بالحزن، ولتذكّرها تلك الذكريات القديمة،

فقد كان من الأفضل لها أن تركّز على عدم وفائه وعدم لطفه، عوضًا عن التركيز على التجارب المُشتركة المبهجة التي ولّدت الحب بينهما.

استدارت نحو اليسار وعبرت الشارع ومضت، في الظلّ البارد لجدار من الطوب يحدّ الجانب الأيمن من طريق بلومفيلد الموازي للقناة، ورأت سيّارة شرطة مسرعة في مقدمة الشارع. أشعرتها رؤية سيّارة الشرطة بالقوّة. فكأنّ موجة أليفة ممّا أصبحت الآن تعتبره حياتها الواقعية أرسلت لتذكّرها بما يجب أن تكون عليه، ومدى تعارض ذلك مع كونها زوجة ماثيو كونليف.

انتصبت بوّابتان خشبيتان سوداوان عاليتان في الحائط، وقد أخبرها ماثيو في رسالته أنّهما تؤدّيان إلى حانة بجانب القناة، ولكن عندما دفعتهما، وجدتهما موصدتَين. نظرت إلى الطريق على امتداده، لكنّها لم تجد أيّ أثر لماثيو، لذا مدّت يدها إلى حقيبتها لتأخذ جوّالها الذي رغم كتم صوته كان يرجّ مشيرًا إلى وصول اتّصال. عندما أخرجته، فُتحت البوّابتان الكهربائيتان ومرّت عبرهما فيما رفعت الهاتف إلى أذنها.

– مرحبًا، أنا...

صرخ ستايك في أذنها:

– ارحلي من هنا، ليس ماثيو...

وحدثت أمور عدّة في وقت واحد.

انتُشل الهاتف من يدها. في ثانية واحدة، أدركت روبن عدم وجود أيّ حانة في الأفق، بل رقعة من ضفّة القناة تحت جسر تطوّقها شجيرات مُهمَلة، وقارب قاتم عليه نقشُ «Odile»، يطوف على الماء تحتها. ثمّ تلقّت ضربة قويّة على منطقة الضفيرة البطنية، فانحنت وانقطع نفسها. سمعت صوت ارتطام جوّالها بالماء عندما وقع في القناة، ثمّ أمسك بها أحدهم بقبضته من شعرها وحزام بنطالها وسحبها نحو القارب، وكانت رئتاها خاليتَين من الهواء فلم تتمكّن من الصراخ. أُلقِيت عبر مدخل القارب المفتوح، واصطدمت بطاولة خشبية ضيّقة وسقطت على الأرض.

صُفق الباب وأُغلق. وسمعت صوت مفتاح داخل قفل.

قال صوت رجل: «اجلسي».

كانت روبن لا تزال تحاول التنفّس، فسحبت نفسها على مقعد خشبي إلى الطاولة غطّته وسادة رقيقة مبطّنة، ثمّ استدارت لتجد نفسها تنظر إلى فوهة مسدّس.

جلس رافاييل على الكرسيّ المقابل لها.

سألها:

– من اتّصل بك للتوّ؟ واستنتجت أنّه مع الجهد الجسدي الذي بذله ليوصلها إلى القارب وخوفه من إصدارها صوتًا يمكن أن يسمعه المتّصل، لم يتسنّ له الوقت أو لم تسنح له الفرصة ليتحقق من الشاشة على جوّالها.

كذبت روبن وهمست:

– زوجي.

شعرت بحريق في فروة رأسها حيث شدّها من شعرها. ولشدّة الألم الذي شعرت به في قفصها الصدري خشيت أن يكون أحد ضلوعها قد كُسر. فيما حاولت جاهدة سحب الهواء إلى رئتيها، بدا كأنّها ترى لبضع ثوانٍ مشوّشة مصيرها في صورة مصغّرة، من بعيد، مغلّفة في فوقعة زمنية. ورأت رافاييل يلقي جثّتها المثقلة في الماء المظلم ليلًا، وماثيو، الذي بدا أنّه استدرجها إلى القناة، يخضع للاستجواب وربّما للاتهام. رأت وجوه والدَيها وإخوتها المذهولين في جنازتها في ماشام، ورأت سترايك يقف في آخر الكنيسة، كما فعل في حفل زفافها، غاضبًا لأنّ ما خشي أن يحدث قد حدث بالفعل، وماتت بسبب إخفاقاتها.

ولكن بينما كان كلّ شهيق يعيد الهواء إلى رئتيها، تلاشى الوهم الذي كانت تشاهده في البعيد. وأدركت أنّها هنا الآن، على هذا القارب القذر، تتنشّق رائحته الكريهة، محاصرة بين جدرانه الخشبية، مع عين المسدّس المتّسعة التي تحدّق إليها، وعينَي رافاييل فوقها.

كان خوفها حقيقيًا وثابتًا في القارب، لكن كان من الضروري أن يبقى بعيدًا عنها، لأنّه لن يساعدها، بل سوف يعيقها فقط. وأدركت أنّ عليها أن تبقى هادئة، وأن تركّز. فاختارت عدم الكلام. صمتها سيعيد لها بعض القوّة التي سلبها منها، إذا رفضت أن تملأ الصمت. كانت هذه حيلة الطبيبة المعالجة: دعي الصمت يتحرّر، وليملأه الشخص الأكثر ضعفًا.

قال رافاييل أخيرًا:

– أنت باردة الأعصاب جدًّا، ظننت أنّك قد تصابين بالهستيريا وتصرخين. لهذا السبب كان عليّ أن ألكمك. ما كنت فعلت لولا ذلك. صدّقي أو لا تصدّقي، أنا معجب بك يا فينيسيا.

علمت أنّه يحاول إعادة انتحال شخصية الرجل الذي كان قد سحرها رغم إرادتها في مجلس العموم. من الواضح أنّه كان يعتقد أنّ المزيج القديم من الأسى والندم سيجعلها تسامح وتَلين، وتنسى فروة رأسها المحترقة، والكدمات في ضلوعها، والمسدّس الذي يشهره في وجهها.

لم تقل شيئًا. اختفت ابتسامته الراجية، وقال بصراحة:

– أريد أن أعرف ما تعرفه الشرطة، وهل ما زال بإمكاني شقّ طريقي لأنفذ من الأدلّة التي جمعوها ضدّي، لكن أنتِ للأسف، قُضي عليك. ورفع المسدّس للإشارة مباشرة إلى جبينها (وفكّرت في الأطبّاء البيطريين والطلقة النظيفة التي لم يحصل عليها الحصان الذي دُفن في الوادي). سأكتم الطلقة بوسادة وأرميك في الماء بمجرّد حلول الظلام. لكن إن كانوا يعرفون كلّ شيء بالفعل، فسأنهي الأمر، هنا، الليلة، لأنّني لن أعود إلى السجن أبدًا. لذا يمكنك أن تري كيف أنّ من مصلحتك أن تكوني صادقة، أليس كذلك؟ واحد منّا فقط سينزل من هذا القارب.

ولمّا لم تتكلّم قال بشراسة:

– أجيبي.

فقالت:

– أجل. فهمت.

قال بهدوء:

– إذًا، هل كنت حقًّا في سكوتلاند يارد؟

– أجل.

– هل كينفارا هناك؟

– أجل.

– هل هي موقوفة؟

– أعتقد ذلك. إنّها في غرفة الاستجواب مع محاميها.

– لماذا أوقفوها؟

– يعتقدون أنّكما على علاقة غرامية، وأنّك كنت وراء كلّ شيء.

– ماذا تعنين بكلّ شيء؟

– الابتزاز والقتل.

دفع المسدّس إلى الأمام بحيث ضغط على جبهتها.

شعرت روبن بحلقة معدنية باردة صغيرة تضغط على جلدها.

– يبدو لي أنّها ترّهات قذرة. كيف يُفترض أن تكون بيننا علاقة؟ إنّها تكرهني. لم نختلِ ببعضنا مدّة دقيقتَين حتى.

– بلى، لقد حصل ذلك. دعاك والدك إلى منزل العائلة بعد خروجك من السجن مباشرة. تلك الليلة الذي اضطرّ فيها إلى البقاء في لندن. بقيتما معًا وحدكما. ونعتقد أنّ علاقتكما بدأت حينئذٍ.

– والدليل؟

– ما من دليل، لكنّني أعتقد أنّه يمكنك إغواء أيّ شخص إذا عزمت على ذلك حقًا...

– لا تحاولي الإطراء عليّ، لن تنجحي. حقًا؟ «نعتقد أنّ علاقتكما بدأت حينئذ؟» أهذا كلّ ما لديكم؟

– كلا، كانت هناك إشارات أخرى على علاقتكما.

– أخبريني بالإشارات كلّها.

قالت روبن بثبات:

– سأتمكّن من تذكّرها بشكل أفضل إن لم تضغط بمسدّس على جبهتي.

سحب رافايل المسدّس، لكنّه بقي يصوّبه إلى وجهها وقال:

– تابعي. بسرعة.

أراد جزء من روبن الاستسلام لرغبة جسدها في الذوبان، وحملها إلى حالة فقدان الوعي السعيدة. خدرت يداها، ولانت عضلاتها كالشمع الدافئ. ما زالت تشعر ببرودة المسدس على جبهتها، كعين ثالثة ملتهبة. لم يشعل

الضوء في المركب. قابل أحدهما الآخر في الظلام الدامس، وربّما بحلول الوقت الذي يطلق فيه النار عليها، لن تكون قادرة على رؤيته بوضوح...

أسرّ لها صوت صغير واضح رغم ذعرها: «ركّزي، ركّزي. كلّما أطلت حديثك معك، تسنّى لهم وقتٌ أطول للبحث عنك. سترايك يعرف أنّك تعرّضت للخداع».

تذكّرت فجأة سيّارة الشرطة المسرعة على شارع بلومفيلد وتساءلت عمّا إن كانت تبحث عنها، وما إن كانت الشرطة، التي تعلم أنّ رافاييل استدرجها إلى المنطقة، أرسلت رجالها للبحث عنها. يقع العنوان المزيّف على مسافة معيّنة على ضفّة القناة، ويمكن الوصول إليه، كما ورد في رسالة رافاييل النصّية، عبر البوّابتَين السوداوَين. هل سيخمّن سترايك أنّ رافاييل مسلّح؟

أخذت نفسًا عميقًا.

– انهارت كينفارا في مكتب ديلا وين الصيف الماضي وقالت إنّ شخصًا ما أخبرها أنّه لم يحبّها قطّ، وأنّه استخدمها كجزء من لعبة.

يجب أن تتكلّم ببطء، وألّا تستعجل. قد تُحسب كلّ ثانية، وكلّ ثانية يمكن أن تُبقي فيها رافاييل يتعلّق بكلماتها، كانت ثانية إضافية قد تسمح بأن يأتي فيها أحدهم لمساعدتها.

– افترضت ديلا أنّها كانت تتحدّث عن والدك، لكنّنا تحققنا من الأمر ولا تتذكّر ديلا أنّ كينفارا ذكرت اسمه. نعتقد أنّك أغويت كينفارا لتنتقم من والدك، وحافظت على العلاقة لمدّة شهرين، ولكن عندما تشبّثت بك واعتراها حبّ التملّك، تخلّصت منها.

قال رافاييل بقسوة:

– كلّها افتراضات، وبالتالي هراء. ماذا بعد؟

– لماذا ذهبت كينفارا إلى المدينة في اليوم الذي كان من المرجّح أن تقتل فيه فرسها المحبوبة؟

– ربّما لم تستطع مواجهة رؤية الفرس تُقتل. ربّما كانت في حالة إنكار لمدى مرضها.

قالت روبن:

– أو ربّما كانت مرتابة بشأن ما كنت تفعله أنت وفرانشيسكا في معرض دراموند.

– لا إثبات. التالي.

– أُصيبت بنوع من الانهيار عندما عادت إلى أوكسفوردشاير. وهاجمت والدك ودخلت المستشفى.

عدّد رافاييل:

– كانت لا تزال حزينة على مولودها الميت، شديدة التعلّق بخيولها، ومكتئبة عمومًا. ستتقاتل إيزي وفيزي لتشهدا وتشرحا مدى عدم استقرارها. ماذا بعد؟

– أخبرتنا تيغان أنّ كينفارا بدت سعيدة مجدّدًا ذات يوم، وكذبت عندما سُئلت عن السبب. قالت إنّ والدك وافق على تزويج فرسها الأخرى بتوتيلاس. نعتقد أنّ السبب الحقيقي هو أنّك استأنفت العلاقة معها، ولا نعتقد أنّ التوقيت كان مصادفة. كنت قد أخذت آخر مجموعة من اللوحات إلى معرض دراموند للتقييم.

امتقع وجه رافاييل فجأة، كما لو أنّ ذاته الأساسية فارقته مؤقتًا. اهتزّ المسدّس في يده وانصبت الشعيرات الدقيقة على ذراعَي روبن قليلًا كما لو أنّ نسيمًا مرّ عبرها. انتظرت حتى يتكلّم، لكنّه لم يفعل. بعد دقيقة واصلت:

– نعتقد أنّك عندما حمّلت اللوحات للتقييم، رأيت لوحة «الفرس المفجوعة» عن قرب لأول مرّة وأدركت أنّها قد تكون لستابز. فقرّرت استبدالها بلوحة مختلفة لفرس ومهر للتقييم.

– والدليل؟

– رأى هنري دراموند الصورة التي التقطتها للوحة «الفرس المفجوعة» على السرير الإضافي في منزل عائلة تشيزيل. وهو مستعدّ للشهادة بأنّها لم تكن من بين اللوحات التي قيّمها لوالدك. كانت اللوحة التي قدّر قيمتها بخمسة آلاف إلى ثمانية آلاف جنيه من رسم جون فريدريك هيرينغ، وأظهرت فرسًا بيضاء وسوداء ومهرًا. كما أنّ دراموند مستعدّ أيضًا لأن يشهد بأنّك على دراية كافية بالفنّ حتى تشتبه في أنّ لوحة «الفرس المفجوعة» قد تكون لستابز.

استعاد وجه رافاييل بعضًا من حيويّته. وباتت الآن عيناه شبه السوداوين تتحرّكان جزئيًا من جانب إلى آخر، كما لو كان يقرأ شيئًا لا يراه أحد غيره.

– لا بدّ أنني أخذت لوحة فريدريك هيرينغ عن طريق الخطأ...

انطلقت صفّارة إنذار سيّارة شرطة على بعد بضعة شوارع. التفت رافاييل، استمرّت صفّارة الإنذار لبضع ثوانٍ، ثمّ توقفت فجأة كما بدأت.

عاد لمواجهة روبن. ولم يبدُ أكثر قلقًا من اللازم من صفّارات الإنذار الآن وقد توقفت. بالطبع، كان يعتقد أنّ ماثيو هو من كان على الهاتف عندما أمسك بروبن.

قال بعد أن استعاد تسلسل أفكاره:

– أجل، هذا ما سأقوله. أخذت لوحة الفرس المرقّطة لتقييمها عن طريق الخطأ، ولم أرَ قطّ «الفرس المفجوعة»، ولم يكن لديّ أيّ فكرة أنّها قد تكون لستابز.

قالت روبن بهدوء:

– لا يمكنك أن تكون أخذت لوحة الفرس المرقّطة عن طريق الخطأ، فهي لم تأت من منزل عائلة تشيزيل والعائلة مستعدّة لتأكيد ذلك.

قال رافاييل:

– العائلة، العائلة اللعينة لا تلاحظ ما هو تحت ناظرَيها. بقيت لوحة ستابز معلّقة في غرفة نوم احتياطية رطبة لمدّة عشرين عامًا تقريبًا ولم يلاحظها أحد، أتعرفين لماذا؟ لأنّهم متعجرفون سخيفون... كانت لوحة «الفرس المفجوعة» لتينكي العجوز. وقد ورثتها من البارونيت الإيرلندي العجوز مدمن الكحول الذي تزوّجته قبل جدّي. كانت تجهل تمامًا قيمتها. احتفظت بها لأنّها كانت لوحة حصانَين وهي تحبّ الخيول.

عندما تُوفي زوجها الأول، انطلقت إلى إنجلترا وقامت بالحيلة ذاتها، وأصبحت ممرّضة جدّي الخاصّة باهظة الثمن ثمّ زوجته الأكثر تكلفة. ماتت بلا وصيّة وخردتها كلّها – وكانت أغلبها خردة – ضُمّت إلى ممتلكات تشيزيل.

من الممكن أن تكون لوحة فريدريك هيرينغ إحدى لوحاتها ولم يلاحظها أحد معلّقة في زاوية قذرة من ذلك المنزل اللعين.

– ماذا لو تتبّعت الشرطة صورة المرقّطة؟

لن يفعلوا. إنّها لوالدتي. سوف أتلفها. عندما تسألني الشرطة، سأقول إنّ والدي أخبرني أنّه سيبيعها لأنّه علم أنّها تساوي ثمانية آلاف. لا بدّ أنّه باعها سرًّا يا حضرة الضابط.

– لا تعرف كينفارا القصّة الجديدة. لن تتمكّن من مساندتك.

– هنا يخدمني عدم اتّزانها وتعاستها المعروفان مع والدي. ستقول إيزي وفيزي للجميع إنّها لم تهتمّ يومًا بما كان يفعله، لأنّها لم تحبّه ولم تتزوّجه إلّا من أجل المال. كلّ ما أحتاج إليه هو الشكّ المعقول.

– ما الذي سيحدث عندما تخبر كينفارا الشرطة أنّك عدت إليها فقط لأنّك أدركت أنّها على وشك أن تصبح ثريّة بشكل خيالي؟

أصدر رفاييل نفسًا طويلًا وبطيئًا أشبه بفحيح الأفعى.

وقال بهدوء:

– إذا تمكّنوا من إقناع كينفارا بذلك، فقد قُضي عليّ، أليس كذلك؟ لكن في الوقت الحالي، تعتقد كينفارا أنّ رافي يحبّها أكثر من أيّ رجل آخر في العالم، وستحتاج إلى الكثير لتقتنع بأنّ هذا ليس صحيحًا، لأنّ حياتها كلّها ستنهار إذا صحّ ذلك. لقد طبعت هذا في ذهنها: إن كانوا يجهلون علاقتنا فلن يتمكّنوا من لمسنا. عمليًا، لقد جعلتها تكرّر ذلك بينما كنت أمارس الجنس معها. وقد حذّرتها من أنّهم سيحاولون زرع الخلاف بيننا إذا اشتبهوا في أيّ منّا. لقد لقّنتها تلقينًا جيّدًا وقلت لها، عندما يساورك الشك، ابكي حتى تجفّ دموعك، وقولي لهم إنّ أحدًا لا يخبرك شيئًا وتصرّفي وكأنّك مرتبكة.

– لقد ألّفت كذبة سخيفة محاولة حمايتك، والشرطة تعرف ذلك.

– أيّ كذبة؟

– بشأن القلادة، في الساعات الأولى من صباح الأحد. ألم تخبرك بالأمر؟ ربّما أدركت أنّك ستغضب.

– ماذا قالت؟

– أخبرها سترايك أنّه لم يصدّق التفسير الجديد لنزولك إلى منزل تشيزيل في صباح يوم وفاة والدك...

– ماذا تقصدين أنّه لم يصدّقه؟

ورأت روبن الغرور والغضب يختلطان بذعره.

وأكدّت له:

– أنا وجدت الأمر مقنعًا. من الذكاء أن تخبر قصّة يبدو أنّك كشفتها عن غير قصد. يكون الجميع دائمًا أكثر استعدادًا لتصديق أمر يعتقدون أنّهم اكتشفوه بأنفسهم...

رفع رافاييل المسدّس بحيث أصبح قريبًا من جبهتها مجدّدًا، ورغم أنّ الحلقة المعدنية الباردة لم تلمس جلدها، فقد شعرت بها.

– ما الكذبة التي ألّفتها كينفارا؟

– زعمت أنّك أتيت لتخبرها أنّ والدتك أزالت الماس من العقد واستبدلته بأحجار مزيّفة.

بدا رافاييل مرعوبًا.

– لماذا قالت ذلك بحق السماء؟

– لأنّها تعرّضت لصدمة، على ما أظنّ، عندما عثرت علينا أنا وسترايك في أرضها فيما كنتَ مختبئًا في الطابق العلوي. قال لها سترايك إنّه لا يصدّق قصّة القلادة، لذلك أصابها الذعر واختلقت قصّة جديدة. المشكلة هي أنّ من الممكن التحقّق من صحّتها.

قال رافاييل بلهجة هادئة مسمومة شعرت روبن عند سماعها بوخز في مؤخرة عنقها:

– الغبيّة السافلة، تلك السافلة الغبيّة، الغبيّة!... لماذا لم تلتزم بقصّتنا؟ و... لا، انتظري... قال كمن توافقت أفكاره فجأة فرحّب بها، فشعرت روبن بالذعر والارتياح في آن واحد عندما سحب المسدّس الذي كان يلمسها تقريبًا، وضحك بهدوء، وأردف: لهذا السبب أخفت القلادة بعد ظهر الأحد. وتذرّعت بأنّها لا تريد أن تتسلّل إيزي أو فيزي إلى المنزل وتأخذاه... في الحقيقة، إنّها غبية، لكنّها ليست ميؤوسًا منها. ما لم يتحقّق أحد من الحجارة،

فنحن ما زلنا بخير... وسيتعيّن عليهم تفكيك الإسطبل للعثور عليها. ثمّ قال، كما لو كان يحدّث نفسه: حسنًا، أعتقد أنّ كلّ هذا يمكن تداركه... هل هذا كلّ شيء يا فينيسيا؟ أهذا كلّ ما لديكم؟

– كلّا، هناك فليك بيردو.

– لا أعرفها.

– بلى تعرفها. لقد عثرت عليها قبل أشهر، وأطلعتها على الحقيقة بشأن المشانق، وأنت تعلم أنّها ستنقل المعلومات إلى جيمي.

قال رافاييل باستخفاف:

– كم انشغلت في الآونة الأخيرة! ماذا إذًا؟ لن تعترف فليك بأنّها مارست الجنس مع نجل وزير من حزب المحافظين، فهي تخشى أن يعلم جيمي بالأمر. إنّها متيّمة به مثلما كينفارا متيمّة بي.

– هذا صحيح، لم ترغب في الاعتراف بذلك، لكن لا بدّ أنّ أحدًا رآك تخرج من شقتها في صباح اليوم التالي. فادّعت أنّك نادل هندي.

اعتقدت روبن أنّها رأت الدهشة والاستياء على وجه رافاييل للحظات. فقد جرحت كبرياءه فكرة وصفه على هذا النحو.

قال، بعد لحظة أو اثنتَين:

– حسنًا، لنرَ... ماذا لو مارست فليك الجنس مع نادل بالفعل، لكنّها ادّعت بخبث أنّه أنا بسبب هراء نشاطها ضد الطبقية والضغينة التي يكنّها صديقها لعائلتي؟

– سرقتَ بطاقة ائتمان رفيقتها في الشقة من حقيبتها في المطبخ. وأدركت روبن عندما تقلّصت شفتاه أنّه لم يتوقع ذلك. لا شكّ أنّه اعتقد، نظرًا لأسلوب حياة فليك، أنّ الشكّ سيقع على أيّ شخص يمرّ في شقتها الصغيرة المكتظّة، ربّما جيمي خاصّةً.

قال مرّة أخرى:

– هل من دليل؟

– يمكن لفليك أن تعطينا التاريخ الذي كنت فيه في شقتها وإذا شهدت لورا أنّ بطاقتها الائتمانية كانت قد فُقدت في تلك الليلة...

– ولكن في غياب أيّ دليل قاطع يثبت وجودي هناك...

– كيف علمت فليك بشأن المشنقتَين؟ نعلم أنّها هي التي أخبرت جيمي عنهما، وليس العكس.

– في الواقع، من المستحيل أن أكون أنا، أليس كذلك؟ أنا الفرد الوحيد في العائلة الذي لم يعرف شيئًا عن هذا الأمر.

– كنت تعرف كلّ شيء. سمعت كينفارا القصّة الكاملة من والدك، ونقلتها إليك.

– لا، أعتقد أنّك ستجدين أنّ فليك سمعت عن المشانق من الأخوَين بوتشر. أعرف جيدًا أنّ أحدهما يعيش في لندن الآن. أجل، أعتقد أنّني سمعت إشاعة بأنّ أحدهما مارس الجنس مع صديقة رفيقه جيمي. وصدّقيني، الأخوان بوتشر لن يبليا حسنًا في المحكمة. فلّاحان مخادعان ينقلان المشانق تحت جنح الظلام. سأبدو أكثر منطقية وأناقة من فليك والأخوَين بوتشر إذا وصلت القضيّة إلى المحكمة، بكلّ تأكيد.

أصرّت روبن:

– لدى الشرطة سجلّات هاتفية. إنّهم يعرفون باتّصال مجهول الهويّة بغيرنيت وين، أُجري في وقت قريب من اكتشاف فليك أمر المشانق. نعتقد أنّك أبلغت وين خُفيةً بشأن صموئيل موراب. كنت تعلم أنّ وين يكره عائلة تشيزيل. أخبرتك كينفارا بكلّ شيء.

– لا أعرف أيّ شيء عن ذلك الاتّصال الهاتفي، حضرة رئيس المحكمة، وأنا آسف جدًّا لأنّ أخي الراحل كان سافلًا مع ريانون وين، لكن لا علاقة لي بالأمر.

– نعتقد أنّك أنت من أجرى اتّصال التهديد مع مكتب إيزي، في اليوم الأول الذي كنت فيه هناك، وتحدّثت عن أشخاص «يتبوّلون على أنفسهم عند احتضارهم»، ونعتقد أنّك أنت وراء فكرة كينفارا بالتظاهر بأنّها تسمع دخلاء حول المنزل. صُمّم كلّ شيء لخلق أكبر عدد ممكن من الشهود ليؤكّدوا أنّ والدك كانت لديه أسباب للقلق والارتياب، وأنّه قد ينهار تحت ضغط شديد...

– كان بالفعل تحت ضغط شديد. كان بالفعل يتعرّض لابتزاز جيمي نايت. غيرنيت وين كان يحاول إجباره على الاستقالة من وظيفته. هذه ليست أكاذيب، إنّها حقائق وستكون مثيرة للغاية في قاعة المحكمة، خاصّة عند ظهور قصّة صموئيل موراب.

– إلّا أنّك ارتكبت أخطاءً غبيّة كان يمكنك تجنّبها.

جلس مستقيمًا وانحنى إلى الأمام، وانزلق مرفقه بضع بوصات، بحيث أصبحت فوهة المسدّس أكبر. عيناه اللتان بدتا كلطختيَن في الظلّ أصبحتا محدّدتين بوضوح مجددًا، وكأنّهما من العقيق اليماني الأبيض والأسود. تساءلت روبن كيف وجدته وسيمًا ذات يوم.

– ما هي تلك الأخطاء؟

عندما قال ذلك، رأت روبن، من زاوية عينها، ضوءًا أزرق وامضًا ينزلق فوق الجسر الذي يمكن رؤيته من خلال النافذة على يمينها، إلّا أنّه حُجب عن رؤية رافاييل بأحد جانبَي القارب. اختفى الضوء وامتصّ الظلام العميق الجسر مجدّدًا.

قالت روبن بهدوء:

– أولًا، كان من الخطأ الاستمرار في مقابلة كينفارا في الفترة التي سبقت الجريمة. استمرّت في التظاهر بأنّها نسيت المكان الذي يُفترض بها أن تقابل فيه والدك، أليس كذلك؟ فقط لتكون معك ولو لدقيقتَين، فقط لرؤيتك ولتطمئنّ عليك...

– ليس هذا بدليل.

– اقتفى أحدهم أثر كينفارا إلى فندق «لو مانوار أو كاتر سيزون» في عيد ميلادها.

ضاقت عيناه:

– من اقتفى أثرها؟

– جيمي نايت. أكّدت فليك ذلك. ظنّ جيمي أنّ والدك كان مع كينفارا وأراد مواجهته علنًا وفضح أمره لأنّه لم يعطه ماله. من الواضح أنّ والدك لم يكن موجودًا، لذلك عاد جيمي إلى المنزل وكتب مدوّنة غاضبة عن

كيفية إنفاق أفراد حزب المحافظين أموالهم، مشيرًا إلى فندق «لو مانوار أو كاتر سيزون» بالاسم.

– ما لم يرَني أتسلّل إلى جناح فندق كينفارا، وأعلم أنّه لم يفعل، لأنّني حرصت جيّدًا على التأكّد من أنّ أحدًا لم يرَني، فهذه كلّها افتراضات أيضًا.

– حسنًا، ماذا عن المرّة الثانية حين كنت قد شمعت أثناء ممارستك الجنس في حمّام صالة العرض؟ لم تكن مع فرانشيسكا. كنت مع كينفارا.

– أثبتي ذلك.

– كانت كينفارا في المدينة في ذلك اليوم، واشترت حبوب اللاشيسيز وتظاهرت بأنّها كانت غاضبة لأنّ والدك ما زال يقابلك، وكان ذلك جزءًا من القصّة التي تفيد أنّها تكرهك. اتّصلت بوالدك للتأكّد من أنّه كان يتناول الغداء في مكان آخر. سمع سترايك ذلك الاتصال. ما لم تدركاه أنت وكينفارا هو أنّ والدك كان يتناول الغداء على بعد مئة ياردة فقط من المكان الذي كنتما تمارسان الجنس فيه.

عندما اقتحم والدك الحمّام، وجد أنبوبًا من حبوب اللاشيسيز على الأرض. لهذا السبب كاد يصاب بنوبة قلبية. فقد كان يعلم أنّها أتت إلى المدينة لشرائها. هكذا عرف من الذي كان يمارس الجنس معك في الحمّام.

أصبحت ابتسامة رافاييل أشبه بالتكشيرة الغاضبة.

– أجل، كان هذا إخفاقًا. في اليوم الذي جاء فيه إلى مكتبنا، وهو يتكلّم عن اللاشيسيز – «تعرف متى تحين ساعة الجميع» – أدركت لاحقًا، أنّه كان يحاول أن يخيفني، أليس كذلك؟ لم أفهم عمّ كان يتحدّث في ذلك الوقت. لكن عندما ذكرت أنت ورئيسك المعوّق الأقراص في منزل عائلة تشيزيل أدركت كينفارا: سقطت من جيبها أثناء ممارستنا الجنس. لم نعرف ما الذي جعله يشكّ في أمرنا... لكن عندما سمعت أنّه كان يتّصل بفندق «لو مانوار» بشأن محفظة نقود فريدي، علمت أنّه لا بدّ أنّه ارتاب في أمرنا. ثمّ دعاني إلى شارع إيبوري وعرفت أنّه يوشك على مواجهتي بهذا الشأن، وأنّه يجب علينا المضيّ قدمًا، وقتله.

الطريقة الصريحة والمجردّة تمامًا من العواطف التي تكلّم بها رافاييل عن قتل والده جعلت روبن تشعر بالقشعريرة. فقد بدا كأنّه يتكلّم عن تلبيس غرفة بورق الجدران.

– لا بدّ أنّه كان يخطّط لإظهار تلك الحبوب خلال خطابه الكبير «أعلم أنّك تمارس الجنس مع زوجتي»... لماذا لم أرَها على الأرض؟ حاولت ترتيب الغرفة بعد ذلك، لكن لا بدّ أنّها تدحرجت من جيبه أو شيء من هذا القبيل... الأمر أصعب ممّا يعتقده المرء... الترتيب حول جثّة شخص قتلته للتوّ. لقد فاجأني، في الواقع، مدى تأثير ذلك فيّ.

لم تشهد روبن قطّ نرجسيته بهذا الوضوح. كان اهتمامه وتعاطفه مع نفسه كاملَين. أمّا والده الميت، فلم يؤثّر فيه.

قالت روبن:

– أخذت الشرطة إفادات فرانشيسكا ووالدَيها أيضًا. لقد أنكرت تمامًا وجودها في الحمّام معك في المرّة الثانية. لم يصدّقها والداها أبدًا، لكن...

– لم يصدّقاها لأنّها أغبى من كينفارا.

– تراقب الشرطة لقطات كاميرا أمنية من المتاجر التي تقول إنّها كانت فيها، بينما كنتما أنت وكينفارا في الحمّام.

– حسنًا، في أسوأ الحالات، إذا استطاعوا أن يثبتوا أنّها لم تكن معي، فقد أضطرّ إلى الكشف أنّني كنت مع سيّدة شابة أخرى في الحمّام في ذلك اليوم، وكنت أحاول الدفاع عن سمعتها بشهامة.

سألت روبن غير مصدّقة:

– هل ستتمكّن حقًّا من العثور على امرأة تكذب من أجلك أمام المحكمة فيما أنت متّهم بجريمة قتل؟

قال رافاييل بهدوء:

– المرأة التي تملك هذا المنزل العائم متيّمة بي. كنّا على علاقة قبل أن أدخل السجن. زارتني في السجن وما إلى ذلك. إنّها في مركز إعادة التأهيل الآن. إنّها مجنونة تحبّ الدراما. وتتخيّل أنّها فنّانة. وتفرط في شرب الكحول، وهي مزعجة للغاية في الواقع، لكنّها تمارس الجنس بنشاط الأرانب. لم تكلّف

نفسها عناء أخذ المفتاح الاحتياطي لهذا المكان منّي، وهي تحتفظ بمفتاح منزل والدتها في ذلك الدرج هناك...

وسألت روبن:

– لم يصادف أنّك أعطيت عنوان منزل والدتها ليرسَل إليه الهيليوم والأنابيب والقفازات، أليس كذلك؟

رمش رافاييل، فهو لم يتوقع السؤال.

– احتجت إلى عنوان لا صلة لك به. حرصت على أن تتسلّمها أثناء وجود المالكين خارج المنزل، أو في العمل، لتدخل وتأخذ بطاقة عدم التسليم...

– تسلّمتها متنكّرًا وأرسلتها عبر شركة تسليم خاصّة إلى منزل والدي الحبيب، أجل.

– وتسلّمتها فليك وحرصت كينفارا على إخفائها عن والدك حتى حان وقت قتله؟

– هذا صحيح. يتعلَم المرء الكثير في السجن. بطاقات التعريف عن الهويّة المزيّفة، والمباني الشاغرة، وعناوين المنازل الفارغة، يمكنك تحقيق الكثير بها كلها. عند موتك... شعرت روبن بوخز في فروة رأسها عند ذكره موتها، وأكمل رفاييل: لن يربطني أحد بأيّ من هذه العناوين.

– صاحبة هذا القارب...

– ستخبر الجميع بأنّها كانت تمارس الجنس معي في حمّام دراموند، أتذكرين؟ وقال بهدوء: إنّها في فريقي، يا فينيسيا، لذا لا يبدو الأمر جيّدًا بالنسبة إليك، أليس كذلك؟

قالت روبن وقد جفَ حلقها:

– ارتكبت أخطاءً أخرى.

– ما هي؟

– أخبرت فليك أنّ والدك بحاجة إلى عاملة تنظيف.

– أجل، لأنّ وصولها إلى منزل والدي يلقي الريبة عليهما هي وجيمي. ستركّز هيئة المحلفين على ذلك، لا على كيفية اكتشافها أنّه يريد عاملة

نظافة. قلت لك إنّها ستبدو كفتاة قذرة تريد الانتقام في قفص الاتّهام. إنّها مجرّد كذبة أخرى.

– لكنّها سرقت ملحوظة من والدك، ملحوظة كتبها أثناء محاولته التحقّق من قصّة كينفارا مع فندق «لو مانوار أو كاتر سيزون». وجدتها في حمّامها. لقد كذبت كينفارا، وأخبرته أنّ والدتها ستذهب معها إلى الفندق. في الفندق لا يعطون عادة المعلومات عن النزلاء، لكنّه كان وزيرًا في الحكومة ونزل عندهم من قبل، لذلك نعتقد أنّه تمكّن من إقناعهم بتذكّر سيّارة العائلة والأسف لأنّ والدتها لم تتمكّن من المجيء. ودوّن اسم الجناح الذي نزلت كينفارا فيه، متظاهرًا على الأرجح بأنّه نسيه، وحاول الحصول على الفاتورة، ليرى ما إن كان هناك أيّ ذكر لوجبتَي فطور أو عشاء، على ما أفترض. عندما يقدم الادّعاء الملحوظة والفاتورة إلى المحكمة...

– أنتِ من وجد الملحوظة، أليس كذلك؟

انقلبت معدة روبن. فهي لم تقصد إعطاء رافاييل سببًا آخر لإطلاق النار عليها.

قال رافاييل:

– علمت أنّني استخففت بك بعد ذلك العشاء الذي تناولناه في نام لونج لو شاكر. لم يكن ما قاله مجاملة، إذ ضاقت عيناه، وانفتح منخراه من شدة الكراهية، وأكمل: كنت منهارة غير أنّك طرحت عليّ أسئلة مزعجة جدًا. أنت ورئيسك في العمل أكثر اتّفاقًا مع الشرطة ممّا توقعته أيضًا. وحتى بعد أن أخبرت صحيفة الميل...

قالت روبن، متسائلة بينها وبين نفسها كيف لم تدرك ذلك قبل:

– أنت من فعل ذلك إذًا. أنت جعلت الصحافة وميتش باترسون يهتمّون لأمرنا مجدّدًا...

– أخبرتهم أنّك تركت زوجك من أجل سترايك، لكنّه كان لا يزال يمارس الجنس مع صديقته السابقة. كانت إيزي قد أعلمتني بهذه الشائعة. وفكّرت أنّه يجب عليّ أن ألهيكما وأبطئ عملكما، لأنكما استمررتما في محاولة تدمير حجّة غيابي... ولكن بعد أن أطلق النار عليك – سرت قشعريرة كالجليد في

جسد روبن – سينشغل رئيسك بالإجابة عن أسئلة الصحافة بشأن كيفية وجود جثّتك في القناة، أليس كذلك؟ أعتقد أنّ هذا ما يُسمّى قتل عصفورَين بحجر واحد.

قالت روبن بصوت ثابت قدر المستطاع:

– حتى لو متّ، فستبقى ملحوظة والدك وشهادة الفندق...

قال رافاييل بخشونة:

– حسنًا، وبدا قلقًا بشأن ما كانت كينفارا تفعله في «لو مانوار»، وأكمل: أخبرتك للتوّ، أنّ أحدًا لم يرَني في المبنى. طلبت البقرة الغبيّة كأسَين مع الشمبانيا، لكن كان من الممكن أن تكون برفقة شخص آخر.

قالت روبن، وحلقها أكثر جفافًا من أيّ وقت مضى، ولسانها ملتصق بسقف حلقها، فيما حاولت أن تبدو هادئة وواثقة:

– لن تُتاح لك أيّ فرصة لتأليف قصّة جديدة معها. هي محتجزة الآن، وتفتقر إلى ذكائك. وأضافت مسرعة: وقد ارتكبت أخطاءً أخرى، أخطاءً غبيّة إذ كان عليك تنفيذ الخطّة على عجل بمجرّد أن أدركت أنّ والدك كشف أمركما.

– وما تلك الأخطاء؟

– أخذت كينفارا عبوة الأميتريبتيلين، بعدما وضعت الدواء في عصير البرتقال. ونسيت أيضًا أن تخبرك بالحيلة لإغلاق الباب الأمامي بطريقة صحيحة. وأضافت وهي تدرك أنّها كانت ترمي ببطاقتها الأخيرة: ورمت لك مفتاح الباب الأمامي، في بادينغتون.

خلال الصمت الطويل الذي ساد بينهما، خُيّل لروبن أنّها سمعت وقع خطًى قريبة منها. ولم تجرؤ على النظر من النافذة حتى لا تلفت انتباه رافاييل، الذي بدا مرعوبًا ممّا قالته للتوّ فلم ينتبه إلى أيّ شيء آخر.

كرّر رافاييل بشجاعة واهنة:

– رمت لي مفتاح الباب الأمامي؟ ما الذي تقولينه بحق السماء؟

– مفاتيح شارع إيبوري معدودة، ويكاد نسخها يكون مستحيلًا. لم يكن لدى كليكما سوى مفتاح واحد هو مفتاحها، لأنّ والدك كان يشكّ فيكما عند وفاته، وحرص على إبقاء المفتاح الاحتياطي بعيدًا من متناول يدك.

هي احتاجت إلى المفتاح لدخول المنزل ووضع الدواء في عصير البرتقال وأنت كنت بحاجة إليه لدخول المنزل في الصباح الباكر من اليوم التالي وخنقه. لذا وضعتما معًا خطّة في اللحظة الأخيرة: كانت ستمرّر لك المفتاح في مكان اتّفقتما عليه مسبقًا في محطّة بادينغتون، حيث تنكّرت بثياب رجل متشرّد. صوّرتكما الكاميرا. ويحاول تقنيّو الشرطة الآن تكبير الصورة وإيضاحها. يعتقدون أنّك اشتريت ثيابًا من متجر خيري على عجل، ما قد ينتج عنه شهود مفيدون آخرون. تقوم الشرطة الآن بمعاينة لقطات أشرطة المراقبة على الفيديو لتحرّكاتك من بادينغتون فصاعدًا.

بقي رفاييل صامتًا لمدّة دقيقة تقريبًا. وتحرّكت عيناه قليلًا من اليسار إلى اليمين، بينما كان يحاول إيجاد ثغرة، لينفذ من ورطته.

قال أخيرًا:

– هذا... أمر مزعج. لم أدرك أنّ الكاميرا صوّرتني وأنا جالس هناك.

خُيّل لروبن أنّها ترى الأمل يفارقه الآن. وواصلت بهدوء قائلة:

– وفقًا لخطّتكما، وصلت كينفارا إلى منزلها في أوكسفوردشاير، واتّصلت بدراموند وتركت له رسالة مفادها أنّها تريد تقييم القلادة، لإعداد تلك القصّة الاحتياطية بأكملها.

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، استُعمل خطّ ذو استخدام واحد آخر للاتصال بكلّ من غيرنيت وين وجيمي نايت. وأُغري كلاهما بالخروج من منزلَيهما، ووُعدا بالحصول على معلومات عن تشيزيل على الأرجح. كنت أنت الفاعل، لتضمن أن ترتاب الشرطة فيهما إذا ما اشتُبه في أنّها جريمة قتل.

غمغم رافاييل تلقائيًا:

– لا دليل. لكنّ عينَيه استمرّتا بالتحرّك يمينًا وشمالًا، بحثًا عن مخرج خفيّ.

– دخلت إلى المنزل في وقت مبكر جدًا من الصباح، وكنت تتوقّع أن تجد والدك في غيبوبة تقريبًا بعد تناوله عصير البرتقال في الصباح الباكر، ولكن...

– كان مخدرًا في البداية. ولمعت عيناه، وعرفت روبن أنّه كان يتذكّر ما جرى، ويكرّر المشهد في رأسه، وإكمل: كان مستلقيًا على الأريكة، مترنّحًا جدًّا. مررت بالقرب منه لأدخل المطبخ، وفتحت صندوق ألعابي...

رأت روبن مرّة أخرى، لجزء من الثانية، الرأس المغلّف بالبلاستيك، والشعر الرمادي مضغوطًا حول الوجه بحيث لا يمكن رؤية سوى ثقب أسود شكّله الفم المفتوح. رافاييل فعل ذلك. رافاييل الذي يشهر مسدّسًا في وجهها.

– ... لكن بينما كنت أرتّب كلّ شيء، استيقظ العجوز اللعين ورآني أثبّت الأنبوب على عبوة الهيليوم وعاد إلى الحياة. ترنّح وأخذ سيف فريدي عن الحائط وحاول القتال، لكنّي أخذته منه. والتوى النصل فيما كنت أفعل ذلك. أجبرته على الجلوس على الكرسيّ؛ كان لا يزال يقاوم و... وانتهى الأمر، قال رفاييل ذلك معيدًا تمثيل وضع الكيس على رأس والده.

قالت روبن، وما زال حلقها جافًّا:

– وبعد ذلك، أجريت تلك الاتّصالات الهاتفية من جوّاله التي كان من المفترض أن تثبت حجّة غيابك. أعطتك كينفارا رمز المرور الخاصّ به، بالطبع. وغادرت من دون أن تغلق الباب بطريقة صحيحة.

لم تكن روبن متيقّنة ممّا إن كانت تتخيّل حركة خارج الكوّة إلى يسارها. وأبقت عينيها على رافاييل والمسدّس المرتعش.

تمتم، وعيناه ما زالتا تلمعان:

– كثيرٌ من هذه الأدلّة ظرفية. لكلٍّ من فليك وفرانشيسكا دوافع للكذب عنّي... لم أنهِ العلاقة بطريقة جيّدة مع فرانشيسكا... ربّما لا يزال لديّ فرصة... أعتقد...

– لا فرصة لديك للنجاة يا راف. لن تكذب كينفارا من أجلك لفترة أطول. عندما ستخبرها الشرطة الحقيقة بشأن لوحة «الفرس المفجوعة»، ستجمع الأمور كلها بطريقة منطقية لأول مرّة. أعتقد أنّك أصرّيت على نقلها إلى غرفة الرسم لحمايتها من الرطوبة في الغرفة الاحتياطية. كيف نجحت في ذلك؟ هل اختلقت بعض الترّهات بأنّها تذكّرك أنت بفرسها النافقة؟ ثمّ ستدرك أنّك عدت إلى إحياء العلاقة بينكما عندما عرفت قيمة اللوحة الحقيقية، وأنّ

كلّ الكلمات المروّعة التي قلتها لها عندما أنهيت العلاقة في المرّة الأولى كانت صحيحة. وأضافت روبن: والأسوأ من ذلك كله، ستدرك أنّه عندما سمع كلاكما متسلّلين في أراضيها – حقيقيّين، هذه المرّة – تركتَ المرأة التي من المفترض أنك تحبّها بجنون تخرج إلى الغابة في الظلام، في ثوب نومها، بينما بقيت في المنزل لحماية...

صرخ فجأة وتقدّم بفوهة المسدّس حتى ضغطت على جبهتها مرّة أخرى:

– حسنًا! هلّا توقّفت عن كلامك اللعين؟

صمتت روبن. وتخيّلت ما ستشعر به عندما يضغط على الزناد. قال إنّه سيطلق النار عليها من خلال وسادة لكتم الصوت، لكن ربّما نسي ذلك، ربّما كان على وشك أن يفقد السيطرة.

سألها:

– هل تعرفين كيف هي الحال في السجن؟

حاولت أن تقول «لا»، لكنّ حنجرتها لم تسعفها في الكلام...

همس:

– الضوضاء، والرائحة، والسجناء القبيحون، الأغبياء؛ وبعضهم شبيه بالحيوانات. بل هم أسوأ من الحيوانات. لم أتخيّل إطلاقًا أنّ أمثالهم موجودون. الأماكن التي يجعلونك تأكلين فيها وتتغوّطين. ووجوب البقاء فتحت الرقابة طوال الوقت، تنتظرين اندلاع العنف. والضجيج والصراخ والقذارة اللعينة. أفضّل أن أُدفن حيًّا. لن أعود إلى هناك مجدّدًا...

كنت سأحظى بحياة شبيهة بالحلم. كنت سأصبح حرًّا، حرًّا تمامًا. ولن أضطرّ أبدًا إلى الخضوع لأمثال دراموند اللعين مجدّدًا. وضعت عيني على فيلا في كابري منذ فترة طويلة. تطلّ على خليج نابولي. ثمّ خطّطت لأن أشتري منزلًا جميلًا في لندن... وسيّارة جديدة، بمجرّد أن يُرفع الحظر على قيادتي السيّارات.. تخيّلي أن تمشي في الشارع وأنت تعلمين أنّه يمكنك أن تشتري أيّ شيء، وأن تفعلي أيّ شيء. حياة كالأحلام...

مشكلتان صغيرتان يجب عليّ أن أتخلّص منهما قبل أن تترتّب أموري كلّها... بالنسبة إلى فليك، الأمر سهل: في وقت متأخّر من الليل، وفي شارع مظلم، سكّين في ضلوعها، يجعل منها ضحيّة جرائم الشارع.

وكينفارا... بمجرّد أن تكتب وصيّتها لي، بعد سنوات قليلة، تكسر رقبتها عندما تقع عن الحصان غير المناسب أو تغرق في إيطاليا... إنّها لا تجيد السباحة...

وبعد ذلك يمكن لجميعهم أن يذهبوا إلى الجحيم، أليس كذلك؟ أفراد عائلة تشيزيل، والعاهرة أمّي. لن أحتاج إلى أيّ شيء من أيّ أحد. سيكون لديّ كلّ شيء...

وأضاف: لكن كلّ هذا اختفى. على الرغم من أنّه كان أسمر البشرة، رأت روبن أنّ لونه قد تحوّل إلى رمادي، وأصبحت الهالات السوداء تحت عينيه جوفاء في ضوء المساء، وأكمل: اختفى كلّ شيء. أتعلمين يا فينيسيا؟ سأفجّر دماغك اللعين، لأنّني قرّرت أنّك لا تعجبينني. أعتقد أنّني أودّ أن أرى رأسك اللعين ينفجر قبل أن أفجّر رأسي...

– راف...

قال وهو يقلّدها:

– راف... راف... لماذا تعتقد جميع النساء أنّهنّ مختلفات؟ لست مختلفة، جميعكن سواسية.

مدّ يده إلى الوسادة المترهلة بجانبه.

– سنذهب معًا. أحبّ أن أصل إلى الجحيم برفقة فتاة مثيرة...

انفتح الباب فجأة وتشظّى الخشب. استدار رافاييل، ووجه المسدّس نحو الشخص الكبير الذي دخل للتوّ. ارتمت روبن على الطاولة لتمسك بذراعه، لكنّ رافاييل دفعها إلى الوراء بمرفقه وشعرت بالدم يسيل من شفتها.

– راف، لا، لا... لا تفعل!

كان قد وقف، وكان منحنيًا لأنّ السقف منخفض، ووضع فوهة المسدّس في فمه. وقف سترايك، الذي خلع الباب بكتفه، يلهث على بعد أمتار منه، ووقف واردل وراءه.

قال سترايك:

– هيّا، أطلق النار، أيّها الجبان اللعين.

أرادت روبن الاحتجاج، لكنّها لم تستطع أن تتكلم.

وسمعوا صوت ضغط إصبعه على المسدس لإطلاق الرصاص.

قال سترايك وهو يعرج للأمام ويخرج المسدّس من فم رافاييل:

– أفرغت الرصاص منه في منزل تشيزيل، أيّها الوغد الغبيّ. لست حاذقًا كما حسبت نفسك، أليس كذلك؟

دوّى رنين قويّ في أذنَي روبن. وأخذ رافاييل يسبّ ويلعن بالإنجليزية والإيطالية، ويصرخ مهدّدًا ويضرب ويتلوّى، بينما ثبّته سترايك على الطاولة ليقيّده واردل بالأصفاد، لكنّها ابتعدت مترنّحة عن المجموعة كما لو كانت في حلم، متجهة إلى الخلف نحو منطقة المطبخ، حيث عُلّقت الأواني والمقالي واستقرّت لفّة المناديل الورقية البيضاء بجانب حوض صغير للجلي، بشكل طبيعي جدًّا إلى درجة مثيرة للضحك نظرًا للوضع الذي كانوا فيه. شعرت بشفتها تنتفخ حيث ضربها رافاييل. مزقّت بعض المناديل ووضعتها تحت صنبور الماء البارد وضغطتها على فمها الذي كان ينزف، بينما كانت تراقب من خلال الكوّة رجال الشرطة في الزيّ الرسمي يهرعون عبر البوّابات السوداء، ويمسكون بالمسدّس وبرافاييل الذي استمرّ في المقاومة وقد أخرجه واردل إلى الضفّة.

احتُجزت للتوّ تحت تهديد مسلّح، ولم يبدُ لها شيء حقيقيًا. بدأ الآن رجال الشرطة يدخلون ويخرجون من القارب، لكنّ كلّ ذلك كان ضوضاء وصدى، ثمّ أدركت أنّ سترايك يقف بجانبها، وبدا لها أنّه الشخص الوحيد الواقعي.

وسألته بصوت تكتمه ضمادة المناديل:

– كيف عرفت؟

– أدركت الأمر بعد خمس دقائق من مغادرتك. الأرقام الثلاثة الأخيرة من ذلك الرقم الذي أريتني إيّاه لتلك الرسائل التي من المفترض أن تكون من ماثيو كانت هي نفسها في أحد أرقام الخطوط ذات الاستعمال الواحد. ركضت وراءك لكنّك كنت قد رحلت. أرسل لايبورن سيّارات الشرطة في دوريات واتّصلت بك بدون توقف منذ ذلك الحين. لماذا لم تجيبي؟

– كان هاتفي في الوضع الصامت في حقيبتي. والآن أصبح في قعر القناة.

اشتهت مشروبًا قويًّا. وفكّرت أنّه ربّما كانت توجد حانة في مكان قريب... لكن بالطبع لن يُسمح لها بالذهاب إلى الحانة. كان أمامها ساعات ستقضيها في نيو سكوتلاند يارد. سوف تحتاج الشرطة إلى إفادة طويلة. وكان عليها أن تسترجع آخر أحداث الساعة الأخيرة بالتفصيل. شعرت بالإرهاق.

– كيف عرفت أنّني هنا؟

– اتّصلت بإيزي وسألتها عمّا إن كان رافاييل يعرف أيّ شخص بالقرب من العنوان المزيّف الذي حاول إيصالك إليه. أخبرتني أنّه كانت لديه صديقة مدمنة مخدّرات تمتلك قاربًا. لم يعد لديه أماكن كثيرة يلجأ إليها. فالشرطة تراقب شقّته منذ يومَين.

– وكنت تعرف أنّ المسدّس كان فارغًا؟

صحّح لها:

– أملت أن يكون فارغًا. كان من الممكن أن يتحقّق منه ويعيد حشوه.

تلمّس جيبه. وارتعشت أصابعه قليلًا عندما أشعل سيجارة. أخذ نفسًا ثمّ قال:

– أبليت بلاءً حسنًا في إبقائه يتحدّث لفترة طويلة يا روبن، ولكن في المرّة المقبلة التي تتلقين فيها اتّصالًا من رقم غير معروف، عاودي الاتّصال به للتحقق من المتّصل في الطرف الآخر. وإيّاك – إيّاك – أن تخبري مشتبهًا فيه بأيّ شيء عن حياتك الشخصية بعد اليوم.

سألت وهي تضغط على المنديل البارد على شفتها المتورمَة النازفة:

– هل من الممكن أن أحظى بدقيقتَين لأتنعّم ببقائي على قيد الحياة قبل أن تبدأ؟

نفخ سترايك نفثة من الدخان.

وقال:

– أجل، أنت محقّة، وسحبها بطريقة خرقاء معانقًا إيّاها بذراع واحدة.

بعد مرور شهر

الخاتمة

مات ماضيك يا ريبيكا. لم يعد له أيّ تأثير
عليك – ولا علاقة له بك – كما أنت الآن.

هنريك إبسن، روسميرشولم

انتهت الألعاب البارالمبية وغابت عن الأذهان، وكان شهر سبتمبر يبذل قصارى جهده ليغسل ذكرى أيّام الصيف الطويلة، عندما نعمت لندن باهتمام العالم أجمع لمدّة أسابيع. طقطق المطر على نوافذ مطعم شيين واك براسيري العالية وتنافس مع سيرج غينسبورغ وهو يغنّي «Black Trombone» من مكبّرات الصوت الخفيّة.

ما إن جلس سترايك وروبن اللذان كانا قد وصلا معًا حتى وصلت إيزي، التي اختارت المطعم لقربه من شقتها، مرتدية معطف البربري (Burberry) الواقي من المطر وحاملة مظلة رطبة، احتاجت بعض الوقت لتعليقها عند الباب.

تكلّم سترايك مع موكّلته مرّة واحدة فقط منذ أن تمّ حلّ القضيّة، وذلك لفترة وجيزة، لأنّ إيزي أُصيبت بالصدمة وحزنت لدرجة أنّها لم تتكلم كثيرًا. اجتمعوا اليوم بناءً على طلب سترايك، لأنّه أراد توضيح أمر واحد بعد في قضيّة تشيزيل. أخبرت إيزي سترايك عبر الهاتف، عندما اتّفقا على الغداء، أنّها لم تخرج كثيرًا منذ اعتقال رافاييل. «لا أستطيع مواجهة الناس. كلّ ذلك مروّع جدًّا».

قالت إيزي بقلق:

– كيف حالك، بينما تحرّك سترايك من خلف الطاولة ذات الغطاء الأبيض موافقًا على احتضانها رغم ابتلالها. وأكملت: أوه، عزيزتي روبن، أنا آسفة جدًّا، وأضافت وهي تسرع نحو الجانب الآخر من الطاولة لمعانقتها، مشتّتة الأفكار، قبل أن تكلّم النادلة غير المبتسمة التي أخذت معطفها ومظلّتها المبلّلين: آه، أجل، من فضلك، شكرًا.

ثمّ قالت وهي تجلس:

– وعدت نفسي بأنّني لن أبكي، ثمّ أمسكت بمنديل عن الطاولة وضغطته بقوّة على عينيها الدامعتَين، وأكملت: آسفة... لا يمكنني التوقّف. أحاول عدم التسبّب بالإحراج...

تنحنحت واستقامت، وهمست:

– كانت صدمة هائلة.

قالت روبن:

– بالطبع.

ابتسمت لها إيزي بوجهها المبلّل.

وغنَى غينسبورغ «إنّه خريف حياتي. لم يعد أحد يدهشني...».

سألت إيزي، محاولة إيجاد أرضية محادثة تقليدية:

– هل أعجبكما المكان؟ جميل جدًّا، أليس كذلك؟

حاولت إثارة إعجابهما بالمطعم البروفنسي الذي قارنه سترايك عند دخوله بشقّة إيزي، لكن مع طابع فرنسي، إذ إنّه كان قد وجد هنا المزيج المحافظ نفسه من التقليدية والحداثة: صور فوتوغرافية بالأبيض والأسود معلقة على جدران بيضاء ناصعة، وكراسيّ ومقاعد مغطّاة بالجلد القرمزي والفيروزي، وثريّات برونزية وزجاجية قديمة وأغطية مصابيح وردية اللون.

عادت النادلة بقوائم الطعام وعرضت الأن تأخذ طلبات المشروبات.

سألت إيزي، مشيرة إلى المقعد الفارغ:

– هل ننتظر؟

قال سترايك، الذي كان يشتهي الجعة:

– لقد تأخّر. يمكننا أن نطلب المشروبات.

لم يعد هناك شيء يجب اكتشافه اليوم؛ جاء وقت التفسيرات. حلّ صمت ثقيل مجدّدًا عندما ابتعدت النادلة.

قالت إيزي فجأة لسترايك بارتياح لأنّها عثرت على موضوع تعتبره موضوع محادثة عادية:

– آه، يا إلهي، لا أعرف إن كنت سمعت بالخبر. نُقلت تشارلي إلى المستشفى.

قال:

– حقًّا؟ بدون أن يبدي أيّ اهتمام خاصّ.

– أجل، عليها أن ترتاح في الفراش. تسرّب في السائل السلّوي، على ما أعتقد – على أيّ حال، يريدون إبقاءها تحت المراقبة.

أومأ سترايك بدون أن يظهر وجهه أيّ تعبير. خجلت روبن من نفسها لرغبتها في معرفة المزيد، لكنّها لزمت الصمت. وصل المشروب. قالت إيزي، التي بدت أكثر حماسة من أن تلاحظ ردّ فعل سترايك غير المتحمّس لما كان، بالنسبة إليها، موضوعًا آمنًا يهتمّ له كلاهما:

– سمعت أنّ جاغو ثار غضبه عندما رأى تلك القصّة عنكما في الصحيفة. لا بدّ أنّه مسرور الآن حيث يمكنه مراقبتها...

لكنّ إيزي تعبيرًا على وجه سترايك جعلها تترك الموضوع. فارتشفت النبيذ من كأسها، ونظرت حولها إلى شاغلي الطاولات المجاورة القليلة لتتأكّد من أنّ أحدًا منهم لا يستمع، وقالت:

– أفترض أنّ الشرطة تبلغك بالمستجدّات؟ أتعلم أنّ كينفارا اعترفت بكلّ شيء؟

قال سترايك:

– أجل، سمعنا ذلك.

هزّت إيزي رأسها، وامتلأت عيناها بالدموع مرّة أخرى.

– كان الأمر مروّعًا جدًّا. حتى أصدقاؤنا لا يعرفون ماذا يجب أن يقولوا لنا... ما زلت عاجزة عن تصديق ذلك. الأمر لا يُصدَّق. راف... أردت أن

أذهب لمقابلته، أتعرفان؟ كنت فعلًا أحتاج إلى رؤيته... لكنّه رفض. لا يريد أن يقابل أحدًا.

تناولت المزيد من النبيذ.

لا بدّ أنّه أصيب بالجنون أو ما شابه. لا بدّ أنّه مريض، أليس كذلك؟ ليفعل ما فعل؟ لا بدّ أنّه مريض نفسيًا.

تذكّرت روبن الرواق المظلم، حيث تحدّث رافاييل بملء الشغف عن الحياة التي يريدها، عن الفيلا في كابري، وشقة العزوبية في لندن، والسيّارة الجديدة، بمجرّد أن يُرفع الحظر المفروض عليه لأنّه كان قد دهس أمًّا شابّة. وفكّرت في مدى دقة تخطيطه لقتل والده، حيث لم يرتكب الأخطاء إلّا بسبب التسرّع الذي فُرض عليهما لتنفيذ جريمة القتل. صوّرت تعابير وجهه الظاهر من فوق المسدّس، عندما سألها لماذا تعتقد بعض النساء أنّهنّ مختلفات عن غيرهنّ: الأمّ التي وصفها بالعاهرة، وزوجة الأب التي أغراها، وروبن، التي كان يوشك على قتلها حتى لا يضطرّ إلى دخول الجحيم وحده. هل كان مريضًا بأيّ شكل من الأشكال يسمح له بأن يرسل إلى مصحّة نفسية بدلًا من السجن الذي أرعبه للغاية؟ أم أنّ حلمه بقتل الأب وُلد في الأرض القاحلة الغامضة بين المرض والحقد العارم؟...

قالت إيزي:

– عاش طفولة مروّعة، ثمّ أكملت، على الرغم من عدم ردّ سترايك ولا روبن: حقًّا، كانت مروّعة حقًّا. لا أريد أن أذكر أبي بالسوء، لكنّ فريدي كان كلّ شيء بالنسبة إليه. أبي لم يكن لطيفًا مع راف والأوركا – أعني، أورنيلا، والدته – في الواقع كان توركس يقول دائمًا إنّها مثل عاهرة من الدرجة العالية أكثر من أيّ شيء آخر. عندما لم يكن راف في المدرسة الداخلية، كانت تجرّه معها حيثما ذهبت وهي تطارد الرجال.

قال سترايك:

– هناك طفولات أسوأ.

روبن، التي فكّرت للتوّ أنّ حياة رافاييل مع والدته لا تختلف عن القليل الذي تعرفه عن سنوات سترايك الأولى، فوجئت بسماعه يعبّر عن وجهة نظره هذه بصراحة.

قال:

– يمرّ الكثيرون بمآسٍ أسوأ من أمّ عابثة، ولا ينتهي بهم الأمر بارتكاب جريمة قتل. انظري إلى بيلي نايت. بالكاد عرف أمّه. وعاش مع والد عنيف ومدمن على الكحول، كان يضربه ويهمله، وانتهى به الأمر بمرض عقلي خطر لكنّه لا يؤذي أحدًا أبدًا. أتى إلى مكتبي وهو يعاني الذهان، محاولًا تحقيق العدالة لشخص آخر.

قالت إيزي على عجل:

– أجل، هذا صحيح بالطبع.

لكن خُيّل لروبن أنّ إيزي لم تستطِع حتى الآن مساواة ألم رافاييل بألم بيلي. فمعاناة الأول ستثير دائمًا فيها شفقة أكبر من معاناة الثاني، لأنّ فردًا من عائلة تشيزيل مختلفٌ بالفطرة عن أمثال الصبيّ اليتيم الأمّ الذي أخفت الغابة تعرّضه للضرب، تلك الغابة حيث يعيش العمّال في أراضي والدها وفقًا لقوانينهم الخاصّة.

ثمّ قال سترايك:

– ها هو ذا.

كان بيلي نايت قد دخل المطعم لتوّه، وقطرات المطر تتلألأ على شعره القصير. على الرغم من أنّه لا يزال هزيلًا، بدا وجهه أكثر امتلاءً وشخصه وملابسه أكثر نظافة. خرج من المستشفى قبل أسبوع واحد فقط، ويعيش حاليًا في شقّة جيمي في شارع شارلمونت.

قال لسترايك:

– مرحبًا. آسف على تأخّري. استغرقت الرحلة في مترو الأنفاق أكثر ممّا توقعت.

قالت المرأتان في الوقت نفسه:

– لا بأس.

قال بيلي:

– أنت إيزي. وهو يجلس بجانبها. لم أرك منذ زمن بعيد.

قالت إيزي بحماس:

– أجل. مرّ وقت طويل، أليس كذلك؟

مدّت روبن يدها عبر الطاولة.

– مرحبًا بيلي، أنا روبن.

قال مرّة أخرى وهو يصافحها:

– مرحبًا.

وعرضت إيزي:

– أتريد بعض النبيذ يا بيلي، أو الجعة؟

قال لها:

– لا أستطيع أن أشرب الكحول مع الأدوية التي أتناولها.

قالت إيزي مرتبكة:

– آه، لا، بالطبع لا... حسنًا، تناول بعض الماء، وهذه قائمة الطعام... لم نطلب شيئًا بعد...

توجّه سترايك إلى بيلي، بعد أن أتت النادلة ورحلت وقال:

– قطعت عليك وعدًا عندما زرتك في المستشفى. وعدتك بأنّني سأكتشف ما حدث للطفلة التي رأيتها تُخنق.

فقال بيلي ببعض الخوف:

– أجل. فقد قطع المسافة من إيست هام إلى تشيلسي تحت المطر على أمل سماع الإجابة عن اللغز الذي لازمه عشرين عامًا.

– قلت على الهاتف إنّك حللته.

– أجل، ولكن أريدك أن تسمعه من شخص يعرف، وكان هناك في ذلك الوقت، حتى تحصل على القصّة الكاملة.

سأل بيلي ملتفتًا إلى إيزي:

– أنت؟ كنت هناك؟ فوق، قرب الحصان؟

أجابت إيزي على عجل:

– لا، لا. حدث ذلك خلال العطلة المدرسية.

تناولت جرعة من النبيذ، ووضعت كأسها على الطاولة، وأخذت نفسًا عميقًا وقالت:

– كنّا أنا وفيز نقيم عند صديقات من المدرسة. أنا سمعت ما حدث في ما بعد... ما حدث هو... أنّ فريدي عاد إلى المنزل من الجامعة وقد أحضر معه بعض الأصدقاء. تركهم أبي في المنزل ليحضر عشاءً مع أفراد فوجه القديم في لندن...

كان من الممكن أن يكون فريدي... في الحقيقة، كان مشاغبًا كبيرًا أحيانًا. أحضر الكثير من النبيذ الجيّد من القبو وشرب الجميع وثملوا، ثمّ قالت إحدى الفتيات إنّها تريد أن تتحقّق ممّا إن كانت تلك القصّة عن الحصان الأبيض حقيقية... قالت لبيلي: القصّة المحليّة في أوفينغتون. إذا درت ثلاث مرّات في عين الحصان وتمنّيت أمنية...

قال بيلي مطأطئًا رأسه:

– أجل. كانت عيناه المسكونتان بكابوس الماضي ضخمتَين.

– ... فغادروا المنزل في الظلام، لكنّ فريدي... كان شقيًّا... فالتفّوا عبر الغابة إلى منزلكم، ستيدا كوتادج، لأنّ فريدي أراد شراء بعض، آه، الماريجوانا، أليس هذا ما كان أخوك الكبير يزرعه؟

قال بيلي مجدّدًا:

– أجل.

– أراد فريدي الحصول على بعض منها، حتى يتمكّنوا من تدخينها، فوق قرب الحصان بينما كانت الفتيات يلقين التمنّيات. بالطبع، ما كان يجب عليهم القيادة. فقد كانوا سكارى قبل التدخين. وعندما وصلوا إلى منزلك، لم يكن والدك موجودًا...

قال بيلي فجأة:

– كان في الحظيرة. ينهي... تعرفين ماذا.

بدا أنّ الذكرى شقّت طريقها إلى مقدّمة ذهنه، بفضل سردها للقصّة. رأى سترايك أنّ يد بيلي اليسرى تمسك بإحكام بيده اليمنى، لمنع تكرار

التشنّج اللاإرادي الذي يستعين به لدرء الشرّ. استمرّ المطر في ضرب نوافذ المطعم وغنّى سيرج غينسبورغ، «أوه، كم أتمنّى أن تتذكّري...».

قالت إيزي، وهي تأخذ نفسًا عميقًا آخر:

– سمعت من إحدى الفتيات اللواتي كنّ هناك... وأضافت بحدّة لسترايك وروبن: لا أريد أن أكشف عن هويّتها، حصل ذلك منذ زمن بعيد وقد صدمتها هذه الأحداث كلها... أيقظك فريدي وأصدقاؤه بالصخب الذي أحدثوه في منزلكم يا بيلي. كان حشد كبير منهم هناك، ولفّ لهم جيمي «صاروخًا» قبل الانطلاق... ابتلعت إيزي ريقها وقالت: على أيّ حال، كنت جائعًا، وجيمي... وجفلت: أو ربّما... ربّما كان فريدي، لا أعرف... فكّر أنّه سيكون من المضحك تفتيت بعض ما كانوا يدخّنونه ووضعه في الزبادي (اللبن) الذي كنت تتناوله.

تخيّلت روبن أصدقاء فريدي، لا بدّ أنّ بعضهم استمتع بالجلوس في الكوخ المظلم لهذا العامل مع صبيّ محلّي يبيع المخدّرات ووجدوا الأمر مثيرًا، لكنّ آخرين، كالفتاة التي أخبرت إيزي القصّة، لم يرتاحوا لما كان يحدث، ولكنّهم كانوا صغارًا وخائفين من رفاقهم المستمتعين فلم يجرؤوا على التدخّل. بدوا كلّهم بالغين بالنسبة إلى بيلي البالغ من العمر خمس سنوات، لكنّ روبن تعرف الآن أنّ أعمارهم كانت تتراوح ما بين التاسعة عشرة والحادية والعشرين على الأكثر.

قال بيلي بهدوء:

– أجل. عرفت أنّهم أعطوني شيئًا.

أكملت إيزي:

– أراد جيمي الانضمام إليهم، والصعود إلى أعلى التل. وأضافت ببراءة: سمعت أنّه كان معجبًا بإحدى الفتيات. لكنّك لم تكن على ما يرام بعد أن أطعموك ذلك الزبادي. لم يستطع أن يتركك وحدك في تلك الحال، لذلك اصطحبك معه. تكدّستم جميعًا في سيّارتي لاند روفر وذهبتم إلى دراغون هيل.

قال بيلي: ولكن... لا، هذا خطأ. عاد تعبيره القلق إلى وجهه. أين الفتاة الصغيرة؟ كانت هناك. كانت معنا في السيّارة. أذكر أنّهم أخرجوها من السيّارة عندما وصلنا إلى أعلى التلّ. كانت تبكي وتطلب والدتها.

قالت إيزي:

– لم... لم تكن فتا... لكنّ فريدي... في الحقيقة كان يعتقد أنّ الأمر كان مضحكًا...

– كانت فتاة. وأضاف بيلي: نادوها باسم فتاة. أتذكّر ذلك.

أجابت إيزي بألم:

– أجل! رافاييلا.

وصرخ بيلي:

– هذا اسمها! والتفتت رؤوس الجالسين في المطعم نحوهم. كرّر بيلي بصوت خافت وعينين واسعتين: هذا اسمها! رافاييلا، هذا ما سمّوها...

قالت إيزي:

– لم... لم تكن فتاة... كان... كان... ضغطت إيزي المنديل على عينيها مرة أخرى.

آسفة جدًّا... كان أخي الصغير رافاييل. كان من المفترض أن يقوم فريدي وأصدقاؤه برعايته، بما أنّ والدي لم يكن في المنزل. كان راف ظريفًا للغاية عندما كان صغيرًا. أيقظوه هو أيضًا، على ما أظنّ، وقالت الفتيات إنّه لا يمكنهم تركه في المنزل، وعليهم اصطحابه. لم يرغب فريدي في ذلك. أراد أن يترك راف في المنزل وحده، إلى أن وعدت الفتيات بأن يعتنين به.

لكن عند وصولهم إلى هناك، كان فريدي مخمورًا بشكل مخيف وقد دخّن الكثير من الحشيش، ولم يتوقف راف عن البكاء فغضب فريدي. قال إنّه كان يخرّب كلّ شيء وبعد ذلك...

قال بيلي بتعبير مذعور:

– خنقه. كان ذلك حقيقيًا، لقد قتل...

قالت إيزي يائسة:

– لا، لا، لم يفعل! بيلي، أنت تعلم أنّه لم يفعل... أنت لا بدّ أنك تتذكّر راف، فقد كان يأتي إلينا كلّ صيف، إنّه على قيد الحياة!

قال سترايك:

– وضع فريدي يديه حول رقبة رافاييل، وضغط عليها حتى فقد الوعي. ورافاييل تبوّل. وانهار. لكنّه لم يمت.

كانت يد بيلي اليسرى لا تزال تمسك بيمينه بقوة.

– أنا فعلًا شاهدت ذلك.

قال سترايك:

– أجل، لقد فعلت، ونعم الشاهد!

عادت النادلة بوجباتهم. عندما حصل الجميع على طبقه، سترايك: شريحة لحم ضلع وشرائح البطاطا المقليّة، والمرأتان: سلطة الكينوا، وبيلي: الحساء، وهو كلّ ما شعر بأنّه يستطيع أن يطلبه بثقة، واصلت إيزي قصّتها.

– أخبرني راف بما حدث عندما عدت من العطلة. كان صغيرًا جدًا، ومنزعجًا جدًا، حاولت إخبار أبي، لكنّه لم يستمع. لم يكترث له. وقال إنّ رفائيل دائم الشكوى... والتذمّر...

وقالت لسترايك وروبن:

– أستذكر ما حصل... وامتلأت عيناها بالدموع مرّة أخرى، وأكملت: وأفكّر في هذا كلّه... ومقدار الكراهية التي شعر بها راف لحصول أمور من هذا القبيل...

قال سترايك بخفّة، وهو يهاجم شريحة لحمه:

– أجل، ربّما حاول فريق الدفاع عن رافاييل استخدام هذا النوع من الأمور، لكنّ الحقيقة تبقى، يا إيزي، أنّه لم يصمّم على قتل والدك إلى أن اكتشف أنّ هناك لوحة لستابز معلّقة في الطابق العلوي.

صحّحت إيزي لسترايك:

– ليس من الأكيد أنّها لستابز، وسحبت منديلًا من جيبها ونظفت أنفها. يعتقد هنري دراموند أنّها نسخة. خبير كريستيز متفائل، لكن أحد عشّاق ستابز في الولايات المتّحدة قادم لفحصها، ويقول إنّها لا تتطابق مع

الملاحظات التي كتبها ستابز عن اللوحة المفقودة... لكن بصراحة... هزّت رأسها قائلة: أنا لا أبالي. انظر إلى ما أدّى إليه هذا الشيء، وما حدث لعائلتنا... لن أهتم لأمرها ولو رُميت في النفايات. ثمّ أضافت إيزي بنبرة مزعجة: هناك أمور أكثر أهمّية من المال.

تعذّر الردّ على سترايك لأنّ فمه كان مليئًا بشرائح اللحم، لكنّه تساءل عمّا إن فكّرت إيزي بالرجل الضعيف الجالس بجانبها وهو يقيم في شقّة صغيرة مؤلفة من غرفتَين في إيست هام مع شقيقه، مع أنّهم يدينون فعلًا له بجزء من المال العائد من بيع آخر مشنقة. ربّما، بعد بيع لوحة ستابز، قد تفكّر عائلة تشيزيل في الوفاء بهذا الالتزام.

كان بيلي يأكل حساءه وهو في حالة هدوء كأنّه منوّم، وعيناه شاردتَين. ورأت روبن أنّ حالته التأمّلية العميقة بدت هادئة، بل سعيدة حتّى.

قال بيلي أخيرًا:

– إذًا، لا بدّ أنّ الأمور التبست عليّ، أليس كذلك؟ تحدّث الآن بثقة رجل يشعر بثباته في الواقع. رأيت الحصان يُدفن وظننت أنّه الطفل. اختلطت عليّ الأمور، هذا كلّ شيء.

قال سترايك:

– في الحقيقة، أعتقد أنّ في الأمر أكثر من ذلك بقليل. علمت أنّ الرجل الذي خنق الطفل هو نفسه الذي دفن الحصان في الوادي مع والدك. أفترض أنّ فريدي لم يكن موجودًا كثيرًا، لأنّه أكبر منك بكثير، لذلك لم تعرف من هو بوضوح... لكنّني أعتقد أنّك منعت نفسك من التذكّر بشأن الحصان وموته وخلطت بين فعلَين ينمّان عن القسوة ارتكبهما الشخص ذاته.

سأل بيلي ببعض القلق:

– ماذا حدث للحصان؟

سألت إيزي:

– ألا تتذكّر سبوتي؟

وضع بيلي مندهشًا ملعقة حسائه في طبقه ومدّ يده بشكل أفقي ربّما على علوّ مترٍ من الأرض.

– ذاك الحصان الصغير... أجل... ألم يكن يرعى في حديقة الكروكيت؟

أوضحت إيزي لسترايك وروبن:

– كانت سلالة قديمة جدًا، حصان قزم مرقّط. كانت الفرس الأخيرة من مجموعة تينكي. كان لتينكي ذوقٌ فظيعٌ، حتى في الخيول...

(... لم يلاحظ أحد وهل تعرفون لماذا؟ لأنّهم متعجرفون سخيفون...)

واعترفت إيزي:

– لكنّ سبوتي كانت ظريفة للغاية. كانت تتبعنا مثل الكلاب إن كنّا في الحديقة... لا أظنّ أنّ فريدي قصد أن يفعل ذلك... لكنّها قالت بيأس: آه! ما عدت أعرف بعد الآن. لا أعرف بماذا كان يفكّر... لطالما كان سريع الغضب. أزعجه شيء ما. أخرج بندقية أبي الذي لم يكن في المنزل من خزانة الأسلحة، وصعد إلى السطح وبدأ بإطلاق النار على الطيور ثمّ... أخبرني بعد ذلك أنّه لم يقصد إصابة سبوتي، لكن لا بدّ أنّه كان يصوّب بالقرب منها، أليس كذلك، ليقتلها؟

فكّر سترايك: كان يصوّب إليها. لا يضع المرء رصاصتَين في رأس حيوان من تلك المسافة بدون قصد.

قالت إيزي:

– ثمّ أصيب بالذعر. وطلب من جاك أو... وقالت لبيلي: أعني والدك، أن يساعده على دفنها. عندما عاد أبي إلى المنزل، تظاهر فريدي بأنّ سبوتي انهارت، وأنّه اتّصل بالطبيب البيطري الذي أخذها، لكن بالطبع، لم تصمد هذه الكذبة دقيقتَين. غضب أبي كثيرًا عندما اكتشف الحقيقة. فهو لم يتحمّل يومًا القسوة على الحيوانات.

وأضافت بحزن:

– انفطر قلبي عندما علمت بالخبر. لقد أحببت سبوتي.

سألت روبن، وشوكتها معلّقة في الهواء:

– ألم تغرزي صليبًا في الأرض حيث دُفنت، يا إيزي؟

سألت إيزي مندهشة فيما انهمرت دموعها مجدّدًا:

– كيف استطعت معرفة ذلك؟ ومدّت يدها مرّة أخرى لتخرج منديلها.

استمرّ هطول المطر بغزارة فيما ابتعد سترايك وروبن من المطعم معًا، على امتداد جسر تشيلسي باتّجاه جسر ألبرت. تدفّق نهر التايمز إلى الأمام، وبالكاد اضطرب سطحه الرمادي بسبب المطر الكثيف الذي هدّد بإطفاء سيجارة سترايك، وتبليل خصل الشعر القليلة التي خرجت من تحت قلنسوة معطف روبن الواقي من المطر.

قال سترايك:

– تلك هي الطبقة الراقية. يسمحون لك بأن تخنق أطفالهم لكن إيّاك أن تلمس خيولهم.

وبّخته روبن قائلة:

– أنت تظلمهم قليلًا. تعتقد إيزي أنّ رافاييل عومل معاملة مروّعة.

قال سترايك بلا مبالاة:

– هذا لا شيء مقارنة بما سيعانيه في دارتمور. شفقتي محدودة.

قالت روبن:

– أجل، لقد أوضحت ذلك تمامًا.

ارتطم حذاءاهما المبلّلان على الرصيف اللامع.

سأل سترايك الذي كان يطرح السؤال مرّة واحدة في الأسبوع:

– أما زلت تقومين بالعلاج المعرفي السلوكي. أما زلت تقومين بالتمارين؟

– باجتهاد.

– لا تكوني مهملة، أنا جديّ.

قالت روبن ببرود:

– وأنا أيضًا. أفعل ما يجب أن أفعله. لم أصب بنوبة هلع واحدة منذ أسابيع. كيف حال رجلك؟

– إنّها تتحسّن. أمارس تمارين التمدّد وأراقب حميتي. أكلت للتوّ نصف حقل بطاطا والقسم الأكبر من البقرة. كانت هذه آخر وجبة يمكنني أن أحصل عليها من عائلة تشيزيل. أردت أن أستفيد منها إلى أقصى حدّ. ما خططك لما بعد ظهر اليوم؟

– يجب أن أحصل على ذلك الملف من آندي، ثمّ سأتّصل بالرجل في فينسبوري بارك لأرى ما إن كان سيتحدّث إلينا. آه، يسأل نيك وإلسا إن كنت تريد أن تأتي لتناول وجبة كاري جاهزة الليلة.

استسلمت روبن لإصرار نيك وإلسا وسترايك المشترك على أنّ العيش في غرفة صغيرة في منزل مليء بالغرباء أمر غير مرغوب فيه في أعقاب احتجازها رهينةً تحت تهديد السلاح. في غضون ثلاثة أيّام، ستنتقل إلى غرفة في شقة في إيرلز كورت، ستتشاركها مع ممثّل مثليّ من أصدقاء إلسا، بعد انتقال شريكه السابق إلى مكان آخر. أعلن شريكها الجديد في السكن عن متطلباته وهي: النظافة ورجاحة العقل وتحمّل ساعات العمل غير المنتظمة.

فقال سترايك:

– أجل. عظيم. يجب أن أعود إلى المكتب أولًا. يأمل باركلي أن يضبط الطبيب المتحايل متلبّسًا هذه المرّة مع مراهقة أخرى يدخل ويخرج من الفندق معها.

قالت روبن:

– رائع. كلّا، لا أعني رائع، أعني...

قال سترايك بحزم:

– الأمر فعلًا رائع، فيما تناثر المطر فوقهما وحولهما.

– لقد أرضينا عميلًا آخر. ويبدو رصيدنا في المصرف بحال جيّدة غير معهودة. قد أتمكّن من رفع راتبك قليلًا. على أيّ حال، سأصعد إلى المكتب. أراك عند نيك وإلسا لاحقًا، إذًا.

افترقا ولوّح أحدهما للآخر بيده، وأخفى كلّ منهما الابتسامة الطفيفة التي ارتسمت على وجهه وهو يبتعد بأمان فيما شعرا بالسعادة للقائهما مجدّدًا في غضون ساعات قليلة، لتناول الكاري والجعة عند نيك وإلسا. لكن سرعان ما حوّلت روبن تفكيرها للأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة رجل في فينسبوري بارك.

ومشت منحنية الرأس تواجه المطر، ولم تعر أيّ اهتمام للقصر الرائع الذي كانت تمرّ بالقرب منه، ذي النوافذ المبللة المواجهة للنهر العظيم، والأبواب الأمامية التي نُقش عليها وشمُ بجعتَين.

شكر وتقدير

لأسباب لا تتعلّق كلّيًا بتعقيد الحبكة، كان كتاب البيضاء القاتلة أحد أكثر الكتب التي كتبتها صعوبةً، لكنّه أيضًا من الكتب المفضّلة لديّ. إلّا أنّني لم أكن لأستطيع أن أكتبه لولا مساعدة الأشخاص التالي ذكرهم.

ديفيد شيلي، ناشري الرائع، أتاح لي كلّ الوقت الذي احتجت إليه لأكتب الرواية كما أردتها أن تكون بالضبط. فبدون تفهّمه وصبره ومهارته، لما رأى كتاب البيضاء القاتلة النور.

قرأ زوجي نيل المخطوطة خلال كتابتي لها. وأعطاني ملاحظاتٍ لا تُقدّر بثمن ودعمني بألف طريقة عملية، كما أنّني في غاية الامتنان له لأنّه لم يسأل ولو مرّة واحدة لماذا قرّرت كتابة رواية كبيرة ومعقّدة فيما كنت أعمل أيضًا على مسرحية وسيناريوهَين. أعلم أنّه يعرف السبب، لكنْ قليلون هم الذين كانوا سيقاومون إغراء طرح السؤال.

لا يزال السيّد غالبريث يجهل قيمة حظوته بوكيل أعمال رائع هو في الوقت ذاته صديق عزيز. شكرًا لك، نيل الآخر (بلير).

ساعدني العديد من الأشخاص في البحث في المواقع المختلفة التي زارها سترايك وروبن خلال هذه القصّة وقدّموا لي خبرتهم ومعرفتهم. لذا أتوجّه بخالص شكري لهم:

سيمون بيري وستيفن فراي، اللذَين اصطحباني لتناول غداء رائع لا يُنسى في نادي برات وأتاحا لي فرصة إلقاء نظرة على كتاب الرهانات؛ والنائب جيس فيليبس، الذي أفادني كثيرًا إذ وفّر لي جولة داخلية في مجلس العموم وبورتكوليس هاوس، الذي أجاب مع صوفي فرانسيس كانزفيلد وديفيد دويج وإيان ستيفنز عن أسئلة لا حصر لها عن الحياة في وستمنستر. البارونة جوانا شيلدز، غمرتني بلطفها وأكرمتني بقسط كبير من وقتها، وسمحت لي بزيارة داخل وزارة الاتصالات الرقمية والثقافة والإعلام والرياضة، وأجابت عن جميع أسئلتي وأتاحت لي زيارة لانكستر هاوس؛ وراكيل بلاك، التي ساعدتني إلى أقصى الحدود، لا سيّما في التقاط الصور عندما نفدت بطّاريتي؛ وإيان تشابمان وجيمس يورك، اللذَين أمّنا لي جولة رائعة في لانكستر هاوس؛ وأشكر أيضًا بريان سبانر على الرحلة النهارية إلى هورس آيل.

كنت سأتوه تمامًا لولا فريق دعمي في المكتب وفي المنزل. لذلك، أقدّم خالصَ شُكري لداي بروكس وداني كاميرون وأنجيلا ميلن وروس ميلن وكايسا تيينسو على عملهم الشاق والروح الرياضية التي يتمتّعون بها، وهما أمران أقدّرهما تقديرًا عميقًا.

بعد ستة عشر عامًا من العمل معًا، آمل أنّ فيونا شابكوت تعرف تمامًا مكانتها عندي. شكرًا لكِ يا فاي على كلّ ما تفعلينه.

أمّا صديقي ديفيد غودوين فقد كان مصدر إلهام ثابتًا لي ولما كان هذا الكتاب على ما هو عليه بدونه.

من ناحية أخرى، فإنّ (QSC)[1] لم تسهم بل أعاقتني فقط.

إلى مارك هاتشينسون وريبيكا سولت ونيكي ستونهيل، شكرًا لكم على محافظتكم على تماسك الأمور هذا العام، خاصّة عندما سهرتم على عدم انهياري أنا.

[1] يشير المصطلح في العادة إلى «التقارير ربع السنوية عن ضوابط التصدير الاستراتيجية» ولكن لا نعلم صراحة ما المغزى منه في السياق العام، لهذا سنكتفي بالإشارة إليه على أنّه طرفة خاصّة أدرجتها الكاتبة في النّص.

أخيرًا وليس آخرًا على الإطلاق: شكرًا لأولادي، جيسيكا وديفيد وكنزي، لأنّهم تحمّلوني. ليس دائمًا من السهل أن تكون أمّهم كاتبة، لكن لن يحلو العيش في العالم الحقيقيّ من دونكم أنتم ووالدكم.





Rosmersholm epigraphs Complete Works of Henrik Ibsen (Hastings: Delphi Classics, ebook), 2013. Translated by Robert Farquharson.

Wherever You Will Go (p 33 and p 36) Words and Music by Aaron Kamin & Alex Band. © 2001 Alex Band Music/Universal Music Careers/ BMG Platinum Songs/Amedeo Music. Universal Music Publishing MGB Limited/ BMG Rights Management (US) LLC. All Rights Reserved.

Used by Permission of Hal Leonard Europe Limited.

No Woman No Cry (p 116 and p 117) Written by Vincent Ford. Published by Fifty-Six Hope Road Music Limited/Primary Wave/Blue Mountain Music. All Rights Reserved.

Hear the word of Lachesis, the daughter of necessity (p 229) The Dialogues of Plato (New York: Scribner, Armstrong & Co, ebook), 1873.

Where Have You Been (p 506) Words and Music by Lukasz Gottwald, Geoff Mack, Adam Wiles, Esther Dean & Henry Russell Walter. © 2012 Kasz Money Publishing/Dat Damn Dean Music/Prescription Songs/ Songs of Universal Inc/Oneirology Publishing/TSJ Merlyn Licensing BV/Hill And Range Southwind Mus S A. Carlin Music Corporation/ Kobalt Music Publishing Limited/Universal/MCA Music Limited/EMI Music Publishing Limited. All Rights Reserved. Used by Permission of Hal Leonard Europe Limited.

Niggas In Paris (p 541 and p 543) Words & Music by Reverend W. A. Donaldson, Kanye West, Chauncey Hollis, Shawn Carter & Mike Dean. © 2011 Unichappell Music Inc. (BMI)/EMI Blackwood Music Inc./ Songs of Universal Inc./Please Gimme My Publishing Inc./U Can't Teach Bein› The Shhh Inc./ Carter Boys Music (ASCAP)/Papa George Music (BMI). EMI Music Publishing Limited/Universal/MCA Music Limited. All rights on behalf of Papa George Music, Carter Boys Music and Unichappell Music Inc. administered by Warner/ Chappell North America Ltd. All Rights Reserved. Used by Permission of Hal Leonard Europe Limited, Sony/ATV Music Publishing and Warner/Chappell North America Ltd.

Black Trombone (p 783 and p 784) Words and Music by Serge Gainsbourg. © 1962 Melody Nelson Publishing/Warner Chappell Music France. Imagem Music/Warner/Chappell Overseas Holdings Limited. Used by Permission of Hal Leonard Europe Limited and Warner/Chappell Overseas Holdings Limited.

La Chanson de Prévert (p 790) Words and Music by Serge Gainsbourg. © 1961 Melody Nelson Publishing/Warner Chappell Music France. Imagem Music/ Warner/Chappell Overseas Holdings Limited. Used by Permission of Hal Leonard Europe Limited and Warner/Chappell Overseas Holdings Limited.

صحيح أنّ كورموران سترايك محقّق مشهور، لكنّه بالتأكيد ليس منجّمًا.

هكذا، حين يقتحم الشابّ المضطرب بيلي نايت مكتبه ذات صباح طالبًا إليه التحقيق في جريمة، قبل أن تنتابه نوبة ذهانية حادّة يغادر على إثرها، يغرق المحقّق في دوّامة من الألغاز لا قاع لها.

قضيّة بيلي ناقصة وغير موثوقة. من كان يتخيّل أنّها ستقود المحقّق إلى عوالم الفساد وأروقة السياسيين وأسرار الأثرياء؟

رحلةٌ جديدة يقودها كورموران سترايك مع مساعدته روبن إيلاكوت في متاهة ستعيد إليهما ذكريات ماضيهما المشترك كمحقّقين وتعدّ لمستقبلٍ محمّلٍ بالاحتمالات بينهما كصديقين، هناك في أزقّة لندن الخلفيّة، قرب التلّ حيث تنفق المهور الصغيرة ويقتل الأثرياء بعضهم بعضًا.

روبرت غالبريث هو الاسم المستعار للكاتبة البريطانيّة ج.ك. رولينغ، مؤلفة سلسلة «هاري بوتر» الشهيرة ورواية «منصب شاغر»، تستخدمه في نشر سلسلة المحقّق سترايك التي صدر منها حتى الآن عن نوفل «نداء الكوكو»، «مهنة الشر»، و«دودة الحرير».

تؤكّد هذه الرواية مقدرة
غالبريث الاستثنائيّة على السّرد.

Daily Mail

لا يسهل أخذ استراحة معها... لا تقاوم.

Sunday Times

غالبريث واحد من ألمع الكتّاب
البوليسيين الحداثويين.

جوسلين ميكليرغ USA today


ISBN 978-614-469-828-0
9 786144 698280

نوفل هي دمغة الناشر
هاشيت أنطوان

